

الأكيل

على مدارك التنزيل

وحقائق التأويل

لِلإِمَامِ النَّسْفِيِّ

تأليف

الشيخ محمد عبد الحق بن شاه الهندية الحنفية في

المؤلف ١٣٣٣ هـ

استوفيه رحمه الله

الشيخ محيي الدين أسامة البشير فدان

الجزء الثالث

منه أنزل سورة المائدة إلى آخر سورة الفرقان

منشورات

مكتبة دار الكتب العلمية

دار الكتب العلمية

DKi

بيروت - لبنان

الإكليل على مدارك التنزيل وَحَقَائِقُ التَّأْوِيلِ لِلْإِمَامِ النَّسْفِيِّ

تأليف

الشيخ محمد عبد الحق بن شاه الهندي الحنفي
المتوفى ١٣٣٣ هـ

اعتنى به وصّطه

الشيخ محيي الدين أسامة البيزقدار

المجلد الثالث

من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الأنفال



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah

DKi

أسستها محمد باقر باقر سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



baydoun@al-ilmiyah.com

sales@al-ilmiyah

info@al-ilmiyah.com

http://www.al-ilmiyah.com

http://t.me/tehqat

الكتاب : على مدارك التنزيل وحقائق التأويل الإكليل

Title : Al-Iklil 'ala madârik al-Tanzil wa haqâ'iq al-Ta'wil

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of The Holy Qur'an

المؤلف : محمد عبد الحق الحنفي (ت ١٣٣٣م)

Author : Muhammed Abd Al-Haq Al-Hanafi (D.1333 H.)

المحقق : محيي الدين أسامة البيرقدار

Editor : Muhiyiddin Ossama Al-Bayrqdar

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

عدد الصفحات : (7 أجزاء) 4608 Pages : (7 volumes)

قياس الصفحات : 17* 24 cm Size :

سنة الطباعة : 1433 H. - 2012 A.D. Year :

بلد الطباعة : لبنان Printed in : Lebanon

الطبعة : الأولى (لبنان) Edition : 1st (2 colors)

Exclusive rights by © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضيق الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 8107/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عزمون القبة مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-5727-0



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة المائدة)

(مدنية وهي مائة وعشرون آية)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَافُؤًا بِٱلْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَافُؤًا بِٱلْعُقُودِ﴾ (يقال وفى بالعهد وأوفى) به، والعقد العهد (الموثق شبه بعقد الحبل) ونحوه وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها إياهم (من مواجب التكليف)، أو ما عقد الله عليكم، أو ما تعاقدتم بينكم. والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه، وأنه كلام قدّم مجملًا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَامِ﴾ والبهيمة كل ذات أربع قوائم في البر والبحر، وإضافتها إلى الأنعام للبيان وهي بمعنى «من»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة المائدة مدنية، وهي مائة وعشرون آية)، وكلماتها ألفان وثمانمائة وأربع كلمات، وحروفها أحد عشر ألفًا وسبعمائة وثلاثة وثلاثون حرفًا. قوله: (يقال: وفى بالعهد) وفاءً (وأوفى) به إيفاءً إذا أتى ما عهد به ولم يغدر، والنقل إلى باب الأفعال لا يفيد شيئًا سوى المبالغة له. قوله: (الموثق) بالتشديد والتخفيف، أي المحكم. قوله: (شبه بعقد الحبل) بالحبل وشده بحيث يعسر الانفصال. قوله: (من مواجب التكليف) جمع مُوجب اسم مفعول، يعني أوجبه التكليف من أداء الواجبات لزومًا، والمندوبات رجحانًا، واجتناب المحرمات والمكروهات كذلك، وهذا أوفق بعموم اللفظ وأوفى بعموم الفائدة، لكن الحمل على تحليل الحلال، أي اعتقاد حله والعمل على وفقه وتحريم الحرام كذلك أظهر نظرًا إلى ما يُشعر به سَوَقُ الكلام من الإجمال والتفصيل، لا يقال: السورة مشتملة

كخاتم فضة ومعناه، البهيمة من الأنعام (وهي الأزواج الثمانية). وقيل: بهيمة الأنعام: (الظباء) وبقر الوحش ونحوهما ﴿إِلَّا مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ آية تحريمه وهو قوله: «حرمت عليكم الميتة» الآية ﴿غَيْرَ مُحْيِي الصَّيْدِ﴾ حال من الضمير في «لكم» أي أُحِلَّتْ لَكُمْ هذه الأشياء لا مُحِلِّين الصيد ﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ حال من «مُحِلِّي الصيد» كأنه قيل: أحللنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم مُحَرَّمُونَ لثلا يضيق عليكم، والحُرُم جمع حرام وهو المحرم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من الأحكام أو من التحليل والتحریم ونزل نهياً عن تحليل ما حرم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعْبَرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أُمِينَ
الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَلْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ
صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِلْمِ
وَالْعُدُونِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا سَعْيَكُمْ لَشَعِيرٍ﴾ جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعارًا وعلمًا للنسك به من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التي هي علامات الحاج يُعرف بها من الإحرام والطواف والسعي والحلق والنحر ﴿وَلَا النَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ (أي أشهر الحج) ﴿وَلَا الْهُدًى﴾

على أمهات التكليف في الأصول والفروع لا يختص بالتحليل والتحريم، وكفى بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾، و﴿أَعِدُّوا لَهُ أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: الآية ٨]، فلا يلزم حصر المُجْمَل على التحليل والتحريم، ولو سلم فليكن من التفريع على الأصل لا التفصيل للمجمل، كما يقول: امتثلوا أوامر الله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان؛ لأننا نقول: المراد أن ما وقع في معرض التفصيل هو التحليل والتحريم، وظاهر أن ليس جميع السورة كذلك، وأن المذكور بالتفصيل أوفق منه بالتفريع. اهـ تفتازاني رحمه الله. قوله: (وهي الأزواج الثمانية) من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين. قوله: (الطَّيَّاء) - بالكسر - جمع الطَّيَّاء.

قوله: (أي أشهر الحج): شَوَّال وذو القعدة وعشر ذي الحجة، ولا اشتراك إلا في شهر وبعض، ووجه الصحة أن معظمه من أشهر الحج، فغلب. اهـ تفتازاني

(وهو ما أهدي إلى البيت) وتقرب به إلى الله تعالى من النساءك وهو (جمع هدية) ﴿وَلَا أَفْلَهِيدَ﴾ جمع قلادة وهي ما قلّد به الهدي من نعل (أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره) ﴿وَلَا أَمِينٍ أَلْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ ولا تحلوا قوماً قاصدين المسجد الحرام وهم الحجاج والعُمّار، وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحُرمة الشعائر وأن يُحال بينها وبين المتنسّكين بها، وأن يحدثوا في أشهر الحج ما يصدّون به الناس عن الحج وأن يتعرّضوا للهدي بالعُصب أو بالمنع من بلوغ محله. وأما القلائد فجاز أن يُراد بها ذوات القلائد وهي البُدن وتعطف على الهدي للاختصاص لأنها أشرف الهدي كقوله: ﴿وَحَبْرِيلَ وَمِيكَئِيلَ﴾ [البقرة: الآية ٩٨]. كأنه قيل: والقلائد منها خصوصاً، وجاز أن ينهى عن التعرّض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرّض للهدي أي ولا تحلوا قلائدها فضلاً أن تحلّوها كما قال: ﴿وَلَا يَبْدِيكَ زَيْلَتَهُنَّ﴾ [النور: الآية ٣١] فنهى عن إبداء الزينة مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها ﴿يَبْنَعُونَ﴾ حال من الضمير في «أمين» ﴿فَصَلَا مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي ثواباً ﴿وَرَوْضُونًا﴾ وأن يرضى عنهم أي لا تتعرّضوا لِقوم هذه صفتهم (تعظيماً) لهم ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ خرجتم من الإحرام ﴿فَاصْطَادُوا﴾ إباحة للاصطياد بعد حَظَره عليهم بقوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاؤُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ جرم مثل كسب في تعديته إلى مفعول واحد واثنين، تقول جرم ذنباً نحو كسبه وجرمته ذنباً نحو كسبه إياه، وأول المفعولين ضمير المخاطبين والثاني «أن تعتدوا» «وأن صدّوكم» متعلق بالشأن بمعنى العلة وهو شدة البغض، (وبسكون النون شامي) وأبو بكر، والمعنى: ولا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه.

﴿قوله﴾: (وهو ما أهدي إلى البيت) أي بيت الله من ناقة أو بقرة أو شاة.
 ﴿قوله﴾: (جمع هدية) بتسكين الدال.
 ﴿قوله﴾: (أو عروة مزادة) - بفتح الميم - وهي السفرة من جلد.
 ﴿قوله﴾: (أو لحاء) بكسر اللام ممدوداً (شجر) أي قشر الشجر.
 ﴿قوله﴾: (أو غيره) من شراك نعل وغير ذلك ممّا يكون علامة على أنه هدي لثلا يتعرّضوا له، وإن عطب وذبح فلا يأكل منه إلا الفقراء دون الأغنياء.
 ﴿قوله﴾: (تعظيماً) مفعول له المقدار، أي قال ذلك تعظيماً لهم.
 ﴿قوله﴾: (وبسكون النون، شامي) أي ابن عامر الشامي وأبو بكر شعبة. والباقون بفتحها، وهما بمعنى

«إِنْ صَدُوكُمْ» عَلَى الشَّرْطِ: مَكِّي وَأَبُو عَمْرٍو وَيَدُلُّ عَلَى الْجَزَاءِ مَا قَبْلَهُ وَهُوَ «لَا يَجْرِمُكُمْ» وَمَعْنَى صَدَّهُمْ إِيَاهُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مَنَعَ أَهْلَ مَكَّةَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ (يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ) عَنِ الْعِمْرَةِ، وَمَعْنَى الْاِعْتِدَاءِ الْاِنْتِقَامُ مِنْهُمْ بِالْحَاقِّ مَكْرَهُ بِهِمْ ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالتَّقْوَى﴾ عَلَى الْعَفْوِ (وَالْإِغْضَاءِ) ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالْعُدْوَانِ﴾ عَلَى الْاِنْتِقَامِ وَالتَّشْفِي، أَوْ الْبِرِّ فَعَلَ الْمَأْمُورُ، وَالتَّقْوَى تَرَكَ الْمَحْظُورُ، وَالْإِثْمُ تَرَكَ الْمَأْمُورُ وَالْعُدْوَانُ فَعَلَ الْمَحْظُورُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ الْعُمُومُ لِكُلِّ بَرٍّ وَتَقْوَى، وَلِكُلِّ إِثْمٍ وَعُدْوَانٍ فَيَتَنَاوَلُ بَعْمُومَهُ الْعَفْوُ (وَالْاِنْتِصَارُ) ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِمَنْ عَصَاهُ وَمَا اتَّقَاهُ.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْلَقُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَيْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

ثُمَّ بَيَّنَّ مَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَأْكُلُونَهُ فَقَالَ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ﴾ أَيُّ الْبَهِيمَةِ الَّتِي (تَمُوتُ حَتْفَ أَنْفِهَا) ﴿وَالْدَّمُ﴾ أَيُّ الْمَسْفُوحِ وَهُوَ السَّائِلُ ﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ وَكُلُّهُ

وَاحِدٌ. قَوْلُهُ: «(إِنْ صَدُوكُمْ)» بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ «عَلَى الشَّرْطِ. مَكِّي» أَيُّ ابْنِ كَثِيرٍ الْمَكِّي (وَأَبُو عَمْرٍو)، وَابْقَاوْنَ بِالْفَتْحِ عَلَى أَنَّهَا عَلَّةٌ لِلشَّانِ. قَوْلُهُ: (يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ) الْحُدَيْبِيَّةُ قَرْيَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ مَكَّةَ سُمِّيَتْ بِبُئْرِ هُنَاكَ، وَهِيَ مَخْفُفَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَشَدُّونَهَا. قَوْلُهُ: (الْإِغْضَاءُ) إِذْنَاءُ الْجُفُونِ. أَهْدَ مَخْتَارَ الصَّحَاحِ. قَوْلُهُ: (الْاِنْتِصَارُ) الْاِنْتِقَامُ.

قَوْلُهُ: (تَمُوتُ حَتْفَ أَنْفِهَا) فِي الْمَصْبَاحِ: الْحَتْفُ الْهَلَاكُ. قَالَ ابْنُ فَارَسٍ وَتَبِعَهُ الْجَوْهَرِيُّ: وَلَا يَبْنَى مِنْهُ فَعْلٌ، يُقَالُ: مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ إِذَا مَاتَ مِنْ غَيْرِ ضَرْبٍ وَلَا قَتْلٍ، وَزَادَ الصَّغَانِيُّ: وَلَا غَرَقَ وَلَا حَرَقَ. وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: لَمْ أَسْمَعْ لِلْحَتْفِ فَعْلًا، وَحَكَاهُ ابْنُ الْقُوطِيَّةِ فَقَالَ: حَتَفَهُ اللَّهُ يَحْتَفُهُ حَتْفًا، أَيُّ مِنْ بَابِ ضَرْبٍ إِذَا أَمَاتَهُ، وَنَقَلَ الْعَدْلُ مَقْبُولٌ، وَمَعْنَاهُ أَنْ يَمُوتَ عَلَى فِرَاشِهِ فَيَتَنَفَّسُ حَتَّى يَنْقُضِي رَمَقَهُ، وَلِهَذَا خَصَّ الْأَنْفَ، وَمِنْهُ يُقَالُ لِلْسَمَكِ يَمُوتُ فِي الْمَاءِ وَيُطْفَوُ: مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ،

نجس. وإنما خَصَّ اللحم لأنه معظم المقصود ﴿وَمَا أَهْلَ لَيْعٍ أَلَهُ بِهِ﴾ أي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم «باسم اللات والعزى» عند ذبحه ﴿وَالْمُنْخِفَةُ﴾ التي (خنقوها) حتى ماتت أو انخفت (بالشبكة) أو غيرها ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ التي (أثخنوها) ضرباً بعصا أو حجر حتى ماتت ﴿وَالْمَرْدِيَّةُ﴾ التي (تردت) من جبل أو في بئر فماتت ﴿وَالنَّطِيعَةُ﴾ المنطوحة وهي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح ﴿وَمَا أَكَلَ السَّيِّعُ﴾ بعضه ومات بجرحه ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح، والاستثناء يرجع إلى المنخفة وما بعدها، فإنه إذا أدركها وبها حياة فذبحها وسمى عليها حلت ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك ويتقربون إليها تسمى الأنصاب (واحدنا نصب)، أو هو جمع والواحد نصاب ﴿وَأَنْ تَسْتَفْسِحُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ في موضع الرفع بالعطف على الميتة أي حُرِّمَتْ عليكم الميتة وكذا وكذا والاستقسام بالأزلام وهي (القِداح) المعلمة (واحدنا زَلَمَ وزَلِمَ)، كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو تجارة أو نكاحاً أو غير ذلك (يعمد) إلى قِداح ثلاثة على واحد منها مكتوب «أمرني ربي» وعلى الآخر «نهاني» والثالث («غُفْلٌ»). فإن خرج الأمر مضى لحاجته، وإن خرج

وهذه الكلمة تكلم بها أهل الجاهلية. قال السَّمَوَال:

وما مات منا سيّد حَتَفَ أنفه

قوله: (خنقوها) الحَنَق احتباس النفس بسبب انعصار الحلق. قوله: (بالشبكة) الشبكة التي يُصَاد بها، وجمعها شباك. اهـ مختار الصّحاح. قوله: (أثخنوها) أثخنه أوهنته بالجراحة وأضعفته. اهـ مصباح. قوله: (تردّت) أي سقطت. قوله: (واحدنا نصب). قوله: (القِداح) جمع القِدح - بكسر القاف وسكون الدال - السهم قبل أن يراش ويركب نصله. قوله: (واحدنا زَلَمَ وزَلِمَ) في المصباح: الزلم - بفتح اللام وتضم الزاي وتفتح - القِدح، وجمعه أزلام، وكانت العرب في الجاهلية تكتب عليها الأمر والنهي وتضعها في وعاء، فإذا أراد أحدهم أمراً أدخل يده وأخرج قدحاً، فإن خرج ما فيه الأمر مضى لقصده، وإن خرج ما فيه النهي كَفَ. اهـ. قوله: (يعمد) من باب ضرب. قوله: (غُفْلٌ) - بضم العين المعجمة وسكون الفاء - الذي لا سِمة عليه؛ لأنه أغفلت علامته، والمراد هنا أنه لم يكتب عليه.

الناهي أمسك، وإن خرج الغفل أعاده، فمعنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام. قال (الزجاج): لا فرق بين هذا وبين قول المُنْجَمِينَ: «لا تخرج من أجل نجم كذا وأخرج لطلوع نجم كذا» وفي شرح التأويلات ردّ هذا وقال: لا يقول المنجم: «إن نجم كذا يأمر بكذا ونجم كذا ينهى عن كذا» كما كان فعل أولئك، ولكن المنجم جعل النجوم دلالات وعلامات على أحكام الله تعالى. ويجوز أن يجعل الله في النجوم معاني وأعلامًا يدرك بها الأحكام ويستخرج بها الأشياء ولا لائمة في ذلك إنما اللائمة عليه فيما يحكم على الله ويشهد عليه. (وقيل: هو الميسر وقسمتهم الجزور على الأنصاء المعلومة) ﴿ذَلِكَ مُفْسِقٌ﴾ الاستقسام بالأزلام خروج عن الطاعة، ويحتمل أن يعود إلى كل محرم في الآية.

قوله: (الزجاج) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل النحوي، توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله. **قوله: (وقيل: هو الميسر)**، فلا يكون معناه طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم، بل طلب كيفية قسمة الجزور.

قوله: (وقسمتهم الجزور على الأنصاء المعلومة) بأقداح الميسر، وهي عشرة أقداح: الفذّ، ثم التوأم، ثم الرقيب، ثم الحلس، ثم النّافس، ثم المسيل، ثم المعلى، وهذه الأقداح السبعة لها أنصاء من جزور ينحرونها ويُقسمونها على العادة المعلومة بينهم، والثلاثة الأخر لا نصيب لها، وهو: السفيح والمنيح والوغد، كان أهل الجاهلية يجمعون عشرة أنفس ويشترون جزورًا ويجعلون لحمه ثمانية وعشرين جزءًا، ويجعلون لكل واحد من صاحب الأزلام نصيبًا معلومًا للفذّ سهم، وللتوأم سهمان، وللرقيب ثلاثة أسهم، وللحلس أربعة أسهم، وللنافس خمسة، وللمسيل ستة، وللمعلى سبعة، ويجعلون الأزلام في خريطة يضعونها على يد رجل، ثم يجعل ذلك الرجل يحركها فيخرج باسم كل رجل قَدْحًا منها، ومن خرج له قدح من أرباب الأنصاء يجعله إلى الفقراء ولا يأكل منه شيئًا، ويفتخرون بذلك ويذمّون من لم يدخل فيه، ويسمّون البرم^(١)، يعني اللّثيم. اهـ شيخ زاده رَحِمَهُ اللهُ.

(١) محرّكة من لا يدخل مع القوم في الميسر. اهـ قاموس.

﴿الْيَوْمَ﴾ ظرف لـ «يُس» ولم يُرد به يوم بعينه وإنما معناه الآن، وهذا كما تقول: «أنا اليوم قد (كبرت)» تريد الآن. وقيل: أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عَرَفَةَ بعد العصر في (حجة الوداع) ﴿يَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ يئسوا منه أن يُبطلوه أو يئسوا من دينكم أن يغلبوه لأن الله تعالى وفى بوعده من إظهاره على الدين كله ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين بعدما كانوا غالبين ﴿وَآخِشُونَ﴾ (بغير ياء في الوصل والوقف أي (أخلصوا لي الخشية) ﴿الْيَوْمَ﴾ ظرف لقوله: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بأن كفيتم خوف عدوكم وأظهرتكم عليهم كما يقول الملوك: «اليوم كمل لنا الملك» أي كفيتمنا من كنا نخافه، أو أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على شرائع الإسلام وقوانين القياس ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم (منار الجاهلية) ومناسكهم ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ حال. اخترته لكم من بين الأديان وأذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ آل عمران: الآية [٨٥] ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾ متصل بذكر المحرمات، وقوله: «ذلكم فسق» اعتراض أكد به

قوله: (كبرت) في مختار الصحاح: كبر أي أسن، وبابه طرب، ومكبر أيضًا كمجلس، يقال: علاه المكبر، والاسم المكبرة - بالفتح - يقال: علّت فلانًا كبرًا وكبر، أي عظم يكبر بالضم كبرًا بوزن عنب، فهو كبير وكُبار - بالضم - فإذا أفرط قيل: كُبَار - بالتشديد - اهـ. قوله: (حجة الوداع) بالفتح، في المصباح: وادعته مؤادة صالحته، والاسم الوداع - بالكسر - ودَّعته توديعًا، والاسم الوداع - بالفتح - مثل سلم سلامًا، وهو أن تشيعه عند سفره. اهـ. قوله: ﴿وَآخِشُونَ﴾ (بغير ياء في الوصل والوقف. في إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر وقف يعقوب^(١) على ﴿وَآخِشُونَ﴾ بزيادة ياء بعد النون، وحذفها الباقيون في الحاليين. اهـ. وقوله يعقوب بن إسحاق، وليس من السبعة. قوله: (أخلصوا لي الخشية) مستفاد من ورود الأمر بخشية الله تعالى بعد النهي من خشية الكفار، فإنه لما نهى عن خشيتهم وأمر بخشيته كان خلاصة الكلام الأمر بإخلاص الخشية له تعالى، وأن لا يُخشى إلا منه. قوله: (منار الجاهلية) استعارة لأمرها من مناسكهم وغيرها.

(١) وهو من العشرة. ١٢ منه عم فيضهم.

معنى التحريم، وكذا ما بعده لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المنعوت بالرّضا دون غيره من الملل ومعناه، فمن اضطر إلى الميتة أو إلى غيرها ﴿فِي مَخْصَصَةٍ﴾ (مجاعة) ﴿غَيْرِ﴾ حال ﴿مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ مائل إلى إثم أي غير متجاوز (سدّ الرّمق) ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لا يؤاخذ به بذلك ﴿رَحِيمٌ﴾ بإباحة المحظور للمعذور.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ تُعْمَوْنَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ في السؤال معنى القول فلذا وقع بعده ﴿مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ كأنه قيل: يقولون لك ماذا أحلّ لهم. وإنما لم يقل: «ماذا أحلّ لنا» حكاية لما قالوا، لأن «يسألونك» بلفظ الغيبة كقولك: «أقسم زيد ليفعلن» ولو قيل «لأفعلن» وأحلّ لنا لكان صواباً. و«ماذا» مبتدأ و«أحلّ لهم» خبره كقولك: «أي شيء أحلّ لهم» ومعناه ماذا أحلّ لهم من المطاعم كأنهم حين تلى عليهم ما حرّم عليهم من خبيثات المأكّل سألوا عمّا أحلّ لهم منها فقال: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ أي ما ليس بخبيث منها أو هو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب الله أو سنة أو إجماع أو قياس ﴿وَمَا عَلَّمْتُم﴾ عطف على «الطيبات» أي أحلّ لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف، أو تجعل «ما» شرطية وجوابها «فكلوا» ﴿مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ أي الكواشب) للصيد من سباع البهائم والطير كالكلب و(الفهد والعقاب والصقر والبازي

قوله: (مجاعة) أي جوع. قوله: (سدّ الرّمق) في المصباح: الرّمق - بفتحتين - بقية الروح، وقد يُطلق على القوة، ويأكل المضطرّ من الميتة ما يسدّ به الرّمق، أي ما يمسك قوّته ويحفظها. اهـ.

قوله: ﴿مِنَ الْجَوَارِحِ﴾^(١) أي الكواشب) وهو جمع جارحة، بمعنى كاسبة، قال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: الآية ٦٠]، وجوارح الإنسان أعضاؤه التي يكسب بها. قوله: (الفهد) سباع معروف. قوله: (والعقاب) - بالضم - طائر. قوله: (والصّقر) الطائر الذي يُصاد به. قوله: (والبازي) واحد البُزاة التي يصيد

(١) من قولهم: جرح فلان أهله خيراً إذا أكسبهم، وفلان جارحة أهله، أي كاسبهم. ١٢ شهاب.

والشاهين)، وقيل: هي من الجراحة فيشترط للحلّ الجرح ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال من «علمتم». وفائدة هذه الحال مع أنه استغنى عنها بـ «علمتم» أن يكون مَنْ يعلم الجوارح موصوفاً بالتكليب، والمكَلَّب مؤدب الجوارح ومعلمها مشتق (من الكلب)، لأن التأديب في الكلاب أكثر فاشتق من لفظه لكثرت في جنسه، أو لأن السبع يسمى كلباً ومنه الحديث «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا» من كلابك» فأكله الأسد. ﴿تُعَلِّمُوهُمْ﴾ حال أو استئناف ولا موضع له. وفيه دليل على أن على كل آخذ علماً أن لا يأخذه إلا مِنْ أَنْحَرَهُمْ دراية، فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيَّع أيامه وعَضَّ عند لقاء النحارير أنامله. ﴿يَمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ من التكليب ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ﴾ الإمساك على صاحبه أن لا يأكل منه فإن أكل منه لم يؤكل إذا كان (صيد كلب) ونحوه، فأما (صيد البازي ونحوه) فأكله لا يحرمه (وقد عرف في موضعه).

ضرب من الصقور. قوله: (والشاهين) من سباع الطير ليس بعربي محض. اهـ لسان العرب. قوله: (من الكلب) بسكون اللام أصالة أو مخففة كَلْب بفتحين. اهـ شهاب رحمته الله. قوله: (اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا) قال رحمته الله في حق عتبة بن أبي لهب، أو لهب بن أبي لهب، وقد آذاه وسبه. قال الطيبي: هذا حديث موضوع، وليس كما قال، بل هو حديث صحيح أخرجه الحاكم في المستدرک من حديث أبي نوفل، قال: كان لهب بن أبي لهب يسب النبي رحمته الله، فقال رحمته الله: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا من كلابك» أو كلبك، فخرج في قافلة يريد الشام فنزلوا منزلاً فيه سباع، فقال: إني أخاف دعوة محمد، فجعلوا متاعه حوله وقعدوا يحرسونه، فجاء أسد فانتزعه وذهب به، قال الحاكم: وهو صحيح. اهـ شهاب رحمته الله. قوله: (صيد كلب) ونحوه، أي من كل ذي ناب. قوله: (صيد البازي ونحوه) أي من كل مخلب. قوله: (وقد عرف في موضعه) يثبت (التعلم في ذي الناب بترك الأكل ثلاثاً)، ويثبت (التعلم في ذي مخلب بالإجابة إذا دعي بعد الإرسال، فلو أكل منه) أي من الصيد (البازي أكل) أي يحلّ أكل الباقي من هذا الصيد؛ لأن تعلّمه بالإجابة لا بترك أكله بالإجماع، إلا عند الشافعي رضي الله تعالى عنه في الجديد لا (يؤكل لا) أي لا يؤكل (إن أكل منه الكلب أو الفهد، فإن أكل) ذو الناب من الصيد، أو ترك ذو المخلب (الإجابة بعد الحكم بتعلّمه حرم ما صاده بعده) أي بعد ترك الأكل ثلاث مرّات على

والضمير في ﴿وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ يرجع إلى ما أمسكن على معنى وسموا عليه إذا أدركتم ذكاته، أو إلى ما علمتم من الجوارح أي سموا عليه عند إرساله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ واحذروا مخالفة أمره في هذا كله ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ إنه محاسبكم على أفعالكم ولا يلحقه فيه (لبث).

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿الْيَوْمَ﴾ الْآن ﴿أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ كرره تأكيداً للملّة ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ (أي ذبائحهم) لأن سائر (الأطعمة لا يختص حلها بالملّة) ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ فلا جناح عليكم أن تطعموهم لأنه لو كان حراماً عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامهم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ هي الحرائر أو العفاف، وليس هذا بشرط لصحة النكاح بل هو للاستحباب لأنه يصح نكاح الإماء من المسلمات ونكاح غير العفاف. وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لطفهم وهو معطوف على «الطيبات» أو مبتدأ والخبر محذوف أي والمحصنات من المؤمنات حل لكم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ هنّ الحرائم الكتابيات أو

التوالي، أو بعد ترك الإجابة (حتى يتعلم). اهـ. ملتقى الأبحر بزيادة من شرحه مجمع الأنهر. قوله: (لبث) في مختار الصحاح: لبث أي مكث، وبابه فهم، ولَبَّاثًا أيضًا - بالفتح - فهو لابت. اهـ. وفي المصباح: لبث بالمكان لبثًا من باب تعب، وجاء في المصدر السكون للتخفيف واللّبثة - بالفتح - المرة - وبالكسر - الهيئة والنوع، والاسم اللبث - بالضم - واللّبات - بالفتح - اهـ.

قوله: (أي ذبائحهم) لأن سائر (الأطعمة لا يختص حلها بالملّة) أي بملّة دون ملّة، فلا حاجة إلى بيان حكمها في الدرّ المختار، وشرط (كون الذابح مسلمًا حلالًا خارج الحرم إن كان صيدًا) فصيد الحرم لا تحلّه الذكاة في الحرم مطلقًا، (أو كتابيًا ذميًا أو حربيًا) إلا إذا سمع منه عند الذبح ذكر المسيح. اهـ. وفي ردّ المحتار قوله: (ذميًا أو حربيًا) وكذا عربيًا أو تغلبيًا؛ لأن الشرط قيام الملّة هداية،

العفائف الكتابيات ﴿إِذَا تَنَبَّهْنَ أَجُورَهُنَّ﴾ أعطيتموهن مهورهن ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾ متزوجين (غير زانين) ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ صدائق (والخدن) يقع على الذكور والأنثى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ (بشرائع الإسلام) وما أحل الله وحرّم ﴿فَقَدْ حَبِطَ﴾ بطل ﴿عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾.

وكذا الصابئة لأنهم يقرّون بعيسى عليه السلام، قهستاني. وفي البدائع: كتابهم الزبور، ولعلمهم فرق، وقدم الشارح في الجزية أن السامرة تدخل في اليهود، لأنهم يدينون بشريعة موسى عليه السلام، ويدخل في النصارى الإفرنج والأرمن، سائحاني. وفي الحامدية: وهل يشترط في اليهودي أن يكون إسرائيليًا، وفي النصارى أن لا يعتقد أن المسيح إله؟ مقتضى إطلاق الهداية وغيرها عدمه، وبه أفتى الجد في الإسرائيليين وشرط في المستصفي لحلّ مناعتهم عدم اعتقاد النصراني ذلك. وفي المبسوط: ويجب أن لا يأكلوا ذبائح أهل الكتاب، إن اعتقدوا أن المسيح إله، وأن عزيز إله، ولا يتزوجوا بنسائهم، لكن في مبسوط شمس الأئمة: وتحلّ ذبيحة النصارى مطلقًا، سواء قال ثالث ثلاثة أو لا، ومقتضى الدلائل الجواز، كما ذكره التمرتاشي في فتاواه، والأولى أن لا يأكل ذبيحتهم ولا يتزوج منهم إلا للضرورة، كما حققه الكمال ابن الهمام. اهـ. وفي المعراج: إن اشتراط ما ذكر في النصارى مخالف لعامة الروايات.

قوله: (إلا إذا سمع منه عند الذبح ذكر المسيح)، فلو سمع منه ذكر الله تعالى لكنه عنى به المسيح، قالوا: يؤكل، إلا إذا نصّ، فقال: باسم الله الذي هو ثالث ثلاثة، هندية. وأفاد أنه يؤكل إذا جاء به مذبوحًا. عناية: كما إذا ذبح بالحضور وذكر اسم الله تعالى وحده. اهـ. قوله: (غير زانين) أي مُعلنين بالزنا بهن ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ صدائق تسرون بالزنا منهنّ. قوله: (الخدن) في المصباح: الخدن الصديق في السرّ، والجمع أخدان، مثل حمل وأحمال. اهـ. قوله: (بشرائع الإسلام) يريد بالإيمان شرائع الإسلام على أنه مصدر أريد به المؤمن به كدرهم ضرب الأمير؛ لأن الإيمان نفسه لا يكفر به، والكفر الإباء عنه وجحوده وآلاته تذييل لقوله: ﴿أَلَيْسَ لَكُمْ طَبِيبٌ﴾ تعظيمًا لشأن ما أحله الله وما حرّمه وتغليظًا على مَنْ خالفه ذلك، فيقتضي أن يُراد بالإيمان أمور الدين.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى
أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا
صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ
وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي إذا أردتم
القيام إلى الصلاة كقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ [النحل: الآية ٩٨] أي إذا أردت أن تقرأ
القرآن، فعبر عن إرادة الفعل بالفعل لأن الفعل مُسَبَّب عن الإرادة فأقيم المسبب
مقام السبب لملازمة بينهما طلباً للإيجاز، ونحوه ((كما تدين تدان)) عبر عن الفعل
الابتدائي الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه، وتقديره: وأنتم
محدثون. عن (ابن عباس) ؓ: أو من النوم لأنه دليل الحدث: وكان رسول
الله ﷺ والصحابة يتوضؤون لكل صلاة. وقيل: كان الوضوء لكل صلاة واجباً أول
ما فرض (ثم نسخ) ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ «إلى» تفيد معنى الغاية (مطلقاً)، فأما
دخولها في الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل فما فيه دليل على الخروج
﴿فَنَظَرُهُ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٠] لأن الإعسار علة الإنظار وبوجود الميسرة

قوله: (كما تدين تدان) أي كما تفعل تُجازى بفعلك. قوله: (ابن عباس) هو
عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله ﷺ،
وُلِدَ قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، فكان يسمى
البحر والجبر لسعة علمه. مات سنة ثمان وستين بالطائف، وهو أحد المُكثِرِينَ من
الصحابة، وأحد العبادة من فقهاء الصحابة. رُوِيَ له عن النبي ﷺ ألف حديث
وستمئة حديث وستون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على خمسة وتسعين،
وانفرد البخاري بمائة وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين، ومناقبه كثيرة مشهورة.

قوله: (ثم نسخ) فيه ضعف من جهة أن لا يظهر له ناسخ من الكتاب والسنة
المتواترة، ومن جهة إطباق الجمهور على أن المائدة ثابتة كلها لا نسخ فيها. اهـ
تفتازاني رحمه الله. قوله: (مطلقاً) أي مع قطع النظر عن دخولها في الحكم، عن
خروجها عنه.

تزول العلة، ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظراً في الحالتين معسراً وموسراً. وكذلك ﴿أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْآيِلِ﴾ [البقرة: الآية ١٨٧] لو دخل الليل لوجب الوصال. ومما فيه دليل على الدخول قولك: «حفظت القرآن من أوله إلى آخره» لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله، ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ أَلَمَسَ مَسْجِدَ الْحَكَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: الآية ١] لوقوع العلم بأنه ﷺ لا يسرى به إلى بيت المقدس من غير أن يدخله، وقوله: «إلى المرافق» (لا دليل فيه) على أحد الأمرين فأخذ الجمهور بالاحتياط، فحكموا بدخولها في الغسل، وأخذ (زفر) و(داود) بالمتيقن فلم يدخلوها. وعن النبي ﷺ أنه كان يدير الماء على مرفقيه ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ المراد إلصاق المسح بالرأس، وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه، فأخذ (مالك) بالاحتياط فأوجب الاستيعاب، و(الشافعي) باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح، وأخذنا ببيان النبي ﷺ وهو ما روي أنه مسح على ناصيته وقدرت الناصية برقع الرأس ﴿وَأَزْجَلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ بالنصب:

قوله: (لا دليل فيه) أي من سوق الكلام.

قوله: (زفر) بن الهذيل بن قيس العنبري البصري الإمام صاحب الإمام، كان يفضلّه ويقول: هو أقيس أصحابي، وتزوج فحضره أبو حنيفة، فقال له زفر: تكلم، فقال أبو حنيفة في خطبته: هذا زفر بن الهذيل إمام من أئمة المسلمين وعلم من أعلامهم في شرفه وحسبه وعلمه. قال ابن معين: ثقة مأمون. وُلِدَ سنة عشر ومائة، وتوفي بالبصرة سنة ثمان وخمسين ومائة، وله ثمان وأربعون سنة.

قوله: (داود) بن علي بن خلف الأصبهاني الإمام المشهور المعروف الظاهري، توفي سنة سبعين ومائتين.

قوله: (مالك) بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام، توفي سنة تسع وسبعين ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (الشافعي) هو الإمام البارع محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب القرشي المطلبى الشافعى الحجازي المكي. توفي بمصر سنة أربع ومائتين، وهو ابن أربع وخمسين سنة ٢٠٤هـ.

(شامي) ونافع وعلي وحفص . والمعنى : فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم على التقديم والتأخير . غيرهم بالجر بالعطف على الرؤوس لأن الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة، تُغسل بصبّ الماء عليها فكانت (مَظَنَّة) للإسراف المُنهي عنه فعطفت على الممسوح لا لتمسح ولكن لينبته على وجوب الاقتصاد في صبّ الماء عليها . وقيل : «إلى الكعبين» فجاء بالغاية (إماطة) لظن ظانَّ يحسبها ممسوحة لأن المسح لم تُضْرَب له غاية في الشريعة، وقال في جامع العلوم إنها مجرورة للجوار وقد صحَّ أن النبي ﷺ رأى قومًا يمسحون على أرجلهم فقال : («ويل للأعقاب من النار»)، وعن (عطاء) : والله ما علمت أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ مسح على القدمين وإنما أمر بغسل هذه الأعضاء ليطهرها من الأوساخ التي تتصل بها لأنها تبدو كثيرًا، والصلاة خدمة الله تعالى، والقيام بين يديه متطهرًا من الأوساخ أقرب إلى التعظيم فكان أكمل في الخدمة كما في الشاهد إذا أراد أن يقوم بين يدي الملك، ولهذا قيل : إن الأولى أن يصلي الرجل في أحسن ثيابه، وإن الصلاة متممًا أفضل من الصلاة مكشوف الرأس لما أن ذلك أبلغ في التعظيم ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْهَرُوا﴾ فاغسلوا أبدانكم .

قوله: (شامي) أي ابن عامر الشامي . **قوله:** (مظنة) بكسر الظاء، قال ابن فارس : مظنة الشيء موضعه . **قوله:** (إماطة) أي إزالة . **قوله:** (ويل للأعقاب من النار) أراد أصحابها، وقيل : نفسها لعدم غسلها، والأعقاب جمع عقب - بفتح عين وكسر قاف وبفتح عين وكسرهما مع سكون القاف - ومؤخر القدم إلى موضع الشراك .

قوله: (عطاء) بن رباح مفتي أهل مكة ومحدثهم القدوة العلم أبو محمد، وُلِدَ في خلافة عثمان، وقيل : في خلافة عمر، وهو أشبه، سمع عائشة وأبا هريرة وابن عباس وأبا سعيد وأم سلمة وطائفة . وروى عنه أيوب وحسين المعلم وابن جريج وابن إسحق والأوزاعي وأبو حنيفة وهمام بن يحيى وجريز بن حازم وخلق كثير . قال أبو حنيفة : ما رأيت أفضل من عطاء، مناقبه في العلم والزهد والتأله كثيرة رحمه الله تعالى، مات على الأصح في رمضان سنة أربع عشرة ومائة، وقيل : سنة خمس عشرة بمكة .

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْهُقًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْمَكَانِ الْمَطْمُثِ﴾ (المطمن) وهو كناية عن قضاء الحاجة ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ جامعتم ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ بالتراب إذا (أعوزكم) التطهر بالماء ﴿وَلَيْتُمْ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ وليتم برخصه إنعامه عليكم (بعزائمه) ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمته فيشيككم.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٧)

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي عاقدكم به عقدًا وثيقًا وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في حال اليُسْر والعُسْر (المنشط) (المكره) فقبلوا وقالوا: سمعنا وأطعنا. وقيل: (هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة

قوله: (الرازي)، هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الرازي المولد، الملقَّب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة. توفي يوم الاثنين، وكان عيد الفطر، سنة ست وستمئة بمدينة هراة ﷺ. قوله: (المطمن) أي المنخفض. قوله: (أعوزكم)... الخ. يقال: أعوزني كذا بمعنى أعجزني، والعَوَز - بالفتح - العدم، والمراد بالتطهير رفع الحدث والمانع الحكمي. قوله: (بعزائمه) العزيمة ما شرع أصالة، والرخصة ما شرع بناءً على الأعذار.

قوله: (المنشط) بفتح ميم ومعجمة مصدر بمعنى النشاط. قوله: (المكره) بفتح ميم وراء بمعنى الكراهة. قوله: (هو الميثاق ليلة العقبة) قال ابن الجوزي ﷺ: كان هذه المبايعة في ليلة العقبة الثانية في سنة ثلاث عشرة من النبوة. وأما العقبة الأولى، ففي سنة إحدى عشرة. قال عبادة بن الصامت: فبايعناه فيها على النساء، يعني ما ورد في سورة الممتحنة. (وفي بيعة

(الرضوان) ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في نقض الميثاق ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بسرائر الصدور من الخير والشر وهو وعد ووعيد.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا﴾ عُدِّي «يجرمناكم» بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل: ولا يحملناكم بغض قوم على ترك العدل فيهم ﴿ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي العدل أقرب إلى التقوى. نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل، ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدًا وتشديدًا، ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله تعالى: «هو أقرب للتقوى» وإذا كان وجوب العدل مع الكفار بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما أمر ونهى ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وعد ووعيد ولذا ذكر بعدها آية الوعد وهو قوله تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ءُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ «وعد» يتعدى إلى مفعولين: فالأول «الذين آمنوا»، والثاني محذوف استغنى عنه بالجملة التي هي قوله: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ والوعيد وهو قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ءُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ أي لا يفارقونها.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ﴾ رُوي أن رسول الله ﷺ أتى بني قريظة ومعه الشيخان - أبو بكر وعمر -

(الرضوان) بالحُديبية سُميت بها لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: الآية ١٨].

(والختنان) يستقرضهم ذية مسلمين قتلها عمرو بن أمية (الضمري) خطأ يحسبهما مشركين فقالوا: نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك، فأجلسوه في (صُفَّة) وهموا (بالفتك) به، و(عمد) عمرو بن (جحاش) إلى رحي عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره بذلك فخرج النبي ﷺ ونزلت الآية. «إذ» ظرف للنعمة ﴿أَنْ يَبْسُطُوا﴾ بأن يبسطوا ﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل، يقال بسط لسانه إليه إذا شتمه وبسط إليه يده إذا بطش به ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ بِالسُّوءِ﴾ [الممتحنة: الآية ٢] ومعنى بسط اليد مدها إلى المبطوش به ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ فمنعها أن تُمَدَّ إليكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فإنه الكافي والدافع والمانع.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ هو الذي (ينقب) عن أحوال القوم ويفتش عنها. ولما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمشير إلى (أريحاء) أرض الشام وكان يسكنها (الكنعانيون) الجابرة وقال لهم: إني كتبتها لكم داراً وقراراً فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها وإني ناصركم، وأمر الله موسى ﷺ أن يأخذ من كل سبط نقيباً يكون

قوله: (والختنان) أي عثمان وعلي رضي الله تعالى عنهما. في المصباح: ختن الرجل عند العامة زوج ابنته. اهـ. قوله: (الضمري) بفتح فسكون نسبة إلى بني ضمرة حي من العرب. قوله: (صُفَّة) أي ظلة. قوله: (بالفتك) أي القتل على غفلة. قوله: (عمد) من باب ضرب. قوله: (جحاش) بكسر الجيم على يهودي.

قوله: (ينقب) من باب قتل. قوله: (أريحاء) بالمد كزليخاء^(١) وكربلاء. قوله: (الكنعانيون) أولاد كنعان بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام، وهي أمة

(١) بفتح الزاي وكسر اللام، قال شيخنا: والعوام ينطقون به على وجوه من الفساد منها التصغير ومنها التشديد، وكل ذلك خطأ. اهـ تاج العروس شرح القاموس. ١٢ منه عم فيضهم.

كفيلًا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم، فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم، فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجرامًا عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا فحدثوا قومهم وقد نهاهم أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق إلا (كالب) بن يوفنا و(يوشع) بن نون وكانا من النقباء ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي ناصركم ومُعِينكم. وتقف هنا لابتدائك بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم وهو ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ وكانتا فريضتين عليهم ﴿وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾ من غير تفريق بين أحد منهم ﴿وَعَزَّزْنَاهُمْ﴾ وعظمتهم أو نصرتهم بأن تردوا عنهم أعداءهم، والعز في اللغة الرد ويقال عززت فلانًا أي أدبته يعني فعلت به ما (يردعه) عن القبيح كذا قاله الزجاج ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بلا مَنْ وقيل: هو كل خير. واللام في ﴿لَا كُفْرَ عَنْكُمْ سِيقَاتِكُمْ﴾ جواب للقسم وهذا الجواب ساد مسدّد جواب القسم والشرط جميعًا ﴿وَلَا تُجْلِيَكُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ أي (بعد ذلك) الشرط المؤكد المتعلق بالوعد (العظيم) ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الحق، نعم مَنْ كفر قبل ذلك فقد ضلَّ سواء السبيل أيضًا ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم.

من الجابرة ولغتهم تقرب من العربية. قوله: (كالب) - بفتح اللام - ابن يوفنا - بفتح الفاء وتشديد النون - من سبط يهودا بن يعقوب كان ختن موسى على أخته مريم بنت عمران.

قوله: (يوشع) بن نون من سبط إفرائيم بن يوسف بن يعقوب كان فتى موسى ووصيه بعد موته. قوله: (يردعه) أي يمنعه.

قوله: (بعد ذلك) لشرط المؤكد المتعلق بالوعد (العظيم) أورد عليه بأن الوعد بتكفير السيئات وإدخال الجنات جزاء للشرط، والجزاء هو المتعلق بالشرط، لا الشرط بالجزاء؛ فعبارة الكتاب على القلب. والجواب: أنه لا يريد بالتعليق مصطلح الأصول، أعني جعل أمر هو على خطر الوجود مرتبًا ومقيّدًا حصوله بحصول شرط، ومستبًا عنه، بل معناه اللغوي، أعني جعل الشيء مرتبطًا بشيء ومتعلقًا به، وقد جعل الشرط مرتبًا بالوعد حيث أخبر بحصول الموعد بعد حصول مضمون الشرط.

﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَّةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣)

﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ﴾ «ما» مزيد لإفادة تفخيم الأمر ﴿لَعْنَهُمْ﴾ طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَّةً﴾ يابسة لا رحمة فيها ولا لين. («قسية»: حمزة وعلي) أي رديئة من قولهم: «درهم قسي» أي رديء ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ يفسرونه على غير ما أنزل وهو بيان لقسوة قلوبهم لأنه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾ وتركوا نصيبًا (جزيلًا وقسطًا) وافيًا ﴿وَمِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ من التوراة يعني أن تركهم وإعراضهم عن التوراة إغفال حظ عظيم، أو قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت أشياء منها عن حفظهم. عن (ابن مسعود) (مسعود) : (وقد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية) وتلا هذه الآية. وقيل: تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته ﴿وَلَا نَزَالُ﴾ يا محمد ﴿تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ أي هذه عادتهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرُّسُل وهؤلاء يخونونك ويهيمون بالفتك بك، وقوله: «على خائنة»

قوله: (قسية) بحذف الألف وتشديد الياء (حمزة وعلي) الكسائي. والباقون بالألف والتخفيف اسم فاعل من قسى يقسو. قوله: (جزيلًا) أي عظيمًا. قوله: (قسطًا) أي نصيبًا.

قوله: (ابن مسعود) هو عبد الله بن مسعود بن غافل - بمعجمة وفاء - ابن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة، مناقبه جمّة، وأمره عمر (رضي الله عنه) على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. قوله: (وقد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية) . . . الخ. وفي معنى ما روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قول الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه ورحمه:

شكّوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدي لعاصي

(أي على خيانة) أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة، ويقال: «رجل خائنة» كقولهم: «رجل راوية للشعر» للمبالغة. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم الذين آمنوا منهم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ بعث على مخالفتهم، أو فاعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم ﴿وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ و«من» في قوله:

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيُّ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيُّ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ﴾ وهو الإيمان بالله والرسول وأفعال الخير يتعلق بأخذنا أي وأخذنا من الذين قالوا إننا نصارى ميثاقهم، فقدّم على الفعل الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور. (وإنما لم يقل «من النصارى») لأنهم إنما سمّوا أنفسهم بذلك ادّعاء لنصر الله وهم

وهذا رواه أحمد في مسنده. قوله: (أي على خيانة) بمعنى المصدر كالعافية، أو صفة فعلة على طريقة النسب كعيشة راضية، ولابن وتامر، أو صفة لمؤنث كنفس وفرقة، أو لمذكر والتاء للمبالغة كرواية.

قوله: (وإنما لم يقل «من النصارى») الخ. يعني الظاهر أن يقال: ومن النصارى أخذنا ميثاقهم، وعدل عنه إلى قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرِيُّ﴾ إيماء إلى أنهم ليسوا نصارى، بمعنى كونهم أنصار الله تعالى وأنصار دينه، بل إنهم نصارى بتسميتهم أنفسهم بهذا الاسم، وادّعائهم نصره الله تعالى، حيث قالوا لعيسى عليه السلام: نحن أنصار الله، ثم إنهم غيروا دين الله تعالى وصاروا فرقاً: نسطورية ويعقوبية وملكانية، زعمت النسطورية أن عيسى ابن الله تعالى، وزعمت اليعقوبية أن الله تعالى هو المسيح ابن مريم، وزعمت الملكانية أن الله ثالث ثلاثة؛ فكانوا أنصار الشياطين، ولم يكونوا أنصار الله، وقد أمرهم عيسى عليه الصلاة والسلام بذلك، حيث قال لهم: ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ [الصف: الآية ١٤]. وقوله تعالى: ﴿أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ﴾، قال مقاتل: أخذ الميثاق على أهل الإنجيل كما أخذه على أهل التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويتبعوه، وهو مكتوب عندهم في الإنجيل، ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، أي ما أمروا به من الإيمان وبيان

الذين قالوا لعيسى: نحن أنصار الله. ثم اختلفوا بعد (نسطورية) ويعقوبية وملكانية أنصاراً للشيطان ﴿فَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِرُوا بِهِ﴾ فَأَغْرَيْنَا ﴿فَالصَّقْنَا وَأَلْزَمْنَا مِنْ غَرِي﴾ بالشيء إذا لزمه ولصق به (ومنه الغراء) الذي يلصق به ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين فرق النصرارى المختلفين ﴿الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بالأهواء المختلفة ﴿وَسَوْفَ يُنْزِلُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ أي في القيامة بالجزاء والعقاب.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ خطاب لليهود والنصارى، والكتاب للجنس ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﷺ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ من نحو صفة رسول الله ﷺ ومن نحو الرجم ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ مما تخفونه لا يبينه أو يعفو عن كثير منكم لا يؤاخذة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ يريد القرآن (لكشفه) ظلمات الشرك والشك (ولإبانيته) ما كان خافياً على الناس من الحق، (أو لأنه ظاهر الإعجاز)، أو النور محمد ﷺ لأنه يهتدى به كما سمي سراجاً.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ أي بالقرآن ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله

نعتة، وذلك حظٌ عظيم فاتهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم الذين آمنوا به واتبعوه منهم. قوله: (نسطورية) نصب على الحال، أو في موقع المصدر، أي هذا النوع من الاختلاف. اهـ تفتازاني رحمه الله. قوله: (غري) من باب صدي. قوله: (ومنه الغراء) بالكسر والمد، وبالفتح والقصر لغة أهل الحجاز.

قوله: (لكشفه) علة إطلاق النور عليه، (ولإبانيته أو لأنه ظاهر الإعجاز) علة وصفه بالمبين من أبئت الشيء أوضحته أو من أبان الشيء ظهر.

(فالسّلام: السّلامة، أو الله) ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته وتوفيقه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ معناه (بتّوا) القول على أن الله (هو المسيح لا غير). قيل: كان في النصارى قوم يقولون ذلك، أو لأن مذهبهم يؤدّي إلى حيث إنهم اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ (فمن يمنع من قدرته) ومشيتته شيئاً ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي إن أراد أن يهلك من دعوه إلهاً من المسيح وأمه يعني أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد. وعطف «مَن في الأرض جميعاً» على «المسيح وأمه» إبانة أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم، والمعنى أن من اشتمل عليه رحم الأمومية متى يفارقه نقص البشرية، ومن لاحت عليه شواهد الحديث أني يليق به نعت الربوبية، ولو قطع البقاء عن جميع ما أوجد لم يعد نقص إلى الصمدية. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾

قوله: (فالسّلام: السّلامة، أو الله) يعني أن السّلام مصدر بمعنى السّلامة، أو اسمه تعالى وُضِع موضع المضمّر ردّاً على اليهود والنصارى الواصفين له تعالى بالنقائص واستعارة: الظلمة للكفر والنور للإسلام ظاهرة.

قوله: (بتّوا) في المصباح: بتّه بتّاً من بابي ضرب وقتل قطعه. اهـ. وفي نسخة: بت. قوله: (هو المسيح لا غير) بدلالة حمل الشخص على الشخص مع ضمير الفصل والتأكيد بأن، والفصل ههنا لمجرّد التأكيد لحصول القصر بدونه؛ ولأن القصر ههنا للمسند إليه على المسند، أي لا غير المسيح؛ كما في قولهم: الكرم هو التقوى، وكقوله عليه السّلام: «فإن الله هو الدهر» أي الجالب للحوادث لا غير الجالب، بخلاف زيد هو المنطلق، فإنّ معناه: لا غير زيد. اهـ تفتازاني رحمه الله. قوله: (فمن يمنع من قدرته) يعني: أن يملك مجاز عن أن يمنع، أو مضمن معناه، ومن الله متعلق به على حذف المضاف.

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ أَي يَخْلُقُ مَنْ ذَكَرَ وَأُنْثَى وَيَخْلُقُ مَنْ أُنْثَى بَلَا ذَكَرَ كَمَا خَلَقَ عِيسَى، وَيَخْلُقُ مَنْ ذَكَرَ مِنْ غَيْرِ أُنْثَى كَمَا خَلَقَ حَوَاءَ مِنْ آدَمَ، وَيَخْلُقُ مَنْ غَيْرِ ذَكَرَ وَأُنْثَى كَمَا خَلَقَ آدَمَ، أَوْ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ كَخَلَقَ الطَّيْرَ عَلَى يَدِ عِيسَى مَعْجَزَةً لَهُ فَلَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ الْفَعَالُ لَمَّا يَرِيدُ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾ أَي أَعَزَّةٌ عَلَيْهِ كَالْأَبْنَاءِ عَلَى الْأَبِّ، أَوْ (أَشْيَاعُ) ابْنِي اللَّهِ عَزِيزٍ وَالْمَسِيحُ كَمَا قِيلَ لِأَشْيَاعِ (أَبِي خَبِيبٍ) وَهُوَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ) الْخَبِيبِيُّونَ، وَكَمَا كَانَ يَقُولُ رَهْطُ (مَسِيلِمَةَ) نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَيَقُولُ أَقْرَبَاءُ الْمَلِكِ وَ(حَشْمَهُ) نَحْنُ أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ (أَوْ نَحْنُ أَبْنَاءُ رَسَلِ اللَّهِ) ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ

قوله: (أَشْيَاعُ) أَي أَتْبَاعُ، قوله: (أَبِي خَبِيبٍ) بِالمعجمة مصغراً. قوله: (عبد الله بن الزبير) بن العوام القرشي الأسدي، كان أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين، وولي الخلافة تسع سنين. قُتل في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين. قوله: (مُسَيْلِمَةُ) الكَذَابُ عَدُوُّ اللَّهِ، هُوَ مَسِيلِمَةُ بْنُ حَبِيبٍ، وَهُوَ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ. قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ: كُنِيَّتُهُ أَبُو ثَمَامَةَ، وَكَانَ صَاحِبَ نِيرَنْجِيَّاتٍ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ الْبَيْضَةَ فِي قَارُورَةٍ، وَقَالَ: وَلَا عَقَبَ لَهُ، وَجَمَعَ جَمُوعًا كَثِيرَةً مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَفَهَاءِ الْعَرَبِ وَغَوَاثِهِمْ وَقَصَدَ قِتَالَ الصَّحَابَةِ فِي إِثْرِ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَهَّزَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ الْجِيُوشَ وَأَمَرَهُمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، فَقَاتَلُوهُ فَظَهَرُوا عَلَى مَسِيلِمَةَ فَقَتَلُوهُ كَافِرًا، قِيلَ: قَتَلَهُ وَحْشِي بْنُ حَرْبٍ، وَقِيلَ غَيْرُهُ، وَقُتِلَ مَنْ تَبِعَهُ وَانْهَزَمَ مَنْ أَفْلَتَ مِنْهُمْ وَعُفِّيَتْ آثَارُهُمْ. قوله: (حَشْمَهُ) فِي الْمَصْبَاحِ: الْحَشْمُ خَدُّ الرَّجُلِ. قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: هِيَ كَلِمَةٌ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ وَلَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا، وَفَسَّرَهَا بَعْضُهُمْ بِالْعِيَالِ وَالْقَرَابَةِ، وَمَنْ يَغْضَبُ لَهُ إِذَا أَصَابَهُ أَمْرٌ. اهـ. قوله: (أَوْ نَحْنُ أَبْنَاءُ رَسَلِ اللَّهِ) عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، وَأَضَافُوا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا هُوَ مُضَافٌ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَى رَسَلِهِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ﴾ [الْفَتْحُ: آيَةُ ١٠].

يَذُوبُكُمْ ۖ أَيِّ فَإِنْ صَحَّ أَنْكُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ فَلِمَ تُعَذِّبُونَ بِذُنُوبِكُمْ بِالْمَسْخِ وَالنَّارِ
 أَيَّامًا مَعْدُودَةً عَلَى زَعْمِكُمْ، وَهَلْ يَمَسُخُ الْأَبُ وَلَدَهُ وَهَلْ يَعَذِّبُ الْوَالِدُ وَلَدَهُ بِالنَّارِ؟
 ثُمَّ قَالَ رَدًّا عَلَيْهِمْ: ﴿بَلْ أَنتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ أَيُّ أَنْتُمْ خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ لَا بَنُوهُ
 ﴿يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ لِمَنْ تَابَ عَنِ الْكُفْرِ فَضْلًا ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ مَنْ مَاتَ عَلَيْهِ
 عَدْلًا ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى عِبُودِيَةِ
 الْمَسِيحِ لِأَنَّ الْمُلْكَ وَالْبُنُوَّةَ مُتَنَافِيَانِ.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ
 بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ مُحَمَّد ﷺ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾
 أَيُّ الشَّرَائِعِ (وَحَذَفَ لظَهْوَرِهِ)، أَوْ مَا كُنْتُمْ تَخْفُونَ وَحَذَفَ لِتَقَدُّمِ ذِكْرِهِ (أَوْ لَا يَقْدَرُ
 الْمُبِينُ وَيَكُونُ الْمَعْنَى يَبْذِلُ لَكُمْ الْبَيَانَ) وَهُوَ حَالُ أَيِّ مَبِينًا لَكُمْ ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ
 الرُّسُلِ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِـ «جَاءَكُمْ» أَيُّ جَاءَكُمْ عَلَى حِينِ فُتُورٍ مِنْ إِسْرَالِ الرُّسُلِ وَانْقِطَاعِ مِنَ
 الْوَحْيِ، (وَكَانَ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سِتْمِائَةُ سَنَةٍ أَوْ خَمْسَمِائَةُ
 سَنَةٍ وَسِتُونَ سَنَةً) ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ (كَرَاهَةً أَنْ تَقُولُوا) ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾
 وَالْفَاءُ فِي ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِمُحْذَوْفٍ أَيُّ لَا تَعْتَذِرُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ ﴿بَشِيرٍ﴾

قوله: (وَحَذَفَ لظَهْوَرِهِ) لدلالة الرسول عليه، فإن كل أحد يعلم أن الرسول
 إنما يرسل لتعليم دين الله وشرائعه. قوله: (أَوْ لَا يَقْدَرُ الْمُبِينُ) أَيُّ لَا يَقْدَرُ مَفْعُولٌ
 يَبِينُ وَيَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الْإِلَازِمِ، (وَيَكُونُ الْمَعْنَى: يَبْذِلُ لَكُمْ الْبَيَانَ) لِيَدْلَ عَلَى الْعُمُومِ كَمَا
 حَذَفَ الْمَفْعُولُ لِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يُونُسُ: الْآيَةُ
 ٢٥]، أَيُّ كُلِّ أَحَدٍ.

قوله: (وَكَانَ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سِتْمِائَةُ سَنَةٍ أَوْ
 خَمْسَمِائَةُ سَنَةٍ وَسِتُونَ سَنَةً)، وَقِيلَ: أَرْبَعَمِائَةُ وَبُضِعَ وَسِتُونَ سَنَةً، عَنِ الضَّحَّاكِ.
 وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

قوله: (كَرَاهَةً أَنْ تَقُولُوا) يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ فِي مَوْقِعِ الْمَفْعُولِ بِهِ؛ لِقَوْلِهِ:
 ﴿جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ لِكُونِهِ فِي مَعْنَى أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا.

للمؤمنين ﴿وَنَذِيرٌ﴾ للكافرين، والمعنى الامتنان عليهم بأن الرسول بعث إليهم حتى انطمست آثار الوحي (أحوج ما يكونون إليه ليهشوا) إليه ويعدوه أعظم نعمة من الله وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غداً بأنه لم يرسل إليهم من ينبئهم من غفلتهم ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فكان قادراً على إرسال محمد ﷺ ضرورة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ لأنه لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ لأنه ملّكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم، ولأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء. وقيل: الملك من له مسكن واسع فيه ماء جارٍ وكانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية. وقيل: من له بيت وخدم، أو لأنهم كانوا مملوكين في أيدي (القبط) فأنقذهم الله فسمي إنقاذهم ملكاً ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ من فلق البحر وإغراق العدو وإنزال المن والسلوى وتظليل الغمام ونحو ذلك من الأمور العظام (أو أراد عالمي زمانهم).

قوله: (أحوج ما يكونون إليه) أي في حين هو أحوج أوقات كينونتهم إلى الرسول. قوله: (ليهشوا)^(١) أي ليفرحوا.

قوله: (القبط) في مختار الصحاح: القبط بوزن السبط أهل مِصر، وهم بَنُكْها، أي أصلها. اهـ. قوله: (أو)^(٢) أراد عالمي زمانهم) لما دلّ ظاهر قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ على أن قوم موسى يفضلون على كل واحد من آحاد العالمين، وليسوا كذلك. وجه الكلام أولاً بأن خصص عموم قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ بما أنعم الله تعالى به عليهم مما أوتوا خاصة من بين العالمين؛ كإهلاك عدوهم بقلق البحر وما أفاض الله تعالى عليهم من فنون فضله وصنوف نعمائه الخارجة عن العد والإحصاء كتظليل الغمام

(١) في المصباح: هش الرجل هشاشة إذا تبسّم وارتاح من بابي تعب وضرب، ١٢ منه.

(٢) أي: الألف واللام في العالمين للعهد، فالمراد عالمي زمانهم، ١٢ منه عم فيضهم.

﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿٢١﴾

﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ أي المطهرة أو المباركة وهي أرض بيت المقدس أو الشام ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (قسمها لكم أو سمّاها أو كتب في اللوح المحفوظ) أنها مساكن لكم ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ ولا ترجعوا على أعقابكم مُدْبِرِينَ مُنْهَزِمِينَ من خوف الجبابرة (جُبْنَا) أو لا تتردّوا على أدباركم في دينكم ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ فترجعوا خاسرين (ثواب الدنيا والآخرة).

وإطعامهم طعام الملوك وسقيهم الماء الزلال الخارج من حجر صغير يابس وغير ذلك، ولا يلزم من تخصيص تلك النعم المختصة بهم تفضيلهم على سائر طوائف العالم لجواز أن يختصّ غيرهم بأفضل مما أوتوا، ووجهه ثانيًا بأنّ خصّص عموم العالمين بعالمي زمانهم، لئلا يلزم تفضيلهم على العالمين جميعًا. والحاصل أن قوله: ﴿مَا لَمْ يُوْت أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ يتناول جميع ما لم يؤته غيرهم، كما يتناول بعضه، وكذلك العالمين عام يتناول جميع العالم، كما يتناول مَنْ فِي زَمَانِهِمْ مِنَ الْعَالَمِ.

قوله: (قسمها لكم) القسمة بمعنى التقدير، فمعنى كتبها قدرها مجازًا. قوله: (أو سمّاها) أي عيّن الأرض المقدّسة لإبراهيم حال كونها ميراثًا لذريته على ما رُوِيَ أنه صعد إبراهيم الجبل - أي جبل لبنان - فقبل له: انظر فما أدركه بصرك فهو مقدّس وميراث لذريتك، وعلى هذا يجوز أن يجعل سمّاها على أصل معناها.

قوله: (أو كتب في اللوح المحفوظ) فيكون كتب على حقيقته. قوله: (جُبْنَا) في المصباح: جَبَنَ جُبْنًا وَزَنَ قُرْبَ قُرْبًا، وَجَبَانَةً - بالفتح - وفي لغة من باب قتل، فهو جبان أي ضعيف القلب، وامرأة جبان أيضًا، وربما قيل: جبانة، وجمع المذكر جُبْنَاء، وجمع المؤنث جبانات. اهـ.

قوله: (ثواب الدنيا والآخرة) إشارة إلى مفعوله المقدّر، أي تخسرون ما وعد لكم في الدنيا من الاستيلاء على بلادهم، وفي العقبى من ثواب الآخرة.

﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ ﴿٢٢﴾

﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ الجبار (فَعَال من جبره) على الأمر بمعنى (أجبره) عليه وهو العاتي الذي (يُجبر الناس على ما يريد) ﴿وَإِنَّا لَنَنذُرُهَا﴾ بالقتال ﴿حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ بغير قتال ﴿فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ بلا قتال ﴿فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ بلادهم حينئذ.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَننعمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٣﴾

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ كالب ويوشع من الذين يخافون الله ويخشونه كأنه قيل رجلان من المتقين وهو في محل الرفع صفة لـ «رجلان» وكذا ﴿أَننعمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالخوف منه ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ أي باب المدينة ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ أي انهزموا وكانت العَلْبَةُ لكم، وإنما عَلِمَا ذلك بإخبار موسى ﷺ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إذ الإيمان به يقتضي التوكل عليه وهو قطع العلائق وترك (التملق) للخلائق.

﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَنذُرُهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَنذُرُهَا﴾ هذا نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التوكيد ﴿أَبَدًا﴾ تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاوّل ﴿مَّا دَامُوا فِيهَا﴾ بيان للأبد ﴿فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ من العلماء مَنْ حمّله على الظاهر. وقال: إنه كفر منهم

قوله: (فَعَال) صيغة مبالغة. قوله: (من جبره) الثلاثي. قوله: (أجبره) أي أكرهه، يقال: أجبرته عليه، أي أكرهته عليه. قوله: (يجبر الناس على ما يريد) أي يُكرههم عليه.

قوله: (التملق) في مختار الصحاح: تملّقه وتملّق له تملّقًا وتملّاقًا - بالكسر - أي تودّد إليه وتلطّف له، والمَلَقَ الوُدّ واللطف، وقد مَلِقَ من باب طَرِبَ، ورجل مَلِقٌ يعطي بلسانه ما ليس في قلبه. اهـ.

وليس كذلك إذ لو قالوا ذلك اعتقادًا وكفروا به لحاربهم موسى ولم تكن مقاتلة الجبارين أولى من مقاتلة هؤلاء، ولكن الوجه فيه أن يقال: فاذهب أنت (وربك يُعينك) على قتالك، أو وربك أي وسيدك وهو أخوك الأكبر هارون، أو لم يرد به حقيقة الذهاب ولكن كما تقول «كلمته فذهب يجيبني» تريد معنى الإرادة كأنهم قالوا (أريدا) قتالهم: ﴿فَقَتَلْنَا إِنَّهُمْ هَاهُنَا قَعِدُونَ﴾ ماكنون لا نقاتلهم لنصرة دينكم فلما عصوه وخالفوه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٥)

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ﴾ لنصرة دينك ﴿إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ وهو منصوب بالعطف على «نفسي» أو على اسم «إن» أي إني لا أملك إلا نفسي وإن أخي لا يملك إلا نفسه، (أو مرفوع بالعطف على محل «إن» واسمها)، أو على الضمير في

قوله: (وربك يعينك) على أن يكون لفظ ربك مبتدأ حُذِف خبره، والواو للحال. قوله: (أريدا^(١)) بفتح الهمزة أمر الاثنين من الإرادة.

قوله: (أو مرفوع بالعطف على محل «إن» واسمها)، فإن إن المكسورة لما لم تغيّر معنى الجملة كان اسمها المنصوب في محل الرفع على الابتداء؛ لأن فائدة المكسورة ليست إلا للتأكيد، فكانت بالنسبة إلى أصل المعنى في حكم المعلوم، فجاز العطف على محل اسمها بالرفع؛ كقول الشاعر:

ومن يك أمسى بالمدينة رَحَله فإنني وقيار بها لغريب

وقيار أيضًا غريب، وخبر إن وإن كان مؤخرًا لفظًا، لكنه مقدّم تقديرًا، فلذلك جاز العطف على محل إن مع اسمها، فإن تقدم الخبر شرط في مثل هذا العطف لئلا يلزم توارد عاملين على معمول واحد، فكما يجوز العطف على المبتدأ بالرفع، نحو: زيد قائم وعمر، فكذا يجوز العطف على محل إن بالرفع، تقول: إن زيدًا قائم وعمر، والمفتوحة لما كانت مع خبرها في تأويل اسم مفرد مرفوع أو مجرور أو منصوب وتغيّر بها معنى الجملة، وكان اسمها كبعض

(١) هكذا في تفسير المدارك المطبوع: في الدهلي، وفي المطبوع بمصر: أريدُ بمكان أريدُ.

«لا أملك» (وجاز للفصل) أي ولا يملك أخي إلا نفسه، أو هو مبتدأ والخبر محذوف أي وأخي كذلك، (وهذا من البث) والشكوى (إلى الله) ورقة القلب التي يمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة وكأنه لم يثق بالرجلين المذكورين كل الوثوق فلم يذكر إلا النبي المعصوم، أو أراد ومن يؤاخيني على ديني ﴿فَأَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما وعدتنا وتحكم عليهم بما هم أهل له وهو في معنى الدعاء عليهم، أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: الآية ١١].

حروف الكلمة لم يجز العطف على محل اسمها، ويشترط في جواز العطف على محل المكسورة تقدّم الخبر لفظاً، أو تقديرًا خلافاً للكوفيّين، وقد تقدّم الخبر في الآية لفظاً، فجاز العطف على اسم إن بلا خلاف، واختلف عبارة النحاة في هذا، قال بعضهم: ومنهم ابن الحاجب جاز العطف على محل اسم إن المكسورة، وقال آخرون: جاز العطف على محل إن مع اسمها، كما قال المصنّف رحمة الله عليه، ولعلّ مبنى العبارة الأولى، وهو أن محل الإعراب هو الاسم الذي تعتور عليه المعاني المختلفة، وذلك الاسم هو اسم إن وحده؛ لأنه هو الذي في محل الرفع على الابتداء، وإن كان منصوباً لفظاً يتسلّط العامل عليه، ومبنى العبارة الثانية أن المرفوع على الابتداء لو كان اسم إن وحده لوجب أن يكون مجرداً عن العوامل اللفظية، وذلك الاسم ليس مجرداً عنها، فلم يصح أن يقال له إنه مرفوع المحل على الابتداء، فيكون المرفوع على الابتداء هو إن مع اسمها.

قوله: (وجاز) أي العطف على الضمير المرفوع المتّصل بلا تأكيد (للفصل) أي لوجود الفصل بالمفعول، كما تقول: ضربت زيداً وعمرو، ثم هذا لا يوجب الاتحاد في المفعول، بل يقدر للمعطوف مفعول آخر، أي وأخي إلا نفسه، كما تقول: ضربت زيد وعمرو وبكرًا.

قوله: (وهذا من البث) أي الحزن والشكوى أي الشكاية (إلى الله) سبحانه وتعالى ليس القصد إلى الإخبار، وكذا كل خبر يخاطب به علام الغيوب يُقصد به معنى مناسب سوى إفادة الحكم أو لازمه.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿قَالَ فَإِنَّهَا﴾ أي الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ لا يدخلونها وهو تحريم منع لا تحريم تعبد كقوله: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: الآية ١٢]. والمراد بقوله: «كتب الله لكم» أي بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل: فإنها محرمة عليهم، أو المراد فإنها محرمة عليهم: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ فإذا مضى الأربعون كان ما كتب فقد سار موسى ﷺ بمن بقي من بني إسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتحها وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض. و«أربعين» ظرف التحريم والوقف على سنة أو ظرف ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي يسرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقاً أربعين سنة والوقف على «عليهم». وإنما عوقبوا بالحبس لاختيارهم المكث فكانوا مع شدة سيرهم يُصْبِحُونَ حيث أُمْسَوْا وَيُمْسُونَ حيث أصبحوا (في ستة فراسخ). ولما (ندم) على الدعاء عليهم قيل له: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ فلا تحزن عليهم لأنهم فاسقون. قيل: لم يكن موسى وهارون معهم في التيه لأنه كان عقاباً وقد سأل موسى ربه أنه يفرق بينهما وبينهم. وقيل: كانا معهم إلا أنه كان ذلك (روحاً) لهما

قوله: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [القصص: الآية ١٢] أي على موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ﴿الْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: الآية ١٢] أي منعناه من قبول ثدي مُرْضِعَةٍ غير أمه، والمراضع اسم موضع الرضاع، وهو الثدي، ويحتمل أن يكون جمع مرضع - بضم الميم وترك التاء - لاختصاصه بالنساء، أو بتأويل الشخص. **قوله:** (في ستة فراسخ) في المصباح: الفرسخ ثلاثة أميال، والميل عند القدماء من أهل الهيئة ثلاثة آلاف ذراع، وعند المحدثين أربعة آلاف ذراع، والخلاف لفظي؛ لأنهم اتفقوا على أن مقداره ست وتسعون ألف أصبع، والأصبع ست شعيرات، بطن كل واحدة إلى الأخرى، ولكن القدماء يقولون: الذراع اثنتان وثلاثون أصبعاً، والمحدثون يقولون: أربع وعشرون أصبعاً، فإذا قسم الميل على رأي القدماء كل ذراع اثنتين وثلاثين أصبعاً كان المتحصّل ثلاثة آلاف ذراع، وإن قسم على رأي المحدثين أربعاً وعشرين كان المتحصّل أربعة آلاف ذراع. اهـ.

قوله: (ندم) من باب طرب. **قوله:** (روحاً) بفتح الباء، أي راحة.

وسلامًا لا عقوبة. ومات هارون في التَّيِّه، وموسى فيه بعده بسنة، ومات النقباء في التَّيِّه إلا كالب ويوشع.

ثم أمر الله تعالى محمدًا ﷺ أن يقصَّ على حاسِدِيهِ ما جرى بسبب الحسد ليركوه ويؤمنوا بقوله:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ على أهل الكتاب ﴿نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾ من صلبه هابيل وقابيل، أو هما رجلان من بني إسرائيل ﴿بِالْحَقِّ﴾ (نبأ ملتبسًا بالصدق) موافقًا لما في كتاب الأولين، أو تلاوة ملتبسة بالصدق والصحة، أو واتل عليهم وأنت مُحَقِّقٌ صادق ﴿إِذْ قَرَّبَا﴾ نصب بالنبأ أي قصتهما وحديثهما في ذلك الوقت، أو بدل من النبأ أي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف ﴿قُرْبَانًا﴾ ما يتقرب به إلى الله من نسكة أو صدقة. (يقال: قرب صدقة وتقرب بها لأن تقرب مطاوع قرب)، والمعنى إذ قَرَّب كل واحد منهما قربانه دليله ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ قربانه وهو هابيل ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ قربانه وهو قابيل. رُوِيَ أَنَّهُ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى آدَمَ أَنْ يَزُوجَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا (تَوَامَةً الْآخَرِ)، وَكَانَتْ تَوَامَةً قَابِيلَ أَجْمَلَ

قوله: (نبأ ملتبسًا بالصدق)... الخ. يريد أن بالحق حال من المفعول، وهو نبأ ابني آدم وقدره. المصنّف ﷺ: نبأ ملتبسًا بالصدق ليتعين ذو الحال، أو صفة مصدر محذوف، أو حال من فاعل اتل المستتر، وهو ضمير المخاطب. قوله: (يقال: قرب صدقة وتقرب بها؛ لأن تقرب مطاوع قرب) قال الأصمعي: تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قَرَّب. اهـ كشاف. وقوله: تقربوا قرف القمع، وهو - بكسر القاف وسكون الميم وفتحها - الإناء الذي يُجعل في رؤوس الظروف يصب فيها الدهن ونحوه، والقرف ما اجتمع عليه من الأوساخ بمنزلة قشر له ينادى بذلك الطلاب الآخذين منه استخفافًا بهم واستحقارًا أو مطايبةً واستدناءً وتقريبًا وقت الأخذ والقراءة، أي ادنوا مني بأوساخ القمع. اهـ تفتازاني ﷺ. قوله: (توامة الآخر) التوأمين الولدان في بطن واحد، الذكر توأم والأنثى توامة، وزان جَوْهَرٍ وَجَوْهَرَةٍ.

(واسمها إقليما) فحسده عليها أخوه وسخط فقال لهما آدم: قَرَبَا قُرْبَانًا فَمِنْ أَيَكُمَا قُبِلَ يَتَرَوَّجَهَا فَقُبِلَ قُرْبَانٌ هَابِيلُ بَأَن نَزَلَتْ نَارُ فَأَكَلَتْهُ فَازْدَادَ قَابِيلُ حَسَدًا وَسَخَطًا وَتَوَعَّدَهُ بِالْقَتْلِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿قَالَ لَا أَقْتُلُكَ﴾ أَي قَالَ لِهَابِيلَ: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ وتقديره: قَالَ لِمَ تَقْتُلُنِي؟ قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ قَبِلَ قُرْبَانَكَ وَلَمْ يَقْبَلْ قُرْبَانِي. فقال: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ وَأَنْتَ غَيْرُ مُتَّقٍ فَإِنَّمَا أُوتِيتَ مِنْ قَبْلِ نَفْسِكَ لَانْسِلَاحِهَا مِنْ لِبَاسِ التَّقْوَى لَا مِنْ قِبَلِي. وعن (عامر بن عبد الله) أَنَّهُ بَكَى حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ وَقَدْ كُنْتَ وَكُنْتَ؟ قَالَ: إِنِّي أَسْمَعُ اللَّهَ يَقُولُ: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ».

﴿لَيْنُ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلُكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿لَيْنُ بَسَطْتَ﴾ مددت ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ﴾ بماد ﴿يَدِيَ﴾ مدني وأبو عمرو) وحفص ﴿إِلَيْكَ لِأَقْتُلُكَ﴾ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قيل: كَانَ أَقْوَى مِنَ الْقَاتِلِ وَأَبْطَشَ مِنْهُ وَلَكِنْ تَحَرَّجَ عَنْ قَتْلِ أَخِيهِ وَاسْتَسْلَمَ لَهُ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ الدَّفْعَ لَمْ يَكُنْ مُبَاحًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَقِيلَ: بَلْ كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا فَإِنَّ فِيهِ إِهْلَاكَ نَفْسِهِ وَمُشَارَكَةً لِلْقَاتِلِ فِي إِثْمِهِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ مُبْتَدِّئًا كَقَصْدِكَ ذَلِكَ مِنِّي، وَكَانَ هَابِيلُ عَازِمًا عَلَى

قوله: (واسمها إقليما) كذا في تفسير الخطيب والخازن والكشاف وغيرهم. وفي القاموس: إقليمياء - بالكسر - بنت آدم عليه السلام. اهـ. واسم توأمة هابيل لبودا.

قوله: (عامر بن عبد الله) بن الزبير بن العوام، كُنِيَّتُهُ أَبُو الْحَارِثِ، وَهُوَ تَابِعِي سَمِعَ أَبَاهُ وَأَنْسَا وَغَيْرَهُمَا مِنَ الصَّحَابَةِ. رَوَى عَنْهُ سَعِيدُ الْمَقْبَرِيِّ، وَيَحْيَى الْأَنْصَارِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَجَلَانَ وَآخَرُونَ مِنَ الْأَثَمَةِ، وَكَانَ عَابِدًا فَاضِلًا مُجْمَعًا عَلَى تَوْثِيقِهِ وَجَلَالَتِهِ، وَهُوَ مَدَنِي تَوَفَّى قَرِيبًا مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةِ كَلَّاهُ.

قوله: ﴿يَدِيَ﴾ بفتح الياء (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وأبو عمرو) البصري وحفص، والباقون بإسكانها.

مُدافعته إذا قصد قتله وإنما قتله (فتكًا) على غفلة منه. ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾: حجازي وأبو عمرو).

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بِإِثْمِي وَإِنَّكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٩) فَطَوَعْتُ لَهُ نَفْسُهُ قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾

﴿إِنِّي أُرِيدُ﴾ («إِنِّي» (مدني) ﴿أَنْ تَبْوَأَ﴾ أن تحتمل أو ترجع ﴿بِإِثْمِي﴾ بإثم قتلي إذا قتلني ﴿وَإِنَّكَ﴾ الذي لأجله لم يتقبل قربانك وهو عقوق الأب والحسد (والحقد)، وإنما أراد ذلك لكفره برده قضية الله تعالى أو كان ظالمًا وجزاء الظالم جائز أن يُراد ﴿فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٩) فَطَوَعْتُ لَهُ نَفْسُهُ قَتَلَ أَخِيهِ فوسعته ويسرته من طاع له (المرتج) إذا اتسع ﴿فَقَتَلَهُ﴾ عند عقبة (حراء) أو بالبصرة والمقتول ابن عشرين سنة ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

قوله: (فتكًا) في المصباح: الفتك القتل على غيرة - بفتح الفاء وضمها وكسرهما - اهـ. وأيضًا فيه: الغيرة - بالكسر - الغفلة. اهـ. قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ بفتح الياء (حجازي) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وابن كثير المكي. (وأبو عمرو) البصري. والباقون بالإسكان.

قوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ﴾ بفتح الياء (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، والباقون بالإسكان. قوله: (الحقد) الضغن. اهـ مختار الصحاح. وفي المصباح: الحقد الانطواء على العداوة والبغضاء. اهـ.

قوله: (المرتج) في مختار الصحاح: رتعت الماشية أكلت ما شاءت، وبابه خضع، ويقال: خرجنا نلعب ونرتع أي ننعّم ونلّهو، والموضع مرتع. اهـ. وفي المصباح: رتعت الماشية رتعا من باب نفع، ورتوعًا رعت كيف شاءت، والمرتج بالفتح موضع الرتوع، والجمع المراتع. اهـ باختصار. قوله: (حراء) بكسر الحاء والمدّ يصرف^(١) ولا يُصرف جبلٌ معروف بمكة المعظمة زادها الله تعظيمًا وتشريفًا.

(١) يُذَكَّر ويؤنث، فإن أنث لم يصرف. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَى سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَوَيْلَئِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورَى سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ ﴿٣١﴾

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ﴾ فِي الْأَرْضِ (لِيُرِيَهُ) ﴿أَيُّ اللَّهِ أَوْ الْغُرَابِ﴾ ﴿كَيْفَ يُورَى سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ ﴿سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ وما لا يجوز أن ينكشف (من جسده). رُوِيَ أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض من بني آدم، ولما قتله تركه (بالعراء) لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في (جراب) على ظهره سنة حتى (أروح) و(عكفت) عليه السباع، (فبعث الله غرابين) فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة فحينئذ ﴿قَالَ يَوَيْلَئِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورَى﴾ عطف على «أكون» ﴿سَوَاءَ أَخِي﴾ ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على قتله لماتعّب فيه من حملة وتحيّره في أمره ولم (يندم) ندم التائبين، أو كان الندم توبة لنا خاصة أو على حملة لا على قتله. ورُوِيَ أنه لما قتله اسودّ جسده وكان

قوله: ﴿يَبْحَثُ﴾ بمعنى يحفر، وأصل معناه يفتش. قوله: ﴿لِيُرِيَهُ﴾ إما متعلق ببحت أو يبحث. قوله: ﴿سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ اعلم أنه قال في كتاب الأحكام: إن في العورة أقوالاً، فقليل: هي الجسد كله، وقيل: ما بين السرة والركبة، وقيل: إنها مثقلة، وهي القبل والدبر، ومخففة وهي ما بين السرة والركبة، فاعل العلامة فسرّها بالعورة حتى يشمل الأقوال. قوله: (من جسده) من تبعضية، أو ابتدائية لا بيانية. اهـ تفتازاني رحمه الله. قوله: (بالعراء) - بالمدّ - الفضاء لا سترة به. قوله: (جراب) بالكسر. قوله: (أرّوح) أنتن وتغيّرت رائحته. قوله: (عكفت) أي أحاطت. قوله: (فبعث الله غرابين) هما طائران معروفان، وقيل: إنهما ملكان بصورة غرابين. قوله: ﴿يَوَيْلَئِي﴾ هي كلمة جزع وتحسر والألف بدل من ياء المتكلم، والمعنى: يا ويلتي احضري فهذا أوانك، والويل والويلة الهلكة. اهـ أبو السعود. وفي الكرخي: قوله: ﴿يَوَيْلَئِي﴾، أي يا هلاكي تعال، فهو اعتراف على نفسه باستحقاق العقاب، وهي كلمة تُستعمل عند وقوع الداهية العظيمة ولفظهما لفظ النداء، كأن الويل غير حاضر عنده، فناداه ليحضر، أي أيها الويل احضر، فهذا أوان حضورك، وأصل النداء أن يكون لمن يعقل، وقد ينادي ما لا يعقل مجازاً. اهـ. قوله: ﴿فَأَصْبَحَ﴾ أصبح هنا بمعنى صار. قوله: (يندم) من باب طرب.

أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال: (ما كنت عليه وكيلاً). فقال: بل قتلته ولذا اسودّ جسدك. فالسودان من ولده. وما رُوي أن آدم (رثاه بشعر) فلا يصحّ (لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر).

قوله: (ما كنت عليه وكيلاً)، أي أنا لم أكن مأموراً بحفظه. **قوله:** (رثاه بشعر) في المصباح: رثيت الميت أرثيه من باب رمى، مرثية ورثيت له ترثمت ورققت له. اهـ. وفي مختار الصحاح: رَثَيْتُ الميت من باب رمى، ومرثية أيضاً ورثوته من باب عدا، إذا بكيته وعددت محاسنه، وكذا إذا نظمت فيه شعراً، ورثي له رقّ له من الباب الأول بمَصْدَرِيّه، وربما قالوا: أرثأت الميت - بالهمز - على خلاف الأصل. اهـ. والشعر المذكور هو قوله:

تغيّرت البلاد ومَنُ عليها فوجه الأرض مغيّر قبيح
تغيّر كل ذي لون وشكلٍ وقلّ بشاشة الوجه المليح

وقال الشراح: المليح إن رفع فخطأ؛ لأنه صفة الوجه المجرور، وإن خفض فأقواء^(١)، وهو عيب قبيح، وإن كُثِر. وقول من قال: الوجه فاعل قلّ وبشاشة منصوب على التمييز بحذف التنوين إجراءً للوصول مجرى الوقف، ألحن. قال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قلت: لا شك أن لوائح الوضع عليه لائحة لركاكته، لكن ما استصعبوه من الإقواء وترك التنوين ليس بصعب لِمَا في أشعار الجاهلية والشعراء من أمثاله، مع أنه قد يخرج بأنه نعت جرى على المحلّ؛ لأن الوجه فاعل المصدر، وهو بشاشة. وقيل: إنه مرفوع وقد سمع كالجر. اهـ.

قوله: (لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر)، رُوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ محمّداً والأنبياء عليهم السلام كلّهم سواء في النهي عن الشعر، لكن رثاه آدم بالسرياني كلاماً منشوراً، فلم يزل ينقل إلى أن وصل إلى يعرب بن قحطان، وهو أوّل من خطّ بالعربية، فنظر في المرثية فقدم وأخر وجعل شعراً عربياً.

(١) بكسر الهمزة وبالقاف: اختلاف المجرى أي حركة الروي المطلق بكسر وضم والإقواء غير جائز للمولدين، ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (٣٢)

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ بسبب ذلك وبعلمته «وذلك» إشارة إلى القتل المذكور. قيل: هو متصل بالآية الأولى فيوقف على «ذلك» أي فأصبح من النادمين لأجل حمله ولأجل قتله. وقيل: هو مستأنف والوقف على «النادمين» و«من» يتعلق بـ «كتبنا» لا بـ «النادمين» ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ خصّهم بالذكر وإن اشترك الكل في ذلك لأن التوراة أول كتاب فيه الأحكام ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا﴾ الضمير للشأن و«من» شرطية ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ بغير قتل نفس ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ عطف على «نفس» أي بغير فساد في الأرض وهو الشرك، أو قطع الطريق وكل فساد يُوجب القتل ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي في الذنب. عن (الحسن): لأن قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله عليه والعذاب العظيم، ولو قتل الناس جميعًا لم يزد على ذلك ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ ومن استنقذها من أسباب (الهلكة) من قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ جعل قتل الواحد كقتل الجميع، وكذلك الإحياء ترغيبًا وترهيبًا لأن المُتَعَرِّضَ لقتل النفس إذا تصوّر أن قتلها كقتل الناس جميعًا عظم ذلك عليه (فثبطه)، وكذا الذي أراد إحياءها إذا تصوّر أن حكمه حُكْم جميع الناس رغب في إحيائها ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا﴾ (رُسُلنا: أبو عمرو) ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالآيات الواضحات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا

قوله: (الحسن) هو الإمام المشهور المُجمع على جلالته في كل فنّ، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري - بفتح الراء وكسرهما - الأنصاري، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، مناقبه مشهورة. توفي سنة عشر ومائة. قوله: (الهلكة)^(١) بالفتح بمعنى الهلاك. قوله: (فثبطه) في مختار الصحاح: ثَبَطَهُ عن الأمر تثبيطًا شغله عنه. اهـ. قوله: (رُسُلنا) بإسكان السين تخفيفًا (أبو عمرو) البصري. والباقون بالضم على الأصل.

(١) وزان قصبة. اهـ مصباح، ١٢ منه عمّ فيضهم.

مَنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ ﴿٣٣﴾ بعدما كتبنا عليهم أو بعد مجيء الرسل بالآيات ﴿٣٤﴾ فِي الْأَرْضِ لِمُسْرِفُونَ ﴿٣٥﴾ فِي الْقَتْلِ لَا يُبَالُونَ بِعَظَمَتِهِ .

﴿٣٣﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٤﴾

﴿٣٣﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿٣٤﴾ أي أولياء الله في الحديث يقول الله تعالى: «مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ» ﴿٣٥﴾ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴿٣٦﴾ (مفسدين)، ويجوز أن يكون مفعولاً له أي للفساد وخبر «جزاء» ﴿٣٧﴾ «أَنْ يُقَتَّلُوا» وما عطف عليه وأفاد التشديد الواحد بعد الواحد ومعناه أن يقتلوا من غير صلب إن أفردوا القتل ﴿٣٨﴾ «أَوْ يُصَلَّبُوا» مع القتل إن جمعوا بين القتل وأخذ المال ﴿٣٩﴾ «أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ» إن أخذوا المال ﴿٤٠﴾ «مِنْ خَلْفٍ» حال من الأيدي والأرجل أي مختلفة ﴿٤١﴾ «أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ» بالحبس إذا لم يزدوا على الإخافة ﴿٤٢﴾ «ذَلِكَ» المذكور ﴿٤٣﴾ «لَهُمْ جِزَاءٌ فِي الدُّنْيَا» (ذل) وفضيحة ﴿٤٤﴾ «وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» .

﴿٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٦﴾

﴿٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ﴿٤٦﴾ فتسقط عنهم هذه الحدود (لا ما هو حق العباد) ﴿٤٧﴾ «فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» يغفر لهم بالتوبة ويرحمهم فلا يعذبهم .

قوله: (مفسدين) يعني أنه حال بتأويل المصدر باسم الفاعل . قوله: (ذل) بالضم .

قوله: (لا ما هو حق العباد) فيقولون قصاصاً ويعزمون المال . اهـ رحمانى . وفي تفسير روح البيان: أما ما هو من حقوق الآدميين، فإنه لا يسقط بهذه التوبة، فإن قطاع الطريق إن قتلوا إنساناً ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة وجوب قتلهم حداً، وكان وليّ الدم على حقه في القصاص والعفو، وإن أخذوا مالاً ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة وجوب قطع أيديهم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقِيلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تؤذوا عباد الله ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ هي كل ما يُتَوَسَّلُ به أي يتقرب من قرابة أو صنعة أو غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسَّلُ به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك السيئات ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴿مِنْ صَنُوفِ الْأَمْوَالِ وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ وأنفقوه ﴿لَيَفْتَدُوا بِهِ﴾ ليجعلوه فدية لأنفسهم. والو مع ما في حيزه خبر «إن»، ووحد الراجع في «ليفتدوا به» وقد ذكر شيان

وأرجلهم من خلاف، وكان حقَّ صاحب المال باقياً في ماله ووجب عليهم ردّه. وأما إذا تاب بعد القدرة عليه، فظاهر الآية أن التوبة لا تنفعه ويقام الحدّ عليه في الدنيا، كما يضمن حقوق العباد، وإن سقط عنه العذاب العظيم في العقبى، والآية في قطاع المسلمين؛ لأن توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها، يعني أن المشرك المحارب لو آمن بعد القدرة عليه، فلا سبيل عليه بشيء من الحدود، ولا يُطالب بشيء مما أصاب في حال الكفر من دم أو مال، كما لو آمن قبل القدرة عليه. وأما المسلمون المحاربون، فمن تاب منهم قبل القدرة عليه، أي قبل أن يظفر به الإمام سقطت عنه العقوبة التي وجبت حقاً لله، ولا يسقط ما كان من حقوق العباد، فإن كان قد قتل في قطع الطريق سقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل ويبقى عليه القصاص لوليّ القتل إن شاء عفا عنه، وإن شاء استوفاه، وإن كان قد أخذ المال يسقط عنه القطع، وإن كان جمع بينهما يسقط عنه تحتم القتل والصلب ويجب ضمان المال. وقال بعضهم: إذا جاء تائباً قبل القدرة عليه لا يكون لأحد تبعه في دم ولا مال، إلا أن يوجد معه مال بعينه فيردّه على صاحبه. رُوي عن عليّ رضي الله تعالى عنه أن الحارث بن بدر جاءه تائباً بعدما كان يقطع الطريق ويسفك الدماء ويأخذ الأموال، فقبل توبته ولم يجعل عليه تبعه أصلاً. وأما مَنْ تاب بعد القدرة عليه، فلا يسقط عليه شيء من الحقوق. اهـ.

(لأنه أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة) كأنه قيل: ليفتدوا بذلك ﴿مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ أَلْقَيْنَهُ مَا نُقِيلَ مِنْهُمُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فلا سبيل لهم إلى النجاة بوجه ﴿يُرِيدُونَ﴾ يطلبون أو يتمنون ﴿أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ ارتفعوا بالابتداء والخبر محذوف تقديره: (وفيما يتلى عليكم ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾) أو الخبر ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أي يديهما والمراد اليمينان بدليل قراءة عبد الله بن مسعود، ودخول الفاء (لتضمنها معنى الشرط) لأن (المعنى: والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما). والاسم الموصول يضمن معنى الشرط، وبدأ بالرجل لأن السرقة من الجراءة وهي في الرجال أكثر، وأخر الزاني لأن الزنا ينبعث من الشهوة وهي في النساء أوفر. وقطعت اليد لأنها آلة السرقة ولم تقطع آلة الزنا (تفاديا) عن قطع (النسل). ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ مفعول له

قوله: (لأنه أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة) واسم الإشارة يجوز فيه الإشارة إلى المتعدد مع كونه مفردًا على تأويل ما ذكر أو ما تقدم.

قوله: (وفيما يتلى عليكم: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾) أي حُكْم السارق والسارقة ثابت فيما يتلى عليكم، والجملة الثانية أمرية، وهي قوله: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ جيء بها بيانًا له. قوله: ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾... الخ. وإنما قال: ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ ولم يقل: يديهما؛ لأنه أراد يمينًا من هذا ويمينًا من هذه، فجمع بأنه ليس للإنسان إلا يمين واحدة، وكل شيء موحد من أعضاء الإنسان إذا ذكر مضافًا إلى اثنين فصاعدًا جمع، والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور أهل اللغة من رؤوس الأصابع إلى الكوع، فيجب قطعها في حد السرقة من الكوع. اهـ. الخازن: والكوع طرف الزند الذي يلي الإبهام. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (لتضمنها معنى الشرط) لأن الألف واللام فيهما موصولة، (المعنى: والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما). قوله: (تفاديا) أي تحاميا قوله: (النسل) الولد.

﴿تَكْلَأَ مِنَ اللَّهِ﴾ أي عقوبة منه وهو بدل من «جزاء» ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعارض في حكمه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حكم من قطع يد السارق والساارقة.

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾

﴿فَمَنْ تَابَ﴾ من (السرقه) ﴿مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ سرقته ﴿وَأَصْلَحَ﴾ برد المسروق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ يقبل توبته ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر ذنبه ويرحمه ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يا محمد أو يا مخاطب ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ مَنْ مات على الكفر ﴿وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ لِمَنْ تاب عن الكفر ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من التعذيب والمغفرة وغيرهما ﴿قَدِيرٌ﴾ قادر. وقدم التعذيب على المغفرة هنا لتقدم السرقه على التوبة.

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٤١﴾

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أي (لا تهتم ولا تُبال) بمسارعة المنافقين في الكفر أي في إظهاره بما (يلوح) منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاته المشركين، فإن ناصرك عليهم وكافيك شرهم. يُقال أسرع فيه الشيب أي وقع سريعاً فكَذَلِكَ مُسَارَعَتُهُمْ فِي الْكُفْرِ وَقَوْعُهُمْ فِيهِ أَسْرَعُ شَيْءٍ إِذَا وَجَدُوا فُرْصَةً لَمْ يَخْطُؤُوهَا ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ تبين لقوله: «الذين يسارعون في

قوله: (السرقه) بكسر الراء وتُخَفَّف.

قوله: (ولا تهتم ولا تُبال) يعني إسناد لا يحزنك إلى الذين يسارعون، وإن كان مجازاً، لكن لا يقدر له فاعل يكون الإسناد إليه حقيقة، بل يراد: لا تحزن أنت ولا تُبال. قوله: (يلوح) أي يظهر.

الكفر ﴿ءَامَنَّا﴾ مفعول «قالوا» ﴿يَافُوهُمْ﴾ متعلق بـ «قالوا» أي قالوا بأفواهم أمنا ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ في محل نصب على الحال ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ معطوف على «من الذين قالوا» أي من المنافقين واليهود. ويرتفع ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ على أنه خبر مبتدأ مضمّر أي هم سمّاعون والضمير للفريقين، أو سمّاعون مبتدأ وخبره «من الذين هادوا»، وعلى هذا يوقف «على قلوبهم»، وعلى الأول «على هادوا». ومعنى سمّاعون للكذب يسمعون منك ليكذبوا عليك بأن يمسخوا ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك أي سمّاعون منك لأجل قوم آخرين من اليهود وجّهوهم (عيونًا) ليلبغوهم ما سمعوا منك ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ (مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)﴾ أي يزِيلونه ويُمِيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع (بعد أن كان ذا مواضع). «يُحَرِّفُونَ» صفة لقوم كقوله: «لم يأتوك»، أو خبر لمبتدأ محذوف أي هم يُحَرِّفُونَ، والضمير مردود على لفظ الكلم ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ (المحرّف المُزَال) عن مواضعه ويقولون مثل يحرفون. وجاز أن يكون حالًا من الضمير في «يُحَرِّفُونَ» ﴿فَحَدِّثُوهُمْ﴾ واعلموا أنه الحق واعمَلوا به ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾ وأفتاكم محمد بخلافه ﴿فَاخْذَرُوا﴾ فإياكم وإياه فهو الباطل. رُوي أن شريفًا زني بشريفة بخيبر (وهما محصنان) وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهنًا منهم ليسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك وقالوا: إن أمركم بالجلد (والتحميم) فاقبلوا، وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا، فأمرهم بالرجم (فأبوا أن يأخذوا به) ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ ضلالته وهو حجة على مَنْ يقول: يريد الله الإيمان ولا يريد الكفر ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ قطع رجاء محمد ﷺ عن إيمان هؤلاء ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ

قوله: (عيونًا) جمع عين، بمعنى الجاسوس. قوله: (بعد أن كان ذا مواضع) تفسير لقوله: ﴿(مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)﴾ تنبيه على الفرق بين ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: الآية ١٣]، ويحرفونه من بعد مواضعه، فإن معنى الأول مجرد الإزالة والإزالة عن مواضعه. اهـ تفتازاني رحمه الله. قوله: (المحرّف المُزَال) تفسير من المصنّف رحمه الله، لا أن يكون مقولهم كذلك. قوله: (وهما محصنان) أي ذا زوجين، وإلا فالإحصان الشرعي لا يتصور في الكافر. قوله: (التحميم) تسويد الوجه. قوله: (فأبوا أن يأخذوا به)، فقال له جبرئيل: اجعل بينك وبينهم ابن

يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴿٤٢﴾ عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر وهو حجة لنا عليهم أيضًا ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ للمنافقين فضيحة ولليهود جزية ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي التخليد في النار.

﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلشُّحِّ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصُرُوا شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ كرر للتأكيد أي هم سماعون ومثله ﴿أَكَلُونَ لِلشُّحِّ﴾ وهو كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة، وفي الحديث «هو (الرشوة) في الحكم» وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام وتحليل الحرام. (وبالتثقيب مكى وبصري) وعلي ﴿إِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ قيل: كان رسول الله ﷺ مُحَيَّرًا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم

صوريا^(١)، فقال: هل تعرفون شابًا أمرد أبيض أعور يسكن فذك، يقال له ابن صوريا؟ قالوا: نعم، وهو أعلم يهودي على وجه الأرض ورضوا به حَكَمًا، فقال له رسول الله ﷺ: «أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى، ورفع فوقكم الطور وأنجاكم، وأغرق آل فرعون، والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه، هل تجدون فيه الرجم على من أحصن؟» قال: نعم، فوثب عليه سَفَلَة اليهود، فقال: خفت إن كذّبت أن ينزل علينا العذاب، ثم سأل رسول الله ﷺ عن أشياء يعرفها من أعلامه^(٢)، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله النبي الأمي العربي الذي بشر به المرسلون، وأمر رسول الله ﷺ بالزانيين فرُجِمَا عند باب مسجده. اهـ كشاف. قوله: (الرشوة) - بالكسر - ما يعطيه الشخص الحاكم وغيره ليحكم له أو يحمله على ما يريد وجمعها رشى مثل سدره وسدر، والضم لغة وجمعها رُشَى - بالضم - أيضًا. اهـ مصباح. قوله: (وبالتثقيب) أي بضم الحاء (مكى) أي ابن كثير المكي (وبصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا سهل بن محمد

(١) أي عبد الله بن صوريا كجوريا من أحبار اليهود وقيل إنه أسلم ثم كفر والعياذ بالله تعالى، ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) أي علاماته والضمير للرسول ﷺ، ١٢ منه عم فيضهم.

وبين أن لا يحكم بينهم. (وقيل: نسخ التخيير بقوله: ﴿وَأَن أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾) ﴿وَأَن تُعْرِضَ عَنْهُمْ فَكَانَ يَصْرُوكَ شَيْئًا﴾ فلن يقدرُوا على الإصرار بك لأن الله تعالى يعصمك من الناس ﴿وَأَن حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين.

﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٣)

﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الإيمان به. «فيها حكم الله» (حال من التوراة) وهي مبتدأ وخبره «عندهم» ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ عطف على «يحكمونك» أي ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بك أو بكتابهم كما يدعون.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوُا اللَّهَ لَا تَسْتَرُوا بِأَيِّ ثَمَنٍ قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٤٤)

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى﴾ يهدي للحق ﴿وَنُورٌ﴾ يبين ما استبهم من الأحكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ (الَّذِينَ أَسْلَمُوا)﴾ انقادوا لحكم الله في التوراة

السجستاني البصري، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري، وعليّ الكسائي. والباقون بإسكان الحاء. قوله: (وقيل: نسخ التخيير بقوله: ﴿وَأَن أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: الآية ٤٩])؛ لأن الجزم بالحكم رفع للتخيير بينه وبين الإعراض، لا يقال: ما أنزل الله هو التخيير؛ لأننا نقول: لا معنى لأمره بأن تحكم بالتخيير. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (حال من التوراة) أي من الضمير المستتر في الظرف العائد إلى التوراة، لأنها مبتدأ مقدّم في التقدير.

(وهو صفة أُجريت للنبيين على سبيل المدح)، وأريد بإجرائها التعريض باليهود لأنهم بعداء عن ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ تابوا من الكفر، واللام يتعلق بـ «يحكم» ﴿وَالرَّسُولُ وَالْأَحْبَارُ﴾ معطوفان على «النبيون» (أي الزهاد والعلماء) ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا﴾ استودعوا، قيل: ويجوز أن يكون بدلًا من «بها» في «يحكم بها» ﴿مَنْ كَتَبَ اللَّهُ﴾ «مِنْ» للتبيين والضمير في «استحفظوا» للأنبياء والرَّبَّانِيِّينَ والأحبار جميعًا ويكون الاستحفاظ من الله أي كلّفهم الله حفظه، أو

قوله: (وهو صفة أُجريت للنبيين على سبيل المدح)... الخ. جواب عما يقال: كل نبي لا بدّ وأن يكون مسلمًا مُتَقَادًا لأمر الله تعالى، فما الفائدة في توصيف الأنبياء عليهم الصّلاة والسلام، بقوله: ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾. وتقرير الجواب ظاهر، واعترض عليه بأن النبوة أعظم من الإسلام، فكيف يمدح نبيّ بأنه رجلٌ مسلم مع الفرق بين أن يقال: إنه رجل مسلم ونبيّ، فتوصيف من عبّر عنه بعنوان النبيّ بالإسلام تنزل من الأعلى إلى الأدنى، وطريق المدح هو أن يترقى من الأدنى إلى الأعلى، فلا يكون إجراء صفة الإسلام على النبيّين مدحًا لهم؟

والجواب: أنها صفة أُجريت على طريق المدح لهم دون التخصيص والتوضيح بما وصف به الأنبياء؛ لأن صفات الأشراف أشرف الأوصاف، فإن قوله: أُجريت للنبيين على سبيل المدح، وإن دلّ على أن المقصود من إجراء تلك الصفة عليهم مدحهم بها، لكن المراد ليس ذلك، بل المراد أنها أُجريت عليهم على طريق مدحهم بها قصد المدح من اتّصف بها من المسلمين من حيث اتّصافهم بما يوصف به الأنبياء، وهو الإسلام وتعريضًا باليهود بإشعار أنهم ليسوا من دين النبيّين في شيء، وأنهم بعدوا عن ملة الأنبياء كلّهم، ووجه التعريض أنه تعالى لما وصف النبيّين بقوله: ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾، وقال في حقهم إنهم يحكمون بالتوراة لأجل الذين هادوا فيما بينهم، قابل اليهود بالذين أسلموا، فأشعر ذلك أن اليهود بمعزل عن الإسلام والانقياد لأمر الله تعالى، فكان قوله: ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ كالبیان للتعريض بهم بأنهم لا يهتدون بهدي الأنبياء ولا يتدينون بدينهم. قوله: (أي الزهاد) تفسير للرَبَّانِيِّينَ (والعلماء) تفسير للأحبار، وهم من أولاد هارون؛ لأن الجبورة كانت فيهم خاصّة. وفي الصحاح: الحبر والحبر واحد أحبار اليهود، وبالكسر أفصح؛ لأنه يجمع على أفعال دون فعول، ويقال للعالم: حبر

لـ «الربانيون والأخبار» (ويكون الاستحفاظ من الأنبياء) ﴿وَكَاثُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءُ﴾ (رقباء) لثلا يبدل ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ﴾ (نهى للحكام) عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل خشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد ﴿وَأَخْشَوْنَ﴾ في مخالفة أمري (وبالياء فيهما: سهل وافقه أبو عمرو في الوصل) ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآبَتِي﴾ ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ مستهينًا به ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال ابن عباس ؓ: مَنْ لم يحكم جاحداً فهو كافر، وإن لم يكن جاحداً فهو فاسق ظالم. وقال ابن مسعود: هو عام في اليهود وغيرهم.

- بالكسر - باعتبار توصله إلى تحصيل العلوم بالحبر الذي يكتب به، ويقال: حَبَّرَ - بالفتح - لكونه عالمًا بتجوير الكلام وتحسينه، كأنه مصدر قولك: حبرته حبرًا إذا حسنته.

قوله: (ويكون الاستحفاظ من الأنبياء)، والاستحفاظ من الأنبياء بمعنى سؤالهم حفظه من التغيير والتبديل، واستدعائهم لذلك لا بمعنى التكليف، فإن الطلب الكائن من الله هو معنى التكليف. اهـ تفتازاني رَحِمَهُ اللهُ. قوله: (رقباء) على أن يكون شهداء من الشهود الذي هو الحضور. قوله: (نهى للحكام) ... الخ. المراد بالحكام الحكام بأحكام الدين مطلقًا، أو بأحكام التوراة، فيكون حكاية عما قيل لهم. قوله: (وبالياء فيهما) أي في الحالين، أي الوصل والوقف. (سهل) بن محمد، وكذا يعقوب بن إسحق، وليس من السبعة. (وافقه أبو عمرو) البصري (في الوصل). والباقون بحذفها مطلقًا.

قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ مستهينًا به ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، قالت الخوارج: كل من عصى الله تعالى فهو كافر، واحتجوا عليه بهذه الآية، وقالوا إنها نص في أن كل مَنْ حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر، وكل من أذنب وعصى فقد حكم بغير ما أنزل الله، فوجب أن يكون كافرًا، والمصنف رحمة الله تعالى عليه أشار إلى جوابهم بتقيد قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ بقوله: مُستهينًا به.

﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ وفرضنا على اليهود في التوراة ﴿أَنْ النَّفْسَ﴾ مأخوذة ﴿بِالنَّفْسِ﴾ مقتولة بها إذا قتلها بغير حق ﴿وَالْعَيْنَ﴾ (مفقوءة) ﴿بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ﴾ مجدوع ﴿بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ﴾ مقطوعة ﴿بِالْأُذُنِ وَاللِّسَنِ﴾ مقلوعة ﴿بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (أي ذات قصاص وهو المقاصّة) ومعناه ما يمكن فيه القصاص وإلا فحكومة عدل. وعن ابن عباس رضي الله عنه : كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت. وقوله : «أن النفس بالنفس» يدل على أن المسلم يُقتل بالذمي والرجل بالمرأة والحُرّ بالعبد. نصب نافع وعاصم وحمزة (المعطوفات كلها) للعطف على ما عملت فيه «أن». (ورفعها) عليٌّ للعطف على محل «أن النفس» لأن المعنى : وكتبنا عليهم

قوله: (مفقوءة) بفاء وقاف وواو وهمزة. في مختار الصحاح: فقأ عينه بخصها وبابه قطع. اهـ. وأيضاً فيه: بخص عينه قلعها مع شحمتها وبابه قطع، ولا نقل^(١) بخص. اهـ. قوله: (أي ذات قصاص) لأنه مصدر كالقتال، وليس عين المخبر عنه، فيأول بأحد التأويلات المعروفة في أمثاله.

قوله: (وهو المقاصّة) في المصباح: قاصصه مقاصّة وقصاصاً من باب قاتل إذا كان لك عليه دين مثل ما له عليك، فجعلت الدّين في مقابلة الدّين مأخوذ من اقتصاص الأثر، ثم غلب استعمال القصاص في قتل القاتل وجرح الجارح وقطع القاطع، ويجب إدغام الفعل والمصدر واسم الفاعل، يقال: قاصه مقاصّة مثل سارّه مسارّة، وحاجّه محااجة وما أشبه ذلك. اهـ.

قوله: (المعطوفات كلها) يعني العين والأنف والأذن واللسن والجروح. قوله: (ورفعها) عليّ الكسائي رحمته الله.

(١) قوله: ولا نقل بخص، وفي نسخة: ولا نقل بخص كذا في نسخة، والصحيح بالسين كما في شرح القاموس. قال يعقوب: ولا نقل بخص كما نقل الجوهري، وروى أبو تراب عن الأصمعي بخص عينه وبخزها وبخصها كلّه بمعنى فقأها، وقيل: بخصها بخصاءها، قال اللّحاني هذا كلام العرب والسين لغة. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

<http://t.me/Tehqiqat>

<http://t.me/Tehqiqat>

النفس بالنفس (إجراء لـ «كتبنا» مجرى «قلنا» ، ونصب الباقون الكل ورفعوا الجروح). والأذن بسكون الذال حيث كان: نافع. والباقون: بضمها وهما لغتان كالسحت والسحت ﴿فَمَنْ تَصَدَّقْ﴾ من أصحاب الحق ﴿بِهِ﴾ بالقصاص وعفا عنه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ فالتصدق به كفارة للمتصدق بإحسانه قال ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِدَمٍ فَمَا دُونَهُ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ مِنْ يَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بالامتناع عن ذلك.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآيَيْنَاهُ بِالْإِنْجِيلِ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَقَفَّيْنَا﴾ معنى قفيت الشيء بالشيء جعلته في أثره كأنه جعل في قفاه يقال: (قفاه يقفوه) إذا تبعه ﴿عَلَىٰ آثَرِهِم﴾ على آثار النبيين الذين أسلموا ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا﴾ هو حال من «عيسى» ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآيَيْنَاهُ بِالْإِنْجِيلِ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أي وآتيناه الإنجيل ثابتاً فيه هدى ونور ومصداقاً، فتصب «مصدقاً» بالعطف على ثابتاً الذي تعلق به فيه وقام مقامه فيه.

قوله: (إجراء لـ «كتبنا» مجرى «قلنا» ، فإن الجملة تقع مفعولاً للكتابة كما تقع مفعولاً للقول، فلما كانت الجملة الملفوظة في معنى النفس بالنفس جاز عطف جملة العين بالعين عليها باعتبار معناها، ولم يجعل لفظ العين معطوفاً على محل اسم أن لما تقرر في النحو أنه لا يجوز العطف على محل اسم أن المفتوحة. قوله: (ونصب الباقون الكل) أي الأربع على العطف و(رفعوا الجروح) على الاستئناف. قوله: (من تصدق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته أمه) ، وأخرج ابن منصور وابن جرير وابن مردويه عن عدي بن ثابت أن رجلاً ثبت له على رجل قصاص في قتل فأعطاه دية فأبى، إلا أن يقتص فأعطاه ديتين فأبى فأعطاه ثلاثاً فحدثه رجل من أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «من تصدق بدم فما دونه، فهو كفارة له من يوم ولد إلى يوم يموت». اهـ الدرر المثور.

قوله: (قفاه يقفوه) إذا تبعه. في مختار الصحاح: قفا أثره اتبعه، وبابه عدا وسما وقفى على أثره بفلان أي أتبعه إياه، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ

وارتفع «هدى ونور» بثابت الذي قام مقامه فيه ﴿وَهْدَىٰ وَمَوْعِظَةٌ﴾ انتصبا على الحال أي هادياً وواعظاً ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ لأنهم ينتفعون به.

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ﴾) وقلنا لهم احكموا بموجبه، فاللام لام الأمر وأصله الكسر، وإنما سكن استثقلاً لفتح وكسرة وفتحة. «وليحكم» (بكسر اللام وفتح الميم: حمزة) على أنها لام كي أي وقفنا ليؤمنوا وليحكم. ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن الطاعة. قال الشيخ أبو منصور محمد رحمته الله: يجوز أن يحمل على الجحود في الثلاث فيكون

ءاثرهم يرسلنا [الحديد: الآية ٢٧]. اهـ. قوله: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ قال العلامة البيضاوي رحمته الله: الآية تدلّ على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام، وأن اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام، وإن كان مستقلاً بالشرع، وحملها على وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة خلاف الظاهر. اهـ. وقال العلامة الشيخ زاده: قوله: (والآية تدلّ إلى آخره) ردّ لما قيل من أن عيسى عليه الصلاة والسلام متعبد بما في التوراة من الأحكام، وليس له شريعة مستقلة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام بناءً على أن الإنجيل مواعظ وزواجر، وليس فيه من الأحكام إلا قليل، ووجه الردّ ظاهر؛ لأن قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ يدلّ بظاهره على أن أهل الإنجيل مكلفون بما فيه من الأحكام، لا بما في التوراة؛ كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾)، فيلزم أن تكون التوراة منسوخة ببعث عيسى عليه السلام أن له شريعة مستقلة، ومن قال إنه مكلف بما في التوراة، وليس له شريعة مستقلة ذهب إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة، وذلك تعسف، وحمل للآية على خلاف ظاهرها. اهـ.

قوله: (بكسر اللام وفتح الميم حمزة)، والباقون بإسكان اللام والميم. قوله: (الشيخ أبو منصور محمد) بن محمد بن محمود الماتريدي، كان من كبار العلماء، كان يقال له: علّم الهدى، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب ردّ أوائل الأدلة للكعبي، وكتاب بيان وهم المعتزلة، وكتاب تأويلات القرآن، وهو كتاب لا

كافراً ظالماً فاسقاً، لأن الفاسق المطلق والظالم المطلق هو الكافر. وقيل: ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله ظالم في حكمه فاسق في فعله.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي القرآن فحرف التعريف فيه للعهد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بسبب الحق وإثباته وتبيين الصواب من الخطأ ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من «الكتاب» ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما تقدمه نزولاً. وإنما قيل لما قبل الشيء هو بين يديه لأن ما تأخر عنه يكون وراءه وخلفه فما تقدم عليه يكون قدامه وبين يديه ﴿مِنْ الْكِتَابِ﴾ المراد به جنس الكتب المنزلة لأن القرآن مصدق لجميع كتب الله فكان حرف التعريف فيه للجنس، ومعنى تصديقه الكتب موافقتها في التوحيد والعبادة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥] ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ وشاهدًا لأنه يشهد له بالصحة والشباب ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي بما في القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ نهى أن يحكم بما حرفوه وبدلوه اعتماداً على قولهم ضمن ولا تتبع: معنى ولا تنحرف فلذا عُدِّي بـ «من» فكانه قيل: ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبوعاً أهواءهم، أو التقدير

يؤاذه فيه كتاب، بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن، وله كتب شتى مات رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند، كذا وجدته بخط شيخنا أبي الحسن علي الحنفي، ورأيت بخط شيخنا قطب الدين عبد الكريم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ٥٥٠هـ. اهـ الجواهر المضئية.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥] «يوحى» بضم الياء وفتح الحاء للأكثر، وفي قراءة للكوفيين بالنون وكسر الحاء، ﴿إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥] أي وحدي.

عادلاً عما جاءك ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ (أيها الناس) ﴿شُرْعَةً﴾ شريعة ﴿وَمِنْهَا جَاءَ﴾ وطريقاً واضحاً. (واستدل به من قال إن شريعة من قبلنا لا تلزمنا). ذكر الله إنزال التوراة على موسى ﷺ، ثم إنزال الإنجيل على عيسى ﷺ، ثم إنزال القرآن على محمد ﷺ، وبيّن أنه ليس للسّماع (فحسب) بل للحكم به فقال في الأول: «يحكم به النّبيون» وفي الثاني «وليحكم أهل الإنجيل» وفي الثالث «فاحكم بينهم بما أنزل الله» ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ جماعة متّفقة على شريعة واحدة ﴿وَلَكِنْ﴾ أراد ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليعاملكم معاملة المختبر ﴿فِي مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة فتعبّد كل أمة بما اقتضته الحكمة ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ فابتدروها وسابقوا نحوها قبل الفوات بالوفاة. والمراد بالخيرات كل ما أمر الله تعالى به ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات ﴿جَمِيعًا﴾ حال من الضمير المجرور والعامل المصدر المضاف لأنه في تقدير: إليه ترجعون ﴿فَيُنِزِّلُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين مُحِقِّكم ومُبْطِلِكُم وعامِلِكُم ومُفْرِطِكُم في العمل.

قوله: (أيها الناس) إشارة إلى عموم الخطاب الشامل لمن مضى ومن بعدهم.

قوله: (واستدلّ به من قال: إن شريعة من قبلنا لا تلزمنا)؛ لأنه الظاهر من جعله لكل شرعة، لأن الخطاب يعمّ الأمم؛ إذ المعنى لكل أمة لا لكل واحد من أفراد الأمم، فيكون لكل أمة دين يخصّه، ولو كان متعبّداً بشريعة أخرى لم يكن ذلك الاختصاص. قيل: والجواب بعد تسليم دلالة اللام على الاختصاص الحصري منع الملازمة لجواز أن نكون متعبّدين بشريعة من قبلنا مع زيادة خصوصيات في ديننا بها يكون الاختصاص، وفيه أنه لا حاجة في إفادة الحصر لما ذكر مع تقدم المتعلّق. وأيضاً إن الخصوصيات المذكورة لا تنافي تعبّداً بشرع من قبلنا، لأنّ القائلين به يدّعون أنّه فيما لم يعلم نسخه ومخالفة ديننا له مطلقاً؛ إذ لم يقل به أحد على الإطلاق، ولذا جمع بين أضراب هذه الآية وبين ما يخالفها نحو: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: الآية ٩٥]، بأن الاتّباع في أصول الدين ونحوها. اهـ شهاب رحمه الله. قوله: (فحسب) أي فقط.

﴿وَأَن أَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (٤٩)

﴿وَأَن أَحْكُم﴾ معطوف على «بالحق» أي وأنزلنا إليك الكتاب بالحق وبأن احكم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ أي يصرفوك وهو مفعول له أي مخالفة أن يفتنوك. وإنما حذره وهو رسول مأمون لقطع أطماع القوم عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ أي بذنب التولي عن حكم الله وإرادة خلافه فوضع «ببعض ذنوبهم» موضع ذلك وهذا الإبهام لتعظيم التولي، وفيه تعظيم الذنوب فإن الذنوب بعضها مهلك فكيف بكُلِّها! ﴿وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ لخارجون عن أمر الله.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٥٠)

﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ يطلبون. و(بالتاء شامي) يخاطب (بني النضير) في تفاضلهم على (بني قريظة) وقد قال لهم رسول الله ﷺ: «القتلى سواء». فقال بنو النضير: نحن لا نرضى بذلك فنزلت. وسُئِلَ (طاوس) عن الرجل يفضل بعض

قوله: (بالتاء) أي بناء الخطاب (شامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون بياء الغيب. قوله: (بني النضير) في الصحاح: بنو النَّضِيرِ حي من يهود خيبر وقد دخلوا في العرب، وهم على نسبهم إلى هارون أخي موسى على نبينا وعليهم الصلاة والسلام. اهـ.

قوله: (بني قريظة) في لسان العرب: بنو قُرَيْظَةَ حي من يهود وهم والنضير قبيلتان من يهود خيبر، وقد دخلوا في العرب على نسبهم إلى هارون أخي موسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام. اهـ. وفي الصحاح: قُرَيْظَةُ والنضير قبيلتان من يهود خيبر، وقد دخلوا في العرب على نسبهم إلى هارون أخي موسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام. اهـ. قوله: (طاوس) بن كيسان أبو عبد الرحمن الخولاني اليماني التابعي أحد الأعلام من أبناء الفرس، كان أعلم التابعين بالحلال، أخذ عن

ولده على بعض فقرأ هذه الآية. وناصب «أفحكم الجاهلية يبغون» ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾ مبتدأ وخبره وهو استفهام في معنى النفي أي لا أحد أحسن ﴿يَنْ أَلَّهَ حُكْمًا﴾ هو تمييز. (واللام في ﴿لَقَوْمٍ يُؤْفِكُونَ﴾ للبيان) كاللام في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: الآية ٢٣] (أي هذا الخطاب) وهذا الاستفهام «لقوم يؤفكون» فإنهم هم الذين يتبينون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكماً منه. وقال (أبو علي): معنى لقوم عند قوم لأن اللام و«عند» يتقاربان في المعنى.

عائشة ؓ وطائفة. اهـ دستور الأعلام. وفي تهذيب الأسماء: كان يسكن الجند - بفتح الجيم والنون - بلدة معروفة باليمن؛ هو من كبار التابعين والعلماء الفضلاء الصالحين. سمع ابن عباس وابن عمرو وجابر وأبا هريرة وزيد بن ثابت وابن أرقم وعائشة ؓ. روى عنه ابنه عبد الله الصالح بن الصالح ومجاهد وعمرو بن دينار وخلاتق من التابعين، واتفقوا على جلالة وفضيلته ووفور علمه وصلاحه وحفظه وتشيته، قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً قط مثل طاوس. توفي بمكة في سابع ذي الحجة سنة ستمائة، هذا قول الجمهور. وقال الهيثم بن عدي وأبو نعيم: سنة بضع عشر ومائة، والمشهور الأول، وقالوا: وكان له بضع وسبعون سنة رحمة الله تعالى عليه. اهـ. قال الصاغانى: والاختيار أن يكتب الطاوس علماً بواو واحدة كداود. اهـ.

قوله: (واللام في ﴿لَقَوْمٍ يُؤْفِكُونَ﴾ للبيان)، فتعلق بمحذوف. قوله: ﴿هَيْتَ﴾ [يوسف: الآية ٢٣] بمعنى هلم وائت، أي تعال وأقبل ﴿لَكَ﴾ [يوسف: الآية ٢٣] اللام للتبيين، أي لتبيين المخاطب، لأنه قيل: لمن تقولين؟ فقيل: أقول لك، وليس للصلة؛ إذ لا تقتضيه اسم الفعل.

قوله: (أي هذا الخطاب) يعني إلقاء الكلام الذي هو: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ أَلَّهَ حُكْمًا﴾. ولم يلتفت إلى احتمال أن تكون متعلقة بقوله: ﴿حُكْمًا﴾؛ لأن حكم الله تعالى لا يختص بقوم دون قوم.

قوله: (أبو علي) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي، وُلِدَ بمدينة فسا، واشتغل ببغداد، ودخل إليها سنة سبع وثلاثمائة، وكان إمام وقته في علم النحو، ومن تصانيفه كتاب التذكرة، وهو كبير، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب الحجة في القراءات، وكتاب الإغفال

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

ونزل نهياً عن موالاة أعداء الدين ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ أي لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخذونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين. ثم علل النهي بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ وكلهم أعداء المؤمنين، وفيه دليل على أن الكفر كله ملّة واحدة ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ من جملتهم وحكمه حكمهم، وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مُجَانِبَةِ الْمُخَالَفِ فِي الدِّينِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لا يرشد الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفّرة ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ نفاق ﴿يُسْرِعُونَ﴾ حال أو مفعول ثانٍ (لاحتمال أن يكون «فترى» من رؤية العين أو القلب) ﴿فِيهِمْ﴾ في معاونتهم على المسلمين وموالاتهم ﴿يَقُولُونَ﴾ أي في أنفسهم لقوله على «ما أسروا» ﴿نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أي حادثة تدور بالحال التي يكونون عليها ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ لرسول الله ﷺ على أعدائه وإظهار المسلمين ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ أي يؤمر النبي ﷺ بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم ﴿فَيُصْبِحُوا﴾ أي المنافقون ﴿عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من النفاق ﴿نَدِمِينَ﴾ خبر ﴿فَيُصْبِحُوا﴾.

فيما أغفله الزجاج من المعاني، وكتاب العوامل المائة وغير ذلك. وبالجمله فهو أشهر من أن يُذكر فضله ويعدّد، وكان متهمًا بالاعتزال، وكان مولده في سنة ثمان وثمانين ومائتين، وتوفي يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر، وقيل: ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثلاثمائة رحمه الله تعالى ببغداد، ودُفِنَ بالشونيزي والفراسي لا حاجة إلى ضبط شهرته، ويقال له أيضًا: الفسوي - بفتح الفاء والسين المهملة وبعدها واو - هذه النسبة إلى مدينة فسا من أعمال فارس.

قوله: (لاحتمال أن يكون فتري من رؤية العين)، فيكون يسارعون حالاً (أو) رؤية (القلب) فيكون يسارعون مفعولاً ثانياً.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ﴾ (٥٣)

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي يقول بعضهم لبعض عند ذلك. («ويقول» بصري عطفًا على «أن يأتي» «يقول» بغير واو: شامي وحجازي) على أنه جواب قائل يقول: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟ فقل: يقول الذين آمنوا ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ أي أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم (ومعاضدوكم) على الكفار (وجهد أيمانهم مصدر) في تقدير الحال أي مجتهدين في تأكيد أيمانهم ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ ضاعت أعمالهم التي عملوها رياء وسُمعة لا إيمانًا وعقيدة، وهذا من قول الله عز وجل شهادة لهم بحُبوب الأعمال (وتعجبًا من سوء حالهم) ﴿فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ﴾ في الدنيا والعقبى لفوات المَعونة ودوام العقوبة.

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّٰهُ بِقَوِّ يُجْزِيهِمْ وَيُجْزِيَهُ ءَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجْهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٤)

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ من يرجع منكم عن دين الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر. (﴿يَرْتَدِدْ﴾ مدني وشامي) ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللّٰهُ بِقَوِّ يُجْزِيهِمْ وَيُجْزِيَهُ﴾

قوله: (ويقول) بإثبات الواو ونصب اللام (بصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (عطفًا على أن يأتي) باعتبار المعنى، فكأنه قال: عسى أن يأتي بالفتح، ويقول (يقول بغير واو) قبل الياء ورفع اللام (شامي) أي ابن عامر الشامي (وحجازي) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة، قيل: حجازي، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، وابن كثير المكي. والباقون بالواو والرفع. **قوله:** (معاضدوكم) في مختار الصحاح: المعاوضة المعاونة. **قوله:** (وجهد أيمانهم مصدر) أي بمعنى إغلاظ اليمين، يقال: جهد يمينه أي أغلظها. **قوله:** (وتعجبًا) للسامعين (من سوء حالهم) وهي ذهاب ما أظهروه من الإيمان وبطلان كل خير عملوه حيث لم يحصل لهم شيء من ثمرته لا في الدنيا ولا في الآخرة.

قوله: (﴿يَرْتَدِدْ﴾) بدالين مكسورة فمجزومة بفك الإدغام على الأصل لأجل الجزم (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني. (وشامي) أي ابن

يرضى أعمالهم ويثني عليهم بها ويطيعونه ويؤثرون رضاه، وفيه دليل نبوته ﷺ حيث أخبرهم بما لم يكن فكان، وإثبات خلافة الصديق لأنه جاهد المرتدين، وفي صحة خلافته وخلافة عمر ؓ. وسئل النبي ﷺ عنهم فضرب على عاتق (سلمان) وقال: «هذا وذووه لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لناله رجال من أبناء فارس» والراجع من الجزء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ﴿أَذَلَّةٌ﴾ جمع ذليل، (وأما ذلول فجمعه) ذلل. ومن زعم أنه من الذل الذي هو ضد الصعوبة فقد سها لأن ذلولاً لا يجمع على أذلة. قال (الجوهري):

عامر الشامي. والباقون بدال واحدة مفتوحة مشددة بالإدغام للتخفيف. قوله: (سلمان) الفارسي - بكسر الراء وتسكن - الصحابي أول مشاهده مع رسول الله ﷺ الخندق، ولم يتخلف عن مشهد بعدها، وكان من فضلاء الصحابة وزهادهم وعلمائهم وذوي القرب من رسول الله ﷺ، ونقلوا اتفاق العلماء على أن سلمان الفارسي عاش مائتين وخمسين سنة، وقيل: ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل: أدرك وحي عيسى ابن مريم. روي له عن رسول الله ﷺ ستون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة، ولمسلم ثلاثة. توفي بالمدائن في أول سنة ست وثلاثين، وقيل: سنة خمس وثلاثين.

قوله: (وأما ذلول فجمعه) ذلل - بضمين - مثل رسول ورسل. اهـ مصباح. قوله: (الجوهري) هو الإمام أبو نصر إسماعيل بن نصر بن حماد الجوهري الفارابي نسبة إلى فاراب كساباط، قيل: إنه اسم ناحية من بلاد الترك وراء نهر سيحون، والصحيح المشهور أنه اسم مدينة يقال لها أنزار - بالضم - هي قاعدة بلاد الترك ونسب إلى الجوهري لبيعه أو لحسن خطه، أو أنها نسبة للتشبيه أو لغير ذلك. قد أخذ العلم عن خاله إبراهيم الفارابي واشتهر أنه ابن أخت أبي نصر الفارابي صاحب ديوان الأدب، وأخذ أيضاً عن أبي سعيد السيرافي، وارتحل في طلب علوم اللغة وغيرها إلى بلاد ربيعة ومضر، فأقام بها مدة ثم عاد إلى خراسان وأقام بنيسابور مدة، فبرز في اللغة وحسن الخط وغيرهما حتى صار من أذكى العالم، بل من أعاجيب الدنيا علماً وذكاءً وخطاً، وصار يضرب بخطه المثل، وقد ترجمه أبو منصور الثعالبي اللغوي في كتابه يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر فقال: كان الجوهري من أعاجيب الزمان، وهو إمام في اللغة، وله

الذَّل) ضدَّ العز، ورجل ذليل بَيَّن الذَّل، وقوم أَذْلَاء وأذَلَّة، والذَّل بالكسر اللين وهو ضد الصعوبة يقال: دَابَّة ذلول ودواب ذلل ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم

كتاب الصحاح، وفيه يقول أبو محمد إسماعيل بن محمد بن عبدوس النيسابوري:

هذا كتاب الصحاح سيدها صَنَّف قبل الصحاح في الأدب
تشمل أبوابه وتجمع ما فَرَّق في غيره من الكتب
قال محشي القاموس: ولما قال بعض الشعراء:

مذ مدّ مجد الدين في أيامه من بعض أبحر علمه القاموسا
ذهبت صحاح الجوهري كأنها سحر المدائن حين ألقى موسى

رَدَّ عليه أديب الشام وصوفيه شيخ مشائخنا العلامة عبد الغني بن إسماعيل الكناني المقدسي المعروف بالنابلسي قدس سره، كما أسمعنا غير واحد من أشيائنا الأعلام:

من قال قد بَطُلَت صحاح الجوهري لَمَّا أتى القاموس فهو المفتري
قلت اسمه القاموس وهو البحر إن يفخر فمعظم فخره بالجوهري

ثم توفي الجوهري في حدود الأربعمئة على اختلاف في تعيين سنة الوفاة، فقيل: سنة ٣٩٢، وقيل غير ذلك. قيل: إنه توفي متردِّياً من سطح داره، وقيل: إنه تغيَّر عقله وعمل له دَفَتَيْن وشدهما كالجنّاحين وأراد أن يطير فوق من علوّ، فهلك رحمة الله عليه.

أمّا لفظ الصحاح، فقد نَقَلَ المزهري عن أبي زكريا بالخطيب التبريزي أنه يقال بكسر الصاد، وهو المشهور، وهو جمع صحيح كظريف وظراف، ويقال: بالفتح، وهو نعت مفرد مثل صحيح، وقد جاء فعال - بفتح الفاء - لغة في فعيل كصحيح وصحاح وشحيح وشحاح وبريء وبراء. اهـ. قال الإمام المحقّق ابن الطيّب ما معناه: حيث لم يرد عن المؤلف في تخصيص أحدهما بالسند الصحيح ما يصار إليه ولا يعدل عنه، فكَلَّا الضبطين صحيح خلافاً لمن أنكر الفتح ولمن رجّحه على الكسر. اهـ. قوله: (الذَّل) بالضمّ ضدَّ العزّ.

يقل للمؤمنين لتضمّن الدّل معنى (الحنو) والعطف كأنه قيل: عاكفين عليهم على وجه التذلل والتواضع ﴿أَعَزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أشداء عليهم (والعزاز) الأرض الصلبة فهم مع المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده ومع الكافرين (كالسبع) على فريسته ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقاتلون الكفار وهو صفة لـ «قوم» كـ «يحبهم» و«أعزة» و«أذلة» ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ الواو يحتمل أن تكون للحال أي يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا مؤالين لليهود، فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئاً مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم، وأما المؤمنون فمجاهدتهم لله لا يخافون لومة لائم. وأن

قوله: (الحنو) الانعطف والتواضع. في مختار الصحاح: حنا عليه عطف وبابه سما وعدا. اهـ. **قوله:** (العزاز) كسحاب. **قوله:** (كالسبع) في المصباح السَّبُع - بضم الباء - معروف وإسكان الباء لغة حكاها الأخفش وغيره وهي الفاشية عند العامة، ولهذا قال الصغاني: السَّبُع والسَّبُع لغتان، وقُرِئ بالإسكان في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ [المائدة: الآية ٢٣]، وهو مروى عن الحسن البصري وطلحة بن سليمان وأبي حنيفة ورواه بعضهم عن عبد الله بن كثير أحد السبعة، ويجمع في لغة الضم على سباع مثل رجل ورجال لا جمع له غير ذلك على هذه اللغة. قال الصغاني: وجمعه على لغة السكون في أدنى العدد أسْبُع مثل فلس وأفلس، وهذا كما خَفَّفَ ضَبْع وجمع على أَضْبُع، ومن أمثلتهم: أَخَذَهُ أَخَذَ السَّبْعَةَ بالسكون. قال ابن السكيت: الأصل بالضم لكن أسكنت تخفيفاً، والسَّبْعَةُ اللَّبْوَةُ وهي أشد جراءة من السبع، وتصغيرها سُبَيْعَة، وبها سميت المرأة ويقع السَّبُع على كل ما له ناب يعدو به ويفترس كالذئب والفهد والثَّيْمَر. وأما الثعلب، فليس بسَّبُع، وإن كان له ناب؛ لأنه لا يَغْدُو به ولا يفترس، وكذلك الضَّبُع، قاله الأزهري. اهـ. وأيضاً فيه اللَّبْوَةُ - بضم الباء - الأنثى من الأسود والهاء فيها لتأكيد التأنيث، كما ناقة ونعجة؛ لأنه ليس لها مذكر من لفظها حتى تكون الهاء فارقة، وسكون الباء مع الهمز مع إبداله واو لغتان فيها. اهـ. وفي القاموس: اللَّبْوَةُ كَعَنُوزٍ وبكسر وكَسْمَرَةٍ وقناة واللَّبَّة واللَّبُّ - مخففين - الأسدة. اهـ.

قوله: (على فريسته) في المصباح: فَرِيَسَةُ الأسد التي يكسرها فعيلة بمعنى مفعولة، وفرسها فرساً من باب ضرب إذا كسرها، ثم أطلق الفرس على كل

تكون للعطف أي من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وهم (صلاب) في دينهم إذا شرعوا في أمر من أمور الدين (لا تزعمهم) لومة لائم: واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل: لا يخافون شيئاً (قط) من لوم واحد من اللوام ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة ﴿فَضَّلَ اللَّهُ يَوْمَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفواضل ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بمن هو من أهلها.

عقب النهي عن موالاة مَنْ تَجِبَ مُعَادَتُهُمْ ذكر مَنْ تَجِبَ مُوَالَاتُهُمْ بقوله:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وإنما يفيد اختصاصهم بالموالاة ولم يجمع الولي وإن كان المذكور جماعة تنبيهاً على أن الولاية لله أصل ولغيره تبع، ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع. ومحل ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ الرفع على البدل من «الذين آمنوا»، أو على هم الذين، (أو النصب على المدح) ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾. والواو في ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ للحال أي يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة. (قيل: إنها نزلت في علي رضي الله تعالى عنه) حين سأل سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه

قتل. اهـ. قوله: (صِلابٌ) بالكسر. قوله: (لا تزعمهم) أي لا تكفهم ولا تمنعهم. قوله: (قَطُّ) أي أبداً.

قوله: (أو النصب على المدح) أي يعني الذين يقيمون الصلاة. قوله: (قيل: إنها نزلت في علي رضي الله تعالى عنه)... الخ. وقصة علي كرم الله وجهه ورضي عنه أخرجها الحاكم وابن مردويه وغيرهما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بإسناد متصل، قال: أقبل ابن سلام ونفر من قومه آمنوا بالنبى ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، إن منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا متحدت دون هذا المجلس، وإن قومنا لما رأوا آمناً بالله ورسوله وصدقناه رفضونا وآلوا على نفوسهم أن لا يُجالسوننا ولا يُناكحونا ولا يكلمونا، فشق ذلك علينا. فقال لهم النبى ﷺ: «إنما وليكم الله ورسوله»، ثم إن النبى ﷺ خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع، فبصر بسائل فقال: «هل أعطاك أحد شيئاً؟» فقال: نعم، خاتم من فضة، فقال:

كأنه (كان مرجًا) في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل يُفسد صلاته. وورد بلفظ الجمع وإن كان السبب فيه واحدًا ترغيبًا للناس في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه. والآية تدل على جواز الصدقة في الصلاة، وعلى أن الفعل القليل لا يُفسد الصلاة.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٥٦)

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يتخذه وليًا أو يكن وليًا ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام الضمير أي فإنهم هم الغالبون، أو المراد بحزب الله الرسول والمؤمنون أي ومن يتولهم فقد تولّى حزب الله، و(اعتضد) بمن لا يغالب. وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر (حزبهم) أي أصابهم.

وروي أن رفاعه بن زيد وسويد بن الحارث قد أظهرًا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يواذونهما فنزل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ مُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾ يعني اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والمنازمة ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ «من» للبيان ﴿مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ﴾ أي المشركين وهو عطف على

«من أعطاكمه»؟ فقال: ذاك القائم، وأوماً بيده إلى علي رضي الله تعالى عنه، فقال النبي ﷺ: «على أي حال أعطاك»؟ فقال: وهو راع، فكبر النبي ﷺ، ثم تلا هذه الآية؛ فأنشأ حسان رضي الله تعالى عنه يقول:

أبا حسن تفديك نفسي ومُهْجتي	وكل بطيء في الهدى ومُسارع
أيزهـب مدحيك المحبر ضائعاً	وما المدح في جنب الإله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راعاً	زكاة فذُتْكَ النفس يا خير راع
فأنزل فيك الله خير ولاية	وثبتها مثني كتاب الشرائع

قوله: (كان مرجًا) أي واسعاً من مرج الخاتم في إصبعة - بالكسر - أي قلقي.

قوله: (اعتضد) أي تقوى بمن لا يغالب، أي لا يصير مغلوباً. قوله:

(حزبهم) من باب قتل.

«الذين» المنصوبة. (و«الكفار» بصري وعلي) عطف على الذين المجرورة أي من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار ﴿أُولَئِكَ وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ في مَوَالاة الكفار ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حَقًّا لَأَنَّ الْإِيمَانَ حَقًّا يَأْبَى مَوَالاة أعداء الدين.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٥٨) ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا﴾ أي الصلاة أو المُنَاداة ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ لَأَنَّ لَعِبَهُمْ وَهَزْوَهُمْ مِنْ أَعْمَالِ السُّفَهَاءِ وَالْجَهْلَةِ فَكَأَنَّهُمْ لَا عَقْلَ لَهُمْ، (وفيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده).

﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِقُونَ﴾ (٥٩)

﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ يعني هل تعيرون منا وتُنكرون إلا الإيمان بالله وبالكتب المنزلة كلها ﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِقُونَ﴾ وهو عطف على المجرور أي ما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وما أنزل وبأن أكثركم فاسقون، والمعنى أعاديتمونا لأننا اعتقدنا توحيد الله وصدق أنبيائه وفسقكم لمخالفتكم لنا في ذلك؟ ويجوز أن يكون الواو بمعنى «مع» أي ما تنقمون منا إلا الإيمان بالله مع أنكم فاسقون.

قوله: (وَالْكَفَّار) بخفض الراء (بصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (وعلي) الكسائي، وأمالها أبو عمرو والدوري عن الكسائي. والباقون بالنصب بلا إمالة.

قوله: (وفيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده) من جهة أنه لما دلَّ على أن اتَّخَذَ المُنَاداة هُزُوًا مِنْ مَنكَرَاتِ الشَّرْعِ دَلَّ عَلَى أَنَّ المُنَادَاةَ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا مِنْ مَعْرُوفَاتِهِ وَالْحَقُوقِ الثَّابِتَةِ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ ابْتِدَاءُ مَشْرُوعِيَّتِهِ بِالسَّنَةِ الْمَبْنِيَةِ عَلَى مَنَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ، وَهَذَا لَا يَنَافِي كَوْنُ مَشْرُوعِيَةِ الْأَذَانِ أَوَّلَ مَا قَدَمُوا الْمَدِينَةَ وَالْمَائِدَةَ آخِرَ الْقُرْآنِ نَزُولًا، وَفِي قَوْلِهِ: لَا بِالْمَنَامِ وَحْدَهُ إِشَارَةٌ إِلَى مَا ذَكَرْنَا، وَإِلَى أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ اجْتِمَاعُ الْأَدَلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى حُكْمٍ وَاحِدٍ؛ لِأَنَّهَا مَعْرِفَاتٌ وَأَمَارَاتٌ لَا مَوْثِرَاتٌ وَمُوجِبَاتٌ. اهـ تفتازاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مُثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنِ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَصَىٰ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ﴿٦٠﴾

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مُثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي ثوابًا وهو نصب على التمييز والمثوبة وإن كانت مختصة بالإحسان ولكنها وُضِعَتْ موضع العقوبة كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: الآية ٢١] وكان اليهود يزعمون أن المسلمين مُستوجبون للعقوبة فقبل لهم ﴿مَنِ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ شر عقوبة في الحقيقة من أهل الإسلام في زعمكم وذلك إشارة إلى المتقدم أي الإيمان أي بشر مما نقمتم من إيماننا ثوابًا أي جزاء، ولا بد من حذف مضاف (قبله) أو قبل «من» تقديره: بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله ﴿وَعَصَىٰ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ﴾ يعني أصحاب السبت ﴿وَالْخَنَازِيرَ﴾ أي كفار أهل مائدة عيسى عليه السلام، أو كِلَا المسخين من أصحاب السبت (فشبَّانهم) مُسخوا قِرْدَةً (ومشائخهم) مُسخوا خنازير ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ (أي العجل) أو الشيطان لأن عبادتهم العجل بتزيين الشيطان وهو عطف على صلة «من» كأنه قيل: ومن عبد الطاغوت. ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ حمزة جعله اسمًا موضوعًا للمبالغة كقولهم: «رجل حذر وفطن» للبالغ في الحذر والفطنة، وهو معطوف على «القردة والخنازير» أي جعل الله منهم عبد الطاغوت ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الممسوخون الملعونون ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ جعلت

قوله: (قبله) أي قبل ذلك. قوله: (فشبَّانهم) الشَّبَّان جمع الشاب.

قوله: (مشائخهم) مشائخ، قيل: جمع شيخ على خلاف القياس. والتحقيق أنه جمع مشيخة. اهـ شهاب. وفي المصباح: المشيخة اسم جمع للشيخ وجمعه مشائخ. اهـ.

قوله: (أي العجل) . . . الخ. فإن الطاغوت اسم لكل من يُطاع في معصية الله تعالى، فيُطلق على الشيطان والكاهن وكل ما عُبد من دون الله تعالى.

قوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ بفتح العين وضمّ الباء وفتح الدال وخفض الطاغوت حمزة، والباقون بفتح العين والباء على أنه فعل ماضٍ، ونصب الطاغوت مفعولاً به.

(الشرارة) للمكان وهي لأهله للمبالغة ﴿وَأَصْلُ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ عن (قصد الطريق) الموصل إلى الجنة.

ونزل في ناس من اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ ويظهرون له الإيمان نفاقاً:

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ءَالَهُ أَغْلَرُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾
 ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ الباء للحال أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره مُلتبسين بالكفر، وكذلك قد دخلوا وهم قد خرجوا ولذا دخلت «قد» تقريباً للماضي من الحال وهو متعلق بـ «قالوا آمنا» أي قالوا ذلك وهذه حالهم ﴿وَاللَّهُ أَغْلَرُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق.

﴿وَرَوَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾
 ﴿وَرَوَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾ الكذب ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم. أو الإثم ما يختص بهم، والعدوان ما يتعداهم إلى غيرهم، والمُسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ الحرام ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (لبئس شيئاً عملوه).

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿لَوْلَا﴾ هـلا وهو (تحضيض) ﴿يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ هذا ذمٌ للعلماء والأول للعامّة. وعن ابن

قوله: (الشرارة) بفتح الشين مصدر كالقباحة لفظاً ومعنى. قوله: (قصد الطريق) بفتح فسكون، وأصل معنى سواء السبيل الوسط المستوي، وهو معنى القصد؛ لأنه يستعمل في الاعتدال بين الإفراط والتفريط.

قوله: (لبئس شيئاً عملوه) إشارة إلى أن ما نكرة موصوفة وقعت تمييزاً للضمير المستتر في بئس الفاعل والمخصوص بالذم محذوف، أي بئس شيئاً عملوه هذه الأمور، وجوّز جعلها موصولة فاعل بئس.

قوله: (تحضيض) - بضادين معجمتين - أي حث وطلب.

عباس عليه السلام: هي أشد آية في القرآن حيث أنزل تارك النهي عن المنكر منزلة مُرتكب المنكر في الوعيد.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُنَّ مَا أَتَزَلُ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَقْدَمُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ رُوي أن اليهود لعنهم الله لما كذبوا محمداً عليه السلام كَفَّ الله ما بسط عليهم من السَّعة وكانوا من أكثر الناس مالا، فعند ذلك قال (فنحاص): يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فأشركوا فيه. (وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود) ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: الآية ٢٩]. ولا يقصد المتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط حتى إنه يستعمل في ملك يعطى ويمنع بالإشارة من غير استعمال اليد، ولو أعطى الأقطع إلى المنكب (عطاء جزلا) لقالوا ما أبسط يده (بالنوال). وقد استعمل حيث لا تصح اليد يقال: بسط البأس كفيه في صدري فجعل للبأس الذي هو من المعاني كفان، ومن لم ينظر في علم البيان يتحير في تأويل أمثال هذه الآية. وقوله: «غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ» دعاء عليهم بالبخل ومن ثم كانوا أبخل ومن ثم كانوا أبخل خلق الله، أو تغل في جهنم فهي كأنها غلت وإنما ثنيت اليد في «بل يدها مبسوطتان» وهي مفردة في «يد الله مغلولة» ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه، فغاية ما (يبذله) السخي أن يعطيه بيديه ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ تأكيد للوصف (بالسخاء)

قوله: (فنحاص) بن عازوراء من اليهود. قوله: (غل اليد) بابه رد (وبسطها مجاز عن البخل والجود)، يعني: فيمن لا يصح الحقيقة أصلاً كما في هذا المقام بخلاف قولك: يد فلان مغلولة أو مبسوطه، فإنه كناية عن ذلك. اهـ تفتازاني رحمته الله.
قوله: (عطاء جزلاً) في مختار الصحاح: الجزيل العظيم وعطاء جزل وجزيل وأجزل له من العطاء أي أكثر. اهـ. قوله: (بالنوال) أي العطاء. قوله: (يبذله) أي يعطيه، وبابه نصر. قوله: (بالسخاء) أي الجود.

ودلالة على أنه لا ينفي إلا على مقتضى الحكمة ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ من اليهود ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدكم تماديًا في الجحود وكُفْرًا بآيات الله، وهذا من إضافة الفعل إلى السبب كما قال: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٥]. ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَّةَ وَابْغَضَاءً إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ فكلهم أبدًا مختلف وقلوبهم (شتى) لا يقع بينهم اتفاق ولا (تعاضد) ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا لم يقم لهم نصر من الله على أحد قط، وقد اتاهم الإسلام وهم في ملك المجوس. وقيل: كلما حاربوا رسول الله ﷺ نصر عليهم. عن (قتادة): لا تلقى يهوديًا في بلد إلا وقد وجدته من أذل الناس ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ ويجهتدون في دفع الإسلام ومحو ذكر النبي ﷺ من كتبهم ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾ برسول الله ﷺ وبما جاء به مع ما عدنا من سيئاتهم ﴿وَاتَّقَوْا﴾ أي (وقرنوا إيمانهم بالتقوى) ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ ولم نؤاخذهم بها ﴿وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ مع المسلمين.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ أي أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله ﷺ ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ من سائر كتب الله لأنهم

قوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٤] أي السورة ﴿رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٥] أي كفرًا إلى كفرهم، لكفرهم بها. قوله: (شتى) متفرقة. قوله: (تعاضد) تعاون. قوله: (قتادة) بن دعامه كان تابعيًا، وكان عالمًا كبيرًا، وكانت ولادته سنة ستين للهجرة، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط، وقيل: ثمانى عشرة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (وقرنوا إيمانهم بالتقوى) في مختار الصحاح: قَرَنَ الشيء بالشيء وَصَلَهُ بِهِ، وبابه ضرب ونصر.

مُكَلَّفُونَ الْإِيمَانَ بِجَمِيعِهَا فَكَأَنَّمَا أُنْزِلَتْ إِلَيْهِمْ. وقيل: هو القرآن. ﴿لَا كَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ يعني الثمار من فوق رؤوسهم ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ يعني الزروع وهذه عبارة عن التوسعة كقولهم: «فلان في النعمة (من قرنه إلى قدمه)». ودلت الآية على أن العمل بطاعة الله تعالى سبب لسعة الرزق وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: الآية ٩٦]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: الآيتان ٢، ٣]، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانُمْ عَاقَرًا ۖ﴾ [نوح: الآية ١٠] الآيات. ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمْتُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ۖ﴾ [الجن: الآية ١٦]، ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ طائفة

قوله: (من قرنه إلى قدمه) الْقَرْنُ الجانب الأعلى من الرأس. اهـ قاموس. وفي نسخة: من فرقه، وفي أخرى: من فوقه. قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ٩٦] المكذبين ﴿ءَامَنُوا﴾ [الأعراف: الآية ٩٦] بالله ورسولهم ﴿وَأَتَّقَوْا﴾ [الأعراف: الآية ٩٦] الكفر والمعاصي لفتحنا - بالتخفيف والتشديد - ﴿عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: الآية ٩٦] بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: الآية ٥٤] بالنبات ﴿وَلَكِن كَذَّبُوا﴾ [الأعراف: الآية ٩٦] الرسل ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٩٦] عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٩٦]. قوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: الآية ٢] من كرب الدنيا والآخرة، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: الآية ٣] يخطر بباله، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الطلاق: الآية ٣] في أموره ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: الآية ٣] كافيهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق: الآية ٣] مُراده، وفي قراءة بالإضافة ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الطلاق: الآية ٣] كرخاء وشدة ﴿قَدَرًا﴾ [الطلاق: الآية ٣] ميقانًا. قوله: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانُمْ عَاقَرًا﴾ [نوح: الآية ١٠] ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ﴾ [نوح: الآية ١١] المطر، وكانوا قد منعهوه ﴿عَلَيْكُمْ مَذَرًا﴾ [نوح: الآية ١١] كثير الدور، أي السيلان، ﴿وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: الآية ١٢] ويجعل لكم جنات بساتين ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: الآية ١٢] جارية. قوله: (وأن) مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي وأنهم، أي وإن قريشًا أو الجن أو الإنس ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمْتُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ [الجن: الآية ١٦] أي طريقة الإسلام، ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن: الآية ١٦] من السماء، وذلك بعدما رُفِعَ المطر عنهم سبع سنين.

حالتها (أُمِّم) في عداوة رسول الله ﷺ. وقيل: هي الطائفة المؤمنة وهم (عبد الله بن سلام) وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ فيه معنى التعجب كأنه قيل: (وكثير منهم ما أسوأ عملهم). وقيل: هم (كعب بن) الأشرف وأصحابه وغيرهم.

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ جميع ما أنزل إليك، وأي شيء أنزل إليك غير مراقب في تبليغه أحداً ولا خائف أن ينالك مكروه ﴿وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ﴾ وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك ﴿فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (رسالته): مدني وشامي وأبو بكر). أي فلم تبلغ إذا ما كُلفت من أداء الرسالة ولم تؤد منها شيئاً قط، وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من بعض، فإذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعاً، كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بأكملها لكونها في حكم شيء واحد لدخولها تحت خطاب واحد، والشيء الواحد لا يكون مبلغاً غير مبلغ مؤمناً به غير مؤمن. قالت (الملحدة) لعنهم الله تعالى: هذا كلام لا يفيد

قوله: (أُمِّم) - مُحَرَّكَ - أي متوسطة. قوله: (عبد الله بن سلام) بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري ثم الخزرجي الصحابي، كُنِيته أبو يوسف. رُوي له عن رسول الله ﷺ خمسة وعشرون حديثاً، اتفقاً على حديث، وانفرد البخاري بآخر. توفي سنة ثلاث وأربعين بالمدينة، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه. قوله: (وكثير منهم ما أسوأ عملهم) أي تقول في حقهم ذلك، ومعنى التعجب مُستفاد من المقام، وما نكرة تمييزاً وموصولة فاعل ساء، والمخصوص بالذم محذوف، وكثير مبتدأ. قوله: (كعب بن) الأشرف علم يهودي معروف.

قوله: (رسالته) بالألف وكسر التاء على الجمع (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وأبو بكر) شعبة عن عاصم، والباقون بغير ألف ونصب التاء على التوحيد. قوله: (الملحدة) في رد المحتار في باب المرتد: الملحد وهو مَنْ مَالَ عن الشرع القويم إلى جهة من جهات الكفر من أحد في الدين حادّ وعدل لا يشترط فيه الاعتراف

وهو كقولك لغلامك: «كل هذا الطعام فإن لم تأكله فإنك ما أكلته»، قلنا: هذا أمر بتبليغ الرسالة في المستقبل أي بلغ ما أنزل إليك من ربك في المستقبل فإن لم تفعل أي إن لم تبلغ الرسالة في المستقبل فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلاً، أو بلغ ما أنزل إليك من ربك الآن ولا تنتظر به كثرة (الشوكة) والعدة، فإن لم تبلغ كنت كمن لم يبلغ أصلاً، أو بلغ ذلك غير خائف أحدًا فإن لم تبلغ على هذا الوصف فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلاً. ثم قال مشجعاً له في التبليغ ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ يحفظك منهم قتلاً فلم يقدر عليه وإن (شجّع في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته) أو نزلت بعدما أصابه ما أصابه. والناس الكفار بدليل قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك.

بنبوة نبينا ﷺ، ولا بوجود الصانع تعالى، وبهذا فارق الذهري أيضاً، ولا إضممار الكفر، وبه فارق المناق ولا سبق الإسلام وبه فارق المرتد، فالمُلحد أوسع فرق الكفر حدًا، أي هو أعم من الكل، انتهى ملخصاً نقلاً عن رسالة العلامة ابن كمال باشا. قوله: (الشوكة) في المصباح: الشوكة شدة البأس والقوة في السلاح. قوله: (العدة) في المصباح: العدة بالضم الاستعداد والتأهب، والعدة ما أعدته من مالٍ أو سلاح أو غير ذلك، والجمع عدد مثل غرفة وغُرف. اهـ.

قوله: (شجّع في وجهه) بضم شين وتشديد جيم أي جرح. عن الزهري: أنه ضُرب وجه رسول الله عليه أشرف التحية يوم أحد بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرّها كلّها، ذكره السيوطي رحمه الله في حاشية البخاري، ولعل وجه حصول المشاركة مع الشجّع بالكسر لتحقيق الثواب والأجر ولإظهار مقتضى الأوصاف البشرية من العجز والضعف والتأثير المناسبة للعبودية وموجب نعت الكبرياء والعظمة والاستغناء وللقوة والقدرة الملائمة للربوبية.

قوله: (يوم أحد) في المصباح: أحد - بضمّتين - جبل بقرب مدينة النبي ﷺ من جهة الشام، وكان به الوقعة في أوائل شوال سنة ثلاث من الهجرة، وهو مذكر فينصرف، وقيل؛ يجوز التأنيث على توهم بقعة وليس بالقوي. اهـ. قوله: (وكُسرت رباعيته) بفتح الراء وتخفيف التحتية على وزن الثمانية السنّ الذي بين الثنية والناب. وكانت الرباعية المكسورة هي السفلى من الجانب الأيمن.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ وَلَٰزِدَتْ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰدِقُونَ وَٱلنَّصْرَتَىٰ مِنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ على دين يعتد به حتى يسمى شيئاً لبطلانه ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يعني القرآن ﴿وَلَٰزِدَتْ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ إضافة زيادة الكفر والطغيان إلى القرآن بطريق التسبب ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فلا تتأسف عليهم فإن ضرر ذلك يعود إليهم لا إليك. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالسنتهم وهم المنافقون ودلّ عليه قوله: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ ٱلَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي ٱلْكَفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [آل عمران: الآية ٤١]، ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰدِقُونَ وَٱلنَّصْرَتَىٰ﴾ قال (سيبويه)

قوله: (سيبويه) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالتحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه. توفي بقرية من قرى شيراز يقال لها البيضا في سنة ثمانين ومائة، وقيل: سنة سبع وسبعين وعمره نيف وأربعون سنة، وقال ابن قانع: بل توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة، وقيل: ثمان وثمانين. وقال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي: توفي سنة أربع وتسعين ومائة وعمره اثنتان وثلاثون سنة، وأنه توفي بمدينة ساوة. وذكر الخطيب في تاريخ بغداد عن ابن دريد أنه قال: مات سيبويه بشيراز وقبره بها، والله أعلم. وسيبويه - بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الباء الموحدة والواو وسكون الياء الثانية وبعدها هاء ساكنة ولا يقال بالتاء البتة - وهو لقب فارسيّ معناه بالعربية رائحة التفاح، هكذا يضبط أهل العربية هذا الاسم، ونظائره مثل نفطويه وعمرويه وغيرهما، والعجم يقولون: سيبويه - بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحتها - لأنهم يكرهون أن يقع في آخر الكلمة وية؛ لأنها للندبة. وقال إبراهيم الحربي: سمي سيبويه لأن وجنتيه كأنهما تفاحتان، وكان في غاية الجمال رحمه الله تعالى.

وجميع البصريين: ارتفع «الصابئون» بالابتداء وخبره محذوف والنيّة به التأخير عما في حيّز «إن» من اسمها وخبرها كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ والصابئون كذلك أي مَنْ آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم فقدّم وحذف الخبر (كقوله):

فَمَنْ يَكْ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقِيَارُ بِهَا لَغَرِيبُ

أي فإنني لغريب وقيار كذلك، ودلّ اللام على أنه خبر «إن» ولا يرتفع بالعطف على محل «إن» واسمها لأن ذا لا يصحّ قبل الفراغ من الخبر. لا تقول: «إن زيدًا وعمرو منطلقان» وإنما يجوز «إن زيدًا منطلق وعمرو»، والصابئون مع

قوله: (كقوله) أي ضابيء - بالضاد المعجمة وبعد الألف باء موحدة ثم همزة - هو ابن الحارث بن أرتاد بن شهاب بن شراحيل بن عبيد بن خازل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي البُرْجُمي - بضم الباء الموحدة وسكون الراء وضم الجيم - نسبةً إلى البراجم، وهم خمس بطون من أولاد حنظلة بن مالك، وهم: عمرو، والظليم، وقيس، وكلفة، وغالب؛ لقبوا به لأن رجلاً منهم اسمه حارثة بن عامر قال لهم: أيتها القبائل التي قد ذهبت عددها تعالوا فلنجتمع مثل براجم يدي هذه، ففعلوا، فسُموا البراجم. وضابيء هذا له إدراك للنبي ﷺ، كما في الإصابة في تمييز الصحابة.

(فَمَنْ يَكْ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقِيَارُ بِهَا لَغَرِيبُ)

وهو من قصيدة من الطويل قالها محبوس في المدينة المنورة في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه. وقوله: (يَكْ) يُروى بإسقاط النون على الجزم وبإبقائها، وحينئذ يُقرأ بالنقل ليصح الوزن، (وَأَمْسَى) بمعنى صار، وأصله دخل في المساء بخلاف الصباح، وبالمدينة رَحْلُهُ: كناية عن الاستيطان بها، والرحل: المسكن وما يستصحب من الأثاث. (وَقِيَارُ) - بفتح القاف وتشديد الياء آخر الحروف - اسم غلام الشاعر. وقال الخليل: اسم فرس له غبراء. وفي الصحاح: اسم جَمَلِهِ، وهو قول أبي زيد، وقيل: المراد بالوصف بالسواد، أي أسود كالقار، ومعنى البيت التحسر على الغربة. وكان السبب في حبس عثمان لضابيء

خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: «إن الذين آمنوا» إلى آخره، ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها. وفائدة التقديم التنبيه على أن الصابئين وهم (أبين) هؤلاء المعدودين ضللاً وأشدهم غيًّا يُتاب عليهم إن صحَّ منهم الإيمان فما الظن بغيرهم! ومحل «مَن آمن» الرفع على الابتداء وخبره «فلا خوف عليهم» والفاء لتضمّن المبتدأ معنى الشرط. ثم الجملة كما هي خبر «إن» والراجع إلى اسم «إن» محذوف تقديره: مَن آمن منهم.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (٧٠)

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بالتوحيد ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا﴾ ليقفواهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ جملة شرطية وقعت صفة لـ «رسلاً» والراجع محذوف أي رسول منهم ﴿بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾ بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع، وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ كأنه يقول: كلما جاءهم رسول منهم (ناصره). وقوله: «فريقاً كذبوا» جواب مستأنف لقائل كأنه يقول: كيف فعلوا برسلكهم! وقال: «يقتلون» بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استفظاعاً للقتل، وتنبيهاً على أن القتل من شأنهم، وانتصب «فريقاً» و«فريقاً» على

أنه كان استعار من بعض بني حنظلة كلباً يصيد به فطالبوه به، فامتنع من إعطائه فأخذه منه قهراً، فغضب ورمى أمهم بالكلب، وهجاهم فاستعدوا عليه أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه فحبسه، وقال: والله لو أن رسول الله ﷺ كان حيّاً لنزلت فيك آية، وما رأيت أحداً رمى قوماً بكلب قبلك. وحدث أبو بكر بن عياش قال: كان عثمان رضي الله تعالى عنه يحبس في الهجاء، فهجا ضابئ قوماً فحبسه عثمان رضي الله تعالى عنه، ثم استغرضه فأخذ سكيناً فجعلها في أسفل نعله، فأعلم عثمان بذلك فضربه وردّه إلى الحبس إلى أن مات فيه. وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: وكان وطئ غلاماً فقتله، فحبس بسببه. اهـ. قوله: (أبين) أي أظهر.

قوله: (ناصره) أي عادوه وحاربوه.

أنه مفعول «كذبوا» و«يقتلون». وقيل: التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى، والقتل مختص باليهود فهم قتلوا زكريا ويحيى.

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (٧١)

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ﴾ («ألا تكون»: حمزة وعلي وأبو عمرو على «أن» مخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون فخفت «أن» وحذف ضمير الشأن، ونزل حسابانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم) فلذا دخل فعل الحسابان على «أن» التي هي للتحقيق ﴿فِتْنَةً﴾ بلاء وعذاب أي وحسب بنو إسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الأنبياء وتكذيب الرُّسل. (وسد ما يشتمل عليه صلة «أن» وأن من المسند والمسند إليه مسد مفعولي «حسب») ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ فلم يعملوا بما رأوا ولا بما سمعوا، أو فعموا عن الرشد وصموا عن الوعظ ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ رزقهم التوبة ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ هو بدل من الضمير أي الواو وهو بدل البعض من الكل، أو هو خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم بحسب أعمالهم.

قوله: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ﴾ برفع النون (حمزة وعلي) الكسائي (وأبو عمرو على أن أن مخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون، فخفت أن، وحذف ضمير الشأن ونزل حسابانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم) ... الخ. لأن أن المخففة لا تقع إلا بعد تيقن. والباقون بالنصب على أن أن الناصبة لمضارع دخلت على فعل منفي بلا، ولا لا تمنع أن يعمل ما قبلها فيما بعدها من ناصب وجازم وجار وحسب إحالة على بابها من الظن؛ لأن الناصبة لا تقع بعد علم، والمخففة لا تقع بعد غيره.

قوله: (وسد ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه مسد مفعولي حسب)، يعني: أن أن الناصبة أو أن المخففة بما في حيزها جملة قامت مقام مفعولي حسبوا، أي حسبوا الفتنة غير نازلة بهم عند جمهور البصريين. وقال أبو الحسن: قائمة مقام المفعول الأول والمفعول الثاني محذوف، والتقدير: حسبوا عدم الفتنة كائناً أو حاصلًا.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ
أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا
لِظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧٢)

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي
إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم في أنه عبد
مربوب ليكون حجة على النصارى ﴿إِنَّهُمْ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ في عبادته غير الله ﴿فَقَدْ
حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ التي هي دار الموحدين أي حرمه دخولها ومنعه منه ﴿وَمَأْوَهُ
النَّارُ﴾ أي مرجعه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أي الكافرين ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ وهو من كلام الله
تعالى أو من كلام عيسى عليه السلام .

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ
يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٣)

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ أي ثالث ثلاثة آلهة
والإشكال أنه تعالى قال في الآية الأولى: «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح
ابن مريم» وقال في الثانية: «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة» والجواب أن
بعض النصارى كانوا يقولون: كان المسيح بعينه هو الله لأن الله ربما يتجلى في
بعض الأزمان في شخص فتجلى في ذلك الوقت في شخص عيسى، ولهذا كان
يظهر من شخص عيسى أفعال لا يقدر عليها إلا الله، وبعضهم ذهبوا إلى آلهة
ثلاثة: الله ومريم والمسيح وأنه ولد الله من مريم. و«من» في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ
إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ للاستغراق (أي وما إله قط) في الوجود إلا إله موصوف
بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له. وفي قوله: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا
يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ (البيان) كالتي في ﴿فَأَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ
الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: الآية ٣٠] ولم يقل: «ليمسسهم» لأن في إقامة الظاهر مقام المضمرة

قوله: (وما إله قط) وقد جرت عادته باستعمال قط لتأكيد عموم الأفراد،
وإن كان وضعه لاستغراق زمان الماضي وعمومه. اهـ تفتازاني رحمه الله . قوله: (البيان)
لأنهم كلهم كفرة الله إلا أن يراد بكفروا بقوا على الكفر، فيكون للتبعيض، كما

تكريراً للشهادة عليهم بالكفر، أو للتبعيض أي ليمسّن الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيراً منهم تابوا عن النصرانية ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (نوع تشديد الألم) من العذاب.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧٤)

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ ألا يتوبون (بعد هذه الشهادة) المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من إصرارهم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم.

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٧٥)

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ فيه نفي الألوهية عنه ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ صفة لرسول أي ما هو إلا رسول من جنس الرُّسُل الذين خلوا من قبله، وإبرأؤه الأكمه والأبرص وإحياءه الموتى لم يكن منه لأنه ليس إلهاً بل الله أبرا الأكمه والأبرص وأحيا الموتى على يده كما أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى، وخلقته من غير ذكر كخلق آدم من غير ذكر وأنثى ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ (أي وما أمه أيضاً إلا كـبعض النساء) المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم. ووقع اسم الصديقة عليها لقوله تعالى: ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا﴾ [التحریم: الآية ١٢]. ثم أبعدهما عما نسب إليهما بقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنقض لم يكن إلا جسماً مركباً من لحم وعظم و(عروق وأعصاب) وغير ذلك ما يدل على أنه مصنوع مؤلف كغيره من الأجسام

ذكره ﷺ. قوله: (نوع تشديد الألم) النوعية مستفادة من التكرير والشدة من وصف العذاب الذي لا يكون إلا أليماً بالألم ليكون الوصف مفيداً غير فائدة التأكيد. اهـ تفتازاني ﷺ.

قوله: (بعد هذه الشهادة) بدلالة الفاء، ولا حاجة إلى تقدير المحذوف، أي أبصرون فلا يتوبون لاستقامة العطف والتعقيب وتخلل الهمزة بينهما لقصد التعجيب. اهـ تفتازاني ﷺ.

قوله: (أي وما أمه أيضاً إلا كـبعض النساء) الحصر مستفاد من المقام والعطف. قوله: (عروق وأعصاب) في لسان العرب: العِرْق من الحيوان الأجوف

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ أي الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم ﴿ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّ يُؤْفَكُوكَ﴾ كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله بعد هذا البيان، وهذا تعجيب من الله تعالى في ذهابهم عن الفرق بين الرب والمربوب.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٧٦)

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ هو عيسى عليه السلام أي شيئاً لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلاء والمصائب في الأنفس والأموال، ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة و(الخصب)، لأن كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبتخليقه تعالى كأنه لا يملك منه شيئاً، وهذا دليل قاطع على أن أمره مُنافٍ للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضراً ولا نفعاً، وصفة الرب أن يكون قادراً على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ متعلق بـ «أتعبدون» أي أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولونه ويعلم ما تعتقدونه.

﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا مِنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٧٧)

﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ الغلو مجاوزة الحد، فغلو النصراني رفعه فوق قدره باستحقاق الألوهية، وغلو اليهود وضعه عن استحقاق النبوة ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ صفة لمصدر محذوف أي غلواً غير الحق يعني غلواً باطلاً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي أسلافكم وأئمتكم الذين كانوا على الضلال قبل مبعث النبي ﷺ ﴿وَأَصْلُوا كَثِيرًا﴾ (ممن شايعهم) ﴿وَضَلُّوا﴾ لما بعث رسول الله ﷺ ﴿عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه.

الذي يكون فيه الدم، والعَصَب غير الأجوف. اهـ. وأيضاً فيه: الْعَصَب عصب الإنسان والدابة والأعصاب أطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدها. اهـ.
قوله: (الْخَضْب) بالكسر ضدَّ الْجَدْب.

قوله: (ممن شايعهم) أي تابِعهم كما في نسخة المشايعة المتابعة. اهـ شهاب

رحمته الله

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨)

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾
 قيل: إن أهل (أيلة) لما اعتدوا في السبت قال داود: اللَّهُمَّ العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة. ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى: اللَّهُمَّ عَذِّبْ مَنْ كفر بعدما أكل من المائدة عذاباً لم تعذبه أحداً من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ذلك اللعن بعصيانهم (واعتدائهم) ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله:

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٩)

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ (لا ينهى بعضهم بعضاً) ﴿عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ عن قبيح فعلوه. ومعنى وصف المنكر بـ «فعلوه» ولا يكون النهي بعد الفعل أنهم لا يتناهون (عن معاودة منكر) فعلوه (أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر أرادوا فعله، أو المراد لا ينتهون عن منكر فعلوه) بل يصرون عليه. يقال: تنهى عن الأمر

قوله: (أيلة) - بفتح الهمزة وسكون الياء التحتية - موضع قريب من بيت المقدس. قوله: (واعتدائهم) أي تجاوزهم.

قوله: (لا ينهى بعضهم بعضاً) على أن يكون التناهي تفاعلاً من النهي.
 قوله: (عن معاودة منكر) بتقدير مضاف قبل منكر. قوله: (أو عن مثل منكر فعلوه) قدر المضاف أيضاً، وهو المثل، لكن إن أريد بالمثل الاتحاد في النوع، وهو معنى المثل في الاصطلاح، فمآله تقدير المعاودة، وإن أريد الاتحاد في الجنس، فيكون توجيهها آخر، وإن كان لفظ المثل غير شائع في ذلك. اهـ قنوي. قوله: (أو عن منكر أرادوا فعله) توجيه ثالث بتأويل فعلوا بالإرادة بذكر المسبب وإرادة السبب؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: الآية ٩٨]. قوله: (أو المراد لا ينتهون^(١) عن منكر فعلوه) على أن يكون بمعنى الانتهاء، يقال: انتهى عن الأمر وتناهى عن الأمر إذا امتنع عنه وكف.

(١) أي التفاعل ليس للمشاركة، بل بمعنى الانفعال والمطاوعة. ١٢ منه عم فيضهم.

وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه. (ثم عجب من سوء فعلهم) مؤكداً لذلك بالقسم بقوله: ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وفيه دليل على أن ترك النهي عن المنكر من العظائم فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عنه.

﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِآتِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾

﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم منافقو أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين و(بصافونهم) ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (لبس شيئاً) قدموه لأنفسهم سخط الله عليهم أي موجب سخط الله ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ أي في جهنم ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إيماناً خالصاً بلا نفاق ﴿وَالْيَوْمِآتِ﴾ أي محمد ﷺ ﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ﴾ يعني القرآن ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ ما اتخذوا المشركين أولياء يعني أن موالاة المشركين تدل على نفاقهم ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ مستمرون في كفرهم ونفاقهم، أو معناه ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله وبموسى وما أنزل إليه - يعني التوراة - ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون ولكن كثيراً منهم فاسقون خارجون عن دينهم فلا دين لهم أصلاً.

قوله: (ثم عجب من سوء فعلهم) ... الخ. التعجب إما استفاد من المقام أو مفهوم من أفعال المدح والذم، إما بإشارته أو بدلالته. اهـ قنوي رَحِمَهُ اللَّهُ. يعني أن اللام هنا جواب قسم مقدّر وجعل التأكيد للتعجب وهو ظاهر؛ لأنه يقتضي أنه تعجب عظيم ولا بأس به، وقيل: الأولى أن يجعل التأكيد للفعل المتعجب منه. اهـ شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (بصافونهم) في مختار الصحاح: صافاه وتصافيا: تخالصا. اهـ. قوله: (لبس شيئاً) على أن ما نكرة مميزة لفاعل لبس، وقدمت لهم صفتها، وأن سخط الله هو المخصوص بالذم بتقدير المضاف، أي موجب سخط الله؛ لأن نفس السخط المضاف إلى الباري عز وجل لا يقال له أنه المخصوص بالذم، إنما المخصوص بالذم هو الأسباب الموجبة له.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيْكَ ذَٰلِكَ بِأَن مِّنْهُمْ قِسِيْسِيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٨٢)

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ﴾ هو مفعول ثانٍ لـ «تجدن». و«عداوة» تمييز ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ عطف عليهم ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيْكَ﴾ اللام تتعلق بـ «عداوة» و«مودة». وصف اليهود بشدة (الشكيمة) والنصارى بلين (العريكة)، وجعل اليهود قراء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين، ونبه على تقدّم قدمهم فيها بتقديمهم على المشركين ﴿ذَٰلِكَ بِأَن مِّنْهُمْ قِسِيْسِيْنَ وَرُهْبَانًا﴾ (أي علماء وعبادًا) ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ علل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأن فيهم تواضعًا (واستكانة)، واليهود على خلاف ذلك، وفيه دليل على أن العلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير وإن كان علم القسيسين، وكذا علم الآخرة وإن كان في راهب، والبراءة من الكبر وإن كانت في نصراني.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨٣)

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ وصفهم برقة القلوب وأنهم يكون عند استماع القرآن كما روي عن (النجاشي) أنه قال (لجعفر بن أبي طالب) حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى

قوله: (الشكيمة) أي الطبيعة، في مختار الصحاح: الشكيمة في اللجام الحديد المعتبرة في فم الفرس التي فيها الفاس، والجمع شكائم، وفلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس أنفًا أبيًا. اهـ. **قوله: (العريكة)** أي الطبيعة. **قوله: (أي علماء)** بيان قسيسين (وعبادًا) بيان رهبانًا. **قوله: (استكانة)** أي خضوعًا وذلًا.

قوله: (النجاشي) ملك الحبشة مخفف عند الأكثر، واسمه أصحمة. اهـ. **قوله: (لجعفر بن أبي طالب)** الهاشمي ذي الجناحين الصحابي الجليل ابن عم رسول الله ﷺ، استشهد في غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة رضي الله تعالى

الحبشة والمشركون (وهم يغرونه) عليهم: هل في كتابكم ذكر مريم؟ قال جعفر: فيه سورة تُنسب إلى مريم. فقرأها إلى قوله: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [الآية ٣٤]، وقرأ سورة طه إلى قوله: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [الآية ٩] فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين (وفدوا على رسول الله ﷺ) وهم سبعون رجلاً حين قرأ عليهم سورة «يس» فبكوا. «تفيض من الدمع» تمتلئ من الدمع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلئ الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه، (فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء)، أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء، فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها أي تسيل من أجل البكاء. «ومن» في «مما عرفوا» لابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتداءً ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله، «من» في «من الحق» لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا، أو للتبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف إذا (عرفوا كله) وقرأوا القرآن وأحاطوا بالسنة ﴿يَقُولُونَ﴾ حال من ضمير الفاعل في «عرفوا» ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا﴾ بمحمد ﷺ والمراد إنشاء الإيمان والدخول فيه ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ مع أمة محمد ﷺ الذين

عنه. قوله: (وهم) أي المشركون قوله: (يغرونه) أي النجاشي، وفي نسخة يُعَيِّرُونَهُ. قوله: (وفدوا على رسول الله ﷺ) في مختار الصحاح: وفد فلان على الأمير أي ورد رسولاً، وبابه وعد. اهـ. قوله: (فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء) جواب عما يقال: كيف أسند الفيض والانصباب إلى العين، والحال أن الفائض إنما هو دموع الأعين لا أنفسها؟ وأجاب عنه بوجهين: الأول أن المراد امتلاء أعينهم، إلا أنه وضع الفيضان والسيلان موضع الامتلاء على طريق وضع المسبب موضع السبب للمبالغة في السببية حتى كان الامتلاء عين الفيضان، فلذلك عبر عنه به. والثاني: أن إسناد الفيض إلى الأعين إسناد مجازي، كما في جرى النهر وسال الميزاب للمبالغة في وصفهم بالبكاء، أي تراهم يبكون حتى يظن أن أعينهم تفيض أي تسيل بأنفسها. قوله: (عرفوا كله) هكذا في تفسير البيضاوي، وفي تفسير الكشاف: عرفوه كله. اهـ. قال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: الأفصح عرفوه كله؛ لأن كل المضافة للضمير لا تقع في فصيح الكلام إلا تأكيداً أو مبتدأ، ولا يعمل فيها ما قبلها. اهـ. وقال العلامة القنوي رحمه الله: جعل الكل مضافاً إلى الضمير معمول العامل اللفظي بالأصالة؛ لأنه قد يقع في كلامهم

هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة (لتكونوا شهداء على الناس)، وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾
 ﴿٨٤﴾ فَأَنبَهُمُ اللَّهُ يَمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ إنكاراً واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام موجب وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين. وقيل: لما رجعوا إلى قومهم لأموهم فأجابوهم بذلك. «وما لنا» مبتدأ وخبر و«لا نؤمن» حال أي غير مؤمنين كقولك «ما لك قائماً» ﴿وَمَا جَاءَنَا﴾ وبما جاءنا ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني محمداً ﷺ والقرآن ﴿وَنَطْمَعُ﴾ حال من ضمير الفاعل في «نؤمن» والتقدير: ونحن نطمع ﴿أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا﴾ الجنة ﴿مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء والمؤمنين.

﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ يَمَا قَالُوا﴾ أي بقولهم ربنا آمنا وتصديقهم لذلك ﴿جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ وفيه دليل على أن الإقرار داخل في الإيمان كما هو مذهب الفقهاء. وتعلقت (الكرامية) في أن الإيمان مجرد القول بقوله: «بما قالوا» لكن الثناء (بفيض الدمع في السباق وبالإحسان في السياق) يدفع ذلك، وأنى يكون مجرد القول إيماناً وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨﴾ [البقرة: الآية ٨]. نفى الإيمان عنهم مع

ولو قليلاً، ولك أن تعتبر المفعول محذوفاً وكله تأكيداً له، وهذا وإن كان تكلفاً من الحمل عليه أولى من الحمل على الخطأ. اهـ. قوله: (لتكونوا شهداء على الناس) في معرض الاستشهاد والإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: الآية ١٤٣].

قوله: (الكرامية) في المصباح: كرام - بفتح الكاف مثقل - والد أبي عبد الله محمد بن كرام المشبه الذي أطلق اسم الجوهر على الله تعالى، وأنه استقر على العرش، ونُسب إليه من أخذ بقوله، فقيل: كرامية، نقل التشديد عن صاحب نفى الارتباب ونص عليه الصغاني. اهـ. قوله: (بفيض الدمع في السباق وبالإحسان في السياق) الفرق بين السباق والسياق أن السباق بالباء الموحدة يستعمل فيما قبل

قولهم: «آمنا بالله» لعدم التصديق بالقلب. وقال أهل المعرفة: الموجود منهم ثلاثة أشياء: البكاء على (الجفاء)، والدعاء على العطاء، والرضا بالقضاء، فمن ادعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلاثة فليس بصادق في دعواه.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (٨٦)

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ هذا أثر الرد في حق الأعداء، والأول أثر القبول للأولياء، ونزل في جماعة من الصحابة ؓ حلفوا أن يترهبوا ويلبسوا (المسوح) ويقوموا الليل ويصوموا النهار (ويسبحوا) في الأرض (ويجبوا) مذاكيرهم ولا يأكلوا اللحم (والودك) ولا يقربوا النساء والطيب.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ما طاب ولد من الحلال. ومعنى «لا تحرموا» لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم، أو لا تقولوا حرمانها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها (تزهدًا منكم وتقشفًا). رُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان يأكل (الدجاج والفالوذ) وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال:

الكلام، كما أن اللحاق يستعمل فيما بعده. والسياق بالياء المثناة فيما قبله وبعده معًا. اهـ فروق حقي رحمه الله. **قوله:** (الجفاء) ممدود ضد البر..

قوله: (المسوح) جمع مسح مثل حمل وحمول، وهو البلاس، أي الغليظ من الملابس. **قوله:** (ويسبحوا) السباحة في الأرض عدم الوطن والقرار. **قوله:** (وجبوا) من باب قتل مذاكيرهم، الجب القطع، والمذاكير جمع ذكر بمعنى العضو على خلاف القياس، كأنهم قصدوا الفرق بين الذكر بمعنى العضو، وبين ما هو خلاف الأنثى، فجمعوا الأول على المذاكير والثاني على الذكور. **قوله:** (الودك) - بفتح الواو والdal المهملة والكاف - الشحم.

قوله: (تزهدًا منكم وتقشفًا) التزهد هو التكلف والمبالغة في الإعراض عن متاع الدنيا وطيباتها، والتقشف قلة التعهد في المطعم والملبس. **قوله:** (الدجاج) في مختار الصحاح: الدجاج معروف، وفتح الدال أفصح من كسرهما، الواحدة دجاجة، ذكرًا كان أو أنثى، والهاء للإفراد كحمامة وبطة. **قوله:** (والفالوذ) في

«إن (المؤمن حلو ويحب الحلوة)». وعن الحسن أنه دُعي إلى طعام ومعه (فرقد السبخي) وأصحابه فقعّدوا على المائدة وعليها الألوان من الدجاج المسنّن والفالوذ وغير ذلك، فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن: أهو صائم؟ قالوا: لا ولكنه يكره هذه الألوان، فأقبل الحسن عليه وقال: يا فرقد أترى لعاب النحل بلُباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم؟ وعنهن أنه قيل له: فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدي شكره. فقال: أفيشرب الماء البارد؟ قالوا: نعم. قال: إنه جاهل أن نعمة الله عليه في الماء البارد أكبر من نعمته عليه في الفالوذ. ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ ولا تتجاوزوا الحدّ الذي حدّ عليكم في تحليل أو تحریم، أو ولا تتعدّوا حدود ما أحلّ لكم إلى ما حرّم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ حدوده.

مختار الصحاح: الفالوذ معرّب، قال يعقوب: ولا تقل الفالوذج. اهـ. قوله: (المؤمن حلو ويحب الحلوة) رواه الدّيلمي عن عليّ رفعه، وحديث: «قلب المؤمن حلو يحب الحلوة» ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، لكن ثبت أنه عليه السلام كان يحب الحلوى والعسل، ذكره ابن الدّيبّ، وفيه أن هذا تصحيح معناه. والكلام في ثبوت مبناه، فقد قال السيوطي: رواه البيهقي في الشعب والدّيلمي عن أبي أمامة، فكلام ابن الجوزي موضوع مدفوع. اهـ الموضوعات الكبرى للعلامة علي القاري رحمة الله عليه.

قوله: (الحسن البصري) هو الإمام المشهور المُجمّع على جلالته في كل فنّ التابعي البصري - بفتح الباء وكسرهما - الأنصاري، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، ومناقبه كثيرة مشهورة. توفي سنة عشرة ومائة رضي الله تعالى عنه كما تقدم في هذه السورة.

قوله: (فرقد السبخي) هو فرقد بن يعقوب السبخي - بفتح المهملة والموحدة وبخاء معجمة - أبو يعقوب البصري، صدوق عابد، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة. اهـ تقريب. وفي المغني: السّبخي - بسين وموحدة مفتوحتين وإعجام خاء - نسبة إلى سبخة موضع بالبصرة منه فرقد. اهـ. وفي لوائح الأنوار في طبقات الأخيار: ومنهم فرقد السبخي كوفي نزل بالبصرة. اهـ. وفي تاج العروس: السّبخة موضع بالبصرة منه فرقد بن يعقوب العابد، توفي سنة ١٣١، انتهى.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨)

(﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ «حلالاً» حال «مما رزقكم الله» ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تأكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيداً بقوله: ﴿الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ لأن الإيمان به يُوجب التقوى فيما أمر به ونهى.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَذَرْتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُهُمْ أَوْ تَخْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٨٩)

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم، وهو أن يحلف على شيء يرى أنه كذلك وليس كما ظن، وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن أنه قربة فلما نزلت تلك الآية قالوا: فكيف أيماننا؟ فنزلت. وعند الشافعي ﷺ ما يجري على اللسان بلا قصد (﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾) أي بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها. (وبالتخفيف: كوفي غير حفص). والعقد: العزم على الوطاء، وهذا لا يتصور

قوله: (حلالاً حال مما رزقكم الله) ظاهر في أن الرزق قد يكون حراماً. قوله: (توكيد للتوصية بما أمر به)، فإن قوله تعالى: (﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا﴾)، وإن كان المراد به ههنا الإباحة والتحليل، إلا أنه إنما أباح كل الحلال، فيفيد تحريم ضده، فأكد التحريم المستفاد منه لقوله تعالى: (﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾)، وزاده تأكيداً بقوله: ﴿الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾، فإن الإيمان به يُوجب التقوى بالانتهاء عما نهى عنه وعدم التجاوز عما حد له.

قوله: (﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾) صلة يؤاخذكم، كما أن باللغو صلة له، أي لا يؤاخذكم في حق أيمانكم بسبب ما كان لغواً منها بأن لا يتعلق بها حكم ديني ولا أخروي أو صلة اللغو؛ لأنه مصدر أو حال منه اللغو، فلا يتعلق بشيء منهما، بل يتعلق بمحذوف أي كائناً في أيمانكم. قوله: (وبالتخفيف) أي بتخفيف القاف بدون ألف بين العين والقاف، (كوفي غير حفص) أي حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم، وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: «عاقدم» على وزن فاعلتهم، وهو من فاعل

في الماضي (فلا كفارة في الغموس). وعند الشافعي رحمته الله القصد بالقلب ويمين الغموس مقصودة فكانت معقودة فكانت الكفارة فيها مشروعة. والمعنى: ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم، فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلوماً عندهم، أو بنكت ما عقدتم فحذف المضاف **﴿فَكَفَّرْتُمُوهُ﴾** أي (فكفارة نكثته) أو فكفارة معقود الأيمان. والكفارة (الفعلة) التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها **﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾** هو أن يغديهم ويعشيهم، ويجوز أن يعطيهم بطريق التملك (وهو لكل أحد نصف صاع من بر أو صاع من شعير) أو صاع من

بمعنى فعل؛ إذ لا مشاركة هنا. والباقون **﴿عَقَّدْتُمُ﴾** بتشديد القاف. فأما التخفيف، فهو الأصل. وأما التشديد، فيحتمل وجهين: أحدهما أنه للتكثير؛ كما في قوله: **﴿وَعَلَقَتِ الْآيُوبُ﴾** [يوسف: الآية ٢٣]، لأن المخاطب به جماعة والفعل يتكرر بكثرة الفاعل، كما يتكرر بكثرة المتعلق. والثاني: أنه بمعنى المخفف، نحو: قدر وقدر. قوله: (فلا كفارة في الغموس) - بفتح الغين - اسم فاعل، لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم النار، وهي إن حلف على كاذب عمداً، كوالله ما فعلت كذا، عالماً بفعله، أو كوالله ما له علي ألف، عالماً بخلافه، ووالله إنه بكر عالماً بأنه غيره، ويأثم بها إثمًا عظيمًا، فتلزمه التوبة؛ إذ لا كفارة في الغموس يرتفع بها الإثم، فتعينت التوبة للتخلص منه. قوله: (فكفارة نكثته) إشارة إلى أن ضمير كفارته راجع إلى تعقيد الأيمان بناءً على أن ما في قوله: **﴿بِمَا عَقَّدْتُمُ﴾** مصدرية، والتقدير: ولكن يؤاخذكم بتعقيدكم الأيمان وتذكير الضمير يمنع من رجوعه إلى اليمين المدلول عليها بلفظ الأيمان؛ لأن اليمين مؤنثة وإرجاعه إليها لكونها بمعنى الحلف تكلف على تكلف، فلا بد من اعتبار الحذف ههنا، كما اعتُبر في قوله: **﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾**، فإن تقديره كما مر، ولكن يؤاخذكم به إذا حنثتم أو بنكت ما عقدتم فحذف وقت المؤاخذة على الأول والمضاف على الثاني؛ لأن كون المحذوف مراداً معلوم عندهم، لأنهم أجمعوا على أنه لا يجب التكفير بنفس اليمين ما لم يحنث فيها، واختلفوا في جوازه قبل الحنث، فأجازه الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه بالمال، وأصحابنا لم يجيزوا ذلك لا بالمال ولا بالصوم، نص عليه في التيسير. قوله: (الفعلة) إشارة إلى أن الكفارة تأنيث الكفار، وأنت لتأنيث موصوفها، وهي الفعلة، فإن التقدير الفعلة الكفارة، أي الستارة لإثمه. قوله: (وهو لكل أحد نصف صاع من بر أو صاع من شعير) ... الخ.

تمر. وعند الشافعي رحمته الله مدٌّ لكل مسكين ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أي غداء وعشاء من بُرٍّ إذ الأوسع ثلاث مرات مع الإدام والأدنى مرة من تمر أو شعير ﴿أَوْ كَسَوْتُهُمْ﴾ عطف على «إطعام» أو على محل «من أوسط»، ووجهه أن «من أوسط» بدل من «إطعام» والبدل هو المقصود في الكلام (وهو ثوب يغطي العورة).

اعلم أن الصاع أربعة أمداد، والمدّ رطلان، والرطل نصف منّ، والمنّ بالدرهم مائتان وستون درهماً، وبالإستار أربعون، والإستار - بكسر الهمزة - بالدرهم ستة ونصف، وبالمثاقيل أربعة ونصف؛ كذا في شرح درر البحار. فالمدّ والمنّ سواء، كلّ منهما ربع صاع رطلان بالعراقي، والرطل مائة وثلاثون درهماً، وفي الزييلي والفتح: اختلف في الصاع، فقال الطرفان ثمانية أرطال بالعراقي، وقال الثاني: خمسة أرطال وثلاث، قيل: لا خلاف لأن قدره برطل المدينة؛ لأنه ثلاثون إستاراً، والعراقي عشرون، وإذا قابلت ثمانية بالعراقي بخمسة وثلاث بالمديني وجدتهما سواء، وهذا هو الأشبه؛ لأن محمداً لم يذكر خلاف أبي يوسف، ولو كان لذكره لأنه أعرف بمذهبه. اهـ. وتماه في الفتح: ثم اعلم أن الدرهم الشرعي أربعة عشر قيراطاً، والدينار الذي هو المثلث عشرون قيراطاً، والقيراط خمس شعيرات، فيكون الدرهم الشرعي سبعين شعيرة، والمثقال مائة شعيرة. قوله: (وهو ثوب يغطي العورة) ... الخ. في الدرّ المختار: أو كسوتهم بما يصلح للأوساط وينتفع به فوق ثلاثة أشهر ويستر عامة البدن، فلم يُجز السراويل إلا باعتبار قيمة الإطعام. اهـ.. وفي رد المحتار: قوله: (بما يصلح للأوساط) وقيل: يعتبر في الثوب حال القابض إن كان يصلح له يجوز، وإلا فلا. قال السرخسي: والأول أشبه بالصواب. بزاوية. قوله: (وينتفع به فوق ثلاثة أشهر) لأنها أكثر نصف مدّة الثوب الجديد، كما في الخلاصة، فلا يشترط كونه جديداً، والظاهر أن لو كان جديداً رقيقاً لا يبقى هذه المدّة لا يُجزى. قوله: (ويستر عامة البدن) أي أكثره، كالملاءة أو الجبة أو القميص أو القباء. قهستاني. وهذا بيان لأدناه عندهما، والمروّي عن محمد: ما تجوز فيه الصلاة، وعليه فيجزئه دفع السراويل عنده للرجل لا للمرأة، قوله: فلم يجر السراويل هو الصحيح؛ لأن لابسها يسمّى عرياناً عرفاً، فلا بدّ على هذا أن يعطيه قميصاً أو جبة أو رداء أو قباء أو إزاراً سابلاً بحيث يتوشح به عندهما، وإلا فهو كالسراويل، ولا تجزى العمامة، إلا إن أمكن

و(عن ابن عمر) ؓ : إزار وقميص ورداء ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ مؤمنة أو كافرة لإطلاق النص، وشرط الشافعي ؒ الإيمان (حملاً للمطلق على المقيد في كفارة القتل).

أن يتخذ منها ثوبٌ مجزىء. وأما القُلنسوة، فلا تجزىء بحال، ولا بدّ للمرأة من خِمار مع الثوب؛ لأنّ صلاتها لا تصح بدونه، وهذا - أي التعليل المذكور - يُشابه المرويّ عن محمد في السراويل أنه لا يكفي للمرأة، وظاهر الجواب ما يثبت به اسم المكتسي ويتنفي عنه اسم العريان، لا صحة الصلاة وعدمها، والمرأة إذا كانت لابسة قميصاً سابلاً وخِمَاراً غَطَّى رأسها وأذنيها دون عنقها لا شكّ في ثبوت اسم أنها مكتسية لا عريانة، ومع هذا لا تصح صلاتها. اهـ ملخصاً من الفتح. وحاصله أنه لا بدّ مع الثوب من الخِمار، لكن لا يشترط أن يكون الخِمار مما تصحّ به الصلاة، وقد اقتصر في البحر على صدر عبارة الفتح، فأوهم أنه لا يشترط الخِمار أصلاً، وليس كذلك فلينبه له. وفي الشرنبلالية ولم أرَ حكم ما يغطّي رأس الرجل. اهـ.

قلت: إن كان توقفه في إجزائه، فلا شكّ في عدمه، وإن كان في اشتراطه مع الثوب فظاهر ما مرّ عدمه. وفي الكافي: الكسوة ثوب لكل مسكين إزار ورداء أو قميص أو قباء أو كساء. اهـ. وقدّمنا أن المراد ما يستر أكثر البدن.

قوله: (عن ابن عمر) أي عبد الله بن عمر بن الخطاب العدويّ، أبو عبد الرحمن، وُلِدَ بعد المبعث بيسير واستُصغر يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المُكثَرين من الصحابة والعبادة، وكان من أشدّ الناس اتِّباعاً للأثر. مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها، وأول التي تليها.

قوله: (حملاً للمطلق على المقيد في كفارة القتل)؛ لأن الله قيّد الرقبة فيها بالإيمان، وأطلقها ههنا وفي كفارة الظهر والجماع في نهار رمضان، والمطلق يُحمل على المقيد، كما أنّ الله تعالى قيّد الشهادة بالعدالة في موضع، فقال: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطّلاق: الآية ٢]، وأطلق في موضع آخر حيث قال: ﴿وَأَسْأَلُكُمْ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٢]؛ لأنّ العدالة شرطٌ في جميعها حملاً للمطلق على المقيد، كذلك ههنا. وعند الحنفية: يجوز إعتاق الرقبة الكافرة في جميع الكفارات إلّا في كفارة القتل، ويقولون: المطلق إنّما يُحمل على المقيد

ومعنى «أو» التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾ إحداها ﴿فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ «متتابعة» لقراءة (أبي بن كعب) وابن مسعود كذلك ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّارَةٌ أَيْمَنِيكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ (وحنثتم) فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة لا تجب بنفس الحلف ولذا لم يجز التكفير قبل الحنث ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنِيكُمْ﴾ فبزوا فيها ولا تحنثوا إذا لم يكن الحنث خيراً أو ولا تحلفوا أصلاً ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك البيان ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ﴾ (أعلام شريعته) وأحكامه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم (المخرج منه).

إذا اتحدت الحادثة التي ورد فيها. قوله: (ومعنى «أو» التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث)، وهو المذهب المختار في الواجب المخير، فإن المختار أن الواجب أحد الأمور لا على التعيين، لا ما ينسب إلى بعض المعتزلة من أن الواجب الجميع ويسقط لواحد منه، وعند البعض الواجب واحد معين عند الله، وهو ما يفعله المكلف، فيختلف بالنسبة إلى المكلفين. وعند البعض الواجب واحد معين لا يختلف، ولكنه يسقط به وبالأخر، والواجب في كفارة اليمين أحد الأمور الثلاثة على التخيير، فإن عجز عنها جميعاً، فالواجب شيء آخر، وهو الصوم. ومعنى الواجب المخير أنه لا يجب عليه الإتيان بكل واحد من هذه الأمور الثلاثة، ولا يجوز له تركها جميعاً، ومتى أتى بواحد منها، فإنه يخرج عن العهدة، فإذا اجتمعت هذه القيود فذاك هو الواجب المخير.

قوله: (أبي بن كعب) بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمر بن مالك بن نجار الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر سيد القراء، يكنى أبا الطفيل أيضاً، من فضلاء الصحابة، اختلف في سنة موته اختلافاً كثيراً، قيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين، وقيل غير ذلك.

قوله: (وحنثتم) الحنث: الخلف في اليمين. قوله: (أعلام شريعته) علاماتها وأماراتها، لكن عطف أحكامه عليها محل بحث، إلا أن يراد أنه يجوز أن يراد الأعلام وأن يراد الأحكام بمعنى آيات كلامه الدالة على الأحكام. اهـ تفتازاني رحمه الله. قوله: (المخرج منه) أي مما يعلمكم من التكليف، ولولا العائد لكان الأحسن أن يجعل ما مصدرية. اهـ تفتازاني رحمه الله. وقيل: إنه للشكر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٩٠﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ أي القمار ﴿وَالْأَنْصَابُ﴾ الأصنام لأنها تَنْصَبُ فَتُعْبَدُ ﴿وَالْأَزْلَمُ﴾ وهي القداح التي مَرَّتْ ﴿رِجْسٌ﴾ نجس أو خبيث مُسْتَفْذَر ﴿مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ لأنه يحمل عليه فكأنه عمله. (والضمير في ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ يرجع إلى الرِّجْسِ)، أو إلى عمل الشيطان، أو إلى المذكور، أو إلى المضاف المحذوف كأنه قيل: إنما تعاطى الخمر والميسر ولذا قال «رجس». ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أكد تحريم الخمر والميسر من وجوه (حيث صدر الجملة بإنما وقرنها بعبادة الأصنام ومنه الحديث «شارب الخمر كعابد الوثن») وجعلهما رجسًا من عمل الشيطان ولا يأتي منه إلا الشر (البحث)، وأمر بالاجتناب، وجعل الاجتناب من الفلاح وإذا كان الاجتناب فلاحًا كان الارتكاب خسارًا.

قوله: (والضمير في ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ يرجع إلى الرِّجْسِ)... الخ. كأنه جواب عما يختلج بالخطر من أن الضمير المفرد كيف يصح أن يرجع إلى ما سبق وهي أمور متعددة، وتقدير الجواب أنه راجع إلى الرِّجْسِ الذي أخبر به عن تعاطي الأمور المذكورة، فكأن المعنى: فاجتنبوا الرِّجْسَ الذي هو تعاطي تلك الأمور، أو هو راجع إلى الأمور السابقة باعتبار تأويلها بما ذكر، أو إلى التعاطي المقدر على أنه مضاف إلى الأمور المذكورة.

قوله: (حيث صدر الجملة بإنما) لأنها تُفيد قصر هذه المذكورات على صفة كونها رجسًا كائنًا من عمل الشيطان على طريق قصر الموصوف على الصفة؛ كأنه قيل: ليس لها من الصفات إلا كونها رجسًا من عمل الشيطان.

قوله: (وقرنها بعبادة الأصنام)، فإن مقارنة ذكر تعاطي الخمر والميسر بعبادة الأصنام تدل على تقاربهما (ومنه الحديث: «شارب الخمر كعابد الوثن») شبهه به لاشتراكهما في ارتكاب المحرم، ورواه الترمذي بلفظ: «مدّ من الخمر»، وحمل على المستحل ولا حاجة إليه.

قوله: (البحث) أي الخالص.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (٩١)

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ (فِي الْخَمْرِ) وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ ذكر ما يتولد منهما من الوبال (وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر)، وما يؤديان إليه من الصّد عن ذكر الله وعن مُراعاة أوقات الصلاة، (وخصّ الصلاة) من بين الذّكر لزيادة درجتها كأنه قال: وعن

قوله: ﴿فِي الْخَمْرِ﴾ متعلّق بقوله: يوقع، وكلمة في هنا لإفادة معنى السببية؛ كما في قوله عليه الصّلاة والسّلام: «دخلت امرأة النار في هرة»، أي بسبب إيذاها؛ فمعنى الآية أنه يريد أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، أي بسبب شربها.

قوله: (وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر) بين الفسقة بسبب شرب الخمر مبنيّ على أنّ الظاهر فيمن شرب الخمر أن يشربها مع جماعة حتى يستأنس بهم ويفرح بالمكالمة معهم، ويؤيد ما كان بينهم من المودة والإلفة، إلا أن ذلك ينقلب في الأغلب إلى ضدّ ذلك؛ لأن الخمر يُزيل العقل، وإذا زال العقل استولت الشهوة والغضب من غير مُدافعة العقل، وعند استيلائهما تحصل المُنازعة بين أهل المجلس من الأحاب، وتلك المُنازعة ربما قادت إلى القتل والضرب والمشافهة بالفحش من القول، وذلك يُورث العداوة والبغضاء، فالشيطان يسوّل لهم أولاً أن الاجتماع على الشرب يؤكّد الإلفة والمحبة وينقلب الأمر بالآخرة، فتحصل غاية العداوة والبغضاء. وأمّا وقوع العداوة والبغضاء بين القوم بسبب الميسر؛ فلأن الشيطان يسوّل لهم ابتداءً أنه وسيلة إلى التوسعة على الفقراء والمحتاجين والدخول في عِداد أصحاب المروءة والكرم، إلا أنه ربما يؤدّي بالآخرة إلى ضياع ماله بالكلّية، فإن صار مغلوباً في القمار مرّة دعاه ذلك إلى اللّجاج فيه على رجاء أنه ربما صار غالباً فيه، ويتفق أنه لا يحصل له ذلك فيعاود فيه إلى أن لا يبقى له شيء من ماله، فيبقى فقيراً مسكيناً، فيصير بسبب ذلك من أعدى الأعداء لأولئك الذين غلبوا عليه، فظهر بما ذكر أن الخمر والميسر سببان عظيمان لوقوع العداوة والبغضاء بين الناس، ولا شك أن شدّة العداوة والبغضاء من أقبح المفاسد الدنيوية المنافية لصلاح العالم. **قوله:** (وخصّ الصلاة) . . . الخ.

الصلاة خصوصًا. (وإنما جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام) أولًا ثم أفردهما آخرًا، لأن الخطاب مع المؤمنين وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر، وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر وإظهار أن ذلك جميعًا من أعمال أهل الشرك فكأنه لا مبينة بين عابد الصنم وشارب الخمر والمقامر، ثم أفردهما بالذكر ليعلم أنهما المقصود بالذكر ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ (من أبلغ ما ينهى به) كأنه قيل: قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع

جواب عما يقال: لم عطفت الصلاة على ذكر الله تعالى مع اندراجها فيه؟ لأن المراد بذكر الله العبادة مطلقًا، أي عبادة كانت، وسُميت ذكر الله لكونها مسببة عن ذكر الله؛ لأن العابد إنما يلايس العبادة تقرّبًا إلى الله تعالى وابتغاء لمرضاته وهرّبًا من سخطه وعقابه، ومن كان مريدًا لصدّ الناس عن العبادة مطلقًا كان مريدًا لصدّهم عن الصلاة بخصوصها، فما الفائدة في عطف الصلاة على ذكر الله تعالى بإفرادها.

والجواب: أن إفرادها وعطفها على ذكر الله على طريق عطف الخاص على العام إظهارًا لشرفها.

قوله: (وإنما جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام)... الخ. جواب عما يقال من أنه تعالى أمر أولًا بالاجتناب عن الأمور الأربعة جميعًا، ثم اقتصر على ذكر ما يوجب الاجتناب عن الخمر والميسر فقط، فما الحكمة في ذلك؟

وتقرير الجواب: أن الآية نزلت لنهي المؤمنين عما ألقوه من تعاطي الخمر والميسر، وليس من شأنهم عبادة الأصنام والاستقسام بالأزلام، وإنما ضمّ الأنصاب والأزلام إلى الخمر والميسر تأكيدًا لقبح الخمر والميسر، وإظهارًا لأن هذه الأربعة متقاربة في القبح والمفسدة، فلما كان المقصود من الآية نهى المؤمنين عن تناول الخمر والميسر، لا جرم أفردهما بالذكر في آخر الآية، واقتصر على بيان ما يوجب الاجتناب عنهما، ولم يتعرّض لذكر الأنصاب والأزلام ثانيًا؛ إذ ليسا مقصودين بالأمر بالاجتناب عنهما حتى يبيّن ما يوجب ذلك الاجتناب.

قوله: (من أبلغ ما ينهى به) لدلالة الفاء على أنه قد ثبت الصوارف عنهما وتليت وجوه الفساد فيهما، ودلالة سوق الكلام على أن العاقل إذا خلّي ونفسه بعدما تلي عليه ينبغي أن لا يتوقّف في الانتهاء، ولما في الجملة الاسمية بعد هل

الصوارف والزواجر فهل أنتم مع هذه الصوارف مُنتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا!.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ (٩٢)

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾ (وكونوا حذرين) خاشعين لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن ذلك ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ أي فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول لأنه ما كُلف إلا البلاغ المبين بالآيات، وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كُلفتموه. ونزل فيمن تعاطى شيئاً من الخمر والميسر قبل التحريم.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٣)

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ أي شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار قبل تحريمهما ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ الشُّرك ﴿وَأَامَنُوا﴾ بالله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بعد الإيمان ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ الخمر والميسر بعد التحريم ﴿وَأَامَنُوا﴾ بتحريمهما ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ سائر المحرمات، أو الأول عن الشُّرك والثاني عن المحرمات والثالث عن الشُّبهات ﴿وَأَحْسَنُوا﴾ إلى الناس ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَبِئْسَ مَا كَفَرُ الْبَشَرِ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ أَعَدَّكَ بِدَلِيلٍ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٩٤)

ولما ابتلاهم الله بالصيد (عام الحديدية) وهم مُحرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده أخذوا بأيديهم وطعنًا برماحهم نزل ﴿يَا أَيُّهَا

الاستفهامية المقتضية للفعل من كمال الدلالة على طلب الانتهاء حتى كأنه ثبت وتحقق. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (وكونوا حذرين) يعني أنه على ترك المفعول وتنزيل منزلة اللازم.

قوله: (عام الحديدية) أي السنة السادسة من الهجرة في هلال ذي القعدة. وفي معجم ما استعجم: الحجازيون يخففونها، والعراقيون يثقلونها، ذكر ذلك ابن

الَّذِينَ ءَامَنُوا يَتْلَوْنَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ وَمَعْنَى يَبْلُو يَخْتَبِرُ وَهُوَ مِنْ اللَّهِ لِإظهار ما علم من العبد على ما علم لا لعلم ما لم يعلم، و«من» للتبعيض إذ لا يحرم كل صيد أو لبيان الجنس ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ ليعلم الله خوف الخائف منه بالامتناع عن الاصطياد موجودًا كما كان يعلم قبل وجوده أنه يوجد لثيبه على عمله لا على علمه فيه ﴿فَمَنْ أَعَدَّى﴾ فصاد ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الابتلاء ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قُلْ في قوله: «بشيء» من الصيد ليعلم أنه ليس من الفتن العظام «وتناله» صفة لـ «شيء».

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعِدًّا فَجَزَاءٌ مِمَّا قَتَلَ مِنْ النَّعَرِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بُلُغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقُصْ اللَّهَ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ﴾ أي المصيد إذ القتل إنما يكون فيه ﴿وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ أي مُحَرَّمُونَ (جمع حرام كروح في جمع رداح) في محل النصب على الحال من ضمير الفاعل في «تقتلوا» ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعِدًّا﴾ حال من ضمير الفاعل أي

المديني في كتاب الطلّ والشواهد. وكذلك الجعرانة والحديبية قرية سُمّيت ببئر هناك عند مسجد الشجرة بين الحديبية والمدينة تسع مراحل، بينها وبين مكة مرحلة. قيل: هي من الحرم، وقيل: بعضها من الحرم. قال المُحَبِّ الطبري: هي قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرم، وهي على تسعة أميال من مكة. وفي شفاء الغرام: ومسجد الشجرة بالحديبية، والشجرة المنسوب إليها هذا المسجد هي الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان، وكانت هذه الشجرة سمرة معروفة عند الناس، وهذا المسجد عن يمين طريق جدّة، وهو المسجد الذي يزعم الناس أنه الموضع الذي صلى فيه رسول الله ﷺ وأصحابه، وثمة مسجد آخر، وهذان المسجدان والحديبية لا تعرف اليوم، والله أعلم بذلك. قوله: (جمع حرام) بمعنى محرم وإن كان في الحلّ ولمن كان في الحرم وإن كان حلالاً وهما سيّان في النهي عن قتل الصيد. قوله: (كروح) بضمّتين (في جمع رداح) وهي الضخمة الثقيلة امرأة كانت أو كتيبة أو جفنة.

ذاكِراً لإحرامه أو عالمًا أن ما يقتله مما يحرم قتله عليه، فإن قتله ناسيًا لإحرامه أو رمى صيدًا وهو يظن أنه ليس بصيد فهو مخطيء. وإنما شرط التعمد في الآية مع أن محظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ، لأن مورد الآية فيمن تعمد، فقد رُوِيَ أنه (عَنْ) لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه (أبو اليسر) فقتله فقيل له: إنك قتلت الصيد وأنت مُحْرِم فتزلت. ولأن الأصل فِعْل المتعمد والخطأ

قوله: (عَنْ) أي عرض. وقوله: (أبو اليسر) قيل: الصواب أبو قتادة. اهـ. تفتازاني رحمه الله. وفي حاشية تفسير البضاوي للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب. قوله: (وطعنه أبو اليسر)... الخ. قالوا: إنما هو أبو قتادة ؓ، كما في الصحيحين من روايته، وهو الذي فعل ذلك، وقد تبع المصنف رحمة الله عليه فيه الكشف. وقال الطيبي: إنه ليس في شيء من الأصول، يعني أصول كتب الحديث. اهـ. قوله: (أبو اليسر) - بياء وسين مهملة مفتوحين وراء - هو كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن شاردة بن يزيد بن جُشم بن الخزرج الأنصاري السلمي، صحابي جليل شهد العقبة وشهد بدرًا، وهو ابن عشرين^(١) سنة، وقيل: إنه قتل منبه بن الحجاج السهمي، وهو الذي أسر العباس بن عبد المطلب يوم بدر، وكان قصير، وهو آخر من مات بالمدينة، فيمن شهد بدرًا مات سنة خمس وخمسين، وقد زاد على المائة؛ كذا أفاده الحافظ ابن حجر العسقلاني في تقريب التهذيب. وأفاد في تهذيب التهذيب: وذكر العسكري أنه شهد مع عليٍّ مشاهدته، وأنه مات وله عشرون ومائة سنة. اهـ. روى عنه ابنه عمار وموسى بن طلحة ؓ.

قوله: (أبو قتادة) الأنصاري، اسمه الحارث بن ربيعي بن بلدمة بن خناس بن عبيد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد الأنصاري الخزرجي السلمي، فارس رسول الله ﷺ، وقيل: اسمه النعمان، قاله الكلبي وابن إسحاق. اختلف في شهوده بدرًا، فقال بعضهم: كان بدرًا، ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحاق في البدرين، وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد كلها، وتوفي سنة أربع وخمسين بالمدينة في قول، وقيل: توفي بالكوفة في خلافة عليٍّ رضي الله تعالى عنهما.

(١) كذا في تهذيب التهذيب للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني، وكتاب الجمع بين رجال الصحيحين من كتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الأصبهاني. ١٢ منه عم فيضهم.

مُلْحَقٌ بِهِ لِلتَّغْلِيظِ . وَعَنِ (الزَّهْرِيِّ) : نَزَلَ الْكِتَابُ بِالْعَمْدِ وَوَرَدَتِ السُّنَّةُ بِالْخَطَأِ . ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قُتِلَ﴾ (كُوفِي) أَيِ فَعْلِيهِ جَزَاءٌ يُمَاطِلُ مَا قُتِلَ مِنَ الصَّيْدِ وَهُوَ قِيَمَةُ الصَّيْدِ يُقَوِّمُ حَيْثُ صِيدَ ، فَإِنْ بَلَغَتْ قِيَمَتُهُ ثَمَنَ هَذِي خَيْرٌ بَيْنَ أَنْ يَهْدِيَ ﴿مِنْ أَلْتَمَرِ﴾ مَا قِيَمَتُهُ قِيَمَةُ الصَّيْدِ ، وَبَيْنَ أَنْ يَشْتَرِيَ بِقِيَمَتِهِ طَعَامًا (فَيُعْطِي كُلَّ مَسْكِينٍ نِصْفَ صَاعٍ مِنْ بَرٍّ أَوْ صَاعًا مِنْ غَيْرِهِ ، وَإِنْ شَاءَ صَامَ عَنْ طَعَامِ كُلِّ مَسْكِينٍ يَوْمًا) .

قوله: (الزهري) ، هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، أبو بكر القرشي الزهري المدني ، سكن الشام وكان بأيلة ، ويقولون تارة: الزهري ، وتارة ابن شهاب ينسبونه إلى جدِّ جدِّه ، هو تابعي صغير . سمع أنس بن مالك ، وسهل بن سعد ، والسائب بن يزيد ، وشبيبًا أبا جميلة ، وعبد الرحمن بن أذهر ، وربيعه بن عباد - بكسر العين وتخفيف الباء - ومحمود بن الربيع ، وعبد الله بن ثعلبة بن صغير ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وأبا أمانة أسعد بن سهل بن حنيف ، وأبا الطفيل ، ورجلاً من بلى له صحبة؛ وهؤلاء كلهم صحابة . ورأى ابن عمر ، وسمع خلائق من كبار التابعين وأئمتهم . روى عنه خلائق من كبار التابعين وصغارهم ، ومن أتباع التابعين ، ومن شيوخه ومناقبه والثناء عليه وعلى حفظه أكثر من أن يُحصَر . توفي ليلة الثلاثاء سبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، ودُفِنَ بقرية له بأطراف الشام يقال لها: شغبدا - بشين مفتوحة وغين ساكنة معجمتين وبياء موحدة مفتوحة ثم دال مهملة مفتوحة مخففة .

قوله: (فجزاء) بالتنوين والرفع على الابتداء والخبر محذوف ﴿مِثْلُ مَا قُتِلَ﴾ برفع اللام صفة لجزاء . (كُوفِي) أَيِ عَاصِمٍ وَحِمَازَةٍ وَالْكَسَائِيَّ وَخَلْفَ ، وَكَذَا يَعْقُوبُ الْبَصْرِيُّ . **قوله: ﴿مِنْ أَلْتَمَرِ﴾** أَيِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ .

قوله: (فيعطي كل مسكين نصف صاع من برٍّ أو صاعًا من غيره) من شعير ونحو ذلك ، ويعطي ما قُضِلَ مِنْ إِعْطَاءِ كُلِّ مَسْكِينٍ إِنْ كَانَ أَقَلَّ مِنْ نِصْفِ صَاعٍ لِمَسْكِينٍ آخَرَ . (وَإِنْ شَاءَ صَامَ عَنْ طَعَامِ كُلِّ مَسْكِينٍ يَوْمًا) ، وَكَذَا عَنْ الْفَاضِلِ مِنْهُ ، وَإِنْ قَلَّ مِنْ نِصْفِ صَاعٍ ، فَيَصُومُ يَوْمًا كَامِلًا لِعَدَمِ تَصَوُّرِ تَجَزُّؤِ الصَّوْمِ فِي أَقَلِّ مِنَ الْيَوْمِ .

وعند (محمد) والشافعي رحمهما الله تعالى مثله نظيره من النعم، فإن لم يوجد له نظير من النعم فكما مرّ.

(﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ﴾ على الإضافة: غيرهم) وأصله فجزاء مثل ما قتل أي فعلية أن يجزى مثل ما قتل، ثم أضيف كما تقول: «عجبت من ضرب زيدًا ثم من ضرب زيد». ﴿مِنَ النَّعْمِ﴾ (حال من الضمير في «قتل») إذ المقتول يكون من النعم أو صفة لـ «جزاء» ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ بمثل ما قتل ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ حَكَمَانِ عادِلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وفيه دليل على أن المثل القيمة لأن التقويم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء المُشَاهِدَة، ولأن المثل المطلق في الكتاب والسنة والإجماع مقيد بالصورة والمعنى، أو بالمعنى لا بالصورة، أو بالصورة بلا معنى، ولأن القيمة أُريدت فيما لا مثل له صورة إجماعًا فلم يَبْقَ غيرها مُرادًا إذ لا عموم للمشترك. فإن قلت: قوله «من النعم» يُنافي تفسير المثل بالقيمة. قلت: من أوجب القيمة خَيْرٌ بين أن يشتري بها هَدِيًّا أو طعامًا أو يصوم كما خَيْرَ الله تعالى في الآية، فكان من النعم بيانًا للهدّي المشتري بالقيمة في أحد وجوه التخيير، لأن مَنْ قُوِّمَ الصيد واشترى بالقيمة هَدِيًّا فأهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم، على أن التخيير الذي في الآية بين أن يُجزى بالهدي أو يكفر بالطعام أو الصوم، إنما يستقيم إذا قُوِّمَ ونظر بعد التقويم أي الثلاثة يختار، فأما إذا عمد إلى النظر وجعله الواجب وحده من غير تخيير، فإذا كان شيئًا لا نظير له قُوِّمَ حينئذ ثم يُخَيَّرُ بين الطعام والصيام، ففيه (نبؤ) عما في الآية ألا ترى إلى قوله: ﴿أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامًا﴾

قوله: (محمد) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني صاحب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما، مات بالرّي سنة تسع وثمانين ومائة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

قوله: (﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ﴾) برفع جزاء من غير تنوين، مثل بخفض اللام (على الإضافة) أي على طريق إضافة المصدر إلى المفعول (غيرهم). **قوله:** (حال من الضمير في قتل)... الخ. هكذا ذكره أبو البقاء رحمه الله. أي حال من عائد الموصول المحذوف، فإن التقدير: فجزاء مثل الذي قتله حال كونه من النعم، وهذا وهم؛ لأن الموصوف بكونه من النعم إنما هو جزاء الصيد المقتول. وأما الصيد نفسه، فلا يكون النعم، كذا في السمين. **قوله:** (نبؤ) أي بُعد.

مَسْكِينَ أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا ﴿٩٥﴾ كيف خُيِّرَ بين الأشياء الثلاثة ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم ﴿هَذَا﴾ حال من الهاء في «به» أي يحكم به في حال الهدي ﴿بَلِّغِ الْكَعْبَةَ﴾ صفة لـ «هدياً» (لأن إضافته) غير حقيقية. ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم، فأما التصديق به فحيث شئت. وعند الشافعي رحمته الله: في الحرم ﴿أَوْ كَفَّرَهُ﴾ معطوف على «جزاء» ﴿طَعَامٍ﴾ بدل من «كفارة» أو خبر مبتدأ محذوف أي هي طعام. «أو كفارة طعام» على الإضافة: (مدني وشامي). وهذه الإضافة لتبيين المضاف كأنه قيل: أو كفارة من طعام ﴿مَسْكِينَ﴾ كما تقول «خاتم فضة» أي خاتم من فضة ﴿أَوْ عَدَلَ﴾ (وقرئ بكسر العين). قال (الفراء): العدل ما عادل الشيء من غير جنسه كالصوم والإطعام، والعدل مثله من جنسه ومنه «عدلا الحمل». يقال: «عندي غلام عدل غلامك» بالكسر إذا كان من جنسه، فإن أريد أن قيمته كقيمته ولم يكن من جنسه قيل: «هو عدل غلامك» بالفتح ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الطعام ﴿صِيَامًا﴾ تمييز نحو «لي مثله رجلاً» والخيار في ذلك إلى القاتل، وعند محمد رحمته الله إلى الحكمين ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ متعلق بقوله: «فجزاء» أي فعلية أن يُجَازَى أو يكفر ليدوق سوء عقاب عاقبة هتكه لحُرمة الإحرام. والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ

قوله: (لأن إضافته) غير حقيقة علّة لجواز أن توصف النكرة بالمضاف إلى المعرفة، فإن إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله إضافة لفظية لا تفيد تعريفاً للمضاف، فجاز أن يكون المضاف صفة للنكرة؛ كما في قوله تعالى: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّطَرّاً﴾ [الأحقاف: الآية ٢٤]، وبالع اسم فاعل أضيف إلى مفعوله، والأصل بالغاً للكعبة أضيف إلى مفعوله ليحصل التخفيف بحذف التنوين. قوله: ﴿أَوْ كَفَّرَهُ﴾ (بغير تنوين ﴿طَعَامٍ﴾) بالخفض على الإضافة (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وشامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون بالتنوين، ورفع طعام. قوله: (وقرئ بكسر العين) قارئه ابن عباس وطلحة بن مصرف والجحدري. قوله: (الفراء) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي الدليمي الكوفي، كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالثحو واللغة وفنون الأدب، وكان الإمام محمد بن الحسن الفقيه ابن خالة الفراء، وكان الفراء يميل إلى الاعتزال، توفي سنة سبع ومائتين في طريق مكة، وعمره ثلاث وستون سنة رحمه

أَخَذًا وَيَلًا ﴿[المزمل: الآية ١٦] أَي ثَقِيلًا شَدِيدًا. وَالطَّعَامُ الْوَبِيلُ الَّذِي يَثْقُلُ عَلَى الْمَعْدَةِ (فَلَا يَسْتَمِرُّ). ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ لَكُمْ مِنَ الصَّيْدِ قَبْلَ التَّحْرِيمِ ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إِلَى قَتْلِ الصَّيْدِ بَعْدَ التَّحْرِيمِ أَوْ فِي ذَلِكَ الْإِحْرَامِ ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ بِالْجَزَاءِ وَهُوَ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ (فَهُوَ يَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ) ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ بِالْإِزَامِ الْأَحْكَامِ ﴿ذُو أَنْتِقَامٍ﴾ لَمَنْ جَاوَزَ حُدُودَ الْإِسْلَامِ.

﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَّعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَأَنْذَرُا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ﴾ (مَصِيدَاتِ الْبَحْرِ) مِمَّا يُؤْكَلُ وَمِمَّا لَا يُؤْكَلُ ﴿وَطَعَامُهُ﴾ وَمَا يَطْعَمُ مِنْ صَيْدِهِ. وَالْمَعْنَى: أَحَلَّ لَكُمْ الْإِنْتِفَاعَ بِجَمِيعِ مَا يُصَادُ فِي الْبَحْرِ، وَأَحَلَّ لَكُمْ أَكْلَ الْمَأْكُولِ مِنْهُ وَهُوَ السَّمَكُ وَحَدَهُ ﴿مَتَّعًا لَكُمْ﴾ مَفْعُولٌ لَهُ أَيَّ أَحَلَّ لَكُمْ تَمَتُّعًا لَكُمْ ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ وَلِلْمَسَافِرِينَ. وَالْمَعْنَى: أَحَلَّ لَكُمْ طَعَامَهُ (تَمَتُّعًا لَتَنَائِكُمْ) يَأْكُلُونَهُ

الله تعالى. والفراء - بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة - وإنما قيل له فراء، ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعه، لأنه كان يفري الكلام، ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب الأنساب، وعزاه إلى كتاب الألقاب. قوله: (فلا يستمر) أي لا يجده مريثاً، أي الذي لا يسرع هضمه. قوله: (فهو ينتقم الله منه) قدر المبتدأ؛ لأن كلمة مَنْ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ شرطية، وقوله: ﴿فَيَنْتَقِمُ﴾ جزء الشرط، والجملة الفعلية الجزائية لا تحتاج في ارتباطها بالشرط إلى الفاء الجزائية، فلو قيل: من يكرمني فأكرمه، فكانت الفاء لغواً ضائعاً بخلاف الجملة الاسمية، فإنها لا تقع جزء إلا مصدرة بالفاء، فقدر المبتدأ في الآية لثلاً تفسر الفاء الجزائية لغواً.

قوله: (مصيدات البحر) يشير إلى أن الصيد والطعام بمعنى المفعول وضمير طعامه للصيد، ومعنى إحلال الصيد إحلال الانتفاع به، وبإحلال مطعمه إحلال أكله على حذف المضاف، والظاهر أن هذا من عطف الخاص على العام. قوله: (تمتعاً لتنائكم) قدر المضاف في لكم ليخرج عطف وللسيارة من عطف البعض على الكل، والتناء المقيمون جمع تان من تنى بالبلد إذا أقام به. اهـ فتتازاني ﷺ. وفي المصباح: تنأ بالبلد يتنأ مهموز بفتحهما تنوأ أقام به واستوطنه، وتنأ تنوأ أيضاً

طريقاً ولسيارتكم يتزوّدونه (قديداً) كما تزوّد موسى عليه السلام الحوت في مسيره إلى الخضر. ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ﴾ ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات كالبط فإنه بزي لأنه يتولّد في البر والبحر له مرعى كما للناس متجر ﴿مَا دُمْتُ حُرُمًا﴾ مُحْرَمِينَ ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ﴾ في الاصطياد في الحرم أو في الإحرام ﴿الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تُبْعَثُونَ فيجزيكم على أعمالكم.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدِ ذَلِكَ لِيَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾ (٩٧)

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ﴾ (أي صير) ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ بدل أو عطف بيان ﴿قِيَمًا﴾ مفعول ثانٍ أو «جعل» بمعنى «خلق» و«قياما» حال ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي (انتعاشاً لهم) في أمر دينهم ونهوضاً إلى أغراضهم في معاشهم ومَعَادِهِمْ لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وأنواع منافعهم. قيل: لو تركوه عاماً لم ينظروا ولم يؤخروا ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ والشهر الذي يؤدي فيه الحج وهو ذو الحجة لأن في اختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأنًا قد علمه الله، أو أريد به (جنس الأشهر الحرم) وهي (رجب) وذو القعدة وذو الحجة والمحرم. ﴿وَالْهَدْيَ﴾ ما يُهْدَى إلى مكة ﴿وَالْقَلْبَدِ﴾ والمقلّد منه خصوصاً وهو (البدن) فالشوا به أكثر وبهاء الحج معه أظهر ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى جعل الكعبة قياماً أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة

استغنى وكثر ماله، فهو تانيء والجمع ثناء، مثل كافر وكفار، والاسم التناءة بالكسر والمدّ، وربما خفف، فقل: تنا بالمكان فهو تانٍ، كقوله:

شيخاً يظل الحجاج الثمانيا ضيفاً ولا تلقاه إلا تانياً
اهـ. قوله: (قديداً) القديد: اللحم المقدّد.

قوله: (أي صير) يعني أن جعل هلهنا بمعنى صير فيتعدى إلى مفعولين أولهما الكعبة، والثاني قياماً. قوله: (انتعاشاً لهم) أي ارتفاعاً لهم من الضعف، يقال: نعشه الله نعشاً، أي رفعه، وانتعش العاثر إذا نهض من عثرته. قوله: (جنس الأشهر الحرم) على أن اللام لتعريف الجنس وينصرف إلى الكل لانتفاء قرينة البعضية على الأول للعهد بدلالة حال العرف. قوله: (رجب) منصرف. قوله: (البدن) بضمّتين وإسكان الدال تخفيف جمع بدنة. قوله: (ذَلِكَ) في محل

الإحرام بترك الصيد وغيره ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي لتعلموا أن الله يعلم مصالح ما في السموات وما في الأرض وكيف لا يعلم وهو بكل شيء عليم.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٩٨)

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لَمَنْ استخفَّ بالحرم والإحرام ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لَأَثَامٍ مِنْ عَظَمَ المشاعر العظام ﴿رَحِيمٌ﴾ بالجاني المُلْتَجِئِ إِلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ.

التَّصَبُّ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ فَعَلَ مُقَدَّرٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ، أَي شَرَعَ اللَّهُ ذَلِكَ، وَبَيْنَ لَامِ الْعِلَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَتَعْلَمُوا﴾ مُتَعَلِّقٌ بِذَلِكَ الْفِعْلِ الْمَقْدَّرِ، وَتَعْلَمُوا مَنْصُوبٌ بِإِضْمَارِ أَنْ بَعْدَ لَامِ كَيَ، وَالْوَجْهَ فِي كَوْنِ جَعْلِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ قِيَامًا لِمَصَالِحِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا مُؤَدِّيًا إِلَى عِلْمِنَا بِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، أَوْ فِي كَوْنِ مَا ذَكَرَ مِنَ الْأَمْرِ بِحِفْظِهِ حُرْمَةِ الْإِحْرَامِ بِتَرْكِ الصَّيْدِ وَغَيْرِهِ مُؤَدِّيًا إِلَى عِلْمِنَا بِذَلِكَ أَنَّا قَدْ عِلْمْنَا بِسَبَبِ أَنَّ بَيَّنَّ اللَّهُ أَنَّ وَجْهَ الْحُكْمِ فِي شَرْعٍ مَا شَرَّعَهُ مِنَ الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْإِحْرَامِ وَمَنَاسِكَ الْعِبَادَاتِ وَمَوَاقِفِهَا أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا عَلِمَ فِي الْأَزْلِ أَنَّ مُقْتَضَى طَبَائِعِ الْعَرَبِ الْحَرَصَ الشَّدِيدَ عَلَى الْقَتْلِ وَالْغَارَةِ، وَعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الْحَالَةَ لَوْ دَامَتْ لَهُمْ لَعَجَزُوا عَنْ تَحْصِيلِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي مَعَاشِهِمْ، وَأَذَى ذَلِكَ إِلَى فَنَائِهِمْ وَانْقِرَاضِهِمْ بِالْكَلْيَةِ دَبَّرَ فِي ذَلِكَ تَدْبِيرًا لَطِيفًا، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى أَلْقَى فِي قُلُوبِهِمْ تَعْظِيمَ الْبَيْتِ وَتَعْظِيمَ مَنَاسِكَه، فَصَارَ ذَلِكَ سَبَبًا لِحَصُولِ الْأَمْنِ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَقَدِّرُوا بِذَلِكَ عَلَى تَحْصِيلِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَفِي ذَلِكَ الْبَلَدِ، فَاسْتَقَامَ بِذَلِكَ مَصَالِحُ مَعَاشِهِمْ، وَهَذَا التَّدْبِيرُ لَا يُمْكِنُ إِلَّا إِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى عَالِمًا فِي الْأَزْلِ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ مِنَ الْكَلِّيَّاتِ وَالْجَزَائِيَّاتِ، وَكَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا، وَمَنْ الْبَيِّنُ أَنَّ إِتْقَانَ الْفِعْلِ وَإِحْكَامَهُ وَكَوْنَهُ عَلَى وَفْقِ الْمَصَالِحِ وَمُقْتَضَى الْحُكْمِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى كَمَالِ عِلْمِ الْفَاعِلِ، وَأَيُّ فِعْلٍ يَكُونُ أَتَقَنَ وَأَحْكَمَ مِنْ إِقَاءِ تَعْظِيمِ الْكَعْبَةِ فِي قُلُوبِ الْعَرَبِ وَجَعْلِهِ سَبَبًا لِدَفْعِ الْمَضَارِّ قَبْلَ وَقُوعِهَا وَجَلْبِ الْمَنَافِعِ الْمُرْتَبَةِ عَلَى مَا شَرَعَ مِنَ الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا، فَعِلْمُنَا بِذَلِكَ أَنَّ صَانِعَ الْعَالَمِ عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ.

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَعُ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (٩٩)

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَعُ﴾ تشديد في إيجاب القيام بما أمر به، وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في (التفريط) ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ فلا يخفى عليه نفاقكم ووفاقكم.

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ أَلْبَابٍ لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠٠)

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ لما أخبر أنه يعلم ما يبذون وما يكتمون ذكر أنه لا يستوي خبيثهم وطيبهم بل يميز بينهما، فيعاقب الخبيث - أي الكافر - ويثيب الطيب - أي المسلم - ﴿(وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ) فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وآثروا الطيب وإن قلَّ على الخبيث وإن كثر. وقيل: هو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وجيّد الناس ورديّهم. ﴿يَتَأُولَىٰ أَلْبَابٍ﴾ أي العقول الخالصة ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ كانوا يسألون النبي ﷺ عن أشياء امتحاناً فنزل:

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُوهَا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدِّلُ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٠١)

﴿أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ (١٠٢)

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ قال (الخليل) وسيبويه وجمهور البصريين: أصله «شيء» بهمزتين بينهما ألف وهي فعلاء من لفظ شيء وهمزتها

قوله: (التفريط) التقصير.

قوله: ﴿(وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ)﴾ قرّر أن أهل الدنيا يُعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا ومطمح نظرهم الكثرة دون الجودة، والأمر بالعكس. وجواب لو في قوله تعالى: ﴿(وَلَوْ أَعْجَبَكَ)﴾ محذوف، أي ولو أعجبك كثرة الخبيث لما استوى مع الطيب وإن قلَّ، ومعنى الإعجاب السرور بما يتعجب به، يقال: أعجبني أمر كذا، أي سرّني.

قوله: (الخليل) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، كان إماماً في علم النحو، وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود،

الثانية للتأنيث ولذا لم تنصرف كـ «حمراء» وهي مفردة لفظاً جمع معنى، ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان قدّمت الأولى التي هي لام الكلمة فجعلت قبل الشين فصار وزنها «لفعاء»، والجمله الشرطية والمعطوفة عليها أي قوله: ﴿إِنْ بُدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ بُدَّ لَكُمْ﴾ صفة لـ «أشياء» أي وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول (بين أظهركم) «تبد لكم» تلك التكاليف التي تسوؤكم أي تغممكم وتشقّ عليكم وتؤمرون بتحملها فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا إلى مثلها ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ حَلِيمٌ﴾ لا يعاقبكم إلا بعد الإنذار. (والضمير في ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ لا يرجع إلى «أشياء») حتى يُعَدَى بـ «عن» بل يرجع إلى المسألة التي دلت عليها «لا تسألوا» أي قد سأل هذه المسألة ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ من الأولين ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا﴾ صاروا بسببها ﴿كَافِرِينَ﴾ كما عرف في بني إسرائيل.

وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً ثم زاد فيه الأخفش بحراً واحداً وسمّاه الخبب، قيل: إن الخليل دعا بمكة أن يُرزق علماً لم يسبقه أحداً إليه، ولا يؤخذ إلا عنه، فلما رجع من حجّه فتح عليه بعلم العروض، وكان الخليل رجلاً صالحاً عاقلاً حليماً وقوراً، ومن كلامه: لا يعلم الإنسان خطأ معلمه حتى يجالس غيره، وللخليل من التصانيف: كتاب العين في اللغة وهو مشهور، وكتاب العروض، وكتاب الشواهد، وكتاب النقط والشكل، وكتاب النغم، وكتاب في العوامل، وأخباره كثيرة وعنه أخذ سيبويه علوم الأدب، ويقال: إن أبا أحمد أول من سمّي بأحمد بعد رسول الله ﷺ، كذا ذكره المرزباني في كتاب المقتبس نقلاً عن أحمد بن أبي خيثمة، وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة، وتوفي سنة سبعين، وقيل: خمس وسبعين ومائة، وقيل: عاش أربعاً وسبعين سنة رحمه الله تعالى. قوله: (بين أظهركم) بمعنى بينكم. قوله: (والضمير في ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ لا يرجع إلى «أشياء»). الخ. جواب عما يقال فعل المسألة لا يتعدى إلى المفعول به بنفسه، بل يتعدى إليه بكلمة عن، فكيف قيل: سألها ولم يقل سأل عنها؟ كما قال أولاً: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾.

وتقرير الجواب: أن ضمير سألها ليس راجعاً إلى الأشياء التي يسألون عنها وعن أحوالها، بل إلى مسائلهم عن تلك الأشياء، فيكون الضمير في موضع المصدر.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَرَّهُمْ لَا يَقُولُونَ﴾ (١٠٣)

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ﴾ كان أهل الجاهلية (إذا نتجت الناقة) خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذننها أي شقوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واسمها البحيرة. وكان يقول الرجل: (إذا قُيِّمَتْ) من سفري أو (برئت) من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها. وقيل: كان الرجل إذا أعتق عبداً قال: هو سائبة (فلا عقل) بينهما ولا ميراث. وكانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن فإذا كان السابع ذكراً أكله الرجال، وإن كان أنثى أرسلت في الغنم، وكذا إن كان ذكراً وأنثى وقالوا: أوصلت أخاها فالوصيلة بمعنى الواصلة. وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى. (ومعنى ﴿مَا جَعَلَ﴾ ما شرع ذلك ولا أمر به) ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بتحريمهم ما حرموا ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في نسبتهم هذا التحريم إليه ﴿وَكَرَّهُمْ لَا يَقُولُونَ﴾ أن الله لم يحرم ذلك وهم عوامهم.

قوله: (إذا نتجت الناقة) على بناء ما لم يُسم فاعله، يقال: نتجت الناقة تنتج إنتاجاً، أي نتجها أهلها نتجاً، أي ولي أهلها نتاجها حتى وضعت فأهلها ناتج، والناتج للبهائم بمنزلة القابلة للنساء، والأصل نتجها أهلها ولداً على أن ضمير الناقة مفعول أول وولداً مفعول ثان، وإذا بُني^(١) للمفعول الأول قيل: نتجت ولداً بإسناد الفعل إلى مفعوله الأول، وترك الثاني منصوباً، فأهلها تصيرها واضعة لولدها، وكانت هي مصيرة واضعة الولد. قوله: (إذا قُيِّمَتْ) من باب تَعَب. قوله: (برئت) من بابي نفع وتعب. قوله: (فلا عقل) أي دية. قوله: (ومعنى ﴿مَا جَعَلَ﴾ ما شرع ذلك ولا أمر به)، يعني أن جعل قد يستعمل بمعنى خلق؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام: الآية ١]، وبمعنى صير كما في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ

(١) على لفظ المبني للمفعول مسند إلى المفعول الأول، أي وضعت. وفي قوله: وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن أسند إلى المفعول الثاني وترك الأول. اهـ التفازاني رحمه الله. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۖ تَالَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ أي هلموا إلى حكم الله ورسوله بأن هذه الأشياء غير محرمة ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ (أي كافينا) ذلك، «حسبنا» مبتدأ والخبر «ما وجدنا» وما بمعنى «الذي» والواو في ﴿أُولَؤُ كَانُوا آبَاؤُهُمْ﴾ للحال قد دخلت عليها همزة الإنكار وتقديره: أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ أي الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِيمَنِّيْتُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ انتصب «أنفسكم» بـ «عليكم» وهو من أسماء الأفعال أي الزموا إصلاح أنفسكم. والكاف والميم في «عليكم» في موضع جر لأن اسم الفعل هو الجار والمجرور لا على وحدها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ رفع على الاستئناف، أو جزم على جواب الأمر، وإنما ضمت الراء إتباعاً لضمّة الضاد ﴿مَن ضَلَّ﴾

الْكُفَّةَ أَلْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: الآية ٩٧]، ولا يصح أن يكون جعل في هذه الآية بمعنى خلق؛ لأن الله تعالى هو الذي خلق الأشياء كلها، ولا بمعنى صير؛ لأن بدله من مفعول ثانٍ، وهو ليس بمذكور في الآية، بل بمعنى سنّ وشرع، أي ما سنّ الله ولا شرع شيئاً من هذه الأشياء.

قوله: (أي كافينا) يعني أن حسبنا في الأصل مصدر استعمل بمعنى اسم الفاعل.

قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ (رفع على الاستئناف) على قراءة الجمهور: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ بضم الراء المشددة على أنه كلام مستأنف سيق للإخبار بذلك، (أو جزم على جواب الأمر) وأصله على التقديرين: لا يضرركم، فنقلت ضمة الراء الأولى إلى الضاد قبلها لقصد إدغامها في الراء الثانية، فاجتمع ساكتان، فحرّكت الراء الثانية بالضمّ إتباعاً لضمّة الضاد، فأدغمت الأولى فيها، فصار: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾.

صَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴿١٠٥﴾ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ تَذْهَبُ أَنْفُسُهُمْ حَسْرَةً عَلَى أَهْلِ الْعِنَادِ مِنَ الْكُفَرَةِ يَتَمَتُّونَ دُخُولَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ فَقِيلَ لَهُمْ: عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ وَمَا كُلفْتُمْ مِنْ إِصْلَاحِهَا لَا يَضُرُّكُمْ الضُّلَالُ عَنْ دِينِكُمْ إِذَا كُنْتُمْ مُهْتَدِينَ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ تَرْكُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَإِنْ تَرَكْتُمَا مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِمَا لَا يَجُوزُ. ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ رَجُوعَكُمْ ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ثُمَّ يَجْزِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

رُويَ أَنَّهُ خَرَجَ (بَدِيل - مولى عمرو بن العاص) وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ - مَعَ (عَدِي) وَ(تَمِيم) - وَكَانَا نَصْرَانِيَيْنِ - إِلَى الشَّامِ، فَمَرَضَ بَدِيلَ وَكُتِبَ كِتَابًا فِيهِ مَا مَعَهُ وَطَرَحَهُ فِي مَتَاعِهِ وَلَمْ يُخْبَرْ بِهِ صَاحِبِيهِ، وَأَوْصَى إِلَيْهِمَا بِأَنْ يَدْفَعَا مَتَاعَهُ إِلَى أَهْلِهِ.

قَوْلُهُ: (بَدِيل) - بَضْمُ الْبَاءِ وَفَتْحُ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ - ابْنُ مَارِيَةَ (مولى عمرو بن العاص) السَّهْمِيُّ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ الْأَثَمَةُ فِي كِتَابِهِمْ بَزِيل - بَضْمُ الْبَاءِ وَالزَّي - (وَقَوْلُهُ: عمرو بن العاص) بن وائل السَّهْمِيُّ الصَّحَابِيُّ الْمَشْهُورُ. وَالْجُمْهُورُ عَلَى كِتَابَةِ الْعَاصِي بِالْيَاءِ، وَهُوَ الْفَصِيحُ عِنْدَ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ، وَيَقَعُ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ وَأَكْثَرَهَا بِحَذْفِ الْيَاءِ، وَهِيَ لُغَةٌ. وَقَدْ قُرِئَ فِي السَّبْعِ نَحْوُهُ؛ كَالْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ وَالِدَاعِ وَنَحْوَهُمَا، هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَيُقَالُ: أَبُو مُحَمَّدٍ، أَسْلَمَ عَامَ خَيْبَرَ أَوَّلَ سَنَةِ سَبْعٍ، وَقِيلَ: أَسْلَمَ فِي صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانَ قَبْلَ الْفَتْحِ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. وَوُلِّيَ إِمْرَةً مِصْرَ مَرَّتَيْنِ، وَهُوَ الَّذِي فَتَحَهَا. مَاتَ بِمِصْرَ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ، وَكَانَ عَمْرُهُ سَبْعِينَ سَنَةً. رُويَ لَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ حَدِيثًا، اتَّفَقًا عَلَى ثَلَاثَةِ، وَلِمُسْلِمٍ حَدِيثَانِ، وَلِلْبُخَارِيِّ بَعْضُ حَدِيثٍ. رَوَى عَنْهُ أَبُو عَثْمَانَ التَّهْدِيدِيُّ، وَقَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شِمَاسَةَ - بِفَتْحِ الشِّينِ وَضَمِّهَا -.

قَوْلُهُ: (عَدِي) بن بَدَاء - بِيَاءٍ مُوَحَّدَةٍ وَدَالٍ مُهْمَلَةٍ مُشَدَّدَةٍ وَمَدٍّ كَشَدَادٍ وَيَقْصُرُ - قَالَ أَبُو نَعِيمٍ: لَا يُعْرَفُ لِعَدِيٍّ إِسْلَامٌ، وَقَدْ ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ. وَعِبَارَةُ الْبَيْضَاوِيِّ وَالْكَشَافِ: عَدِيٌّ بْنُ زَيْدٍ. أَه. قَالَ الْعَلَامَةُ التَّفْتَازَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الصَّوَابُ عَدِيٌّ بْنُ بَدَاءٍ. قَوْلُهُ: (تَمِيم) بن أَوْسٍ الدَّارِيُّ الصَّحَابِيُّ الْمَشْهُورُ، وَلَمْ يَكُنْ مُسْلِمًا يَوْمَئِذٍ، وَلَمَّا أَسْلَمَ تَمِيمُ الدَّارِيُّ بَعْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ كَانَ يَقُولُ: صَدَقَ اللَّهُ وَصَدَّقَ رَسُولُهُ، أَنَا أَخَذْتُ الْإِنَاءَ فَأَنَا أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ؛ كَمَا فِي تَفْسِيرِ الْخَازَنِ. وَالدَّارِيُّ مَنْسُوبٌ إِلَى جَدِّهِ الدَّارِ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. كَانَ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ سَنَةَ تَسْعٍ مِنْ

ومات ففتشا متاعه، فأخذوا (إناء من فضة) فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوها بالإناء فجحدوا فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فنزل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهْدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ إِخْرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةُ الْمَوْتِ نَحْسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الْوَلَاةِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ اَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهْدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴿ ارتفع «اثنان» لأنه خبر المبتدأ وهو «شهادة» بتقدير شهادة بينكم شهادة اثنين، أو

الهجرة، وكان كثير التهجّد، قام ليلة حتى أصبح بآية من القرآن، فيركع ويسجد ويبكي، وهي: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا^(١) أَلْسِنَاتٍ^(٢)﴾ [البغائية: الآية ٢١] الآية، وكان يسكن المدينة، ثم انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان ؓ. رُوي له عن رسول الله ﷺ ثمانية عشر حديثًا، روى مسلم منها حديث الدين النصيحة. وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ روى عن تميم الداري قصة الجساسة^(٣)، وهذه منقبة شريفة لا يُشاركه فيها غيره، ويدخل في رواية الأكابر عن الأصاغر، ورواية الفاضل عن المفضل، ورواية المتبوع عن تابعه، وفي هذا الحديث قبول خبر الواحد. وروى عنه جماعة من الصحابة، منهم ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وأنس، وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهما، وجماعات من التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

قوله: (إناء من فضة) وزنه ثلاثمائة مثقال منقوشًا بالذهب.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهْدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ هذه الآية واللتان بعدها من أشكال القرآن حكمًا وإعرابًا وتفسيرًا، ولم يزل العلماء يستشكلونها ويكفون عنها، حتى

(١) أي اكتسبوا السيئات الكفر والمعاصي. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) يعني أن تجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون. ١٢ منه عم فيضهم.

(٣) بعدما أسلم كما في صحيح مسلم، فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال. ١٢ منه عم فيضهم.

لأنه فاعل «شهادة بينكم» أي فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان. (واتسع في «بين» فأضيف إليه المصدر). «وإذا حضر» ظرف للشهادة و«حين الوصية» بدل منه، وفي إبداله منه دليل على وجوب الوصية لأن حضور الموت من الأمور الكائنة، «وحين الوصية» بدل منه فيدل على وجوب الوصية ولو وُجدت بدون الاختيار لسقط الابتلاء فنقل إلى الوجوب، وحضور الموت (مُشارفته) وظهور (أمارات) بلوغ الأجل ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ صفة لـ «اثنان» ﴿مِنْكُمْ﴾ من أقاربكم لأنهم أعلم بأحوال الميت ﴿أَوْ آخَرَانِ﴾ عطف على «اثنان» ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ من الأجانب ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرِيتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ سافرتُم فيها. («وأنتم» فاعل فعل يفسره الظاهر) ﴿فَأَمَبَتَكُمْ مِصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾

قال مكِّي بن أبي طالب رحمه الله في كتابه المسمّى بالكشف: هذه الآيات في قراءتها وإعرابها وتفسيرها ومعانيها وأحكامها من أصعب آي القرآن وأشكله، قال: ويحتمل أن يبسط ما فيها من العلوم في ثلاثين ورقة أو أكثر، قال: وقد ذكرناها مشروحة في كتاب مفرد. وقال السخاوي: لم أر أحداً من العلماء تخلص كلامه فيها من أولها إلى آخرها. قلت: وأنا أستعين الله في توجيه إعرابها واشتقاق مفرداتها وتصريف كلماتها وقراءتها ومعرفته تأليفها. وأما بقية علومها، فنسأل الله العون في تهذيبه إلى آخر ما في عبارة السمين، فارجع إليه إن شئت.

واختلفوا في هذه الشهادة، فقليل: هي الشهادة المعروفة التي هي الإخبار بحق الغير على الغير، وقيل: هي حضور وصية المحتضر. قوله: (واتسع في «بين» فأضيف إليه المصدر) أي بجعل الظرف كأنه مفعول لذلك. في تفسير الجلالين: وإضافة شهادة لـ «بين» على الاتساع. اهـ. أي التجوّز، يعني وحق الشهادة أن تُضاف إلى المشهود به، كأن يقال: شهادة الحقوق، أي الشهادة بها، فاتسع فيها وأضيفت إلى البين إما باعتبار جريانها بينهم، أو باعتبار تعلّقها بما يجري بينهم من الخصومات. اهـ أبو سعود. وفي الكرخي قوله: على الاتساع، أي في الظرف، وذلك لأن الإضافة إليه أخرجه عن الظرفية وصيرته مفعولاً به على السعة، و﴿بَيْنَكُمْ﴾ كناية عن التنازع والتشاجر، وإنما أضاف الشهادة إلى التنازع لأن الشهود إنما يُحتاج إليهم عند التنازع.

قوله: (مشارفته) أي قُرِبه. قوله: (أمارات) أي علامات. قوله: («وأنتم» فاعل فعل يفسره الظاهر) أي أنتم مرفوع بأنه فاعل فعل محذوف؛ لأنه واقع بعد أن

أو منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة. وقيل: منسوخ إذ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم، وإنما جازت في أول الإسلام لقلة المسلمين ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾ تفقونهما للحلف هو استئناف كلام أو صفة لقوله: «أو آخران من غيركم» أي أو آخران من غيركم محبوسان، «وإن أنتم ﴿ضَرَبْتُمْ﴾» في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت» اعتراض بين الصفة والموصوف ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ (من بعد صلاة العصر) لأنه وقت اجتماع الناس. وعن الحسن رحمته الله: بعد العصر أو الظهر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما. وفي حديث بديل أنها لما نزلت صلى رسول الله ﷺ صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الإناء بمكة فقالوا: إنا اشتريناه من تميم وعدي. ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ فيحلفان به ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ شككتم في أمانتهما وهو اعتراض بين «يقسمان» وجوابه وهو ﴿لَا نَشْتَرِي﴾ وجواب الشرط محذوف أغنى عنه معنى الكلام والتقدير: إن اربتم في شأنهما فحلفوهما ﴿بِهِ﴾ بالله أو بالقسم ﴿ثُمَّ﴾ عوضاً من الدنيا ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ أي المُقْسَم له ﴿ذَا قَوْلٍ﴾ أي لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال ولو كان من نقسم له قريباً منا ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ أي الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها ﴿إِنَّا إِذَا﴾ إن كتماننا ﴿لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾. وقيل: إن أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين، وإن أريد الوصيان فلم ينسخ تحليفهما.

﴿فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَآخَرَانِ يَوْمَانِ مَقَامُهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٧)
﴿فَإِنْ عُرِيَ﴾ (فإن اطلع) ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا﴾ فعل ما أوجب إثمًا واستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين ﴿فَآخَرَانِ﴾ فشاهدان آخران ﴿يَوْمَانِ مَقَامُهُمَا﴾

الشرطية فلا يرتفع^(١) بالابتداء، والتقدير: إن ضربتم، فلما حُذِفَ الفعل وجب أن يفصل الضمير، فيصير: أنتم، ليقوم بنفسه، و﴿ضَرَبْتُمْ﴾ تفسير للفعل المحذوف لا موضع له. اهـ أبو البقاء. قوله: (من بعد صلاة العصر)، فالتعريف للعهد أو للجنس.

قوله: (فإن اطلع) يقال: عثر عليه يعثر عثرًا وعُثِرًا، أي اطلع عليه وعثر في مشيه أو منطقه أو رآه. يَعْثُرُ عَثْرَةً، أي زلّ وسقط، فرّقوا بين مصدريهما، فإن

(١) أي عند البصريين. ١٢ منه عم فيضهم.

(مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ) أي من الذين استحق عليهم الإثم، ومعناه من الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته)، وفي قصة بديل أنه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته إنه إناء صاحبهما وإن شهادتهما أحق من شهادتهما (الْأُولَيْنِ) الأحقّان بالشهادة لقرابتهما أو معرفتهما. وارتفاعهما على «هما الأوليان» كأنه قيل: ومن هما؟ فقيل: الأوليان. أو هما بديل من الضمير في «يقومان» أو من «آخران». «استحق عليهم الأوليان». (حفص) أي من الورثة الذين استحق عليهم الأولياء (من بينهم) بِالشَّهَدَةِ أن يجردوهما) للقيام بالشهادة ويظهرهما بهما كذب الكاذبين. («الأولين»: حمزة وأبو بكر) على أنه وصف للذين

العثرة هي الزلة، والعثور هو الاطلاع. قوله: (مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ) قراءة الجمهور بضم التاء على بناء المجهول ونائب الفاعل ضمير يعود على الإثم، (أي من الذين استحق عليهم الإثم، ومعناه: من الذين جني عليهم، وهم أهل الميت وعشيرته)، يشير إلى أن استحقاق الإثم عليهم كناية عن هذا المعنى؛ وذلك لأن معنى استحق الشيء به لاقَ به أن يُنسب إليه والجاني للاسم المرتكب له يليق أن يُنسب إليه الإثم، فاستحقاقه الإثم بمعنى ارتكابه، فالذين استحق عليهم الإثم، أي جني عليهم وارتكب الذنب بالقياس إليهم هم الورثة. والمعنى: من الورثة الذين جني عليهم، فإن الأولين لما جَنَيَا واستحقّا إثمًا بسبب جنايتهما على الورثة كانت الورثة مجنيًا عليهم متضررين بجناية الأولين. قوله: (وعشيرته) في المصباح: العشيرة القبيلة، ولا واحد لها من لفظها، والجمع عشيرات وعشائر. اهـ. قوله: (اسْتَحَقَّ) بفتح التاء والحاء مبنياً للفاعل، وإذا ابتداء كسر الهمزة (عَلَيْهِمْ الْأُولَيْنِ) مرفوع على أنه فاعل استحقّ ومفعوله محذوف. (حفص)، والباقون بضم التاء وكسر الحاء مبنياً للمفعول، وإذا ابتدؤوا ضموا الهمزة. قوله: (الْأُولَيْنِ) فاعل استحقّ. قوله: (من بينهم) حال منهما. قوله: (بِالشَّهَدَةِ) متعلق بهما، أي الأحقّان بالشهادة. قوله: (أن يجردوهما) الخ. مفعول استحقّ، فالمفعول محذوف من لفظ القرآن، كأنهما لما صارا أولى بالشهادة منهم استحقّا أن يجردوهما للشهادة. قوله: (الأولين) بتشديد الواو وكسر اللام بعدها وفتح النون جمع أول المقابل لآخر. (حمزة وأبو بكر) شعبة عن عاصم، والباقون: «الأوليان» بإسكان الواو وفتح اللام وكسر النون مثني أولى.

استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح. وُسْمُوا أولين لأنهم كانوا أولين في الذكر في قوله: «شهادة بينكم» ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَيْهِمَا﴾ أي ليميننا أحق بالقبول من يمين هذين الوصيَّين الخائنين ﴿وَمَا أَتَدَيَّنَا﴾ وما تجاوزنا الحق في يميننا ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي إن حلفنا كاذبين. ﴿ذَلِكَ أَذْفَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١٠٨)

﴿ذَلِكَ﴾ الذي مرَّ ذكره من بيان الحكم ﴿أَذْفَى﴾ أقرب ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾ أي الشهداء على نحو تلك الحادثة ﴿بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا﴾ كما حملوها بلا خيانة فيها ﴿أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ أي (تكرُّ) أيمان شهود آخرين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ في الخيانة واليمين الكاذبة ﴿وَاسْمَعُوا﴾ سمع قبول وإجابة ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن الطاعة. فإن قلت: ما معنى «أو» هنا؟ قلت: معناه ذلك أقرب من أن يؤدّوا الشهادة بالحق والصدق، إما لله أو لخوف العار والافتضاح برد الأيمان، وقد احتج به من يرى رد اليمين على المدعي، والجواب أن الورثة قد ادّعوا على النصرانيين أنهما قد اختانا فحلفا، فلما ظهر كذبهما ادّعيا الشراء فيما كتما فأنكرت الورثة فكانت اليمين على الورثة لإنكارهما الشراء.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (١٠٩)
 ﴿يَوْمَ﴾ منصوب بـ «اذكروا» أو اذكروا ﴿يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ ما الذي أجابتمكم به أممكم حين دعوتموهم إلى الإيمان؟ وهذا السؤال توبيخ لمن

قوله: ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾... الخ. وإنما جمع الضمير في يأتوا أو يخافوا مع أن الكلام في اثنين من الشهود والأوصياء؛ لأنه ابتداء كلام ذكر لبيان الحكمة في شرعية الحكم على التفصيل المذكور في حق جميع الأوصياء أو الشهود. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وفي الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية: المقام لتثنية الضمير، وإنما جُمع لأن المراد ما يعمّ الشاهدين المذكورين وغيرهما من بقية الناس. وفي الخازن: أن يأتي الوصيَّان وسائر الناس. اهـ شيخنا. اهـ. قوله: (تكرُّ) أي ترجع.

أنكرهم. «وماذا» منصوب بـ «أجبتكم» نصب المصدر على معنى أي إجابة أجبتكم ﴿قَالُوا لَا عَلَمَ لَنَا﴾ بإخلاص قومنا دليله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ أو بما أحدثوا بعدنا دليله «كنت أنت الرقيب عليهم» أو قالوا ذلك تأديبا أي علمنا ساقط مع علمك (مغمور) به فكأنه لا علم لنا.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَيْكَ إِذْ أَيْدِئْتُكَ يَرُوجُ الْقُدُسُ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَذْيِ فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْيِ وَتُرِئُ الْأَكْصَمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِأَذْيِ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَذْيِ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ بدل من «يوم يجمع» ﴿يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ أَذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَيْكَ ﴿حيث طهرتها واصطفيتها على نساء العالمين. والعامل في﴾ إِذْ أَيْدِئْتُكَ ﴿أي قوّيتك﴾ «نعمتي» ﴿يُرُوجُ الْقُدُسُ﴾ بجبريل عليه السلام (أيّد به لتثبت

قوله: (مغمور) أي مستور ومهلك.

قوله: ﴿يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ بإثبات الألف، وإن كان واقعا بين العلمين لندرة الإضافة إلى الأم، وابن صفة لعيسى نُصِبَ لأنه مضاف، وهذه قاعدة كلية مفيدة، وذلك أن المُنَادَى المفرد المعرفة الظاهرُ الضمّة إذا وُصِفَ بابن أو بابنة ووقع الابن أو الابنة بين علمين أو اسمين متفقين في اللفظ ولم يفصل بين الابن وبين موصوفه بشيء ثبت له أحكام، منها: أنه يجوز اتباع المنادى المضموم لحركة نون ابن فيفتح نحو: يا زيد بن عمرو، ويا هند ابنة بكر، بفتح الدال من زيد وهند وضمّها، فلو كانت الضمّة مقدّرة، مثل: ما نحن فيه، فإنّ الضمّة مقدّرة على ألف عيسى، فهل يقدّر بناؤه على الفتح إتباعا كما في الضمّة الظاهرة؟ خلاف الجمهور على عدم جوازه؛ إذ لا فائدة في ذلك، فإنه إنما كان للاتباع، وهذا المعنى مفقود في الضمّة المقدّرة، وأجاز الفراء ذلك إجراء للمقدّر مجرى الظاهر، وتبعه أبو البقاء، فإنه قال: يجوز أن تكون على الألف من عيسى فتحة؛ لأنه قد وُصِفَ بابن وهو بين علمين، وأن تكون فيهما ضمّة، وهو مثل قولك: يا زيد بن عمرو، بفتح الدال وضمّها، وهو الذي قاله غير بعيد. اهـ سمين عليه السلام. قوله: (أيّد به لتثبت

الحجة عليهم)، أو بالكلام الذي يحيا به الدين، وأضافه إلى القدس لأنه سبب الطهر من (أوصام الآثام) دليله ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي آلَمِهِمْ﴾ حال (أي تكلمهم طفلاً) إعجازاً ﴿وَكَهْلًا﴾ تبليغاً ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ﴾ معطوف على «إِذْ أَيْدَتُكَ» ونحوه «وَإِذْ تَخَلَّقَ». «وَإِذْ تَخْرُجَ». «وَإِذْ كَفَفْتُ». «وَإِذْ أَوْحَيْتُ» ﴿الْكِتَابَ﴾ الخط ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ الكلام المُحَكَّم الصواب ﴿وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ﴾ تقدَّر ﴿مِنْ الطَّيْرِ﴾ (كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ) هيئة مثل هيئة الطير ﴿بِإِذْنِي﴾ بتسهيلي ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾ الضمير للكاف لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها، ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه، وكذا الضمير في ﴿فَتَكُونُ﴾

الحجة عليهم) في روح البيان: معنى تأييده به أَنَّ جبريل عليه السلام يجعل حجته ثابتة مقررة. قوله: (أوصام الآثام) الوَضم: العَيْب. قوله: ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي آلَمِهِمْ﴾ في المهد قولان: أحدهما أنه جَرَّ أمه، والثاني هو هذا الشيء المعروف الذي هو مضجع الصبي وقت الرضاع، وكيف كان فالمراد منه أنه يكلم الناس في الحالة التي يحتاج الصبي فيها إلى المهد، ولا يختلف هذا المقصود سواء كان في حجر أمه أو كان في المهد. اهـ رازي رَحِمَهُ اللهُ. قوله: (أي تكلمهم طفلاً) أي قوله: ﴿فِي آلَمِهِمْ﴾ كناية عن كونه طفلاً صغيراً وهي أبلغ من التصريح وأولى؛ لأن الصغير يُسَمَّى طفلاً إلى أن يبلغ الحُلُم، فلذا عدل عنه. اهـ شهاب رحمة الله عليه. قوله: ﴿وَكَهْلًا﴾ الكهل من الرجال الذي جاوز الثلاثين، وخطه الشيب أي خالطه. قوله: (هيئة مثل هيئة الطير) يعني أن الكاف في قوله: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ اسم بمعنى مثل في محل نصب على أنه صفة للمفعول المحذوف لقوله: ﴿تَخْلُقُ﴾ بمعنى تسوي وتصور، أي وإذ تسوي وتصور هيئته مثل هيئة الطير، قيل: إن الناس قالوا على وجه التعنت: اخلق لنا خفاشاً واجعل فيه روحاً إن كنت صادقاً في مقالتك، فأخذ طيئاً وسوى منه هيئة خفاش ثم نفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض، وكانت التسوية والنفخ بكسب عيسى عليه السلام، والخلق من الله تعالى، قيل: إنما طلبوا منه خلق الخفاش لأنه أعجب المخلوقات من حيث إنه لحم ودم يطير بغير ريش، ويولد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور، وله ضرع يخرج منه اللبن، ويضحك كما يضحك الإنسان، ويحيض كما تحيض المرأة، ولا يُبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل، وإنما يرى في

طَبْرًا يَأْذِي ﴿١﴾ وَعُطِفَ ﴿٢﴾ (وَتُزَيَّرُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ) يَأْذِي ﴿٣﴾ عَلَى «تَخْلُقُ» ﴿٤﴾ وَإِذَا تُخْرِجُ الْمَوْتَى ﴿٥﴾ مِنَ الْقُبُورِ أَحْيَاءَ ﴿٦﴾ (يَأْذِي) (قيل: أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية).

ساعتين: بعد غروب الشمس ساعة، وبعد طلوع الفجر ساعة قبل أن يسفر جدًا، فلما رأوا منه ذلك قالوا: إن هذا إلا سحرٌ مبين. قال وهب بن مَثَبَه: كان يطير حتى يغيب عن الناس ثم يقع ميتًا، لِيَتَمَيَّزَ خَلْقُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ فَعْلٍ غَيْرِهِ. قوله: ﴿وَتُزَيَّرُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ (الأكمه: الذي وُلِدَ أَعْمَى، والأبرص: هو الذي به برص، أي بياض في الجلد، ولو كان بحيث إذا غُرِزَ بِإِبْرَةٍ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ الدَّمُ لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ، وَلِذَا خُصَّ بِالذِّكْرِ، وَكِلَاهُمَا مِمَّا أَعْيَى الْأَطْبَاءَ. قوله: (قيل: أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية) كذا في تفسير الكشاف وغيره. وقوله: (سام بن نوح) قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة نوح، قالوا له: لو بعثت لنا من شهد السفينة فينعت لنا ذلك، فقام وأتى تَلًّا فَضْرَبَ بِيَدِهِ وَأَخَذَ قَبْضَةً مِنْ تَرَابٍ، وَقَالَ: هَذَا قَبْرُ سَامِ بْنِ نُوحٍ إِنْ شَتَّمْتُ أَحَبِّيَّةَ لَكُمْ، قالوا: نعم، فدعا الله باسمه الأعظم وضرب التل بعصاه، وقال: إِخْوِي يَا ذُنَّ اللَّهِ، فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف رأسه، فقال: أَقْدَ قَامَتِ الْقِيَامَةُ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي دَعَوْتُكَ بِاسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، قَالَ: وَلَمْ يَكُونُوا يَشْيِیُونَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَكَانَ سَامٌ قَدْ عَاشَ خَمْسَمِائَةَ سَنَةً وَهُوَ شَابٌ ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِخَبَرِ السَّفِينَةِ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: مُتْ، فَقَالَ: بِشَرَطٍ أَنْ يَعْیِذَنِي اللَّهُ مِنْ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ، فدعا الله عيسى عليه السلام ففعل ذلك. اهـ العرائس للإمام الثعلبي رَحِمَهُ اللَّهُ. قوله: (ورجلين) أي العاذر، وكان صديقًا له فأرسلت أخته إلى عيسى أن أخاك العاذر يموت فأتته، وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام، فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقالوا لأخته: انطلق بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مطبقة، فقال عيسى: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ، إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَدْعُوهُمْ إِلَى دِينِكَ وَأَخْبَرْتَهُمْ أَنِّي أَحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِكَ فَأُخِيي الْعَاذِرَ، فقام العاذر وخرج من قبره وبقي وُولِدَ لَهُ.

وابن العجوز، وكانت القصة فيه أن عيسى مرَّ في سياحته ومعه الحواريون بمدينة، فقال: إِنَّ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ كَنْزًا، فَمَنْ يَذْهَبُ يَسْتَخْرِجُهُ لَنَا؟ فَقَالُوا: يَا رُوحَ

الله لا يدخل هذه القرية أحدٌ غريب إلا قتلوه، فقال لهم عيسى: مكانكم حتى أعود إليكم، فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب، فقال: السلام عليكم يا أهل الدار، غريب أطعموه، فقالت له امرأة عجوزًا: ما ترضى أن أدعك لا أذهب بك إلى الوالي حتى تقول: أطعموني، فبينما عيسى بالباب إذ أقبل ابن العجوز، فقال له عيسى: أضفني ليلتك هذه، فقال له الفتى مثل مقالة العجوز، فقال له عيسى: أما إنك لو فعلت ذلك زوّجتك بنت الملك، فقال له الفتى: إما أن تكون مجنونًا وإما أن تكون عيسى ابن مريم، قال: أنا عيسى، فأضافه ويات عنده، فلما أصبح قال له: اغدُ وادخل على الملك، وقل له: جئت أخطب ابنتك، فإنه سيأمر بضربك وإخراجك، فمضى الفتى حتى دخل على الملك، فقال له: جئت أخطب إليك ابنتك، فأمر بضربه فُضِرَ وأُخرج، فرجع الفتى إلى عيسى فأخبره الخبر، فقال: إذا كان غدًا فاذهب إليه واخطب ابنته، فإنه ينالك بدون ذلك، ففعل الفتى ما أمره عيسى، فضربه دون ذلك الضرب الأول، فرجع إلى عيسى فأخبره، فقال: ارجع إليه، فإنه سوف يقول لك: أنا أزوّجك إياها على حكمي، وحكمي قصر من ذهب وفضّة وما فيه من ذهب وفضّة وزبرجد، فقل له: أفعل ذلك، فإذا بعث معك أحدًا فاخرج به، فإنك سوف تجده فلا تُحدِث فيه شيئًا. ثم إنه دخل على الملك، فخطب، فقال: تصدّقها بحكمي، فقال: وما حكمك؟ فحكم بالذي سمّاه عيسى عليه السلام، فقال: نعم رَضِيت، ابعث مَنْ يقبض ذلك، فبعث معه رجالًا فسَلِمَ إليهم ما سأله الملك، فتعجّب الناس من ذلك، فسَلِمَ إليه الملك ابنته، فتعجّب الفتى من ذلك، وقال: يا روح الله تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحال؟ فقال له عيسى: إني آثرت ما يبقى على ما يفنى، فقال الفتى: أنا أيضًا أدعه وأصحبك، فتخلّى من الدنيا واتّبع عيسى فأخذ عيسى بيده وأتى به وأصحابه وقال لهم: هذا الكنز الذي قلت لكم، فكان معه ابن العجوز إلى أن مات، ومزّ به وهو ميت على سرير، فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل من على أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله، فبقي ووُلِدَ له. اهـ العرائس.

وأيضًا أحیی عزیر علیه السلام، قالوا لعيسى عليه السلام: أخیه وإلّا أحرقناك بالنار، وجمعوا حطبًا كثيرًا من حطب الكرم، وكانوا في ذلك الوقت

يدفنون موتاهم في صناديق من حجارة مطبقة، فوجدوا قبر عزير مكتوباً على ظهره اسمه، فعالجوه ليفتحوه فلم يقدروا أن يُخرجوه من قبره، فرجعوا إلى عيسى فأخبروه، فناولهم إناء فيه ماء، وقال لهم: انضحوا قبره بهذا الماء، ففعلوا فانفتح الطبق فأتوا به عيسى وهو في أكفانه والأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، ثم إنه نزع ثيابه عنه، ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت، ثم قال: اخي يا عزير بإذن الله تعالى، فإذا هو جالسٌ، وكلّ ذلك تراه أعينهم، فقال لعزير: ما تشهد لهذا الرجل؟ - يعنون عيسى - فقال: أشهد أنّه عبد الله ورسوله، فقالوا: يا عيسى ادع لنا ربك يُنقِيه لنا ليكون بين أظهرنا حيّاً، فقال عيسى: ردّوه إلى قبره، فردّوه إلى قبره، فعاد ميتّاً، فأمن بعيسى ابن مريم من آمن، وعاند من عاند. اهـ العرائس.

وفي تهذيب الأسماء: ومنهم سام بن نوح وعزير وقصتهما مشهورة. اهـ.

وقوله: (وامرأة وجارية) في العرائس: ومنها ابنة العاشر رجلٌ كان يأخذ العشر، قيل له: أتحببها وقد ماتت بالأمس، فدعا الله عزّ وجلّ فعاشت وبقيت ووُلد لها. اهـ. وفي تهذيب الأسماء: ومنهم بنت العاشر أحيّاها وولدت بعد ذلك. اهـ. وفي الدرّ المنثور في سورة آل عمران، أخرج إسحاق بن بشر وابن عساكر من طرق عن ابن عباس، قال: كانت اليهود يستهزؤون بعيسى، ويقولون له: يا عيسى ما أكل فلان البارحة وما آذخ في بيته؟ فيخبر فيسخرون منه حتى طال ذلك به وبهم، وكان عيسى عليه السلام ليس له قرار ولا موضع يُعرف، إنما هو سائح في الأرض، فمرّ ذات يوم بامرأة قاعدة عند قبر، وهي تبكي، فسألها فقالت: ماتت ابنة لي لم يكن لي ولدٌ غيرها، فصلّى عيسى ركعتين ثم نادى: يا فلانة قومي بإذن الرحمن فأخرجي، فتحرّك القبر، ثم نادى الثانية، فانصدع القبر، ثم نادى الثالثة فخرجت، وهي تنفض رأسها من التراب، فقالت: يا أمّاه ما حملك على أن أذوق كرب الموت مرّتين، يا أمّاه اصبري واحتسبي، فلا حاجة لي في الدنيا، يا روح الله سلّ ربي أن يرُدّني إلى الآخرة وأن يهوّن عليّ كرب الموت، فدعا ربه فقبضها إليه، فاستوت عليها الأرض. اهـ.

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ﴾ أي اليهود حين همّوا بقتله ﴿إِذْ جَنَّتْهُمْ﴾ ظرف لـ «كففت» ﴿بِالْبَيْتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ («ساحر» حمزة وعلي).

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِ وَرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾
 ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾ ألهمت ﴿إِلَى الْخَوَارِجِ﴾ الخواص أو الأصفياء ﴿(أَنْ آمِنُوا)﴾ أي آمنوا ﴿بِ وَرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي اشهد بأننا مخلصون من أسلم وجهه.

﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُونَ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُونَ﴾ أي اذكروا إذ ﴿لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ («عيسى» نصب على إتباع حركته حركة الابن نحو «يا زيد بن عمرو») ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ (هل يفعل أو هل يطيعك ربك إن سألته، فاستطاع وأطاع بمعنى كاستجاب وأجاب.

قوله: («ساحر») بالألف بعد السين وكسر الحاء اسم فاعل (حمزة وعلي) الكسائي، والباقون بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف على المصدر، أي ما هذا الخارق إلا سحر بمعنى ساحر، أو بمعنى ذو سحر أو جعلوه نفس السحر كرجل عدل.

قوله: ﴿(أَنْ آمِنُوا)﴾ أي آمنوا، يعني أَنَّ أن تفسيرية، لأنها وردت بعدما هو بمعنى القول لا حروفه.

قوله: (عيسى نصب على إتباع حركته حركة الابن، نحو «يا زيد بن عمرو») قال العلامة أبو البقاء: ﴿لِيَعِيسَى ابْنِ﴾ يجوز أن يكون على الألف من عيسى فتحة، لأنه قد وُصِفَ بابن وهو بين علمين، وأن يكون عليها ضمة، وهو مثل قولك: يا زيد بن عمرو، بفتح الدال وضمها، وإذا قدّرت الضمّ جاز أن يجعل ابن مريم صفة وبيان وبدلاً. اهـ. قوله: (هل يفعل) أي فالسؤال إنما هو عن الفعل دون القدرة عليه تعبيراً عنه بلازمه. قوله: (أو هل يطيعك ربك إن سألته، فاستطاع وأطاع بمعنى كاستجاب وأجاب)، فيستطيع بمعنى يطيع، ويطيع بمعنى يجيب

هل تستطيع ﴿رَبِّكَ﴾ (على) أي هل تستطيع سؤال ربك فحذف المضاف، والمعنى: هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله ﴿أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ («ينزل»: مكي وبصري) ﴿مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ (هي الخوان) إذا كان عليه الطعام (من مائه إذا أعطاه) كأنها تميد من تقدم إليها ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (في اقتراح الآيات) بعد ظهور المعجزات ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إذ الإيمان يوجب التقوى.

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَحْمِلَ أَثْقَالَهَا وَلَمَّا خَوَّفُوا سُبُوحًا رَبَّنَا بَارِئًا رَبَّنَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (١١٤)

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ تبركاً ﴿وَنَحْمِلَ أَثْقَالَهَا﴾ ونزداد يقيناً كقول إبراهيم عليه السلام ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [البقرة: الآية ٢٦٠] ﴿وَعَلَّمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ أي

مجازاً؛ لأن المجيب مطيع. اهـ شهاب. قوله: (هل تستطيع) بقاء الخطاب لعيسى عليه السلام مع إدغام اللام من هل في التاء على قاعدته. ﴿رَبِّكَ﴾ بالنصب على التعظيم (على) الكسائي، والباقون بياء الغيب ﴿رَبِّكَ﴾ بالرفع على الفاعلية. قوله: («ينزل») بإسكان النون وتخفيف الزاي (مكي) أي ابن كثير المكي (وبصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. قوله: (هي الخوان^(١)) بضم الخاء وكسرهما إذا كان عليها الطعام، فإن لم يكن عليه طعام لا يسمى مائدة، وإنما يقال له: خِوَان، كما لا يقال كأس إلا وفيها خمر، وإلا فهي قدح، ولا يقال: ذنوب أو سَجَل^(٢) إلا وفيه ماء، وإلا فهو دلو، ولا يقال جراب إلا وهو مدبوغ، وإلا فهو إهاب. قوله: (من مائه إذا أعطاه)، فهو مائدة، أي مُعْطِيَةٌ. قوله: (في اقتراح الآيات) أي في سؤال الآيات التي لم يسبق لها مثال. وفي المصباح: واقترحت ابتدعته من غير سبق مثال. اهـ. وفي مختار الصحاح: اقترح عليه شيئاً سأله إياه، ومن غير روية. اهـ.

(١) تفسير المائدة بالخوان تفسير بالأعم؛ لأنه لا يقال للخوان مائدة إلا وعليه طعام، وإلا فهو خوان. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) مثال قُلْس الدلو العظيمة وبعضهم يزيد إذا كانت مملوئة. اهـ مصباح. وفي القاموس: السَجَل الدلو العظيمة مملوءة مذكر. ١٢ منه عم فيضهم.

نعلم صدقك عيانًا كما علمناه استدلالًا ﴿وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ بما عاينا لمن بعدنا. ولما كان السؤال لزيادة العلم لا للتعنت ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ (اللَّهُمَّ) أَصْلِهِ يَا اللَّهُ﴾ فحذف «يا» وعوض عنه «الميم» ﴿رَبَّنَا﴾ نداء ثانٍ ﴿أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أي يكون يوم نزولها عيدًا. قيل: هو يوم الأحد ومن ثم اتخذته النصارى عيدًا، والعيد: السرور العائد ولذا يقال: «يوم عيد» فكان معناه: تكون لنا سرورًا وفرحًا ﴿لَأَوَّلُهَا وَآخِرُهَا﴾ بدل من «لنا» بتكرير العامل أي لمن في زماننا من أهل ديننا، ولمن يأتي بعدنا، أو يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم، أو للمتقدمين منا والأتباع ﴿وَمَائِدَةً مِنْكَ﴾ على صحة نبوتي ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وأعطنا ما سألناك وأنت خير المعطين.

﴿قَالَ اللَّهُ إِنْ مُرِلْهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾

﴿قَالَ اللَّهُ إِنْ مُرِلْهَا عَلَيْكُمْ﴾ (بالتشديد: مدني وشامي وعاصم). وعد الإنزال وشرط عليهم شرطًا بقوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ﴾ بعد إنزالها منكم ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾ أي تعذيبًا كالسلام بمعنى التسليم. والضمير في ﴿لَا أُعَذِّبُهُ﴾ للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بُدُّ من الباء ﴿أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ عن الحسن أن

قوله: ﴿اللَّهُمَّ﴾ أصله يا الله، فحذف يا وعوض عنه الميم ﴿رَبَّنَا﴾ نداء ثانٍ لا صفة أو بدل؛ لأن اللهم لا يُوصف ولا يبدل منه.

قوله: (بالتشديد) أي بفتح النون وتشديد الزاي (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وعاصم). والباقون بإسكان النون وتخفيف الزاي، ف قيل: هما بمعنى، وقيل: الأول للتكثير لما قيل إنها نزلت مرّات متعدّدة. قوله: (أي تعذيبًا) على أن عذابًا اسم مصدر بمعنى التعذيب. قوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ﴾ بعد إنزالها منكم ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾ أي تعذيبًا كالسلام بمعنى التسليم والضمير في لأعذبه للمصدر، ويعني أنه راجع إلى قوله: ﴿عَذَابًا﴾ على أن يكون اسم مصدر بمعنى التعذيب، كأنه قيل: فإني أعذبه تعذيبًا لا أعذب ذلك التعذيب أحدًا، فالجملة في محل نصب على أنه صفة لعذاب، فالعذاب بمعنى التعذيب على طريق

المائدة لم تنزل ولو نزلت لكانت عيدًا إلى يوم القيامة لقوله: «وآخرنا». والصحيح أنها نزلت. فعن (وهب): نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة عليها كل طعام إلا اللحم. وقيل: كانوا يجدون عليها ما شاؤوا. وقيل: كانت تنزل حيث كانوا بكرة وعشيًا.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الجمهور على أن هذا السؤال يكون في يوم القيامة دليله (سباق الآية وسياقها) وقيل: خاطبه به حين رفعه إلى السماء (دليله لفظ «إذ») ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ من أن

الاستخدام^(١). قوله: (وهب) بن منه التابعي الأبنأوي^(٢) اليمامي، أخو همام بن منه، كنيته وهب أبو عبد الله، ويقال له الذمّاري - بكسر الذال المعجمة - منسوب إلى ذمار قرية على مرحلتين من صنعاء اليمن، وهو تابعي جليل من المشهورين بمعرفة الكتب الماضية. سمع جابر بن عبد الله، وابن عباس، وابن عمرو بن العاص، وأبا سعيد الخدري، وأبا هريرة، وأنسًا، والنعمان بن بشير. روى عنه عمرو بن دينار، وعوف الأعرابي، والمغيرة بن حكيم وآخرون، واتفقوا على توثيقه. توفي سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة، وقال ابن سعد: سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (سباق الآية وسياقها) السابق - بالباء الموحدة - يُستعمل فيما قبل الكلام، والسياق - بالياء المثناة - فيما قبله وبعده معًا، والمراد هنا الثاني. قوله: (دليله لفظ «إذ»): لأن إذ للماضي من الزمان.

(١) في المطول، أي استخدام وهو أن يراد بلفظ له معنيان، أحدهما أي أحد المعنيين، ثم يراد بضميره، أي بالضمير الراجع إلى ذلك اللفظ معناه الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أي ضميري ذلك اللفظ، أحدهما أي أحد المعنيين، ثم يراد بالآخر أي ضمير الآخر معناه الآخر. اهـ. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها نون. اهـ تقريب. ١٢ منه عم فيضهم.

يكون لك شريك ﴿مَا يَكُونُ لِي﴾ (ما ينبغي لي) ﴿أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ إن صحَّ أنني قلته فيما مضى فقد علمته، والمعنى: أنني لا أحتاج إلى الاعتذار لأنك تعلم أنني لم أقله ولو قلته لعلمته لأنك ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ ذاتي ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ذاك. فنفس الشيء ذاته وهويته والمعنى: تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْقُيُوبِ﴾ تقرير للجملتين معاً لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولأن ما يعلم علام الغيوب لا ينتهي إليه علم أحد.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١١٧) ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١١٨)

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني به. ثم فسر ما أمر به فقال: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ فـ «أن» مفسرة بمعنى «إي» ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ رقيباً ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ مدة كوني فيهم ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ الحفيظ ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ من قولي وفعلي وقولهم وفعلهم ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١١٨). قال الزجاج: علم عيسى عليه السلام أن منهم من آمن ومنهم من أقام على الكفر فقال في جملتهم «إن تعذبهم» أي إن تعذب من كفر منهم فإنهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك وأنت العادل في ذلك فإنهم قد كفروا بعد وجوب الحجة عليهم، وإن تغفر لهم أي لمن أقالع منهم وآمن فذلك تفضل منك، وأنت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في ذلك، أو عزيز قوي قادر على الثواب، حكيم لا يعاقب إلا عن حكمة وصواب.

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١١٩)

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ برفع اليوم والإضافة على أنه خبر هذا أي يقول الله تعالى: «هذا يوم ينفع الصادقين» فيه صدقهم المستمر في دنياهم

قوله: (ما ينبغي لي) إشارة إلى أن يكون بمعنى لا ينبغي ولا يليق، وهو أبلغ من لم أقله.

وآخرتهم. والجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب على المفعولية كما تقول: «قال زيد عمرو منطلق»، (وبالنصب: نافع). على الظرف أي قال الله هذا لعيسى عليه السلام يوم ينفع الصادقين صدقهم وهو يوم القيامة ﴿لَمْ يَجْنُتْ جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بالسعي المشكور ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بالجزاء الموفور ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ لأنه باقٍ بخلاف الفوز في الدنيا فهو غير باقٍ.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٢٠)

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ عظم نفسه عما قالت النصارى إن معه إلها آخر ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من المنع والإعطاء والإيجاد والإفناء، نسأله أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قوله: (وبالنصب) أي بنصب يوم بغير تنوين. (نافع) المدني، على الظرف، أي على أنه ظرف لغوي لقال، أي قال الله هذا القول لعيسى عليه السلام في يوم ينفع، والقول هو: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ لِلنَّاسِ﴾، وجاء على لفظ الماضي، على نحو: ونادى أصحاب الجنة. والباقون بالرفع من غير تنوين، والله سبحانه وتعالى أعلم، وعلمه أتم.

تم تفسير سورة المائدة،

اللَّهُمَّ لا تحرمنا بركاتها من موائد كرمك ولا تقطع عنا عوائد نعمك
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام في كل مبدأ وختام
وبليه أيضًا تفسير سورة الأنعام

(سورة الأنعام)

(مكية وهي مائة وخمس وستون آية) كوفي أربع وستون بصري

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تعليم اللفظ والمعنى مع تعريض الاستغناء أي الحمد له وإن لم تحمدوه ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (جمع السموات بخلاف الأرضين) لأنها طباق بعضها فوق بعض.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الأنعام مكية، وهي مائة وخمس وستون آية) وعدد كلماتها ثلاثة آلاف واثنان وخمسون كلمة وعدد حروفها اثنا عشر ألفاً وأربعمائة واثنان وعشرون حرفاً. قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فيه قولان: الأول أن المراد به أحمد الله، قالوا: وإنما جاء على صيغة الخبر لفوائد: إحداهما أن قوله: يفيد تعليم اللفظ والمعنى، ولو قال: أحمد الله لم يحصل مجموع هاتين الفائدتين. وثانيتهما أنه يفيد أنه تعالى مستحق للحمد، سواء حمده حامد أو لم يحمده. والثالثة أن المقصود منه ذكر الحجة، فذكره بصيغة الخبر أولى. والقول الثاني، وهو قول الأكثرين، أن المراد منه تعليم العباد استدلالاً بأنه تعالى قال في أثناء سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الآية ٥]، وهذا الكلام لا يليق ذكره إلا بالعباد. قوله: (جمع السموات) ... الخ. وفي تفسير البيضاوي في سورة البقرة إنما جمع السموات وأفرد الأرض لأنها طبقات متفصلة بالذات مختلفة بالحقيقة، بخلاف الأرضين. اهـ. وفي حاشيته للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قوله: إنما

جمع السموات... الخ. هذا ما عليه الحكماء. وأما المُحدثون، فالأرض عندهم طبقات بين كلٍّ منها والأخرى مسافة عظيمة، وفيها مخلوقات على ما وردت به الأحاديث والنكتة، كما قال أبو حيان: إنَّ جمعها ثَقِيل، وهو مخالف للقياس كأرضون، ولذا أراد تعالى ذلك ومن الأرض مثلهنَّ ولم يجمعها، وربّ مفرد لم يقع في القرآن جمعه لثقله وخفة المفرد، وجمع لم يقع مفردة كالآلِباب، وفي المثل السائر نحوه. اهـ. وفي حاشيته للعلامة القنوي رحمته الله: قوله: وإنما جمع السموات وأفرد الأرض لأنها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة، ومعنى كونها متفاصلة أي ممتازة بعضها عن بعض - بالصاد المهملة - ولا وجه لقراءة متفاصلة بالمعجمة، لكن قوله: بالذات ظاهره مما لا حاجة إليه، إلا أن يقال: أراد التطبيق على مذهب الحكماء، ومعناه ممتازة بعضها عن بعض بذاتها الشخصية، سواء كانت متماسة كما هو رأي الحكيم، أو لا كما هو المختار عند أهل الحق؛ لأنه جاء في الآثار: «أَنْ بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ»، وكما أُشير إليه في قوله تعالى: ﴿تَقَرُّجُ الْمَلَكُوتُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: الآية ٤] الآية، وقد بيَّنه المصنّف هناك بما ورد في الآثار؛ فالإشارة إلى مذهب الحكيم ليس بمُستحسن، ولك أن تقول: معناه بالحقيقة لا بذاتها الشخصية، كما اختاره البعض، ومراده أنها مختلفة؛ فمنها من الماء ومنها من الذهب ومنّ الياقوت إلى غير ذلك، فلمّا كان لها أفراد مختلفة الحقيقة جُمِعَتْ تنبيهاً على ذلك، وأفرداها سبع؛ كما قال تعالى: ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٩]، وهذه الآية صريحة في كونها مختلفة الحقائق، ولو ضمّ إليها الكرسي والعرش الأعلى لكانت تسعة، ولمّا كان معنى بالذات بالحقيقة يكون قوله: مختلفة الحقيقة كال تفسير له، فلا مجال لِمَا قاله البعض مع وجود هذا التفسير والبيان.

قوله: (بخلاف الأرضين)، فإنها أيضاً سبع كما نطق به قوله تعالى: ﴿اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: الآية ١٢]، لكنها ليست مختلفة الحقائق. قوله: بخلاف الأرضين، بالجمع دون الأفراد، مع أنها أفردت في النظم الجليل تنبيهاً على أنها حقيقة واحدة، كأنها أرض واحدة، فينظر إلى أن حقيقتها متّحدة فيفرد كالإنسان، وينظر إلى أن لها أفراداً منفصلاً بعضها عن بعض، فيجمع

(والأرض وإن كانت سبعة عند الجمهور فليس بعضها فوق بعض بل بعضها موالٍ لبعض). «جعل» يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ وإلى مفعولين إن كان بمعنى «صير» كقوله: ﴿وَجَعَلُوا أَلَمَاتِكُمْ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنشَاءً﴾ [الزخرف: الآية ١٩] وفيه رد قول الثنوية بقدم النور والظلمة، وأفرد النور لإرادة الجنس ولأن ظلمة كل شيء تختلف باختلاف ذلك الشيء، نظيره ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الموضع المظلم يخالف كل

كالأناسي، فإن أفرادها متفقة الحقيقة بالنوع واختلافها بالعوارض، وكذا الأرض، واحتمال معنى قوله: بخلاف الأرضين أنها ليست بطبقات، بل أقاليم سبعة. وأيضاً كون معناه: أن لها طبقات لكنها ليست متفاصلة بعيد، أما أولاً فلأنه لا يلائم قوله: بخلاف الأرضين، وأما ثانياً فليس بمطابق لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: الآية ١٢]، فإنه فسّر به البعض بأن في كل طبقة خلقاً من خلق الله تعالى، فيكون لها طبقات كلها من جنس واحد، وهو التراب. اهـ. قوله: (والأرض وإن كانت سبعة عند الجمهور، فليس بعضها فوق بعض، بل بعضها موالٍ لبعض)، قال المصنّف رحمة الله عليه في سورة الطلاق: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ﴾ مبتدأ وخبره ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ أجمع المفسرون على أن السموات سبع ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ بالنصب عطفاً على سبع سموات، قيل: ما في القرآن آية تدلّ على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وغلظ كل سماء كذلك، والأرضون مثل السموات، وقيل: الأرض واحدة إلا أن الأقاليم سبعة، انتهى. وفي التفسير الكبير في سورة الطلاق قال الكلبي: خلق سبع سموات بعضها فوق بعض مثل القبة، ومن الأرض مثلهن في كونها طباقاً متلاصقة، كما هو المشهور أن للأرض ثلاث طبقات: طبقة أرضية مَحْضَة، وطبقة طينية وهي غير محضّة، وطبقة مُنْكَشَفَة بعضها في البحر وبعضها في البرّ، وهي المعمورة، ولا بعد في قوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: الآية ١٢] من كونها سبعة أقاليم على حسب سبع سموات وسبع كواكب فيها، وهي السيّارة، فإن لكل واحد من هذه الكواكب خواص تظهر آثار تلك الخواص في كل إقليم من أقاليم الأرض، فتصير سبعة بهذا الاعتبار، فهذه هي الوجوه التي لا يأباه العقل وما عداها من الوجوه المنقولة من أهل التفسير، فذلك من جملة ما يأباه العقل، مثل ما يقال: السموات السبع أولها

واحد منها صاحبه، والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات، وقدم الظلمات لقوله ﷻ: «خلق الله خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن

موج مكفوف، وثانيها صخر، وثالثها حديد، ورابعها نحاس، وخامسها فضة، وسادسها ذهب، وسابعها ياقوت، وقول من قال: بين كل واحدة منها مسيرة خمسمائة سنة، وغلظ كل واحدة منه كذلك، فذلك غير مُعتبر عند أهل التحقيق، اللهم إلا أن يكون نقل متواتر. انتهى بحروفه. وفي الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الحفية في سورة البقرة.

قوله: ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ ذكر تعالى أن السموات سبع ولم يأت للأرض في التنزيل عدد صريح لا يحتمل التأويل، إلا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: الآية ١٢]، وقد اختلف فيه، فقيل: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: الآية ١٢] أي في العدد؛ لأن الكيفية والصفة مختلفة بالمشاهدة والإخبار، فتعين العدد. وقيل: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: الآية ١٢] أي في الغلظ وما بينهما. وقيل: هي سبع إلا أنه لم يفتق بعضها من بعض، قاله الماوردي. والصحيح الأول، وأنها سبع كالسموات. اهـ. وعبارته في سورة الطلاق: قال الماوردي على أنها سبع أرضين متفاصلة بعضها فوق بعض تختص دعوة الإسلام بأهل الأرض العليا، ولا يلزم من في غيرها من الأرضين، وإن كان فيها من يعقل من خلق مميز وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم للضوء منها قولان: أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها، وهذا قول من جعل الأرض مبسوطة. والقول الثاني: أنهم لا يشاهدون السماء، فإن الله تعالى خلق لهم ضياء يستمدون منه، وهذا قول من جعل الأرض كروية. وفي الآية قول ثالث حكاه الطيبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أنها سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض، تفرق بينها البحار وتظل جميعها السماء، وفيه هناك مزيد بسط على هذا، فتأمل. اهـ بحروفها. وعبارتها في سورة الطلاق: قوله: يعني سبع أرضين، عبارة الخطيب: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: الآية ١٢] أي سبعة أما كون السموات سبعة بعضها فوق بعض فلا خلاف فيه؛ لحديث الإسراء وغيره. وأما الأرضون، فقال: إنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والأرض، وفي كل أرض سكان من خلق الله. وقال الضحاك: إنها

أصابه ذلك النور اهتدى وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعد هذا البيان ﴿يَرِيهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يساوون به الأوثان، تقول عدلت بذا أي ساويته به، والباء في

سبع أرضين، ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات. قال القرطبي: والأول أصح؛ لأن الأخبار دالة عليه. وفي كتاب الفردوس عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «ما بين السماء إلى السماء خمسمائة عام، وعرض كل سماء وثخانة كل سماء خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة وبين الكرسي والعرش مثل ذلك، وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، والأرضون وعرضهن وثخانتهم مثل ذلك». اهـ. قال الماوردي: وعلى أنها سبع أرضين تختص دعوة الإسلام بأهل الأرض العليا، ولا يلزم من في غيرها من الأرضين وإن كان فيها من يعقل من خلق مميز، وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان: أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم، ويستمدون الضياء. قال ابن عادل: وهذا قول من جعل الأرض مبسوطة. الثاني: أنهم لا يشاهدون السماء، وأن الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه. قال ابن عباس: وهذا قول من جعل الأرض كروية. وحكى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أنها سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعها السماء، فعلى هذا إن لم يكن لأحد من أهل الأرض وصول إلى أرض أخرى اختصت دعوة الإسلام بهذه الأرض، وإن كان لقوم منهم وصول إلى أرض أخرى. احتتمل أن تلزمهم دعوة الإسلام لإمكان الوصول إليهم؛ لأن فصل البحار إذا أمكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه، واحتمل أن لا تلزمهم دعوة الإسلام لأنها لو لزمهم لكان النص بها وارد، وكان النبي ﷺ بها مأمورا، وقال بعض العلماء: السماء في اللغة عبارة عما علاك؛ فالأولى بالنسبة إلى السماء الثانية أرض، وكذا السماء الثانية بالنسبة إلى الثالثة أرض، وكذلك البقية بالنسبة إلى ما تحته سماء، وبالنسبة إلى ما فوقه أرض؛ فعلى هذا تكون السموات السبع وهذه الأرض الواحدة سبع سموات وسبع أرضين. اهـ بحروفه. اهـ بحروفها.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بينما نبي الله ﷺ جالسٌ وأصحابه إذ أتى عليهم صاحب، فقال نبي الله ﷺ: «هل تدرون ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذه العنان» (بفتح العين من عن أي

﴿بَرِّهِمْ﴾ صلة للعدل لا للكفر، أو ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه أي يعرضون عنه فتكون الباء صلة للكفر وصلة ﴿يَعْدِلُونَ﴾ أي عنه محذوفة، وعطف ﴿ثُمَّ﴾

ظُهِرَ) «هذه روايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يَدْعُونَهُ»، ثم قال: «هل تدرون ما فوقكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها الرَّقِيعُ» (وهو اسم السماء الدنيا، وقيل لكل سماء والجمع أرقعة) «سُقْفٌ محفوظ وموج مكفوف» (أي ممنوع من الاسترسال، والمعنى أن الله حفظها عن السقوط على الأرض)، ثم قال: «هل تدرون ما بينكم وبينها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «بينكم وبينها» (أي مقدار ما بين الأرض والسماء) «خمسماية عام» (أي مسيرة ومسافتها)، ثم قال: «هل تدرون ما فوق ذلك؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «سماءان» (أي سماء بعد سماء) «بُعْد ما بينهما خمسماية سنة»، ثم قال كذلك (أي سماءان مرتين أخريين) حتى عدَّ سبع سموات ما بين كل سمائين ما بين السماء والأرض، ثم قال: «هل تدرون ما فوق ذلك؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إِنَّ فوق ذلك العرش، وبينه وبين السماء» (أي السابعة) «بُعْد ما بين السماءين» (أي من السموات السبع)، ثم قال: «هل تدرون ما الذي تحتكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنها الأرض»، (أي العليا)، ثم قال: «هل تدرون ما الذي تحت ذلك؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إِنْ تحتها أرضاً أخرى بينها مسيرة خمسماية سنة» (أي وهكذا ذكر أرضاً بعد أخرى) حتى عدَّ سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسماية سنة، ثم قال: «والذي نفس محمد بيده، لو أنكم دَلَّيْتُمْ» (بتشديد اللام المفتوحة من أدليت الدلو دَلَّيْتُمْ إذا أرسلتها البئر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَذَلِّ دَلْوُكُمْ﴾ [يُوسُف: الآية ١٩] على التجريد والتأكيد، والمعنى: لو أرسلتم) «بحبل إلى الأرض السفلى لهبط» (بفتح الباء الموحدة، أي لنزل) «على الله»، ثم قرأ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: الآية ٣]. قال الترمذي: قراءة رسول الله ﷺ الآية تدل على أنه أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه. اهـ.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريح في قوله: ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: الآية ١٢]، قال: بلغني «أن عرض كل أرض مسيرة خمسماية سنة، وأن بين كل أرضين مسيرة خمسماية سنة» الحديث. وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم

الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٣﴾ عَلَى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عَلَى معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لأنه ما خلقه إلا نعمة، ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته، أو على خلق السموات على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه . ومعنى «ثم» استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته .

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَ اللَّهِ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ﴾ ﴿٤﴾

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ «من» لابتداء الغاية أي ابتداء خلق أصلكم يعني آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ أي حكم أجل الموت ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَ اللَّهِ﴾ أجل القيامة، أو الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت، والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ . أو الأول النوم . والثاني الموت، أو الثاني هو الأول وتقديره : وهو أجل مسمى أي معلوم، و﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مبتدأ والخبر ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ وقدم المبتدأ وإن كان نكرة والخبر ظرفاً وحقه التأخير لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ﴾ تشكون من (المرية) أو تجادلون من (المراء) . ومعنى «ثم» استبعاد أن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم .

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ ﴿٥﴾

﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ مبتدأ وخبر ﴿السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ متعلق بمعنى اسم الله (كأنه قيل : وهو المعبود) فيهما كقوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾

وصححه وثعبه الذهبي، فقال : منكر . عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الأرضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام» الحديث .

وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : «كثف الأرض مسيرة خمسمائة عام، وكثف الثانية مثل ذلك، وما بين كل أرضين مثل ذلك» . اهـ .

قوله : (المرية) الشك، وقد يضم وقد قرئ بهما قوله تعالى : ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [هود : الآية ١٧] . اهـ . مختار الصحاح . قوله : (المراء) بمعنى الجدل .

قوله : (كأنه قيل : وهو المعبود) أن جعل مشتقاً من أله يآله إذا عُبِد . اهـ محشي رَكَّعَهُ .

[الزخرف: الآية ٨٤] أو المعروف بالإلهية فيهما، أو هو الذي يقال له الله فيهما، والأول تفریع على أنه مشتق وغيره على أنه غير مشتق ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ خبر بعد خبر أو كلام مبتدأ أي هو يعلم سرّكم وجهركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ من الخير والشرّ ويثيب عليه ويعاقب.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٥﴾

و«من» في ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ للاستغراق وفي ﴿مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ﴾ للتبعض أي وما يظهر لهم دليل قطّ من الأدلة التي يجب فيها النظر والاعتبار ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ تاركين للنظر لا يلتفتون إليه لقلة خوفهم وتدبرهم في العواقب ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ مردود على كلام محذوف كأنه قيل: إن كانوا معرضين على الآيات فقد كذبوا ﴿بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي بما هو أعظم آية وأكبرها وهو القرآن (الذي تحدوا به) فعجزوا عنه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي أنباء الشيء الذي كانوا به يستهزئون وهو القرآن أي أخباره وأحواله يعني سيعلمون بأي شيء استهزءوا وذلك عند إرسال العذاب عليهم في الدنيا، أو يوم القيامة، أو عند ظهور الإسلام وعلو كلمته.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ ﴿٦﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني المكذبين ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ هو مدة انقضاء أهل كل عصر وهو ثمانون سنة أو سبعون ﴿مَكَّنَّهُمْ﴾ في موضع جرّ صفة لـ«قرن» وجمع على المعنى ﴿فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ﴾ التمكين في البلاد إعطاء (المكنة) والمعنى: لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عاذا وثمود وغيرهم من البسطة في الأجسام والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ كثيرا وهو حال من السماء ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ من

قوله: (الذي تحدوا به) التحدي طلب المعارضة.

قوله: (المكنة) بمعنى القوة والشدة.

تحت أشجارهم والمعنى عاشوا في (الخصب) بين الأنهار والثمار و(سقى الغيث) المدرار ﴿فَأَقَلَّكُم مِّدْوَاهُهُمْ﴾ ولم يغن ذلك عنهم شيئاً ﴿وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا مَّآخِرِينَ﴾ بدلاً منهم.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ مكتوباً ﴿فِي قِرْطَاسٍ﴾ في ورق ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ هو للتأكيد لئلا يقولوا: ﴿سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا﴾ ومن المحتج عليهم العمى ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ تعنتاً وعناداً للحق بعد ظهوره.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾

﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على النبي ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يكلمنا أنه نبي فقال الله: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ لقضي أمر هلاكهم ﴿ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ لا يمهلون بعد نزوله (طرفة عين) لأنهم إذا شاهدوا ملكاً في صورته (زهقت) أرواحهم من هول ما يشاهدون. ومعنى «ثم» بعدما بين الأمرين قضاء الأمر وعدم الإنظار، جعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيكُونَ﴾

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا﴾ ولو جعلنا الرسول ملكاً كما اقترحوا لأنهم كانوا يقولون تارة لولا أنزل على محمد ملك، وتارة يقولون ما هذا إلا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ لأرسلناه في صورة رجل كما كان جبريل عليه السلام.

قوله: (الخصب) - بالكسر - ضد الجذب. قوله: (سقى الغيث) في مختار الصحاح: سقاه من باب رمى وأسقاه قال له: سَقِيَا وسقاه الله الغيث وأسقاه، والاسم السقي بالضم. اهـ.

قوله: ﴿سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا﴾ سَدَّتْ أَبْصَارُنَا، أي حُبِسَتْ من الإبصار بالسحر كما يسد النهر من الجري، من السكر - بكسر السين وفتحها - وهو السد.

قوله: (طرفة عين) أي في أقل أزمنة مقدار تحريك جفنيها من أعلى إلى أسفل، ويكنى به عن غاية القلة وطرفة مصدر منصوب على الظرفية الزمانية. قوله: (زهقت) أي خرجت.

ينزل على رسول الله ﷺ في أعَمِّ الأحوال في صورة (دحية) ، لأنهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم ﴿وَلَبَّسْنَا عَلَيْهِمْ مَآ يَلْبُسُونَ﴾ ولخلطنا وأشكلنا عليهم من أمره إذا كان سبيله كسبيلك يا محمد، فإنهم يقولون إذا رأوا الملك في صورة الإنسان هذا إنسان وليس بملك. يقال: (لبست الأمر) على القوم وألبسته إذا أشبهته وأشكلته عليهم.

ثم سلى نبيّه على ما أصابه من استهزاء قومه بقوله:

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٠)

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١٠) فأحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل استهزائهم به و«منهم» متعلق بـ «سَخِرُوا» كقوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٧٩] والضمير للرسل (والدال مكسورة عند أبي عمرو وعاصم لالتقاء الساكنين) ، وضمّهما غيرهما إتباعاً لضم التاء.

قوله: (دحية) الكلبيّ الصحابيّ، يقال بكسر الدال ويفتحها لغتان مشهورتان، هو دحية بن خليفة بن فضالة بن فروة الكلبيّ، أسلم قديماً وشهد مع رسول الله ﷺ مشاهدته كلها بعد بدر، وأرسله رسول الله ﷺ بكتابٍ إلى عظيم بُصْرَى ليدفعه إلى هِرْقَل وحديثه في الصحيحين، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورته، وكان من أجمل الناس، حُكي أنه كان إذا قدم بالشام لم تبقْ معصراً إلا خرجت تنظر إليه، والمعصر التي بلغت سنّ المَحِيض. روى عن النبي ﷺ ثلاثة أحاديث. رَوَى عنه خالد بن زيد وعبد الله بن شدّاد والشعبي وغيرهم، وشهد اليرموك وسكن المزة القرية المعروفة بجنب دمشق، وبقي إلى خلافة معاوية رضي الله تعالى عنهما.

أنه قد ضرب.

حمزة ويعقوب وضمّهما، وغيرهما أي الباقون. وكذا عند

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (١١)

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (١١)
(والفرق بين فانظروا) وبين ﴿ثُمَّ أَنْظَرُوا﴾ إن النظر جعل مسبباً عن السير في «فانظروا» فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين. ومعنى ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا﴾ إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها وإيجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بـ«ثم» لتباعد ما بين الواجب والمباح.

﴿قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْمَةِ لَا رَبَّ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٢)

﴿قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ «من» استفهام و«ما» بمعنى الذي في موضع الرفع على الابتداء و«لمن» خبره ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ (تقرير لهم) أي هو الله لا خلاف بيني وبينكم، ولا تقدرون أن تضيفوا منه شيئاً إلى غيره ﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ

قوله: (والفرق بين فانظروا)، أي في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٢٧) [الآية ١٣٧]، وفي قوله تعالى في النمل: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٩) [الآية ٦٩]، وفي قوله تعالى في العنكبوت: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [الآية ٢٠]، وفي قوله تعالى في الروم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية ٩]، وبين ﴿ثُمَّ أَنْظَرُوا﴾ [الأنعام: الآية ١١] أن النظر جعل مسبباً عن السير في فانظروا... الخ. يعني أن النظر إذا عطف على السير بالفاء يكون كل واحد منها مطلوباً، إلا أن الأول يكون مطلوباً لأجل الثاني، وإذا عطف بـ«ثم» لا يكون بينهما ما يدل على السببية، بل ما يدل على كون الثاني متراخياً عن الأول، ولا وجه لحمله على التراخي الزماني؛ لأن النظر في آثار الهالكين والاعتبار بحالهم واجب على الفور، ليس من حقه أن يتراخى عن السير؛ فلذلك حُمل على التراخي الرتبي، فإن حمل الأمر بالسير على الإباحة والأمر بالنظر على الوجوب.

قوله: (تقرير لهم) أي إلجاء، أي الإقرار بأن الكل لله؛ لأن هذا من الظهور بحيث لا يقدر أحد أن ينكره.

الرَّحْمَةِ ۖ أَصْلَ كُتُبٍ أُوجِبَ وَلَكِنْ لَا يَجُوزُ الْإِجْرَاءُ عَلَى ظَاهِرِهِ إِذْ لَا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ لِلْعَبْدِ، فَالْمُرَادُ بِهِ أَنَّهُ وَعَدَ ذَلِكَ وَعَدًا مُؤَكَّدًا وَهُوَ مَنْجُزُهُ لَا مُحَالَةً. وَذَكَرَ النَّفْسَ لِلِاخْتِصَاصِ وَرَفَعَ الْوَسَائِطَ، ثُمَّ أَوْعَدَهُمْ عَلَى إِغْفَالِهِمُ النَّظَرَ وَإِشْرَاكِهِمْ بِهِ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ شَيْءٍ بِقَوْلِهِ: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ﴾ فَيَجَازِيَكُمْ عَلَى إِشْرَاكِكُمْ ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي الْجَمْعِ ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ نَصَبَ عَلَى الذَّمِّ أَيَّ أَرِيدَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِاخْتِيَارِهِمُ الْكُفْرَ ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَقَالَ (الْأَخْفَشُ): «الَّذِينَ» بَدَلَ مِنْ «كُمْ» فِي ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أَيَّ لِيَجْمَعَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُكِينَ

قوله: (الأخفش) الأخفش ثلاثة: أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أحد شيوخ سيبويه، وهو الأخفش الأكبر، والثاني: أبو الحسن سعيد بن مسعدة تلميذ سيبويه، وهو الأخفش الأوسط، والثالث: أبو الحسن علي بن سليمان تلميذ المُبرّد، وهو الأخفش الأصغر، وحيث يُطلق الأخفش وهو الأوسط المشهور كما وقع في عبارة الكافية، وخالف سيبويه الأخفش، فإن أريد الأكبر والأصغر قيدوه مات - أي المشهور - في السنة العاشرة بعد المائتين، وقيل بعدها. اهـ فروق حقيّ رحمه الله. وفي كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعيّ بالولاء النحويّ البلخيّ المعروف بالأخفش، أحد نحاة البصرة، والأخفش الأكبر أبو الخطاب، وكان نحويًا أيضًا من أهل هَجَرَ مِنْ مَوَالِيهِمْ، واسمه عبد الحميد بن عبد المجيد، وقد أخذ عنه أبو عبيدة وسيبويه وغيرهما، وكان الأخفش الأوسط المذكور من أئمة العربية وأخذ النحو عن سيبويه، وكان أكبر منه، وكان يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئًا إلّا وعرضه عليّ، وكان يرى أنه أعلم به منّي، وأنا اليوم أعلم به منه. وحكى أبو العباس ثعلب عن آل سعيد بن سالم قالوا: دخل الفراء على سعيد المذكور، فقال لنا: قد جاءكم سيد أهل اللغة وسيد أهل العربية، فقال الفراء: أمّا ما دام الأخفش يعيش فلا، وهذا الأخفش هو الذي زاد في العروض بحر الحَبَب، وله من كتب المصنّفة «الأوسط في النحو» وكتاب «تفسير لمعاني القرآن» وكتاب «المقاييس في النحو» وكتاب «الاشتقاق» وكتاب «العروض» وكتاب «القوافي» وكتاب «معاني الشعر» وكتاب «الملوك» وكتاب «الأصوات» وكتاب «المسائل الكبير» وكتاب «المسائل الصغير» وغير ذلك، وكان أجلع، والأجلع الذي لا ينضمّ شفته على أسنانه، والأخفش الصغير العينين مع

الذين خسروا أنفسهم والوجه هو الأول لأن (سيبويه) قال: لا يجوز «مررت بي المسكين ولا بك المسكين» فتجعل «المسكين» بدلاً من الياء أو الكاف (لأنهما) في غاية الوضوح فلا يحتاجان إلى البدل والتفسير.

﴿وَلَمْ يَأْكُلْ مِمَّا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٣)

﴿وَلَمْ﴾ عطف على ﴿لَهُ﴾ ﴿مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (من السُّكْنَى) حتى يتناول الساكن والمتحرك أو من السكون ومعناه ما سكن وتحرك فيهما فاكتفى بأحد

سوء بصرهما، وكانت وفاته سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل: سنة إحدى وعشرين ومائتين رحمه الله تعالى، وكان يقال له: الأخفش الأصغر، فلما ظهر علي بن سليمان المعروف بالأخفش أيضاً، صار هذا وسطاً، ومُسَعَّدَةً - بفتح الميم وسكون السين وفتح العين والذال المهملات وبعدهن هاء ساكنة - والمجاشعي - بضم الميم وفتح الجيم وبعد الألف شين مثلثة مكسورة وبعدها عين مهملة - هذه النسبة إلى مجاشع بن دارم بطن من تميم. اهـ.

قوله: (سيبويه) هو أبو عمرو بن عثمان بن قُتَيْبَر كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه، وذكره الحافظ يوماً فقال: لم يكتب الناس في النحو كتاباً مثله، وجميع كتب الناس عليه عيال. قال العلامة إسماعيل حقّي: وموته في أيام الرشيد سنة ثمانين ومائة بالبيضاء من قرى شيراز، ومعنى سيبويه رائحة التفاح، كان في غاية الجمال وجنتاه كأنهما تفاحتان، وقيل: لُقِبَ بذلك لذكائه أو لأنه كان فتى أعجمياً يعتاد شم التفاح، أو للطافته لأن التفاح من نظيف الفواكه. اهـ.

قوله: (لأنهما) أي لأن ضمير المتكلم والمخاطب.

وهو الاستقرار والتمكّن، يقال: سكنت داري وأسكنتها غيري سكنى لا من السكون الذي هو ضدّ الحركة، وإنما جعله من السُّكْنَى لأن ما سكن في الليل والنهار بهذا المعنى يعمّ جميع ما في الأرض مما طلعت عليه الشمس وغربت، بخلاف ما سكن بالمعنى الآخر، فإنه لا يتناول المتحرك، والذي من السُّكْنَى معناه: وله ما حلّ في الليل والنهار، وهو وإن كان يتعدى

الضدين عن الآخر كقوله: ﴿تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: الآية ٨٢] أي الحرّ والبرد، وذكر السكون لأنه أكثر من الحركة وهو احتجاج على المشركين لأنهم لم ينكروا أنه خالق الكل ومديره ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيْمُ﴾ يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه (الملوان).

﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٤)

﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ وَلِيًّا﴾ ناصراً ومعبوداً وهو مفعول ثانٍ لـ ﴿أَنزَلْنَا﴾ والأول ﴿أَغَيَّرَ﴾ وإنما أدخل همزة الاستفهام على مفعول ﴿أَنزَلْنَا﴾ لا عليه لأن الإنكار في اتخاذ غير الله ولياً لا في اتخاذ الولي فكان أحق بالتقديم ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالجرّ صفة لله أي (مخترعهما). وعن (ابن عباس) ؓ: ما عرفت

بنفسه، ويقال: سكنت بلدة كذا، لكنه يتعدى بفي أيضاً؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [إبراهيم: الآية ٤٥]، وإن كان سكن من السكون لا بدّ من ارتكاب حذف المعطوف اعتماداً على دلالة المقام عليه، والتقدير: وله ما سكن وتحرك في الليل والنهار، وحذف المعطوف اعتماداً على شهادة المقام كثير في كلام العرب، ومنه قوله تعالى: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: الآية ٨١] والبرد، قيل: وجه انتظام الآية بما قبلها أنه تعالى ذكر في الآية الأولى البسموات والأرض؛ إذ لا مكان سواهما، وفي هذه الآية ذكر الليل والنهار؛ إذ لا زمان سواهما، فالزمان والمكان ظرفان لجميع المحدثات، فأخبر تعالى أنه مالك للمكان والمكانيات، ومالك للزمان والزمانيات. قوله: (الملوان) الليل والنهار.

قوله: (مخترعهما) أي خالقهما ابتداء لا على مثال سبق.

قوله: (ابن عباس) الصحابي ابن الصحابي، المكي ابن عم رسول الله ﷺ، وكان يقال له: حَبْرُ الْأُمّةِ والبحر لكثرة علمه. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ ألف حديث وستمائة حديث وستون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين ومسلم بتسعة وأربعين، توفي بالطائف سنة ثمان وستين، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنهما.

معنى الفاطر حتى اختصم إليّ أعرابيان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدأتها ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ (وهو يرزق ولا يرزق) أي المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لأن النبي سابق أمته في الإسلام كقوله: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٣] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وقيل لي: لا تكونن من المشركين ولو عطف على ما قبله لفظاً لقليل: وأن لا أكون، والمعنى: أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٥) ﴿مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (١٦)

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٥) أي إني أخاف عذاب يوم عظيم وهو القيامة إن عصيت ربي (فالشرط معترض بين الفاعل وبين المفعول به محذوف الجواب ﴿مَنْ يُصِرْ﴾ عَنْهُ الْعَذَابُ ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ الله الرحمة العظمى وهي النجاة. ﴿مَنْ يُصِرْ﴾ (حمزة وعلي وأبو بكر). أي مَنْ يصرف الله عنه العذاب ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ النجاة الظاهرة.

قوله: (وهو يرزق ولا يرزق)، يعني أن المراد بالطعام الرزق بمعناه اللغوي، وهو كل ما ينتفع به بدليل وقوعه مقابلاً له في قوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: الآية ٥٧]، فعبّر بالخاص عن العام مجازاً؛ لأنه أعظمه وأكثره لشدة الحاجة إليه، واكتفى بذكره عن ذكره؛ لأنه يعلم مَنْ نفى ذلك نفى ما سواه.

قوله: (فالشرط معترض بين الفاعل) وهو أخاف، (وبين المفعول به) وهو عذاب (محذوف الجواب) لدلالة ما قبله عليه.

قوله: ﴿مَنْ يُصِرْ﴾ بفتح الياء وكسر الراء بالبناء للفاعل والمفعول محذوف ضمير العذاب. (حمزة وعلي) الكسائي (وأبو بكر) شعبة عن عاصم، وكذا يعقوب وخلف، والباقون بضم الياء وفتح الراء بالبناء للمفعول، والنائب ضمير العذاب، والضمير في عنه يعود على مَنْ.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْ﴾ من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ فلا قادر على كشفه إلا هو ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ من غنى أو صحة ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فهو قادر) على إدامته وإزالته ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ مبتدأ وخبر أي الغالب المقتدر ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ خبر بعد خبر أي عال عليهم بالقدرة. والقهر بلوغ المراد بمنع غيره من بلوغه ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تنفيذ مراده ﴿الْخَبِيرُ﴾ بأهل القهر من عباده.

﴿قُلْ أَتَى شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿قُلْ أَتَى شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَدَةً﴾ ﴿أَتَى شَيْءٌ﴾ مبتدأ و﴿أَكْبَرُ﴾ خبره و﴿شَهَدَةً﴾ تمييز و«أي» كلمة يُراد بها بعض ما تُضاف إليه، فإذا كانت استفهاماً كان جوابها مُسمى باسم ما أضيفت إليه. وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جواب أي الله أكبر شهادة ف ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ والخبر محذوف فيكون دليلاً على أنه يجوز إطلاق اسم الشيء على الله تعالى، وهذا لأن الشيء اسم للموجود ولا يطلق على المعدوم والله تعالى موجود فيكون شيئاً ولذا نقول الله تعالى شيء لا كالأشياء. ثم ابتدأ ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي هو شهيد بيني وبينكم، ويجوز أن يكون الجواب ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ لأنه إذا كان الله شهيداً بينه وبينهم فأكبر شيء شهادة شهيد له ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (أي ومن بلغه

قوله: (فهو قادر) أي إدامته وإزالته بيان لوجه ارتباط الجزاء بالشرط.

قوله: ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ المراد بشهادة الله إظهار المعجزة على يد النبي ﷺ، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّهَادَةِ مَا بَيَّنَّ بِهِ الْمُدْعَى، وهو كما يكون بالقول يكون بالفعل، ولا شك أَنَّ دلالة الفعل أقوى من دلالة القول؛ لعروض الاحتمالات في الألفاظ دون الأفعال، فَإِنَّ دلالتها لا يعرض لها الاحتمال، وَأَنَّ المعجزة نازلة من قوله تعالى: صدق عبدي في كل ما يبلغ عني. اهـ كرخي. قوله: (أي ومن بلغه

القرآن إلى قيام الساعة في الحديث «من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدًا ﷺ» و«من» في محل النصب بالعطف على «كم» (والمراد به أهل مكة يعني) والعائد إليه محذوف أي ومن بلغه، وفاعل ﴿بَلَّغَ﴾ ضمير القرآن ﴿أَيُّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى﴾ (استفهام إنكار) و(تبكيث) ﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾ بما تشهدون وكثر ﴿قُلْ﴾ توكيدًا ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ «ما» كافة لـ «أن» عن العمل وهو مبتدأ و﴿إِلَهٌ﴾ خبره و﴿وَاحِدٌ﴾ صفة (أو بمعنى الذي) في محل النصب بـ «إن» و﴿هُوَ﴾ مبتدأ و﴿إِلَهٌ﴾ خبره والجملة صلة «الذي» و﴿وَاحِدٌ﴾ خبر «إن» وهذا الوجه أوقع ﴿وَلَنَنْتَ بِرِيٍّ نِمًا تُشْرِكُونَ﴾ به .

القرآن) فمن يأتي بعدي (إلى قيام الساعة) من العرب والعجم وغيرهم من سائر الأمم، فكل من بلغ إليه القرآن وسمعه، فالنبي ﷺ نذير له، (في الحديث: «من بلغه القرآن، فكأنما رأى محمدًا ﷺ»). أخرج ابن أبي شيبة وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي، قال: من بلغه القرآن، فكأنما رأى النبي ﷺ، وفي لفظ: من بلغه القرآن حتى يفهمه ويعقله، كان كمن عاين رسول الله ﷺ. وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم والخطيب وابن النجار عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من بلغه القرآن كأنما شافهته به»، ثم قرأ: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرْكَ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في الأسماء والصفات عن مجاهد في قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرْكَ بِهِ﴾ قال العرب: ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾، قال: العجم.

قوله: (والمراد به أهل مكة، يعني) أن قوله: ﴿لِأُنْذِرْكُمْ﴾ خطاب لأهل مكة. قوله: (استفهام إنكار)، أي: لا تنبغي ولا تصح منكم هذه الشهادة؛ لأن المعبود واحد لا تعدد فيه. قوله: (تبكيث) أي توبيخ. قوله: (أو بمعنى الذي) . . . الخ. وهو ضعيف، ويدل على صحة الوجه الأول تعيينه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النساء: الآية ١٧١]؛ إذ لا يجوز فيه أن تكون موصولة لخلو الجملة عن ضمير الموصول. وقال أبو البقاء: وهذا الوجه أليق بما قبله، ولا أدري ما وجه ذلك. اهـ سمين .

﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلَكْتَبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلَكْتَبَ﴾ يعني اليهود والنصارى. والكتاب: التوراة والإنجيل ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي رسول الله ﷺ (بحليته) ونعته الثابت في الكتابين ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ﴾ (بحلاهم) ونعوتهم وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢١﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ استفهام يتضمن معنى النفي أي لا أحد أظلم لنفسه، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، وأشنعته اتخاذ المخلوق معبودًا ﴿مِمَّنْ افْتَرَى﴾ اختلق ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فيصفه بما لا يليق به ﴿اللَّهُ كَذِبًا أَوْ﴾ بالقرآن والمعجزات ﴿إِنَّهُمْ﴾ إن الأمر والشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ جمعوا بين أمرين باطلين، فكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، وسموا القرآن والمعجزات سحرًا.

قوله: (بحليته) أي صفته. قوله: (بحلاهم) جمع حلية. في المصباح: الحلية - بالكسر - الصفة، والجمع حُلَى مقصور وتضم الحاء وتكسر. اهـ. رُوي أنه لما قَدِم رسول الله ﷺ المدينة، قال عمر لعبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنهما: أنزل الله تعالى هذه الآية على نبيه، فكيف هذه المعرفة؟ فقال: يا عمر، لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابني، ولأنا أشد معرفة بمحمد ﷺ مني بابني، لأنني لا أدري ما صنع النساء، وأشهد أنه حقُّ مُرسل من الله تعالى، فقبل عمر رأس عبد الله، وقال: وفقك الله يا ابن سلام، فقد صدقت. قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ الظاهر أنه مبتدأ، وقوله: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ خبره دخلت الفاء في الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط، فإن تضييع المشركين وأهل الكتاب ما به يُكتسب الإيمان وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم سبب لعدم الإيمان، فيترتب عليه عدم الإيمان كما يترتب الجزاء على الشرط. قوله: (من المشركين ومن أهل الكتاب)، يعني: ليس إشارة إلى الذين آتيناهم الكتاب خاصة، ولذا كان مبتدأ خبره ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا نصبًا على الذم أو رفعًا كما في ما تقدم.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سُرَّكَاؤُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ هو مفعول به والتقدير: واذكر يوم نحشرهم ﴿جَمِيعًا﴾ حال من ضمير المفعول ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ مع الله غيره توبيخاً، (وبالياء فيهما: يعقوب) ﴿إِنَّا سُرَّكَاؤُكُمْ﴾ آلهتكم التي جعلتموها شركاء الله ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان ﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ﴾ (وبالياء: حمزة وعلي) ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ كفرهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ يعني ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقتلوا عليه إلا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به، أو ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا: فُسمي فتنة لأنه كذب. (وبرفع الفتنة) مكّي (وشامي وحفص)؛ فَمَنْ قرأ ﴿تَكُنْ﴾ بالياء ورفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم ﴿تَكُنْ﴾ و﴿أَنْ قَالُوا﴾ الخبر أي لم تكن فتنتهم إلا قولهم، ومَنْ قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل ﴿أَنْ قَالُوا﴾ اسم ﴿يَكُنْ﴾ أي لم يكن فتنتهم إلا قولهم، ومَنْ قرأ بالياء ونصب الفتنة حمل على المقالة. ﴿رَبَّنَا﴾ حمزة وعلي، على النداء أي يا ربنا وغيرهما بالجر على النعت من اسم الله.

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَنْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ بقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قال (مجاهد): إذا جمع الله الخلائق ورأى المشركون سعة رحمة الله وشفاعة رسول الله ﷺ

قوله: (وبالياء فيهما) أي نحشرهم ونقول (يعقوب) بن إسحق، وليس من السبعة. والباقون بنون العظمة فيهما. قوله: (وبالياء) على التذكير (حمزة وعلي) الكسائي. والباقون بالياء على التأنيث. قوله: (وبرفع الفتنة) مكّي، أي ابن كثير المكي، (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وحفص) عن عاصم رضي الله عنه. والباقون بالنصب، فصار نافع وأبو عمرو وشعبة بالتأنيث والنصب، وابن كثير وابن عامر وحفص بالتأنيث والرفع، وحمزة وعلي بالتذكير والنصب. قوله: (ربنا) بنصب الباء (حمزة وعلي) الكسائي رضي الله عنه.

قوله: (مجاهد) بن جبر الإمام المشهور، وهو تابعي إمام متفق على جلالته وإمامته وتوثيقه، وهو إمام في اللغة والتفسير والحديث مناقبه كثيرة

للمؤمنين قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد فإذا قال لهم الله: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا: والله ربنا ما كنا مشركين، فيختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم ﴿وَصَدَّلَ عَنْهُمْ﴾ وغاب عنهم ﴿مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ إلهيته وشفاعته.

﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ حين تتلو القرآن. رُوِيَ أنه اجتمع (أبو سفيان) و(الوليد) و(النضر) و(أضرابهم) يستمعون تلاوة رسول الله ﷺ فقالوا للنضر: ما

مشهورة، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون.

قوله: (أبو سفيان) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي المكي، أسلم زمن الفتح وكان شيخ مكة إذ ذاك ورئيس قريش ولقي رسول الله ﷺ بالطريق قبل دخول مكة لفتحها فأسلم هناك وشهد حنيناً وأعطاه النبي ﷺ مِنْ غَنَائِمِهَا مائة بغير وأربعين أوقية، وشهد الطائف وفُتِّت عينه يومئذ، وشهد اليرموك. رَوَى له البخاري ومسلم حديث هِرْقُل من رواية ابن عباس عن أبي سفيان، وكان أبو سفيان من تجار قريش وأشرافهم، وكان من المؤلفين، ثم حَسُن إسلامه. نزل المدينة وتوفي بها سنة إحدى وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين، وهو ابن ثمانٍ وثمانين سنة، وهو والد يزيد ومعاوية وأم حبيبة أولاد أبي سفيان وإخوتهم.

قوله: (الوليد) بن المغيرة.

قوله: (النضر) بن الحارث - بالضاد المعجمة - أَسِرَ يوم بدر، وقُتِلَ كافرًا قتله علي بن أبي طالب بأمر رسول الله ﷺ، وأجمع أهل المغازي والسِّير على أنه قُتِلَ يوم بدر كافرًا، وإنما قُتِلَ لأنه كان شديد الأذى للإسلام والمسلمين، وهذا الذي ذكرته مِنْ قتله يوم بدر كافرًا هو الصواب.

قوله: (أضرابهم) أي أمثالهم.

يقول محمد؟ فقال: والله ما أدري ما يقول محمد إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية. فقال أبو سفيان: إني لأراه حقًا فقال (أبو جهل): كَلَّا فنزلت ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان وأعنة ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ (كراهة أن يفقهوه) ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ (ثقلًا) يمنع من السمع، ووحد الوقر لأنه مصدر وهو عطف على ﴿أَكِنَّةً﴾ (وهو حجة لنا في الأصلح على المعتزلة) ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُذَّبًا يُوْثِقُوا يَدَّيْهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَا يُجِدُونَكَ

قوله: (أبو جهل) عدو الله فرعون هذه الأمة، اسمه عمرو بن هشام، كان يُكنى أبا الحكم فكناه النبي ﷺ أبا جهل، فغلبت هذه الكنية. قُتِلَ يوم بدر كافرًا، وكانت بدر في السنة الثانية من الهجرة، قُتِلَ عمرو بن الجموح وابن عفرأ الأنصاريان، وكانا حَدَّثَيْنِ، وحديثهما في الصحيح مشهور. وقال العلامة علي القاري في شرح المشكاة في باب المبعث وبدء الوحي: قتل ابن عفرأ وقطع رأسه ابن مسعود في بدر. اهـ. وفي كتب السنن أن رسول الله ﷺ حين رآه مقتولاً قال: «قُتِلَ فرعون هذه الأمة».

قوله: (كراهة أن يفقهوه) إشارة إلى أن يفقهوه في موضع النصب على أنه مفعول له، فلما حُذِفَت الكراهة انتقل نصبها إلى أن يفقهوه. قوله: (ثقلًا) في مختار الصحاح: الثقل واحد الأثقال كحمل وأحمال، والثقل ضد الخفة. اهـ باختصار.

قوله: (وهو حجة لنا في الأصلح على المعتزلة) احتج أهل السنة بهذه الآية على أنه تعالى قد يصرف العبد عن الإيمان ويمنعه عنه ضرورة لأن القلب إذا جعل في الكنان لا ينفذ فيه الإيمان، والأذن إذا كانت مأوفة بأفة الصمم تعذر أن يتوسل بها إلى استماع الدليل والبيان. وقال المعتزلة: لا يمكن إجراء هذه الآية على ظاهرها، وإلا كانت حجة للكفار على الرسول ﷺ بأن يقولوا لما حكم الله تعالى بأنه ممنوع من الإيمان لزم أن نكون عاجزين عنه، فكيف تدعوننا إليه وتذمنا على تركه؟ ومن المعلوم أنه لا وجه لتكليف العاجز ولا لذمه على ترك ما عجز عنه؛ لأن ختم القلب وجعله في كنان وغشاوة تمنعه عن إدراك الحق وقبوله ترك لما هو الأصلح للعبد، فلا يجوز إسناده إليه تعالى عندهم، وأولوا نحو هذه الآية بوجوه،

يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٢٦﴾ «حتى» هي التي تقع بعدها الجمل، والجمله قوله: ﴿إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و﴿يُجَادِلُونَكَ﴾ في موضع الحال، ويجوز أن تكون جازة ويكون ﴿إِذَا جَاءُوكَ﴾ في موضع الجز بمعنى حتى وقت مجيئهم و﴿يُجَادِلُونَكَ﴾ حال و﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تفسير له، والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك، وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون: ﴿إِنْ هَذَا﴾ ما القرآن ﴿إِلَّا أَسْطُورٌ الْأَوَّلِينَ﴾ فيجعلون كلام الله أكاذيب، وواحد الأساطير (أسطورة).

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿وَهُمْ﴾ أي المشركون ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ ينهون الناس عن القرآن أو عن الرسول وأتباعه والإيمان به ﴿وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ﴾ ويبعدون عنه بأنفسهم فيضلون ويضلون ﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ﴾ بذلك ﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي لا يتعداهم الضرر إلى غيرهم وإن كانوا

منها: أن القوم لما أعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار ذلك الإعراض كالحالة الطبيعية لهم شبه بالوصف الجبلي فأعطى له حكم الحالة الجبلية، وهو أن يُسند إليه تعالى، فأسند إليه. وقيل: تارة ﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية ٧]، وتارة ﴿طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: الآية ١٥٥]، وتارة ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الأنعام: الآية ٢٥]، فكان إسناده إليه تعالى عبارة عن فرط تمكنه في قلوبهم، ونحن نقول: القلوب لا تقبل حقيقة الختم والأكنة، فالمراد بجعل القلوب في أكِنَّة وبجعلها مختومة أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الإيمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح، فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق وأسماعهم تعاف استماعه، فيصيرون كأنهم صمّ مختومو القلوب، وليس إحداث تلك الهيئة في نفوسهم إجباراً لهم على الكفر والضلال، بل هو عقوبة مترتبة على اختيارهم الكفر وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن اتباع الدليل والبرهان، فتلك الهيئة من حيث إن الممكنات بأسرها مستندة إليه تعالى واقعةً بقدرته أسندت إليه تعالى، ومن حيث إنها مسببة عن سوء اختيارهم وتدبيرهم، بدليل قوله تعالى: ﴿بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: الآية ١٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَّ عَلَى قُلُوبِهِمُ﴾ [المنافقون: الآية ٣]، استحقوا لأن يذموا لها ويوبخوا عليها. قوله: (أسطورة) بضم الهمزة.

يظنون أنهم يضرّون رسول الله وقيل: عنى به (أبو طالب) لأنه كان ينهى قريشاً عن التعرّض لرسول الله ﷺ وينأى عنه فلا يؤمن به والأول أشبه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقُفُّوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيِّنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ حذف جوابه أي ولو ترى لشاهدت أمراً عظيماً ﴿إِذْ وَقُفُّوا عَلَى النَّارِ﴾ أروها حتى يعاينوها أو حبسوا على الصراط فوق النار ﴿فَقَالُوا يَلَيِّنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا تمتوا الرد إلى الدنيا ليؤمنوا وتمّ تمنيههم ثم ابتدءوا بقوله: ﴿وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (واعدين) الإيمان كأنهم قالوا: ونحن لا نكذب ونؤمن. ﴿وَلَا نَكْذِبُ﴾ ﴿وَنَكُونُ﴾ حمزة وعلي وحفص على جواب التمني (بالواو وبإضمار «أن») ومعناه إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين، (وافقهما في ﴿وَنَكُونُ﴾ شامي).

قوله: (أبو طالب) في تهذيب الأسماء: أعمامه ﷺ أحد عشر، أحدهم الحارث وهو أكبر أولاد عبد المطلب، وبه كان يكنى، وقُثم والزبير وحمزة والعباس وأبو طالب وأبو لهب وعبد الكعبة وحُجَل - بحاء مهملة مفتوحة ثم جيم ساكنة - وضرار والعَيِّداق، أسلم منهم حمزة والعباس، وكان حمزة أصغرهم سناً؛ لأنه رضيع رسول الله ﷺ، ثم العباس قريب منه في السن، وكان يلي زمزم بعد أبيه عبد المطلب، وكان أكبر سناً من رسول الله ﷺ ثلاث سنين. اهـ.

قوله: (واعدين) حال من فاعل ابتدؤوا. قوله: ﴿وَلَا نَكْذِبُ﴾ ﴿وَنَكُونُ﴾ ونكون) بنصب الباء والنون منهما (حمزة وعلي وحفص) عن عاصم، كذا في بعض النسخ. والصحيح حمزة وحفص. قوله: (بالواو) أي واو المعية.

قوله: (وبإضمار أن) بعد واو العطف الواقعة بعد التمني، نحو: ليت لي مالا وأنفق منه، فإن المتمني مجموع الأمرين حصول المال، والإنفاق معاً لأن شرط إضمار أن بعد الواو أن يصح وقوع مع في مكانها.

قوله: (وافقهما) أي حمزة وحفصاً (في ﴿وَنَكُونُ﴾) بنصب النون (شامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون برفعهما عطفاً على نُردُّ، أي: يا ليتنا نُردُّ ونوفق

﴿بَلْ بَدَأَهُمْ مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿بَلْ﴾ (للإضراب عن الوفاء بما) تمتوا ﴿بَدَأَهُمْ﴾ ظهر لهم ﴿مَّا كَانُوا يُخْفُونَ﴾ من الناس ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم . وقيل: هو في المنافقين وأنه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه، أو في أهل الكتاب وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله ﷺ ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ إلى الدنيا بعد وقوفهم على النار ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الكفر ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما وعدوا من أنفسهم لا يوفون به .

﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ ﴿٢٩﴾

﴿وَقَالُوا﴾ عطف على ﴿لَعَادُوا﴾ أي ولو ردوا لكفروا ولقالوا: ﴿إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة، أو على قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي وإنهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا (وهي كناية عن الحياة)، أو هو ضمير القصة ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ .

للتصديق والإيمان، أو الواو للحال والمضارع خبر لمحذوف، والجملة حال من مرفوع نُردَّ، أي نُردَّ غير مكذَّبين وكائنين من المؤمنين، فيكون تمنى الرد مقيدًا بهاتين الحالتين، فيدخلان في التمني .

قوله: (للإضراب عن الوفاء بما) تمتوا، يعني أن كلمة بل هنا ليست للانتقال من قصة إلى أخرى، بل لإبطال كلام الكفرة، أي ليس الأمر كما قالوه من أنهم لو ردوا إلى الدنيا لآمنوا، يعني أن التمني الواقع منهم يوم القيامة ليس لأجل كونهم راغبين في الإيمان، بل لأجل خوفهم من العقاب الذي شاهدوه وعاینوه، فإنهم لما قالوا: يا ليتنا نكون كذا، فكأنهم قالوا: ردنا لذلك، فأبطل الله تعالى هذا الكلام الضمني لهم، وهذا يدل على أنَّ الرغبة في الإيمان والطاعة لا تنفع إلا إذا كانت تلك الرغبة رغبةً فيه لكونه إيماناً وطاعةً، وأما الرغبة فيه لطلب الثواب وللخوف من العقاب، فغير مفيدة. اهـ شيخ زاده رحمه الله .

قوله: (وهي كناية عن الحياة)، فإنَّ من الضمائر ما يُذكر مُبْهَمًا ولا يُعلم ما يُرجع إليه إلا بذكر ما بعده .

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٠)

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ (مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال) كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاقبه، أو وقفوا على جزاء ربهم ﴿قَالَ﴾ جواب لسؤال مقدر كأنه قيل: ماذا قال لهم ربهم إذ وقفوا عليه؟ فقيل: قال: ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ أي البعث ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالكائن الموجود وهذا تعبير لهم على التكذيب للبعث. وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ما هو بحق ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ أقرروا وأكدوا الإقرار باليمين ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بكفركم.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْةً قَالُوا يَحْصَرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُونُ﴾ (٣١)

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ ببلوغ الآخرة وما يتصل بها، أو هو مجرى على ظاهره لأن منكر البعث منكر للرؤية ﴿حَتَّىٰ﴾

قوله: (مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال) لتعذر حمل الكلام على ظاهره، فإن ظاهر الآية يدل على كونهم واقفين على الله تعالى كما يقف أحدنا على الأرض، فيلزم الاستعلاء على ذات الله تعالى، وأنه مُحال باطل بالاتفاق، فوجب تأويله إما بأن يجعل استعارة تمثيلية بأن يُشبهه حبس الله تعالى إياهم للتوبيخ والسؤال بإيقاف السيد عبده بين يديه ليعاقبه، ويقال فيه: إن السيد أوقف عبده عليه تشبيهاً للوقوف بين يديه بالوقوف عليه، فكذا الكلام في الآية، أو بأن يُحمل الكلام على حذف المضاف، مثل: وقفوا على جزاء ربهم، أو بأن يُجعل الوقوف بمعنى المعرفة، كما يقول الرجل لغيره: وقفت على كلامك، أي عرفته. وقد تمسك بعض المشبهة بهذه الآية على مذهبه بأن قال: ظاهر الآية يدل على أن أهل القيامة يقفون عند ربهم بالقرب منه، وإنما يكون كذلك أن لو كان في مكان تعالى على ذلك علواً كبيراً، وبهذه التأويلات سقط وجه التمسك.

قوله: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ خصّ لفظ الذوق للإشارة إلى أن ما يجدونه من العذاب في كل حال هو ما يجده الذائق، لكون ما يجدون بعده أشد من الأول.

(غاية لـ ﴿كَذَّبُوا﴾) لا لـ ﴿خَسِرَ﴾ لأن خسرانهم لا غاية له ﴿إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ﴾ أي القيامة لأن مدة تأخرها مع تأبد ما بعدها كساعة واحدة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة (وانتصابها على الحال) يعني باغته، أو على المصدر كأنه قيل: بغتتهم الساعة بغته وهي ورود الشيء على صاحبه من غير علمه بوقته ﴿قَالُوا يَحْسَرُنَا﴾ نداء تفجع معناه يا حسرة احضري فهذا أوانك ﴿عَلَى مَا قَرَّرْنَا﴾ (قصرنا) ﴿فِيهَا﴾ في الحياة الدنيا أو في الساعة أي قصرنا في شأنها وفي الإيمان بها ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ آثامهم ﴿عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ خصّ الظهر لأن المعهود حمل الأثقال على الظهر كما عهد الكسب بالأيدي، وهو مجاز عن اللزوم على وجه لا يفارقهم. وقيل: إن الكافر إذا خرج من قبره استقبله أقبح شيء صورة وأخشبه ريحاً فيقول: أنا عملك السيء فطالما ركبتني في الدنيا وأنا أركبك اليوم ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ بشئ شيئاً يحملونه، وأفاد «ألا» تعظيم ما يذكر بعده.

﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣٢)

﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ جواب لقولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ واللعب ترك ما ينفع بما لا ينفع، واللهو الميل عن الجد إلى الهزل. قيل: ما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو. وقيل: ما أعمال الحياة الدنيا إلا لعب ولهو لأنها لا تعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ مبتدأ ﴿الْآخِرَةُ﴾ صفتها. (ولدار الآخرة) بالإضافة: (شامي). أي ودار الساعة الآخرة لأن الشيء لا يُضاف إلى صفته. وخبر المبتدأ على القراءتين ﴿خَيْرٌ﴾

قوله: (غاية لـ ﴿كَذَّبُوا﴾)، والمعنى أنهم قد كذبوا إلى أن ظهرت الساعة بغتة، فإن قيل: إنما يكذبون إلى أن يموتوا. والجواب: أن زمان الموت آخر زمان من أزمنة الدنيا، وأول زمان من أزمنة الآخرة، فمن انتهى تكذيبه إلى هذا الوقت صدق عليه أنه كذب إلى أن ظهرت الساعة بغتة، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ مات فقد قامت قيامته». قوله: (وانتصابها على الحال) أي مِنْ فاعل جاءتهم. قوله: (قصرنا) ما مصدرية.

قوله: («وَلَدَارُ الْآخِرَةِ») بلام واحدة وهي لام الابتداء وتخفيف الدال، والآخرة بخفض التاء بالإضافة. (شامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون بلامين: لام الابتداء ولام التعريف مع التشديد للإدغام ورفع الآخرة.

لَّذِينَ يَقُولُونَ ﴿فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ مَا سِوَى أَعْمَالِ الْمُتَّقِينَ لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿بِالنَّاءِ: مَدْنِي وَحَفْصُ﴾.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَيَحْزَنُونَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَتَابِعُونَ اللَّهَ يَحْجِدُونَ﴾ (٣٣)

ولما قال أبو جهل: ما نكذبك يا محمد وإنك عندنا لمصدق وإنما نكذب ما جئتنا به نزل ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُمْ﴾ (الهاء ضمير الشأن) ﴿لَيَحْزَنُونَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ لا ينسبونك إلى الكذب. (وبالتخفيف: نافع وعلي من أكذبه) إذا وجده كاذباً ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَتَابِعُونَ اللَّهَ يَحْجِدُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمّر، وفيه دلالة على أنهم ظلموا في جحودهم والباء يتعلق بـ ﴿يَحْجِدُونَ﴾ أو بـ ﴿الظَّالِمِينَ﴾ كقوله: ﴿ظَلَمُوا بِهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٠٣] والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله لأنك رسوله المصدق بالمعجزات (فهم لا يكذبونك في الحقيقة) وإنما يكذبون الله، لأن تكذيب الرسول تكذيب المرسل.

قوله: (بِالنَّاءِ) أي بقاء الخطاب (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وحفص) عن عاصم، وكذا ابن عامر الشامي. والباقون بقاء الغيب.

قوله: (الهاء) ضمير الشأن والجملة بعده خبره مفسرة له، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَيَحْزَنُونَكَ﴾ ساء مسدّ المفعولين، فإنها معلقة عن العمل، وكُسرَت إن لدخول اللام في خبرها، وقوله: ﴿الَّذِي يَقُولُونَ﴾ فاعل يحزن وعائده محذوف، أي الذي يقولونه من نسبتهم إياه عليه الصلاة والسلام إلى ما لا يليق به، مثل قولهم: إنه ساحرٌ كذابٌ مُفتر على الله. قوله: (وبالتخفيف: نافع وعلي) الكسائي (من أكذبه)... الخ. والباقون بالتشديد من كذب. قوله: (فهم لا يكذبونك في الحقيقة)، أي وإنما يكذبون الله أشار به إلى دفع ما يتوهم من التناقض بين قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾، وبين قوله: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَتَابِعُونَ اللَّهَ يَحْجِدُونَ﴾؛ فإن المراد بالآيات هو المعجزات الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام، وجحودها تكذيب له عليه الصلاة والسلام، فيلزم أنهم لا يكذبونه ويكذبونه، وهذا تناقض ظاهر، فأشار المصنّف رحمة الله عليه إلى وجه الجمع بينهما بأن التكذيب المنفي عنه عليه الصلاة والسلام وهو أن يكون التكذيب المتعلق به ظاهراً راجعاً إليه في الحقيقة،

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصْرًا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ تسلياً لرسول الله ﷺ وهو دليل على أن قوله ﴿فَأَنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ ليس بنفي لتكذيبه وإنما هو من قولك لغلامك إذا أهانه بعض الناس «إنهم لم يهينوك وإنما أهانوني» ﴿فَصَبْرُوا﴾ والصبر حبس النفس على المكروه ﴿عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا﴾ على تكذيبهم وإيذائهم ﴿حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصْرًا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ﴾ لمواعيده من قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّهُمْ لَمُهم الْمَصْرُورُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الصفات: الآيتان ١٧١، ١٧٢] ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: الآية ٥١] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ بعض أنبيائهم وقصصهم وما (كابدوا) من مصابة المشركين، وأجاز (الأخفش) أن تكون «من» زائدة والفاعل ﴿نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (سيبويه) لا يجيز زيادتها في الواجب كان يكبر على النبي ﷺ كفر قومه وإعراضهم ويحبوا مجيء الآيات ليسلموا فتزل:

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾ عظم وشق ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الإسلام ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْغِيَ نَفَقًا﴾ منفذاً تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ صفة لـ ﴿نَفَقًا﴾ ﴿أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ﴾ منها ﴿بِآيَةٍ﴾ فافعل، وهو جواب ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ﴾ و﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ﴾ وجوابها جواب ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾ والمعنى إنك لا تستطيع ذلك، والمراد بيان حرصه على إسلام قومه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لآتى بها رجاء إيمانهم ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ لجعلهم بحيث يختارون الهدى، ولكن لما علم أنهم

وليس كذلك، بل هو راجع إليه تعالى من حيث إنه تعالى صدقه بخلق المعجزات على يده، فمَنْ كَذَّبَهُ فَقَدْ كَذَّبَ اللَّهَ تعالى، والتكذيب المثبت هو ما تعلق به في الظاهر. قوله: (كابدوا) بالموحدة بمعنى قاسوا، أي تحمّلوا المشاق. قوله: (الأخفش) أي أبو الحسن سعيد بن مسعدة تلميذ سيبويه، وهو الأخفش الأوسط رحمه الله. قوله: (سيبويه) أي أبو عمرو بن عثمان بن قنبر رحمه الله.

يختارون الكفر لم يشأ أن يجمعهم على ذلك كذا قاله (الشيخ أبو منصور) رحمته ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ من الذين يجهلون ذلك. ثم أخبر أن حرصه على هدايتهم لا ينفع لعدم سمعهم كالموتى بقوله:

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٧﴾

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أي إنما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقلوبهم ﴿وَالْمَوْتَى﴾ مبتدأ أي الكفار ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾ هلا أنزل عليه ﴿آيَةً مِنْ رَبِّهِ﴾ كما نقترح من جعل الصفا ذهباً وتوسيع أرض مكة وتفجير الأنهار خلالها ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾ كما اقترحوا ﴿وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إن الله قادر على أن ينزل تلك الآية، أو لا يعلمون ما عليهم في الآية من البلاء لو أنزلت.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُنِمٌ أَتَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ﴿٣٨﴾

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ هي اسم لما يدب وتقع على المذكر والمؤنث ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ في موضع جر صفة لـ ﴿دَابَّةٍ﴾ ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ قيد الطيران بالجنحين لنفي المجاز لأن غير الطائر قد يقال فيه طار إذا أسرع ﴿إِلَّا أُنِمٌ أَتَالُكُمْ﴾ في الخلق والموت والبعث والاحتياج إلى مدبر يدبر أمرها ﴿مَا فَرَطْنَا﴾ ما تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما

قوله: (الشيخ أبو منصور) محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، وكان من كبار العلماء كان يقال له إمام الهدى، له كتاب «التوحيد»، وكتاب «المقالات»، وكتاب «رد أوائل الأدلة» للكعبي، وكتاب «بيان وهم المعتزلة»، وكتاب «تأويلات القرآن» وهو كتاب لا يؤازره فيه كتاب، بل لا يُدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن، وله كتب شتى. مات رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند، كذا وجدته بخط شيخنا أبي الحسن عليّ الحنفي، ورأيت بخط شيخنا قطب الدين عبد الكريم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة رحمته. اهـ الجواهر المضيئة.

وجب أن يثبت، أو الكتاب القرآن. وقوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ أي من شيء يحتاجون إليه فهو مشتمل على ما تعبدنا به (عبارة وإشارة ودلالة واقتضاء) ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ يعني الأمم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضها من بعض كما روي أنه يأخذ (للجماء) من القرناء ثم يقول: كوني ترابًا. وإنما قال: ﴿إِلَّا أُمَّةٌ﴾ مع

قوله: (عبارة) عبارة النص هي النظم المعنوي المسوقة له الكلام، سُميت عبارة لأن المستدل يعبر من النظم إلى المعنى، والمتكلم من المعنى إلى النظم، فكانت هي موضع العبور، فإذا عمل بموجب الكلام من الأمر والنهي يسمّى استدلالاً بعبارة النص. اهـ التعريفات للعلامة السيد الشريف رَحِمَهُ اللهُ. قوله: (إشارة) الإشارة هو الثابت بنفس الصيغة من غير أن سيق له الكلام. اهـ التعريفات. وأيضاً فيها إشارة النص هو العمل بما ثبت بنظم الكلام لغة، لكنه غير مقصود ولا سيق له النص؛ كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٣] سيق لإثبات النفقة، وفيه إشارة إلى أن النسب إلى الآباء. اهـ. قوله: (دلالة) الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدالّ، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص ودلالة النص واقتضاء النص، ووجه ضبطه أن الحكم المُستفاد من النظم إما أن يكون ثابتاً بنفس النظم، أو لا، والأول إن كان النظم مسوقاً له فهو العبارة، وإلا فالإشارة. والثاني: إن كان الحكم مفهوماً من اللفظ لغة، فهو الدلالة؛ أو شرعاً، فهو الاقتضاء؛ فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهاذاً؛ فقوله: لغة، أي يعرفه كل من يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل، كالنهي عن التأفيف في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفِي﴾ [الإسراء: الآية ٢٣] يوقف به على حرمة الضرب وغيره مما فيه نوع من الأذى بدون الاجتهاد. اهـ التعريفات. قوله: (اقتضاء) اقتضاء النص عبارة عما لم يعمل للنص إلا بشرط تقدّم عليه، فإنّ ذلك أمر اقتضاء النص بصحة ما تناوله النص، وإذا لم يصح لا يكون مضافاً إلى النص، فكان المقتضى كالثابت بالنص، مثاله إذا قال الرجل لآخر: أعتق عبدك هذا عني بألف درهم، فأعتقه يكون العتق من الأمر، كأنه قال: بئع عبدك لي بألف درهم ثم كنّ وكيلاً لي بالإعتاق. اهـ التعريفات. قوله: (للجماء) الجماء التي لا قرن لها في رأسها، ضدّ القرناء.

إفراد الدابة والطائر لمعنى الاستغراق فيهما. ولما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال:

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُورٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يَضِلُّهُ وَمَن يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُورٌ﴾ لا يسمعون كلام المنبه ﴿وَبِكُمْ﴾ لا ينطقون بالحق خابطون ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي ظلمة الجهل والحيرة والكفر، غافلون عن تأمل ذلك والتفكير فيه. ﴿صُورٌ وَبِكُمْ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ﴾ ودخول الواو لا يمنع من ذلك، و﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ خبر آخر. ثم قال إيذاناً بأنه فعال لما يريد ﴿مَن يَشَاءُ اللَّهُ يَضِلُّهُ﴾ أي مَن يشاء الله ضلاله يضلله ﴿وَمَن يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وفيه دلالة خلق الأفعال وإرادة المعاصي ونفي الأصلح.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ (وبتليين) الهمزة: (مدني، وبتركة: علي)، ومعناه هل علمتم أن الأمر كما يقال لكم فأخبروني بما عندكم، (والضمير الثاني) لا محل له من الإعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرايتكم ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ من تدعون. ثم بكتهم بقوله: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ أي أتخصّصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا أصابكم ضرر أم تدعون الله دونها ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الأصنام آلهة فادعوها لتخلصكم.

قوله: (وبتليين) أي بتسهيل الهمزة الثانية: بين بين. (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. ومعنى التسهيل جعل الهمزة بينها وبين حرف حركتها، فإن كانت مفتوحة فبين الهمزة والألف؛ وإن كانت مكسورة، فبين الهمزة والياء؛ وإن كانت مضمومة، فبين الهمزة والواو؛ فاحفظ هذه القاعدة، فإنها كثيرة الفائدة. (وبتركة) أي بحذف الهمزة الثانية (علي) الكسائي. والباقيون بإثباتها محققة على الأصل. قوله: (والضمير الثاني)، وإنما سُمي ضميراً لأن صورته صورة الضمير، وفيه تساهل؛ لأن الكاف ليس بضمير، وقد صرح بذلك في المفصل، وأشار إليه هنا بقوله: لا محل له من الإعراب، فإنه

لو كان اسمًا وقد وقع في التركيب لم يكن بدّ من محلّ الإعراب؛ وعلى هذا، فالكاف حرف خطاب أُتِيَ به لتأكيد الخطاب في التاء. اهـ محشيّ رحمه الله. وأرأيت ههنا بمعنى أخبرني، وإن كان بمعنى أبصرت أو أعلمت يكون تاء الخطاب مطابقًا لما قصد به في الأفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، تقول: أرأيت أرأيتم أرأيتم أرأيتم أرأيتم... الخ. ولا يجوز أن يلحقها كاف على أنه حرف خطاب، بل إن لحقها الكاف كان اسمًا منصوب المحلّ على أنه مفعول أول، ويكون مطابقًا لما يُراد به، تقول: أرأيته أرأيتمكم أرأيته - بكسر التاء والكاف - أرأيته كن بنونين مشدّتين، وإن كان بمعنى أخبرني، فحينئذ تثبت له أحكام مختصة به، منها: أنه لا يلحقه تعليق ولا إلغاء؛ لأن أخبرني لا يلحقه شيء منهما، عند الجمهور. ومنها: أنه يلحقه كاف هي حرف خطاب بعد ضمير الفاعل الذي هو التاء، وذلك الكاف يُطابق ما يُراد به من الأفراد والتذكير وضديهما، والتاء تبقى على حالة واحدة مفردة مفتوحة أبدًا؛ لأن هذا الكاف إنما لحق الفعل ليدلّ^(١) على أحوال فاعله، فيجب أن يبقى الفاعل على حالة واحدة، نحو: أرأيته أرأيتمكم أرأيتمكم أرأيته - بفتح التاء وكسر الكاف - أرأيته، وهذا عند البصريين. وأمّا عند الكوفيّين، فالكاف الذي يلحقه ليس بحرف، بل هو اسم منصوب المحلّ على المفعولية، كما أن التاء اسم مرفوع المحلّ على الفاعلية، فيُطابق كل واحد منهما ما قصد، فيقال: أرأيته أرأيتمكم أرأيتمكم إذا كان أرأيت بصريّة أو علميّة، ولما لم يكن الكاف اسمًا عند البصريّين لم يكن له محلّ من الإعراب؛ لأن هذا الفعل يتعدّى إلى مفعولين؛ كقولك: أرأيت زيدًا ما فعل؟ فلو جعلت الكاف معربًا منصوب المحلّ لكان ثالثًا، وكان معنى قولك: أرأيته زيدًا ما شأنه؟ أرأيت نفسك زيدًا ما صنع؟ لأن الكاف عبارة عن المخاطب، وهذا معنى باطل؛ ولأن الكاف لو كان منصوبًا على المفعولية لوجب أن تظهر علامة التثنية والجمع والتذكير والتأنيث في التاء، فتقول: أرأيتمكم أرأيتمكم أرأيتمكم. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

(١) قال أبو حيان في النهر: ومذهب البصريّين أن التاء هي الفاعل، وما لحقها حرف خطاب يدلّ على اختلاف المخاطب. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (٤١)

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ بل تخصصونه بالدعاء دون الآلهة ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي ما تدعونه إلى كشفه ﴿إِنْ شَاءَ﴾ إن أراد أن يتفضل عليكم ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (وتتركون آلهتكم، أو لا تذكرون) آلهتكم في ذلك الوقت لأن أذهانكم (مغمورة) بذكر ربكم وحده إذ هو القادر على كشف الضر دون غيره، ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله: ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ كأنه قيل: رأيتمكم أغير الله تدعون إن أتاكم عذاب الله.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ (٤٢) ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤٣)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلاً فالمفعول محذوف فكذبوهم ﴿فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ بالبؤس والضر، والأول القحط والجوع والثاني المرض ونقصان الأنفس والأموال ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس تتخشع عند نزول الشدائد ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ أي هلا تضرعوا بالتوبة (ومعناه نفى التضرع) كأنه قيل: فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بـ «لولا» ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا عنادهم ﴿وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم ينزجروا بما ابتلوا به ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وصاروا معجبين بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم.

قوله: (وتتركون آلهتكم أو لا تذكرون)، يعني أن النسيان إما مجاز من الترك، وإما حقيقة، وهو عدم الذكر. اهـ محشي رحمه الله.

قوله: (مغمورة) أي مملوءة.

قوله: (ومعناه نفى التضرع)... الخ. أي لما تقرر من أن حرف التحضيض مع الماضي يفيد التوبيخ على ترك الفعل.

﴿فَلَمَّا دُسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَلَمَّا دُسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ﴾ من البأساء والضراء أي تركوا الاعتباط به ولم يزرهم ﴿فَتَحْنَا﴾ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ من الصحة والسعة وصنوف النعمة ﴿فَتَحْنَا﴾ (شامي) ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ من الخير والنعمة ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ آيسون متحسرون وأصله (الإطراق) حزناً لما أصابه أو ندماً على ما فاتته و«إذا» للمفاجأة.

﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي أهلكوا عن آخرهم ولم يترك منهم أحد ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إيدان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم (وأجزل) القسم، أو احمداوا الله على إهلاك من لم يحمد الله. ثم دل على قدرته وتوحيده بقوله:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنَ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأَلْبَتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ﴾ بَأَن أَصْمَكُمْ وَأَعْمَاكُمْ ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ فسلب العقول والتمييز ﴿مَنَ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ بما أخذ وختم عليه. ﴿مَنَ﴾ رفع بالابتداء و﴿إِلَهٌ﴾ خبره و﴿غَيْرُ﴾ صفة لـ ﴿إِلَهٍ﴾ وكذا ﴿يَأْتِيكُمْ﴾ والجملة في موضع مفعولي ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ (وجواب) الشرط محذوف ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾ لهم ﴿الْأَلْبَتِ﴾ نكررها ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يعرضون عن الآيات بعد ظهورها، والصدوف الإعراض عن الشيء.

قوله: ﴿فَتَحْنَا﴾ بتشديد التاء (شامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون بالتخفيف. قوله: ﴿الْأَلْبَتِ﴾ في مختار الصحاح: أطرق الرجل أرخى عينيه ينظر إلى الأرض. اهـ.

أي أعظم.

الشرط محذوف تقديره: فَمَنْ يَأْتِيكُمْ به؟

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهَنَّمَ هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ (٤٧)
 ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ﴾ بأن لم تظهر أماراته ﴿أَوْ جَهَنَّمَ﴾
 بأن ظهرت أماراته. وعن (الحسن): ليلاً أو نهاراً ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾
 (ما يهلك هلاك تعذيب وسخط) إلا الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بربهم.

﴿وَمَا رُسُلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٤٩)

﴿وَمَا رُسُلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ (بالجنان والنيران) للمؤمنين
 والكفار، ولن نرسلهم (ليقترح) عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة
 والأدلة الساطعة ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ أي داوم على إيمانه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

قوله: (الحسن) هو الإمام المشهور المجمع على جلالته في كل فن، أبو
 سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار التابعي البصري - بفتح الباء وكسرها -
 الأنصاري، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، مناقبه مشهورة. توفي
 سنة عشر ومائة.

قوله: (ما يهلك) جعل الاستفهام بمعنى النفي؛ لأن عدم ذكر المستثنى منه
 إنما يصح إذا كان الكلام غير موجب، ولا يصح في الموجب لعدم صحة المعنى،
 نحو: جاءني إلا زيد، فلهذا لما لم يذكر المستثنى منه دل ذلك على أن الاستفهام
 بمعنى النفي، وهذه الجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني لأرأيتم والأول
 محذوف، والمعنى: أخبرني عذاب الله إن أتاكم هل يهلك المحق. قوله: (هلاك)
 تعذيب وسخط) جواب لما يقال: العذاب إذا نزل لا يميز بين الظالمين وغيرهم،
 فكيف خُصَّ الهلاك بهم؟ وتقرير الجواب: أن الهلاك وإن عم الأبرار والأشرار
 إلا أن هلاك الأشرار إنما هو لأجل سخط الله وإرادة تعذيبهم به بخلاف الأبرار،
 فإنه ليس هلاك سخط وتعذيب، بل هم يستوجبون بسبب نزول ذلك البلاء بهم
 مشوبات عظيمة ودرجات رفيعة عند الله، فالهلاك في الحقيقة مختص بالظالمين،
 فإنه إذا نزل البلاء بهم فقد خسروا الدنيا والآخرة معاً. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (بالجنان) جمع جنة. قوله: (والنيران) جمع نار. قوله: (ليقترح) أي
 ليطلب.

يَمْرُونُ ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾: يعقوب ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَسْمُومُ الْعَذَابُ﴾ جعل العذاب ماساً كأنه حيّ يفعل بهم ما يريد من الآلام ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (بسبب فسقهم) وخروجهم عن طاعة الله تعالى بالكفر.

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ (أي قسمه بين الخلق وأرزاقه)، ومحل ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ النصب عطفًا على محل ﴿عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ لأنه من جملة المقول كأنه قال: لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ أي لا أدعي ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وعلم الغيب ودعوى الملكية، وإنما أدعي ما كان لكثير من البشر وهو النبوة ﴿إِن أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي ما أخبركم إلا بما أنزل الله علي ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ مثل للضلال والمهتدي، أو لمن اتبع ما يوحي إليه ومن لم يتبع، أو لمن يدعي المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الإلهية ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فلا تكونوا ضالين أشباه (العميان) أو فتعلموا أنني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر، أو فتعلموا أن اتباع ما يوحي إلي مما لا بد لي منه.

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ بما يوحي ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ (هم المسلمون المقرون بالبعث) إلا أنهم مفرطون في العمل فينذرهم بما أوحى إليه، أو أهل

قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ بفتح الفاء على البناء (يعقوب) بن إسحاق، وليس من السبعة. قوله: (بسبب فسقهم) وخروجهم... الخ. إشارة إلى أنّ ما مصدرية، وأصل معنى الفسق الخروج.

قوله: (أي قسمه بين الخلق وأرزاقه)، يعني أن الخزائن يحتمل أنه مضاف مقدّر، ويحتمل أنه مجاز عن المرزوقات من إطلاق المحلّ على الحال، أو اللّازم على الملزوم. قوله: (العميان) جمع أعمى.

قوله: (هم المسلمون المقرون بالبعث)... الخ. وقيل: المراد بهم الكفار لأنهم لا يعتقدون صحّته، ولذلك قال: يخافون أن يحشروا إلى ربّهم.

الكتاب لأنهم مقرّون بالبعث ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ (في موضع الحال من ﴿يُحْشَرُونَ﴾) أي يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعاً لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يدخلون في زمرة أهل التقوى.

ولما أمر النبي ﷺ بإنذار غير المتقين ليتقوا، أمر بعد ذلك بتقريب المتقين ونهى عن طرده بقوله:

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٢)

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها. والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام، أو معناه يصلّون صلاة الصبح والعصر أو الصلوات الخمس. ﴿بِالْغَدَاةِ﴾ (شامي. ووسمهم) بالإخلاص في عبادتهم بقوله: ﴿بِالْغَدَاةِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ فالوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته، نزلت في الفقراء (بلال)

قوله: (في موضع الحال من ﴿يُحْشَرُونَ﴾) إن كان المراد من الذين يخافون الكفار، فالكلام ظاهر؛ لأن الظالمين ليس لهم من حميم ولا شفيع يطاع. وأما إن كان المراد بهم المسلمين، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: الآية ٥١] ينافي مذهب أهل السنة في إثبات الشفاعة للمؤمنين، فلا بد أن يقال: شفاعة الملائكة والرسل للمؤمنين إنما تكون بإذن الله سبحانه وتعالى، فكانت الشفاعة في الحقيقة من الله سبحانه وتعالى.

قوله: ﴿بِالْغَدَاةِ﴾ بضم العين وإسكان الدال وواو مفتوحة، (شامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون بفتح الغين والدال وبالألف. قوله: (ووسمهم) في مختار الصحاح: وسمه من باب وعد وسمّة أيضاً، أي أثر فيه بسمّة وكّي. اهـ.

قوله: (بلال) بن رباح الحبشي القرشي التيمي مولى أبي بكر الصديق ؓ، وكان بلال رضي الله تعالى عنه قديم الإسلام والهجرة، شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان يؤذن لرسول الله ﷺ حياته سفرًا وحضرًا، وهو أول من أذن في الإسلام. روى عنه جماعات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، منهم أبو بكر الصديق وعمر وعليّ وابن مسعود وابن عمر وأسامة بن زيد

و(صهيب) و(عمار) و(أضرابهم) حين قال (رؤساء) المشركين: لو طردت هؤلاء (السقاط) لجالسناك.

وكعب بن عُجْرة وجابر وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب رضي الله تعالى عنهم، وجماعات من كبار التابعين وفضائله مشهورة. توفي بدمشق سنة عشرين، وقيل: إحدى وعشرين، وقيل: ثماني عشرة، وهو ابن أربع وستين سنة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (صهيب) بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن جذيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس بن مناة بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار الربيعي النمري، كذا نسبه الكلبي وأبو نعيم. وقال الواقدي: هو صهيب بن سنان بن خالد بن عبد عمرو بن عقيل بن كعب بن سعد. وقال ابن إسحق: صهيب بن سنان بن خالد بن عبد عمرو بن طفيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد، فجعل طفيلاً بدل عقيل، وجعل خزيمة بدل جذيمة، وهو من الثمر بن قاسط وأمه سلمى بنت قعيد بن مهيص بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، كنيته أبو يحيى كناه بها رسول الله ﷺ، وإنما قيل له: الرومي؛ لأن الروم سبوه صغيراً وكان أبوه وعمته عاملين لكسرى على الأبلّة، وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل، وقيل كانوا على الفرات من أرض الجزيرة، فأغار الروم عليهم فأخذت صهيياً وهو صغير، فنشأ بالروم، فصار ألكن فابتاعته منهم كلب، ثم قدّموا به مكّة، فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمي منهم فأعتقه، فأقام معه إلى أن هلك عبد الله بن جدعان، وقال أهل صهيب وولده ومصعب الزبيري: إنه هرب من الروم لما كبر وعقل فقدم مكّة، فحالف ابن جدعان وأقام معه إلى أن هلك، ولما بعث رسول الله ﷺ أسلم، وكان من السابقين إلى الإسلام. قال الواقدي: أسلم صهيب وعمار في يوم واحد، وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلاً، وكان من المُستضعفين بمكّة الذين عُذّبوا. أخبرنا أبو منصور بن مكارم بن أحمد بن سعد بإسناده إلى أبي زكرياء يزيد بن إياس، قال: وكان اشتراه عبد الله بن جدعان - يعني صهيياً - من كلب بمكّة، وكان كلب اشتراه من الروم، فأعتقه وأسلم صهيب ورسول الله ﷺ في دار الأرقم بعد بضعة وثلاثين رجلاً، وكان من المُستضعفين

بمكة المُعَذِّبِينَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدِمَ فِي آخِرِ النَّاسِ فِي الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَصُهَيْبٍ، وَذَلِكَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَبَاءٍ لَمْ يَزُمْ بَعْدَ، وَأَخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَارِثِ بْنِ الصَّمَّةِ، وَلَمَّا هَاجَرَ صُهَيْبٌ إِلَى الْمَدِينَةِ تَبِعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَثَلَّ كَنَانَتَهُ، وَقَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ تَعْلَمُونَ أَنِّي أُرْمَاكُمْ، وَوَاللَّهِ لَا تَصْلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أُرْمِيَكُمْ بِكُلِّ سَهْمٍ مَعِيَ، ثُمَّ أَضْرِبُكُمْ بِسَيْفِي مَا بَقِيَ فِي يَدِي مِنْهُ شَيْءٌ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرِيدُونَ مَالِي دَلَّيْتُكُمْ عَلَيْهِ، قَالُوا: فَذَلُّنَا عَلَى مَالِكَ وَنَحْلِي عَنْكَ، فَتَعَاهَدُوا عَلَيَّ ذَلِكَ، فَذَلَّهِمْ عَلَيْهِ وَلَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَبِّحَ الْبَيْعَ أَبَا يَحْيَى»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: الآية ٢٠٧]، وَشَهِدَ صُهَيْبٌ بَدْرًا وَأُحُدًا وَالْخَنْدَقَ وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ بْنُ مَكَارِمٍ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي زَكَرِيَاءَ، أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرَبِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمَةَ مُوسَى بْنُ مَسْعُودٍ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زَادَانَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «السَّابِقُ أَرْبَعَةٌ: أَنَا سَابِقُ الْعَرَبِ، وَصُهَيْبُ سَابِقُ الزُّوْمِ، وَسُلَيْمَانُ سَابِقُ فَارَسَ، وَبِلَالٌ سَابِقُ الْحَبَشِ». قَالَ: وَأَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَاءَ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا عَفِيفٌ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ، وَصُهَيْبٌ، وَخُبَابٌ، وَعُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَسُمَيَّةُ أُمُّ عِمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. فَأَمَّا النَّبِيُّ ﷺ، فَمَنْعَهُ اللَّهُ. وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ، فَمَنْعَهُ قَوْمُهُ. وَأَمَّا الْآخَرُونَ، فَأَخَذُوا وَأَلْبَسُوا أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ ثُمَّ أَصْهَرُوا فِي الشَّمْسِ. أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ الْمُبَارَكِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ زُرَيْقٍ الْوَاسِطِيُّ إِمَامُ الْجَامِعِ بِهَا، أَخْبَرَنَا أَبُو السَّعَادَاتِ الْمُبَارَكُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، أَخْبَرَكُمْ أَبُو الْفَتْحِ مَنْصُورُ بْنُ الْحَسَنِ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ الشَّاشِي فَاعْتَرَفَ بِهِ، قُلْتُ لَهُ: أَخْبَرَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مَنْصُورٍ بْنُ خَلْفِ الْمَقْرِيِّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ بَالُوَيْهِ، حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٍ: يَا

أهل الجنة إنَّ لكم عند الله عزَّ وجلَّ موعدًا يريد أن يُنجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يُثقل موازيننا ويبيّض وجوهنا ويُدخلنا الجنة ويُخرجنا من النار، فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إلى الله تبارك وتعالى، فما شيء أعطوه أحبَّ إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة». وروى عنه ابن عمر أنه قال: مررت برسول الله ﷺ وهو يصلي، فسلمت عليه فردَّ عليَّ إشارةً بأصبعه. أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه وغيره بإسنادهم إلى أبي عيسى محمد بن عيسى، حدَّثنا محمد بن إسماعيل الواسطي، حدَّثنا أبو فروة يزيد بن سنان، عن أبي المبارك عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما آمن بالقرآن من استحلَّ محارمه». وكان فيه مع فضله وعلوِّ درجته مداعبة وحُسن خلق. رُوي عنه أنه قال: جئت النبي ﷺ وهو نازل بقباء وبين أيديهم رطبٌ وتمر، وأنا أرمد، فأكلت فقال النبي ﷺ: «أأكل التمر وأنت أرمد»، فقلت: إنما آكل على شقِّ عيني الصحيحة، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، وكان في لسانه عجمة شديدة، وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر حتى دخل على صهيب حائظًا له بالعالية، فلما رآه صهيب قال: يناس يناس، فقال عمر: ما له، لا أبا له يدعو بالناس؟ فقلت: إنما يدعو غلامًا له اسمه يحنس، وإنما قال ذلك لعقدة في لسانه، فقال له عمر: ما فيك شيء أعيبه يا صهيب إلا ثلاث خصال لولاهنَّ ما قدَّمت عليك أحدًا: أراك تتسب عريبًا ولسانك أعجمي، وتكتني بأبي يحيى اسم نبيٍّ وتبذّر مالك، فقال: أما تبذيري مالي، فما أنفقته إلا في حقِّه، وأما اكتنائي بأبي يحيى، فإنَّ رسول الله ﷺ كناني بأبي يحيى، فلن أتركها، وأما انتمائي إلى العرب، فإنَّ الروم سبَّوني صغيرًا فأخذت لسانهم وأنا رجلٌ من النمر بن قاسط، ولو انفلقت عني روثة لانتُميت إليها. وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه محبًّا لصهيب، حسن الظنَّ فيه، حتى إنه لما ضرب أوصى أن يصلي عليه صهيب، وأن يصلي بجماعة المسلمين ثلاثًا حتى تتفق أهل الشورى على مَنْ يُستخلف. وتوفي صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في شوال، وقيل: سنة تسع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة. وقيل: ابن سبعين سنة. ودُفن بالمدينة، وكان أحمر شديد الحمرة ليس بالطويل ولا بالقصير، وهو إلى

فقال ﷺ: ما أنا بطارد المؤمنين. فقالوا: اجعل لنا يومًا ولهم يومًا وطلبوا بذلك كتابًا فدعا (علينا) ﷺ ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية فنزلت، فرمى عليه الصلاة والسلام بالصحيفة وأتى الفقراء فعانقهم ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ كقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ [الشعراء: الآية ١١٣] ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ

القصر أقرب، كثير شعر الرأس، أخرجه الثلاثة، أي ب د ع^(١). اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة.

قوله: (عمار) بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة، كان من السابقين إلى الإسلام، وكان هو وأبوه وأمه سُمِّيَ مَمَّنْ أسلم أولًا، وكان إسلام عمار وصهيب في وقت واحد حين كان النبي ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وأسلم بعد بضعة وثلاثين، وفي عمار نزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْزَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: الآية ١٠٦]، وهاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق وجميع المشاهد. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ اثنتان وستون حديثًا، اتَّفَقَا على حديثين منها، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بحديث. روى عنه علي بن أبي طالب وابن عباس وأبو موسى وأبو أمامة وجابر بن عبد الله وعبد الله بن جعفر وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وابن المسيب وابن الحنفية وأبو وائل وابنه محمد بن عمار وآخرون من التابعين. قُتِلَ بصِفِّينَ مع علي رضي الله تعالى عنه في شهر ربيع الأول، وقيل: الآخر، سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث، وقيل: أربع وتسعين سنة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (أضرابهم) أي أمثالهم. قوله: (رؤساء) جمع رئيس مثل شريف وشرفاء. قوله: (السَّقَاط) في مختار الصحاح: الساقط والساقطة اللثيم في حسبه ونفسه، وقوم سَقَطَى بوزن مَرَضَى، وسُقَاط مضمومًا مشدَّدًا. اهـ. قوله: (علينا) رضي الله تعالى عنه ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته من السابقين الأولين، المرجح أنه أول مَنْ أسلم، وهو أحد العشرة. مات في رمضان سنة أربعين، وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم

(١) أي أبو عمر بن عبد البر وابن منده وأبو نعيم، فعلامة ابن عبد البر صورة ب، وعلامة ابن مندة صورة د، وعلامة أبو نعيم صورة ع. ١٢ منه عم فيضهم.

شئو ﴿وذلك أنهم طعنوا في دينهم وإخلاصهم فقال: حسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم﴾ ﴿فَطَرَدَهُمْ﴾ جواب النفي وهو ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (جواب النهي) وهو ﴿وَلَا تَطْرُدْ﴾ ويجوز أن يكون عطفًا على ﴿فَطَرَدَهُمْ﴾ (على وجه التسبب) لأن كونه ظالمًا مسبب عن طردهم.

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ ومثل ذلك (الفتن العظيم) ابتلينا الأغنياء بالفقراء ﴿لِّيَقُولُوا﴾ أي الأغنياء ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي أنعم الله عليهم بالإيمان ونحن المقدمون والرؤساء وهم الفقراء (إنكارًا) لأن يكون أمثالهم على الحق وممنونًا عليهم من بينهم بالخير ونحوه ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: الآية ١١] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ بمن يشكر نعمته.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ﴾ إما أن يكون أمرًا بتبليغ سلام الله إليهم، وإما أن يكون أمرًا بأن يبدأهم بالسلام إكرامًا لهم وتطمينًا لقلوبهم. وكذا

بالأرض بإجماع أهل السنة، وله ثلاث وستون سنة على الأرجح. قوله: (جواب النهي) نحو: ما تأتينا فتحدثنا، بنصب فتحدث على أن يكون معنى انتفاء التحديث لانتفاء سببه الذي هو الإتيان، والآية الكريمة من هذا القبيل، فإنه لو كان مضرّة حسابهم مستقرة على المخاطب لكان ذلك سببًا لإبعاد من يتوهم الوهن في إيمانه، فحكم بأن هذا السبب غير واقع حتى يقع مسببه الذي هو الطرد. قوله: (على وجه التسبب) دفع لما يتوهم من أنه لو جعل عطفًا على جواب النفي لصح أن يقع جوابًا للنفي، وليس كذلك؛ إذ لا معنى لقولك: ما عليك من حسابهم، فتكون من الظالمين.

قوله: (الفتن العظيم) استُفيد من لفظ ذلك المشار به إلى هذا الفتن القريب المذكور. قوله: (إنكارًا) متعلق بيقولون مفعول به أو مصدر.

قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ من جملة ما يقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ومعناه وعدكم بالرحمة وعدًا مؤكدًا ﴿أَنْتُمْ﴾ الضمير للشأن ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا﴾ ذنبًا ﴿يَجْهَلِكُهُ﴾ في موضع الحال أي عمله وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة، أو جعل جاهلاً لإيثاره المعصية على الطاعة ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ من بعد السوء أو العمل ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أخلص توبته ﴿فَأَنْتُمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿أَنْتُمْ﴾ ﴿فَأَنْتُمْ﴾ شامي وعاصم). الأول بدل الرحمة، والثاني خبر مبتدأ محذوف أي فشأنه أنه غفور رحيم ﴿أَنْتُمْ﴾ ﴿فَأَنْتُمْ﴾ مدني الأول بدل الرحمة، والثاني مبتدأ. ﴿أَنْتُمْ﴾ ﴿فَأَنْتُمْ﴾ غيرهم على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت ف قيل: إنه من عمل منكم.

﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾

﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ﴾ (وبالياء: حمزة وعلي وأبو بكر) ﴿سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (بالنصب: مدني. غيره: بالرفع). فرفع السبيل مع التاء والياء لأنها تذكر وتوثق، ونصب السبيل مع التاء على خطاب الرسول ﷺ يقال: استبان الأمر وتبين واستبينته وتبينته، والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجى إسلامه (ولتستوضح) سبيلهم فتعامل كلًا منهم بما يجب أن يعامل به (فصلنا ذلك التفصيل).

قوله: ﴿أَنْتُمْ﴾ ﴿فَأَنْتُمْ﴾ بالفتح فيهما (شامي) أي ابن عامر الشامي (وعاصم). قوله: ﴿أَنْتُمْ﴾ ﴿فَأَنْتُمْ﴾ بفتح الهمزة في الأولى والكسر في الثانية (مدني)، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. قوله: ﴿أَنْتُمْ﴾ ﴿فَأَنْتُمْ﴾ بالكسر فيهما غيرهم.

قوله: (وبالياء) أي بياء التذكير (حمزة وعلي) الكسائي (وأبو بكر) عن عاصم. والباقون بالتاء الفوقية على التأنيث أو الخطاب، باعتبار رفع السبيل ونصبه. قوله: (بالنصب مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني ﷺ. (غيره) أي الباكون (بالرفع). قوله: (ولتستوضح) يا محمد ﷺ. قوله: (فصلنا ذلك التفصيل) إشارة إلى المقدر الذي يتعلق به اللام في لتستبين، وقدّر الماضي نظراً إلى ما عليه المعنى، وذكر ﴿نَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾ بلفظ المضارع لقصد الاستمرار وتناول الماضي والآتي.

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِيْعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦)

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي صرفت وزجرت بأدلة العقل والسمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله ﴿قُلْ لَا آتِيْعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ أي لا أجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل، وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا﴾ أي إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ وما أنا من المهتدين في شيء (يعني أنكم كذلك) ولما نفى أن يكون الهوى متبعاً بته على ما يجب اتباعه بقوله:

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُ بِهٖءَ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهٖءَ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَفْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (٥٧) ﴿قُلْ لَوْ أَنَّنِي عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهٖءَ لَفَضَيْتُ الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٥٨)

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ (أي بيينة من معرفة ربي) وأنه لا معبود سواه (على حجة واضحة) ﴿وَكَذَّبْتُ بِهٖءَ﴾ حيث أشركتم به غيره. (وقيل: على بيينة من ربي على حجة من جهة ربي) وهو القرآن وكذبتم به بالبيينة، وذكر الضمير على تأويل البرهان أو البيان أو القرآن. ثم عقبه بما دل على أنهم أحقأ بأن يعاقبوا بالعذاب فقال: ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهٖءَ﴾ يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم: ﴿فَأَمْطَرْنَا عَلَيْكَ حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: الآية ٣٢] ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في تأخير عذابكم ﴿يَفْضُ الْحَقُّ﴾ حجازي

قوله: (يعني أنكم كذلك) يريد أنه من باب التعريض، مثل: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَنْكَ﴾ [الزمر: الآية ٦٥].

قوله: (أي بيينة من معرفة ربي) إشارة إلى تقدير مضاف في أحد الوجهين، وعليه فالخبر مقدر يتعلق به على بيينة، ومن ربي أي على بيينة لأجل معرفة ربي، ويجوز أن يكون من ربي صفة بيينة ومن اتصالية، أي بيينة متصلة بمعرفة ربي مرتبطة بها دالة عليها. قوله: (على حجة واضحة) مستفادة من التأكيد. قوله: (وقيل: على بيينة من ربي على حجة من جهة ربي)؛ فعلى هذا من ربي صفة لبيينة على معنى كائنة من ربي صادرة عنه. قوله: ﴿يَفْضُ الْحَقُّ﴾ (بالصاد المهملة المشددة المرفوعة (حجازي) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني،

وعاصم) أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قصّ أثره. (الباقون يقض الحق) في كل ما يقضى من التأخير والتعجيل، فالحق أي القضاء. الحق صفة لمصدر يقضي وقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِينَ﴾ أي القاضين بالقضاء الحق إذ الفصل هو القضاء، وسقوط الياء من الخط لاتباع اللفظ لالتقاء الساكنين ﴿قُلْ لَوْ أَنِّي عِنْدِي﴾ أي في قدرتي وإمكاني ﴿مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ لأهلكتم عاجلاً غضباً لربي ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ فهو ينزل عليكم العذاب في وقت يعلم أنه أردع.

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ المفاتيح جمع (مفتاح) وهو المفتاح، أو هي خزائن العذاب والرزق، أو ما غاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والأحوال. (جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة) لأن المفاتيح يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها بالأغلاق والأقفال، (ومن علم) مفاتيحها وكيفية فتحها توصل إليها فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره كمن

وكذا أبو جعفر المدني وابن كثير المكي (وعاصم). قوله: (الباقون يقض الحق) بقاف ساكنة وضاد معجمة مكسورة من القضاء، ولم ترسم إلا بضاد، كأن الياء حذفت خطأ تبعاً للفظ للساكنين كما في ﴿تُعْنِ الْأُنْدُرُ﴾ [القمر: الآية ٥]، وكحذف الواو في ﴿سَدُّوا الرِّبَابَةَ﴾ [العلق: الآية ١٨]، ﴿وَيَمْنَحُ اللَّهُ﴾ [الشورى: الآية ٢٤] ونصب الحق بعده صفة لمصدر محذوف، أي القضاء الحق.

قوله: (مفتاح) بكسر الميم. قوله: (جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة)، يعني: الاستعارة بالكناية تشبيهاً للغيب بالأشياء المستوثق منها بالأقفال وإثبات المفاتيح تخيلية كأظفار المنية، فقوله: فأراد أنه هو المتوصل إلى آخره بيان للمراد لا دلالة على أن الاستعارة تمثيلية، وإلا لكان المناسب أن يقال هذا الكلام استعارة أو تمثيل والحصر مُستفاد من تقديم الخبر، أعني عنده مع التصريح بقوله: لا يعلمها إلا هو. قوله: (ومن علم) موصولة عطف على المفاتيح، وتوصل إليها عطف على يتوصل بها، كما تقول: إن زيدا يقوم وعمرًا يقعد، وقد يجعل شرطية

عنده مفاتيح أقال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما في المخازن. قيل: عنده مفاتيح الغيب وعندك مفاتيح الغيب، فمن آمن بغيبه أسبل الله الستر على عييه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ﴾ من النبات والدواب ﴿وَالْبَحْرِ﴾ من الحيوان والجواهر وغيرهما ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ «ما» للنفي و«من» للاستغراق أي يعلم عددها وأحوالها قبل السقوط وبعده ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ﴾ عطف على ﴿وَرَقَةٍ﴾ ودخل في حكمها وقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (كالتكرير لقوله: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾) لأن معنى ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ ومعنى ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ واحد وهو علم الله أو اللوح. ثم خاطب الكفرة بقوله:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ أي يقبض أنفسكم عن التصرف بالتمام في المنام ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ كسبتم فيه من الآثام ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ (ثم يوقظكم في النهار)، أو التقدير ثم يبعثكم في النهار ويعلم ما جرحتم فيه فقدم الكسب لأنه أهم، وليس فيه أنه لا يعلم ما جرحنا بالليل ولا أنه لا يتوفانا بالنهار فدل أن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لتوفى الآجال على الاستكمال ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ رجوعكم بالبعث بعد الموت ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في ليلكم ونهاركم. قال بعض أهل الكلام: إن لكل حاسة من هذه الحواس روحاً تقبض عند النوم ثم ترد إليها إذا ذهب النوم، فأما الروح التي تحيا بها النفس فإنها لا تقبض إلا عند انقضاء الأجل. والمراد بالأرواح

ليفيد الإبهام المناسب للمقام ويعتذر لوقوعها اسم إن مع وجوب صدارتها بأنه يجوز في التابع ما لا يجوز في المتبوع، وأنت خبير بأن عموم الموصولة مُغْنٍ عن ذلك. قوله: (كالتكرير لقوله: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾) من جهة المعنى على ما بين. وأما من جهة اللفظ، فهو صفة للمذكورات، كما أن لا يعلمها صفة لورقة. اهـ فتنازلي رَحْمَةُ اللَّهِ.

قوله: (ثم يوقظكم في النهار) يعني أن البعث بمعنى الإيقاظ وضمير فيه للنهار على ما ذهب إليه كثير من المفسرين.

المعاني والقوى التي تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر والأخذ والمشى والشم. ومعنى ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي يوقظكم ويرد إليكم أرواح الحواس فيستدل به على منكري البعث لأنه بالنوم يذهب أرواح هذه الحواس ثم يردها إليها فكذا يحيي الأنفس بعد موتها.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ ﴿٦١﴾

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون ليكون ذلك أزجر للعباد عن ارتكاب الفساد إذا تفكروا أن صحائفهم تقرأ على رؤوس (الأشهاد) ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾ «حتى» لغاية حفظ الأعمال أي وذلك (دأب) الملائكة مع المكلف مدة الحياة إلى أن يأتيه الممات ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أي استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه («توفيه») و«استوفيه» بالإمالة: حمزة رسلنا أبو عمرو ﴿وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ لا يتوانون ولا يؤخرون.

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۖ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ﴾ ﴿٦٢﴾

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ (إلى حكمه وجزائه) أي رد المتوفون برد الملائكة

قوله: (الأشهاد) جمع شهد كصحب، وهو جمع شاهد أو اسم جمع له؛ لأن فاعل لا يُجمع على أفعال إلا نادراً. **قوله: (دأب)** أي عادة. في مختار الصحاح: الدأب - بسكون الهمزة - العادة والشأن، وقد يُحرَّك. اهـ. **قوله: (توفيه)** بألف مُمالة بعد الفاء، وهو إما فعل مضارع فأصله تتوفاه حُذِفَتْ إحدى التائين، كتنزل وبابه. وإما ماضٍ، وهو الأظهر، وحُذِفَتْ منه تاء التانيث لكونه مجازياً، وللفصل بالمفعول. (استوفيه بالإمالة) أي بألف مُمالة بعد الفاء (حمزة)، والباقون استوفته بتاء ساكنة من غير ألف ولا إمالة، واستهوته بالتاء الساكنة من غير ألف. **قوله: (رسلنا)** بإسكان السين (أبو عمرو)، والباقون بالضم.

قوله: (إلى حكمه وجزائه) يعني أن الردَّ إلى الله ليس على ظاهره؛ لكونه تعالى متعالياً عن المكان والجهة، بل هو عبارة عن جعلهم منقادين لحكم الله تعالى مُطِيعين لقضائه بأن يُساقوا إلى حيث لا مالك ولا حاكم فيه سواه.

﴿مَوْلَاهُمْ﴾ (مالكهم الذي يلي عليهم أمورهم) ﴿الْحَقُّ﴾ العدل الذي لا يحكم إلا بالحق وهما صفتان لله ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ يومئذ لا حكم فيه لغيره ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ لا يشغله حساب عن حساب يحاسب جميع الخلق في مقدار حلب شاة وقيل: الرد إلى مَنْ ربّك خير من البقاء مع مَنْ آذاك.

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَنَجِّنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْكِرُونَ ﴿١٤﴾

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾ ﴿يُنَجِّيكُمْ﴾ ابن (عباس) ﴿مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما، أو ظلمات البر الصواعق والبحر الأمواج وكلاهما في الغيم والليل ﴿تَدْعُونَهُ﴾ حال من ضمير المفعول في ﴿يُنَجِّيكُمْ﴾ ﴿تَضَرُّعًا﴾ معلنين الضراعة وهو مصدر في موضع الحال، وكذا ﴿وَخُفْيَةً﴾ أي مسريين في أنفسكم (خفية) حيث كان: أبو بكر وهما لغتان ﴿لَّيْنٍ أَنَجِّنَا﴾ عاصم وبالإمالة حمزة وعلي. (الباقون «أنجيتنا») والمعنى يقولون لئن خلصنا ﴿مِنْ هَٰذِهِ﴾ الظلمات

قوله: (مالكهم الذي يلي عليهم أمورهم) فسر المولى به لدفع كون قوله تعالى في هذه الآية مناقضاً لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: الآية ١١]، فإن المولى في تلك الآية بمعنى الناصر، ولا ناصر للكفار، والمولى ههنا بمعنى المالك الذي يتولّى أمرهم، والله تعالى مالك الأمور كلّها في حقّ كل الخلائق، وهذه المناقضة إنما تنوّه إذا كانت الآية في حقّ جميع المكلفين من المؤمنين والكفار، وهو الظاهر وإن كانت واردة في حقّ المؤمنين خاصة يجوز أن يكون المولى بمعنى الناصر من غير محذور، فإنّ مَنْ يردّ إليه تعالى أصالة هم المؤمنون، والكفار في هذا الأمر تبع لهم.

قوله: ﴿يُنَجِّيكُمْ﴾ من الإنجاء (عباس) بن الفضل عن أبي عمرو بن العلاء البصري عبارة تفسير النيسابوري: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾ من الإنجاء سهل ويعقوب وعباس. والباقون بالتشديد. اهـ. قوله: (خفية) بكسر الخاء حيث كان أبو بكر شعبة عن عاصم، والباقون بالضم. قوله: ﴿لَّيْنٍ أَنَجِّنَا﴾ بألف بعد الجيم من غير ياء ولا تاء بلفظ الغيبة بغير إمالة (عاصم، وبالإمالة) أي بألف مُمالة حمزة وعلي الكسائي (الباقون: «أنجيتنا») بياء ساكنة بعد الجيم بعدها تاء مفتوحة على الخطاب

﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ (يُنَجِّكُمْ) بالتشديد كوفي) ﴿مِنْهَا﴾ من الظلمات ﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ وعم وحزن ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ولا تشكرون.

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلِيَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظَرْ حَتَّىٰ كَيْفَ نَصْرُكَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾ هو الذي عرفتموه قادراً أو هو الكامل القدرة فاللام يحتمل العهد والجنس ﴿عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كما غرق فرعون وخسف بقارون، أو من قبل سلاطينكم (وسفلكم)، أو هو حبس المطر والنبات ﴿أَوْ يَلِيَكُمْ شَيْعًا﴾ أو يخلطكم فرقاً مختلفين على أهواء (شتى) كل فرقة منكم مشايعة لإمام. ومعنى خلطهم أن (ينشب) القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في (ملاحم) القتال ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ يقتل بعضهم بعضاً. والبأس السيف وعنه عليه الصلاة والسلام: «سألت الله تعالى أن لا يبعث على أمتي عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسأله أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني وأخبرني جبريل أن فناء أمتي بالسيف» ﴿أَنْظَرْ حَتَّىٰ كَيْفَ نَصْرُكَ الْآيَاتِ﴾ بالوعد والوعيد ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ﴾

حكاية لدعائهم. قوله: ﴿يُنَجِّكُمْ﴾ بالتشديد) أي بفتح النون وتشديد الجيم (كوفي)، ويتسكين النون وتخفيف الجيم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن ذكوان عن ابن عامر.

(سفلتكم) في المصباح: قيل للأراذل سِفلة بكسر الفاء. اهـ. وفي مختار الصحاح: السِفلة - بكسر الفاء - السَّقَّاط من الناس، يقال: هو من السِفلة ولا تقل هو سِفلة لأنها جمع، والعامة تقول: رجل سِفلة من قوم سَفِل، وبعض العرب يخفف، فتقول: فلان من سِفلة الناس، فتثقل كسرة الفاء إلى السِّين. اهـ. قوله: (شتى) جمع شتيت وزان كريم، بمعنى متفرقة. قوله: (ينشب)^(١) أي يعلق ويدخل، وهو من باب علم. قوله: (ملاحم) جمع مَلَحمة بمعنى موضع القتال.

(١) أصل النشوب التعلق. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿٦٧﴾ وَكَذَّبَ بِهِمُ بِالْقُرْآنِ أَوْ بِالْعَذَابِ ﴿قَوْمُكَ﴾ قريش ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ أي الصدق أو لا بد أن ينزل بهم ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ بحفيظ وكل إلي أمركم إنما أنا منذر.
﴿لِكُلِّ نَبَلٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٧﴾

﴿لِكُلِّ نَبَلٍ﴾ لكل شيء (ينبأ به) يعني أنبياءهم بأنهم يعذبون وإيعادهم به ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ وقت استقرار وحصول لا بد منه ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد.
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٦٨﴾

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ أي القرآن يعني يخوضون في الاستهزاء بها والطعن فيها، وكانت قريش في (أنديتهم) يفعلون ذلك ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تجالسهم وقم عنهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ غير القرآن مما يحل فحينئذ يجوز أن تجالسهم ﴿وَإِمَّا يُنسِيكَ الشَّيْطَانُ﴾ ما نهيت عنه ﴿يُنْسِيكَ﴾ (شامي) نسي وأنسى واحد ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى﴾ بعد أن تذكر ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿٦٩﴾

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ من حساب هؤلاء الذين يخوضون في القرآن تكذيباً واستهزاء ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ أي وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم (شيء مما يحاسبون عليه) من ذنوبهم ﴿وَلَكِنْ﴾ عليهم أن يذكروهم ﴿ذِكْرِي﴾ إذا سمعوه يخوضون بالقيام عنهم وإظهار الكراهة لهم وموعظتهم. ومحل

قوله: (ينبأ به) فالنبأ بمعنى المنبأ به، أو بمعنى المصدر، أي الإنباء.

قوله: (أنديتهم) جمع الندي على فعيل مجلس القوم ومُتَحَدِّثِهِمْ. قوله: ﴿يُنْسِيكَ﴾ (بتشديد السين وفتح النون من نسي (شامي) أي ابن عامر الشامي، وقرأ الباقون بتخفيفها وسكون النون من أنسى.

قوله: (شيء مما يحاسبون عليه) إشارة إلى أن من في من شيء زائدة، وشيء في محل الرفع على أنه فاعل عليك لاعتماده على النفي، ومن حسابهم حال من شيء؛ لأنه لو تأخر عنه لكان صفة له وصفة التكررة متى قدمت عليها انتصب على الحالية، والمعنى ما استقر على الذين يتقون الشك شيء كائن مما

﴿ذَكَرْنِي﴾ نصب أي ولكن يذكرونهم ذكرى أي تذكيرًا، أو رفع والتقدير ولكن عليهم ذكرى؛ ف ﴿ذَكَرْنِي﴾ مبتدأ والخبر محذوف ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ لعلمهم يجتنبون الخوض حياء أو كراهة (لمساءتهم).

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ وَعِزَّتُهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَن تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ الذي كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام ﴿لِبَآءٍ وَلَهُوَ﴾ سَخِرُوا به واستهزءوا. ومعنى ﴿ذَرَهُمْ﴾ أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم، واللهم ما يشغل الإنسان من هوى أو طرب ﴿وَعِزَّتُهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ﴾ وعظ بالقرآن ﴿أَن تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (مخافة أن تسلم) إلى (الهلكة) والعذاب وترتهن بسوء كسبها، وأصل الإبسال المنع ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ ينصرها بالقوة ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يدفع عنها بالمسألة. ولا وقف على ﴿كَسَبَتْ﴾ في الصحيح لأن قوله: ﴿لَيْسَ لَهَا﴾ صفة لنفس والمعنى وذكر بالقرآن كراهة أن تبسل نفس عادمة وليًا وشفيعًا بكسبها ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ﴾ (نصب على المصدر) وإن تفد كل (فداء)، والعدل الفدية لأن الفادي يعدل (المفدي) بمثله، وفاعل ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ لا ضمير العدل لأن العدل هنا مصدر

يُحاسب المشركون عليه. قوله: (لمساءتهم) مصدر أما مضاف للفاعل والمفعول مقدراً ومضاف للمفعول.

قوله: (مخافة أن تسلم) ... الخ. إشارة إلى أنه مفعول لأجله بتقدير مضاف أو أصله أن لا تبسل. قوله: (الهلكة)، في المصباح: هلك الشيء هلكًا من باب ضرب وهلاكًا وهلوکًا ومهلكًا بفتح الميم. وأمّا اللام، فمثثة، والاسم الهلك مثل قفل والهلكة مثال قصبة بمعنى الهلاك. اهـ.

قوله: (نصب على المصدر)، فإنه يكون في حكم ما أضيف إليه ونظيره خير مقدّم وكثير نفع. قوله: (فداء) بالكسر والمد. قوله: (المفدي) بفتح الميم وكسر الدال.

(فلا يسند إليه الأخذ)، وأما في قوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: الآية ٤٨] فبمعنى المفدى به فصح إسناده إليه ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى المتخذين من دينهم لعباً ولهواً وهو مبتدأ والخبر ﴿الَّذِينَ أُتْبِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ وقوله: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي ماء (سخين) حار خبر ثانٍ لـ ﴿أُولَئِكَ﴾ والتقدير: أولئك المبسلون ثابت لهم شراب من حميم أو مستأنف ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُنْتِنَا قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا يُسْلِمَ لِربِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿قُلْ﴾ (لأبي بكر) يقل (لابنه عبد الرحمن) وكان يدعو أباه إلى عبادة

قوله: (فلا يسند إليه الأخذ)؛ لأن الأخذ يتعلّق بالأعيان لا المعاني. قوله: (سخين) أي حار.

قوله: (لأبي بكر) الصديق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، وقد أجمع أهل السنة من أهل الحق واليقين أنه أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين، واسمه عبد الله على الصحيح ابن أبي قحافة عثمان بن عامر القرشي يلتقي مع النبي ﷺ في مرّة، وهو أول من أسلم من الرجال وأول من جمع القرآن وأول من سمّاه مصحفًا، وأول من سُمّي خليفة، وأول من وُلّي الخلافة. أخرج الطبراني عن موسى بن عقبة: لا نعلم أربعة أدركوا النبي ﷺ وأبناءهم إلا هؤلاء الأربعة: أبو قحافة وابنه أبو بكر الصديق وابنه عبد الرحمن وأبو عتيق بن عبد الرحمن واسمه محمد. اهـ. وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: روى الصديق عن النبي ﷺ مائة حديث واثنين وأربعين حديثًا، وسبب قلّة روايته أنه تقدّمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها. قال الزهري: توفي أبو بكر بصبح يوم الثلاثاء لاثنتين وعشرين مضي من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وكان سنّه إذ ذاك ثلاثًا وستين سنة، ومناقبه والأحاديث الواردة في فضائله كثيرة شهيرة لا يحتمل بيانها هذه الأوراق. قوله: (لابنه عبد الرحمن) يُكنى أبا عبد الله،

الأوثان ﴿أَدْعُوا﴾ أُنْعِدْ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الضَّارَّ النَّافِعَ ﴿مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾ مَا لَا

وقيل: أبو محمد بابنه محمد الذي يقال له أبو عتيق، وقيل: أبو عثمان وأمه أم رومان^(١)، سكن المدينة وتوفي بمكة ولا يُعرف في الصحابة أربعة ولا أب وبنوه بعده كلّ منهم ابن الذي قبله أسلموا وصحبوا النبي ﷺ إلا أبو قحافة وابنه أبو بكر الصديق، وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وابنه محمد بن عبد الرحمن أبو عتيق، وكان عبد الرحمن شقيق عائشة، وشهد بدرًا وأحدًا مع الكفار، ودعا إلى البراز فقام إليه أبو بكر ليبارزه، فقال له رسول الله ﷺ: «متعني بنفسك»، وكان شجاعًا راميًا حسن الرمي، وأسلم في هُدنة الحديبية وحسن إسلامه، وكان اسمه عبد الكعبة فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الرحمن، وقيل: كان اسمه عبد العزى، وشهد اليمامة مع خالد بن الوليد فقتل سبعة من أكابرهم، وهو الذي قتل محكم اليمامة ابن طفيل رماء بسهم في نحره فقتله، وكان محكم اليمامة في ثلثة في الحصن، فلما قُتل دخل المسلمون منها. قال الزبير بن بكار: كان عبد الرحمن أسمن ولد أبي بكر، وكان فيه دعابة. رَوَى عن النبي ﷺ أحاديث. رَوَى عنه أبو عثمان النهدي وعمرو بن أوس والقاسم بن محمد وموسى بن وردان وميمون بن مهران وعبد الرحمن بن أبي ليلي وغيرهم.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي منصور أحمد بن محمد بن نبال الصوفي يُعرف بترك كنانة، أخبرنا أبو مطيع محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز المصري، أخبرنا أبو سعيد محمد بن علي النقاش، حدّثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، حدّثنا أحمد بن زياد بن مهران العدل، حدّثنا أحمد بن يونس، حدّثنا أبو شهاب عن عمرو بن قيس عن ابن أبي مليكة أنّ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال: قال رسول الله ﷺ: «أثوني بكتف ودواة أكتب لكم كتابًا لا تضلّون بعده»، ثم ولى قفاه، ثم أقبل علينا فقال: «يا أيُّ الله والمؤمنون إلا أبا بكر». روى الزبير بن بكار عن محمد بن الضحاك الحرامي، عن أبيه الضحاك، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه أنّ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قدِم الشام في تجارة، فرأى هناك امرأة يقال لها ابنة الجودي،

(١) بضمّ الراء على المشهور، وحكى ابن عبد البر فتحها وضمّها. ١٢ منه عمّ فيضهم.

يقدر على نفعنا إن دعوانه ﴿وَلَا يَصْرُنَا﴾ إن تركناه ﴿وَنُرْدُّ﴾ وأنردُّ ﴿عَلَى﴾

وحولها ولائد فأعجبه، فقال فيها:

تذكرت ليلي والسماء دونها فما لابنة الجودي ليلي وما ليا
وإني تعاطى قلبه حارثية تُذمن بصرى أو تحلّ الجوابيا
وأنى تُلاقِيها بلى ولعلها إن الناس حجوا قابلاً أن توافيا

قال: فلما بعث عمر بن الخطاب جيشه إلى الشام قال لصاحب الجيش: إن ظفرت بليلى ابنة الجودي عنوة، فادفعها إلى عبد الرحمن بن أبي بكر؛ فظفر بها فدفعا إليه، فأعجب بها وأثرها على نسائه حتى شكّنه إلى عائشة، فعائته على ذلك، فقال: والله لكأنني أرشف من ثنائها حبّ الرمان، ثم إنّه جفاها حتى شكته إلى عائشة، فقالت له عائشة: يا عبد الرحمن أحببت ليلي فأفطرت، وأبغضتها فأفطرت، فإما أن تُنصفها وإما أن تجهّزها إلى أهلها؛ فجهّزها إلى أهلها، وكانت غسانية. وشهد وقعة الجمل مع أخته عائشة. أخبرنا أبو محمد بن أبي القاسم الدمشقيّ إذنا، أخبرنا أبي، حدّثنا أبو القاسم بن السمرقندي، أخبرنا أبو الحسين بن النّقور، أخبرنا عيسى بن عليّ، أخبرنا عبد الله بن محمّد، حدّثنا ابن عائشة، حدّثنا حماد بن سلمة، حدّثنا محمد بن زياد أنّ معاوية كتب إلى مروان أنّ يبيع ليزيد بن معاوية، فقال عبد الرحمن: جتّم بها هرقلية تبايعون لأبنائكم، فقال مروان: يا أيّها الناس هذا الذي يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِي لَكُمَا﴾ [الأحقاف: الآية ١٧] إلى آخر الآية، فغضبت عائشة وقالت: والله ما هو به، ولو شئت أن أسميه لسمّيته. وروى الزبير بن بكار، قال: حدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهريّ عن أبيه عن جدّه، قال: بعث معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد بن معاوية، فردّها عبد الرحمن وأبى أن يأخذها، وقال: لا أبيع ديني بدنياي، وخرج إلى مكّة فمات بها قبل أن تتمّ البيعة ليزيد، وكان موته فجأة من نومة نامها بمكان اسمه حُبشيّ على نحو عشرة أميال من مكّة، وحُمل إلى مكّة فدُفِن بها، ولما اتّصل خبر موته بأخته عائشة ظنعت إلى مكّة حاجة، فوقفت على قبره، فبكّت عليه وتمثّلت:

وكنا كندمانى جديمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
فلما تفرّقنا كأني ومالكنا لطول اجتماع لم نبث ليلة معاً

أَعْقَابِنَا ﴿ رَاجِعِينَ إِلَى الشَّرْكِ ﴾ ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ ﴾ لِلْإِسْلَامِ وَأَنْقَذَنَا مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ ﴾ كَالَّذِي ذَهَبَتْ بِهِ (الغِيلَان)

أما والله لو حضرْتُكَ لدفتك حيث مت، ولو حضرْتُكَ ما بكيتك. وكان موته سنة ثلاث، وقيل: سنة خمس وخمسين، وقيل: سن ست وخمسين، والأول أكثر. أخرجه الثلاثة، أي ب د ع. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، وفي تهذيب الأسماء. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ ثمانية أحاديث، اتفق البخاري ومسلم منها على ثلاثة. رَوَى عنه أبو عثمان النهدي، وشريح القاضي، وعمر بن أوس، وابن أخيه القاسم بن محمد، وابن أبي مليكة، وميمون بن مهران، وبنت حفصه بنت عبد الرحمن وغيرهم. توفي بالحُبَشِيِّ جبل بينه وبين مكة ستة أميال، وقيل: نحو عشر أميال، ثم حُبل على رقاب الرجال إلى مكة سنة ثلاث وخمسين، وقيل: خمس وخمسين، وقيل: ست، والصحيح الأول. اهـ. قوله: (الغِيلَان) جمع الغول - بالضم - السَّعْلَة. في لسان العرب: السَّعْلَة والسَّعْلَى الغول، وقيل: هي ساحرة الجن، وقيل: السَّعْلَة أخبث الغيلان، وكذلك السَّعْلَاء تمد وتُقصّر والجمع سَعَالَى وسَعْلِيَات، وقيل: هي الأنثى من الغيلان. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «لا صفر ولا هامة ولا غول، ولكن السعالى» هي جمع سَعْلَاء، قيل: هم سحرة الجن، يعني أن الغول لا تقدر أن تغول أحداً أو تضله، ولكن في الجن سحرة كسحرة الإنس له تليس وتخيل، وقد ذكرها العرب في شعرها. اهـ. وأيضاً فيه في فصل الغين المعجزة: وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «لا عَدْوَى ولا هامة ولا صفر ولا غول». كانت العرب تقول: إنَّ الغِيلَان في الفَلَوَات تراءى للناس، فتَغُولُ تغولاً أي تَلَوْنَ تَلَوْنًا فتضلُّهم عن الطريق وتُهْلِكهم، وهي من مَرَدَةِ الجن والشياطين، وذكرها في أشعارهم فاش، فأبطل النبي ﷺ ما قالوا. اهـ. وأيضاً فيه قال ابن الأثير: قوله: «لا غول ولا صفر»، قال: الغول أحد الغيلان وهي جنس من الشياطين والجن كانت العرب تزعم أن الغول في الفَلَاة تراءى للناس فتغول تغولاً، أي تَلَوْنَ تَلَوْنًا في صورٍ شتى وتغولهم، أي تضللهم عن الطريق وتُهْلِكهم، فنفاه النبي ﷺ وأبطله، وقيل: قوله: «لا غول» ليس نفيًا لعين الغول ووجوده، وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة واغتياله، فيكون المعنى بقوله: «لا غول» أنها لا تستطيع أن تضلَّ أحداً، ويشهد له الحديث الآخر: «لا

و(مردة الجن). والكاف في محل النصب على الحال من الضمير في ﴿وَوُرِدَ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ أي (أنكص) مشبهين مَنْ استهوته الشياطين (وهو استفعال من هوى) في الأرض (إذا ذهب) فيها كأن معناه طلبت هويه ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ في

غول ولكن السَّعَالَى السَّعَالَى سحرة الجن»، أي ولكن في الجن سحرة لهم تلبس وتخيل، وفي حديث أبي أيوب: كان لي تمر في سَهْوَةٍ، فكانت الغول تجيء فتأخذه. اهـ.

قوله: (مَرْدَةُ الجن) مَرْدَةٌ جمع مارد، والمارد العاتي. قوله: (أنكص) أي أنرجع. قوله: (وهو استفعال) وسين الاستقبال للمبالغة كأنها طلبت من نفسها هويه وحرصت عليه. اهـ قنوي. قوله: (مِنْ هوى) مِنْ باب ضرب. اهـ قنوي.

قوله: (إذا ذهب) المشهور في كتب اللغة: هوى يهوي هوى إذا ذهب مسرعاً، كذا قيل. وهذا معنى ثالث للهوى كما هو الظاهر من كلامه، وقد جاء بمعنى السقوط من الباب الثاني، وبمعنى المودة من باب علم، وبعضهم حمل على معنى السقوط، لكنه تكلف. اهـ قنوي رَحِمَهُ اللهُ.

وقال العلامة الشهاب: قوله: (من هوى) يهوي إذا ذهب هذا هو المعروف، في اللغة: وأما كونه مِنْ هوى بمعنى سقط يقال: هوى يهوي هويًا - بفتح الهاء - من أعلى إلى أسفل، وبضمها لعكسه، أو هما بمعنى. اهـ. وفي المصباح: هوى يهوي مِنْ باب ضرب هويًا - بضم الهاء وفتحها - وزاد ابن القوطية: هواء - بالمد - سقط من أعلى إلى أسفل، قاله أبو زيد وغيره. قال الشاعر:

هويّ الدلو أسلمها الرّشاء

يُروى بالفتح والضم، واقتصر الأزهري على الفتح، وهوى يهوي أيضًا هويًا بالضم لا غير إذا ارتفع. قال الشاعر:

يهوي مخارمها هويّ الأجلد

وقال الآخر:

والدلو في إصعادها عجل الهويّ

(المهمة) ﴿حَيْرَانَ﴾ حال من مفعول ﴿أَسْتَهْوَتْهُ﴾ أي (تائها) ضالاً عن (الجادة) لا يدري كيف يصنع ﴿لَهُ﴾ لهذا (المستهوي) ﴿أَصْحَبُ﴾ (رفقة) ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ إلى أن يهدوه الطريق. سُمِّي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له: ﴿أَقِنَّا﴾ وقد (اعتسف) المهمة تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم، وهذا مبني على ما يقال إن الجن تستهوي الإنسان، والغيلان تستولي عليه، فشبه به الضال عن طريق الإسلام التابع لخطوات الشيطان، والمسلمون يدعونهم إليه فلا يلتفت إليهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾ وهو الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ وحده وما وراءه ضلال ﴿وَأَمْرُنَا﴾ محله النصب بالعطف على محل ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾ ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ على أنهما مقولان كأنه قيل: قل هذا القول وقل أمرنا ﴿لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧١) ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ والتقدير: وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا أي للإسلام ولإقامة الصلاة ﴿وَأَتَّقُوا﴾ وهو الذي ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ يوم القيامة.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (٧٣) ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بالحكمة أو محققا ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ على الخبر دون الجواب ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ مبتدأ و﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ خبره مقدما عليه كما تقول «يوم الجمعة قولك الصدق» أي قولك الصدق كائن يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين. والمعنى أنه خلق السموات والأرض بالحق والحكمة

اهـ. قوله: (المهمة) (١) أي المفازة البعيدة. قوله: (تائها) في مختار الصحاح: تاه يتيه تَيَّها وتَيَّهاها ذهب متحيزا. قوله: (الجادة) معظم الطريق. قوله: (المستهوي) بصيغة المفعول. قوله: (رفقة) في المصباح: الرفقة الجماعة ترافقهم في سفرهم فإذا تفرقت زال اسم الرفقة، وهي بضم الراء في لغة بني تميم، والجمع رفاق مثل برمة وبرام، وبكسرهما في لغة قيس والجمع رفق مثل سدره وسدر. اهـ. قوله: (اعتسف) في مختار الصحاح: العسف الأخذ على غير الطريق، وبابه ضرب، وكذا المتعسف والاعتساف. اهـ.

(١) أي الصحراء. ١٢ منه عم فيضهم.

وحين يقول لشيء من الأشياء كن فيكون ذلك الشيء، قوله الحق والحكمة أي لا يكون شيئاً من السموات والأرض وسائر المكونات إلا عن حكمة وصواب ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ مبتدأ وخبر ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ ظرف لقوله: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ ﴿فِي الصُّورِ﴾ هو القرن بلغة اليمن (أو جمع صورة) ﴿عَلَيْهِمُ الْغَيْبُ﴾ هو عالم الغيب ﴿وَالشَّهَادَةُ﴾ أي السر والعلانية ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في الإفناء والإحياء ﴿الْخَبِيرُ﴾ بالحساب والجزاء.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرَأَزَرَأَتَتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرَأَزَرَأَتَتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ اسم أبيه (تارح)، وهو عطف بيان لأبيه (وزنه فاعل) ﴿أَتَتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ استفهام توبيخ أي أتعزها آلهة وهي لا تستحق الإلهية ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي وكما أريناه قبح الشرك ﴿نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي نري بصيرته لطائف خلق السموات والأرض، (ونري حكاية حال ماضية). والملكوت أبلغ من الملك (لأن الواو والتاء تزدان للمبالغة). قال

قوله: (أو جمع صورة) كصوف وصوفة وثوم وثومة، وليس هذا جمعاً صناعياً، وإنما هو اسم جنس.

قوله: (تارح) بناء مثناة فوقية وألف بعدها راء مهملة مفتوحة وحاء مهملة، وضبط بعضهم بالخاء المعجمة، فعلى هذا يكون لأبي إبراهيم اسمان آزر وتارح، مثل يعقوب وإسرائيل اسمان لرجل واحد، فيحتمل أن يكون اسمه الأصلي آزر وتارح لقب له وبالعكس، والله سماء آزر وإن كان عند النسابين والمؤرخين اسمه تارح ليعرف بذلك. قوله: (وزنه فاعل) المفتوح العين.

قوله: (ونري حكاية حال ماضية) جواب عما يقال: هذه الإرادة حصلت فيما تقدم من الزمان، فالأنسب أن يقال: وكذلك أريناه أجاب بأنه على سبيل الحكاية عن الماضي تحقيقاً لحصوله وتصويراً لعظم شأنه. قوله: (لأن الواو والتاء تزدان للمبالغة)، ولذا فسر بأعظم الملك.

(مجاهد): فرجت له السموات السبع فنظر إلى ما فيهن حتى انتهى نظره إلى العرش، وفرجت له الأرضون السبع حتى نظر إلى ما فيهن ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (فعلنا ذلك أو ليستدل، وليكون) من المتقين (عياناً بكسر العين) كما أبين بيانا.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (٧٦)

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أي أظلم وهو عطف على ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ﴾ وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ﴾ جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه ﴿رَأَى كَوْكَبًا﴾ أي (الزهرة أو المشتري)، وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى أن شيئاً منها ليس بآله لقيام دليل الحدوث فيها، ولأن لها محدثاً أحدثها ومدبراً دبر طلوعها (وأفولها) وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها، فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ أي قال لهم هذا ربي في زعمكم، أو المراد أهذا استهزاء بهم وإنكاراً عليهم، والعرب تكتفي عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت. والصحيح أن هذا قول من ينصف خصمه مع عمله أنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأنه أدعى إلى الحق وأنجى من (الشغب)، ثم (يكر) عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾

قوله: (مجاهد) وهو تابعي رضي الله تعالى عنه. قوله: (فعلنا ذلك أو ليستدل وليكون)... الخ. إشارة إلى ما مر في أمثاله من أنه إما علة لفعل مقدّر، أي فعلنا ذلك وليكون... الخ. أو معطوف على علة مقدّرة، أي ليستدل وليكون... الخ. وقيل: إنّ الواو زائدة وهو متعلّق بما قبله، وهذه الوجوه جارية في كلّ ما جاء في القرآن من هذا. قوله: (عياناً بكسر العين). اهـ كمالين في سورة البقرة. في المصباح: عايته معاينة وعياناً.

قوله: (الرّهرة) بضم الزاي وفتح الهاء كتؤدة نجم في السماء الثالثة وتسكين الهاء في غير ضرورة الشعر خطأ. قوله: (والمشتري) نجم في السماء السادسة. قوله: (أفولها) في المصباح: أفل الشيء أفلاً وأفولاً من بابي ضرب وقعد غاب، ومنه قيل: أفل فلان عن البلد إذا غاب عنها. اهـ. قوله: (الشغب) بالتسكين تهيج الشر، ولا يقال: شغب بالتحريك. اهـ مختار الصحاح. قوله: (يكر) الكر الرجوع

غاب ﴿قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾ أي لا أحب عبادة (الأرباب المتغيرين) عن حال إلى حال لأن ذلك من صفات الأجسام.

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾ مبتدئاً في الطلوع ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ نبه قومه على أن من اتخذ القمر إلهاً فهو ضال، (وإنما احتج عليهم بالأفول دون البرزخ) وكلاهما انتقال من حال إلى حال لأن الاحتجاج به أظهر لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب.

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَكُونُ لِئِنْ بَرِئْتُ مِمَّا نَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ إني وجهت وجهي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ (وإنما ذكره) لأنه أراد الطالع، أو لأنه جعل المبتدأ مثل الخبر لأنهما شيء واحد معنى، وفيه صيانة الرب عن شبهة

وبابه رد. اهـ مختار الصحاح. قوله: (الأرباب المتغيرين) إشارة إلى وجه الجمع بالواو والنون.

قوله: (وإنما احتج عليهم بالأفول دون البرزخ) الذي هو الابتداء في الطلوع جواب عما يقال: الأفول إنما يدل على الحدوث من حيث إنه حركة، وعلى هذا التقدير يكون الطلوع أيضاً دليلاً على الحدوث، فلم ترك إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام الاستدلال على حدوثها بالطلوع، وعدل عن إثبات هذا المطلوب إلى الأفول، وأجاب بأن الاحتجاج بالأفول أظهر؛ لأنه يدل على الحدوث من وجهين: من حيث إنه حركة، ومن حيث إنه احتجاب وغيبية، ومن كان إلهاً يجب أن ينعكس منه نور الوجود إلى جميع الموجودات ابتداء وبقاء، فلا يجوز أن يغيب عنها طرفة عين، فلا يجوز الأفول في حقه.

قوله: (وإنما ذكره) ولم يقل: هذه ربي مع كونه إشارة إلى الشمس، وهي مؤنث سماعي، لأنه... الخ.

التأنيث ولهذا قالوا في صفات الله تعالى علام ولم يقولوا علامة وإن كان الثاني أبلغ (تفاديا) من علامة التأنيث ﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾ من باب استعمال (النصفة) أيضا مع خصومه ﴿فَلَمَّا أَفَلَّتْ قَالَ يَنْقُومُ إِلَيَّ بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾ من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها. وقيل: هذا كان نظره واستدلالة في نفسه فحكاه الله تعالى، والأول أظهر لقوله: ﴿يَنْقُومُ إِلَيَّ بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾ (٧٨) إِلَيَّ وَجْهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أي للذي دلّت هذه المحدثات على أنه منشئها ﴿حَنِيفًا﴾ حال أي مائلا عن الأديان كلها إلى الإسلام ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بالله شيئا من خلقه.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجِّجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَنْتُ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (٨٠)

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ في توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه ﴿قَالَ أَتُحْجِّجُونِي فِي اللَّهِ﴾ في توحيده. ﴿أَتُحْجِّجُونِي﴾ (وابن ذكوان) مدني ﴿وَقَدْ هَدَنْتُ﴾ إلى التوحيد، (وبالياء في الوصل: أبو عمرو). ولما خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء قال: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ أي لا أخاف معبوداتكم في وقت (قط) لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربي (أن يصيبني منها بضر)، فهو قادر على أن يجعل فيما شاء نفعًا وفيما شاء ضرًا لا الأصنام ﴿وَسِعَ﴾

قوله: (تفاديا) أي احترازًا. قوله: (النصفة) في المصباح: أنصفت الرجل إنصافًا عاملة بالعدل والقسط، والاسم النصفة - بفتحيتين - لأنك أعطيته من الحق ما تستحقه لنفسك. اهـ.

قوله: ﴿أَتُحْجِّجُونِي﴾ بنون خفيفة مكسورة على حذف إحدى النونين (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة.

(وابن ذكوان) هو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشيّ الدمشقي، ويكنى أبا عمرو، وتوفي بها سنة اثنتين وأربعين ومائتين، عن عبد الله بن عامر الشامي رحمته الله. والباقون بالتشديد على الإدغام. قوله: (وبالياء في الوصل أبو عمرو) البصري. والباقون بحذفها في الحاليين. قوله: (قط) أي أبدًا. قوله: (أن يصيبني منها بضر) إشارة إلى أن شيئًا مفعول به ليشاء ففسر شيئًا به ليعلم أنه مفعول، وليس بمصدر على معنى إلا أن يشاء ربي شيئًا من المشيئة.

رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٨١﴾ فَلَا يَصِيبُ عَبْدًا شَيْءٌ مِنْ ضَرٍّ أَوْ نَفْعٍ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴿٨٢﴾ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٣﴾ فتميزوا بين القادر والعاجز .

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُكُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُكُمْ﴾ معبوداتكم وهي مأمونة الخوف ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ ﴿بِإِشْرَاكِهِ﴾ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ﴿حُجَّةٌ إِذَا الْإِشْرَاكُ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ حُجَّةٌ، وَالْمَعْنَى وَمَا لَكُمْ أَنْ تَتَكَبَّرُوا عَلَى الْأَمْنِ فِي مَوْضِعِ الْأَمْنِ وَلَا تَتَكَبَّرُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ الْأَمْنِ فِي مَوْضِعِ الْخَوْفِ﴾ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ ﴿أَيُّ فَرِيقِي الْمُوحِدِينَ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴿مِنْ الْعَذَابِ﴾ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿وَلَمْ يَقُلْ: «فَأَيْنَا» احْتِرَازًا مِنْ تَرْكِه نَفْسَهُ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الْجَوَابَ عَنِ السُّؤَالِ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (وَلَمْ يَلْبِسُوا) إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴿(بَشْرَكَ عَنِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ)﴾ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿تَمَّ كَلَامُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ .

قوله: ﴿(وَلَمْ يَلْبِسُوا)﴾ بفتح الياء وكسر الباء إمّا معطوف على الصلة ولا محلّ له حينئذ، أو جملة حالية على معنى الذين آمنوا غير لابسين إيمانهم بظلم .
قوله: (بشرك عن الصديق رضي الله تعالى عنه) أخرج الفريابي وابن أبي شيبة والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، قَالَ: مَا تَقُولُونَ؟ قَالُوا: لَمْ يَظْلَمُوا، قَالَ: حَمَلْتُمُ الْأَمْرَ عَلَى الشَّدَةِ بِظُلْمِ بَشْرِكَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]؟ وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والدارقطني في الأفراد وأبو الشيخ وابن مردويه عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَيْنَا لَا يَظْلَمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ الَّذِينَ يَعْنُونَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]، إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ». وأخرج أبو الشيخ عن عمر بن الخطاب

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم عليه السلام على قومه من قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ إلى ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ وهو خبر بعد خبر ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾ في العلم والحكمة (وبالتنوين كوفي) وفيه نقض قول المعتزلة في الأصلح ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ بالرفع ﴿عَلِيمٌ﴾ بالأهل.

رضي الله تعالى عنه: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، قال: بشرك. وأخرج الفريابي وأبو عبيدة وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ وأبو نصر السجزي في الإبانة عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه أنه سُئِلَ عن هذه الآية، قال: إنما عني به الشرك، ألم تسمع الله يقول: ﴿إِنَّكَ أَلْشِّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ من طريق أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه في قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: الآية ٨٢] قال: ذاك الشرك. وأخرج ابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف يقرأه، فدخل ذات يوم فقرأ سورة الأنعام، فأتى هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ إلى آخر الآية، فانتعل وأخذ رداءه ثم أتى أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه، فقال: يا أبا المنذر أتيت على هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، وقد ترى أنا ن ظلم ونقتل، فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا ليس بذاك، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَلْشِّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]، إنما ذاك الشرك. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن مجاهد رضي الله تعالى عنه: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: الآية ٨٢]، قال: بشرك. وأخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ عن مجاهد رضي الله تعالى عنه: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، قال: عبادة الأوثان. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبیر رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، يقول: لم يخلطوا إيمانهم بشرك.

قوله: (وبالتنوين) أي بتنوين التاء (كوفي) أي عاصم وحزمة والكسائي. والباقون بإضافة درجات وانتصابها على أنها مفعول نرفع. وأما على قراءة

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ لإبراهيم ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ أي كلهم وانتصب ﴿كُلًّا﴾ بـ ﴿هَدَيْنَا﴾ ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾ أي وهدينا نوحاً ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل إبراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ الضمير لنوح أو لإبراهيم، والأول أظهر لأن يونس ولو طاً لم يكونا من ذرية إبراهيم ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾ والتقدير: وهدينا من ذريته هؤلاء ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ونجزي المحسنين جزاء مثل ذلك، فالكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ﴾ أي كلهم ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (وذكر عيسى معهم دليل على أن النسب يثبت من قبل الأم أيضاً) لأنه جعله من ذرية نوح ﷺ وهو لا يتصل به إلا بالأم، وبذا أُجيب (الحجاج) حين أنكر أن يكون بنو فاطمة أولاد النبي ﷺ.

الكوفيّين، فانتصاب درجات يحتمل أن يكون على الظرفية، ومن نشاء مفعول نرفع، أي نرفع مَنْ نشاء مراتب ومنازل، ويحتمل أن يكون على أنها مفعول ثانٍ قدم على الأول، وذلك يحتاج إلى تضمين نرفع معنى فعل يتعدى إلى اثنين، وهو يعطي مثلاً، أي نعطي بالرفع مَنْ نشاء درجات، أي رُتَبًا، فالدرجات هي المرفوعة؛ لقوله: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ [غافر: الآية ١٥]، وإذا رفعت الدرجة فقد رُفِع صاحبها، ويحتمل أن ينتصب بنزع الخافض، أي نرفع إلى منازل وإلى درجات، والمراد بالدرجات ههنا درجات العلم والفهم والحكمة كما رفع درجات إبراهيم فيها حتى فاق في زمن صباه شيوخ أهل عصره واهتدى إلى ما لم يهتد إليه إلا أكابر الأنبياء.

قوله: (وذكر عيسى) على نبينا وعليه الصلاة والسلام (معهم دليل على أن النسب يثبت من قبل الأم أيضاً) ... الخ. فيكون الحسن والحسين من ذرية سيد المرسلين محمد ﷺ مع انتسابهما إليه بالأم، ومن آذاهما فقد آذى ذريته عليه الصلاة والسلام. قوله: (الحجاج) بن يوسف الثقفي، وهو أبو محمد الحجاج بن

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَحُوطًا وَكَانَ فَضْلُنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ عِبَادِهِمُ ذُرِّيَّتَهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ﴾ (﴿وَالْيَسَعَ﴾ حيث كان بلامين: حمزة وعلي) ﴿وَيُوشَعَ وَحُوطًا وَكَانَ فَضْلُنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بالنبوة والرسالة ﴿وَمِنْ عِبَادِهِمُ﴾ في موضع النصب عطفاً على ﴿كَانَ﴾ أي وفضلنا بعض آبائهم ﴿وَذُرِّيَّتَهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ ذلك أي ما دان به هؤلاء المذكورون ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ دين الله ﴿يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فيه نقض قول المعتزلة لأنهم يقولون إن الله شاء هداية الخلق كلهم لكنهم لم يهتدوا ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات العلى ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لبطلت أعمالهم كما قال ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: الآية ٦٥].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلْكِتَابَ﴾ يريد الجنس ﴿وَالْحُكْمَ﴾ والحكمة أو فهم الكتاب ﴿وَالنَّبُوءَةَ﴾ وهي أعلى مراتب البشر ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ بالكتاب والحكم والنبوة أو بآيات القرآن ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ هم الأنبياء المذكورون

يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن كعب الثقفي، قال ابن قتيبة: هو من الأجلاف، قال: وكان أخفش دقيق الصوت وأول ولاية وليها تبالة - بمشاة فوق مفتوحة ثم باء موحدة مخففة - فلما رآها احتقرها فتركها، ثم تولى قتال ابن الزبير رضي الله تعالى عنه فقهره على مكة والحجاز، وقتل ابن الزبير وصلبه بمكة سنة ثلاث وسبعين، فولاه عبد الملك الحجاز ثلاث سنين، وكان يصلي بالناس ويقيم لهم الموسم، ثم ولاه العراق وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فوليه عشرين سنة وحطم أهلها وفعل ما فعل، وتوفي بواسط وذفن بها وعفي قبره وأجرى عليه الماء، وكان موته سنة خمس وتسعين.

قوله: (﴿وَالْيَسَعَ﴾ حيث كان بلامين) أي بلام مشددة وباء ساكنة بعدها (حمزة وعلي) الكسائي. وقراءة الجمهور بلام واحدة وفتح الياء بعدها.

ومن تابعهم بدليل قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْدَهُ﴾ أو أصحاب النبي ﷺ، أو كل من آمن به (أو العجم). ومعنى توكيلهم بها أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهد به ويحافظ عليه. (والباء في ﴿لَيْسُوا بِهَا﴾ صلة ﴿كَافِرِينَ﴾ وفي ﴿يَكْفُرِينَ﴾ لتأكيد النفي.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٩٠)

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أي الأنبياء الذين مر ذكرهم ﴿فَبِهِدْهُمْ أَقْدَهُ﴾ (فاختص هداهم بالاعتداء) ولا تقتد إلا بهم، وهذا معنى تقديم المفعول. والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهي مختلفة،

قوله: (أو العجم) في مختار الصحاح: العجم ضد العرب الواحد عجمي. اهـ. قوله: (والباء في ﴿لَيْسُوا بِهَا﴾ صلة ﴿كَافِرِينَ﴾) على أن يتعلق بالمذكور بناء على تجويز إعمال ما بعد حرف الجر المَزِيدَة فيما قبله سيما الظرف

قوله: (فاختص هداهم بالاعتداء) أمر بالاختصاص وليس بماض، والباء داخلة على المقصور، كما في قولك: نخصك بالعبادة، أي اجعل اقتداءك مقصوراً على هداهم وطريقهم، وقوله: ﴿فَبِهِدْهُمْ﴾ متعلق بـ ﴿أَقْدَهُ﴾ قُدِّم عليه ليفيد الاختصاص.

فإن قيل: الواجب في الاعتقادات وأصول الدين هو اتباع الدليل من العقل والسمع، ولا يجوز سيما للنبي ﷺ أن يقلد غيره، فما معنى أمره بالاعتداء بهم؟

قلنا: معناه الأخذ به، لكن لا من حيث إنه طريقهم، بل من حيث إنه طريق العقل والشرع، ففيه تعظيم لهم وتنبيه على أن طريقهم هي الحق الموافق لدليل العقل والسمع، فكأنه قيل: فخذ ما توافقوا عليه من التوحيد والتنزيه عن كل ما يليق بالباري تعالى في الذات والصفات والأفعال وأصول الدين، مستدلاً بالدليل الذي استدلوا به على ما اتفقوا عليه؛ فليس في الآية دليل على أنه عليه الصلاة والسلام مكلف بشرع من قبله، لأن من ذهب إلى حكم متمسكاً بدليل يشبهه لا يقال له: إنه أخذ ذلك الحكم ممن قبله، وإن وافقه في الاعتقاد بذلك الحكم، وفي الاستدلال عليه بالدليل الذي استدل به من قبله وموافقته إياهم على هذا الوجه لا

(والهاء في ﴿أَفْتَدَهُ﴾ للوقف تسقط في الوصل، واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء

تدلّ على أن يكون منصبه أقلّ من منصبهم، بل احتجّ العلماء بهذه الآية على أنه عليه الصّلاة والسّلام أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ لأن خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم؛ فداود وسليمان كانا من أصحاب الشكر على النعمة، وأيوب كان من أصحاب الصبر على البليّة، ويوسف كان جامعاً بينهما، وموسى عليه الصّلاة والسّلام كان صاحب المعجزات القاهرة، وزكريّا ويحيى وعيسى وإلياس كانوا أصحاب الزهد، وإسماعيل كان صاحب الصدق؛ فثبت أنه تعالى إنما ذكر كل واحد من هذه الأنبياء، لأن الغالب عليه كان خصلة معينة من خصال المدح والشرف، ثم إنه تعالى لما ذكر الكلّ أمر سيّد المرسلين صلّى الله عليه وسلّم وعليهم أجمعين بأن يقتدي بهم بأسرهم؛ فكأنه تعالى أمره عليه الصّلاة والسّلام بأن يجمع من خصال العبودية أو الطاعة كل الصفات التي كانت متفرقة فيهم بأجمعهم، ولما أمره الله تعالى بذلك امتنع أن يقال: إنه قصر في تحصيلها، فثبت أنه حصلها واجتمع فيه من خصال الخير ما كان متفرقاً فيهم، فوجب أن يقال: إنه أفضل الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. قوله: (والهاء في ﴿أَفْتَدَهُ﴾ للوقف)^(١) أي هاء السكت التي تُزاد في الوقف ساكنة (تسقط في الوصل) ومن أثبتها في الدرج ساكنة؛ كابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم أجرى الوصل مجرى الوقف. وبعضهم يُحرّكها تشبيهاً لها بهاء الضمير، والعرب كثيراً ما تعطي للشيء حكماً ما يشبهه وتحمله عليه، وقد روي قول المتنبي:

واحرّ قلباه ممّن قلبه شيم

بضمّ الهاء وكسرهما على أنها هاء السكت شبتت بهاء الضمير، فحرّكت، والأحسن كما في الدرر: أن يجعل الكسر لالتقاء الساكنين لا لشبه الضمير؛ لأن هاء الضمير لا تُكسر بعد الألف، فكيف بما يشبهها؟ اهـ شهاب رحمه الله. قوله: (واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء

(١) أي وليس بضمير؛ لأن بهادهم متعلق باقتده، وهؤلاء يتعدّى إلى مفعول ثان. ١٢ منه عم

في المصحف) ويحذفها (حمزة. وعلي: في الوصل. ويختلسها: شامي). ﴿قُلْ

في المصحف) الذي يقال له: الإمام، مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الذي اتخذه لنفسه يقرأ فيه، وليس هو بخطه كما توهمه بعضهم. وقرأ بحذفها، أي بحذف الهاء (حمزة. وعلي) الكسائي (في الوصل) على أنها للسكت فمحلها الوقف^(١).

(ويختلسها) أي يكسر الهاء بغير إشباع، وهو الذي يسميه القراء اختلاسا (شامي) أي ابن عامر الشامي برواية هشام، ويُشبعها - أي يكسرها مع وصلها بياء - ابن عامر الشامي برواية ابن ذكوان، على أنها كناية عن المصدر لا هاء الوقف؛ كأنه قال: فيهداهم اقتدا الاقتداء، والفعل يدل على المصدر، فكنى عنه كما حكى سيبويه من قولهم: مَنْ كذب كان شراً له، أي كان الكذب شراً له. وقوله:

(واحرّ قلباه ممن قلبه شَبِمْ)

في شرح التبيان للعكبري على ديوان أبي الطيّب أحمد بن الحسين المتنبّي رحمهما الله تعالى:

واحرّ قلباه ممّن قلبه شَبِمْ ومّن بجسمي وحالي عنده سَقَمُ
الإعراب قال أبو الفتح: قلباه بكسر الهاء وضمّها وهو غير جائز عند الكوفيين، ولا يجوز إلّا في الضرورة والوجه. قال أبو الفتح: الكسر لالتقاء الساكنين الألف والهاء، ومّن ضمّها شبّها بعصاه ورحاه الكوفيتون ينشدون لبعض الأعراب:

وقد رابّني قولها يا هنا ه ويحك ألحقت شراً بشراً
وأنشدوا أيضاً:

يا ربّ يا ربّاه إيّاك أسألُ

والبصريّون يقولون: يا هنا - الهاء بدل من الواو - في هنوك وهنات، وهي بدل من لام الكلمة، ولذلك جاز ضمّها. وقال أبو زيد في مرحبائه أنه شبّها

(١) فيثبت أنها في الوقف. ١٢ منه عمّ فيضهم.

لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ عَلَى الْوَحْيِ أَوْ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَالِدَعَاءِ إِلَى التَّوْحِيدِ

بحرف الإعراب فضمتها، هذا قول الواحدي اختصره من كلام أبي الفتح. وقال أبو الفتح: كان يُنشده بكسر الهاء وضمتها، وهذا لا يعرفه أصحابنا، ولا يجيزون إثبات الهاء في الوصل ساكنة ولا متحركة؛ لأنها إنما تُلحق في الوقف لبيان الألف قبلها، فإذا صيرت إلى الوصل أسقطت عنها باللفظ بما بعدها، تقول في الوقف: وازيدها، فإذا وصلت قلت: وازيداً وعمراه، فإنك تحذفها في الوصل وتثبتها في الوقف. فإن قال قائل: هلاً أجريت الهاء في الوصل على حد الوقف؟ كما أنشد سيبويه قول رؤبة:

ضخّم يجب الخلق الأضحما

بتشديد الميم لأنهم إذا وقفوا على اسم شددوا آخره إذا كان ما قبله متحركاً. ألا ترى أن مَنْ يقول خالد في الوقف بتشديد الدال وإذا وصل رده إلى التخفيف، ألا أنه قد يُجرى في الوصل على حد مجراه في الوقف، فلذلك جاز للمتنبّي أن يلحق الهاء في الوصل كما كان يثبتها في الوقف. قيل: في هذا أمران: أحدهما مكروه، والآخر خطأ فاحش. فأما المكروه، فإثباتها في الوصل على حد إثباتها في الوقف ضرورة مستقبحة للمحدث، وسبيل مثلها أن لا يُقاس عليه إلا على استكراه. وأما الخطأ، فإن الذي ذهب إلى هذا واحتج به قد عدل عن صوب التشبيه؛ وذلك أنه لا يخلو من أن تجري الكلمة على حد الوقف أو على حد الوصل، فإن كان على حد الوصل، وهو الوجه؛ لأنه ليس واقفاً، فسبيله أن يحذف الهاء وصلاً لما ذكرناه من استغنائه عنها في الوصل بما يتبع الألف، وإن كان على حد الوقف، فقد خالف ذلك بإثباتها متحركة بالضم أو الكسر، فالهاء في الوقف بلا خلاف ساكنة؛ فالذي رام إثباتها متحركة لا على حد الوصل أجراها، فيحذفها؛ ولا على حد الوقف أجراها، فيسكنها. ولا تعلم منزلة بين الوصل والوقف يرجع إليها وتجري الكلمة عليها، فهذا كان إثبات هذه الهاء متحركة خطأ عندنا. وأما ما رواه الكوفيتون، فشاذ عندنا. وأما ما ذكره في نوادره أبو زيد من أنهم شبهوا الهاء بحرف الإعراب، فلا وجه له، ولو كانت الهاء في قلبه مشبهة بحرف الإعراب لما جاز فتحها ولا ضمها، ولوجب جرّها بإضافة جرّ إليها. ومرحبا الذي أنشده أبو زيد ليس

﴿أَجْرًا﴾ (جعلًا). وفيه دليل على أن أخذ الأجر على تعليم القرآن ورواية الحديث لا يجوز ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ما القرآن إلا عظة للجن والإنس.

مضافًا إليه، فيجوز أن يشبهه بحرف الإعراب، انتهى كلامه. وإنما أراد أبو الطيب على لغة قومه، وكان الأصل قلبي، فأبدل من الياء ألفًا طلبًا للخفة، والعرب تفعل ذلك في النداء، واستجلب هاء السكت وأثبتها في الوصل كما ثبت في الوقف، والعرب تفعل ذلك كقراءة ابن ذكوان: «فبهذاهم اقتدهي» بكسر الهاء وإثبات الياء وصلًا، وكقراءة هشام بكسر الهاء، وقد استوفينا علة ذلك في كتابنا الموسوم بالروضة المزهرة في شرح التذكرة، وحرك الهاء أبو الطيب لسكونها وسكون الألف قبلها، وللعرب في ذلك أمران: منهم من حرك بالضم تشبيهًا بهاء الضمير، وأنشدوا:

يا مرحباه بحمار اعفرا

ومنهم من يُحرِّك بالكسر على ما يوجد كثيرًا في الكلام عند التقاء الساكنين، وأنشدوا:

يا ربَّ يا ربَّاه اسل عفراء يا ربَّاه من قبل الأجل

الغريب: الشِّيم: البارد، والشِّيم: البرد، وقد شِيم - بالكسر - فهو شيم، والشيم الذي يجد البرد مع الجوع. قال حميد بن ثور:

بعيني قطامي نما فوق مرقب غدا شيمًا ينقض فوق الهجارس

المعنى يقول: واحرَّ قلبي واحترقه واستحكام همَّه بمن قلبه عني بارد لا اغتناء له لي ولا إقبال به عليّ، ومن بجسمي وحالي من إعراضه سقم يوجب ألمهما وشكاة تؤذَن باختلالهما، والعرب تكني بحرارة القلب عن الاعتناء، ويبرده عن الإعراض والترك، وتلخيص المعنى: قلبي حار من حبه وقلبه بارد من حبي، وأنا عنده مختل الحال معتل الجسم. اهـ.

قوله: (جعلًا) بضم الجيم وسكون العين كالجعلالة والجعليلة ما يجعل للإنسان بفعله، وهو أعم من الأجر والثواب؛ كما قاله الراغب رحمته الله.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ (أي ما عرفوه حق معرفته) في الرحمة على عباده حين أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم، وذلك من أعظم رحمته ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧] رُوِيَ أن جماعة من اليهود - منهم مالك بن (الصيف) - كانوا يجادلون النبي ﷺ فقال النبي ﷺ له: «أليس في التوراة (إن الله يبغض الحبر السمين)؟» قال: نعم. قال: «فأنت الحبر السمين» فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، و﴿حَقَّ قَدْرُهُ﴾ منصوب نصب المصدر. ﴿قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا﴾ حال من الضمير في ﴿بِهِ﴾ أو «من الكتاب» ﴿وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ مما فيه نعت رسول الله ﷺ أي بَعْضُوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما (راموا) من الإبداء والإخفاء. (وبالياء في الثلاثة: مكّي وأبو عمرو) ﴿وَعَلَّمْتُم﴾ يا أهل الكتاب بالكتاب ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ﴾ من أمور دينكم ودنياكم ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جواب أي أنزله الله فإنهم لا يقدرُونَ أن يناكروك ﴿ثُمَّ﴾

قوله: (أي ما عرفوه حق معرفته) عبر عن المعرفة بالقدر لكونه سبباً لها وطريقاً إليها، يقال: قدر الشيء يقدره - بالضم - قدرًا إذا أسبره وحزره، والسبر تعيين قدر الشيء بالمسبار، يقال: سبرت الجرح إذا نظرت ما غوره، والمسبار ما يسبر به الجرح والحرز التقدير، والخرص إذا أراد أن يعلم مقداره، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا غم عليكم الهلال فاقدروا له»، أي فاطلبوا أن تعرفوه. ثم يقال لمن عرف شيئًا: هو يقدر قدره، ولمن لم يعرف بصفاته أنه لا يقدر قدره. **قوله: (الصيف)** بالصاد المهملة ضد الشتاء. **قوله: (إن الله يبغض الحبر السمين)؛** لأنه يدل على الحمق والجهل، ولأنه من كثرة التمتع بالأكل والشرب في الأكثر، والجبر - بكسر أوله وفتح - العالم الفصيح، والسمين ضد المهزول. **قوله: (راموا)** في مختار الصحاح: رام الشيء طلبه، وبابه قال. اهـ. **قوله: (وبالياء في الثلاثة)** أي يجعلونه ويبدونها ويخفون (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وأبو عمرو) البصري على إسناده للكفار مناسبة لقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾... الخ. والباقون

ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ ﴿٩٢﴾ فِي بَاطِلِهِمُ الَّذِي يَخُوضُونَ فِيهِ ﴿يَلْعَبُونَ﴾ (حال من ﴿ذَرَهُمْ﴾) أَوْ «من خوضهم».

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩٢)

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ على نبينا ﷺ ﴿مُبَارَكٌ﴾ كثير المنافع والفوائد ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَلِتُنْذِرَ﴾ (وبالياء: أبو بكر، أي الكتاب) وهو معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل: أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والإنذار ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ مكة، وسميت أم القرى لأنها سرّة الأرض وقبلة أهل القرى وأعظمها شأنًا ولأن الناس (يؤمنونها) ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (أهل الشرق والغرب) ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ يصدقون بالعاقبة ويخافونها ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بهذا الكتاب فأصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ خضت الصلاة بالذكر (لأنها علم الإيمان وعماد الدين) فمن حافظ عليها يحافظ على أخواتها ظاهرًا.

بناء الخطاب فيهن، أي قل لهم ذلك. قوله: (حال من ﴿ذَرَهُمْ﴾) أي من مفعول ذرهم (أو من خوضهم) أي من ضمير خوضهم، وجاز ذلك لأنه في قوة الفاعل؛ لأن المصدر مضاف إلى فاعله.

قوله: (وبالياء) أي بياء الغيبة (أبو بكر) شعبة عن عاصم (أي الكتاب). والباقون بناء الخطاب، أي الرسول عليه الصلاة والسلام. قوله: (يؤمنونها) أي يقصدونها. قوله: (أهل الشرق والغرب) أوله لعموم بعثته؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: الآية ٢٨]، واللفظ متحمل له وردًا على مَنْ تمسك بها؛ لأنه مُرسل للعرب خاصة، ولا متمسك فيها لما سمعت على أنه خصهم، لأنهم أحق بإنذاره؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢٤) [الشعراء: الآية ٢١٤]، ولذا نزل كتاب كل رسول بلسان قومه، مع أنه استدلال لإرساله للعرب، وليس فيه حجة على نفي غيره. قوله: (لأنها علم الإيمان) بمعنى علامته، ولذا أطلق الإيمان عليها مجازًا؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٤٣] أي صلاتكم. قوله: (وعماد الدين) أي أصله ورأسه، فقوم الدين ليس إلا بها، كما أن البيت لا يقوم إلا على عموده.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٩٣)

﴿(وَمَنْ أَظْلَمُ) مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ هو مالك بن الصيف ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ هو (مسيلمه) الكذاب ﴿وَمَنْ قَالَ﴾ في موضع جر عطف على ﴿مِمَّنِ افْتَرَى﴾ أي وممن قال: ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي سأقول وأملي هو (عبد الله بن سعد بن أبي سرح) كاتب الوحي، وقد أملى النبي ﷺ عليه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ إلى ﴿خَلَقْنَا آخَرَ﴾ [المؤمنون: الآيات ١٢ - ١٤] فجرى على لسانه ﴿فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٤]. فقال ﷺ: «اكتبها فكذلك نزلت» فشك وقال: إن كان محمد صادقاً فقد أوحى إلي كما أوحى إليه، وإن كان

قوله: ﴿(وَمَنْ أَظْلَمُ)﴾... الخ. استفهام إنكاري معناه النفي، والمراد أنه أظلم من جميع المخلوقات.

قوله: (مسيلمه) بكسر اللام، لأن ما بعد ياء التصغير يلزم كسره، والعامّة تغلط ففتحتها، وهو من بني حنيفة أهل اليمامة ادعى النبوة في زمن النبي ﷺ، وقتل في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه.

قوله: (عبد الله بن سعد بن أبي سرح) بن الحارث بن حبيب - بضم الحاء المهملة وإسكان المثناة تحت - قاله الكلبي وابن ماكولا، وقال ابن حبيب: هو بتشديد الياء. قال الكلبي: إنما شدده حسن للحاجة، وهو حبيب بن جذيمة - بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة - ابن جسل - بكسر الحاء المهملة - ابن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري، كنيته أبو يحيى، وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاة أرضعته أم عثمان، أسلم قبل الفتح وهاجر، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتدّ وسار إلى مكة، وقال لقريش: كان يُملي عليّ عزيز حكيم، فأقول أو عليّ حكيم، فيقول: كل صواب، فلما كان يوم الفتح أمر النبي ﷺ بقتله وقتل عبد الله بن خطل ومقيس بن صُبابه، ولو وجدوا في أستار الكعبة؛ ففرّ ابن أبي سرح إلى عثمان فغيبه ثم أتاه النبي ﷺ بعدما اطمأن أهل مكة

كاذبًا فقد قلت كما قال، فارتدّ ولحق بمكة. أو (النضر بن الحارث) كان يقول: والطاحنات طحنًا فالعاجنات عجنًا فالخابزات خبزًا كأنه يعارض ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جوابه محذوف أي لرأيت أمرًا عظيمًا ﴿إِذِ الْقَدْلِيمُونَ﴾ يريد الذين ذكرهم من اليهود و(المتنبئة) فتكون اللام للعهد، ويجوز أن تكون للجنس فيدخل هؤلاء لاشتماله ﴿فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ شدائده وسكراته ﴿وَالْمَلَكُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي يبسطون إليهم أيديهم يقولون: هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم، وهذه عبارة عن التشديد في (الإزهاق) من غير (تنفيس وإمهال) ﴿الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أرادوا وقت الإماتة وما يعذبون به من شدة النزع. والهون: (الهوان) الشديد وإضافة العذاب إليه كقولك: «رجل سوء» (يريد العراقة) في الهوان والتمكّن

فاستأمنه له فصمت طويلاً ثم قال: «نعم»، فلما انصرف عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله: «ما صمت إلا لتقتلوه»، فقال رجل: أهلاً أومأت إلينا يا رسول الله؟ فقال: «إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة الأعين»، ثم أسلم بعد ذلك اليوم عبد الله بن أبي سرح وحسن إسلامه ولم يظهر منه بعده ما ينكر، وهو أحد العقلاء والكُرماء من قريش ثم ولّاه عثمان مصر سنة خمس وعشرين، ففتح الله على يديه أفريقية، وكان فتحًا عظيمًا بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف مثقال ذهبًا، وشهد معه هذا الفتح عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وكان عبد الله بن سعد هذا فارس بني عامر بن لؤي، وغزا بعد أفريقية الأسود من أرض النوبة سنة إحدى وثلاثين، وغزا غزوة الصواري في البحر إلى الروم، وحين قُتل عثمان بن عفان اعتزل عبد الله ابن أبي سرح الفتنة، فأقام بعسقلان، وقيل بالرُملة، وكان دعا بأن يختم عمره بالصلاة، فسلم من صلاة الصبح التسليمة الأولى ثم هم بالتسليمة الثانية عن يساره، فتوفي سنة ست وثلاثين، وقيل: سبع وثلاثين، وقيل: سنة تسع وخمسين، والصحيح عندهم الأول.

قوله: (النضر بن الحارث) - بالضاد المعجمة - أسر يوم بدر، وقُتل كافرًا.

قوله: (المتنبئة) في لسان العرب: تنبأ الرجل ادعى النبوة. قوله: (الإزهاق) أي الإخراج. قوله: (تنفيس) أي إمهال، وقوله: (وإمهال) عطف تفسير. قوله: (الهوان) ضد العز. قوله: (يريد العراقة) - بالعين المهملة - الأصالة وأصلها ثبات العروق في الهوان والتمكّن فيه، كأنه قيل: لا بد في الإضافة من الدلالة على

فيه ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ من أن له شريكاً وصاحبة وولداً. ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ مفعول ﴿تَقُولُونَ﴾ أو وصف لمصدر محذوف أي قولاً غير الحق ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ مَائِيَّتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ فلا تؤمنون بها.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَصَلَ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ﴿٩٤﴾

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ للحساب والجزاء ﴿فُرَادَىٰ﴾ منفردين بلا مال ولا معين وهو جمع فريد كأسير وأسارى ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ في محل النصب صفة لمصدر ﴿جِئْتُمُونَا﴾ أي مجيئاً مثل ما خلقناكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ على الهيئات التي ولدتهم عليها في الانفراد ﴿وَتَرْكُمُ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ ملكناكم ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ ولم تحتملوا منه (نقيراً) ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ (في استعبادكم) ﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ﴾ بينكم (وصلكم) عن

اختصاص المضاف إليه، فما وجه اختصاص العذاب بالهوان والذلة، فأجاب عنه بأنه لما لم يقصد بالعذاب شيء سوى الهوان والحقارة صار العذاب أصيلاً في الهوان متمكناً فيه، فأضيف إليه فأفاد هذا المعنى.

قوله: (نقيراً) النقيرة النقرة في ظهر النواة، ويكنى به عن الشيء الحقيقير. قوله: (في استعبادكم) تفسير فيكم، كأنه على حذف المضاف، ولم يجعل المضاف المقدر عبادتكم؛ لأن جعلهم شركاء في العبادة كان على الحقيقة لا الزعم، وإنما المزعم كونهم شركاء في اتخاذهم عبيداً، لأنهم لما سموها آلهة وعبدوها كان ذلك زعماً منهم أنها اتخذتهم عبيداً كما الله اتخذهم عبيداً. قوله: (وصلكم) على قراءة مَنْ قرأ بينكم بالرفع، وهم ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة وعاصم في رواية أبي بكر، فإنهم جعلوا بين اسمًا غير ظرف، وجعلوه لفظاً مشتركاً اشتراكاً لفظياً يستعمل للوصل والفراق؛ كالجون للأسود والأبيض، فيُعرب على حسب استدعاء العامل، وقيل في وجه قراءة الرفع أن بين ظرف، إلا أنه اتسع في هذا الظرف حيث جعل مسنداً إليه، كما قيل: فويل خلفكم وأمامكم فصار كسائر الأسماء للتصرف فيها على حسب استدعاء العامل، ويدل عليه قوله

(الزجاج) والبين: الوصل والهجر قال:

فوالله (لولا البين) لم يكن الهوى ولولا الهوى (ما حن للبين) ألف

﴿يَبْنِيكُمْ﴾ مدني وعلي وحفص) أي وقع التقطع بينكم ﴿وَصَلَّ عَنْكُمْ﴾

وضاع وبطل ﴿مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (أنها شفعاؤكم عند الله).

تعالى: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فُصِّلَتْ: الآية ٥]، فاستعمل مجرورًا بمن، وقوله:

﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: الآية ٧٨]، وقوله: ﴿يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا﴾ [الكهف: الآية

٦١]، وقوله تعالى: ﴿شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ﴾ [المائدة: الآية ١٠٦] جعل بين في هذه المواضع

مضافًا إليه متصرفًا فيه، ولو كان لازم الظرفية لما جاز استعماله إلا منصوبًا.

قوله: (الزجاج) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل كان

من أهل العلم بالأدب والدين المتين، وصنف كتابًا في معاني القرآن الكريم، وله

كتاب الأمالي، وكتاب ما فسر من جامع المنطق، وكتاب الاشتقاق، وكتاب

العروض، وكتاب القوافي، وكتاب الفرق، وكتاب خلق الإنسان وغير ذلك، وأخذ

الأدب عن المبرد وثعلب رحمهما الله تعالى، وكان يخطر الزجاج ثم تركه واشتغل

بالأدب فُنِسِب إليه. توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل:

سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ستة عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى، وقد

أناف على ثمانين سنة.

قوله: (لولا البين) أي الوصل. قوله: (ما حن للبين) أي لأجل الفراق

ألف، ومُحِب. قوله: ﴿يَبْنِيكُمْ﴾ بنصب النون (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو

جعفر المدني، وليس من السبعة. (وعلي) الكسائي. (وحفص) بأن يكون تقطع

مسندًا إلى ضمير مصدره: لأن تقطع لا بد له من فاعل، وبينكم ظرف وليس

بفاعل، ففاعله التقطع، والتقدير تقطع التقطع إلا أنه لا بد أن يؤول الكلام بأن

يجعل تقطع بمعنى وقع؛ لأنه لو أبقى قولنا: تقطع التقطع على أصل معناه حصل

الوصل، وهو ضد المقصود، فكان معنى الكلام وقع التقطع بينكم، كما يقال:

جمع بين الشيئين بمعنى جمع الجمع بين الشيئين، أي أوقع الجمع بينهما. قوله:

(أنها شفعاؤكم عند الله) ساد مسدّ مفعولي تزعمون، فإن ما في قوله: ﴿مَا كُنْتُمْ﴾

سواء كانت موصولة أو موصوفة لا بد أن تشتمل الجملة الواقعة بعدها على ضمير

يعود إليها، وأن تزعمون لا بد له من مفعولين، فقدّر الجميع في هذا القول.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ أَمْوًى مِنَ الْأَمْيَتِ وَيُخْرِجُ الْأَمْيَتِ مِنَ الْغَيْثِ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ تَوَفَّكُونَ﴾ (٩٥)

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوَىٰ﴾ بالنبات والشجر أي فلق الحب عن السنبلة والنواة عن النخلة، والفلق: الشق، وعن (مجاهد): أراد الشقين اللذين في النواة والحنطة ﴿يُخْرِجُ أَمْوًى مِنَ الْأَمْيَتِ﴾ النبات (الغض) النامي من الحب اليابس ﴿وَيُخْرِجُ الْأَمْيَتِ مِنَ الْغَيْثِ﴾ الحب اليابس من النبات النامي، أو الإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان، أو المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، فاحتج الله عليهم بما يشاهدونه من خلقه لأنهم أنكروا البعث فأعلمهم أنه الذي خلق هذه الأشياء فهو يقدر على بعثهم. وإنما قال: ﴿وَيُخْرِجُ الْأَمْيَتِ﴾ بلفظ اسم الفاعل لأنه معطوف على فالق الحب لا على الفعل و﴿يُخْرِجُ أَمْوًى مِنَ الْأَمْيَتِ﴾ موقعه موقع الجملة المبينة لقوله: ﴿فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوَىٰ﴾ لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس إخراج الحي من الميت لأن النامي في حكم الحيوان دليله قوله: ﴿وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: الآية ١٩]. ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ﴾ ذلکم المحي والميت هو الله الذي تحقق له الربوبية لا الأصنام ﴿فَالِقُ تَوَفَّكُونَ﴾ فكيف تصرفون عنه وعن توليه إلى غيره بعد وضوح الأمر بما ذكرنا.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٩٦)

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ هو مصدر سُمِّيَ به الصبح (أي شاق عمود الصبح) عن سواد

قوله: (مجاهد) بن جبر تابعي . قوله: (الغض) أي الطري، كما في لسان العرب.

قوله: (أي شاق عمود الصبح) . . . الخ. عمود الصبح: ضوء المشبه به، وهذا جواب عما يقال: ما معنى فلق الصبح؟ والظلمة هي التي تفلق عنه، وحاصله أن الصبح صبحان: صادق وكاذب، تعقبه ظلمة، فإن أريد الأول فالمراد فالقه عن بياض النهار، أو في الكلام مضاف مقدر، أي فالق ظلمة الإصباح. وإن أريد الثاني، فالمراد فالقه عن ظلمة آخر الليل التي تعقبه وشاقه منه. اهـ شهاب باختصار. وقال العلامة الشيخ زاده رحمه الله: فإن قيل: ظاهر الآية يدل على أنه تعالى فلق الصبح، وليس الأمر كذلك، فإن الحق تعالى فلق الظلمة بالصبح، فكيف

الليل أو خالق نور النهار «وَجَاعِلُ اللَّيْلِ» ﴿وَجَعَلَ أَيْتِلَ﴾ كوفي) لأن اسم الفاعل الذي قبله بمعنى الماضي، فلما كان فائق بمعنى فلق عطف عليه ﴿جَعَلَ﴾ لتوافقهما معنى ﴿سَكَنًا﴾ مسكوناً فيه من قوله: ﴿لَسَكُنُوا فِيهِ﴾ [يونس: الآية ٦٧] أي ليسكن فيه الخلق عن (كذ المعيشة) إلى نوم الغفلة، أو عن وحشة الخلق إلى الأنس بالحق ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ انتصبا بإضمار فعل يدلّ عليه جاعل الليل أي وجعل الشمس والقمر ﴿حُسْبَانًا﴾ أي جعلهما على حساب لأن حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما. (والحُسابان) بالضم

الوجه فيه؟ فالجواب الأول: أنه تعالى كما يشقّ الظلمة الخالصة الواقعة في الليل ويخرج منها عمود الصبح، وهو صبح المستطيل الذي شبهه العرب بذهب^(١) السرحان^(٢)، ويعقبه ظلمة خالصة، كذلك يشقّ ذلك العمود ويخرج منه الظلمة الخالصة، ويخرج منه أيضاً بياض النهار وإسفاره، فإنّ الصبح والصبح والإصباح عبارات عن أول ما يبدو من النهار، وأول ما يبدو منه صبحان؛ فالصبح الأول هو الصبح المستطيل الذي يعقبه الظلمة الخالصة، ثم يطلع بعده الصبح المستطيل في جميع الأفق، فيصح أن يقال: إنه تعالى فائق الإصباح الأول عن ظلمة آخر الليل، وفائق الظلمة عن بياض النهار أيضاً. والجواب الثاني: أن المراد فائق ظلمة الإصباح على حذف المضاف، والمراد بظلمة الإصباح الغبش الذي يلي الإصباح المستطيل ويعقبه. والغبش - بالتحريك - البقية من الليل، ويقال: إنه ظلمة آخر الليل.

قوله: ﴿وَجَعَلَ أَيْتِلَ﴾ بفتح العين واللام من غير ألف فعلاً ماضياً، والليل بالنصب مفعول به (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي. والباقون بالألف وكسر العين ورفع اللام وخفض الليل بالإضافة.

قوله: (كذ المعيشة) الكذ الشدة في العمل وطلب الكسب، وبابه رد وكذّه أتعبه، فهو لازم ومتعدّد. اهـ مختار الصحاح. قوله: (والحُسابان) بالضمّ بمعنى

(١) بالتحريك واحد الأذنان. اهـ قاموس. وفي المصباح: ذنب الفرس والظائر وغيره، جمعه

أذنان مثل سبب وأسباب. اهـ. وأيضاً فيه: وذنب السوط طرفه. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) بالكسر الذئب. اهـ قاموس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(مصدر حسب كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب يحسب) ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى جعلهما حسابًا أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم ﴿تَقْدِيرُ الْمَزِينِ﴾ الذي قهرهما وسخرهما ﴿الْعَلِيمُ﴾ بتدبيرهما وتدويرهما.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٧﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ خلقها ﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ أي في ظلمات الليل بالبر والبحر، وأضافها إليهما لملابستها لهما (أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات) ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قد بينا الآيات الدالة على التوحيد لقوم يعلمون.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٩٨﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هي آدم ﷺ ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ (فمستقر) بالكسر: (مكي وبصري). فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله، ومن كسرهما كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول يعني فلکم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب، أو مستقر فوق الأرض ومستودع تحتها، أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (وإنما قيل: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ثم ﴿يَفْقَهُونَ﴾ هنا) لأن الدلالة ثم أظهر وهنا أدق، لأن إنشاء الإنس من نفس

الحساب (بمصدر حسب) يحسب من باب نصر، (كما أن الحسبان بالكسر) بمعنى الظن والتخمين (مصدر حسب يحسب) من باب عليم، فالماضي من الأول بالفتح، ومن الثاني بالكسر.

قوله: (أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات) أي استعارة تصريحية حقيقية، وعلى الأول المجاز في الإضافة. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (فمستقر) بكسر القاف اسم فاعل (مكي) أي ابن كثير المكي (وبصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري برواية رُوح. والباقون بفتحها. قوله: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ أي بيّناها على وجه انفصل بعضها عن بعض. قوله: (وإنما قيل: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ثم ﴿يَفْقَهُونَ﴾ هنا) ... الخ. يعني أن الفقه عبارة عن الوقوف على المعنى الخفي، وأصل تركيب الفقه يدل على الشق والفتح، والفقيه العالم

واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة أدق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر أوفق .

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ (من السحاب) مطراً ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بالماء

الذي يشق الأحكام ويفتش عن حقائقها ويفتح ما استغلق منها. روي أن سلمان نزل على نبطية بالعراق، فقال: ههنا مكان نظيف أصلي فيه، فقالت: طهر قلبك وصل حيث شئت، فقال: ففهمت وفطنت للحق، أي نظرت نظراً دقيقاً، فظهر أن الفقه إنما يطلق حيث يكون فيه حذاقة وتدقيق نظر، وسُمي علم الشريعة فقهاً لأنه علمٌ مُستنبط بالقوانين والأدلة والأقيسة والأنظار الدقيقة فيها، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ إشارة إلى آيات الآفاق، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَجَدَةٍ﴾ إشارة إلى آيات الأنفس، ولا شك أن آيات الآفاق أظهر وأجل، وآيات الأنفس أدق وأخفى؛ فكان ذكر الفقه لها أنسب وأولى، كما أن نفس بني آدم أدق صنفاً وأجمع لآثار القدرة ودلائلها، فكذا الاستدلال بها على وجود الصانع وكمال قدرته أدق وأخفى.

قوله: (من السحاب) سَمِيَ السحاب سماء؛ لأن العرب تسمي كل ما فوقك سماء، فتقول لسقف البيت: سماء البيت، وقال أبو علي الجبائي في تفسيره: إن الله تعالى يخلق المطر في السماء ثم يُنزلُه من السماء إلى السحاب، ومن السحاب إلى الأرض؛ قال: لأن ظاهر النص يقتضي نزول المطر من السماء والعدول عن الظاهر إلى التأويل، إنما يحتاج إليه عند قيام الدليل على أن إجراء اللفظ على ظاهره غير ممكن، وفي هذا الموضع لم يقم دليل على امتناع نزول المطر من السماء، فوجب إجراء اللفظ على ظاهره. قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ على تلوين الخطاب، أي تغييره إلى لون آخر حيث التفت من طريق المغايبة في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ﴾ إلى الإخبار عن نفسه بنون العظمة، وهي ليست نون الجمع، حتى يقال: المخرج هو الله تعالى وحده لا شريك له فيه، فما وجه إيراد لفظ الجمع في

﴿نَبَاتٌ كُلُّ شَيْءٍ﴾ (نبت كل صنف من أصناف النامي) أي السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ من النبات ﴿حَضِرًا﴾ أي شيئاً غصّاً أخضر. يقال: أخضر وخضر (وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة) ﴿تُخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ وهو السنبل الذي تراكب حبه ﴿وَمِنْ أَلْتَلِّ مِنْ طَلْعِهَا قِثْوَانٌ﴾ هو رفع بالابتداء ﴿وَمِنْ أَلْتَلِّ﴾ خبره و﴿مِنْ طَلْعِهَا﴾ بدل منه) كأنه قيل: وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو وهو (العذق) نظيره «صنو» و«صنوان». ﴿دَانِيَةً﴾ من المجتبي لانحنائها بثقل حملها أو لقصر ساقها، وفيه اكتفاء أي وغير دانية لطولها (كقوله: ﴿سَرَّيْلٌ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾) [النحل: الآية ٨٢] ﴿وَجَعَلَتْ﴾ بالنصب عطفًا على ﴿نَبَاتٌ كُلُّ شَيْءٍ﴾ أي وأخرجنا به جنات ﴿مِنْ أَعْنَبٍ﴾ أي مع النخل وكذا ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزَّمَانُ﴾ ﴿وَجَعَلَتْ﴾ بالرفع: (الأعشى) أي وثم جنات من أعناب أي مع النخل ﴿مُشْتَبِهًا وَعَيْرَ مُتَشَبِّهٍ﴾ يقال: اشتبه الشيئان وتشابها نحو استويا وتساويا، والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرًا وتقديره: والزيتون

قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾؟ فإن الملك العظيم يعبر عن نفسه بلفظ الجمع تعظيمًا له. قوله: (نبت كل صنف من أصناف النامي) النبت والنبات ما يخرج من الأرض من الناميات سواء كان له ساق كالشجر أو لم يكن له ساق كالنجم، والمعنى: أخرجنا نبات كل صنف كنبات الحنطة والشعير والرمّان والتفاح وغيرها. قال الفراء: قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ نَبَاتٌ كُلُّ شَيْءٍ﴾ يقتضي أن يكون كل شيء نبات، وليس الأمر كذلك؛ فالمراد فأخرجنا به نبات كل شيء له نبات، فما لا يكون له نبات لا يكون داخلًا في قوله: كل شيء، والمصنف رحمة الله عليه أفاد ما قاله الفراء بقوله: كل صنف من أصناف النامي. قوله: (وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة) يعني أغصان الشجر وشعب النجم. قوله: ﴿مِنْ طَلْعِهَا﴾ (الطلع أول ما يرى من عذق النخلة، والواحدة طلعة. قوله: (بدل منه) بدل بعض من كل. قوله: (العذق) بالكسر، ويقال له الكباسة أيضًا، وهو التمر بمنزلة العنقود للعنب. قوله: (كقوله: ﴿سَرَّيْلٌ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: الآية ٨١])، ولم يقل: وسراييل تقيكم البرد؛ لأن ذكر أحد الضدين يدل على الثاني، فكذا ههنا. قوله: ﴿وَجَعَلَتْ﴾ بالرفع) والخبر محذوف، أي ثُمَّ (الأعشى) أي أبو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد بن هلال الأعشى عن أبي بكر بن عياش عن عاصم رضي الله عنه.

متشابهًا وغير متشابه، والبرمان كذلك يعني بعضه متشابه وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ إذا أخرج (ثمره) كيف يخرجها ضعيفًا لا ينتفع به ﴿وَبَنُوهُ﴾ ونضجه أي انظروا إلى حال نضجه كيف يعود شيئًا جامعًا لمنافع، نظر اعتبار واستدلال على قدرة مُقدِّره ومدبِّره وناقله من حال إلى حال ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿ثَمَرِهِ﴾ (وكذا ما بعده): حمزة وعني (جمع ثمار فهو جمع الجمع يقال: ثمرة وثمر وثمار وثمر).

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ (إن جعلت ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ مفعولي ﴿وَجَعَلُوا﴾ كان ﴿الْجِنَّ﴾ بدلًا من ﴿شُرَكَاءَ﴾) وإلا كان ﴿شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ مفعولين قدم ثانيهما على الأول، وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ الله شريك من كان ملكًا أو جنيًا أو غير

قوله: (ثمره) بضم الشاء والميم، (وكذا ما بعده) أي موضع هذه السورة حمزة وعلي الكسائي (جمع ثمار، فهو جمع الجمع، يقال: ثمرة وثمر وثمار وثمر). وفي الإتحاف: بضم الشاء والميم جمع ثمرة كخشبة وخشب. اهـ. وفي المصباح: الثمر - بفتحيتين - والثمرة مثله، فالأول مذكر ويُجمع على ثمار مثل جبل وجبال، ثم يجمع الثمار على ثمر، ومثل كتاب وكتب، ثم يُجمع على أثمار مثل عنق وأعناق، والثاني مؤنث والجمع ثمرات مثل قصبة وقصبات. اهـ. وفي مختار الصحاح: الثمرة واحدة الثمر والثمرات وجمع الثمر ثمار كجبل وجبال، وجمع الثمار ثمر مثل كتاب وكتب، وجمع الثمر أثمار مثل عنق وأعناق. اهـ. والباقون بفتحهما اسم جنس كشجر وشجرة وبقر وبقرة وحرز وحرزة. اهـ. إتحاف وغيره. وقال العلامة شيخ زاده رحمته الله: قرأ حمزة والكسائي بضم الشاء والميم، وقرأ أبو عمرو بضم الشاء وسكون الميم بتخفيف ميم ثمر، كقولهم: رسل ورسل. والباقون بفتح الشاء والميم على أنه جمع ثمرة، نحو بقر وبقرة، وشجر وشجرة. اهـ.

قوله: (إن ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ مفعولي ﴿وَجَعَلُوا﴾ كان ﴿الْجِنَّ﴾ بدلًا من ﴿شُرَكَاءَ﴾) على أن يكون شركاء مفعولًا أولًا، والله متعلقًا بمحذوف وهو المفعول الثاني، والجن بدل من شركاء مفسر له، فإنَّ البذل قد يُقصد به تفسير المبدل منه، فإن

ذلك، والمعنى أنهم أطاعوا الجن فيما (سوّلت) لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ أي وقد خلق الجن فكيف يكون المخلوق شريكاً لخالقه؟ والجمله حال، أو وخلق الجاعلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره؟ ﴿وَحَرِّقُوا لَهُمْ﴾ أي (اختلقوا) يقال: خلق الإفك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى، أو هو من خرق الثوب إذا شقه أي اشتقوا له ﴿بَيْنَ﴾ كقول أهل الكتابين في المسيح وعزير ﴿وَبَنَتِ﴾ كقول بعض العرب في الملائكة. ﴿وَحَرِّقُوا﴾ بالتشديد) للتكثير: (مدني) لقوله: ﴿بَيْنَ وَبَنَتِ﴾ ﴿يَغْيِرُ عَلَيْهِمْ﴾ من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا من خطأ أو صواب ولكن رمياً بقول عن جهالة، وهو حال من فاعل ﴿وَالْأَرْضِ﴾ أي جاهلين بما قالوا ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ من الشريك والولد.

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقال بدع الشيء فهو بديع وهو من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها (يعني بديع سمواته) وأرضه، أو هو بمعنى المبدع أي مبدعها (وهو خبر مبتدأ محذوف) أو مبتدأ وخبره ﴿أَنَّ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ أو هو فاعل ﴿وَتَعَالَى﴾ ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ أي من أين يكون له ولد والولد لا يكون إلا من

قلت: كيف يجوز أن يكون الجن بدلاً من شركاء وشرط البدل أن يصح حلوله محل المبدل منه، ولا يصح ذلك هنا، فإنه لا يصح أن يقال: وجعلوا الله الجن؟

والجواب: لا نسلم أنه يجب في كل بدل أن يصح حلوله محل المبدل منه، ألا ترى أنه يصح أن يقال: زيد مررت به أبي عبد الله، ولو قلت: زيد مررت بأبي عبد الله لم يجز لعدم العائد إلى المبتدأ. قوله: (سوّلت) أي زينت. قوله: (اختلقوا) بمعنى كذبوا. قوله: ﴿وَحَرِّقُوا﴾ بالتشديد) أي بتشديد الراء للتكثير (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. والباقون بالتخفيف.

قوله: (يعني بديع سمواته) أي مكوّنه من غير سبق مثال، كما يقال: فلان بديع الشعر أي بديع شعره، والإبداع عبارة عن تكوين الشيء من غير سبق مثال. قوله: (وهو) أي بديع (خبر مبتدأ محذوف) أي هو بديع.

صاحبة ولا صاحبة له، ولأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون جسمًا حتى يكون له ولد ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي ما من شيء إلا وهو خالقه وعالمه ومن كان كذلك كان غنيًا عن كل شيء والولد إنما يطلبه المحتاج.

﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ (وما بعده أخبار) مترادفة وهي ﴿اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وقوله: ﴿فَأَعْبُدُوهُ﴾ مسبب عن مضمون الجملة أي من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه (ولا تعبدوا من دونه) من بعض خلقه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أي هو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال (رقيب) على الأعمال.

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٠٣﴾

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لا تحيط به أو أبصار من سبق ذكرهم. (وتشبهت) المعتزلة بهذه الآية (لا يستتب) لأن المنفي هو الإدراك لا الرؤية، والإدراك هو الوقوف على جوانب المرئي وحدوده، وما يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل إدراكه لا رؤيته، فنزل الإدراك من الرؤية منزلة الإحاطة من العلم، ونفي الإحاطة التي تقتضي الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضي نفي العلم به فهكذا هذا، على أن مورد الآية وهو التمدح يوجب ثبوت الرؤية إذ نفي إدراك ما تستحيل رؤيته لا تمدح فيه لأن كل ما يرى لا يدرك، وإنما التمدح بنفي الإدراك مع تحقق الرؤية إذ انتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهي والحدود عن الذات، فكانت الآية حجة لنا عليهم. ولو أنعموا النظر فيها لا غنموا

قوله: (وما بعده أخبار)؛ لأن الله تعالى علم لا يجوز أن يقع صفة لاسم الإشارة. قوله: (ولا تعبدوا من دونه) لانتفاء ما يستحق به العبادة من الصفات التي جعلت مناط الاستحقاق. قوله: (رقيب) أي حافظ.

قوله: (تشبهت) أي تعلق. قوله: (لا يستتب) أي لا يستقيم.

(التفصي) عن عهدها، وَمَنْ يَنْفِي الرُّوْيَةَ يُلْزِمُهُ نَفْيُ أَنَّهُ مَعْلُومٌ مَوْجُودٌ وَإِلَّا فَكَمَا يَعْلَمُ مَوْجُودًا بِلَا كَيْفِيَّةٍ وَجْهَةً بِخِلَافِ كُلِّ مَوْجُودٍ لَمْ يَجْزِ أَنْ يَرَى بِلَا كَيْفِيَّةٍ وَجْهَةً بِخِلَافِ كُلِّ مَرْتِي، وَهَذَا لِأَنَّ الرُّوْيَةَ تَحَقُّقُ الشَّيْءِ بِالْبَصَرِ كَمَا هُوَ، فَإِنْ كَانَ الْمَرْتِي فِي الْجْهَةِ يَرَى فِيهَا وَإِنْ كَانَ لَا فِي الْجْهَةِ يَرَى لَا فِيهَا ﴿وَهُوَ﴾ لِلطَّفِّ إِدْرَاكُهُ ﴿يَذَرُكَ﴾ الْآبَصَرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ أَيُّ الْعَالَمِ بِدَقَائِقِ الْأُمُورِ وَمَشْكَالَاتِهَا ﴿الْخَيْرُ﴾ الْعَلِيمُ بِظَوَاهِرِ الْأَشْيَاءِ وَخَفِيَاتِهَا (وهو من قبيل اللف والنشر).

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ البصيرة نور القلب الذي به يستبصر القلب كما أن البصر نور العين الذي به تبصر أي جاءكم من الوحي والتنبيه ما هو للقلوب كالْبَصَائِرِ ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ الحق وأمن ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ أبصر وإياها نفع ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنه وضل ﴿فَعَلَيْهَا﴾ فعلى نفسه عمى وإياها ضرر (بالعمى) ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾ أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها إنما أنا منذر (والله هو الحفيظ) عليكم.

﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِيُبَيِّنَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

الكاف في ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ في موضع نصب صفة المصدر المحذوف أي نصرف الآيات تصريحًا مثل ما تلونا عليك ﴿وَلِيُقُولُوا﴾ جوابه محذوف أي ﴿وَلِيُقُولُوا دَرَسْتَ﴾ نصرفها) ومعنى ﴿دَرَسْتَ﴾ قرأت كتب أهل

قوله: (التفصي) أي الخروج. قوله: (وهو من قبيل اللف والنشر)، فإن اللطيف يُنَاسِبُ كونه غير مُدْرَك - بالفتح - والخير يناسب كونه مدرَكًا - بالكسر -.

قوله: (بالعمى) بفتحتين. قوله: (والله هو الحفيظ) يعني أن تقديم الضمير وإيلائه حرف النفي للحصر، وإن كان الخبر صفة لا فعلًا، أي الحفيظ غيري، وهو الله لا أنا. وأما تقديم عليكم، فلإهتمام ورعاية الفاصلة فيمن يجوز تقديم الظرف المعمول لما بعد حرف جرّ المزيد، وإلا فبمحذوف. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: ﴿وَلِيُقُولُوا﴾ جوابه محذوف، أي ﴿وَلِيُقُولُوا دَرَسْتَ﴾ نصرفها) مراده بالجواب المتعلق. قال المعرب: سمّاه جوابًا لأنه يقع جوابًا للسائل الذي يقول:

الكتاب. («دارست» مكي وأبو عمرو أي دارست أهل الكتاب. ﴿دَرَسْتَ﴾ شامي أي قدمت هذه الآية ومضت كما قالوا: أساطير الأولين) ﴿وَلْيُسَيِّرْ﴾ أي القرآن وإن لم يجر له ذكر لكونه معلومًا أو الآيات لأنها في معنى القرآن. (قيل: اللام الثانية حقيقة، والأولى لام العاقبة والصيرورة) أي لتصيير عاقبة أمرهم إلى أن يقولوا

أين متعلق هذا الجار؟ وقال العلامة التفتازاني رحمته الله: قوله: (جوابه محذوف) أي معلله تشبهًا له بجواب الشرط الذي هو مسبب، والشرط سبب، وقدر المحذوف متأخرًا للاختصاص المناسب للمقام. قوله: (دارست) بألف بعد الدال وسكون السين وفتح التاء على وزن قاتلت (مكي) أي ابن كثير (وأبو عمرو، أي دارست أهل الكتاب ﴿دَرَسْتَ﴾) بغير ألف وفتح السين وسكون التاء بزنة ضربت (شامي) أي ابن عامر الشامي، (أي قدمت هذه الآية ومضت كما قالوا أساطير الأولين). والباقون بغير ألف وسكون السين وفتح التاء، أي حفظت وأتقنت بالدرس أخبار الأولين.

قوله: (قيل: اللام الثانية حقيقة، والأولى لام العاقبة والصيرورة) ... الخ. في مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير: اعلم أنه تعالى قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ ثم ذكر الوجه الذي لأجله صرف هذه الآيات، وهو أمران: أحدهما قوله تعالى: ﴿وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾، والثاني قوله: ﴿وَلْيُسَيِّرْ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. أما هذا الوجه الثاني، فلا إشكال فيه؛ لأنه تعالى بين أن الحكمة في هذا التصريف أن يظهر منه البيان والفهم والعلم، وإنما الكلام في الوجه الأول، وهو قوله تعالى: ﴿وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾؛ لأن قولهم للرسول: دارست كفر منهم بالقرآن والرسول، وعند هذا الكلام عاد بحث مسألة الجبر والقدر. فأما أصحابنا، فإنهم أجروا الكلام على ظاهره، فقالوا: معناه أننا ذكرنا هذه الدلائل حالًا بعد حال، ليقول بعضهم دارست فيزداد كفرًا على كفر، وتثبيتًا لبعضهم فيزداد إيمانًا على إيمان، ونظيره قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: الآية ٢٦]، وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: الآية ١٢٥]. وأما المعتزلة، فقد تحيروا. قال الجبائي والقاضي: وليس فيه إلا أحد وجهين: الأول أن يحمل هذا الإثبات على النفي والتقدير: وكذلك نصرّف الآيات لئلا يقولوا درست، ونظيره قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ

درست وهو كقوله: ﴿فَالنَّظْمُ: أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: الآية ٨] وهم لم يلتقطوه للعداوة وإنما التقطوه ليصير لهم قرّة عين ولكن صارت عاقبة أمرهم إلى العداوة، فكذلك الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولكن حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين فشبه به. وقيل: ليقولوا كما قيل لنبيه وعندنا ليس كذلك لما عرف ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الحق من الباطل.

تَضَلُّوا﴾ [النساء: الآية ١٧٦]، ومعناه: لثلاً تضلّوا. والثاني: أن تحمل هذه اللام على لام العاقبة، والتقدير: أنّ عاقبة أمرهم عند تصريفنا هذه الآيات أن يقولوا هذا القول مستنديين إلى اختيارهم عادلين عما يلزم من النظر في هذه الدلائل. هذا غاية كلام القوم في هذا الباب، ولقائل أن يقول:

أما الجواب الأول، فضعيف من وجهين: الأول أن حمل الإثبات على النفي تحريف لكلام الله وتغيير له، وفتح هذا الباب يوجب أن لا يبقى وثوق لا بنفيه ولا بإثباته، وذلك يُخرجه عن كونه حجة، وأنه باطل. والثاني: أن بتقدير أن يجوز هذا النوع من التصرف في الجملة، إلا أنه غير لائق البتة بهذا الموضع؛ وذلك لأن النبي ﷺ كان يظهر آيات القرآن نجمًا نجمًا، والكفار كانوا يقولون: إنّ محمدًا يضمّ هذه الآيات بعضها إلى بعض ويتفكر فيها ويصلحها آية فآية ثم يُظهرها، ولو كان هذا بوحى نازل إليه من السماء، فلم لم يأت بهذا القرآن دفعة واحدة؟ كما أن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام أتى بالتوراة دفعة واحدة؟! إذا عرفت هذا، فنقول: إنّ تصريف هذه الآيات حالًا فحالًا هي التي أوقعت الشبهة للقوم في أنّ محمدًا ﷺ إنما يأتي بهذا القرآن على سبيل المدارس مع التفكر والمذاكرة مع أقوام آخرين. وعلى ما يقول الجبائي والقاضي، فإنه يقتضي أن يكون تصريف هذه الآيات حالًا بعد حالٍ يوجب أن يمتنعوا من القول بأنّ محمدًا عليه الصلاة والسلام إنما أتى بهذا القرآن على سبيل المدارس والمذاكرة، فثبت أنّ الجواب الذي ذكره إنما يصحّ لو جعلنا تصريف الآيات علّة لأنّ يمتنعوا من ذلك القول، مع أنّنا بيّنا أن تصريف الآيات هو الموجب لذلك القول، فسقط هذا الكلام.

وأما الجواب الثاني، وهو حمل اللام على لام العاقبة، فهو أيضًا بعيد؛ لأن حمل هذه اللام على لام العاقبة مجاز، وحمله على لام العرض حقيقة، والحقيقة

﴿أَتَبِعَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿أَتَبِعَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ولا تتبع أهواءهم ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ اعتراض (أكد به إيجاب اتباع الوحي) لا محل له من الإعراب (أو حال ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾) مؤكدة ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ في الحال إلى أن يرد الأمر بالقتال ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أي إيمانهم فالمفعول محذوف ﴿مَا أَشْرَكُوا﴾ بين أنهم لا يشركون على خلاف مشيئة الله ولو علم منهم اختيار الإيمان لهداهم إليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فأشركوا بمشيئته ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ مراعيًا لأعمالهم مأخوذًا بإجرامهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ بمسلط.

أقوى من المجاز؛ فلو قلنا: اللام في قوله: ﴿وَلْيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ لام العاقبة، وفي قوله: ﴿وَلْيُنَبِّئُ الْقَوْمَ يَعْلَمُونَ﴾ للحقيقة، فقد حصل تقديم المجاز على الحقيقة في الذكر، وأنه لا يجوز فثبت بما ذكرنا ضعف هذين الجوابين، وأن الحق ما ذكرنا أن المراد منه عين المذكور في قوله تعالى: ﴿يُنْزِلُ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة: الآية ٢٦]، ومما يؤكد هذا التأويل قوله: ﴿وَلْيُنَبِّئُ الْقَوْمَ يَعْلَمُونَ﴾، يعني: أنا ما بيناه إلا لهؤلاء، فأما الذين لا يعلمون فما بينا هذه الآيات لهم، ولما دل هذا على أنه تعالى ما جعله بيانًا إلا للمؤمنين ثبت أنه جعله ضلالًا للكافرين، وذلك ما قلنا، والله أعلم. اهـ.

قوله: (أكد به إيجاب اتباع الوحي)؛ لأن من هذا وصفه يجب اتباعه. قوله: (أو حال ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾) مؤكدة على تجويزها بعد الجملة الفعلية. اهـ. تفتازاني رحمه الله. قسم ابن مالك في التسهيل الحال المؤكدة إلى مؤكدة لعاملها، نحو ﴿وَلَىٰ مَذِيرٌ﴾ [الشم: الآية ١٠] ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: الآية ٦٠] وغيرها. ومؤكدة لغيره في بيان فخر أو يقين أو تعظيم أو نحوه، ويجب أن يتقدم عليها جملة اسمية ويحذف عاملها وجوبًا، فمن قال: وكونها واقعة بعد الجملة الاسمية شرط لوجوب حذف عاملها لا لصحتها؛ كقوله: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: الآية ٦٠]، فقد خلط بين الحال وقسميها. اهـ شيخ زاده وشهاب رحمه الله.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِنْ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيَنْتَهُمُ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾

وكان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا عنه لئلا يكون سبهم سبباً لسب الله بقوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ﴾ منصوب على جواب النهي ﴿عَدْوًا﴾ ظلماً وعدواناً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التزيين ﴿زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من أمم الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وهو كقوله: ﴿أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ اللَّهُ يُضِلِّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: الآية ٨] (وهو حجة لنا في الأصلح) ﴿ثُمَّ إِنْ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾ مصيرهم ﴿فَيَنْتَهُمُ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عليه.

قوله: (وهو حجة لنا في الأصلح) في ضوء المعاني شرح بدء الأمالي للعلامة العمدة الفهامة عليّ القاري رَحِمَهُ اللهُ:

(وما إن فعل أصلح ذو افتراض على الهادي المقدس ذي التعالي)

ما نافية، وكذا إن وجمع بينهما تأكيداً، وتزن البيت بنقل حركة همزة أصلح إلى ما قبله من تنوين فعل المرفوع على أنه اسم ما، وأصلح صفته. وقوله: ذا افتراض بالنصب خبرها على اللغة الفصحى؛ كقوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: الآية ٣١]، وقوله: ﴿مَا هُكَ أَهْلَتُهُمْ﴾ [المجادلة: الآية ٢]. وفي أكثر النسخ: ذو افتراض بالرفع، فيحمل على اللغة الأخرى. والحاصل أن مذهب أهل السنة أن الأصلح للعبد ليس بواجب على الله تعالى، وجمهور المعتزلة على أنه واجب، وذهب بعضهم إلى وجوب رعاية المصلحة لا وجوب الأصلح، ورد كلامهم أولاً بأن الألوهية تنافي الوجوب المختص بالعبودية لا يسأل عما يفعل. وثانياً بأن الأصلح بحسب الظاهر أن يهدي الخلق جميعاً، وقد قال سبحانه: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: الآية ٩٣] مع قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: الآية ٩]، فما أراد باختلاف العباد إلا إظهار عدله وإيثار فضله، وأيضاً قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطِلُّ لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: الآية ١٧٨]، مع أن الإملاء لزيادة الإثم ليس بصلاح عند العقلاء، فلله الحجة البالغة والحكم السابقة. اهـ. وقال العلامة الإمام رضي الدين أبو القاسم بن الحسين في شرح بدء الأمالي: واعلم أن

الفعل الأصْلَح ليس بواجب على الله تعالى للعباد؛ لأنه مالك المُلْك يتصرّف في ملكه كيف يشاء. وقالت المُعْتزلة: الأصْلَح واجب على الله تعالى حتى لو لم يفعل يصير ظالمًا وجائرًا. قلنا: حاشا لله أن يُوصَف بالظلم والجور، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ [الأنعام: الآية ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: الآية ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ كُلَّ نَفْسٍ هَدَيْنَاهَا﴾ [السجدة: الآية ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: الآية ٩٩]؛ فعلم أن الألوهية تنافي الوجوب عليه، بل له أن يفعل بالعباد ما يشاء إلا أنه خصّ البعض بالإيمان فضلًا، وخصّ البعض بالكفر عدلًا؛ ولأنه لو كان الأصْلَح واجبًا على الله تعالى لأعطى الإيمان لَمَن في الأرض كله، والأمر بخلافه؛ فعلم أنه ليس بواجب على الله تعالى، والله أعلم بالصواب. اهـ. وفي جوهره التوحيد:

وقولهم إن الصّلاح واجب عليه زور ما عليه واجب
ألم يروا إيلاّمه الأطفال وشبهها فحاذر المحال

قوله: وشبهها أي كالدواب والعجزة، فإنهم لا نفع لهم في إنزال الأسقام بهم، وقوله: فحاذر المحال - بكسر الميم - بمعنى العقاب. قال تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمَحَالِ﴾ [الزعد: الآية ١٣]، ويصح قراءته بفتح الميم بمعنى الشك، وبالضم بمعنى الممتنع؛ فالمعنى على الأول: فاحذر عقاب الله النازل بهم على إضلالهم. وعلى الثاني: فاحذر الشك في ذلك. وعلى الثالث: فاحذر الممتنع، وهو وجوب شيء عليه تعالى. اهـ تحفة المريد على جوهره التوحيد. وأيضا فيها: واعلم أن للمعتزلة عبارتين: الأولى وجوب الصّلاح، والمراد به ما قابل الفساد؛ كالإيمان في مقابلة الكفر، فيقولون: إذا كان هنا أمران: أحدهما صلاح والآخر فساد، وجب على الله أن يفعل الصّلاح منهما دون الفساد، والثانية وجوب الأصْلَح، والمراد به ما قابل الصّلاح ككونه في أعلى الجنان في مقابلة كونه في أسفل، فيقولون: إذا كان هناك أمران أحدهما صلاح والآخر أصْلَح منه وجب على الله أن يفعل الأصْلَح منهما دون الصّلاح، والمصنّف تكلم في إبطال مذهبهم على الأولى دون الثانية؛ لأن الصّلاح أعم من الأصْلَح، وإذا بطل الأعم بطل الأخص، وفي كلام المصنّف

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ إِن لَّيْن جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ لِّيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا أَلَايْتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ جهد مصدر وقع موقع الحال أي جاهدين في الإتيان بأوكد الأيمان ﴿لَيْن جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ من مقترحاتهم ﴿لِّيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا أَلَايْتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وهو قادر عليها لا عندي فكيف آتيكم بها ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ وما يدرىكم ﴿أَنَّهَا﴾ أن الآية المقترحة ﴿إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها يعني أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تعلمون ذلك، وكان المؤمنون يطمعون في إيمانهم إذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال الله تعالى: وما يدرىكم أنهم لا يؤمنون على معنى إنكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون («إنها» بالكسر: مكّي وبصري وأبو بكر) على أن الكلام تم قبله أي وما يشعركم ما يكون منهم، ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال: إنها إذا جاءت (لا يؤمنون) البتة. ومنهم من جعل «لا» مزيادة في قراءة الفتح كقوله: ﴿وَحَكْرُ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٩٥] «لا تؤمنون» (شامي وحمزة).

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾
﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ عن قبول الحق ﴿وَأَبْصَرَهُمْ﴾ عن رؤية الحق عند نزول الآية التي اقترحوها فلا يؤمنون بها. قيل: هو عطف على ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ داخل

إجمال في نسبة القول بذلك إليهم لعدم تعلق غرضه بمذهبهم، وإنما غرضه الرد عليهم، والحاصل أنهم قالوا بوجوب الصلاح والأصلح عليه تعالى، ثم اختلفوا؛ فذهب معتزلة بغداد إلى أنه يجب على الله تعالى مراعاة الصلاح والأصلح لهم في الدّين والدّنيا، وذهب معتزلة البصرة إلى أنه يجب عليه تعالى مراعاة الصلاح والأصلح لهم في الدّين فقط، ثم اختلفوا أيضاً في المراد بالأصلح؛ فعند البغدادية أوفق في الحكمة والتدبير، وعند البصرية الأنفع. اهـ.

قوله: (إنها - بالكسر - مكّي) أي ابن كثير المكّي، (وبصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (وأبو بكر) بخلف عنه عن عاصم رضي الله عنه. والباقون بالفتح. قوله: (لا تؤمنون) بالخطاب (شامي) أي ابن عامر الشامي (وحمزة). وقرأ الباقر بالغيب.

في حكم ﴿وَمَا يَشْعُرْكُمْ﴾ أي وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق ﴿كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ كما كانوا عند نزول آياتنا أولًا لا يؤمنون بها ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قيل: وما يشعركم أنا نذرهم في طغيانهم يعمهون ويتحيرون.

﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ كما قالوا: لولا أنزل علينا الملائكة ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ﴾ كما قالوا فاتوا بآبائنا ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ جمعنا ﴿كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ (كفلاء) بصحة ما بشرنا به وأنذرنا جمع قبيل وهو الكفيل (قبلاً مدني وشامي) أي عياناً وكلاهما نصب على الحال ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إيمانهم فيؤمنوا وهذا جواب لقول المؤمنين لعلمهم يؤمنون بنزول الآية ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ أي هؤلاء لا يؤمنون إذا جاءتهم الآية المقترحة.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ وكما جعلنا لك أعداء من المشركين جعلنا لمن تقدمك من الأنبياء أعداء لما فيه من الابتلاء الذي هو سبب ظهور الثبات

قوله: (كفلاء) جمع كفيل. قوله: (قبلاً) بكسر القاف وفتح الباء، بمعنى مقابلة، أي معاينة (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وشامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون بضم القاف والباء جمع قبيل بمعنى كفيل.

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾.. الخ. وهو دليل على أن عداوة الكفرة للأنبياء بفعل الله وخلقه، ولا شك أن تلك العداوة معصية وكفر؛ فلزماً أن يكون خالق الخير والشر والمعصية والإيمان والكفر هو الله تعالى لا العبد، فتكون الآية حجة لنا على المعتزلة، وقالوا في تأويل الآية: المراد بهذا الجعل هو الحكم والبيان، فإن الرجل إذا حكم بكفر إنسان قيل: إنه أكفر فلاناً، وإذا أخبر عن

والصبر وكثرة الثواب والأجر وانتصب ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ على البدل من ﴿عَدُوًّا﴾ أو على أنه من المفعول الأول و﴿عَدُوًّا﴾ مفعول ثانٍ ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس، وكذلك بعض الجن إلى بعض، وبعض الإنس إلى بعض، وعن (مالك بن دينار): إن شيطان الإنس أشد عليّ من شيطان الجن لأنني إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانًا. وقال عليه السلام: «قرناء السوء شر من شياطين الجن» ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ ما زينه من القول والوسوسة والإغراء على المعاصي ﴿عُرُورًا﴾ خدعًا وأخذًا على (غرة) وهو مفعول له ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي الإيحاء يعني ولو شاء الله لمنع الشياطين من الوسوسة ولكنه امتحن بما يعلم أنه (أجزل) في

عدالته قيل: عدله، فكذا هلهنا. إنه تعالى لما بيّن للرسول ﷺ كونهم أعداء لهم لا جرم قال: إنه جعلهم أعداء له.

قوله: (مالك بن دينار) أبو يحيى البصري، كان عالمًا زاهدًا كثير الورع قنوعًا لا يأكل إلّا من كسبه، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، وزوي عنه أنّه قال: قرأت في التوراة أنّ الذي يعمل بيده طوبى لمحياه ومماته، وكان يومًا في مجلس وقد قصّ فيه قاصّ فبكى القوم، ثم ما كان بأوشك من أن أتوا برؤوس فجعلوا يأكلون منها، فقيل لمالك: كلّ، فقال: إنما يأكل الرؤوس من بكى وأنا لم أبك، فلم يأكل منها، وله مناقب عديدة وآثاره شهيرة، فمن ذلك ما حكاه أبو القاسم خلف بن بشكوال الأندلسي في كتابه الذي سمّاه كتاب المستغيثين بالله تعالى، فإنه قال: بينا مالك بن دينار يومًا جالس إذ جاء رجل، فقال: يا أبا يحيى ادع الله لامرأة حبلى منذ أربع سنين قد أصبحت في كربٍ شديدة، فغضب مالك وأطبق المصحف ثم قال: ما يرى هؤلاء القوم إلّا أننا أنبياء، ثم قرأ ثم دعا، فقال: اللهم هذه المرأة إن كان في بطنها جارية فأبدلها بها غلامًا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب، ثم رفع مالك يده ورفع الناس أيديهم، وجاء رسول إلى الرجل وقال: أدرك امرأتك، فذهب الرجل فما حطّ مالك يده حتى طلع الرجل من باب المسجد وعلى رقبته غلام جعد قطط ابن أربع سنين قد استوت أسنانه ما قطع سراه، وكان من كبار السادات. وتوفي في سنة إحدى وثلاثين ومائة بالبصرة قبل الطاعون بيسير رحمه الله تعالى. قوله: (غرة) بالكسر بمعنى الغفلة. قوله: (أجزل) أي أعظم.

الشواب ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ عليك وعلى الله فإن الله يخزيهم وينصرك ويخزيهم.

﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ ﴿١١٣﴾

﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ ولتميل إلى زخرف القول قلوب الكفار وهي معطوفة على ﴿عُرُوا﴾ أي ليغروا ولتصغى إليه ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ لأنفسهم ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ من الآثام.

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَىٰ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿١١٤﴾

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَىٰ حَكَمًا﴾ أي قل يا محمد أغير الله أطلب حاكمًا يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾ المعجز ﴿مُفَصَّلًا﴾ حال من الكتاب أي مبينًا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء. ثم (عضد) الدلالة على أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقه له بقوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي (عبد الله بن سلام) وأصحابه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ﴾ شامي وحفص ﴿مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه أيها السامع، أو فلا تكونن من الممترين في أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق، ولا يربك جحود أكثرهم وكفرهم به.

قوله: (عضد) من باب قتل، أي أيد. قوله: (عبد الله بن سلام) بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري ثم الخزرجي الصحابي، كنيته أبو يوسف. روي له عن رسول الله ﷺ خمسة وعشرون حديثًا، اتفقا على حديث وانفرد البخاري بآخر. توفي سنة ثلاث وأربعين بالمدينة، ومناقبه كثيرة مشهورة.

قوله: ﴿مُنْزَلٌ﴾ (شاميد الزاي (شامي) أي ابن عامر الشامي، (وحفص). والباقون بتخفيفها.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِۦ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١١٥)

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ (أي ما تكلم به . كلمات ربك) حجازي (وشامي وأبو عمرو) أي تم كل ما أخبر به وأمر ونهي ووعد وأوعد ﴿صِدْقًا﴾ في وعده ووعيده ﴿وَعَدْلًا﴾ في أمره ونهيه . وانتصبا على التمييز أو على الحال ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِۦ﴾ لا أحد يبدل شيئاً من ذلك ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لإقرار من أقر ﴿الْعَلِيمُ﴾ بإصرار من أصر أو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون .

﴿وَأَن تُطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (١١٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١١٧)

﴿وَأَن تُطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي الكفار لأنهم الأكثرون ﴿يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم ﴿وَأَن هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في أن الله حرم عليهم كذا وأحل لهم كذا ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١١٧) أي هو يعلم الكفار والمؤمنين . من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام^(١) والخبر ﴿يَضِلُّ﴾ وموضع الجملة نصب بـ «يعلم» المقدر لا بـ ﴿أَعْلَمُ﴾ (لأن أفعّل لا يعمل في الاسم الظاهر) النصب ويعمل الجر . وقيل : تقديره أعلم بمن يضلّ بدليل ظهور الباء بعده في بالمهتدين .

قوله: (أي ما تكلم به) يعني أن الكلمة قد يُراد بها الكلمات الكثيرة إذا كانت مضبوطة بضابط واحد، كما يقال: قال زهير في كلمته، أي في قصيدته، فكذلك كلمات الله تعالى كلمة واحدة من حيث إنها كلام الله المنزّل لهداية الخلق . قوله: (كلمات ربك) بالألف على الجمع حجازي، إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي، أي ابن كثير المكي ونافع المدني . (وشامي) أي ابن عامر الشامي (وأبو عمرو). وقرأ عاصم وحزمة والكسائي بغير ألف بين الميم والتاء على التوحيد .

قوله: (لأن أفعّل) أي أفعّل التفضيل (لا يعمل في الاسم الظاهر) إلا عند الكوفيّين، فإن أفعّل يعمل عمل الفعل عندهم، ولا يعمل عند غيرهم لا رفعاً ولا نصباً لعدم كونه بمعنى الفعل؛ لأنّ الفعل لا يدلّ على التفضيل .

(١) لفظها لفظ استفهام ولكن معناها (اسم موصول بمعنى الذي) .

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٨﴾

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٨﴾ هو مسبب عن إنكار اتباع المضللين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال، وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم. ف قيل للمسلمين: إن كنتم متحققين بالإيمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة أي على ذبحه دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم (أو مات حتف أنفه).

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿١١٩﴾

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾ «ما» استفهام في موضع رفع بالابتداء.

﴿لَكُمْ﴾ الخبر أي وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا ﴿مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ ﴿بَيْنَ لَكُمْ﴾ ﴿مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ مما لم يحرم بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: الآية ٣]، «فَصَّلَ» و«وَحَرَّمَ» كوفي غير حفص وبفتحهما

قوله: (أو مات حتف أنفه) في المصباح: الحَتَفُ الهلاك. قال ابن فارس وتبعه الجوهري: ولا يبنى منه فعل يقال: مات حتف أنفه إذا مات من غير ضرب ولا قتل، زاد الصغاني: ولا غرق ولا حرق. وقال الأزهرى: لم أسمع للحتف فعلاً، وجكاه ابن القوطية فقال: حتفه الله يحثفه حتفاً، أي من باب ضرب إذا أماته، ونُقِلَ العدل مقبول ومعناه أن يموت على فراشه فيتنفس حتى ينقضي رَمَقُهُ، ولهذا خُصَّ الأنف، ومنه يقال للسمك يموت في الماء ويطفو: مات حَتَفَ أنفه، وهذه الكلمة تكلم بها أهل الجاهلية. قال السموأل:

وما مات منا سيدٌ حَتَفَ أنفه

قوله: «فَصَّلَ» على بناء الفاعل «وَحَرَّمَ» على بناء المفعول على وفق قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ [الأنعام: الآية ٩٧]، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: الآية ٣] (كوفي غير حفص)، أي حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم، (وبفتحهما) على بناء الفاعل فيهما، أي فصل الله ما حرّم عليكم بإسناد كل واحد من الفعلين إلى ضمير الجلالة المذكورة في قوله تعالى: ﴿مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾

مدني وحفص وبضمهما غيرهم) ﴿إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ (مما حرّم عليكم) فإنه حلال لكم في حال الضرورة أي شدة المجاعة إلى أكله ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾

[الأنعام: الآية ١١٨] (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، (وحفص) عن عاصم (وبضمهما) على البناء للمفعول فيهما (غيرهم) أي ابن كثير المكي وأبو عمرو البصري وابن عامر الشامي بناءً على أن قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: الآية ٣] تفصيل لما أجمل في هذه الآية؛ فلما وجب في التفصيل أن يقال: حرّمت على بناء المفعول وجب ذلك أيضًا في المَجْمَل، وهو قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ وهو مالك الأعيان ومبيّن الحلال والحرام، وقال الجمهور المفسرون رحمهم الله: المراد بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ المحرّمات المذكورة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: الآية ٣]، وأورد الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله هنا إشكالاً، فقال في سورة الأنعام مكية، وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله تعالى بالمدينة، وقوله: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾ يجب أن يكون ذلك المفصل متقدّمًا على هذا المَجْمَل والمدني متأخّر عن المكي فيمتنع كونه متقدّمًا، ثم قال: بل الأولى أن يقال قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَحَدٌ فِي مَا أَوْحَى إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥]، وهذه الآية وإن كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل، إلا أن هذا القدر من المتأخّر لا يمنع أن يكون هو المراد.

قال كاتبه: ولما ذكره المفسرون وجه، وهو أن الله لما علم أن سورة المائدة متقدّمة على سورة الأنعام في الترتيب لا في النزول حسن عود الضمير في قوله: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ إلى ما هو متقدّم في الترتيب، وهو قوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: الآية ٣] الآية، والله أعلم بمراده. اهـ خازن.

قوله: (مما حرّم عليكم) بيان لما اضطررتم إشارة إلى أن الاستثناء متصل، والمستثنى منه ما حرّم على أن ما مصدرية بمعنى المدة، أي وقد فصل لكم الأشياء التي حرّمت عليكم في جميع الأوقات إلّا وقت الاضطرار إليها، وما إن جُعِلَتْ موصولة تبين أن يكون الاستثناء منقطعاً؛ لأن ما اضطرّ إليه حلال، فلا يدخل تحت ما حرّم عليكم، إلا أن يقال: المراد بما حرّم جنس ما حرّم مع قطع النظر

(﴿لَيُضِلُّونَ﴾ كوفي) ﴿بَاهَوَّائِهِمْ يَغَيِّرُ عَلِيمٌ﴾ أي يضلّون فيحرمون ويحلّلون بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ بالمتجاوزين من الحق إلى الباطل.

﴿وَدَرُّوا ظُهُورَ الْإِنْمِرِ وَبَاطِنَهُ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنْمِرَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفَسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخِذَ إِلَىٰ أُولِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُوهُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

﴿وَدَرُّوا ظُهُورَ الْإِنْمِرِ وَبَاطِنَهُ﴾ علانيته وسره (أو الزنا في الحوانيت والصديقة في السر) أو الشرك الجلي والخفي ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِنْمِرَ سَيُجْزَوْنَ﴾ يوم القيامة ﴿بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ يكتسبون في الدنيا ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾

عن كونه حلالاً أو محرماً، فحينئذ لا يكون الاستثناء منقطعاً؛ لأن ما اضطر إليه داخل في ذلك الجنس. قوله: ﴿﴿لَيُضِلُّونَ﴾﴾ بضم الياء (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف. والباقون بالفتح، يقال: ضلّ في نفسه وأضلّ غيره، فالمفعول محذوف على قراءة الضم، أي يضلّون بأنفسهم، أو يضلّون غيرهم على قراءة الفتح والضم.

قوله: (أو الزنا في الحوانيت) في لسان العرب: كانت العرب تسمي بيوت الخمارين الحوانيت، وأهل العراق يسمونها المواخير، واحدها حانوت وماخور. أهـ. (والصديقة) أي الزنا بالحبيبة (في السر). قوله: ﴿﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾﴾... الخ. الآية عامّة في جميع المأكولات والمشروبات، فلهذا ذهب عطاء إلى أنّ كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام أو شراب، فهو حرام. وأمّا سائر الفقهاء، فقد أجمعوا على تخصيصه بالحيوان الذي زالت حياته، فهو منحصّر في ثلاثة أقسام؛ لأن ما زال حياته ولم يذكر عليه اسم الله إما أن لا يكون مذبوخاً، وهو الميتة. وإما أن يكون مذبوخاً، ثم إنه لا يخلو من أن يذكر عليه اسم غير الله أو لا يذكر عليه اسم الله ولا اسم غير الله، ولا خلاف في حرمة القسمين الأولين، وإنما الخلاف في القسم الثالث، وهو الحيوان الذي ذبحه أهل الذبح ولم يُسم عليه أصلاً، ففيه ثلاثة أقوال: الأول أنه حرام مطلقاً، نظراً إلى عموم الآية للأقسام الثلاثة. والثاني: أنه حلال مطلقاً، وعليه الإمام الشافعي، فإنه

ذهب إلى حلّ متروك التسمية سواء تركت عمدًا أو خطأ إذا كان الذابح أهلاً للذبح، وخصّص الآية بالقسمين الأولين، أي الميتة وما ذُبِحَ على غير اسم الله بناءً على أن التسمية على ذكر المؤمن وفي قلبه ما دام مؤمنًا، فلا يتحقّق منه عدم الذّكر، فلا يحرم من ذبيحته إلّا ما أُهلّ به لغير الله؛ ولأنّه تعالى جعل أكل ما لم يذكر اسم الله عليه فسقًا، حيث قال: ﴿وَأَنْتُمْ لَفِسْقٌ﴾، وقد أجمع المسلمون على أنّه لا يفسق بأكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية؛ إذ لا يفسق المرء بفعل ما هو في محلّ الاجتهاد، فدلّ ذلك على أن المراد بما لم يذكر اسم الله عليه أحد القسمين الأولين، ويدلّ عليه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِكُفْرٍ إِلَىٰ أُولِيَٰهِمْ لِيُجْدِلُوَكُمْ﴾، فإنّ مجادلتهم إنّما كانت في مسألتين: مسألة الميتة حيث قالوا للمسلمين: ما يقتله الصقر والكلب تأكلونه، وما يقتله الله فلا تأكلونه. ومسألة ما ذُبِحَ على اسم غير الله من الأصنام، حيث قالوا للمسلمين: لكم إله ولنا آلهة، ونحن نأكل ما تذبحون على اسم إلهكم، فلم لا تأكلون ما نذبحه على اسم آلهتنا؟ فلمّا لم تكن مجادلتهم إلّا في القسمين الأولين دلّ ذلك على خصوص النهي بهما، ويدلّ عليه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، وإنما يكفر الإنسان لو أطاع الكفار في إباحة الميتة والمذبوح على اسم الصنم، لا في أكل متروك التسمية. والقول الثالث أنّه حرام إن ترك اسم الله عمدًا، وحلال إن ترك سهوًا، وإليه ذهب أبو حنيفة، فإنه قال: الآية عامّة للأقسام الثلاثة دالّة على حرمتها، إلّا أنّ متروك التسمية بالنسيان خارج عنها لوجهين: أحدهما أنّ الضمير في قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَفِسْقٌ﴾ يرجع إلى ترك التسمية، وهو أقرب؛ فالأولى رجوع الضمير إليه. ولا شكّ أنّ إهمال التسمية إنّما يكون فسقًا إذا كان عمدًا إذا كان الناسي خارج غير مكلف، فيكون المعنى: ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه عمدًا، فيكون التارك الناسي خارجًا عن الآية. وثانيهما أنّه عليه الصلوة والسلام سُئِلَ عن ترك التسمية نسيانًا، فقال: «كلوه، فإنّ تسمية الله تعالى في قلب كلّ مؤمن»، فإنّه عليه الصلوة والسلام لم يجعل الناسي تاركًا حيث جعل تسمية الله تعالى في قلب كلّ مؤمن، ولم يلحق به العامد؛ لأنّه لمّا ترك التسمية عامدًا صار كأنه نفى ما في قلبه. اهـ

تذبحون بأيديكم، والآية تحرم متروك التسمية وخصت حالة النسيان بالحديث أو بجعل الناسي ذاكراً تقديرًا ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في استحلال ما حرّمه الله ﴿إِنَّكُمْ

شيخ زاده رحمته الله . وفي تفسيرات الأحمديّة: فالحاصل أن النصّ يقتضي حرمة متروك التسمية، وقد اختلفت المذاهب في هذا الباب، فقال أبو حنيفة رحمته الله: يُحرّم إذا كان عمداً، ويحلّ إذا كان ناسياً. وقال أحمد بن حنبل وكذا زوي عن داود الطائي أنه يحرم متروك التسمية عمداً كان أو سهواً. وقال الشافعي رحمته الله بخلافه، أي: يحلّ متروك التسمية مطلقاً عمداً كان أو سهواً؛ لأن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، أي ذكر اسم غير الله عليه، مثلاً اللات والعزى، أو ماتت حتف أنفها؛ وذلك لأن الله تعالى قال في آخر السورة: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥]، إلى أن قال: ﴿أَوْ فِسْقًا أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥]، فقد أوقع أهلّ صفة الفسق وسمّى المذبوح لغير الله - أي الأصنام - فسقاً في تلك الآية، وقد حصر فيها المحرّمات بكلمة لا وإلا، وهلهنا أيضاً قال: ﴿وَأَنْتُمْ لَفِئَتٌ﴾، والواو فيه لا يحسن للعطف للزوم عطف الاسم على الفعلية، فيكون للحال، فيكون التقدير: ولا تأكلوا منه حال كونه فسقاً. ومنّ المعلوم أن الفسق الذي لم يُذكر اسم الله عليه هو الذي ذكر اسم غير الله عليه البتّة، لا أن يترك فيه ذكر اسم الله فقط، سواء ذكر اسم غير الله أو لم يذكر على ما تقرّر من قوله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥]، فلم يبقَ للآية دلالة على حرمة متروك التسمية عمداً كان أو سهواً، فيكون حلالاً بمقتضى حصر ﴿قُلْ لَا أَجِدُ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥] صرح به في المدارك، ونحن نقول: إنّ ظاهر الآية يقتضي حرمة متروك التسمية مطلقاً على ما ذهب إليه أحمد رحمته الله، ولكنّا جوّزناه إذا كان ناسياً؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦]، وقوله عليه السّلام: «تسمية الله تعالى في قلب كل مسلم»، فقلنا: إذا كان متروك التسمية عمداً لا يحلّ، وإذا كان ناسياً يحلّ لقيام ملّة الإسلام مقام الذّكر.

والجواب عن دليل الشافعي رحمته الله ما ذكر في شرح الوقاية، وهو أنه لا ضرورة في جعل الواو للحال، وحمل معناه على قوله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥]، بل كما أنه يسمّى ذلك فسقاً يسمّى هذا فسقاً أيضاً،

لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ لَأَن مَّن اتَّبَعَ غَيْرَ اللَّهِ فِي دِينِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ بِهِ، وَمَنْ حَقَّ الْمَتَدِينُ أَنْ لَا يَأْكُلَ مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا فِي الْآيَةِ مِنَ التَّشْدِيدِ الْعَظِيمِ. وَمَنْ أَوَّلَ الْآيَةِ بِالْمِيتَةِ

والحصر المذكور في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥] لا يُوجب ذلك؛ لأننا نقول: إنه إخبار عما أوحى إليه من المحرّمات، وهو قد كان نازلاً قبل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾، فقد أخبر عما كان نازلاً في ذلك الزمان، ثم نزل حرمة متروك التسمية بعده، فلا يلزم الكذب، هذا حاصل كلامه.

على أتني أقول: إن الحصر ثمة إضافي بالنسبة إلى ما اعتقدوه من تحريم الشاة الحلال وغيرها كما مر؛ لأنه لو كان حقيقياً لزم الكذب بحرمة كثير من الأشياء سوى ما ذكر فيه كذي ناب وذي مخلب وغير ذلك، ولعلّه إنما لم يتعرّض لهذا الجواب صاحب شرح الوقاية؛ لأنه حمل الحصر على الحصر الحقيقي بجعل المراد بما أوحى إليّ ما أوحى إليه في القرآن خاصة، ولذا اكتفى في نفي الكذب بجعل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾ نازلاً بعده، لكن يجب على هذا التقدير أن يقال: آية المنخقة والموقوذة إلى آخره أيضاً نازل بعد قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥] لئلا يلزم الكذب، والأولى أن يقال: إن مراده بما أوحى إليّ ما أوحى في ذلك الزمان، ويجعل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾، وآية المنخقة وحرمة ذي الناب وذي المخلب وغيرها نازلاً بعده؛ فلا إشكال. وبالجمله حاصل المذهب جواز متروك التسمية ناسياً، ومن ههنا زعم الشافعي رحمه الله علينا أن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عام مخصوص البعض عندكم لتخصيص الناسي، فيكون ظئياً عندكم، فيجوز تخصيصه في حق العامد أيضاً بخبر الواحد وهو قوله عليه السلام: «المسلم يذبح على اسم الله سمى أو لم يسم»، وبالقياص على الناسي. وحاصل ما ذكر أهل الأصول في جوابه في بحث العام أن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عام قطعي لم يلحقه خصوص أصلاً؛ لأن تخصيص الناسي ليس بتخصيص، بل هو في معنى الذّاكر، فلا يجوز تخصيصه بخبر الواحد والقياس هذا لفظهم؛ فلعلّ ما قال صاحب المدارك رحمه الله: أن الآية تحرّم متروك التسمية وخصّت حالة النسيان بالحديث محمول على صورة التخصيص لا حقيقة لئلا يخالف ضابطة الأصول، هذا هو تحقيق مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى.

وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله: ﴿أَوْ فَسَقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ وقال: إن الواو في ﴿وَأَنْتُمْ لَفَاسِقٌ﴾ للحال لأن عطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يحسن فيكون

وأما مذهب مالك، فلم نطلع على ما في كتبه، والمذكور في كتب غيره مُذَبَّذِب، حيث قال في الهداية وشرح الوقاية: وعند مالك رحمه الله لا يحل في النسيان أيضًا، فعُلم أنه مع أحمد وداود رحمهما الله. وذكر في البيضاوي لفظ مالك عطف على الشافعي، حيث قال: وقال مالك والشافعي رحمهما الله تعالى بخلافه، أي بخلاف أحمد رحمهما الله؛ فعُلم أنه مع الشافعي رحمهما الله، حتى يحل متروك التسمية عنده مطلقًا، وهكذا ذكر في الحسيني والكشاف. وقال الشيخ العصام: وفي رواية وهو مع أبي حنيفة رحمهما الله كما ذكر صاحب الانتصاف، وهو مالكي، وعليك بتأمل ما في كتبه ليحصل اليقين، والله أعلم. اهـ باختصار.

قال كاتبه غفر الله ذنوبه وستر عيوبه في شرح الإمام العالم العلامة الشيخ الدردير المالكي على مختصر الشيخ خليل: «ووجب» في الذكاة بأنواعها نيتها، أي قصدها، وإن لم يلاحظ حلية الأكل احترزًا عما لو ضرب خيранًا بآلة فأصاب منحره أو أصابت صيدًا أو قصد مجرد إزهاق روحه من غير قصد تذكية لم يؤكل، «وتسمية» عند التذكية وعند الإرسال في العقر (إن ذكر) وقدير، فلا تجب على ناس ولا أخرس ولا مكره، فالشرط راجع لتسمية فقط، ومحل اشتراطها إن كان المذكي مسلمًا. وأما التية، أي قصد الفعل لتؤكل لا قتلها، أي مجرد إزهاق روحها، فلا بد منها حتى من الكتابي، والمراد بالتسمية ذكر الله من حيث هو لا خصوص بسم الله، ولكنه الأفضل، وكذا زيادة والله أكبر. اهـ بحروفه. وفي شرح العلامة أبي الحسن المالكي على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه «وليقل الذابح عند الذبح بسم الله والله أكبر»، وهذا أعني الجمع بين التسمية والتكبير هو الذي مضى عليه عمل الناس. أما التكبير، فسنة. وأما التسمية، فتؤخذ من كلامه بعد، وهو مذهب المدونة أنها واجبة مع الذكر والقدرة ساقطة مع العجز والنسيان، وإن اقتصر عليها أجزاء؛ لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا وَمِمَّا ذَكَرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، فلم يشترط سوى مجرد اسم الله تعالى، قالوا: ولا يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، لأن هذا ليس موضعه بخلاف الأكل والشرب والوضوء وقراءة القرآن، فإنه يقولها: «وإن زاد الذابح» على التسمية والتكبير في ذبح الأضحية أو

التقدير: ولا تأكلوا منه حال كونه فسقًا والفسق مجمل فبين بقوله: ﴿أَوْ فَسَقًا أَهْلَ لَيْعٍ اللَّهِ يَوْمَ﴾ فصار التقدير ولا تأكلوا منه حال كونه مهلاً لغير الله به فيكون ما

الهدى أو النسك أو العقيقة «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا، فلا بأس بذلك»، قيل: استعمل لا بأس هنا بمعنى الاستحباب، وقيل: بمعنى الإباحة. «وَمَنْ نَسِيَ التَّسْمِيَةَ فِي ذَبْحِ أَضْحِيَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، فَإِنِهَا تَوْكَلْ، وَإِنْ تَعَمَّدَ تَرَكَ التَّسْمِيَةَ لَمْ تَوْكَلْ»، هذا على مذهب المدونة أنها فرض مع الذكر، ساقطة مع النسيان. «وكذلك مَنْ نَسِيَ التَّسْمِيَةَ عِنْدَ إِرسَالِ الْجَوَارِحِ» أو رمي السهم وغيره مما يُصَاد به «على الصيد»، فإنه يؤكل، وَإِنْ تَعَمَّدَ تَرَكَ التَّسْمِيَةَ لَمْ يَوْكَلْ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: الآية ٤]. اهـ. وفي حاشية الشيخ العالم العلامة علي الصعيدي العدوي المالكي على شرح أبي الحسن على رسالة ابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ اللهُ: قوله: على مذهب المدونة ومقابلة ما نقله ابن شعبان عن أشهب أنه أجاز ترك التسمية مع العمد. اهـ. وفي الخازن نقل ابن الجوزي عن أحمد روايتين فيما إذا ترك التسمية عامداً، وإن تركها ناسياً حلت. اهـ. وفي شرح معونة أولي النهى للعلامة زين الدين منصور البهوتي الحنبلي في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه: تسقط التسمية بسهو لا جهل؛ لحديث شَدَاد بن أَوْس مَرْفُوعاً: «ذَبِيحَةُ الْمُسْلِمِ حَلَالٌ، وَإِنْ لَمْ يُسَمَّ إِذَا لَمْ يَتَعَمَّدْ» أخرجه سعيد، ولحديث: «عُفِيَ لَأُمْتِي عَنِ الْخَطَا وَالنَّسْيَانِ»، والآية - أي: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، «وَإِنَّهُ لَفُسْقٌ» - محمولة على العمد جمعاً بين الأخبار. اهـ. وأيضاً فيه في كتاب الصيد الشرط «الرابع: قول بسم الله» لا من أخرس «عند إرسال جارحة» وعند (رَمَى) لنحو سهم أو مِعْرَاض أو نصب، نحو منجل؛ لأن الفعل الموجود من الصائد فاعتبرت التسمية عنده، (كما) تُعْتَبَر «في ذكاته» وتجزىء بغير عربية، ولو مَمَّنَّ يحسنها صححه في الإنصاف، «إلا أنها لا تسقط هنا» أي في الصيد «سهواً» لنصوصه الخاصة ولكثرة الذبيحة، فيكثر فيها السهو وأيضاً الذبيحة يقع فيها الذبح في محله، فجاز أن يتسامح فيه بخلاف الصيد. اهـ.

وفي كشف المحذرات ورياض المزهرات شرح أخضر المختصرات لمحمد بن بدر الدين بن عبد القادر بن بلبان الخزرجي القادري الحنبلي في فقه الحنبلي: «وتسقط» التسمية (سهواً) ولا تسقط ههنا جهلاً. اهـ.

سواء حلالاً بالعمومات المحلّة منها قوله: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي الْأَيَةِ. فقد عدل عن ظاهر اللفظ.

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ أي كافراً فهديناه لأن الإيمان حياة القلوب ﴿مَيِّتًا﴾ (مدني) ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ مستضيئاً به والمراد به اليقين ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ أي صفته ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي (خابط) فيها ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ لا يفارقها ولا يتخلص منها (وهو حال). قيل: المراد بهما

وأيضاً: «ولا تسقط» التسمية «معها» أي في الصيد «بحال» أي ولو سهواً بخلاف الزكاة. اهـ.

وفي هداية الراغب لشرح عمدة الطالب لنيل المآرب للإمام العلامة الشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي في فقه الحنبلي: «فإن تركها» أي التسمية عمداً أو جهلاً لم تبح الذبيحة، لما تقدّم، أي لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾، «ولا» تحرم إن تركها «سهواً»؛ لقوله ﷺ: «ذبيحة المسلم حلال، وإن لم يسم إذا لم يتعمد» رواه سعيد، وسقطت التسمية هنا بالسّهو بخلاف ما يأتي في الصيد، مع أن قياس الشرط أن لا يسقط به لكثرة وقوع الزكاة مع غلبة السّهو. اهـ.

وأيضاً فيها: والشرط الرابع (قول) صائد «بسم الله عند إرسال جارحة» أو إرسال سهم «فلا يسقط عمداً ولا سهواً» ولا جهلاً فيما يظهر، فلا يُباح ما لم يسم عليه مطلقاً؛ لمفهوم قوله ﷺ: «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل» متفق عليه. اهـ. فافهم، والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتم.

قوله: («ميتاً») بتشديد الياء مع الكسرة (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. والباقون بإسكانها. قوله: (خابط) الخبط كل سير على غير هدى، أو على غير جادة. اهـ تاج العروس. قوله: (وهو حال) من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل بينه وبين الحال بالخبر، والمعنى: هو كالذي صفة أنه مستقر في الظلمات حال كونه مقيماً فيها لا يفارقها بحال.

(حمزة) و(أبو جهل). والأصح أن الآية عامّة لكل من هداه الله ولكل من أضله الله، فبين أن مثل المهتدي مثل الميت الذي أحيي وجعل مستضيئاً يمشي في الناس بنور الحكمة والإيمان، ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات التي لا يتخلص منها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما زين للمؤمن إيمانه ﴿زَيْنَ لِلْكَافِرِينَ﴾ بتزيين الله تعالى كقوله: ﴿زَيْنًا لَهُمْ أَفْغَاهُمْ﴾ [النمل: الآية ٤] ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي أعمالهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُّجْرِمِينَ﴾ لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي وكما جعلنا في مكة (صناديدها) ليمكروا الناس فيها ﴿جَعَلْنَا﴾ صيرنا ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُّجْرِمِينَ﴾ لِيَمْكُرُوا فِيهَا لِيَتَجَبَرُوا عَلَى

قوله: (حمزة) بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ورَضِي عنه، يقال له: أسد الرحمن، وأسد رسول الله ﷺ، وعمّه وأخوه من الرضاعة، كنيته أبو عمارة كُنِيَ بابن له يقال له عمارة من امرأة من بني النجار، وقيل: كنيته أبو يعلى كني بابنه يعلى ولم يعقب حمزة، وأمّه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وهي بنت عمّ آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ، وهو شقيق صفية بنت عبد المطلب أمّ الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنهم، وكان حمزة أسنّ من رسول الله ﷺ بسنتين، وقيل: بأربع، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة. أسلم حمزة في السنة الثانية من مبعث رسول الله ﷺ، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا وبارز وأبلى فيها بلاءً عظيمًا، وقاتل بسيفين. قال أبو الحسن المدني: أول لواء عقده رسول الله ﷺ لحمزة بن عبد المطلب حين بعثه في سرية إلى سيف البحر - بكسر السين - من أرض جُهيّنة، وخالفه ابن إسحق، فقال: أول لواء عقده لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب. استشهد يوم أحد في نصف شوال من السنة الثالثة من الهجرة بعد أن قُتل أحد وثلاثين من الكفار، ودُفِن عند أحد في موضعه وقبره مشهور يُزار ويُتبرك به، وحزن عليه رسول الله ﷺ والصحابه رضي الله تعالى عنهم.

قوله: (أبو جهل) عدوّ الله فرعون هذه الأمة، اسمه عمرو بن هشام، قُتل يوم بدر كافرًا.

قوله: (صناديدها) أي أشرافها وعُظمائها، الواحد صِنْدِيد.

الناس فيها ويعملوا بالمعاصي. واللام على ظاهرها عند أهل السنة وليست بلام العاقبة، وخصّ الأكابر وهم الرؤساء لأن ما فيهم من الرياسة والسعة أدعى لهم إلى المكر والكفر من غيرهم، دليله ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: الآية ٢٧] ثم سلى رسوله ﷺ ووعد له النصرة بقوله: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لأن مكرهم يحيق بهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنه (يحيق) بهم ﴿أَكْبَرُ﴾ مفعول أول والثاني ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ و﴿مُجْرِمِيهَا﴾ بدل من ﴿أَكْبَرُ﴾ أو الأول ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ والثاني ﴿أَكْبَرُ﴾ والتقدير: مجرميها أكابر. ولما قال أبو جهل: (زاحمنا بني عبد مناف في الشرف) حتى إذا صرنا (كفرسي رهان) قالوا: منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى به إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، نزل:

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سِیُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٤)

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ أي الأكابر ﴿آيَةٌ﴾ معجزة أو آية من القرآن بالإيمان ﴿قَالُوا﴾ لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ أي نعطي من الآيات مثل ما أُعطي الأنبياء فأعلم الله تعالى أنه أعلم بمن يصلح للنبوّة فقال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ مكّي (وحفص) «رسالاته»: (غيرهما) ﴿حَيْثُ﴾ مفعول به والعامل

قوله: (يحيق) أي يحيط. قوله: (زاحمنا بني عبد مناف) يعني نافسناهم (في الشرف). قوله: (كفرسي رهان) هو مثل يضرب للتساوي، ولما كان فرسا الرهان لا يلزمهما التساوي؛ إذ قد يسبق أحدهما، فستره في النهاية بقوله: سابقان إلى غاية، وقال غيره: المراد التشبه باعتبار ابتداء الجري، والخروج للرهان، لا باعتبار الرهان. اهـ شهاب ﷺ. وقال العلامة ابن التمجيد: قوله: (كفرسي رهان) هو عبارة عن المساواة في الشرف، أي كفرسين يتسابقان في المضمار أيهما يسبق الآخر، فصاحبه يأخذ الرهان، والرهان ما يرهن به عند أمين يأخذه من سبق فرسه، فالمعنى حتى إذا صرنا معه مُتساويين في الشرف قالوا. الخ. اهـ.

قوله: ﴿رِسَالَتَهُ﴾ (بالأفراد مع نصب التاء مكّي) أي ابن كثير المكّي، (وحفص) عن عاصم رسالاته بالجمع مكسور التاء (غيرهما).

محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ من أكابرها ﴿صَغَارًا﴾ (ذل) و(هوان) ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ في القيامة ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الدارين من القتل والأسر وعذاب النار ﴿يَمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ في الدنيا.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٥)

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ يوسعه وينور قلبه. قال عليه السلام: «إذا دخل النور في القلب انشرح وانفتح» قيل: وما علامة ذلك؟ قال: «(الإنابة) إلى دار الخلود (والتجافي عن دار الغرور) والاستعداد للموت قبل نزول الموت» «وَمَنْ يُرِدْ» أي الله ﴿أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ ﴿ضَيِّقًا﴾ مكبي ﴿حَرَجًا﴾ «حرجًا» (صفة لـ ﴿ضَيِّقًا﴾ مدني وأبو بكر بالغًا في الضيق ﴿حَرَجًا﴾ غيرهما وصفًا بالمصدر) ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ كأنه كلف أن يصعد إلى السماء إذا دُعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه إذا ضاقت عليه الأرض، فطلب مصعدًا في السماء أو (كعازب) الرأي طائر القلب في الهواء «(يَصْعَدُ) مكبي (يَصَاعِدُ) أبو بكر وأصله يتصاعد الباقون (يَصْعَدُ) وأصله يتصعد ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ

قوله: (ذَلْ) الذَّلُّ ضد العَزَّ. قوله: (هَوَان) الهَوَان نقيض العِزِّ.

قوله: (الإنابة) إلى دار الخلود بمعنى الميل إلى ما يقرب من الجنة. قوله: (والتجافي) أي البُعد (عن دار الغرور) أي عن الدنيا. قوله: ﴿ضَيِّقًا﴾ بسكون الياء مخففًا (مكبي) أي ابن كثير المكي. والباقون بالكسر مشدداً. قوله: ﴿حَرَجًا﴾ بكسر الراء (صفة لـ ﴿ضَيِّقًا﴾، مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وأبو بكر) عن عاصم (بالغًا في الضيق) أي أضيق الضيق ﴿حَرَجًا﴾ بفتحها (غيرهما وصفًا بالمصدر) للمبالغة. قوله: (كعازب) أي كغائب، في مختار الصحاح: عَزَبَ بَعْدَ وَغَابَ وَبَاهَ دَخَلَ وَجَلَسَ. قوله: «(يَصْعَدُ)» بسكون الصاد وتخفيف العين مضارع صعد، أي ارتفع (مكبي) أي ابن كثير المكي «(يَصَاعِدُ)» بتشديد الصاد وبعدها ألف وتخفيف العين (أبو بكر) شعبة عن عاصم، (وأصله يتصاعد) أي يتعاطى الصعود ويتكلفه، فأدغم التاء في الصاد تخفيفًا (الباقون: ﴿يَصْعَدُ﴾) بفتح الصاد مشددة وتشديد العين دون ألف بينهما مضارع تصعد، أي تكلف الصعود، وأصله يتصعد فأدغم كما في قراءة شعبة.

اللَّهُ الرَّجْسُ ﴿العذاب في الآخرة واللعنة في الدنيا﴾ ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَالْآيَةُ حجة لنا على المعتزلة في إرادة المعاصي.

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَةَ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ﴾ أي طريقه الذي اقتضته الحكمة وسنته في شرح صدر مَنْ أراد هدايته وجعله ضيقاً لِمَنْ أراد ضلاله ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ عادلاً (مطرداً وهو حال مؤكدة) ﴿قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَةَ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ يتعظون ﴿لَهُمْ﴾ أي لقوم يذكرون ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ (دار الله) يعني الجنة أضافها إلى نفسه تعظيماً لها، أو دار السلامة من كل آفة و(كدر)، أو السلام التحية سميت دار السلام لقوله: ﴿يَحْيِيهِمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: الآية ١٠]. ﴿إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: الآية ٢٦] ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (في ضمانه) ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ محبتهم أو ناصرهم على أعدائهم ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

قوله: (مطرداً) إشارة إلى أن الاستقامة بمعنى الاطّراد والدوام. قوله: (وهو حال مؤكدة) أي ليست قيداً يتقيد بها عاملها، ويتبين بها هيئة تعلق العامل بذي الحال كالمنتقلة، بل هي أمر لازم لمضمون الجملة التي قبلها، فصار مضمون الحال كأنه عين مضمون الجملة المتقدمة مؤكّد له؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: الآية ٩١]، فإنّ التصديق لازم لحقيقة القرآن، وكذا الاستقامة فإنها لازمة للمشار إليه من صراط الله تعالى، فصارت كل واحدة منهما كأنها عين مضمون ما قبلها مؤكدة له، فجعلت مؤكدة له بهذا الاعتبار.

قوله: (دار الله) إشارة إلى أن السلام اسمه تعالى أضيف إليه للتشريف، أو بمعنى السلامة من المكاره، أو دار تحيتهم به، فيكون السلام بمعنى التسليم. قوله: (كدر) الكدر ضدّ الصفو. قوله: ﴿يَحْيِيهِمْ﴾ فيما بينهم ﴿فِيهَا سَلَامٌ﴾. قوله: ﴿إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا﴾ في سورة الواقعة ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي في الجنة ﴿لَقَوْلًا﴾ فاحشاً من الكلام ﴿وَلَا تَأْسِماً﴾ ما يؤثم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿قِيلاً﴾ قولاً ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾ بدل من قِيلاً، فإنهم يسمعون. قوله: (في ضمانه) كذا في تفسير الكشاف والبيضاوي. قال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قوله: في ضمانه، أي معنى العندية أنه تكفل بها تفضلاً بمقتضى وعده، فلا يرد عليه أنه تبع

بأعمالهم أو متوليتهم بجزاء ما كانوا يعملون أو هو ولينا في الدنيا بتوفيق الأعمال وفي العقبى بتحقيق الآمال.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾ (وبالياء حفص) أي واذكر يوم نحشرهم أو ويوم نحشرهم قلنا ﴿يَمْعَشَرُ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ﴾ أضللتهم منهم كثيرًا وجعلتهم أتباعكم كما تقول استكثر الأمير من الجنود ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنسِ﴾ الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوستهم ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أي انتفع الإنس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل إليها، وانتفع الجن بالإنس حيث أطاعوهم و(ساعدوهم) على مرادهم في إغوائهم ﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا﴾ يعنون يوم البعث (وهذا الكلام اعتراف) بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى، والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ (منزلكم) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال والعامل معنى الإضافة كقوله تعالى: ﴿أَنْتَ دَايِرٌ هَهُؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحِينَ﴾ [الحجر: الآية ٦٦] ف ﴿مُصْحِحِينَ﴾ حال من هؤلاء والعامل في الحال معنى الإضافة إذ معناه الممازجة والمضامة والمثوى ليس بعامل لأن المكان لا يعمل في شيء ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي يخلدون في عذاب النار الأبد كله إلا ما شاء الله إلا الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب

الزمر مخشري فيه، وهو على مذهبه في الوجوب على الله. اهـ. وقال العلامة القنوي: قوله: (في ضمانه) أي أنه تعالى وعده، فكأنه في ضمانه وكفالاته بمقتضى وعده، فلا يلزم الوجوب هذا لازم لمعنى عنده، فهو مجاز مُرْسَل.

قوله: (وبالياء) التحتية (حفص). والباقون بالنون. قوله: (ساعدوهم) المساعدة المعاونة. قوله: (وهذا الكلام اعتراف) . . . الخ. يعني قوله: ربنا استمتع بعضنا إلى هنا، وإنما جعله للتحسر لعدم فائدة الخبر ولازمها، وهو ظاهر قوله: (منزلكم)، يعني: مثوى اسم مكان بمعنى مكان الإقامة. واسم المكان لما لم يعمل عمل الفعل لكونه ليس فيه معنى الفعل جعل ناصب الحال معنى الإضافة.

السعير إلى عذاب (الزمهرير) ﴿إِنَّ رَبَّكَ (حَكِيمٌ)﴾ فيما يفعل بأوليائه وأعدائه ﴿عَلِيمٌ﴾ بأعمالهم فيجزى كلّا على وفق عمله.

﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَصَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١٢٩﴾ يَمَعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُذَرِّوْنَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ لَحِيظَةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ ﴿١٣٠﴾

﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَصَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ نُبِع بعضهم بعضًا في النار، أو نسلط بعضهم على بعض أو نجعل بعضهم أولياء بعض ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي، ثم يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ ﴿يَمَعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ عن (الضحاك): بعث إلى الجن رسلاً منهم كما بعث إلى الإنس رسلاً منهم لأنهم بهم آنس (وعليه ظاهر النص)، وقال آخرون: الرسل من الإنس خاصة وإنما قيل: ﴿رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ لأنه لما جمع الثقلين في الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما (كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ أَلْوَلُوْا

قوله: (الزَّمْهَرِير) شدة البرد. قوله: ﴿(حَكِيمٌ)﴾ فيما يفعل بأوليائه وأعدائه؛ كإكرام المتذكرين بالآيات بدار السلام، وكونه ولياً لهم بالحراسة والتصرة والمعونة وتخليد أولياء الشياطين في النار.

قوله: (الضحاك) بن مزاحم أبو محمد والقاسم الهلالي الخراساني صاحب التفسير، ذكر أنه كان فقيه مكتب عظيم فيه ثلاثة آلاف صبي، وكان يركب حماراً ويدور عليهم إذا عَيِي. اهـ دستور الأعلام. وفي التقريب: الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني، صدوق كثير الإرسال من الخامسة، مات بعد المائة. اهـ رحمه الله.

قوله: (وعليه ظاهر النص) أي ظاهر الآية يدل على ذلك؛ لأنه تعالى قال: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾، فخطب الفريقين جميعاً. وأجيب عن ذلك بأن الله تعالى قال: ﴿يَمَعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾، وهذا يقتضي كون الرسل بعضاً من أبعاض هذا المجموع، وإذا كان الرسل من الإنس كان الرسل بعضاً من أبعاض هذا المجموع، وكان هذا القول أولى من حمل لفظ الآية على ظاهرها، فثبت بذلك كون الرسل من الإنس لا من الجن. قوله: (كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾)

وَالْمَرْجَاتِ ﴿٢٢﴾ [الرحمن: الآية ٢٢] أو رسلهم رسل نبينا (كقوله: ﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾) [الأحقاف: الآية ٢٩] ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ يقرءون كتبتي ﴿وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ يعني يوم القيامة ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ بوجوب الحجة علينا وتبليغ الرسل إلينا ﴿وَعَرَّضْنَاهُمْ لِحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ﴾ بالرسول.

﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل إليهم وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك ﴿أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ تعليل أي الأمر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن «أَنْ» مصدرية، ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة، والمعنى (لأن الشأن) والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه (أو ظالماً)، على أنه لو أهلكهم وهم غافلون

أي من العذب والمالح اللؤلؤ والمرجان، مع أن اللؤلؤ والمرجان إنما يخرجان من المالح دون العذب، وإنما جاز ذلك لأن ذكرهما قد جمع في قوله: ﴿مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الفرقان: الآية ٥٣]، وهو جائز في كل ما اتفق في أصله؛ فلذلك لما اتفق ذكر الجن مع الإنس جاز مخاطبتهما بما ينصرف إلى أحد الفريقين وهم الإنس، وهذا قول الفراء والزجاج ومذهب جمهور أهل العلم. قال الواحدي: وعليه دل كلام ابن عباس؛ لأنه قال: يريد أنبياء من جنسهم، ولم يكن من جنس الجن أنبياء. قوله: (كقوله: ﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾) في تفسير الجلالين في سورة الأحقاف: (﴿وَإِذْ صَرَفْنَا﴾) أملنا (﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾) جن نصيبين باليمن أو جن نينوى، وكانوا سبعة أو تسعة، وكان ﷺ بيطن نخلة يصلي بأصحابه الفجر، رواه الشيخان (﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا﴾) أي قال بعضهم لبعض (﴿أَنْصِتُوا﴾) اصغوا لاستماعه، (﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾) فرغ من قراءته (﴿وَلَوْ﴾) رجعوا (﴿إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾) مخوفين قومهم بالعذاب إن لم يؤمنوا، وكانوا يهوداً.

قوله: (لأن الشأن) إشارة إلى أن اسمها حينئذ ضمير شأن مقدر. قوله: (أو ظالماً) يعني أن الباء للملابسة، ﴿وبظلم﴾ حال من ربك، أي ملتبساً بظلم.

لم يُنْهَوْا برسول وكتاب لكان ظالمًا وهو متعال عنه ﴿وَلِكُلِّ﴾ من المكلفين ﴿دَرَجَتٍ﴾ منازل ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ من جزاء أعمالهم، (وبه استدلال أبو يوسف ومحمد) رحمهما الله (على أن للجن الثواب بالطاعة لأنه ذكر عقيب ذكر الثقلين) ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَفْعَلُونَ﴾ بساه عنه (وبالتاء شامي).

قوله: (منازل) على ما يعم الدرجات والدركات تغليبًا أو نظرًا إلى أصل الوضع.

قوله: (وبه استدلال أبو يوسف) هو الإمام يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، صاحب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما، مات ببغداد سنة إحدى اثنين وثمانين ومائة. (ومحمد) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني صاحب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما، مات بالري سنة تسع وثمانين ومائة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة رضي الله تعالى عنهما. (على أن للجن الثواب بالطاعة، لأنه ذكر عقيب ذكر الثقلين) في تأويلات الإمام أبي منصور الماتريدي رحمه الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ استدلال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى بهذه الآية على أن للجن الثواب، وبهذه الآية وعليهم العقاب بالمعاصي كالإنس منعًا على أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، فإنه يقول: ليس للجن ثواب بالطاعات، ولكن عليهم العقاب بالمعاصي، وقالوا: لأن الله تعالى قال: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ أخبر أن لكل ما سبق ذكره درجات في أعمالهم، وإنما سبق ذكر الفريقين جميعًا، الإنس والجن بقوله تعالى: ﴿شَيطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [الأنعام: الآية ١١٢]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنُّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٨]، وقال: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٠]، هذا ذكر ما كان من الفريقين جميعًا من الكفر والعصيان، ثم ذكر فيهم ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٥] الآية. وإذا كان ما سبق من الوعد والوعيد للفريقين جميعًا، ولهم صرح الخطاب بالأمر والنهي؛ فعلى ذلك قوله: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ رجع إلى الفريقين منهم جميعًا إن عملوا خيرًا فخير، وإن عملوا شرًا فشر؛ إلا أن أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه قال: إن قوله: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ إنما ذكر على إثر آيات كان الخطاب بها للكفرة دون المؤمنين؛ لأنه قال: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ﴾

الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ﴿[الأنعام: الآية ١٢٨]، وقوله: ﴿يَمَعَشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٠] دلّ هذا أن الخطاب بهذه الآيات للكفرة؛ فعلى ذلك قوله: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ هذا الوعد لهم خاصة، ويكون قوله: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي درجات ومراتب من العذاب والعقاب مما عملوا من المعاصي والتكذيب للرسل عليهم السلام والشرك في التوحيد، والله أعلم. ولأن الثواب في روحه فضل وتفضيل منه، والعذاب مما تُوجبه الحكمة؛ لأن في الحكمة أن يلزم العذاب والعقوبة لمن عصى الله تعالى وخالف أمره على الطاعات، وذلك بالاعتقاد لما به يصير من الأعداء والعفو عن الأعداء، ليس بحكمة بخلاف، والخلاف من حيث الفعل مع قيام الإيمان على ما عُرف. فأما الثواب، فوجوبه بطريق الفضل؛ لأنه كان من الله إلى الخلق من النعم والفضائل والإحسان ما لو اجتهدوا كل جهدهم ما قدروا على أن يؤدّوا شكر واحد منها، فيكون طاعتهم شكرًا لما أنعم عليه، وإذا كان كذلك لم يجعل لأعمالهم ثوابًا إلا بالبيان من الله عز وجل، كما لا يقال للملائكة: إن لهم بمقابلة طاعتهم لما أن الله تعالى لم يجعل لهم ذلك، والله أعلم.

والدليل على ما ذهب إليه أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ما ذكر خبرًا عن الجنّ بقوله: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن: الآية ١٤]، فذكر القاسطين الظالمين للعقوبة بقوله: ﴿فَكَانُوا لِيَجْهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: الآية ١٥]، وقال في حق المسلمين: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن: الآية ١٤] ولم يذكر الثواب، وقال خبرًا عنهم: ﴿يَقُومُونَ أَعْيُنًا دَاعِي اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزَّكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: الآية ٣١]، ولم يذكر الثواب في الجنة، والله أعلم. وقال بعض الناس: إنما قال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه أن لا ثواب للجنّ من جنس ثواب المؤمنين؛ لأن جنس عملهم من غير جنس عمل البشر، فكذا ثوابهم من جنس طاعتهم، وثواب المؤمنين من جنس طاعتهم، فأما أن يقول: لا ثواب لطاعتهم أصلًا، فلا، والله أعلم. اهـ بحروفها. قوله: (وبالتاء) على تغليب الخطاب على الغيبة لدخول المخاطبين في قوله:

﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ إِنَّ يَشَاءُ يَذْهَبَكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ (١٣٣) إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾

﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ﴾ عن عباده وعن عبادتهم ﴿ذُو الرِّحْمَةِ﴾ عليهم بالتكليف ليعرّضهم للمنافع الدائمة ﴿إِنْ يَشَاءُ يَذْهَبَكُمْ﴾ (أيها الظلمة) ﴿وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ من الخلق المطيع ﴿وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ﴾ من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح ﷺ ﴿إِنَّمَا﴾ ما بمعنى الذي ﴿تُوعَدُونَ﴾ من البعث والحساب والثواب والعقاب ﴿لَآتٍ﴾ خبر ﴿إِنْ﴾ أي لكائن ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين رد لقولهم مَنْ مات فقد فات (المكانة) تكون مصدرًا يقال (مَكَّنَ) مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن، وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله:

﴿قُلْ يَفْقَهُوا أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَنَقَبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (١٣٤)

﴿قُلْ يَفْقَهُوا أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ﴾ يحتمل (اعملوا على تمكنكم) من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم، (واعملوا على جهتكم) وحالكم التي أنتم عليها، ويقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حاله: (على مكانتك يا فلان أي اثبت على ما أنت عليه) ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على مكانتي التي أنا عليها أي اثبتوا على كفركم

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَتٌ﴾ (شامي) أي ابن عامر الشامي، وقرأ العامة بياء الغيبة بناءً على قوله: ﴿وَلِكُلٍّ﴾.

قوله: (أيها الظلمة) خصهم لأن التخويف يناسبهم، ومنهم من قدره أيها الناس، وله وجه. قوله: (المكانة) تكون مصدرًا بمعنى التمكن وهو القوة والافتدار. قوله: (مَكَّنَ) بالضم.

قوله: (اعملوا على تمكنكم) بأن تكون المكانة على حقيقة معناها المصدري، أو (اعملوا على جهتكم) تكون مجازًا عن التي بمعنى المكان. قوله: (على مكانتك يا فلان، أي اثبت على ما أنت عليه) لا تنحرف عنه، فهو اسم فعل

وعداوتكم لي فإني ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم وهو أمر تهديد ووعيد، دليل قوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عِقَبَةُ الذَّارِ﴾ أي فسوف تعلمون أينما تكون له العاقبة المحموده، وهذا طريق لطيف في الإنذار ﴿إِنَّكُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ أي الكافرون («مكاناتكم» حيث كان: أبو بكر («يكون») حمزة وعلي). وموضع ﴿مَنْ﴾ رفع (إذا كان بمعنى «أي») وعلق عنه فعل العلم، أو نصب إذا كان بمعنى الذي.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ أي وللأصنام نصيباً فاكتفى بدلالة قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ («بزعمهم» علي). وكذا ما بعده أي زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي لا يصل إلى الوجوه التي كانوا يصرفونه إليها من قرى (الضيغان) والتصدق على المساكين ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾ من إنفاقهم عليها والإجراء على

بمعنى الأمر. قوله: (مكاناتكم) بالألف على الجمع ليُطابق المضاف إليه، وهو ضمير الجماعة، ولكل واحد مكانة (حيث كان)، وهو هنا وهود معاً ويس والزمر (أبو بكر) شعبة عن عاصم، والباقون بالإفراد على إرادة الجنس. قوله: (يكون) بالذكير (حمزة وعلي) الكسائي. والباقون بالتأنيث، وهما ظاهران؛ إذ التأنيث غير حقيقي. قوله: (إذا كان بمعنى أي) يعني إذا كان من استفهامية، فهو مبتدأ خبره يكون، وهما مفعولان علق عنهما فعل العلم بالاستفهام، وإذا كانت موصولة فهو مفعول يعلمون على أنه متعد إلى مفعول واحد، لكونه بمعنى يعرفون.

قوله: (بزعمهم) بضم الزاي (علي) الكسائي، وكذا ما بعده لغة بني أسد. والباقون بفتحها في الموضعين لغة أهل الحجاز، فقليل: هما بمعنى، وقيل: المفتوح مصدر والمضموم اسم. قوله: (الضيغان) في مختار الصحاح: الضيف واحد وجمع، وقد يُجمع على أضياف والضيوف والضيغان، والمرأة ضيف

(سدنتها). رُوي أنهم كانوا يعينون أشياء من حرث (ونتاج) لله وأشياء منهما لآلهتهم، فإذا رأوا ما جعلوا لله زاكياً نامياً رجعوا فجعلوه للأصنام، وإذا زكا ما جعلوه للأصنام تركوه لها وقالوا: إن الله غني، وإنما ذاك لحبهم آلهتهم وإيثارهم لها. وفي قوله: ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ إشارة إلى أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكي لأنه هو الذي ذراه. ثم ذم صنيعهم بقوله: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ في إيثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم. وموضع «ما» رفع أي ساء الحكم حكمهم أو نصب أي ساء حكماً حكمهم.

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُزِدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ﴾ (١٣٧)

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي كما زين لهم تجزئة المال زين (وَأد) البنات ﴿قَتَلَ﴾ مفعول زين ﴿أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ هو فاعل زين، ﴿زَيْنَ﴾ بالضم «قتل» بالرفع ﴿أَوْلَادِهِمْ﴾ بالنصب «شركائهم» بالجر: شامي على إضافة القتل إلى الشركاء) أي الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول

وضيفة. اهـ. قوله: (سَدَنَتَهَا) السَدَنَةُ - بالسین المهملة - جمع سادن، وهو خادم الصنم. قوله: (وِنَتَاج) في المصباح: النَّتَاج - بالكسر - اسم يشمل وضع البهائم من الغنم وغيرها. اهـ.

قوله: (وَأَد) أي قتل. اهـ شهاب رحمه الله. والوَأَد دفن الابنة في القبر وهي حية، يقال: وَأَد ابنته يَأْدُهَا وَأَدَا إذا دفنها في القبر وهي حية. اهـ شيخ زاده رحمه الله. قوله: ﴿زَيْنَ﴾ بالضم) أي بضم الزاي وكسر الياء بالبناء للمفعول. قوله: «قتل» بالرفع) أي برفع اللام على التياية عن الفاعل ﴿أَوْلَادِهِمْ﴾ بالنصب) على المفعول بالمصدر (شركائهم بالجر شامي) أي ابن عامر الشامي (على إضافة القتل إلى الشركاء) فاعلاً، وهي قراءة متواترة صحيحة وقارئها ابن عامر أعلى القراء السبعة سنداً وأقدمهم هجرة، من كبار التابعين الذين أخذوا عن الصحابة؛ كعثمان بن عفان وأبي الدرداء ومعاوية وفضالة بن عبيد، وهو مع ذلك عربي صريح من صميم العرب وكلامه حجة وقوله دليل؛ لأنه كان قبل أن يوجد اللحن، فكيف وقد قرأ بما تلقى وتلقن وسمع ورأى؛ إذ هي كذلك في

وتقديره: زَيْنَ لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم ﴿لِيُرَدُّوهُمْ﴾ ليهلكوهم بالإغواء.

المصحف الشامي. وقال بعض الحفاظ: إنه كان في حلقة بدمشق أربعمئة عريف يقومون عليه بالقراءة، قال: ولم يبلغنا عن أحد من السلف أنه أنكر شيئاً على ابن عامر من قراءته ولا طعن فيها، وحاصل كلام الطاعنين كالزمرخشي أنه لا يفصل بين المتضايين إلا بالظرف في الشعر، لأنهما كالكلمة الواحدة أو أشبهها الجار والمجرور، ولا يفصل بين حروف الكلمة ولا بين الجار ومجروره، انتهى. وهو كلام غير معول عليه، وإن صدر عن أئمة أكابر لأنه طعن في المتواتر، وقد انتصر لهذه القراءة مَنْ يُقابِلهم، وأوردوا من لسان العرب ما يشهد لصحتها نثراً ونظماً، بل نقل بعض الأئمة الفصل بالجملة فضلاً عن المفرد في قولهم: غلام إن شاء الله أخيك، وقُرئ شاذاً مخلف وعده رسله بنصب وعده وخفض رسله، وصحّ قوله ﷺ: «فهل أنتم تاركوا لي صاحبي»، ففصل بالجار والمجرور. وقال في التسهيل: ويفصل في السَّعة بالقسم مطلقاً وبالمفعول إن كان المضاف مصدرًا نحو: أعجبني دق الثوب القصار. وقال صاحب المغرب: يجوز فصل المصدر المضاف إلى فاعله بمفعوله لتقدير التأخير. وأمّا في الشعر، فكثير بالظرف وغيره، منها قوله:

فسقناهم سوق البغال الأداجل

وقوله:

سقاها الحجي سقي الرياض السَّحائب

وقوله:

لله درّ السيوم من لامها

وقوله:

فزججتها بمزجة زجّ القلوص أبي مزادة

وقد علم بذلك خطأ مَنْ قال: إن ذلك قبيح أو خطأ أو نحوه. وأمّا مَنْ زعم أنه لم يقع في الكلام المنشور مثله، فلا يعول عليه لأنه ناف، ومَنْ أسند هذه

القراءة مثبت وهو مقدّم على النفي اتفاقاً، ولو نقل إلى هذا الزاعم عن بعض العرب ولو أمة أو راعياً أنه استعمله في الثّر لرجع إليه، فكيف وفيمن أثبت تابع عن الصحابة عن مَنْ لا ينطق عن الهوى ﷺ، فقد بطل قولهم وثبت قراءته سالمة عن المعارض، والله الحمد. وقرأ الباقر: ﴿زَيْتٌ﴾ بفتح الزاي والياء مبنياً للفاعل ونصب قتل به أولادهم بالخفض على الإضافة شركاؤهم بالرفع على الفاعلية بزین، وهي واضحة، أي زين لكثير من المشركين شركاؤهم أن قتلوا أولادهم بنحرهم لآلئهم، أو بالوَاد خوف العار والعيلة. اهـ إتحاف. وفي حاشية تفسير البضاوي للعلامة شيخ زاده رحمة الله عليهما: قرأ العامة ﴿زَيْتٌ﴾ مبنياً للفاعل وينصب قتل على أنه مفعول وجرّ أولادهم بالإضافة ورفع شركائهم على أنه فاعل زين، وهي قراءة واضحة المعنى والتركيب. وقرأ ابن عامر: ﴿زَيْتٌ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٧] على بناء المفعول، ورفع قتل على أنه مفعول ما لم يسم فاعله، ونصب أولادهم على أنه مفعول المصدر وجرّ شركائهم على إضافة المصدر إليه، وهذه القراءة صحيحة متواترة لا يصح أن يطعن فيها؛ لأن ابن عامر أعلى القراء السبعة سنداً وأقدمهم هجرة أما علوّ سنده، فإنه قرأ على أبي الدرداء ووائلته بن الأسقع وفُضالة بن عبيد ومعاوية بن أبي سفيان والمغيرة المخزومي، ورُوِيَ أنه قرأ على عثمان نفسه، وناهيك به. وأما قدم هجرته، فإنه وُلِدَ في حياة رسول الله ﷺ، وابن هشام بن عمار أحد شيوخ البخاري أخذ عن أصحاب أصحابه وفُضائله كثيرة، وإنما ذكرنا هذا تنبيهاً على خطأ من ردّ قراءته ونسبه إلى اللحن واتباع مجرد الرسوم فقط، قائلاً: إنّ التقدير حينئذ زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم، لكنه فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به وهو الأولاد، فإنه مفعول المصدر. قال أبو علي الفارسي: وهو قبيح قليل في الاستعمال، ولكنه قد جاء في الشعر كما أنشده أبو الحسن الأخفش:

فرزجتها بمزجة زج القلوص أبي مزادة

أي زج أبي مزادة القلوص، الزج: الطعن، والمزجة - بكسر الميم - الرمح القصير، وأبي مزادة كنية رجل، والقلوص الشاة من النوق، وأضيف القتل في هذه القراءة إلى الشركاء، وإن لم يتولوا ذلك؛ لأنهم هم الذين زينوا ذلك ودعوا إليه،

فكأنهم فعلوا ذلك. اهـ. وعبارة البيضاوي: وقرأ ابن عامر ﴿زَيْتٌ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٧] على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الأولاد، وجرّ الشركاء بإضافة القتل إليه مفضولاً بينهما بمفعوله، وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر؛ كقوله:

فزججتها بمزجة زجّ القلوص أبي مزادة

اهـ. بحروفها. وعبارة الكشف: وأما قراءة ابن عامر قتل أولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الأولاد وجرّ الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف، فشيء لو كان في مكان الضروريات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً كما سُمج ورُدّع زجّ القلوص أبي مزادة، فكيف به في الكلام المنشور؟ فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته، والذي يحمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء، ولو قرأ بجرّ الأولاد والشركاء؛ لأن الأولاد شركائهم في أموالهم، لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب. اهـ بحروفها. قال العلامة شيخ زاده رحمته الله: قوله: وهو ضعيف في العربية إشارة إلى أن الفصل بالمفعول ليس بضعيف في نفسه، بل هو حسن، ويدلّ على حسنه ورود القرآن عليه، والطريق إثبات حسن التراكيب بوقوعها في القرآن، لا إثبات حسن ما وقع فيه بوقوعه في غيره. قال الكرمانى: قراءة ابن عامر وإن ضعفت في العربية للفصل بين المضاف والمضاف إليه، فقوّة في الرواية عالية، انتهى. وذهب صاحب المفتاح إلى تطبيق هذه القراءة بقاعدة أهل العربية بأن حمل الكلام على حذف المضاف إليه من الأوّل وإضمار المضاف في الثاني والتقدير قتلهم أولادهم قتل شركائهم، والثاني بدل من الأوّل بناء على أن تخطئة الثقات والفصحاء أبعد من ذلك، قال صاحب الانتصاف طاعناً في صاحب الكشف: لقد ركب المصنّف في هذا الفصل عمياء وتاه في تيهاء وأنا أبرأ إلى الله تعالى وأبرئى حملة كتابه وحفظة كلامه مما رماهم به، فإنه تخيل أنّ القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كلّ منهم حرفاً قرأ به اجتهداً لا نقلاً ولا سماعاً، فلذلك غلط ابن عامر في قراءة هذه وأخذ يبيّن وجه الغلط بأنه اعتمد في ذلك على رسم مصحف الشام الذي أرسله عثمان رضي الله تعالى عنه إليه حيث رسم شركائهم فيه بالياء، فاستدلّ بذلك على

أنه مجرور وتعيّن عنده نصب أولادهم بالقياس؛ إذ لا يُضاف المصدر إلى أمرين معًا؛ فقرأه منصوبًا لذلك.

وقوله: المصنّف يريد به صاحب الكشف، وكانت له مندوحة عن نصبه إلى جزئه بالإضافة وإبدال الشركاء منه، وكان ذلك أولى مما ارتكبه، يعني ابن عامر من الفصل بين المضاف والمضاف إليه الذي لا يسمع في الشعر فضلًا عن النثر فضلًا عن الكلام المعجّز، وهذا كلّه كما ترى ظنّ من الزمخشري أنّ ابن عامر قرأ قراءته هذه رأيًا منه، وكان الصواب خلافه، ولم يعلم الزمخشري أنّ هذه القراءة بنصب الأولاد والفصل بين المضاف والمضاف إليه مما نعلم ضرورة أنّ النبي ﷺ قرأها على جبريل كما أنزلها إليه كذلك، ثم تلاها النبي ﷺ على عدد التواتر من الأمة، ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها، ويقرؤون بها خلفًا عن سلف إلى أن انتهت إلى ابن عامر، فقرأها أيضًا كما سمعها، وهذا معتقد أهل الحقّ في جميع الوجوه السبعة أنها متواترة جملةً وتفصيلًا عن أفصح من نطق بالضاد، أي عن أفصح العرب، فإنّ النطق بحرف الضاد مختصّ بلغة العرب، فإذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشري، ولا بقول أمثاله ممّن لحن ابن عامر، ثم قال: قراءة ابن عامر هذه لا تخالف القياس النحويّ؛ وذلك لأنّ الفصل بين المضاف والمضاف إليه وإن كان عسيرًا إلا أن المصدر إذا أُضيف إلى معموله فهو مقدّر بأنّ مع الفعل وبهذا التقدير عمل، فإضافته إلى معموله وإن كانت محضة لكنها تشبه غير المَحضة، حتى قال بعض النحاة: إنّ إضافته ليست محضة لذلك. فالحاصل أنّ اتّصاله بالمضاف إليه ليس كاتّصال غيره، وقد جاء الفصل بين المضاف غير المصدر وبين المضاف إليه بالظرف؛ كما في قول الشاعر:

لله درّ اليوم مَنْ لامها

يريد: لله درّ مَنْ لامها اليوم، وقوله:

لأنت معتاد في الهيجا مصابرة

يريد: لأنت معتاد مصابرة في الهيجا، وهي الحرب. وهذه الأمثلة والشواهد ليست من كلام صاحب الانتصاف، وإنما أدرجتها أنا في أثناء كلامه لتوضيح

المقام، وقد جاء الفصل بينهما في قوله:

هما أخوا في الحرب مَنْ لا أخا له إذا خاف يومًا نبوة فدعاهما
يريد هما أخوا مَنْ لا أخا له في الحرب، وقد جاء الفصل بينهما بغير الظرف
أيضًا على قلة؛ كالفصل بالداء في قوله:

وفاق كعب بجير متقد لك من تعجيل مهلكة والخلد في سقر
يريد: وفاق بجير يا كعب. وقول الآخر:

إذا ما أبا حفص أتاكَ رأيتها على شعر كل الناس يعلو قصيدها
يريد: إذا ما أتاكَ يا أبا حفص، وقد جاء الفصل بينهما بالنعته أيضًا؛ كقول
معاوية يخاطب به عمرو بن العاص:

نجوت وقد بلّ المرادي سيفه من ابن أبي شيخ الأباطح طالب
يريد: من ابن أبي طالب شيخ الأباطح، فشيخ الأباطح نعت لأبي طالب
فصل به بين أبي وبين طالب. وقول الآخر:

ولئن حلفت على يديك لأحلفنّ بيمين أصدق من يمينك مقسم

يريد: لأحلفنّ بيمين مقسم أصدق من يمينك فأصدق نعت لقوله: بيمين،
فصل به بين يمين وبين مقسم، وبالجمله إذا جاء الفصل بين المضاف غير المصدر
وبين المضاف إليه، فلا أقلّ من أن يتميّز المصدر عن غيره لما بيّناه من انفكاكه في
التقدير وعدم توغّله في الاتصال بأن يفصل بينه وبين المضاف إليه بما ليس أجنبًا
عنه، فكأنه ذكر إن مع الفعل ثم قدّم المفعول على الفاعل، وقال أبو شامة في
شرح الشاطبية: ولا بعد فيما استبعده أهل النحو من جهة المعنى، وذلك أنه قد
عهد تقدّم المفعول على الفاعل المرفوع لفظًا، فاستمرت له هذه المرتبة مع الفاعل
المرفوع تقديرًا، فإنّ المصدر لو كان متونًا لجاز تقديم المفعول على فاعله، نحو:
أعجبني ضرب عمرًا زيد، فكذا في الإضافة، ثم قال: وقد ثبت جواز الفصل بين
حرف الجرّ ومجروره مع أن شدة الاتصال بينهما أكثر من شدّته بين المضاف

والمضاف إليه؛ كقوله: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَقُهُمْ﴾ [النساء: الآية ١٥٥]، ﴿فِيمَا رَحِمُوا﴾ [آل عمران: الآية ١٥٩] فصل بكلمة ما بين الباء الجارة ومجرورها، ولا التفات إلى قول مَنْ زَعَمَ أنه لم يأت في الكلام المشور مثله؛ لأنه ناف، وَمَنْ أسند هذه القراءة مثبت، والإثبات مرجح على النفي بالإجماع، ولو نقل إلى بعض الزاعم عن بعض العرب أنه استعمله في النثر لرجع إليه، فما باله لا يكتفي بناقل القراءة عن التابعين عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين. اهـ بحروفه.

وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قوله: وهو ضعيف في العربية تبع الزمخشري وهو من سقطاته وسوء أدبه على الله الذي يخشى منه الكفر، كما قاله في الانتصاف القراءات السبعة لا بدّ فيها من نقل صحيح أو متواتر فيما عدا الأداء على المشهور، وأي مسلم يقدم على أن يقرأ كلام الله برأيه ويتبع رسم المصحف من غير سماع خصوصاً هؤلاء الأئمة الأعلام الواقفين على دقائق الكلام، وهو يظنّ أنّ القرآن يقرأ بالرأي، كما ذهب إليه بعض الجهلة، مع أنه ليس بصحيح؛ لأنهم فرّقوا بين المضاف الذي يعمل وغيره، فإنّ الثاني يفصل فيه بالظرف والأول إذا كان مصدرًا ونحوه يفصل بمعموله مطلقًا؛ لأن إضافته في نيته الانفصال ومعموله مؤخر رتبة ففصله كلًّا فصل، فإن أساغ فيه ولم يخصّ بالشعر كغيره كما صرح به ابن مالك، وخطأ الزمخشري لعدم فرقه بينهما وظنّه أنه ضرورة مطلقًا. وأمّا ادّعاء حذف المضاف إليه من الأول، والمضاف من الثاني كما ذهب إليه السكاكي، فتكلّف نحن في غنى عنه، وكلام الله أحقّ أن تجرى عليه القواعد وترجع إليه، إلّا أن يرجع إلى غيره، والعجب ممّن أثبت تلك القواعد برواية واحد عن جاهلي من العرب، فإذا جاء إلى النظم توقّف في الإثبات به، ولابن الفاصح في كتاب الطرق هنا كلام نفيس، وهو أنه ذكر أن حمزة رحمه الله رأى ربّ العزة مرتين، قال: يا حمزة اقرأ كلامي، فقرأ فقال له: على مَنْ قرأت؟ قال: على فلان، قال: صدق هو كلامي، إلى أن قال: قرأ جبريل عليه الصلاة والسلام، قال: صدق قرأ كلامي، فلمّا انتهى إلى الله قال له: مَنْ قرأ؟ سكت تأذّبًا قال له: قل أنت، وقصّ القصّة قال: ومنها علم أنّ مَنْ كذب أحدًا من القرّاء فقد كذب الله، فنعوذ بالله ونسأله أن ينفعنا

بكلامه وببركة نقلته، ونحن نحمد الله لا نشك في ذلك، وقد شاهدناه رأي العين. اهـ بحروفه.

وقال العلامة التفتازاني في حاشية الكشف: قوله: والذي حمله هذا عُذر أشد من الجرم، حيث طعن في إسناد القراء السبعة وروايتهم وزعم أنهم إنما يقرؤون من عند أنفسهم، وهذه عادة المصنف يطعن في تواتر القراءات السبع، وينسب الخطأ تارة إليهم، كما في هذا الموضع، وتارة إلى الرواة عنهم، وكلاهما خطأ؛ لأن القراءات متواترة، وكذا الروايات عنهم، وهي مما يستشهد بها لا لها، فإذا قد وقع الفضل فيها بغير الظرف ينبغي أن يحكم بالجواز. اهـ. قال العلامة ابن التمجيد رحمته الله: قال شراح الكشف: إن ابن عامر أحد القراء السبعة وقراءته منقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلاً متواتراً مقبولة عند علماء الذين لم ينكر عليه أحد إلى هذه الغاية، وقد طعن فيها صاحب الكشف، فقالوا: لا نسلم أن المضاف والمضاف إليه بغير الظرف في غير مقام الضرورة قبيح، بل حسن، وورود القرآن عليه يدل على ذلك، والطريق إثبات غير القرآن به، لا إثباته بغير القرآن. اهـ. وقال العلامة القنوي في حاشية تفسير البيضاوي: قوله: (وهو) أي الفصل بمفعول (ضعيف في العربية) وإن كان صحيحاً فصيحاً، لكن عدم الفصل به أفصح، ولا كلام في أبلغية بعض القراءات السبعة بالنسبة إلى بعض آخر، فلا يرد ما أورده المحقق التفتازاني رحمته الله على العلامة الزمخشري. اهـ بحروفه. فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

وفي الجمالين للجلالين للعلامة علي القاري رحمته الله: قوله: لا يضر، أي هذا الفصل، بل الفصل بينهما يدل على أن هذا الفصل جائز والمطعون من طعن فيه؛ كالزمخشري، وهذا غاية من الطعن في إسناده قراءة السبعة بزعمه أنهم يقرأون من عند أنفسهم، ونعم ما قال التفتازاني: هي مما يستشهد بها لا بها، والعجب من البيضاوي أنه تبع الزمخشري وضعفه هذا. وفي التسهيل: إن كان المضاف مصدراً جاز أن يضاف نظماً ونثراً إلى فاعله مفعولاً بمفعوله. اهـ بحروفه. وفي غيث النفع في القراءات السبع للعلامة علي النوري الصفاقسي: ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤَهُمْ﴾، قرأ الشامي بضم لام زاي «زَيْن» وكسر يائه ورفع لام قتل ونصب دال أولادهم وخفض بهمزة شركائهم، والباقون بفتح الزاي

والياء ونصب لام قتل وكسر دال أولادهم ورفع همزة شركائهم وتكلم غير واحد من المفسرين والنحويين كابن عطية ومكي وابن أبي طالب والبيضاوي وابن جني والنحاس والفارسي والزمخشري في قراءة الشامي، وضَعَفوها للفصل بين المضاف، وهو قتل، والمضاف إليه وهو شركائهم بالمفعول وهو أولادهم، وزعموا أن ذلك لا يجوز في الثر وهو زعم فاسد؛ لأن ما نفوه أثبتته غيرهم. قال الحافظ السيوطي في جمع الجوامع: له مسألة لا يفصل بين المتضايين اختيَارًا إِلَّا بمفعوله وظرفه على الصحيح، وجوزَه الكوفيون مطلقًا. قال في شرحه هَمْع الهوامع تبعًا لابن مالك وغيره وحسنه كون الفاصل فضلة، فإنه يصلح بذلك لعدم الاعتداد وكونه غير أجني من المضاف، أي لأنه معموله ومقدّر التأخير، أي لأن المضاف إليه فاعل في المعنى، انتهى مع زيادة شيء للإيضاح والمثبت مقدّم على النافي، لا سيما في لغة العرب لاتساعها وكثرة التكلم بها. رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال: كان الشعر علم قوم، فلما جاء الإسلام اشتغلوا عنه بالجهاد والغزو، فلما تمهّدت الأمصار وهلك من هلك راجعوه فوجدوا أقلّه، وذهب عنهم أكثره.

ورُوي عن أبي عمرو بن العلاء قال: ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إِلَّا أقلّه، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير، قال أبو الفتح بن جني في خصائصه بعد أن نقل هذا، فإذا كان الأمر كذلك لم يقطع على الفصيح يسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ، انتهى وأشدّهم عليه الزمخشري، ونصّه: وأمّا قراءة ابن عامر فشيء لو كان في مكان الضرورة، وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً كما ردّ زجّ القلوص أبي مزاده، فكيف به في الكلام المنثور؟ فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته، والذي حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء، ولو قرأ بجزر الأولاد والشركاء؛ لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب، انتهى. فانظر رحمك الله إلى هذا الكلام ما أبشعه وأسمجه وأقبحه، وما اشتمل عليه من الغلظة والفظاظة وسوء الأدب، فحكم على قراءة متواترة تلقاها سيّد من سادات التابعين عن أعيان الصحابة وهم تلقّوها من أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء سيّدنا

رسول الله ﷺ بالردّ والسماجة، ولا جرأة أعظم من هذه الجملة، والحامل له على ذلك أنه يرى رأياً فاسداً واضح البطلان، وهو أنّ القراءات كلّها آحاد ولا متواتر فيها، ولذلك يطلق عنان القلم في تخطئة القراء في بعض المواضع، ولا يبالي بما يقول، وما زعم أنه سمع مردود هو فصيح شائع ذائع، وأدلة ذلك من الشعر كثيرة ذكرها إمام النخاعة أبو عبد الله محمد بن مالك في شرح الكافية عند قوله فيها بعد ما ذكر جواز الفصل: وحجتي قراءة ابن عامر وكم لها من عاضد وناصر، فلا نظيل بها. وأما أدلة ذلك من النثر، فقراءة من قراءة ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُحَلِّفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٧] بنصب وعده وجرّ رسله، وما زوي منه في الصحيح كثير؛ كقوله ﷺ: «فهل أنتم تاركوا لي صاحبي» ما حكاه ابن الأنباري عن العرب أنهم يفصلون بين المضاف والمضاف إليه بالجملة، فيقولون: هذا غلام إن شاء الله ابن أخيك، وكان ابن الأنباري صدوقاً ديناً ثقة حافظاً. قال أبو علي القالي: كان أبو بكر بن الأنباري يحفظ فيما ذكر ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن الكريم، وقيل: إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن الكريم بأسانيدها، وما حكاه الكسائي من قولهم: هذا غلام والله زيد، بجرّ زيد بإضافة الغلام إليه، والفصل بينهما بالقسم.

فإن قلت: لقائل أن يقول: القراءة شاذة، والأحاديث مروية بالمعنى، وما ذكره ابن الأنباري والكسائي ليس كمسألتنا.

قلت: لا خلاف بينهم كما نقله السيوطي أن القراءة الشاذة تثبت بها الحجة في العربية، ولو نقل لهذا المجترى الحائد عن طريق الهدى ناقل لم يبلغ في الرتبة أدنى القراء، بل ولا عُشر معشاره كلاماً، ولو عن راع أو أمة من العرب لرجع إليه وبنى قواعده عليه، والقرآن المتواتر الذي نقله ما لا يُعدّ من العدول الفضلاء الأكابر عن مثلهم يحكم عليه بالردّ والسماجة. وأما الأحاديث، فالأصل نقلها بلفظها وادّعاء أنها منقولة بالمعنى دعوى لا تثبت إلا بدليل، ومن مارس الأحاديث ورأى تثبت الصحابة والآخذين عنهم رضي الله تعالى عن جميعهم وتحريمهم في النقل حتى أنهم إذا شكوا في لفظ أتوا بجميع الألفاظ المشكوك فيها أو تركوا روايته بالكلية علم علم يقين أنهم لا ينقلون الأحاديث إلا بألفاظها. وأما

ما نقله ابن الأنباري والكسائي، فمسألتنا أخرى، لأنهم إذا كانوا يُجيزون الفصل بالجملة، فبالمفرد أولى؛ وهذا كله على جهة التنزل وإرخاء العنان، وإلا فالذي نقوله ولا نلتفت لسواه: أنّ القراءة المشهورة فضلاً عن المتواترة كهذه لا تحتاج إلى دليل، بل هي أقوى دليل، ومتى احتاج مَنْ هو في ضوء الشمس إلى ضوء النجوم، وقد بنى النحويون قواعدهم على كلام تلقّوه من العرب لم يبلغ في الصحة مبلغ القراءة الشاذة ولا قارئها، وقبلوا من ذلك ما خرج عن القياس؛ كقولهم: استحوذ، وقياسه استحاذ؛ كما تقول: استقام واستجاب، وكقولهم: للذن غدوة بالنصب والقياس الجَرّ، وهو في العربية كثير ليس هذا محلّ تتبّعه والشامي هذا رحمه الله ممن يُحتجّ بكلامه؛ لأنه من صميم العرب وفصحائهم، وكان قبل أن يوجد اللّحن ويتكلّم به لأنه وُلِدَ في حياة النبي ﷺ على قول، وسنة إحدى وعشرين على قولٍ آخر، فكيف بما تلقّاه ورواه عن كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم؟ كأبي الدرداء ووائلته بن الأسقع ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهم، بل نقل تلميذه الذماري أنه قرأ على عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه، فهو أعلى القراء السبعة سنداً، وكان رحمه الله مشهوراً بالثقة والأمانة وكمال الدين والعلم أفنى عمره في القراءة والإقراء، وأجمع علماء الأمصار على قبول نقله والثقة به فيه، وقد أخذ البخاري عن هشام بن عمار وهو قد أخذ عن أصحاب أصحابه، قال المحقّق: ولقد بلغنا عن هذا الإمام أنه كان في حلقة أربعمائة عريف يقومون عنه بالقراءة، ولم يبلغنا عن أحد من السلف على اختلاف مذاهبهم وتباين لغاتهم وشدة ورعهم أنه أنكر على ابن عامر شيئاً من قراءته، ولا طعن فيها ولا أشار إليها بضعف. اهـ. ويكفي في فضله وجلالته أنّ أفضل الخلفاء بعد الصحابة المُجمع على ورعه وفضله وعدالته، وهو عمر بن عبد العزيز جمع له بين الإمامة والقضاء ومشيخة الإقراء بمسجد دمشق أحد عجائب الدنيا، وهي يومئذ دار الملك والخلافة ومعدن التابعين ومحلّ محطّ رجال العلماء من كل قطر، وأعظم من هذا كله إجماع الصحابة على كتب شركائهم في مصحف الشام بالياء، وقد نَقَلَ غير واحد من الثقات المتقدمين والمتأخرين أنّهم رأوه فيه كذلك، بل نقل العلامة القسطلاني رحمه الله عن بعض الثقات أنه رآه في مصحف الحجاز كذلك.

فإن قلت: لو كان في مصحف الحجاز كذلك لقرؤوا كقراءته؛ لأن أهل كل قطر قراءتهم تابعة لرسم مصحفهم، ولم يثبت عن أحد من أهل الحجاز أنه قرأ كقراءة الشامي.

قلت: لا يلزم موافقة التلاوة للرسم؛ لأن الرسم سنّة متبعة قد توافقه التلاوة وقد لا توافقه، انظر كيف كتبوا وجاء بألف قبل الياء، ولا أذبحنه ولا أوضعوا بألف بعد لا، ومثل هذا كثير. والقراءة بخلاف ما رسم، ولذلك حكم وأسرار تدلّ على كثرة علم الصحابة ودقة نظرهم تطلب من مظانها. سمعت شيخنا رحمه الله تعالى يقول: لو لم يكن للصحابة رضي الله تعالى عنهم من الفضائل إلا رسمهم المصحف، لكان ذلك كافياً. وقوله: والذي حمله على ذلك... إلى آخره، يقتضي أن هذا السيد الجليل يقلّد في قراءته المصحف، ولو لم تثبت عنده بذلك رواية، وحاشاه من ذلك؛ فإنّ هذا لا يستحلّه مسلم فضلاً عن سيّد من سادات التابعين؛ لأنه خرق للإجماع. قال الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن الحاج في المدخل: لا يجوز لأحد أن يقرأ بما في المصحف إلا بعد أن يتعلّم القراءة على وجهها، أو يتعلّم مرسوم المصحف، وما يخالف منه القراءة، فإنّ فعل غير ذلك فقد خالف ما أجمعت عليه الأمة. وقوله: ولو قرأ... الخ. فهذا فحش أو أقبح مما قبله؛ لأنه يقتضي جواز القراءة بما تقتضيه العربية مع صحة المعنى، ولو لم ينقل وهو محرم بالإجماع. قال المحقق في نشره: وأمّا ما وافق العربية والرسم مع صحة المعنى ولم ينقل البتّة، فهذا ردّه أحقّ ومنعه أشدّ ومتركبه مرتكب لعظيم من الكبائر وقد ذكر ذلك عن أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم البغدادي المقرئ النحوي، وكان بعد الثلاثمائة. قال الإمام أبو طاهر بن أبي هاشم في كتابه البيان: وقد نبغ نابغ في عصرنا، فزعم أن كل من صح عنده وجه في العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها، فابتدع بدعة ضلّ بها عن قصد السبيل.

قلت: وقد عقد له بسبب ذلك مجلس ببغداد حضره الفقهاء والقراء وأجمعوا على منعه وأوقف للضرب فتاب ورجع وكتب عليه محضر كما ذكره الحافظ أبو بكر بن الخطيب في تاريخ بغداد. اهـ. وأدلة هذا من أقوال الصحابة والتابعين وأئمة

﴿وَلَيْسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ وليخلطوا عليهم (يشوبوه) ودينهم ما كانوا عليه من دين (إسماعيل) حتى زلوا عنه إلى الشرك ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ (وفيه دليل على أن الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى) ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (وما يفترونه) من (الإفك)، أو وافترأهم لأن ضرر ذلك الافتراء عليهم لا عليك ولا علينا.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ حِجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ رِزْقِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرْمَتِ طَهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ﴾ للأوثان ﴿حِجْرٌ﴾ حرام فعل بمعنى المفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات، وكانوا إذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا: ﴿لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ رِزْقِهِمْ﴾ يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء، والزعم قول بالظن يشوبه الكذب ﴿وَأَنْعَمُ حُرْمَتِ طَهُورُهَا﴾ هي

القراءة كثيرة تركناها خوف الإطالة، والله أسأل أن يعامل الجميع بفضله ولطفه آمين. اهـ بحروفه.

قوله: (يشوبوه) الشوب الخلط، وبابه قال.

قوله: (إسماعيل) رسول رب العالمين ابن إبراهيم خليل الرحمن صلى الله تعالى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، قال الإمام أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الحضر الجواليقي في كتابه المعرب: أسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلها أعجمية، نحو إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وإلياس وإدريس وأيوب، إلا أربعة: آدم وصالحاً وشعيباً ومحمدًا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإن إسماعيل ونظائره يكتب بحذف الألف، وفي إسماعيل لغتان هذه أشهرها، وبها جاء القرآن والثانية إسمعين، واختلف العلماء في الذبيح: هل هو إسماعيل أم إسحاق؟ والأكثر على أنه إسماعيل، وكان إسماعيل أكبر من إسحاق على نبينا وعليهما الصلاة والسلام. قوله: (وفيه دليل على أن الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى)، فيكون فيه رد على المعتزلة فيما قالوا: إن المعاصي ليست بمشيئته. قوله: (وما يفترونه) ... الخ. يعني أن ما موصولة أو مصدرية. قوله: (الإفك) الكذب.

(البحائر والسوائب والحوامي) ﴿وَأَنفَعُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ حالة الذبح وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام ﴿أَفَرَأَىٰ عَلَيْهِ﴾ هو مفعول له أو حال أي قسموا أنعامهم قسم حجر، وقسم لا يركب، وقسم لا يذكر اسم الله عليها ونسبوا ذلك إلى الله افتراء عليه ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْكَرُونَ﴾ وعيد.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّثْقَلُهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (١٣٩)

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب: ما ولد منها حيًا فهو خالص للذكور لا

قوله: (البحائر) كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذننها، أي شقوها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى، واسمها البحيرة. قوله: (السوائب) كان يقول: إذا قَدِمْتُ من سفري أو بُرِثت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها. قوله: (والحوامي) إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن، قالوا: قد حمي ظهره فلا يُركب ولا يُحمل عليه ولا يُمنع من ماء ولا مرعى. قوله: ﴿أَفَرَأَىٰ عَلَيْهِ﴾ في التفسيرات الأحمدية: وينبغي أن يعلم أن الله تعالى ذكر مسائل المحللات والمحرمات كثيرًا ردًا على الكفار المحللين لمحرمات الله تعالى، والمحرمين لمحللاته بمجرد افتراء، وتقول بأبلغ ردٍّ وآكده وأكثر هذه الرسوم البدعة سيما جعل نصيب من الحرث والأنعام للآلهة، وعدم اشتراكه الله تعالى مما قد اشتهر في زماننا بين النساء الناقصات العقل والدين، فإنهن كثيرًا ما ينذرن نذورًا للشياطين والأجنّة أو لبعض بني آدم مما جعلنه متدينًا في زعمهن ويحرمن تناول من تلك النذور ما لم يتصدقن به على وجه اخترعته باتباع الهوى النفائسة ويعتقدن أنها إن أخطأ فيها أحيانًا يهلك أموالهن ويموت أولادهن معاذ الله من ذلك، ولعمري إن ما أخبر الله تعالى بشناعة حال الكفار في ذلك ما أصدق دليلًا على بطلان هذه الرسوم التي اشتهرت بين بعض الأنعام، وتفرد بهذا خاطري، وهو أعلم بحقيقة الحال وحقيقة المقال.

قوله: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾... الخ. في التفسيرات الأحمدية: اعلم أنه قد عرفت في كتب الفقه أن الجنين إذا وُجد في بطن أمه حيًا

يَأْكُلُ مِنْهُ الْإِنَاثُ، وَمَا وُلِدَ مَيْتًا اشْتَرَكَ فِيهِ الذَّكَورُ وَالْإِنَاثُ. وَأَنْتَ ﴿خَالِصَةٌ﴾ وَهُوَ خَيْرٌ «مَا» لِلْحَمَلِ عَلَى الْمَعْنَى لِأَنَّ «مَا» فِي مَعْنَى الْأَجَنَّةِ، وَذَكَرَ ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ حَمَلًا

يَحِلُّ بِالذَّبْحِ بِالِاتِّفَاقِ، وَإِذَا وُجِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ مَيْتًا؛ فَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا يَحِلُّ، وَعِنْدَ أَبِي يُونُسَ وَمُحَمَّدٍ وَالشَّافِعِيِّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: إِذَا تَمَّ خَلْقُهُ أَكُلَ وَذَكَاءُ الْأُمِّ ذَكَاءُ لَهُ، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ وَإِنْ كَانَتْ مَعْرُوفَةً فِي كُتُبِ الْفَقْهِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ يَثْبُتْ أَحَدٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ، وَنَحْنُ نُثَبِّتُهَا مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَهِيَ فِي بَيَانِ رِسْمِ آخِرٍ لِلْكَفَّارِ وَطَرِيقِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَوَّلًا مَا يَقُولُ الْكَفَّارُ مِنْ أَنَّ مَا فِي بَطْنِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ، يَعْنِي أَجَنَّةَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَابِ، إِنْ يَكُنْ حَيًّا فَهُوَ خَالِصَةٌ لَذِكْرِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا، وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُوَ لِحَمَلَتِنَا عَلَى السَّوَاءِ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، ثُمَّ اعْتَرَضَ عَمَّا يَقُولُونَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾، أَيِ سَيَجْزِيهِمْ جِزَاءً وَصَفَهُمُ لِلْجَنِينِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ بِسُوءِ الْجِزَاءِ وَكَمَالِ الْعِقَابِ، وَأَيْضًا ذَمَّهُمُ بِالْخُسْرَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾، وَالْمُرَادُ بِهِمْ رِبِيعَةٌ وَمُضَرٌّ وَسَائِرُ سُفَهَاءِ الْعَرَبِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَذَكَّرُونَ بِنَاتِهِمْ مَخَافَةَ السُّبِّيِّ وَالْفَقْرِ، وَحَرَّمُوا الْبَحَائِرَ وَالسَّوَابِ وَسَائِرَ مَا حَلَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى. وَبِالْجُمْلَةِ، فَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى غَيْرُ رَاضٍ بِهَذَا الْحُكْمِ، أَيِ التَّفْرِيقِ فِي الْجَنِينِ الْحَيِّ بَيْنَ الذَّكَورِ وَالْإِنَاثِ، وَعَدَمِ التَّفْرِيقِ فِي الْجَنِينِ الْمَيِّتِ بِجَعْلِهِ حَلَالًا لِلْكُلِّ، فَهَلْهَذَا أَمْرَانِ وَعَدَمُ رِضَائِهِ بِهَذَا الْحُكْمِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِأَجْلِ كِلَا الْأَمْرَيْنِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِأَجْلِ الْأَوَّلِ فَقَطْ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِأَجْلِ الثَّانِي فَقَطْ، وَلَا قَائِلٌ بِالْمَذْهَبِ الْآخِرِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَجْلِ الثَّانِي فَقَطْ؛ لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَكُونُ تَفْرِيقُهُمْ بَيْنَ الذَّكَورِ وَالْإِنَاثِ فِي الْجَنِينِ الْحَيِّ حَسَنًا، وَإِنَّمَا يُؤَاخِذُونَ بِجَعْلِ الْكُلِّ شَرِيكًا فِي الْمَيِّتِ فَقَطْ، فَتَعَيَّنَ الْأَوَّلَانِ وَمَالَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى الثَّانِي مِنْهُمَا، وَلِذَا حُكِمَ بِأَنَّ تَفْرِيقَهُمْ فِي الْجَنِينِ الْحَيِّ بَيْنَ الذَّكَورِ وَالْإِنَاثِ بَاطِلٌ، فَقَالَ: إِنْ الْجَنِينُ الْحَيُّ حَلَالٌ لِكُلِّ مِنْهُمَا، وَحُكِمَ بِأَنَّ جَعْلَ الْكَفَّارِ شَرِيكًا لِلذَّكَورِ وَالْإِنَاثِ جَمِيعًا فِي الْجَنِينِ الْمَيِّتِ جَائِزٌ، فَقَالَ بِأَنَّ الْجَنِينِ الْمَيِّتَ حَلَالًا مُطْلَقًا وَسُوقَ النِّصِّ يَقْتَضِي هَذَا الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الْآيَةَ فِي بَيَانِ تَشْنِيعِ أَنْ الْكَفَّارَ حَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ، وَالْقَرِينَةُ عَلَيْهِ عَمُومُ قَوْلِهِ تَعَالَى فِيمَا بَعْدَ: ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَعَمٌّ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَحَائِرَ وَسَوَابِ أَوْ الْجَنِينِ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يُحَرِّمُوا الْمَيِّتَةَ

على اللفظ أو التاء للمبالغة كنسابة ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً﴾ أي وإن يكن ما في بطونها ميتة. («وإن تكن ﴿مَيِّتَةً﴾» أبو بكر) أي (وإن تكن الأجنة ميتة، «وإن تكن ميتة» شامي على «كان» التامة، ﴿يَكُنْ﴾ «ميتة» مكّي) لتقدم الفعل. وتذكير الضمير في ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ لأن الميتة اسم لكل ميت ذكر أو أنثى فكأنه قيل: وإن يكن ميت فهم فيه شركاء ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم ﴿إِنَّهُمْ حَكِيمٌ﴾ في جزائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ باعتقادهم.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ (كانوا يثدنون) بناتهم مخافة (السبي) والفقير ﴿قَتَلُوا﴾ مكّي وشامي).

من الجنين، وإنما حرّموا الحيّ منها على الإناث، ومال أبو حنيفة رحمته الله إلى الأول منهما، يعني كما أنّ تفريقهم في الجنين الحيّ باطل كذلك تعميمهم في الجنين الميت بجعله حلالاً للكل أيضاً باطل، وهذا يحتمل أيضاً وجهين، وهو أن يكون هذا التعميم باطلاً، إمّا لأنه يجري فيه التفريق أيضاً بين الذكور والإناث، وإمّا لأنه ضدّ ما قرّرتهم، يعني أنه حرام للكل، والأول باطل؛ لأنه لا قائل به أحد، فتعين الثاني، وهو قول أبي حنيفة رحمته الله من أنّ الجنين الميت حرام للكل، ولا شك أن الاحتياط فيه؛ لأن فيه صرف قوله تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ إلى إبطال جميع ما اعتقده الكفار، وهذا الذي جرى متاً إنما هو بمجرد ما نسجه عنكبوت خاطري من غير اطلاع على الكتب، وبيدك التأمل والإنصاف، وهو أعلم بما هو الصواب. اهـ.

قوله: («وإن تكن») بالتأنيث ﴿مَيِّتَةً﴾ بالنصب (أبو بكر) شعبة عن عاصم، أي (وإن تكن الأجنة ميتة، «وإن تكن») بالتأنيث ﴿ميتة﴾ بالرفع (شامي)، على كان التامة. ﴿يَكُنْ﴾ بالتذكير ﴿ميتة﴾ بالرفع (مكّي) أي ابن كثير المكّي. وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم وحزمة والكسائي: ﴿يَكُنْ﴾ بالتذكير ﴿مَيِّتَةً﴾ بالنصب.

قوله: (كانوا يثدنون) أي يقتلون. قوله: (السّبي) أي الأسر. قوله: ﴿قَتَلُوا﴾ بتشديد التاء (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وشامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون بالتخفيف.

﴿سَفَهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (لخفة أحلامهم) وجهلهم بأن الله هو رازق أولادهم لا هم ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ من البحائر والسوائب وغيرها ﴿أَفِرَّاءَ عَلَى اللَّهِ﴾ مفعول له ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى الصواب.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاتُ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٤١)

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّاتٍ﴾ من الكروم ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ (مسموكات) مرفوعات ﴿وَعَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ (متروكات) على وجه الأرض لم تعرش، يقال: عرشت الكرم إذا جعلت له (دعائم) و(سمكاً تعطف) عليه (القضبان) ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا﴾ في اللون والطعم (والحجم) والرائحة، وهو حال مقدرة لأن النخل وقت خروجه لا أكل فيه حتى يكون مختلفاً وهو كقوله: ﴿فَادْخُلُوهَا حَلِيلِينَ﴾ [الزمر: الآية ٧٣] ﴿أَكْلُهُ﴾ («أكله» حجازي) وهو ثمره الذي يؤكل، والضمير للنخل، والزروع داخل في حكمه لأنه معطوف عليه، أو لكل واحد ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاتُ مُتَشَبِهًا﴾ في اللون ﴿وَعَيْرَ مُتَشَبِهٍ﴾ في الطعم ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ من ثمر كل واحد، وفائدة ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ أن يعلم أن أول وقت الإباحة

قوله: (لخفة أحلامهم) أي عقولهم تفسير للسفه.

قوله: (مسموكات) أي مرفوعات. قوله: (متروكات) على وجه الأرض لم تعرش، وقيل: المعروشات ما عرشه الناس فعرشوه، وغير معروشات ما نبت في البراري^(١) والجبال، وبالأول اكتفى صاحب المدارك، وذكرهما جميعاً غيره. اهـ التفسيرات الأحمدية. قوله: (دعائم) الدعامة - بالكسر - العِمَاد. قوله: (سَمَكًا) أي سقفاً. قوله: (تعطف) في المصباح: عطفت الشيء عطفاً ثنيته أو أملتة فانعطف. اهـ. قوله: (القضبان) في مختار الصحاح: الْقُضْبَابُ الْعُصْنُ، وجمعه قضبان - بضم القاف وكسرها أيضاً - نقلهما الأزهري. اهـ. قوله: (وَالْحَجْمُ) في مختار الصحاح: حَجْمُ الشَّيْءِ جَسَدُهُ. قوله: («أكله») بإسكان الكاف (حجازي) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة، قيل: حجازي، أي نافع المدني وابن كثير المكي.

(١) جمع برية معروف. ١٢ منه عم فيضهم.

وقت إطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم أنه لا يُباح إلا إذا (أدرك) ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ﴾ عشره وهو حجة أبي حنيفة رحمته الله في تعميم العشر ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾

والباقون بالضم. قوله: (أدرك) أي نضج وتم. قوله: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ﴾ عشره وهو حجة أبي حنيفة رحمه الله تعالى في تعميم العشر) ويستوى هذا زكاة الخارج في الفقه، وبيان المسألة أن عند أبي حنيفة رحمه الله في كل ما أخرجته الأرض تجب الزكاة إلا الحطب والقصب والحشيش، ولكن فرّق بين ما سقي بسيح أو سفته السماء، وبين ما سقي بغرب أو دالية، فإن الواجب في الأول العشر، وفي الثاني نصفه لكثرة المؤنة فيه، وقلّتها في الأول، ولم يشترط بقاءه سنة ولا بلوغه خمسة أوسق عنده وعند أبي يوسف ومحمد رحمتهما الله، هما شرطان لوجوب الزكاة، فليس في الخضروات ولا في القليل زكاة عندهما، وهكذا يوجب العشر في العسل إذا أخذ من أرض العشر؛ لقوله عليه السلام: «في العسل العشر». وعند الشافعي رحمته الله: لا يجب؛ لأنه متولد من الحيوان، فأشبهه الإبريسم، ولكن عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى: لا فرق بين أن يقلّ العسل أو يكثر، وعن أبي يوسف رحمته الله: أنه يعتبر فيه قيمة خمسة أوسق، وفيه روايات كثيرة عنهما، وهكذا يوجب أبو حنيفة رحمته الله العشر في جميع ثمار الجبال وعسلها؛ لأن المقصود وهو الخارج حاصل. وعن أبي يوسف رحمته الله: أنه لا يجب؛ لانعدام السبب وهو الأرض النامية، ولكن قول أبي حنيفة رحمته الله راجح لما عرفت من معنى معروشات آخر، وهكذا يجب العشر في دار جعلت بستاناً إن سقاها المسلم بماء العشر. وأما إن سقاها بماء الخراج فخراج، بخلاف ما إذا سقاها الذمي، فإنه يجب الخراج، وإن سقاها بماء العشر؛ لأنه ليس أهلاً للقربة، وبخلاف الدار التي للسكنى، فإنه لا يجب فيها شيء؛ لأن عمر رضي الله تعالى عنه جعل المساكن عفواً، وإنما أطنبنا الكلام في هذا الموضع لأن الله تعالى جعل الآية مُشتملة على ذكر بستان ثمار وزروع، وذكر من الثمار ثلاثة: النخل والزيتون والرمان، فبيّنت كل واحد منها بملحقاته ناقلاً عن الهداية، وقد أورد هو هذه المسائل كلها في كتاب الزكاة بتفاصيلها وتفصيل دلالتها العقلية والنقلية، ولعلّه إنما لم يتعرّض لإثباتها من هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ﴾ (يَوْمَ حَصَادِهِ) ذهباً إلى ما عليه الجمهور، وهو أن المراد بالحق ما يتصدق به يوم الحصاد، وكان ذلك واجباً، ثم نسخه افتراض العشر أو نصفه لا

بصري وشامي وعاصم؛ وبكسر الحاء غيرهم. وهما لغتان ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بإعطاء الكل وتضييع العيال. وقوله: ﴿كُلُوا﴾ إلى ﴿إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ اعتراض.

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ كُلُوا مِنَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿١٤٢﴾

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ﴾ عطف على ﴿جَنَّتْ﴾ أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح، أو الحمولة الكبار التي تصلح للحمل

الزكاة المفروضة المعروفة؛ لأن الآية مكّية، والزكاة إنما فرضت بالمدينة، كما اختار الشيخ الأجلّ البيضاوي في تفسيره متابعةً لصاحب الكشف حيث قدّم هذا التوجيه على غيره، ونقل أنه لما نزل الأمر بالإتياء تصدّق ثابت بن قيس كلّ نخلتها التي كانت قريبة بخمس مائة أو ثلاثمائة حتى لم يبق شيء منها، فنزل النهي عنه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، أي لا تعطوا الصدقة بكل المال، وقيل: معناه لا تمنعوا الصدقة، أي لا تجاوزوا عن حذّها، بل أعطوها. وقال الإمام القشيري: كلّ ما بذل الإنسان لنفسه فهو إسراف، وإن كان مثل سُمّسة، وما بذله لله الفقراء، فليس بإسراف، وإن كان ألفاً من الخزائن، وهو أقرب؛ هكذا في الحسيني. وقال الإمام الزاهد: قيل: معناه: لا تُسرفوا بالزيادة على العُشر أو بإمساكه، وهو قريب من الأول. اهـ التفسيرات الأحمدية.

وقوله: (أبي حنيفة) هو الإمام البارع نعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنهما، وُلِدَ سنة ثمانين من الهجرة، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة. قوله: ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ بفتح الحاء (بصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وعاصم) بن أبي النّجود، ويقال: ابن بَهْدَلَة، وقيل: اسم أبي النّجود عبد الله، وبهذه اسم أمّه، وهو مولى نضر بن فُعَيْن الأسدي، ويُكنى أبا بكر، وهو من التابعين لحق الحارث بن حسان وافد بني بكر، وتوفي بالكوفة سنة ثمان، وقيل: سنة سبع وعشرين ومائة. اهـ تيسير. (وبكسر الحاء غيرهم، وهما لغتان) في المصدر؛ كقولهم: جَداد وجَداد.

والفرش الصغار (كالفصلان والعجاجيل) والغنم لأنها دانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي ما أحل الله لكم منها ولا تحرموها كما في الجاهلية ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ طرده في التحليل والتحريم كفعل أهل الجاهلية ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ فاتهموه على دينكم.

﴿ثُمَّ نَبَّيْنَا لِلْإِنْسَانِ أَنْتَنَ وَأَنْتَنَ قُلُوبُ الْكَافِرِينَ حَرَّمَ أَمْرَ الْإِنْسَانِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنْسَانِ نَبَّيْنَا بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

﴿ثُمَّ نَبَّيْنَا لِلْإِنْسَانِ أَنْتَنَ وَأَنْتَنَ قُلُوبُ الْكَافِرِينَ حَرَّمَ أَمْرَ الْإِنْسَانِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنْسَانِ نَبَّيْنَا بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بدل من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ ﴿مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْتَنَ وَأَنْتَنَ قُلُوبُ الْكَافِرِينَ حَرَّمَ أَمْرَ الْإِنْسَانِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنْسَانِ نَبَّيْنَا بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ زوجين اثنين يريد الذكر والأنثى، والواحد إذا كان وحده فهو فرد، وإذا كان معه غيره من جنسه سُمي كل واحد منهما زوجًا وهما زوجان بدليل قوله: ﴿خَلَقَ الْزَوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [النجم: الآية ٤٥] وبدل عليه قوله: ﴿ثُمَّ نَبَّيْنَا لِلْإِنْسَانِ أَنْتَنَ وَأَنْتَنَ قُلُوبُ الْكَافِرِينَ حَرَّمَ أَمْرَ الْإِنْسَانِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنْسَانِ نَبَّيْنَا بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فسرهما بقوله: ﴿مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْتَنَ وَأَنْتَنَ قُلُوبُ الْكَافِرِينَ حَرَّمَ أَمْرَ الْإِنْسَانِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنْسَانِ نَبَّيْنَا بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ والضان والمعر جمع ضائن وماعز (كتاجر وتجر). وفتح عين المعز: مكئي وشامي وأبو عمرو وهما لغتان).

والهمزة في ﴿قُلُوبُ الْكَافِرِينَ حَرَّمَ أَمْرَ الْإِنْسَانِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنْسَانِ نَبَّيْنَا بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز، وبالأثنين الأنثى من الضأن والأنثى من المعز والمعنى إنكار أن يحرم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئًا من نوعي ذكورها وإناثها ولا مما تحمل الإناث، وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكورة الأنعام تارة وإناثها (طورًا) وأولادها كيفما كانت ذكورًا أو إناثًا أو مختلطة تارة، وكانوا يقولون: قد حرمها الله فأنكر ذلك عليهم. وانتصب ﴿قُلُوبُ الْكَافِرِينَ﴾ بـ ﴿حَرَّمَ﴾ وكذا ﴿أَمْرَ الْإِنْسَانِ﴾ أي أم حرم الإنسان وكذا «ما» في ﴿أَمَّا أَشْتَمَلَتْ﴾

قوله: (كالفصلان) بضم الفاء وكسرهما جمع فصيل، والفصيل ولد الناقة إذا فصل عن أمه. قوله: (والعجاجيل) جمع العجل، ولد البقرة.

قوله: (كتاجر وتجر) مثل صاحب وصاحب. قوله: (وفتح عين المعز، مكئي) أي ابن كثير المكئي (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وأبو عمرو) البصري. وقرأ الباكون بسكون العين، (وهما لغتان) في جمع ماعز كخادم وحَدم وتاجر وتَجَر. قوله: (طورًا) - بالفتح - أي تارة.

﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ أخبروني بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمت ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الله حرّمه.

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذِكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْآلُثْنَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْآلُثْنَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٤)

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذِكْرَيْنِ﴾ منهما ﴿حَرَّمَ أَمْ الْآلُثْنَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْآلُثْنَيْنِ﴾ أم ما تحمل إناثها ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ «أم» منقطعة أي بل أكنتم شهداء ﴿إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا﴾ يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم. ولما كانوا لا يؤمنون برسول الله وهم يقولون الله حرّم هذا الذي نحرّمه تهكم بهم في قوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ على معنى أعرستم التوصية به مشاهدين لأنكم لا تؤمنون بالرسول ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فنسب إليه تحريم ما لم يحرم ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي الذين في علمه أنهم يختمون على الكفر. (فوق الفاصل) بين (بعض المعدود وبعضه اعتراضاً) غير أجني من المعدود، وذلك أن الله تعالى من على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم، فالاعتراض بالاحتجاج على من حرّمها يكون تأكيداً للتحليل، والاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد.

﴿قُلْ لَا أَيْدٍ فِي مَآ أَوْحَىٰ إِلَىٰ مُعَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثَّةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤٥)

﴿قُلْ لَا أَيْدٍ فِي مَآ أَوْحَىٰ إِلَىٰ﴾ أي في ذلك الوقت أو في وحي القرآن لأن وحي السنة قد حرّم غيره، أو من الأنعام لأن الآية في رد البحيرة وأخواتها. وأما

قوله: (فوق الفاصل) أي ﴿قُلْ آلَّذِكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْآلُثْنَيْنِ﴾ الآية. قوله: (بعض المعدود) وهو قوله: ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ﴾. قوله: (وبعضه)، وهو قوله: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾. قوله: (اعتراضاً) أي للاعتراض.

(الموقوذة) و(المرتدية) و(النطيحة) فمن الميتة، وفيه تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحى الله وشرعه لا بهوى الأنفس ﴿مَحْرَمًا﴾ حيوانًا حَرَّمَ أَكْلَهُ ﴿عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ على أكل يأكله ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة (أن تكون) مكّي وشامي وحمزة «ميتة» شامي ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ مصبوبة سائلًا فلا يحرم الدم الذي في اللحم والكبد والطحال ﴿أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ نجس ﴿أَوْ فَسَقًا﴾ عطف على المنسوب قبله. وقوله: ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه ﴿أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ منصوب المحل صفة لـ ﴿فَسَقًا﴾ أي رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله، وسُمِّيَ بالفسق (لتوغله) في باب الفسق ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾ فمن دعت الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على مضطر مثله (تارك لمواساته) ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متجاوز قدر حاجته من تناوله ﴿فَإِنْ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لا يؤاخذنه.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَنِيمٍ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ أي (ما له أصبع) من دابة أو طائر ويدخل فيه الإبل والنعام ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا﴾ أي

قوله: (الموقوذة) التي أئخنها ضربًا بعضى أو حجر حتى ماتت. قوله: (المرتدية) التي تردت من جبل أو في بئر، فماتت. قوله: (النطيحة) المنطوحة، وهي التي نطحتها أخرى، فماتت بالنطح. قوله: («أن تكون») بالناء على التأنيث (مكّي) أي ابن كثير المكّي، (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وحمزة). والباقون بالياء على التذكير. قوله: («ميتة») بالرفع (شامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون بالنصب. قوله: (لتوغله) في مختار الصحاح: توغل في الأرض إذا سار فيها وأبعد. اهـ. قوله: (تارك لمواساته) المواساة المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق، وأصلها الهمزة فقلبت واوًا تخفيفًا. اهـ لسان العرب.

قوله: ﴿كُلَّ﴾ ما له أصبع وذوات الأظلاف، وهي البقر والغنم والظباء لا أصبع لها، فهي محللة لهم سواء كان ما بين أصابعه منفرجًا؛ كأنواع السباع

حرمتنا عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه، ولم يحرم من البقر والغنم إلا الشحوم وهي (الشروب) وشحوم (الكلى) ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ إلا ما اشتمل على الظهور والجنوب من (السحفة) ﴿أَوْ الْحَوَايَا﴾ أو ما اشتمل على الأمعاء (واحدتها حاوياء أو حوية) ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ وهو (الآلية) أو (المنخ) ﴿ذَلِكَ﴾ مفعول ثانٍ لقوله: ﴿جَزَيْنَهُمْ﴾ والتقدير جزيناها ذلك ﴿بِقِيَمِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم ﴿وَلِئَا لَصِدْقُون﴾ فيما أخبرنا به وكيف نشكر من سبب معصيتهم لتحريم الحلال ومعصية سالفنا لتحليل الحرام حيث قال: ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ فَأَلْقَنَ بِشِرْوَهُنَّ﴾ [البقرة: الآية ١٨٧].

والكلاب والسنانير^(١)، أو لم يكن منفرجاً؛ كالإبل والتعام والإوز والبط. قوله: (الشروب) جمع ثَرْب - بالثاء المثناة والراء المهملة والموحدة - وزان فلس وهو شحم رقيق على الأمعاء والكرش.

قوله: (الكلى) بضم الكاف كُلية معروفة. قوله: (السحفة) وهي - بفتح السين وسكون الحاء المهملة - الشحمة التي على الظهر الملتصقة بالجلد فيما بين الكتفين إلى الوركين، وفي الكواشي: هو ما علق بالظهر والجنب من داخل. قوله: (واحدتها حاوياء) كقاصعاء وقواصع (أو حوية) كسفينة وسفائن. قوله: (الآلية) بالفتح.

قوله: (المنخ) الودك الذي في العظم. قوله: ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ فَأَلْقَنَ بِشِرْوَهُنَّ﴾ كان الرجل إذا أمسى حلَّ له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلي العشاء الأخيرة أو يرقد، فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرَّم عليه الطعام والشراب والنساء إلى الليلة القابلة، ثم إن عمر رضي الله تعالى عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الأخيرة، فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه، فأتى النبي ﷺ وأخبره بما فعل، فقال ﷺ: «ما كنت جديراً بذلك»؛ فنزل: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ حين تبتتم مما ارتكبتم من المحظور، وعفا عنكم ما فعلتم قبل الرخصة؛ فالآن باشروهن وجامعوهن في ليالي الصوم، وهو أمر إباحة.

(١) جمعه سِنُور، والسنور الهرّ، والأُنثى سنورة. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾
 سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ
 كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ
 تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ فيما أوحيت إليك من هذا ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ بها يمهل المكذبين ولا يعاجلهم بالعقوبة ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ عذابه مع
 سعة رحمته ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ إذا جاء فلا تغتر بسعة رحمته عن خوف
 نقمته .

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ إخبار بما سوف يقولونه ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن لا نشرك
 ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ ولكن شاء فهذا عذرنا، يعنون أن
 شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم (ما أحل الله) لهم بمشيئته ولولا مشيئته لم يكن
 شيء من ذلك ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي كتكذيبهم إياك كان
 تكذيب المتقدمين رسلكم و(تشبثوا) بمثل هذا فلم ينفعهم ذلك إذ لم يقولوه عن
 اعتقاد بل قالوا ذلك استهزاء، ولأنهم جعلوا مشيئته حجة لهم على أنهم
 معذورون به وهذا مردود لأن الإقرار بالمشيئة، أو معنى المشيئة هنا الرضا كما
 قال (الحسن): (أي) رضي الله منا ومن آبائنا الشرك والشرك مراد لكنه غير
 مرضي، ألا ترى أنه قال ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أخبر أنه لو شاء منهم
 الهدى لآمن كلهم ولكن لم يشأ من الكل الإيمان بل شاء من البعض الإيمان
 ومن البعض الكفر، فيجب حمل المشيئة هنا على (ما) ذكرناه دفعاً للتناقض
 ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ حتى أنزلنا عليهم العذاب ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ من
 أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ فتظهروه ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا
 الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تكذبون.

قوله: (ما أحل الله) مفعول تحريمهم. قوله: (تشبثوا) التثبت بالشيء التعلق
 به. اهـ مختار الصّحاح .

قوله: (الحسن) البصري رضي الله تعالى عنه. قوله: (أي ما) أي الذي .

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٤٩) قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءُكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١٥٠)

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ عليكم بأوامره ونواهيه ولا حجة لكم على الله بمشيئته ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي فلو شاء هدايتكم (وبه يبطل) صولة المعتزلة ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءُكُم﴾ هاتوا شهداءكم وقربوهم، (ويستوي في هذه الكلمة الواحد والجمع والمذكر والمؤنث) عند الحجازيين، (وبنو تميم تؤنث وتجمع) ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ أي ما زعموه محرماً ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكانه شهد معهم مثل شهادتهم فكان واحداً منهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ من وضع الظاهر موضع المضمرة للدلالة على أن من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى إذ لو تبع الدليل لم يكن إلا مصدقاً بالآيات موحداً لله ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ هم المشركون ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يسوون الأصنام.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٥١)

﴿قُلْ﴾ للذين حرّموا الحرث والأنعام ﴿تَعَالَوْا﴾ هو من الخاص الذي صار عامّاً وأصله أن يقول: مَنْ كان في مكان عالٍ لمن هو أسفل منه

قوله: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، فإن المنتفي فيه هو المشيئة فقط دون الرضا، فإن هداية الجميع مرضية، وإن لم يتعلق بها المشيئة.

قوله: (وبه يبطل) قول المعتزلة، وفي بعض النسخ: وبه تبطل صولة المعتزلة. قوله: (ويستوي في هذه الكلمة الواحد والجمع والمذكر والمؤنث)، نحو: هلم يا زيد يا زيدان يا زيدون يا هند يا هندان يا هندات. قوله: (وبنو تميم تؤنث وتجمع)، فيقال: هلم هلمّا هلموا هلمّي هلمن.

(ثم كثر حتى عم) ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي﴾ الذي حرّمه ربكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ من صلة حرم ﴿أَلَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ شَيْئًا﴾ «أن» مفسرة لفعل التلاوة و«لا» لنهي ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وأحسنوا بالوالدين إحسانًا. ولما كان إيجاب الإحسان تحريمًا لترك الإحسان ذكر في المحرمات وكذا حكم ما بعده من الأوامر ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ من أجل فقر (ومن خشيته) كقوله: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: الآية ٣١] ﴿تَعْنُ رِزْقُكُمْ وَإِنَاسُكُمْ﴾ لأن رزق العبيد على مولاهم ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ما بينك وبين الخلق ﴿وَمَا بَطُنَ﴾ ما بينك وبين الله، ما ظهر (بدل من الفواحش) ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كالقصاص والقتل على الردة والرجم ﴿ذَلِكَ وَمَنْكُمْ بِهِ﴾ أي المذكور مفصلاً أمركم ربكم بحفظه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لتعقلوا عظمها عند الله.

﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَمَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٥٢)

﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إلا بالخصلة التي هي أحسن وهي حفظه وتشميره ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ أشده مبلغ حلمه فادفعوه إليه (وواحدة شد) كفلس وأفلس ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ﴾ بالسوية والعدل ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا﴾

قوله: (ثم كثر حتى عم) حيث قاله وتكلم به كل من طلب أن يتقدم ويصل إليه شخص، سواء كان الطالب في علو أو سفلى أو غيرهما. قوله: (ومن خشيته)... الخ. إشارة إلى أن الآية شاملة لقتل الأولاد للفقر الحاصل بالفعل أو لخشية الفقر في المستقبل، والقرآن يفسر بعضه بعضاً. وقيل: إن الخطاب في كل آية لصنف منهم، وليس خطاباً واحداً، فالمخاطب بقوله: ﴿مَنْ إِمْلَاقٍ﴾ من ابتلي بالفقر، وقوله: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: الآية ٣١] من لا فقر له، ولكنه يخشى الفقر؛ ولهذا قدم رزقهم هنا، فقيل: ﴿تَعْنُ رِزْقُكُمْ وَإِنَاسُكُمْ﴾، وقدم رزق أولادهم في مقام الخشية، فقيل: ﴿تَعْنُ رِزْقُهُمْ وَإِنَاكُكُمْ﴾ [الإسراء: الآية ٣١] وهو كلام حسن. قوله: (بدل من الفواحش) بدل اشتمال.

قوله: (وواحدة شد) كفلس وأفلس، مثل كلب وأكلب.

إِلَّا وَسَعَهَا ﴿١﴾ إِلَّا مَا يَسْعَهَا وَلَا تَعْجَزْ عَنْهُ، وَإِنَّمَا أَتَّبِعُ الْأَمْرَ بِإِيْفَاءِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ ذَلِكَ لِأَن مِرَاعَاةَ الْحَدِّ مِنَ الْقِسْطِ الَّذِي لَا زِيَادَةَ فِيهِ وَلَا نَقْصَانَ مِمَّا فِيهِ حَرْجٌ فَأَمْرٌ يَبْلُوغُ الْوَسْعَ وَأَنْ مَا وَرَاءَهُ مَعْفُو عَنْهُ ﴿٢﴾ وَإِذَا قُلْتُمْ فَأَعْدِلُوا ﴿٣﴾ فَاصْدُقُوا ﴿٤﴾ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿٥﴾ وَلَوْ كَانَ الْمَقُولُ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ فِي شَهَادَةٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ أَهْلِ قَرَابَةِ الْقَائِلِ كَقَوْلِهِ: ﴿٦﴾ (وَلَوْ عَلَيَّ أَنْفُسُكُمْ أَوْ أَوْلَادِي وَالْأَقْرَبِينَ) ﴿٧﴾ [النساء: الآية ١٣٥] ﴿٨﴾ وَبِعَهْدِ اللَّهِ يَوْمَ الْمِيثَاقِ أَوْ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعْدِ وَالنَّذْرِ وَالْيَمِينَ ﴿٩﴾ أَوْفُوا ذَلِكُمْ ﴿١٠﴾ أَيُّ مَا مَرَّ ﴿١١﴾ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٢﴾ بِالتَّخْفِيفِ حَيْثُ كَانَ: حَمْزَةٌ وَعَلِيٌّ وَحُفْصٌ عَلَى حَذْفِ إِحْدَى التَّاءَيْنِ. غَيْرُهُم بِالتَّشْدِيدِ أَصْلُهُ «تَذَكَّرُونَ» فَأَدْغَمَ التَّاءُ الثَّانِيَةَ فِي الذَّالِ أَيُّ أَمْرِكُمْ بِهِ لَتَعْظُوا.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٣٦﴾

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾ ولأن هذا صراطي فهو علة الاتباع بتقدير اللام، ﴿وَأَنَّ﴾ بالتخفيف شامي، وأصله وأنه على أن الهاء ضمير الشأن والحديث. «وَأَنَّ» على الابتداء: حمزة وعلي ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات

قوله: ﴿وَلَوْ عَلَيَّ أَنْفُسُكُمْ﴾ ولو كانت الشهادة على أنفسكم، والشهادة على نفسه هي الإقرار على نفسه؛ لأنه في معنى الشهادة عليها بإلزام الحق، وهذا لأن الدعوى والشهادة والإقرار يشترك جميعها في الإخبار عن حق لأحد على أحد، غير أن الدعوى إخبار عن حق لنفسه على الغير، والإقرار للغير على نفسه، والشهادة للغير على الغير ﴿أَوْ أَوْلَادِي وَالْأَقْرَبِينَ﴾، أي ولو كانت الشهادة على آبائكم وأمهاتكم وأقاربكم، كذا أفاده المصنف رحمة الله عليه في تفسير سورة النساء.

قوله: ﴿وَأَنَّ﴾ بالتخفيف أي بفتح الهمزة وتخفيف النون (شامي) أي ابن عامر الشامي، وأصله وأنه على أن الهاء ضمير الشأن، والحديث، وإن بكسر الهمزة وتشديد النون (على الابتداء حمزة وعلي) الكسائي. والباقون بفتح الهمزة وتشديد النون على تقدير اللام.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (فتفرقكم أيادي سبأ) عن صراط الله المستقيم وهو دين

قوله: (فتفرقكم) يشير إلى أن الباء للتعدي (أيادي سبأ) في موضع الحال، أي حال كونكم مثل أيادي سبأ، أو في موقع المصدر، أي تفرقًا مثل تفرقهم، وهو تفرق لا اجتماع بعده، والفاء في فتفرق جواب النهي، والمضارع المحذوف التاء منصوب بإضمار أن، وفاعله ضمير السبل. **قوله:** (أيادي سبأ) أي في طرق شتى، واليد في كلام العرب تُطلق على الطريق، يقال: أخذ يد البحر، أي طريقه. وقيل: أيادي سبأ أولاده؛ لأن الأولاد أعضاء للرجل لتقويه بهم، والمعنى: مثل تفرق أولاد سبأ. وفي المفصل: الأيادي الأنفس كنايةً أو مجازًا وهو أحسن من تفسيره بالطرق، وبالأولاد وسبأ مهموز في الأصل غير أنه التزم التخفيف في هذا المثل.

في مجمع الأمثال: «ذهبوا أيدي سبأ وتفرقوا أيدي سبأ»، أي تفرقوا تفرقًا لا اجتماع معه. أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أخبرنا الحاكم أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، حدثنا أبو خليفة، حدثنا أبو همام، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن أبي جناب، عن يحيى بن هاني، عن فروة بن مسيك^(١) قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أخبرني عن سبأ أرجل هو أم امرأة؟ فقال: «هو رجل من العرب ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة. فأما الذين تيامنوا، فلأزد وكنده ومذحج^(٢)، والأشعر، وأنمار منهم بجيلة. وأما الذين تشاءموا، فعاملة، وغسان، ولخم، وجذام، وهم الذين أرسل عليهم سيل العرم، وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من الشجر وأودية اليمن فردموا ما بين جبلين وحسوا الماء وجعلوا في ذلك الرّدم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض، فكانوا يسقون من الباب الأعلى، ثم من الثاني، ثم من الثالث، فأخصبوا وكثرت أموالهم، فلما كذبوا رسولهم بعث الله جردًا^(٣) نقبت ذلك الرّدم حتى انتفض فدخل الماء جنتيهم فغرقهما ودفن السيل بيوتهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سبأ: الآية ١٦]، والعرم جمع عرمة. وهي

(١) بمهملة مصغرا. اهـ. تقريب. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) كمجلس. ١٢ منه عم فيضهم.

(٣) كَصَدِيدٍ ضرب من الفار. ١٢ منه عم فيضهم.

الإسلام. (رُوي أن رسول الله ﷺ خط خطًا مستقيمًا) ثم قال: «هذا سبيل الرشَد

السُّكْر^(١) الذي يحتبس الماء. وقال ابن الأعرابي: العرم السَّيْل الذي لا يُطاق. وقال قتادة ومقاتل: العرم اسم وادي سبأ. وأخبرنا الإمام علي بن أحمد أيضًا، أخبرنا أبو حسان المزكي، أخبرنا هرون بن محمد الأسترآبادي، أخبرنا إسحاق بن أحمد الخزاعي، أخبرنا أبو الوليد الأرزقي، حدَّثنا جدي، حدَّثنا سعيد بن سالم القداح، عن عثمان بن ساج، عن الكلبي، عن أبي صالح قال: ألقيت طريقة الكاهنة إلى عمرو بن عامر الذي يقال له مزيقيًا ابن ماء السماء، وهو عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكانت قد رأت في كهانتها أن سدَّ مأرب سيخرَب، وأنه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنتين، فباع عمرو بن عامر أمواله وسار هو وقومه حتى انتهوا إلى مكَّة، فأقاموا بمكَّة وما حولها، فأصابتهم الحمى، وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى، فدعوا طريقة فشكوا إليها الذي أصابهم، فقالت لهم: قد أصابني الذي تشكون وهو مفرق بيننا، قالوا: فماذا تأمرين؟ قالت: مَنْ كان منكم ذا همٍّ بعيد وجمل شديد ومزاد جديد، فليلحق بقصر عمان المشيد؛ فكانت أزد عمان، ثم قالت: مَنْ كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على أزمات الدَّهر، فعليه بالأراك من بطن مرٍّ؛ فكانت خزاعة، ثم قالت: مَنْ كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطاعم في المحل، فليلحق بيثرب ذات النُّخل؛ فكانت الأوس والخزرج، ثم قالت: مَنْ كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والتَّأمير ويلبس الدِّياج والحريز، فليلحق ببصرى وغوير، وهما من أرض الشام؛ فكان الذين سكنوها آل جفنة من غسان، ثم قالت: مَنْ كان منكم يريد الثياب الرِّقاق والخيل العتاق وكنوز الأرزاق والدَّم المهراق، فليلحق بأرض العراق؛ فكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش، ومن كان بالحيرة وآل محرَّق. اهـ.

قوله: (رُوي أن رسول الله ﷺ خط خطًا مستقيمًا)... الخ. هكذا ذكره جماعة أيضًا، فعلم أن تلاوة رسول الله ﷺ هذه الآية حين أقام تلك الخطوط أن

(١) وهي سدَّ النهر. ١٢ منه عم فيضهم.

وصراط الله فاتبعوه» ثم خطّ على كل جانب ستة خطوط ممالة ثم قال: «هذه سبل

المراد بالطريق الواحد والطرق المختلفة الفرق التي تكون في أمته من ثلاثة وسبعين، فاثنتان وسبعون منها هالكة، وواحدة منها ناجية، وهكذا يفهم من الحديث المشهور، وهو قوله عليه السلام: «ستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة، واحدة منها ناجية والبواقي هالكة»، أو «كلهم في النار إلا واحدة»، وفي بعض الروايات: «على بضع وسبعين فرقة»، وفي بعضها: «على اثنين وسبعين فرقة»، والأصحّ هو الأول، وهو أنّ الناجية واحدة والهالكة اثنتان وسبعون، ولما كان ههنا مذكور الفرق الإسلامية ونجاتهم وهلاكهم أوردنا بذيل الآية بيان أسمائهم وتفصيل أقوالهم وعقائدهم ليكون تذكراً للإخوان وتبصرةً لذوي الأذهان؛ فنقول: الفرقة التي هي ناجية من الجميع، وإن كانت مُبهمّة يصرفها كل مؤول إلى مَنْ يشاء، ولكن بالتحقيق والصدق مَنْ كان على طريق السنّة والجماعة، أي تابعاً لما كان عليه الصحابة والتابعين ومضى عليه السلف الصالحون، إذ رُوِيَ أنه استُفسّر عليه السلام عنها، فقال: «مَنْ كان على السنّة والجماعة»، وفي رواية: «ما أنا عليه وأصحابي»، وفي رواية عن ابن عباس أنه «مَنْ كان فيه عشر خصال: تفضيل الشيخين، وتوقير الختّين، وتعظيم القبليّين، والصلاة على الجنّازتين، والصلاة خلف الإمامين، وترك الخروج على الإمامين، والمسح على الخفّين، والقول بالتقديرين، والإمساك عن الشهادتين، وأداء الفريضتين»، يعني تفضيل أبي بكر وعمر، وتوقير عثمان وعليّ رضي الله تعالى عنهم، وتعظيم بيت المقدس والكعبة، والصلاة على جنازة الفاسق والصالح جميعاً، وكذا الصلاة خلف الإمام الفاسق والصالح جميعاً، وترك الخروج على السلطان الجائر والعاقل جميعاً، والمسح على الخفّين في الحضر والسفر جميعاً، والقول بأن تقدير الخير والشرّ كلاهما من الله تعالى، والإمساك عن شهادة الجنّة والنار لأحد بعينه سوى العشرة المبشرة ونحوهم، وأداء فرض الصلاة والزكاة جميعاً، ولعلّ هذا معظم مسائل أهل السنّة والجماعة، وإلاّ فمثل حقيقة عذاب القبر ورؤية الله تعالى وغير ذلك أيضاً مما هو مختصّ بالسنّة والجماعة، أو نقول: إنّ شرائط السنّة والجماعة هي العشرة، والمسائل الأخر ليست مشروطاً لها، وإن كانت مختصة بها. والفرق الأخر التي هالكة جميعاً في الأصل ستّة: الروافض، والخوارج، والجبريّة، والقدريّة،

على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه فاجتنبوها» وتلا هذه الآية. ثم يصير كل

والجهميّة، والمرجئة، ثم يصير كلّ منها اثنا عشر، فيصير اثنين وسبعين. ففرق الروافض علويّة إبرية شيعة إسحقية زيدية عباسيّة إماميّة متناسخيّة ناسيّة لاعنيّة راجعيّة مترابطيّة. وفرق الخوارج: أزارقة إباحيّة تعلية حازمية خلفيّة نورية معتزلة ميمونية كنزية محكميّة أخنسية ثمراخية. وفرق الجبرية: مضطريّة أفعاليّة لعبية مفروعيّة نجارية مطيميّة كسليّة شايقيّة حبسيّة خوفية مكرمية مكسليّة. وفرق القدريّة: أحمديّة نبوية كساسيّة شيطانيّة شريكية وهميّة رويديّة ناكسيّة مبريّة ناسطيّة نظاميّة منزليّة. وفرق الجهميّة: مخلوقيّة غبريّة وافعيّة قربيّة زنادقيّة نغطيّة رابعيّة متراقبيّة واردسيّة فانيّة محربيّة معطليّة. وفرق المرجئة: تاركية شائيّة راجيّة ساكية بهتيّة عمليّة منقوصيّة مشيّة أسيريّة بدعيّة حشروية مشخصيّة؛ هذه أسامي الفرق، وكلّ منها باطلة عقائدهم فاسدة مذاهبهم؛ لأن الروافض بأجمعهم لا يسنّون الجماعة والإقامة والمسح على الخفّين والتراويح ووضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة والتعجيل في الإفطار وصلاة المغرب، ويظنّون تفضيل فاطمة على عائشة، ويلعنون الصحابة كلّهم إلّا عليّاً رضي الله تعالى عنهم، ويلعنون طلحة والزبير وأبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم، ويأسون من الرحمة، ولا يقولون بإيقاع الطلاق الثلاث بلفظ واحد حتى يفردّها. والخارجيّة بأجمعهم لا يسنّون الجماعة، ويكفّرون أهل القبلة بالذنب، ويرون الخروج على الإمام الظالم، ويلعنون عليّاً رضي الله تعالى عنه. والجبرية يقولون: لا اختيار للعبد أصلاً، وإنما عليه الجبر؛ ففيه إبطال الثواب والعقاب والحلال والحرام والفرائض والواجبات، ويقولون: المال محبوب الله تعالى. والقدريّة يقولون: الفعل كلّهُ للعبد، فيلزم فيه الشّرك لله تعالى، ولا يلزم أحد من المحظورين في مذهبنا؛ لأنهم لا يقولون: الخالق لأفعال العباد هو الله، والكاسب هو العبد؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفّات: الآية ٩٦]، ويقولون: يجوز أن يكون الشيء كفرًا عند الله إيمانًا عند الخلق، ولا يُوجبون صلاة الجنّازة ويُنكرون الميثاق، ويزعمون أنّ التوفيق قبل الفعل؛ كما أنّ الجبرية يقولون: إنه بعد الفعل، وعندنا الاستطاعة مقارن مع الفعل لا قبله ولا بعده، ولا يقولون بحقيّة المعراج المعروف، بل يظنون أنه في النّوم معاذ الله عن ذلك. والجهميّة يقولون: الإيمان بالقلب فقط دون اللسان، ويُنكرون تكلم موسى

واحد من الاثني عشر طريقًا ستة طرق فتكون اثنين وسبعين، وعن ابن عباس رضي الله عنه: هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب. وعن (كعب):

عليه السلام مع الله تعالى، وكذا يُنكرون عذاب القبر وسؤال منكر ونكير والحوض والكوثر، ويُنكرون ملك الموت، ويزعمون أنه أوهام وخيالات، وإنما القابض للأرواح هو الله تعالى. والمُرجئة يقولون: بأن الله تعالى خلق آدم على صورته، وبأن له جسمًا وتحيزوا العرش مكانه، وبأن العبد لا يضُرّه ذنب بعد الإيمان، والمعروض على العباد وهو الإيمان فقط، ويُنكرون الصلاة والزكاة وغيرهما من الفرائض والواجبات، ويزعمون أن النساء مثل الرياحين فليأخذها مَنْ يشاء بغير نكاح، وفي هذه الأقوال إنكار كثير من الآيات والسنن وأقوال الصحابة والتابعين، ثبتنا الله تعالى على عقيدة السنة والجماعة، وحَفَظنا الله تعالى عن البدعة والضلالة، ونبيّن الردّ على كلّ واحدٍ منهم مما وجدته في القرآن بحسب الوُسْع والإمكان إن شاء الله تعالى.

ثم إنَّ كلاً من الستّة من هذه الأصول كما اتَّفَقوا فيما بينهم في هذه المسائل، فلهم أقوال مختلفة فيما بينهم أيضًا، وفي ذكرها إطناب وإملال، وهذا كله رواية من رسالة ابن السراج.

وفي شرح الوقاية: جعل المعطلية أصلاً، والجهمية فرعاً منها، وكذا جعل المشبه أصلاً والمرجئة فرعاً منها بالإجمال. وقيل: الأصول اثني عشر، ولكلّ منها ستة فروع على ما يشير إليه كلام المفسرين، وقد ذكرها صاحب المواقف بوجه آخر من حيث جعل الأصول ثمانية: المعتزلة، والشيعة، والخوارج، والمُرجئة، والنجارية والجبرية، والمشبهة، والناجية؛ فالمعتزلة عشرون، والشيعة اثنان وعشرون، والخوارج عشرون، والمُرجئة خمسة، والنجارية ثلاثة، والجبرية واحدة، وكذا المشبهة والناجية، وذكر أسمائهم وعقائدهم فيما أجمعوا عليه وفيما اختلفوا فيه على تفصيل مخالف لما سبق تركتها للإملال وخوف الإطناب. اهـ تفسيرات الأحمدية.

قوله: (كعب) بن مَاع - بالناء المثناة فوق - وهو كعب الأحبار التابعي المشهور، أدرك زمن النبي ﷺ ولم يرّه، وأسلم في خلافة أبي بكر، وقيل: في

إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ لِأَوَّلِ شَيْءٍ فِي التَّوْرَةِ ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لَتَكُونُوا عَلَى رَجَاءِ إِصَابَةِ التَّقْوَى. ذَكَرَ أَوَّلًا ﴿تَقُولُونَ﴾ ثُمَّ ﴿تَذْكُرُونَ﴾ ثُمَّ ﴿تَتَّقُونَ﴾ لَأَنَّهُمْ إِذَا عَقَلُوا تَفَكَّرُوا ثُمَّ تَذَكَّرُوا أَيَّ اتَعَزَّوْا فَاتَّقُوا الْمُحَارِمَ.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٥٤﴾

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا﴾ أَي ثُمَّ أَخْبَرَكُم أَنَّا آتَيْنَا أَوْ هُوَ عَظِفَ عَلَى ﴿قُلْ﴾ أَي ثُمَّ قُلْ آتَيْنَا، أَوْ «ثُمَّ» مَعَ الْجُمْلَةِ تَأْتِي بِمَعْنَى الْوَاوِ كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِدٌ﴾ [يونس: الآية ٤٦] ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ عَلَى مَنْ كَانَ مُحْسِنًا صَالِحًا يَرِيدُ جَنَسَ الْمُحْسِنِينَ دَلِيلُهُ قِرَاءَةُ (عَبْدُ اللَّهِ) «عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا» أَوْ أَرَادَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَي تَتِمُّهُ لِلْكَرَامَةِ عَلَى الْعَبْدِ الَّذِي أَحْسَنَ الطَّاعَةَ فِي التَّبْلِيغِ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ وَبَيَانًا مُفَصَّلًا لِكُلِّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي دِينِهِمْ ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ﴾ أَي بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ يَصْدُقُونَ أَي بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَبِالرُّؤْيَةِ.

خِلاَفَةُ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَصَحْبُ عَمْرٍ وَأَكْثَرُ الرِّوَايَةِ عَنْهُ، وَرَوَى أَيْضًا عَنْ صُهِيبٍ. رَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ ابْنُ عَمْرٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَخُلَائِقُ مِنَ التَّابِعِينَ، مِنْهُمْ ابْنُ الْمُسَيَّبِ، وَاتَّفَقُوا عَلَى كَثْرَةِ عِلْمِهِ وَتَوَثُّقِهِ، وَكَانَ قَبْلَ إِسْلَامِهِ عَلَى دِينِ الْيَهُودِ. مَاتَ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ، وَيُقَالُ لَهُ: كَعْبُ الْأَحْبَارِ، وَكَعْبُ الْجَبْرِ - بِكَسْرِ الْحَاءِ وَفَتْحِهَا - لِكَثْرَةِ عِلْمِهِ، وَمَنَاقِبِهِ وَأَحْوَالِهِ وَجَوَّاهِهِ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ.

قَوْلُهُ: (عَبْدُ اللَّهِ) بَنُ مَسْعُودٍ، هُوَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ بَنُ غَافِلٍ - بِالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَالْفَاءِ - ابْنُ حَبِيبٍ، وَأُمُّهُ أُمُّ عَبْدِ وَدَّ بَنُ سَوَاءٍ أَسْلَمَتْ وَهَاجَرَتْ، فَهُوَ صَحَابِيُّ ابْنِ صَحَابِيَّةٍ. أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ قَدِيمًا حِينَ أَسْلَمَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ قَبْلَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بَزْمَانَ، وَهَاجَرَ إِلَى الْحَبْشَةِ ثُمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَدْرًا وَأُحُدًا وَالْخَنْدَقَ وَبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ وَسَائِرَ الْمَشَاهِدِ، وَشَهِدَ الْيَرْمُوكَ وَهُوَ الَّذِي أَجْهَزَ عَلَى أَبِي جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ، وَشَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ، وَهُوَ صَاحِبُ نَعْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُلْبَسُهُ إِذَا قَامَ، فَإِذَا خَلَعَهَا وَجَلَسَ جَعَلَهَا ابْنُ

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٥٥) ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ آلُكُتُبِ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ (١٥٦)

﴿وَهَذَا﴾ أي القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ كثير الخير ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا﴾ مخالفته ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لترحموا ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ (كراهة أن تقولوا أو لثلاثا تقولوا) ﴿إِنَّمَا أَنْزَلَ آلُكُتُبِ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ أي أهل التوراة وأهل الإنجيل، وهذا دليل على أن المجوس ليسوا بأهل كتاب ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ عن تلاوة كتبهم ﴿لَغَافِلِينَ﴾ لا علم لنا بشيء من ذلك «إن» مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والأصل: وإنه كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن، والخطاب لأهل مكة والمراد إثبات الحجة عليهم بإنزال القرآن على محمد ﷺ كي لا يقولوا يوم القيامة: إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ (١٥٧)

﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ كراهة أن تقولوا ﴿لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ لحدة أذهاننا و(ثقابة) أفهامنا و(غزارة) حفظنا (لأيام العرب) ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ

مسعود في ذراعه، وكان كثير الولوج على رسول الله ﷺ والخدمة له، وكان يُعرف بصاحب السواد والسواك والنعل. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على أربعة وستين، وانفرد البخاري بإحدى وعشرين، ومسلم بخمسة وثلاثين. توفي سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين، وهو ابن بضع وستين سنة.

قوله: (كراهة أن تقولوا، أو لثلاثا تقولوا) حملة البصريون على حذف المضاف، والكوفيتون على حذف لا.

قوله: (ثقابة) بمثلثة وقاف وموحدة بمعنى نفوذ. قوله: (غزارة) أي كثرة. قوله: (لأيام العرب) أي وقائعها.

مَنْ رَزَقْنَاهُمْ ﴿١٥٨﴾ أَيَّانَ صِدْقَتِهِمْ فِيمَا كُنْتُمْ تَعْدُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ مَا فِيهِ الْبَيَانُ السَّاطِعُ وَالْبِرْهَانُ الْقَاطِعُ، فَحُذِفَ الشَّرْطُ وَهُوَ مِنْ أَحَاسِنِ الْحَذُوفِ ﴿وَهْدَى وَرَحْمَةً﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴿بَعْدَمَا عَرَفَ صَحَّتْهَا وَصَدَّقَهَا﴾ ﴿وَصَدَقَ عَنْهَا﴾ أَعْرَضَ ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدُقُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ وَهُوَ النِّهَايَةُ فِي (النَّكَايَةِ) ﴿يَمَا كَانُوا يَصْدُقُونَ﴾ بِأَعْرَاضِهِمْ.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ ﴿١٥٩﴾

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أَيَّ أَقْمَنَا حُجَجِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَثُبُوتِ الرِّسَالَةِ وَأَبْطَلْنَا مَا يَعْتَقِدُونَ مِنَ الضَّلَالَةِ فَمَا يَنْتَظِرُونَ فِي تَرْكِ الضَّلَالَةِ بَعْدَهَا ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أَيَّ مَلَائِكَةِ الْمَوْتِ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ ﴿يَأْتِيَهُمْ﴾ حَمْزَةٌ وَعَلِيٌّ ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أَيَّ أَمْرِ رَبِّكَ وَهُوَ الْعَذَابُ أَوْ الْقِيَامَةُ، وَهَذَا لِأَنَّ الْإِتْيَانَ مُتَشَابِهٌ وَإِتْيَانُ أَمْرِهِ مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ مُحْكَمٌ فَيُردُّ إِلَيْهِ ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أَيَّ (أَشْرَاطِ) السَّاعَةِ كَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِإِيْمَانٍ اخْتِيَارِيٍّ بَلْ هُوَ إِيْمَانٌ دَفَعَ الْعَذَابَ وَالْبَأْسَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ صِفَةٌ ﴿نَفْسًا﴾ ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ أَيَّ إِخْلَاصًا كَمَا لَا يَقْبَلُ إِيْمَانُ الْكَافِرِ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا لَا يَقْبَلُ إِخْلَاصَ الْمُنَافِقِ أَيْضًا أَوْ تَوْبَتَهُ وَتَقْدِيرَهُ: لَا يَنْفَعُ إِيْمَانُ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَكْفُرْ وَلَا تَوْبَةُ مَنْ لَمْ يَتُبْ قَبْلَ ﴿قُلِ انْظُرُوا﴾ إِحْدَى الْآيَاتِ الثَّلَاثِ ﴿إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ بِكُمْ إِحْدَاهَا.

قوله: (النَّكَايَةُ) بِالْكَسْرِ، أَيَّ الْإِنْتِقَامِ.

قوله: ﴿يَأْتِيَهُمْ﴾ بِالْيَاءِ عَلَى التَّذْكِيرِ (حَمْزَةٌ وَعَلِيٌّ) الْكَسَائِيُّ. وَابْقَاوْنَ بِالتَّأْنِيثِ؛ لِأَنَّ لَفْظَ مَوْثٌ. قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ فِي التَّفْسِيرَاتِ الْأَحْمَدِيَّةِ: هَذِهِ الْآيَةُ يُفْهَمُ مِنْهَا أَوَّلًا أَنَّ لِلْقِيَامَةِ عَلَامَاتٍ تَظْهَرُ عِنْدَ أَوَانِهَا، وَيُفْهَمُ مِنْهَا ثَانِيًا بَيَانُ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا خَاصَّةً؛ إِذْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: ﴿بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ مَرَّتَيْنِ. وَقَالَ فِي الْحُسَيْنِيِّ: الْمُرَادُ مِنَ الْأَوَّلِ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ مُطْلَقًا، وَمِنَ الثَّانِي طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا. وَبَيَانُ الْأَوَّلِ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ﴾

معطوف على يأتي الأول، والاستفهام في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ للإنكار، ومعنى الآية: أننا أقمنا حجج الوجدانية وثبوت الرسالة وأبطلنا ما يعتقده من الضلالة، فما ينتظرون في ترك الإيمان بعدها ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي ملائكة العذاب أو الموت لقبض أرواحهم، ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي أمره، وهو العذاب أو القيامة، أو كل آياته، يعني آيات يوم القيامة والهلاك الكلي. وبالجملة لا يستقيم هذا إلا بحذف المضاف. ﴿أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، يعني أسرار الساعة وعلاماتها، والكفار وإن لم ينتظروا في حق الإيمان بهذه الأشياء، ولكن لما علم الله أنهم اضطروا إلى الإيمان عند معاينة هذه المذكورات نزلهم منزلة المنتظرين لذلك. فالحاصل أنه يثبت أن للقيامة علامات تظهر عند قربها، فبطل بعض ما يتوهم أن القيامة إنما تجيء بغتة لا علامات لها، مستدلًا بقوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧]، فمعنى البغطة عندنا أنه بعد ظهور العلامات لا توقيت لها بالأيام والساعات، بل إنما تجيء بغتة، فلها علامات صغرى وكبرى، وعلاماتها الصغرى كثيرة والمعظم منها وهو الكبرى عشرة، ولعله هو المراد ههنا. وهو ما نُقِلَ عن حذيفة والبراء بن عازب ؓ: «إنا كنا نتذاكر الساعة إذ أطلع علينا رسول الله ﷺ، فقال: «ما تذاكرون»؟ قلنا: نتذاكر الساعة، قال: «إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشرة آيات»، فذكر: الدخان، ودابة الأرض، وخسفاً بالمشرق، وخسفاً بالمغرب، وخسفاً بجزيرة العرب، والدجال، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، ونارا يخرج من عدن يمن يطرد الناس إلى محشر لهم، هذا لفظ الحديث والله تعالى قد نص في كتابه طلوع الشمس من مغربها، وبيان الدخان والدابة، ونزول عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وخروج يأجوج ومأجوج، ولم أطلع على بيان الخسوف والدجال والنار في كتاب الله تعالى، وسأذكر كلاً منها في محالها مفضلاً إن شاء الله تعالى، هذا ما هو المشهور.

وذكر الإمام الزاهد في سورة النمل في بيان دابة الأرض برواية ابن مسعود ؓ أن أسرار القيامة عشرة: خمس منها مضى، وهي: وجود النبي ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان، واللزام، والبطشة، وقيل: هو واللزام واحد كلاهما

عذاب يوم بدر. وخمسة بقيت، وهي: خروج يأجوج ومأجوج، والدجال، وطلوع الشمس من المغرب، ونزول عيسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، وخروج الدّابة من الأرض؛ وهذه الرواية مخالفة لما هو المشهور. وبيان الثاني: أن قوله تعالى: ﴿نَفْسًا﴾ مفعول لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْفَعُ﴾. وقوله تعالى: ﴿إِيمَانًا﴾ فاعله وهو قوله تعالى: ﴿لَوْ تَكُنْ ءَامَنْتَ مِنْ قَبْلُ﴾ صفة لها. وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِجْ إِيمَانًا﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿ءَامَنْتَ﴾ داخل تحت النفي، ومعنى الآية: يوم يأتي بعض آيات ربك وهو طلوع الشمس من مغربها لا ينفع الإيمان لمن لم تكن قد آمنت من قبل، أو لم تكن كسبت في إيمانها خيرًا، أي لم تعمل صالحًا من قبل، وهذا على مذهب مَنْ يدخل الأعمال في الإيمان ظاهرًا. وأمّا على مذهبنا، فمشكل وجوابه ما أشار إليه صاحب المدارك: أن المراد بالخير الإخلاص أو التوبة، فيكون المعنى على الأول: لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ولا نفسًا لم تكسب في إيمانها إخلاصًا، أعني كما لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها، ولا يقبل إخلاص المنافق أيضًا. وعلى الثاني: لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ولا نفس توبتها لم تعمل صالحًا، أعني كما لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها، كذلك لا يقبل توبة المؤمن الذي لم يتب من قبل، فحينئذ يكون العمل غير داخل في الإيمان، سواء كان في ذلك اليوم أو في غيره، هذا ما ذُكر في المدارك. وقد ضعّف الجواب الأول الإمام الزاهد، بأنه يدلّ على وجود مطلق الإيمان للمنافق، وليس كذلك. وأول الجواب الثاني بأنّ توبة المؤمن وقت طلوع الشمس من مغربها في مشيئة الله تعالى، لا أنه غير مقبول البتّة، كما هو حال توبة اليأس على ما فصلناه سابقًا، ولكن نُقِلَ في الحسيني عن المعالم على وفق الحديث أن إيمان الكافر وتوبة الفاسق لا يُقبل في هذا اليوم. وذكر في بيان قصة طلوع الشمس من مغربها أنه قد جاء في الأثر أنّ ليلة يوم طلوع الشمس فيه من مغربها كانت طويلة غاية الطول يدرك طولها العباد والمتهجّدون، حتى أنهم إذا فرغوا من أورادهم وتهجّدتهم انتظروا الصبح ولم يظهر، ثم اشتغلوا بالعبادة زمانًا طويلًا وبعدها انتظروا الصبح حتى لم يظهره، فعلموا أنّ فيه سرًّا من أسرار الله تعالى ونوعًا من البلايا والآفات، فاشتغلوا بالتضرّع

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ فِي شَيْءٍ إِذَا أُمِرُوا إِلَى اللَّهِ فَمَا يُنْصِرُهُمْ يَمَازُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩)

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ اختلفوا فيه وصاروا فرقًا كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث («افترقت اليهود») على إحدى وسبعين فرقة كلها

والتوبة والاستغفار حتى رأوا أثر الصبح اطلع من الأفق الغربي، وشاهد ذلك جميع الناس وتحيروا واضطربوا، واشتغل الكفار بالإيمان والفاستقون بالتوبة، لكنه لا ينفع؛ لأنه حالة الاضطراب لا الاختيار، وفقني الله تعالى للتوبة من المعاصي التي تصدر قبل طلوع الشمس من مغربها. وقد ذكر القاضي البيضاوي في توجيه الآية عند مَنْ لم يدخل الأعمال في الإيمان ثلاث وجوه: الأول، وهو الحق: تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم، أي يوم طلوع الشمس من مغربها، أو يوم الموت كما قيل. وأما الجواب: أن الآخرين اللذان ذكرهما القاضي البيضاوي من أنه يحتمل التردد على اشتراط النفع بأحد الأمرين على معنى أنه لا ينفع نفسًا لم تكن آمنت أو لم تكن كسبت في الإيمان خيرًا حتى نفسًا خلت عنهما، لا أنها خلت عن العمل فقط، ومن أنه يعطف كسبت على لم تكن، يعني لا ينفع نفسًا إيمانها التي أحدثته حينئذ، وإن كسبت في إيمانها أخيرًا، فمحبوبان بوجوه، ذكرها الشيخ العصام دراية عن نفسه ورواية عن غيره، والكلام فيها لا يخلو من إطناب.

وفي التلويح أيضًا كلام يخالفه، وهو أن أو إذا استعلمت في النفي يفيد شمول العدم إلا إذا قامت قرينة، يفيد عدم الشمول، كما في هذه الآية حملة جار الله على عدم الشمول، ولهذا قال: يدل على عدم الفرق بين النفس الكافرة إذا آمنت عند ظهور أشراط الساعة، وبين النفس التي آمنت قبلها، ولم تكسب خيرًا ولم يحمل على شمول العدم، بمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ للنفس التي لم تقدم الإيمان ولا كسبت الخير في الإيمان؛ لأنه يكون ذكر نفي كسب الخير في الإيمان بعد نفي الإيمان تكرارًا. اهـ.

قوله: (أشراط) جمع شَرَط - بفتحيتين - بمعنى العلامة.

قوله: (افترقت اليهود)... الخ. وهذا الحديث أخرجه أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان وصححه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

(في الهاوية) إلا واحدة وهي الناجية، وافتقرت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية ولا واحدة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وهي (السواد الأعظم) وفي رواية «وهي ما أنا عليه وأصحابي» وقيل: فرقوا دينهم فأمنوا ببعض وكفروا ببعض. («فارقوا دينهم» حمزة وعلي) أي تركوا ﴿وَكَانُوا شِعَاءً﴾ فرقاً كل فرقة تشيع إماماً لها ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي من السؤال عنهم وعن تفرقهم أو من عقابهم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا﴾ فيجازيهم على ذلك.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (تقديره عشر حسنات أمثالها) إلا أنه أقام صفة الجنس المميز المقام الموصوف.

قوله: (في الهاوية) هي من أسماء النار، سُميت به لكونها ذات هوي يسقط المجرمون فيها، يقال: هوى يهوي هويّاً إذا سقط. قوله: (السواد الأعظم) يعبر به عن الجماعة الكثيرة. قوله: (فارقوا دينهم) بألف بعد الفاء وتخفيف الراء من المفارقة، وهي الترك؛ لأن مَنْ آمَنَ ببعض وكفر ببعض فقد ترك الدين القيم، أو فاعل بمعنى فعل من التفرقة والتجزئة، أي آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. (حمزة وعلي) الكسائي. والباقون بتشديد الراء بلا ألف فيهما. قوله: ﴿شِعَاءً﴾ يقال: شائعة يشايعه شياعاً، أي تبعه.

قوله: (تقديره عشر حسنات أمثالها) يعني أن ظاهره أن يقال: عشرة أمثالها بإلحاق التاء؛ لأن الأمثال جمع مثل وهو مذكر، وقد تقرّر أن ثلاثة إلى عشرة إذا أُضيف إلى مذكر يجب إلحاق التاء بالعدد، نحو ثلاثة رجال إلى عشرة رجال، ولم يلحق التاء بالعشرة ههنا لأن الأمثال ليس مميّزاً للعشرة، بل مميّزها هو الحسنات والأمثال صفة لمميّزها. روى أبو ذر رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «الحسنة عشرًا وأزيد، والسيئة واحدة أو أحقر، فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره»، وقال عليه الصلاة والسلام حكايةً عن الله تعالى: «إذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها، وإن لم يعملها. وإذا عملها فعشر أمثالها، وإن هم بسيئة فلا تكتبوها،

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (بنقص الثواب وزيادة العقاب).

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦١)
 ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي﴾ ((رَبِّي) أبو عمرو ومدني) ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا﴾ نصب على البدل من محل ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لأن معناه هداني صراطاً بدليل قوله: ﴿وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: الآية ٢٠] (قِيَمًا) ((قِيَمًا)) فيعمل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم ﴿قِيَمًا﴾ (كوفي وشامي وهو مصدر بمعنى القيام وصف به ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ عطف بيان)

فإن عملها فسيئة واحدة»، فإن قيل: كفر ساعة يوجب عقاب الأبد على نهاية التغليظ، فما وجه المماثلة؟ وأجيب بأن الكافر على عزم أنه لو عاش أبداً لبقى على ذلك الاعتقاد، فلما كان العزم مؤبداً عُوقب بعقاب الأبد بخلاف المسلم المذنب، فإنه يكون على عزم الإقلاع عن ذلك الذنب، فلا جرم كانت عقوبة منقطعة. قوله: (بنقص الثواب وزيادة العقاب) أي ليس نقص الثواب وزيادة العقاب ظلمًا، لأن له أن يعذب المطيع ويعفو عن المُسيء؛ إذ لا إيجاب عندنا، فليس هذا مذهب المعتزلة.

قوله: ((رَبِّي)) بفتح ياء الإضافة وصلًا (أبو عمرو ومدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. والباقون بالإسكان. قوله: ((قِيَمًا)) بفتح القاف وكسر الياء المشددة على أنه صفة مشبهة «فَيَعْلَمُ مَنْ قَامَ».. الخ. فأصله قيوم اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياءً وأدغمت، أي دِينًا مستقيمًا، قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو: «قِيَمًا» بكسر القاف وفتح الياء مخففة (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي وخلف (وشامي) أي ابن عامر الشامي، (وهو مصدر بمعنى القيام)، والمعنى دِينًا قائمًا ثابتًا لا زوال له، مثل رجل عدل. (وصف به) الدِّين مبالغة أو بمعنى ذا قيم. قوله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ عطف بيان، فإن المِلَّةَ والدِّين وإن كانا عبارتين عما شرَّعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه ليتوصلوا باتباعه إلى أجل ثوابه، إلا أن المِلَّةَ لما ذُكرت مضافة كان فيها زيادة التوضيح، فصلحت أن تكون عطف بيان للدِّين، والمِلَّةُ من

﴿حَنِيفًا﴾ (حال من ﴿إِزْهِيمُ﴾) ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بالله يا معشر قريش .

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَّهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي عبادتي، والناسك العابد أو ذبحي أو حجي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ (وما أتيت) في حياتي وأموت عليه من الإيمان والعمل ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خالصة لوجهه. «محيائي ومماتي» بسكون الياء الأول وفتح الثاني: (مدني). وبعبكسه غيره ﴿لَا شَرِيكَ لَّهُ﴾ في شيء من ذلك ﴿وَبِذَلِكَ﴾ الإخلاص ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته).

أملت الكتاب، أي أملتته وما شرعه الله تعالى لعباده سُمِّيَ ملة من حيث إنه يدون ويُملى ويكتب ويتدارس بين من اتبعه من المؤمنين، ويُسمى دينًا باعتبار طاعتهم لمن شرعه وسنّه، أي جعله لهم سنًا وطريقًا. اهـ شيخ زاده رَحِمَهُ اللهُ. وقال العلامة التفتازاني رَحِمَهُ اللهُ: الدين هو الطريقة المخصوصة الثابتة من النبي ﷺ يسمي من حيث الانقياد له دينًا، ومن حيث يُملَى ويبين للناس ملة، ومن حيث بينها الله، ومن حيث يردّها الواردون المتعطشون إلى زلال نيل الكمال شرعًا وشرية؛ فالدين يُضاف إلى الله تعالى وإلى النبي ﷺ وإلى آحاد الأمة والملة إلى النبي ﷺ وإلى الأمة، وكذا الشريعة. اهـ. قوله: (حال من ﴿إِزْهِيمُ﴾) وجاز الحال في مثل هذا المضاف إليه لكونه في المعنى بمنزلة الحال عن المضاف الذي هو معمول الفعل. اهـ تفتازاني رَحِمَهُ اللهُ.

قوله: (وما أتيت) يريد أن المَحْيَا والمَمَات مجازان عما يقارنهما ويكون معهما من الإيمان والعمل الصالح؛ لأنه المناسب للحكم عليه بكونه خالصًا لوجه الله؛ كالصلاة وسائر العبادات، إلا أنه لا يكفي في العبادات أن يأتي بها كيف كانت، بل يجب أن يُؤتى بها مع تمام الإخلاص، وأنه تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصًا لوجهه. قوله: (مدني) أي نافع المدني رَحِمَهُ اللهُ. قوله: (لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته)، وإليه الإشارة بقوله في الحديث: «أول ما خلق الله نوري». اهـ شهاب رَحِمَهُ اللهُ.

﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَمْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَإِزْرُهُ وَزَرَّ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَمْنِي رَبًّا﴾ جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهمتهم. والهمزة للإنكار أي منكر أن أطلب رباً غيره، وتقديم المفعول للإشعار بأنه أهم ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وكل من دونه مريبوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ جواب عن قولهم: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾ [المنكبات: الآية ١٢] ﴿وَلَا نُزِرْ وَإِزْرُهُ وَزَرَّ أُخْرَىٰ﴾ أي لا تؤخذ نفس أثمة بذنب نفس أخرى ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ من الأديان التي فرقتموها.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلِيفَةَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلِيفَةَ فِي الْأَرْضِ﴾ لأن محمداً ﷺ خاتم النبيين فأتمته قد خلفت سائر الأمم، أو لأن بعضهم يخلف بعضاً أو هم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ في الشرف والرزق وغير ذلك ﴿دَرَجَاتٍ﴾ مفعول ثانٍ، أو التقدير إلى درجات، أو هي واقعة موضع المصدر كأنه قيل رفعة بعد رفعة ﴿لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ﴾ فيما أعطاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف (بالوضع) والغني بالفقر والمالك بالمملوك ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن كفر ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن قام بشكرها، ووصف العقاب بالسرعة لأن ما هو آت قريب ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: الآية ٧٧] (عن النبي ﷺ): «من قرأ ثلاث

قوله: (بالوضع) في المصباح: وضع في حسبه بالبناء للمفعول فهو وضع، أي ساقط لا قدر له. اهـ. قوله: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ في قرب كونها وسرعة قيامها ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ كرجع طرف، وإنما ضرب به المثل لأنه لا يُعرف زمان أقل منه ﴿أَوْ هُوَ﴾ أي الأمر ﴿أَقْرَبُ﴾، وليس هذا الشك المخاطب، ولكن المعنى كونوا في كونها على هذا الاعتبار، وقيل: بل هو أقرب، كذا أفاده المصنف رحمه الله في تفسير سورة النحل. قوله: (عن النبي ﷺ): «من قرأ ثلاث

آيات من أول الأنعام حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يحفظونه وكتب له مثل أعمالهم إلى يوم القيامة».

آيات من أول الأنعام حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يحفظونه، وكتب له مثل أعمالهم إلى يوم القيامة». أخرج أبو الشيخ عن حبيب أبي محمد العابد، قال: «مَنْ قرأ ثلاث آيات من أول الأنعام ﴿تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٣] بعث الله له سبعين ألف ملك يدعونه إلى القيامة، وله مثل أعمالهم، فإذا كان يوم القيامة أدخله الجنة وأسقاه من سلسبيل وغسله من الكوثر، وقال: أنا ربك حقاً وأنت عبدي حقاً». وأخرج ابن الضريس عن حبيب بن عيسى العمي ابن محمد الفارسي قال: «مَنْ قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام بعث الله سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة، وله مثل أجورهم، فإذا كان يوم القيامة أدخله الله الجنة وأظله في ظلّ عرشه وأطعمه من ثمار الجنة، وأشربه من الكوثر، واغتسل من السلسبيل، وقال الله: أنا ربك وأنت عبدي». وأخرج السلفي بسنده عن ابن عباس مرفوعاً: «مَنْ قرأ إذا صَلَّى الغداة ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الآية ٣] نزل إليه أربعون ألف ملك يكتب له مثل أعمالهم، ونزل إليه ملك من فوق سبع سموات معه مرزبة من حديد، فإن أوحى شيطان في قلبه شيئاً من الشيء ضربه ضربة حتى يكون بينه وبينه سبعون حجاباً، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: أنا ربك وأنت عبدي، امش في ظلّي واشرب من الكوثر واغتسل من السلسبيل وادخل الجنة بغير حساب ولا عذاب». وأخرج الديلمي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى الفجر في جماعة وقعد في مصلاه وقرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام وكل به سبعون ملكاً يستبشرون الله ويستغفرون له إلى يوم القيامة».

اللهم كما يسرت لنا إتمام التشرف بسورة الأنعام يسر لنا الإتمام، وأجر ما عودتنا من بدائع الإنعام، في مطلع كل ابتداء ومقطع كل اختتام، واهد عنا لنبيك محمد ﷺ أفضل صلاة وسلام، ومثل ذلك لآله وصحبه الكرام، على مدى الليالي والأيام، تم ما يتعلق بسورة الأنعام، بعون الله الملك العلام.

(سورة الأعراف)

(مَكِّيَّة وهي مائتان وخمس آيات بصري وست كوفي ومدني)

﴿الْمَصَّ ١﴾ كَتَبَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ، وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾
 ﴿الْمَصَّ ١﴾ قال (الزجاج): المختار في تفسيره ما قال (ابن عباس) ﴿٢﴾ :
 أنا الله أعلم وأفصل ﴿كُتِبَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ صفته
 والمراد بالكتاب السورة ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ شك فيه، وسُمي الشك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الأعراف مَكِّيَّة، وهي مائتان وخمس آيات بصري وست كوفي ومدني)، وكلماتها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة، وحروفها أربعة عشر ألفاً وثلاثمائة وعشرة أحرف.

قوله: (الزجاج) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد النحوي، كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين وصنف كتاباً في معاني القرآن الكريم وأخذ الأدب عن المبرد وثعلب رحمهما الله تعالى، وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب، فُتِسِب إليه. توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى.

قوله: (ابن عباس) بن عبد المطلب بن هاشم أبو العباس الهاشمي الصحابي ابن الصحابي المكي ابن عم رسول الله ﷺ، كُتِيَ بابنه العباس وهو أكبر أولاده، وكان يقال لابن عباس: حبر الأمة والبحر لكثرة علمه، دعا له رسول الله ﷺ بالحكمة وحُتِّكه بريقه حين وُلِدَ وهم في الشعب، وقال ابن مسعود: نِعَمَ ترجمان

حرجًا (لأن الشاك ضيق الصدر حرجه) كما أن المتيقن منشرج الصدر منفسحه أي

القرآن ابن عباس. وعاش ابن عباس بعد ابن مسعود نحو خمس وثلاثين سنة تشد إليه الرحال ويُقصد من جميع الأقطار، ومشهور في الصحيحين تعظيم عمر بن الخطاب لابن عباس واعتداده به وتقديمه مع حداثة سنة، وعاش بعده ابن عباس نحو سبع وأربعين سنة يُقصد ويُستفاد ويُعتمد، وهو أحد العبادلة الأربعة: ابن عمر، وابن عباس، وابن عمرو بن العاص، وابن الزبير. رواه ابن أبي عمير، وأبو حنبل، وأبو هريرة، الستة من الصحابة الذين هم أكثرهم رواية عن رسول الله ﷺ، وهم: أبو هريرة، ثم ابن عمر، ثم جابر، وابن عباس، وأنس، وعائشة رضي الله تعالى عنهم. روي لابن عباس عن النبي ﷺ ألف حديث وست مائة حديث وستون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين. روي عنه ابن عمر وأنس وأبو الطفيل وأبو أمامة بن سهل، وروي عنه خلائق لا يُحصون من التابعين. وُلد ابن عباس عام الشعب في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، فتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل: ابن عشر، وهو ضعيف، وقيل: ابن خمس عشرة، ورجحه أحمد بن حنبل وغيره. وتوفي بالطائف سنة ثمان وستين، قاله الواقدي وابن أبي شيبه وأحمد بن حنبل وابن نمير. وقيل: سنة تسع، وقيل: سنة سبعين، وحكى ابن الأثير قولاً أنه سنة ثلاث وسبعين، وضعفه وهو غريب ضعيف أو باطل، وصلى عليه محمد ابن الحنفية، وقال: اليوم مات رباني هذه الأمة، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنهما.

قوله: (لأن الشاك ضيق الصدر حرجه)، أي الصدر لما فسر الحرج بالشك، ومن المعلوم أن لفظ الحرج ليس حقيقة فيه، فتعين كونه مجازًا فيه احتاج إلى بيان العلاقة بين المعنى الأصلي والمجازي أن الحرج من لوازم الشك، واللفظ المستعمل في الملزوم مع عدم إمكان إرادة المعنى الأصلي مجازًا؛ إذ لا يمكن ههنا إرادة الحرج، إذ لا معنى لتحرج القلب من نفس الكتاب، أو من نفس إنزاله، أو من نفس استناد إنزاله إلى الله تعالى، فإن كل ذلك يتمثل في القلب ويرتسم فيه، فلا يخرج من الجزم بكونه منزلًا من عند الله تعالى، وإثما المتصور أن يخرج القلب من عدم التيقن بكونه منزلًا من عند الله تعالى، فإن الشك في

لا شك في أنه منزل من الله (أو حرج منه بتبليغه) لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له وإعراضهم عنه وأذاهم، فكان يضيق صدره من الأذى ولا ينشط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم، (والنهي متوجه إلى الحرج وفيه من المبالغة ما فيه)، والفاء للعطف أي هذا الكتاب أنزلته إليك فلا يكن بعد إنزاله حرج في صدرك. واللام في ﴿لِنُنْذِرَ بِهِ﴾ متعلق بـ ﴿أُنْزِلَ﴾ أي أنزل إليك لإني أذكرك به، أو بالنهي لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم، وكذا إذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الإنذار به لأن صاحب اليقين (جسور) متوكل على ربه ﴿وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في محل نصب

الحكم لا يستقر في قلبه أحد طرفي النسبة فيضيق قلبه منه، ومن في قوله: منه سببية، أي لا يمكن في قلبك حرج بسببه، وضمير منه يرجع إلى الإنزال المُسند إليه تعالى المدلول من قوله: أنزلناه. قوله: (أو حرج منه بتبليغه)، فحينئذ يكون الحرج عل أصل معناه، ويُقدّر المضاف، فإن الحرج حقيقة لا يختص بالأجسام والضيق المكاني. قوله: (والنهي متوجه إلى الحرج، وفيه من المبالغة ما فيه) مع أنّ الحرج ليس مما يؤمر ويُنهى بالكون في الصدر أو عدم الكون فيه، والنهي من باب التهيج والإلهاب ليدوم على اليقين ويزيد فيه؛ كقوله: ﴿إِن كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾ [يونس: الآية ٩٤]، وقيل: المراد نهى أمته عن الشك؛ لأن الأمر والنهي إنما يتعلقان بمن له شعور وعزيمة على الفعل والتّرك، والحرج ليس كذلك، إلا أنه لما قصد المبالغة في نهى المخاطب عن كونه في حرج عبّر عن عدم كونه في حرج بعدم كون الحرج في صدره على طريق ذكر اللازم وإرادة الملزوم، فإن الكناية أبلغ من الصريح، فإن قولك: لا أرينك ههنا أبلغ من أن يقال: لا تكون ههنا، ولا تحضرنّ فيه، فإن عدم كون المخاطب في ذلك المكان ملزوم رؤية المتكلّم إياه فيه، فعبر عن الأول بالثاني لكون نهى المتكلّم عن نفسه عن رؤية المخاطب فيه أبلغ في نهى المخاطب عن الحضور فيه، لكون النهي الأول كالبيّنة للثاني، ولا شك أن إثبات الشيء بيّنة أبلغ من مجرد الإثبات، ومثله في الأمر قوله تعالى: ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: الآية ١٢٣]، فإن ظاهره أمر الكفار بأن يجدوا في المؤمنين غلظة، والمراد أمر المؤمنين بأن يغلظوا على الكفار، ولما كان وجدان الكفار غلظة في المؤمنين لازماً لغلظة المؤمنين عليهم، وكان طلب المؤمنين اللازم أبلغ من طلب الملزوم عبّر عن غلظة المؤمنين عليهم بذلك. قوله: (جسور) في

بإضمار فعلها أي لتنذير به وتذكر تذكيراً، فالذكرى اسم بمعنى التذكير، أو الرفع بالعطف على ﴿كَتَبَ﴾ أي هو كتاب وذكرى للمؤمنين، (أو بأنه خبر مبتدأ محذوف، أو الجر بالعطف على محل ﴿لِنُنْذِرَ﴾) أي للإنذار وللذكرى.

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي القرآن والسنة ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أي ولا تتولوا من دونه شياطين الجن والإنس فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره ﴿قَلِيلًا﴾ نصب بـ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ أي تذكرون تذكراً قليلاً. و«ما» مزيدة لتوكيد القلة («يتذكرون» شامي).

﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿وَكَمْ﴾ مبتدأ ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ تبين والخبر ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ (أي أردنا إهلاكها) كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: آية ٦] ﴿فَجَاءَهَا﴾ جاء أهلها ﴿بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيِّنًا﴾ مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين، يقال: بات بيئاً حسناً ﴿أَوْ﴾

مختار الصّحاح: جَسِرَ على كذا أقدم، يجسر - بالضم - جسارة - بالفتح - وتجاسر أيضاً، والجسور - بالفتح - المقدم. اهـ. قوله: (أو بأنه خبر مبتدأ محذوف)، أي هو ذكرى عطفًا على جملة هو كتاب، فيكون كل من الحكمين مستقلاً بخلاف ما إذا جُعِلَ عطفًا على كتاب، فإنّ المعنى أنه جامع بين كونه كتاباً وتذكيراً. قوله: (أو الجرّ بالعطف على محل ﴿لِنُنْذِرَ﴾)، فإنّ الفعل فيه منصوب بأن المضمرة بعد لام كي، فانسبك منهما المصدر، فكأنه قيل للإنذار والتذكير، فإنّ ذكرى اسم مصدر بمعنى التذكير.

قوله: («يتذكرون») بياء قبل التاء مع تخفيف الذال (شامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون بقاء فوقية واحدة بلا ياء قبلها، وخفف الذال حفص وحمزة والكسائي وخلف على أصلهم. والباقون بالتشديد.

قوله: (أي أردنا إهلاكها) قدر الإرادة لدلالة قوله تعالى: ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ على تقديرها؛ إذ لو لم تقدّر لزم أن يكون مجيء البأس بعد الإهلاك وعقيقه، وليس كذلك، بل الأمر بالعكس.

هُمْ قَائِلُونَ ﴿ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ حال معطوفة على ﴿يَبْتَئُونَ﴾ كأنه قيل: فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين. وإنما قيل: ﴿هُمْ قَائِلُونَ﴾ بلا «واو» ولا يقال: «جاءني زيد هو فارس» بغير واو، لأنه لما عطف على حال قبلها حذفت الواو استثقلاً لاجتماع حرفي عطف، لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل. وخصّ هذان الوقتان لأنهما وقتا الغفلة فيكون نزول العذاب فيما أشد وأفزع. وقوم لوط عليه السلام أهلكوا بالليل وقت السحر، وقوم شعيب عليه السلام وقت القيلولة. وقيل: ﴿يَبْتَئُونَ﴾ ليلاً أي ليلاً وهم نائمون أو نهاراً وهم قائلون.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنًا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٥﴾

﴿فَمَا كَانَ دَعْوُهُمْ﴾ (دعائهم وتضرعهم) ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنًا﴾ لما جاءهم أوائل العذاب ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ اعترفوا بالظلم على أنفسهم والشرك حين لم ينفعهم ذلك. و﴿دَعْوُهُمْ﴾ اسم «كان» و﴿أَنْ قَالُوا﴾ الخبر ويجوز العكس ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أرسل مسند إلى إليهم أي فلنسألن المرسل إليهم وهم الأمم عما أجابوا به رسلهم ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عما أجابوا به.

﴿فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَاقِبِهِمْ﴾ ﴿٦﴾

﴿فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم ﴿بِعَاقِبِهِمْ﴾ عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عنهم وعما وجد منهم (ومعنى السؤال التوبيخ) والتقريع (والتقرير إذا فاهوا) بألسنتهم وشهد عليهم أنبياءهم.

قوله: (دعائهم وتضرعهم)، فَإِنَّ الدَّعْوَى قد تجيء بمعنى الدعاء والتضرع، ومنه ما حكاه الخليل: اللَّهُمَّ أَشْرَكْنَا فِي صَالِحِ دَعْوَى الْمُسْلِمِينَ، أي في صالح دعائهم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوُهُمْ﴾ [الأنبياء: الآية ١٥]، والمعنى لم يكن دعائهم ربهم إلا هذا القول لعلمهم بأن ليس الحين حين دعاء.

قوله: (ومعنى السؤال التوبيخ)... الخ. جواب عما يقال: المقصود من السؤال أن يُخبر المسؤول عن كَيْفِيَّةِ أَعْمَالِهِ، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم كانوا يقرّون بأنهم كانوا ظالمين، فما فائدة هذا السؤال؟ وتقرير الجواب أنهم لما أقرّوا

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

﴿وَالْوَزْنُ﴾ أي وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيئها وهو مبتدأ وخبره ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم يسأل الله الأمم ورسلمهم فحذفت الجملة وعوض عنها التنوين ﴿الْحَقُّ﴾ أي العدل صفته (ثم قيل: توزن صحائف الأعمال) بميزان (له لسان وكفتان

بأنهم كانوا ظالمين مقصرين سُئلوا بعد ذلك عن سبب ظلمهم وتقصيرهم تقريرًا وتوبيخًا، وكذلك الرُّسل يُسألون مع العلم بأنهم لا يصدر منهم التقصير البتة يظهر عدم تقصيرهم في تبليغ ما حملوه من الرسالة، ويلحق التقصير كله بالأئمة، فيتضاعف إكرام الله تعالى للرسول لظهور براءتهم من جميع مُوجبات التقصير، ويتضاعف الخزي والإهانة في حق الكفار. قوله: (إذا فاهوا) أي تكلموا، يتعلق بقوله: (والتقرير)، يعني إذا تكلموا بألسنتهم، فكان تقرير الاستحقاق الوعيد. اهـ محشي كحلته .

قوله: (ثم قيل: توزن صحائف الأعمال)... الخ. في تفسير وزن الأعمال قولان: الأول ما ورد في الخبر أن الله تعالى ينصب ميزانًا له لسان وكفتان يوم القيامة يُوزن به أعمال العباد خيرها وشرها، إما بأن تصوّر أعمال المؤمنين بصورة حسنة، وتصور أعمال الكافر بصورة قبيحة، فتوزن تلك الصورة أو توزن الصحف التي كتبت فيها أعمال العباد. والقول الثاني، وهو قول مجاهد والضحاك والأعمش أن المراد من الميزان العدل والقضاء وكثير من المتأخرين ذهبوا إلى هذا القول، وحمل لفظ الوزن على هذا المعنى شائع في اللغة، فإن العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر له أثر إلا بالكيل والوزن في الدنيا، فلم يبعد جعل الوزن كناية عن العدل بأن يذكر وزن الأعمال، ويُراد القضاء بالعدل في أمر المُجازاة عليها، ويعبر عن القضاء بالعدل بالوزن لكون الوزن طريقًا لظهور العدل، ويقوي ذلك أن الرجل إذا لم يكن له قدر ولا قيمة عند غيره، يقال: إن فلانًا لا يقيم لفلان وزنًا، قال تعالى: ﴿فَلَا تُقِيمُ هُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥].

قوله: (له لسان) في لسان العرب: لسان الميزان عَذْبَتَه. اهـ. وأيضًا فيه: العَذْبَةُ الحَيْطُ الذي يرفع به الميزان. اهـ. قوله: (وكفتان) بكسر الكاف وفتحها. اهـ مختار الصحاح. وفي لسان العرب: كَفَّةُ الميزان الكسر فيها أشهر، وقد حُكي فيها

إظهارًا للنصفة) وقيل: هو عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل والله أعلم بكيفيته ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ جمع ميزان أو موزون أي فمن رجحت أعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات أو ما توزن به حسناتهم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

﴿وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

﴿وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ هم الكفار فإنه لا إيمان لهم ليعتبر معه عمل فلا يكون في ميزانهم خير فتحذف موازينهم ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ يجحدون فالآيات الحجج والظلم بها وضعها في غير موضعها أي جحدوها وترك الانقياد لها ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ جعلنا لكم مكانًا وقرارًا، أو مكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ﴾ جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما. (والوجه تصريح الباء) لأنها أصلية بخلاف صحائف فالياء فيها زائدة، (وعن نافع) أنه همز تشبيهاً بصحائف ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ مثل ﴿قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ [الحاقة: الآية ٤٢].

الفتح وأباها بعضهم. اهـ. قوله: (إظهارًا للنصفة) وقطعًا للمعذرة بيان لحكمة الوزن، وقوله: النصفة، في المصباح: أنصفت الرجل إنصافًا عاملتة بالعدل والقسط، والاسم النصفة - بفتحيتين - اهـ.

قوله: (والوجه تصريح الباء) وعليه الجمهور. قوله: (وعن نافع) ... الخ. ورؤي عن نافع: معاش بالهمزة، فقال النحويون: إنه غلط؛ لأنه لا يهمز عندهم بعد ألف الجمع إلا الياء الزائدة، كصحيفة وصحائف. وأمّا معاش، فياؤه أصلية في عين الكلمة؛ لأنها من العيش، حتى قال أبو عثمان: إن نافعًا لم يكن يدري العربية، وردّ هذا بأن العرب قد تشبه الأصلي بالزائد لكونه على صورته، وقد سمع عنهم هذا في مصائب ومناير ومعاش؛ فالمغلط هو الغلط، والقراءة، وإن كانت شاذة غير متواترة مأخوذة عن الفصحاء الثقّات. وأمّا قول سيبويه: إنها غلط، فإنه عنى أنها خارجة عن الجادة والقياس، وهو كثير ما يستعمل الغلط في كتابه بهذا المعنى، وإلى ما ذكر أشار المصنّف رحمة الله عليه. اهـ شهاب. وفي غيث النفع

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي خلقنا أباكم آدم ﷺ طيناً غير مصور ثم صورناه بعد ذلك دليلاً ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ ممن سجد لآدم ﷺ ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ﴾ «ما» رفع أي شيء منعك من السجود؟ «ولا» زائدة بدليل ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي﴾ [ص: الآية ٧٥]، ومثلها ﴿ثَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: الآية ٢٩] أي ليعلم ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ فيه دليل على أن الأمر للوجوب، والسؤال عن المانع من السجود مع علمه به للتوبيخ وإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وتحقيره أصل آدم ﷺ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ﴾ وهي جوهر نوراني ﴿وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ وهو ظلمياني وقد أخطأ الخبيث بل الطين أفضل (لرزانته) ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك دعاه إلى التوبة والاستغفار، وفي النار (الطيش) والحدة والترفع وذلك دعاه إلى الاستكبار. والتراب عدة الممالك، والنار عدة المهالك. والنار مظنة الخيانة والإفناء، والتراب (مثنة) الأمانة والإنماء، والطين يطفئ النار ويتلفها، والنار لا تتلفه. وهذه فضائل غفل عنها إبليس حتى زلّ بفاسد من المقاييس. وقول نافي

في القراءات السبع: معايش هو بالياء من غير همز ولا مد لكل القراء، وشذّ خارجة فرواه عن نافع بالهمز وهو ضعيف جداً، بل جعله بعضهم لحناً؛ لأنه جمع معيشة وأصلها مفعلة بكسر العين ثم نُقلت حركة الياء إلى العين تخفيفاً، فالميم زائدة لأنها من العيش والياء أصلية متحركة، فلا تُقلب في الجمع همزة، نحو مكاييل ومبايع. أما لو كانت زائدة أصلها في الواحد السكون لهمزتها في الجمع نحو سفائن وصحائف ومدائن؛ لأن مفردة فعيلة والياء فيه زائدة ساكنة، وكذا تهمز في الجمع إذا كان موضع الياء ألف أو واو زائدتان نحو عجائز ورسائل؛ لأن الواحد عجوز ورسالة. اهـ.

قوله: (لرزانته) الرّزاة الوّار. اهـ مختار الصّحاح. قوله: (الطّيش) الخفة. اهـ مختار الصّحاح. قوله: (مّثّة) أي مّظنة.

القياس: أول مَنْ قاس إبليس قياس. على أن القياس عند مثبته مردود عند وجود النص وقياس إبليس عناد للأمر المنصوص. وكان الجواب لـ ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ أن يقول: «منعني كذا» وإنما قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ لأنه قد استأنف قصة وأخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وبعدة فضله عليه فعلم منها الجواب - كأنه قال: منعني من السجود فضلي عليه، (وزيادة عليه وهي) إنكار الأمر واستبعاد أن يكون (مثله) مأمورًا بالسجود (لمثله)، إذ سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (١٣)

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ من الجنة أو من السماء لأنه كان فيها وهي مكان المطيعين والمتواضعين. والفاء في ﴿فَاهْبِطْ﴾ جواب لقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ أي إن كنت تتكبر فاهبط ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ فما يصح لك ﴿أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ وتعصى ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ من أهل (الصغار والهوان) على الله وعلى أوليائه، يذمك كل إنسان ويلعنك كل لسان لتكبرك، وبه علم أن الصغار لازم للاستكبار.

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٥﴾

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أمهلني إلى يوم البعث وهو وقت النفخة الأخيرة ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (١٥) إلى النفخة الأولى. وإنما أجيب إلى ذلك لما فيه من الابتلاء، وفيه تقريب لقلوب الأحباب أي هذا بري بمن يسيئني فكيف بمن يحبني! وإنما جسره على السؤال مع وجود الزلل منه في الحال علمه بحلم ذي الجلال.

﴿قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١٦)

﴿قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتَنِي﴾ أضللتني (أي فبسبب إغوائك) إياي. والباء تتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب إغوائك أقسم،

قوله: (وزيادة عليه) أي على الجواب. قوله: (وهي) الزيادة إنكار الأمر، أي أمر الله سبحانه وتعالى إبليس بالسجود. قوله: (مثله) أي إبليس عليه اللعنة. قوله: (لمثله) أي آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

قوله: (الصغار) - بالفتح - الدل. قوله: (الهوان) نقيض العز.

قوله: (أي فبسبب إغوائك) إشارة إلى أن الباء سببية، وما مصدرية.

(أو تكون الباء للقسم) أي فأقسم يا غواثك ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لأعترضن لهم على طريق الإسلام مترصداً للرد مترصداً للصمد كما يتعرض العدو على الطريق (ليقطعه) على (السابلة). وانتصابه على الظرف كقولك «ضرب زيد الظهر» أي على الظهر. وعن طاوس أنه كان في المسجد الحرام فجاء رجل قدري فقال له (طاوس): تقوم (أو تقام). فقام الرجل فقيل له: أتقول هذا لرجل فقيه؟ فقال: إبليس أفتقه منه ﴿قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتَنِي﴾ وهو يقول أنا أغوي نفسي.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾
﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أشككهم في الآخرة ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أرغبهم في الدنيا ﴿وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ﴾ من قبل الحسنات ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ من قبل السيئات وهو جمع

قوله: (أو تكون الباء للقسم) ولا يقسم إلا بما هو عظيم الشأن وجليل القدر، والإغواء لكونه من صفات الله تعالى الفعلية صح أن يقسم به، كأنه قيل: بقدرتك ونفاذ سلطانك في لأقعدن لهم على الطريق المستقيم الذي يسلكونه إلى الجنة بأن أزيّن لهم الباطل وما يكسبونه من المأثم، ويدل على كونها قسمية قوله تعالى في سورة ص: ﴿فَعِزَّزْنَاكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ﴾ [ص: الآية ٨٢]. قوله: (ليقطعه) أي الطريق.

قوله: (السابلة) أبناء السبيل. قوله: (طاوس) بن كيسان، أبو عبد الرحمن الخولاني اليماني التابعي، أحد الأعلام من أبناء الفرس، كان أعلم التابعين بالحلال، أخذ عن عائشة رضي الله عنها وطائفة. اهـ دستور الأعلام. وفي تهذيب الأسماء: كان يسكن الجند - بفتح الجيم والنون - بلدة معروفة باليمن، هو من كبار التابعين والعلماء الفضلاء الصالحين. سمع ابن عباس وابن عمرو وابن عمر وجابر وأبا هريرة وزيد بن ثابت وابن أرقم وعائشة رضي الله عنها. روى عنه ابنه عبد الله الصالح ابن الصالح ومجاهد وعمر بن دينار وخلائق من التابعين، واتفقوا على جلالته وفضيلته ووفور علمه وصلاحه وحفظه وثبته. قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً قط مثل طاوس. توفي بمكة في سابع ذي الحجة سنة ست مائة، هذا قول الجمهور. وقال الهيثم بن عدي وأبو نعيم: سنة بضع عشر ومائة، والمشهور الأول، وقالوا: وكان له بضع وسبعون سنة رحمة الله تعالى عليه. اهـ. قال الصاغاني: والاختيار أن يكتب الطاوس علماً بواو واحدة كداود. قوله: (أو تقام) بغير إرادتك.

شمال يعني ثم لآتينهم من الجهات الأربع التي يأتي منها العدو في الأغلب. وعن (شقيق): ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربعة مراصد: من بين يدي فيقول لا تخف فإن الله غفور رحيم (فاقرأ ﴿وَإِنِّي لَفَقَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾) [طه: الآية ٨٢]. ومن خلفي فيخوفني (الضيعة) على (مخلفي) فاقرأ ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: الآية ٦) وعن يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرأ ﴿وَالْعَنَقَةُ لِّلْمُنْفِقِينَ﴾ [القصص: الآية ٨٣] وعن شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: الآية ٥٤] ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة، وقال في الأولين: «من» لابتداء الغاية وفي الأخيرين «عن» لأن «عن» تدلّ على الانحراف ﴿وَلَا تَحُدُّكُمْ أَكْثَرُهُمْ شُكْرِكُمْ﴾ مؤمنين قاله ظنًا فأصاب لقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُمْ﴾ [سبأ: الآية ٢٠] أو سمعه من الملائكة بإخبار الله تعالى إياهم.

قوله: (شقيق) بن إبراهيم البلخي من مشائخ خراسان له لسان في التوكل حسن الكلام فيه، صاحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه الطريق وهو أستاذ حاتم الأصم، وكان قد خرج إلى بلاد الترك للتجارة وهو حدث، فدخل إلى بيت أصنامهم، فقال لعالمهم: إن هذا الذي أنت فيه باطل، ولهذا الخلق خالق ليس كمثله شيء رازق كل شيء، فقال له: ليس يوافق قولك فعلك، فقال له شقيق: كيف قال زعمت أن لك خالقًا قادرًا على كل شيء وقد تغيبت إلى ههنا تطلب الرزق؟ قال شقيق: فكان سبب زهدي كلام التركي، فرجع وتصدّق بجميع ما يملك وطلب العلم، وكانت وفاته سنة ثلاث وخمسين ومائة رحمة الله تعالى عليه، ذكره ابن الجوزي في الشذور، وفي دستور الأعلام بمعارف الأعلام شقيق بن إبراهيم البلخي، أبو علي الزاهد شيخ خراسان، سافر مرة وفي صحبته ثلاثمائة مريد، وهو شيخ حاتم الأصم. اهـ.

قوله: (فاقرأ ﴿وَإِنِّي لَفَقَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾)، أي فادع هذه الوسوسة بهذه الآية لأنها تدلّ على أن الغفران منوط بالتوبة والإيمان والعمل الصالح، فمن ليس له هذا المجموع كيف يأمن.

قوله: (الضيعة) أي إضاع. **قوله: (مخلفي)** مخلف الرجل من يخلف بعده؛ كالأولاد والأقارب.

﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا لَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٨﴾ وَبَكَدُمْ أَشْكُنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾

﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا﴾ من الجنة أو من السماء ﴿مَذْمُومًا﴾ معيياً من ذأمة إذا ذمه (والذام والذم) العيب ﴿مَذْهُورًا﴾ مطروذاً مبعداً من رحمة الله. واللام في ﴿لَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ﴾ موطئة للقسم وجوابه ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ وهو ساد مسد جواب الشرط ﴿مِنْكُمْ﴾ منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب ﴿أَجْمَعِينَ﴾ ﴿وَبَكَدُمْ﴾ وقلنا يا آدم بعد إخراج إبليس من الجنة ﴿أَشْكُنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ اتخذها مسكناً ﴿فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا﴾ فتصيرا ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ ﴿٢١﴾

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ وسوس إذا تكلم كلاماً خفياً يكرره وهو غير متدد، ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس إليه وهو الذي يُلقى إليه الوسوسة. ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لأجله ووسوس إليه ألغاهما إليه ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَ تَيْهَمَا﴾ ليكشف لهما ما ستر عنهما من عوراتهما. وفيه دليل على أن كشف العورة من عظام الأمور، وأنه لم يزل مستقبلاً في الطباع والعقول. فإن قلت: ما للواو المضمومة في ﴿وُورِيَ﴾ لم تقلب همزة كما في «أو يصل» تصغير واصل وأصله «وويصل» فقلبت الواو همزة كراهة لاجتماع الواوين؟ قلت: لأن الثانية مدة كألّف «واري» فكما لم يجب همزها في «وعد» لم يجب في ﴿وُورِيَ﴾ وهذا لأن الواوين إذا تحركتا ظهر فيهما من الثقل ما لا يكون فيهما إذا كانت الثانية ساكنة، وهذا مدرك بالضرورة فالتزموا إبدالها في موضع الثقل لا في غيره. وقرأ (عبد الله) «أورى» بالقلب ﴿وَقَالَ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ

قوله: (والذام) من المهموز العين، (والذم) من المضاعف.

قوله: (عبد الله) بن مسعود، هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل - بالغين المعجمة والفاء - ابن حبيب، وأمه أم عبد بنت عبد ود بن سواء أسلمت وهاجرت، فهو صحابي ابن صحابية. أسلم عبد الله قديماً حين أسلم

هَذِهِ الشَّجَرَةُ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مُلْكَيْنِ ﴿٢٢﴾ (إلا كراهة أن تكونا) ملكين تعلمان الخير والشر وتستغنيان عن الغذاء. (وقرىء ﴿ملكين﴾) لقوله: ﴿وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: الآية ١٢٠] ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ وأقسم لهما ﴿إِنِّي لَكُمَا لِمَنْ التَّصْحِيتِ﴾ وأخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة لأنه لما كان منه القسم ومنهما التصديق فكأنهما من اثنين.

﴿فَدَلَّهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿فَدَلَّهُمَا﴾ فنزلهما إلى الأكل من الشجرة ﴿بِعُرْوَةٍ﴾ بما غرهما به من القسم بالله وإنما يخدع المؤمن بالله.

سعيد بن زيد قبل عمر بن الخطاب بزمان، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأحدًا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد، وشهد اليرموك وهو الذي أجهز على أبي جهل يوم بدر، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ كان يلبسه إياها إذا قام، فإذا خلعها وجلس جعلها ابن مسعود في ذراعه، وكان كثير الولوج على رسول الله ﷺ والخدمة له، وكان يُعرف بصاحب السواد والسواك والنعل. رُوي له عن رسول الله ﷺ ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على أربعة وستين، وانفرد البخاري بأحد وعشرين، ومسلم بخمسة وثلاثين. توفي سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين، وهو ابن بضع وستين سنة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (إلا كراهة أن تكونا) إشارة إلى أنه استثناء مفرغ من أعم المفعول له، أي ما نهاكما لأمرٍ ما إلا كراهة أن تكونا ملكين، بتقدير المضاف عند البصريين، وقدره الكوفيتون: إلا أن تكونا وأوهمهما الخبيث بهذا الكلام أنكما إن أكلتما منها تكونان بمنزلة الملائكة، أو تكونان من الخالدين، فرغبهما في أكلها طمعًا لحصول أحد الأمرين لهما، وقيل: أو هنا بمعنى الواو؛ لأن الترخيب في مجموع الأمرين أدخل في حصول غرض الخبيث من الوسوسة. قوله: (وقرىء ﴿ملكين﴾) بكسر اللام قارئه ابن عباس والحسن والضحاك ويحيى ابن أبي كثير والزهري وابن حكيم عن ابن كثير، وهذه القراءة شاذة.

وعن (ابن عمر) رضي الله عنهما: من خدعهما بالله انخدعنا له ﴿فَلَمَّا ذَاكَ الشَّجَرَةَ﴾ وجدا

قوله: (ابن عمر) أي عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما القريشي العدوي المدني الصحابي الزاهد، أمه وأُم أخته حفصة زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحي. أسلم مع أبيه قبل بلوغه وهاجر قبل أبيه، وأجمعوا على أنه لم يشهد بدرًا لصغره، وقيل: شهد أحدًا، وقيل: لم يشهدا، وثبت في الصحيحين عنه أنه قال: عُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة، فلم يُجْزَنِي، وعُرِضَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني، وشهد الخندق وما بعدها من المستأخذ مع رسول الله ﷺ، وشهد غزوة مؤتة واليرموك وفتح مصر وفتح أفريقية، وثبت في صحيح البخاري عن ابن عمر، قال: أول يوم شهدته يوم الخندق، وكان شديد الاتباع لأنار رسول الله ﷺ حتى أنه ينزل منازلهم ويصلي في كل مكان صلى فيه ويُبْرِكُ ناقته في مبرك ناقته، ونقلوا أن النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهدها بالماء لثلاث تَبَسَّس. رَوَى لَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَلْفَ حَدِيثٍ وَسِتْمِائَةَ حَدِيثٍ وَثَلَاثُونَ حَدِيثًا، اتَّفَقَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْهَا عَلَى مِائَةِ وَسَبْعِينَ، وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ بِأَحَدٍ وَثَمَانِينَ، وَمُسْلِمٌ بِأَحَدٍ وَثَلَاثِينَ. رَوَى عَنْهُ أَوْلَادُهُ الْأَرْبَعَةُ: سَالِمٌ وَحَمْزَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَبِلَالٌ وَخَلَاتِقٌ لَا يُحْصُونَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَمَنَاقِبُهُ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ، بَلْ قَلَّ نَظِيرُهُ فِي الْمَتَابَعَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَفِي الزَّهَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَمَقَاصِدِهَا وَالتَّطَلُّعِ إِلَى الرَّئَاسَةِ وَغَيْرِهَا، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ، فَرُبَّمَا تَصَدَّقَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا. قَالَ نَافِعٌ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا اشْتَدَّ عَجَبُهُ بِشَيْءٍ مِنْ مَالِهِ تَقَرَّبَ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ رَقِيقَهُ قَدْ عَرَفُوا ذَلِكَ مِنْهُ، فَرُبَّمَا لَزِمَ أَحَدَهُمُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَأَاهُ ابْنُ عُمَرَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الْحَسَنَةِ أَعْتَقَهُ، فَيَقُولُ لَهُ أَصْحَابُهُ: إِنَّهُمْ يَخْدَعُونَكَ، فَيَقُولُ: مَنْ خَدَعَنَا بِاللَّهِ انْخَدَعْنَا لَهُ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَسْرُدُ الصُّومَ، وَهُوَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ السَّارِدِينَ لِلصُّومِ، مِنْهُمْ عُمَرُ وَابْنُهُ وَأَبُو طَلْحَةَ وَحَمْزَةُ بْنُ عُمَرَ وَعَائِشَةُ، وَاعْلَمْ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ أَحَدَ السِّتَّةِ الَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ رَوَايَةً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُمْ سِتَّةٌ: أَبُو هُرَيْرَةَ، ثُمَّ ابْنُ عُمَرَ، ثُمَّ أَنَسٌ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَجَابِرٌ، وَعَائِشَةُ؛ وَهُوَ أَحَدُ الْعِبَادَةِ الْأَرْبَعَةِ، وَمَنَاقِبُ ابْنِ عُمَرَ وَأَحْوَالُهُ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ. تَوَفَّى ابْنُ عُمَرَ بِمَكَّةَ سَنَةَ ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ بَعْدَ قَتْلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَقَالَ يَحْيَى بْنُ كَبِيرٍ:

طعمها آخذين في الأكل منها وهي (السنبلة أو الكرم) ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ بُهْمَا﴾ ظهرت لهما عورتاهما (لتهافت اللباس عنهما) وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر. وقيل: كان لباسهما من جنس الأظفار أي كالظفر بياضاً في غاية اللطف واللين فبقي عند الأظفار تذكيراً للنعم وتجديداً للندم ﴿وَطَفِقَا﴾ وجعلا يقال: طفق يفعل كذا أي جعل ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ يجعلان على عورتهما من ورق التين أو (الموز) ورقة فوق ورقة ليستترا بها (كما يخصف النعل).

﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ هذا عتاب من الله وتنبيه على الخطأ. ورُوي أنه قال لآدم ﷺ: ألم يكن لك فيما (منحتك) من شجر الجنة (مندوحة) عن هذه الشجرة؟ فقال: بلى ولكن ما ظننت أن أحداً يحلف بك كاذباً قال: فبِعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا بكذب يمين وعرق جبين، فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد و(داس) و(ذرى) و(طحن) و(عجن) و(خبز) ﴿وَأَقُلْ لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

توفي ابن عمر بمكة بعد الحج، ودُفن بالمحصب. قال: وبعض الناس يقول: بفتح، وفتح - بالخاء المعجمة - موضع بقرب مكة.

قوله: (السنبلة) من الحنطة معروفة. قوله: (أو الكرم) وزان فلس: العنب. قوله: (لتهافت اللباس عنهما) التهافت التساقط ويخص بما يُكره. قوله: (الموز) فاكهة معروفة الواحد موزة، مثل تمر وتمرّة، وهو الطلح. اهـ مصباح. قوله: (كما يخصف النعل) أي يخرز طرفه، أي طاقه وجلده فوق أخرى. في المصباح: خصف الرجل نعله خصفاً من باب ضرب خصاف، وهو فيه كرقع الثوب. اهـ. وأيضاً فيه: خرزت الجلد خرزاً من باب ضرب وقتل، وهو كالخياطة في الثياب. اهـ.

قوله: (منحتك) أي أعطيتك. قوله: (مندوحة) أي سعة وكفاية. قوله: (داس) الرجل الحنطة يدوسها دوساً ودياساً مثل الدّراس، ومنهم من ينكر كونه الدياس من كلام العرب، ومنهم من يقول: هو مجاز، وكأنه مأخوذ من داس الأرض دوساً إذا شدد وطأ عليها بقدمه. اهـ. قوله: (ذرى) في المصباح: ذريت الطعام تذريةً إذا خلصته من تبنه. اهـ. قوله: (عجن) من باب ضرب. قوله: (طحن) من باب نفع. قوله: (خبز) من باب ضرب.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فيه دليل لنا على المعتزلة لأن الصغائر عندهم مغفورة ﴿قَالَ أَهْبِطُوا﴾ الخطاب لآدم وحواء بلفظ الجمع لأن إبليس هبط من قبل، ويحتمل أنه هبط إلى السماء ثم هبطوا جميعاً إلى الأرض ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في موضع الحال أي متعادين يعاديهما إبليس وبعاديانه ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ استقرار أو موضع استقرار ﴿وَمَتْنٌ﴾ وانتفاع بعيش ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى انقضاء آجالكم. وعن (ثابت البناني): لما أهبط آدم عليه السلام وحضرته الوفاة وأحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها: خلّي ملائكة ربي فإنما أصابني ما أصابني فيك. فلما تُوفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترّا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له قبراً (ودفنوه بسرنديب) بأرض الهند وقالوا لبنيه: هذه سنتكم بعده.

قوله: (ثابت) بن أسلم (البناني) - بضم الموحدة ونونين مخففتان - أبو محمد البصري، ثقة عابد مات سنة بضع وعشرين بعد المائة، وله ست وثمانون. قوله: (ودفنوه بسرنديب) بأرض الهند. في أخبار الدول وآثار الأول: دفنوه في جبل أبي قبيس في مكانٍ يقال له: غار الكبرى، فلم يزل آدم عليه السلام في ذلك الغار حتى كان زمن الغرق فاستخرجه نوح وحمله في تابوت معه في السفينة، فلما خرج رده إلى مكانه، وقيل: ذهب به إلى بيت المقدس، ويؤيد ذلك ما ذكره في إتحاف الأخصاء: أن قبر آدم في بيت المقدس، رأسه عند مسجد إبراهيم عليه السلام، ورجلاه عند الصخرة الشريفة، وبينهما ثمانية عشر ميلاً، فإذا كان يوم القيامة أقامه الله تعالى على رجله ثم يحشر ذريته إليه، ويقول الله تعالى: يا آدم إليك محشرت ذريتك لكرامتك عليّ. وقيل: دُفن في مسجد الخيف بمثى، وقيل: دُفن في مشارق الفردوس عند قرية هي أول قرية كانت في الأرض، وعاشت حواء بعده سنة واحدة ثم ماتت ودُفنت مع زوجها، وقيل: دُفنت بجدة. اهـ. وأيضاً فيها: سرنديب جزيرة في بحر كند بأقصى بلاد الصين، وهي ثمانون فرسخاً في مثلها، وبها معدن الذهب والفضة ومغاص اللؤلؤ، وبها الجبل الذي أهبط عليه آدم عليه

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ (٢٥) ﴿يَبْنِيْ اٰدَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُّوْرِي سَوَءَ تَكْمُ وَرِيْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوٰى ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ﴾ (٢٦)

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ في الأرض ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ للشواب والعقاب ﴿تُخْرَجُونَ﴾ حمزة وعلي ﴿يَبْنِيْ اٰدَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا﴾ جعل ما في الأرض منزلاً من السماء لأن أصله من الماء وهو منها ﴿يُّوْرِي سَوَءَ تَكْمُ﴾ يستر عوراتكم ﴿وَرِيْشًا﴾ لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين: لباساً يواري سوءاتكم ولباساً يزينكم ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوٰى﴾ ولباس الورع الذي بقي العقاب وهو مبتدأ وخبره الجملة وهي ﴿ذٰلِكَ خَيْرٌ﴾ كأنه قيل: ولباس التقوى هو خير لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر، (أو) ﴿ذٰلِكَ﴾ صفة للمبتدأ و﴿خَيْرٌ﴾ خبر المبتدأ كأنه قيل: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوٰى﴾ المشار إليه) خير، أو ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوٰى﴾ خبر مبتدأ محذوف أي وهو لباس التقوى أي ستر العورة لباس المتقين، ثم قال ﴿ذٰلِكَ خَيْرٌ﴾ وقيل: ولباس أهل التقوى من الصوف والخشن. ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوٰى﴾ (مدني وشامي) وعلي عطفاً على ﴿لِبَاسًا﴾ أي وأنزلنا عليكم لباس

السلام وبها أثر قدمه مغموسة في الحجر، ويُرَى كل ليلة في هذا الجبل مثل البرق من غير سحب وغيم، ولا بدّ له كل يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه السلام. اهـ.

قوله: ﴿تُخْرَجُونَ﴾ بفتح التاء وضّم الراء مبنياً للفاعل (حمزة وعلي) الكسائي، وكذا ابن ذكوان. والباقون بضمّ التاء وفتح الراء مبنياً للمفعول. قوله: (أو) ﴿ذٰلِكَ﴾ صفة للمبتدأ و﴿خَيْرٌ﴾ خبر المبتدأ... الخ. أي ويجوز أن يكون اسم الإشارة صفة للمضاف إلى المعرّف باللام، وقد تقرّر أن حقّ الموصوف أن يكون أخصّ من الصفة أو مساوياً لها بناءً على أنه المقصود بالنسبة، ولا يجوز أن يكون المقصود أقلّ رتبةً من غير المقصود، واسم الإشارة أخصّ من المعرّف باللام؛ فبالأولى أن يكون أخصّ من المضاف إلى المعرّف باللام، فكيف يكون صفة له؟ أشار إلى الجواب عنه بقوله: (كأنه قيل: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوٰى﴾ المشار إليه)، وتقريره أن اسم الإشارة ههنا في تأويل المشار إليه أو المذكور، فجاز أن يقع صفة للمضاف إلى المعرّف باللام. قوله: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوٰى﴾ بنصب السنين (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وشامي) أي ابن عامر الشامي

التقوى ﴿ذَلِكَ مِنْ مَّآيَتِ اللَّهِ﴾ الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني إنزال اللباس ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ فيعرفوا عظيم النعمة فيه، وهذه الآية واردة على سبيل (الاستطراد) عقيب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في (العري) من الفضيحة وإشعاراً بأن التستر من التقوى.

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَتهِمَا إِنَّهُ يَرَنَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ لا يخدعنكم ولا يضلنكم بأن لا تدخلوا الجنة كما فتن أبويكم بأن أخرجهما منها ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ حال أي أخرجهما نازعاً لباسهما بأن كان سبباً في أن نزع عنهما. والنهي في الظاهر للشيطان وفي المعنى لبني آدم أي لا تتبعوا الشيطان فيفتنكم ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَتهِمَا﴾ عورتاهما ﴿إِنَّهُ﴾ الضمير للشأن والحديث ﴿يَرَنَكُمْ هُوَ﴾ تعديل لنهي وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو (المداجي) يكبدكم من حيث لا تشعرون ﴿وَقَبِيلُهُ﴾ وذريته أو وجنوده من الشياطين وهو عطف على الضمير ﴿يَرَنَكُمْ﴾ المؤكد بـ ﴿هُوَ﴾، ولم يعطف عليه لأن معمول الفعل هو المستكن دون هذا البارز وإنما يعطف على ما هو معمول الفعل ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ قال (ذو النون): إن

وعليّ الكسابي، والباقون بالرفع. قوله: (الاستطراد) سَوَّقَ الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر، وهو غير مقصود بالذات، بل بالعرض. اهـ التعريفات للسيد الشريف. قوله: (العُري) في لسان العرب: العري خلاف اللبس، عري من ثوبه يَعرى عُرياً فهو عارٍ. اهـ.

قوله: (المداجي) في مختار الصحاح: المُدَاجاة المداراة، يقال: داجاه إذا داراه، كأنه سآثره العداوة. اهـ. قوله: (ذو النون)، هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري، كان أوحده وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك رضي الله تعالى عنه، وذكر ابن يونس عنه في تاريخه: أنه كان حكيماً فصيحاً، وكان أبوه نوبياً، وسُئِلَ عن سبب توبته، فقال: خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت في الطريق في بعض الصحاري، ففتحت عيني فإذا أنا

كان هو يراك من حيث لا تراه فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه وهو الله (الكريم) الستار الرحيم (الغفار) ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فيه دلالة خلق الأفعال.

بِقُبُورِهِ^(١) عَمِيَاءَ^(٢) سقطت من وكرها على الأرض، فانشقت الأرض فخرج منها سكرجتان إحداهما ذهب والأخرى فضة، وفي إحداهما سمس وفي الأخرى ماء، فجعلت تأكل من هذا وتشرب من هذا، فقلت: حسبي قد تبت ولزمت الباب إلى أن قبلني، وكان قد سعوا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر، فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل وردّه مُكْرَمًا، وكان المتوكل إذا ذكر أهل الورع بين يديه يبكي، ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحيّ هلا بذي النون، وكان رجلًا نحيفًا تعلوه حمرة ليس بأبيض اللحية وشيخه في الطريقة شقران العباد، ومحاسن الشيخ ذي النون كثيرة، وتوفي في ذي القعدة سنة خمس وأربعين، وقيل: ست وأربعين، وقيل: ثمان وأربعين ومائتين رضي الله تعالى عنه بمصر، ودُفن بالقرافة الصغرى وعلى قبره مشهد مبني.

قوله: (الكريم) أي كثير الجود والعطاء الذي لا ينفذ عطاؤه ولا يفنى خزائنه، وهو الكريم المطلق. وقيل: المتفضل بلا مسألة ولا وسيلة، وقيل: المتجاوز الذي لا يستقصي في العقاب ولا يستحصى في العتاب، وقيل: هو الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على المتمنى، ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى، وإذا رفعت الحاجة إلى غيره لا يرضى، ويقول: إن لنا للآخرة والأولى، وقيل: المقدس عن النقائص الموصوف بالنفائس.

قوله: (الغفار) أي الذي يستر العيوب، وإن كانت كثيرة، والذنوب وإن كانت كبيرة في الدنيا بإسبال السّر عليها، وفي العقبى بترك المُعَابَةِ والمُعَاقِبَةِ لها، وهو لزيادة بنائه أبلغ من الغفور. وقيل: المبالغة في الغفار باعتبار الكمية، وفي الغفور باعتبار الكيفية، وأصل الغفر السّر، فهو من أسماء الأفعال.

(١) قبره بهندى ابابيل. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) إذا صاح القنبر قال: إلهي العن مبغض آل محمد. ١٢ جمل.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ
أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ ما يبالغ في قبحه من الذنوب وهو طوافهم بالبيت (عُرة) وشركهم ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أي إذا فعلوها اعتذروا بأن آيائهم كانوا يفعلونها فافتدوا بهم، وبأن الله أمرهم بأن يفعلوها حيث أقرنا عليها إذ لو كرهها لنقلنا عنها وهما باطلان، لأن أحدهما تقليد للجهال والثاني افتراء على ذي الجلال ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ (إذ المأمور به لا بد أن يكون حسناً وإن كان فيه على مراتب على ما عُرف في أصول الفقه) ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ.

قوله: (عُرة) جمع عارٍ. قوله: (إذ المأمور به لا بد أن يكون حسناً، وإن كان فيه) أي المأمور به في الحسن (على مراتب على ما عُرف في أصول الفقه) في شرح مرقاة الوصول المسمى بمرآة الأصول، (ولا بد له) أي للمأمور به من الحسن لا بمعنى كونه صفة الكمال كالعلم أو موافقاً للغرض كالعدل، أو ملائماً للطبع كالجلالة، فإن ذلك يُدرك بالعقل ورد به الشرع أم لا بالاتفاق، بل (بمعنى كونه) أي المأمور به (متعلق المدح) عاجلاً في الدنيا، (و) متعلق الثواب آجلاً في العقبى، أي كون الفعل بحيث يستحق فاعله في حكم الله تعالى المدح والثواب، فإن هذا هو محل النزاع. (قال الأشاعرة): هو أي الحسن بهذا المعنى (موجب الأمر) أي أثره الثابت به، فالفعل أمر به فحسن، لا أنه حسن، فأمر به والحاكم به، أي بالحسن والموجب له هو الشرع^(١)، ولا دخل للعقل فيه، (وإنما العقل آلة بفهم الخطاب الشرعي (ومنا) أي من الحنفية (من وافقهم) أي الأشاعرة في هذا الرأي، (و) قالت (المعتزلة): الحسن (مدلوله) أي الأمر بمعنى أنه ثابت قبله، وهو دليل عليه، فالفعل عندهم حسن، فأمر به على عكس ما عند الأشاعرة (والحاكم) بالحسن والموجب له (العقل) بمعنى أنه يقتضي المأمور به شرعاً، وإن لم يرد، كما أنهم يحكمون بوجوب الأصلح على الله تعالى عنه علواً كبيراً، ولا دخل للشرع في الحكم، (بل الشرع مبين) للحسن في البعض الذي لا يُدرك العقل فيه الحسن ابتداءً، فإنه ربما يظهر أنه

(١) أي مقصور على الشرع، وهو السمع. ١٢ منه عم فيضهم.

مقتضى العقل الحاكم عند خفاء الاقتضاء، وإن لم يظهر وجه اقتضائه كما في وظائف العبادات، وما في وجوب صوم آخر رمضان، ونحو ذلك. (ومثلاً أي من الحنفية؛ كالشيخ أبي منصور وكثير من مشائخ العراق (مَن وافقهم) لا مطلقاً، بل (في إيجاب المعرفة)، فإنهم قالوا؛ العقل حاكم بوجوب معرفة الله تعالى، حتى قالوا بوجوب الإيمان على الصبي العاقل. قال صاحب الكشف: هذا ليس بصحيح؛ لأن الإيجاب على الصبي مخالف لظواهر النصوص وظواهر الآيات. (وقيل) القائل صاحب الميزان: (مدلوله) أي الحسن مدلول الأمر، كما ذهب إليه المعتزلة، لكن لا مطلقاً، بل (في المفهوم) أي فيما يفهم العقل حسنه؛ كالإيمان، وأصل العبادات والعدل والإحسان (موجبه) أي الحسن أثر الأمر كما ذهب إليه الأشاعرة، لا مطلقاً أيضاً، بل (في غيره) أي غير المفهوم كأكثر الأحكام الشرعية، وأدلة كلٍّ مِنَ المذاهب مسطورة في المطولات، فلا حاجة إلى إيرادها. (والمختار) عندنا (أنه مدلوله مطلقاً)، أي سواء كان في المفهوم أو غيره (لحكمة الأمر، فإنه) تعالى حكيم لا يأمر إلا بما هو حسن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [التحل: الآية ٩٠]. واعلم أن إفادة ما ذكر ههنا وما تُرك من الأدلة على المختار حسن المأمور به بالمعنى المتنازع فيه في غاية الإشكال، فلا علينا أن نطوي عن الاشتغال بها كشيخ المقال. (والحاكم) بالحسن (هو الشرع) كما هو رأي الأشاعرة (و) ليس (العقل) مجرد آلة فهم الخطاب، بل (هو يعرفه) أي الحسن (في بعض) من الأمور (الحسنة قبل السمع) متعلق بيعرفه، وكذا قوله: (بلا كسب) كحسن الصدق النافع، (أو به) كحسن الكذب (النافع) ويعرفه (في) بعض (آخر بعده) أي بعد السمع كأكثر أحكام الشرع. واعلم أن المتنازعين في الحسن متنازعون في القُبْح أيضاً، وإنما تركنا القبح واقتصرنا على الحسن؛ لأن الكلام في حسن المأمور به، وقد علم حكم القُبْح منه. وأما أقسامه، فستأتي في مباحث النهي إن شاء الله تعالى. (فالمأمور به) أي إذا كان الحسن مدلول الأمر مطلقاً لا موجبه، فالمأمور به (إما حسن لحسن في نفسه) أي يتّصف بالحسن باعتباره حسن ثابت في ذاته، سواء كان لعينه أو لجزئه، بخلاف الحسن لغيره، فإنه يتّصف بحسن ثبت في غيره، فظهر أنّ المراد بالمعنى في قول الجمهور: أمّا حسن لمعنى في نفسه هو الحسن لا أمر آخر حتى يحتاج إلى تكلف ارتكبه صاحب

التنقيح . (حقيقته) بأن لا يكون فيه شبه الحسن لغيره، (فأما أن لا يقبل) ذلك الحسن (سقوط التكليف) وهو إلزام ما فيه كلفة، وفي اختياره على قول فخر الإسلام: أما أن لا يقبل سقوط هذا الوصف يعني وصف الحسن فائدتان: الأولى دفع ما يرد إليه أنه لا يلزم^(١) من جواز سقوط الإقرار بالإكراه سقوط حسنه حتى لو صبر، فقتل كان مأجور. الثانية: أن التكليف مطلقاً أعم من التكليف بنفس الموصوف بالحسن، كما في الصلاة، ومن التكليف بالسعي في حصوله، كما في التصديق، فإنه كيف أو انفعال لا اختيار^(٢) في حصوله بنفسه مع ورود الأمر به؛ (كالتصديق) في الإيمان وهو التصديق المنطقيّ المُعَبَّر عنه في الفارسية: بگرویدن وراست گوئي داشتن، وحاصله الإذعان والقبول لوقوع النسبة أو لا وقوعها وتسميته^(٣) تسليمًا زيادة^(٤) التوضيح للمقصود وجعله مغايرًا للتصديق المنطقي وهم، وحصوله للكفار ممنوع، ولو سلم في البعض يكون كفره باعتبار جحوده باللسان واستكباره عن إظهار الإذعان، ثم لا يخفى أنه لا يحتمل سقوط التكليف به في حال من الأحوال، بإقرار المنافق ليس إيماناً في نفس الأمر، وعندنا إذا علمناه. وأما إجراء أحكام الإسلام على الإقرار، فلخفاء التصديق (أو يقبله) أي سقوط التكليف؛ كالإقرار باللسان، فإنه يسقط حال الإكراه؛ لأن الأصل هو التصديق وهو قلبيّ ليس اللسان معدنه، وقيام السيف يدلّ على عدم تبدّله، لكن ترك متمكّنه من غير عذر يدلّ على فواته، فلا يكون مؤمناً، ولو عند الله تعالى لا المصدق الغير المتمكّن، ولو كان نادراً، ولا المتمكّن عند الإيجابار على الإقرار والإنكار، فإنّ الإكراه المُلجئ لا يعدم الاختيار، بل يفسده، والإسلام مما يثبت بالشبهة؛ لأنه يعلو ولا يُعلَى عليه، فيكفي فيه الاختيار الفاسد. (والصلاة) فإنها تسقط بعذر الجنون والإغماء والحيز والنفس، وهي وإن شاركتها في احتمال السقوط، لكن بينهما فرق من وجهين أشار إلى الأول بقوله: (لكنها دونه) أي الصلاة أدنى من الإقرار؛ إذ ليست ركناً مثله لا حقيقة، وهو

(١) أنه لا يلزم بيان ما؛ لأن من محذوفة من أن المفتوحة قياساً بالاتفاق كالحذف من

المفاعيل. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) صفة كيف أو انفعال. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٣) منصوب بواو مع. ١٢ حامدي. (٤) مفعول للتسمية. ١٢ حامدي.

ظاهر، ولا إلحاقاً؛ إذ لا تدلّ عليه عدماً، كالإقرار حال الاختيار، ولا وجوداً إلا على هيئة مخصوصة، وسره أنّ كمال الإيمان في الإنسان بالجمع بين باطنه وظاهره كما هو مجموع من روحه وجسده، فتعين لذلك فعل اللسان؛ لأنه الموضوع للبيان، ولذا جعل رأس الشكر الحمد لا عمل سائر الأركان، وأشار إلى فرق الثاني بقوله: (وتسقط) أي الصلاة (بأعذار) كما سبق، (و) يسقط (هو) أي الإقرار (بعذر) واحد وهو الإكراه، (أو) حسن لحسن في نفسه، لكن لا حقيقة (بل حكماً؛ كالصوم) فإنه ليس بحسن في ذاته حقيقة؛ إذ فيه تجويع النفس ومنع نعم الله عن مملوكه مع النصوص المبيحة لها، وإنما يحسن بواسطة حسن قهر النفس الأمانة بالسوء التي هي أعدى أعداء الإنسان زجراً لها عن ارتكاب العصيان، (والزكاة) فإنها أيضاً ليست بحسنة في ذاتها حقيقة؛ لأن فيها إضاعة المال، وإنما حسنت بواسطة حسن دفع حاجة الفقير والإحسان إليه، (والحج) فإنه في نفسه قطع للمسافة إلى أمكنة مخصوصة وزيارة لها بمنزلة السفر للتجارة وزيارة البلدان، وإنما حسن بواسطة زيارة البيت الشريف بتشريف الله تعالى إياه، لكن هذه الوسائط لا تخرجها عن أن تكون حسنة لعينها؛ لأن النفس وإن كانت بحسب الفطرة محلاً للخير والشر، إلا أنها للمعاصي أقرب وإلى الشهوات أميل، حتى كأنها بمنزلة أمر جبلي بمنزلة الإحراق للنار، فبالنظر إلى هذا المعنى لا يحسن قهرها؛ إذ لا قبح في الاضطرابي، والفقير إنما يستحق الإحسان من جهة الرحمن لا من جهة فقره، والبيت لا يستحق الزيارة والتعظيم لنفسه؛ لأنه بيت كسائر البيوت، فسقط حسن قهر النفس ودفع الحاجة وزيارة البيت عن درجة الاعتبار، وصار كل من الصوم والزكاة والحج حسناً لمعنى في نفسه من غير واسطة وعبرة خالصة بمنزلة الصلاة، ولهذا جعلت حسنة لحسن في نفسها شبيهة بالحسن لحسن في غيره بدون العكس، وإنما قلنا: إن الوسائط هذه الأمور دون الشهوة والحاجة وشرف المكان؛ لأن الوسائط ما يكون حسن الفعل لأجل حسنهما، وظاهر أن نفس الحاجة والشهوة والشرف ليس كذلك، فإن قيل: لا تغاير في الخارج بين تلك الوسائط وبين الزكاة والصوم والحج، قلنا: لو سلم فيكفي التغاير الذهني، فليتأمل. (وحكمه) أي حكم الحسن لحسن في نفسه حقيقياً كان أو حكماً (عدم سقوط إلا بالأداء) أو بسبب (عروض ما يسقطه) مثل الحيض والنفاس

.....

للصلاة والصوم (بعينه) احتراز عن الحسن لحسن في غيره؛ كالوضوء والسعي، فإنه يسقط بسقوط الغير ويبقى ببقائه، كما سيأتي. فإن قيل: المراد بالساقط إن كان ما ثبت في الذمة بالسبب يصح قوله أو عروض ما يسقط بعينه؛ لأنه قد يسقط بعد الوجوب بالعوارض الحادثة في الوقت، ولكن لا وجه لإيراده في هذا الموضع؛ لأنه في بيان حسن ما ثبت بالأمر، وإن كان المراد به ما ثبت بالأمر، وهو وجوب الأداء لا يستقيم قوله أو عروض ما يسقط بعينه؛ لأن وجوب الأداء بعد ما ثبت لا يسقط بعارض، أوجب بأن الصلاة قد تسقط بعارض الحيض والنفاس بعد ما ثبت وجوب أدائها بالأمر، فإن الخطاب يتوجه عند ضيق الوقت بحيث لا يسع غير الوقتية ثم تسقط عنها إذا حاضت أو نفست في آخر الجزء كما سبق في مباحث المقيد بالوقت. (وأما حسن لحسن في غيره، فأما أن يتأذى ذلك) الغير (بنفس المأمور به) من غير احتياج إلى فعل آخر؛ (كالجهاد) فإنه ليس بحسن لذاته، لأنه تخريب البلاد وتعذيب العباد، وإنما حسن لما فيه من إعلاء كلمة الله تعالى، (وصلاة الجنازة) فإنها ليست بحسنة في ذاتها؛ لأنها بدون الميت عبث، وعلى الكافر قبيحة، وإنما حسنت لما فيه من قضاء حق الميت، (وهذا) الضرب من الحسن لحسن في غيره شبيهه (بالأول) أي الحسن لحسن في نفسه. وجه المشابهة أن مفهوم الجهاد هو القتل والضرب ونحوهما، وهو ليس بمفهوم إعلاء كلمة الله تعالى، لكن لا مغايرة بينهما في الخارج والإعلاء حسن بمعنى في نفسه، فما يتحد به يكون شبيهاً به، وكذا الحال في صلاة الجنازة، فإن قيل لم يشبه هذا بالأول ولم يشبه الحكمي منه بهذا، قلنا: لأنه لا جهة ههنا لارتفاع الوسائط وصيرورتها في حكم العدم بخلافها ثمة، (أو لا يتأذى ذلك) الغير (بها) أي بنفس المأمور به، بل يحتاج إلى فعل آخر (كالوضوء) فإنه في ذاته تبرّد وإضاعة ماء، وإنما حسن بكونه وسيلة إلى الصلاة (والسعي) إلى الجمعة، فإنه في نفسه تعب، وإنما حسن لكونه وسيلة إلى أداء الجمعة ثم الصلاة لا تتأذى بالوضوء ولا الجمعة بالسعي، بل بفعل مقصود بعد حصول كل واحد منهما، «وحكمه» أي حكم الحسن لحسن في غيره (وجوبه بوجوب الغير الذي) هو الوساطة (وسقوطه به) أي سقوط وجوبه بسقوط وجوب ذلك الغير حتى لو أسلم الكفار يسقط وجوب الجهاد معهم، وإن بقي مع البالغين، ولو بغى مسلم أو قطع الطريق

يسقط وجوب الصلاة عليه، ولو حاضت يسقط الوضوء، ولو مرض أو سافر يسقط وجوب السعي. (والأمر المطلق) عن قرينته يدل على الحسن لحسن في نفسه أو غيره (يقضي الضرب الأول)، وهو ما لا يحتمل السقوط (من) القسم (الأول) وهو الحسن لحسن في نفسه (لاقتضاء الكمال) أي كمال الأمر، وهو المطلق (الكمال) أي كمال حسن المأمور به، (ثم التكليف). اعلم أن ما لا يُطاق على ثلاث مراتب أدناها ما يمتنع لعلم الله تعالى بعدم وقوعه أو لإرادته ذلك، ولا نزاع في وقوع التكليف به فضلاً عن الجواز، فإن من مات على كفره يُعدّ عاصياً إجماعاً وأقصاهما ما يمتنع لذاته كقلب الحقائق وجمع الضدين أو النقيضين، والإجماع منعقد على عدم وقوع التكليف به والاستقراء أيضاً شاهد على ذلك، والآيات ناطقة به، والمرتبة الوسطى ما أمكن في نفسه، لكن لم يقع متعلقاً لقدرة العبد أصلاً؛ كخلق الجسم، أو عادة كالصعود إلى السماء، وهذا هو محل النزاع، ولهذا قلت: ثم التكليف أي طلب تحقيق الفعل والإتيان به لا على قصد التعجيز وإظهار عدم القدرة (بما لا يقدر عليه المأمور) مطلقاً (مُحال). أمّا عقلاً، فلأن طلب حصول المحال لا يليق من الحكيم المُتعال، فإن قيل: هذا يمنع الوقوع فقط. قلنا: بل الجواز أيضاً، لأننا لا نمنع الوجوب بمقتضى الحكمة والوعد والفضل، كما لا نمنع الإيجاب بتخلل الاختيار. وأمّا نقلاً؛ فللقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦] ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: الآية ٧٨] وغير ذلك، وكل ما أخبر الله تعالى بعدم وقوعه يستحيل وقوعه، وإلا أمكن كذبه وإمكان المحال محال، فظهر أنه ليس دليلاً على عدم الوقوع فقط، وإذا كان التكليف بالمحال محالاً؛ (فلا بد له) أي للمأمور (من قدرة) لا بمعنى الاستطاعة المقارنة للفعل، فإنها علّة تامّة، بل بمعنى سلامة الأسباب والآلات المفسّرة بقدرة (بها يتمكّن) المأمور (من أداء ما لزمه)، وإنما قال: (بلا حرج غالباً) ليخرج الحجّ بلا زاد وراحلة، فإنه نادر، وبلا راحلة فقط كثير. وأمّا بهما، فغالب. (وهي) أي القدرة المفسّرة بما ذكر (شرط لوجوب الأداء لا الأداء نفسه لوجوده) أي الأداء (قبلها) أي قبل القدرة المفسّرة كحجّ الفقير والزكاة قبل الحول، فلو كانت شرطاً للأداء لما تقدم عليها، (ولا شرط لنفس

الوجوب؛ لأنه) أي الوجوب نفسه (جبري^(١)) غير محتاج إلى القدرة، ولذا يتحقق في النائم والمغمى عليه إذا لم يؤدّ إلى الحرج ولا قدرة ثمّة، فإن قيل: نفس الوجوب لا ينفك عن التكليف المستلزم للقدرة، فكيف ينفك عن لازمه؟ قلنا: عدم الانفكاك ممنوع، ولو سلم فمعنى استلزام التكليف للقدرة أنّ الله تعالى لا يأمر العبد إلّا بما يستطيعه عند إرادة إحداثه، فهذه القدرة لا تلزم التكليف مطلقاً، بل حالئذ^(٢)، وهي القدرة نوعان: النوع الأول أدنى ما ذكر من قدرة يتمكّن بها من أداء ما لزمه بلا حرج غالباً، (ويسمّى) هذا النوع الممكنة، لكونه وسيلة إلى مجرّد التمكن والاقترار على الفعل من غير اعتبار يسر زائد، وهو أي هذا النوع شرط لوجوب أداء كلّ واجب (مطلقاً) بدنيّاً كان أو ماليّاً وحسنّاً لنفسه (أو لغيره)، ولذا - أي لكونه شرطاً لوجوب الأداء مطلقاً - (لم يلزم ذكر الأداء) في الجزء (الأخير) من الوقت إذا حدث فيه الأهلية، فإنّ الأداء فيه ممتنع، فلو وجب لأدّى إلى التكليف بما لا يُطاق. (قلنا) في جوابه أنه إنما يؤدّي إلى ذلك التكليف إذا كانت بالأداء في ذلك الجزء من الوقت، وهو ممنوع، بل التكليف إنما هو بالأداء مطلقاً، وذلك يتصوّر بوقوع الشروع في الوقت، فإنه (إذا شرع في الوقت يكون) الفعل (أداء)، وإن تمّ بعد الوقت كما سبق، (أو) نقول: سلّمنا أنّ التكليف بالأداء فيه، لكن (لزومه) أي لزوم الأداء ليس لكونه مطلوباً في نفسه حتى يلزم التكليف بما لا يطاق، بل لزومه (لخلفه) وهو القضاء، فإنّ بعض الأحكام قد يجب أدائه ثم يخلفه خلفه للعجز عنه، كالوضوء للتيّم، وكمن حلف على مسّ السماء أو تحويل الحجر ذهباً، ووجود القدرة بالنظر إلى الخلف الذي هو القضاء كافي. (والجواب) المشهور (بأن) شرط وجوب الأداء ليس إلّا (القدرة بمعنى سلامة الأسباب وهي موجودة) ههنا (وكذا) الجواب المشهور (بأنّ القضاء) ليس مبنياً على وجوب الأداء حتى يلزم ما ذكرتم، بل هو (مبنّي على نفس الوجوب)، فما يكون سبباً لنفس الوجوب يكون سبباً للقضاء والجزاء الأخير صالح للأول؛ لأن نفس الوجوب جبري، كما سبق، فيكون صالحاً

(١) أي منسوب إلى جبر الله؛ لأن نفس الوجوب جبر من الله تعالى، بلا اختيار من العبد، لأنه سبب ولا اختيار للمكلف في السبب. ١٢ حامدي.

(٢) أي حال إرادة إحداث الفعل. ١٢ منه عن فيضهم.

لِلثَّانِي أَيْضًا (ضَعِيف) خَبِرَ الْجَوَابِ . أَمَّا ضَعْفُ الْجَوَابِ الْأَوَّلِ ، فَلَأَنَّ الْوَقْتَ الصَّالِحَ لِلْأَدَاءِ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ ، فَإِذَا انْتَفَى الصَّلَاحِيَّةُ لَا تَبْقَى السَّلَامَةُ . وَأَمَّا ضَعْفُ الْجَوَابِ الثَّانِي ، فَلَأَنَّ وَجُوبَ الْقَضَاءِ لِلتَّكْلِيفِ ، فَلَوْ بَنَى عَلَى مَجَرَّدِ نَفْسِ الْوَجُوبِ وَلَيْسَ الْقُدْرَةُ شَرْطًا لَهُ لَوَقَعَ التَّكْلِيفُ بِدُونِ شَرْطِهِ وَهُوَ بَاطِلٌ ، فَلْيَتَأَمَّلْ . (و) النَّوْعُ (الثَّانِي أَقْصَاهُ) أَيُّ أَعْلَى مَا ذَكَرَ مِنَ الْقُدْرَةِ ، (وَيُسَمَّى هَذَا) النَّوْعُ (الْمَيْسِرَةَ) لِتَحْصِيلِهَا الْيُسْرَ بَعْدَ الْإِمْكَانِ ، فَهِيَ زَائِدَةٌ عَلَى الشَّرْطِ الْمَخْضُ اشْتَرَطَتْ لَوْجُوبَ بَعْضِ الْوَاجِبَاتِ كَرَامَةً مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلًا ، وَلِذَا اشْتَرَطَتْ فِي أَكْثَرِ الْوَاجِبَاتِ الْمَالِيَةِ لَكُونَ أَدَائُهَا أَشَقَّ عَلَى النَّفْسِ عِنْدَ الْعَامَّةِ ، (وَبِقَاؤُهَا) أَيُّ بَقَاءِ النَّوْعِ الثَّانِي (شَرْطٌ لِبَقَاءِ الْوَاجِبِ) فِي الذَّمَّةِ (لِثَلَا يَنْقَلِبُ الْيَسْرَ عَسْرًا) اعْتَرَضَ عَلَيْهِ أَوَّلًا بِأَنَّهُ يُوْذِي إِلَى فَوْتِ أَدَاءِ الزَّكَاةِ فِيمَا إِذَا آخَرَ أَدَاءُهَا خَمْسِينَ سَنَةً ، ثُمَّ هَلَكَ الْمَالُ حَيْثُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وَثَانِيًا بِأَنَّهُ لَا نَسْلَمُ أَنَّهُ يُلْزَمُ مِنْ عَدَمِ اشْتِرَاطِ بَقَائِهَا انْقِلَابَ الْيَسْرِ عَسْرًا ، بَلْ إِنَّمَا يُلْزَمُ ثَبُوتُ أَحَدِ الْيَسْرَيْنِ ، وَهُوَ الثَّمَاءُ مَثَلًا دُونَ الْآخَرِ ، وَهُوَ الْبَقَاءُ ، فَإِنَّ حَصُولَ الْقُدْرَةِ الْمَيْسِرَةَ يُسْرَ وَبِقَاؤُهَا يُسْرٌ آخَرٌ ، وَأُجِيبَ عَنِ الْأَوَّلِ بِالْتِمَازِ الْفَوَاتِ فِي صُورَةِ هَلَكَ الْمَالِ ، (وَلَا مُحْذُورُ فِي ذَلِكَ) ؛ لِأَنَّهُ فَوْتُ بِهِذَا الْحَبْسِ عَلَى أَحَدِ مَلَكًا وَلَا يَدًا ، بَلِ الْمَالُ حَقُّهُ مَلَكًا وَيَدًا ، وَإِنَّمَا حَقُّ الْفَقِيرِ فِي أَنْ يَعْينَ مُحَلًّا لِلصَّرْفِ إِلَيْهِ ، وَلِصَاحِبِ الْمَالِ الْخِيَارُ فِي اخْتِيَارِ مُحَلِّ الْأَدَاءِ ، فَلَعَلَّهُ حَبَسَ هَذَا الْمُحَلَّ لِيُوْذِي مِنْ مُحَلٍّ آخَرَ ، فَلَا يَضْمَنُ إِلَّا يَرَى أَنَّ مَنَعَ الْمُشْتَرِي الدَّارَ عَنِ الشَّفِيعِ حَتَّى صَارَ بَحْرًا ، وَمَنَعَ الْمُؤَلَى الْعَبْدَ الْمَدْيُونِ عَنِ الْبَيْعِ أَوْ الْعَبْدَ الْجَانِيَّ عَنِ أَوْلِيَاءِ الْجَنَايَةِ (مَنْ غَيْرِ اخْتِيَارِ الْأَرَشِ) حَتَّى هَلَكَ لَا يُوْجِبُ الضَّمَانَ . وَعَنِ الثَّانِي بِأَنَّ مَعْنَى انْقِلَابِ الْيُسْرِ عَسْرًا أَنَّهُ وَجِبَ بِطَرِيقِ إِجْبَابِ الْقَلِيلِ مِنَ الْكَثِيرِ يَسْرًا وَسَهُولَةً ، فَلَوْ أَوْجِبْنَاهُ عَلَى تَقْدِيرِ الْهَلَاكِ لَوْ جَنِبَ بِطَرِيقِ الْغَرَامَةِ وَالتَّضْمِينِ فَيَصِيرُ عَسْرًا ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ نَفْسَ الْيَسْرِ يَصِيرُ عَسْرًا ، فَإِنَّهُ مُحَالٌ عَقْلًا ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ الْيَسِيرَ عَسِيرًا وَبِالْعَكْسِ (دُونَ بَقَاءِ النَّوْعِ الْأَوَّلِ) فَإِنَّهُ لَيْسَ شَرْطًا لِبَقَاءِ الْوَاجِبِ ؛ (إِذَا) الْمَفْتَقَرُ إِلَى حَقِيقَةِ هَذِهِ الْقُدْرَةِ وَبِقَائِهَا هُوَ حَقِيقَةُ الْأَدَاءِ ، (وَالْتِمَكُّنُ مِنَ الْأَدَاءِ) وَالْاِقْتِدَارُ عَلَيْهِ (يَسْتَعْنِي عَنِ الْبَقَاءِ) أَيُّ بَقَاءِ الْقُدْرَةِ ، بَلْ يَكْفِي مَجَرَّدُ إِمْكَانِهَا وَتَوَهُّمِهَا ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقُدْرَةَ الْمُمَكِّنَةَ كَمَا كَانَتْ شَرْطًا لِلْتِمَكُّنِ مِنَ الْفِعْلِ وَإِحْدَاثِهِ كَانَتْ شَرْعًا مُحَضًّا لَيْسَ فِيهِ مَعْنَى الْعَلَّةِ ، فَلَمْ يَشْتَرَطْ

بقاؤها لبقاء الواجب؛ إذ البقاء غير الوجود، وشرط الوجود لا يلزم أن يكون شرطاً للبقاء، كالشهود في النكاح شرطاً للانعقاد لا البقاء بخلاف الميسرة، فإنها شرطٌ فيه معنى العلة؛ لأنها غيّرت صفة الواجب من العسر إلى اليسر، فأثرت فيه وأوجبت بصفة اليسر، فيشترط دوامها نظراً إلى معنى العلية؛ لأن هذه العلة مما لا يمكن بقاء الحكم بدونها؛ إذ لا يتصور بدون اليسر، فلهذا اشترط بقاء القدرة الميسرة دون الممكنة، مع أن ظاهر النظر يقتضي أن يكون الأمر بالعكس؛ إذ الفعل لا يتصور بدون الإمكان، ويتصور بدون اليسر. (ولذا) أي ولذلك الاستغناء (قيل) القائل فخر الإسلام ومن تبعه: (لم يشترط) أي بقاء القدرة (للقضاء) بدليل أن في النفس الأخير من العمر يلزمه تدارك ما فات من الصلاة والصيامات والحج وغيرها، وظاهر أنه ليس بقادرٍ على تداركها، ولا يلزم منه تكليف ما لا يُطاق؛ لأن هذا ليس ابتداءً تكليف، بل بقاء التكليف الأول على ما هو المختار أن القضاء إنما هو بالسبب الأول، وليس ذلك كالجُزء الأخير من الوقت في حق الأداء؛ لأنه إنما اعتبر ليظهر أثره في خلفه كما سبق، ولا خلف للقضاء، كذا قالوا، وفيه بحث، ثم إنه فرع على اشتراط بقاء القدرة الميسرة لبقاء الواجب وعدم اشتراط بقاء الممكنة له، بقوله: (فلا تبقى الزكاة والعشر والخراج بهلاك المال النامي)، فإن كل واحد منها لما وجب بالقدرة الميسرة انتفى بانتفائها. أما الزكاة، فلأنها تجب بالثَّماء الذي يحصل به يسر الأداء، فإن النصاب لما لم يغير الواجب من العسر إلى اليسر؛ لأن إيتاء الخمسة من المائتين وإيتاء واحد من الأربعين سواء في اليسر لم يعد من القدرة الميسرة، بل جعل من شرائط الأهلية كالعقل والبلوغ أو شرط وجوب الأداء؛ لأن حسن الإغناء لا يتحقق غالباً إلا بالمعنى الشرعي. فإن قيل: فينبغي أن لا تسقط الزكاة بهلاك النصاب، قلنا: إنما تسقط لفوات القدرة الميسرة التي هي وصف الثَّماء، لا لفوات الشرط الذي هو النصاب، ولهذا لا تسقط بهلاك بعض النصاب، مع أن الكل ينتفي بانتفاء البعض، ومن هذا ظهر فائدة تقييد المال بالنامي. وأما العشر، فلأن الله تعالى خصّه بالخارج من الأرض الذي هو نماؤها، وأوجب قليلاً من الكثير؛ إذ القدرة على أداء العشر تستغني عن تسعة الأعشار، وذلك دليل اليسر. وأما الخراج، فقد خصّه الله تعالى بنماء الأرض، وهو الخارج حتى لو كانت الأرض سبخة لا يجب عليه،

وكذا إذا لم يحصل الخارج بأن زرعها ولم يخرج شيء. وأما إذا تمكّن من الزراعة وتركها، فيجب عليه لوجود الخارج تقديرًا؛ لأن التقصير من جهته، فكأنه عسر على نفسه كالاستهلاك في الزكاة بخلاف العشر، فإنه إنما يجب بالخارج تحقيقًا، وإنما كان كذلك لأنّ الواجب في الخراج غير جنس الخارج، فأمكن القول بوجوب الخراج مع انعدام الخارج تحقيقًا بخلاف العشر، فإنّ الواجب فيه جزء من الخارج، فلا يمكن إيجاب جزء من الخارج بدون الخارج، ويقولون: (بخلاف الحجّ وصدقة الفطر) فإنّ كلًّا منهما لما وجب بالقدر المُمكِن لم يشترط بقاؤها لبقائه. أما الحجّ، فلأنه وجب بالزاد والراحلة، وهما من الممكنة؛ لأنّ غالب التمكن بهما؛ إذ بدون الزاد نادر، وبدون الراحلة، وإنّ كان كثيرًا لكنه ليس بغالب، وإنما لم يُعتبر توفهم القدرة بالمشي وغيره فيه كما اعتُبر توفهم الامتداد في وقت الصلوة، مع أن هذا أقرب منه؛ لأنّ اعتباره ههنا يفضي إلى التلف، ولا خلف حتى يظهر أثره فيه، بخلاف وقت الصلوة. وأما صدقة الفطر، فلأنها تجب بنصاب فاضل عن الحاجة الأصلية، وإن لم يتم حتى لو ملك من ثياب البذلة ما يفضل عنها، أو ملك نصابًا ليلة الفطر يلزمه صدقة الفطر، واعتبار النصاب ليس لليسر، بل ليصير المخاطب به غنيًا، فيكون إهلالًا للأغنياء؛ لقوله عليه السلام: «اغنوهم عن المسألة»، وإنما اليسر بالنماء وهو غير معتبر ههنا. اهـ بحروفه. وفي حاشية للعلامة الأزميري رحمته الله: قوله: (ولا بدّ له من الحسن) اعلم أن قضية لزوم الحسن للمأمور به إيجابًا أو ندبًا من قضايا الشرع لا من قضايا اللغة؛ لأن صيغة الأمر قد تتحقّق في القبيح أيضًا؛ كالكفر والظلم والسّفه. ألا يرى أنّ السلطان الجائر إذا أمر إنسانًا بالزنى والسرقة والقتل بغير حقّ كان أمرًا حقيقة لغوية حتى إذا خالفه المأمور يقال: خالف أمر السلطان، إلّا أن الشارع لما كان حكميًا لا يفعل إلّا لحكمة وفائدة ولا يأمر بالفحشاء، قالوا: لا بدّ من الحسن في أمره، ثم اختلفوا في أن الحسن من مُوجبات الأمر، أو من مقتضياته كما سيأتي بيانه، ولا بدّ أولًا من معرفة معاني الحسن حتى يظهر محلّ النزاع، قالوا: الحسن والقبح يُطلقان على أربعة معاني: الأول كون الشيء صفة كمال ونقصان؛ كالعلم والجهل وأفعال الله تعالى وأوصافه تتّصف بهذا المعنى. والثاني: كونه ملائمًا للغرض ومنافرًا له؛ كالعدل والظلم. والثالث: كونه متعلّق الثواب والعقاب في

الآخرة. والرابع: كونه متعلق المدح والذم في الدنيا في حكم الله تعالى. والأولان يثبتان بالعقل بالاتفاق ورد به الشرع أو لا. والثالث يثبت بالنقل بالاتفاق؛ إذ لا مدخل للعقل فيه، واختلفوا في الرابع، والشارح جعل الثالث مع الرابع معنى واحداً كما في التوضيح، وجعله محلاً للنزاع، ولما ورد عليه أن يكون المأمور به متعلق الثواب والعقاب في الآخرة مما لا نزاع في ثبوته بالنقل لعدم مدخلية العقل فيه، وإنما النزاع في الرابع جعلنا كلياً منهما معنى مستقلاً ليتضح محل النزاع.

إذا عرفت هذا، فاعلم أن الأشاعرة وبعض أصحابنا منهم شمس الأئمة ذهبوا إلى أن الحسن بالمعنى المنازع فيه من موجبات الأمر، بمعنى أن الحسن ثابت بالأمر ويُعرف به لا بمعنى أنه ثابت العقل، والأمر دليل عليه؛ ولهذا قالوا: الفعل أمر به فحسن، بناء على أن لا حظ للعقل فيه أصلاً عندهم، وإنما يُوجبه الأمر ويُثبت به العقل، وإنما العقل آلة لمعرفة الأمر المُوجب له، وإليه أشار الشارح رحمته الله بقوله: والحاكم به والموجب له هو الشرع ولا دخل للعقل فيه، وإنما العقل آلة لفهم الخطاب الشرعي، أي لا آلة لفهم حسن المأمور به نفسه، فكان العقل عندهم مهبطاً في حق إيجاب حسن المأمور به، وفي حق كونه آلة لمعرفة حسنه، ومعتبراً في حق فهم الأمر المُوجب لحسنه، وإليه أشار فخر الإسلام أيضاً، فإنه قال: أولاً عرف حسنه بكونه مأموراً لا بالعقل نفسه؛ إذ العقل غير موجب بحال، ثم قال في باب بيان العقل: ليس بمهبط بالكلية، بل هو معتبر في إثبات الأهلية بكونه آلة لفهم الخطاب الشرعي، هذا ما ظهر من كلام الشارح. لكن قال في التقرير: إن إثبات الأهلية بالعقل واعتبار العقل في فهم الخطاب الشرعي هو مختار فخر الإسلام لا الأشاعرة، والأشاعرة على إهدار العقل بالكلية. وقالت المعتزلة وجماعة من أصحاب الشافعي رحمته الله: إن الحسن مقتضى الأمر، أي لازمه المقدم، بمعنى أنه ثابت بالعقل قبل ورود الأمر، وإنما الأمر دليل عليه، ولهذا قالوا: الفعل حسن، فأمر به والحاكم بالحسن والموجب له هو العقل عندهم، بمعنى أنه يحكم بلزوم الأمر بالفعل على الشارع لكونه أصلح لمعرفة حسنه كما يحكم عليه بوجوب الأصلح للعباد، بناء على أن حسن الشيء يقتضي المأمور به، وإن لم يرد به الأمر ولا دخل للشرع في الحكم عندهم أصلاً، بل الشرع إذا ورد فيما أدرك العقل حسنه ابتداءً؛

.....

كالإيمان يكون مؤكّداً لما أدركه العقل من الحسن، وإذا ورد فيما لا يدرك العقل حسنه ابتداءً يكون مظهر لمقتضى العقل الحاكم لخفاء اقتضائه؛ كمقادير العبادات، وهذا ما قال في الكشف أنّ الكشف والقبح ضربان: ضربٌ علّم بالعقل كحسن العدل والصدق النافع وشكر النعمة وقُبْح الظلم والكذب الضارّ وكفران النعمة. وضربٌ عُرِف بالسمع؛ كحسن مقادير الأعمال وقبح الزنى وشرب الخمر، وسبيل السمع إذا ورد بموجب العقل أن يكون وروده مؤكّداً لما في العقل، وهو مذهب المعتزلة، وإليه ذهب كثيرٌ من أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه سيّما العراقيون منهم، فكان العقل عندهم موجباً لحسن المأمور به قبل ورود الأمر به، إلّا أنّ إيجابه في النوع الأوّل ظاهر قبل ورود الأمر، فكان الأمر مؤكّداً له، وفي النوع الثاني خفي، فكان الأمر مزيلاً لخفائه مظهرًا لمقتضاه من الحسن. وقول الشارح: لا مطلقاً بل في إيجاب المعرفة؛ يُشعر بأن هذه الفرقة من أصحابنا لم يوافقوهم إلّا في إيجاب معرفة الله تعالى. قلت: بل وافقوهم أيضاً في الحكم بحسن العدل والصدق النافع وإنقاذ الغرقى والحرقي؛ كما في شرح البزدوي. وقوله: حتى قالوا بوجوب الإيمان، ذكر الإمام نور الدين في الكفاية: أنّ وجوب الإيمان بالعقل مروى عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وذكر الحاكم الشهيد في المنتقى عن أبي يوسف عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لا عُذْر لأحد في الجهل بخالقه لما يرى من خلق السموات والأرض وخلق نفسه. أمّا في الشرائع، فمعذور حتى تقوم عليه الحجّة. ورؤي أنه قال: لو لم يبعث الله تعالى رسولاً لوجب على الخلق معرفته بعقولهم، قال: وعليه مشائخنا من أهل السنّة والجماعة، حتى قال الشيخ أبو منصور في الصبيّ العاقل: أنه يجب عليه معرفة الله تعالى، وهو قول أكثر مشائخ العراق؛ لأنه إنما أوجب على العاقل البالغ لكمال عقله بحيث يقدر على الاستدلال، فإذا بلغ عقل الصبي هذا المبلغ يجب عليه الاستدلال أيضاً، وحمل هؤلاء قوله عليه السلام: «رُفِعَ القلم عن ثلاث: عن الصبي حتى يحتلم» الحديث، على الشرائع. وفي الكشف: هذا القول مُوافق لقول المعتزلة من حيث الظاهر، أي في إيجاب الإيمان على الصبيّ العاقل سوى أنهم يجعلون نفس العقل مُوجباً، وهؤلاء يقولون: الموجب هو الله والعقل معرّف لإيجابه، والصحيح ما اختاره فخر الإسلام في البزدوي؛ لأن الإيجاب

.....

على الصبيّ مخالف لظاهر النص. أقول الفرق بين ما اختاره فخر الإسلام وبين قول هؤلاء مشكل؛ لأن حاصل ما اختاره فخر الإسلام: أن حسن المأمور به، إنما يثبت بالأمر ويُعرف به، ولا مدخل للعقل في إثباته ومعرفته، إلا كونه آلة لمعرفة الخطاب الشرعي، كما سبق، وكذا حاصل قول هؤلاء؛ فإن قيل: الفرق أن هؤلاء يُوجبون الإيمان على الصبيّ العاقل دون فخر الإسلام. قلنا: إن فخر الإسلام قائلٌ بذلك أيضًا؛ لأن سبب إيجابهم عليه فهمه الخطاب بعقله، وهذا مما لم ينكره فخر الإسلام، بل هو قائلٌ به أيضًا، فالفرق بينهما مشكل. ثم الظاهر من كلام الشارح أن مذهب صاحب الميزان العقل مُوجب بحسن الشيء وقبحه مثل مذهب المعتزلة، لكن قال في التقرير: إن أصحابنا لم تقل بكون العقل مُوجبًا أصلاً، تأمل قوله: (وأدلة كل من المذاهب مسطورة) احتجّت الأشاعرة بوجوه، منها أن العقل منهدر بالكلية لا عبرة له أصلاً بدون السمع؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الأنبياء: الآية ١٥]، ولقوله تعالى: ﴿لَئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: الآية ١٦٥]؛ فلو كان العقل حجة بدون السمع لما نفى العذاب قبل البعثة، ولكانت حجة قبل البعثة قائمة في حقهم، فلا عبرة إلا بالسمع. قلنا: لا نصّ في الشرع على أن العقل مهدر بالكلية، وغير الشرع لغوٌ عندكم، فإهدار العقل بالعقل لغو وتناقض، ولا دليل لهم في الآية؛ لأنه يجوز أن يكون المراد بالتعذيب المذكور فيها التعذيب الدنيوي بطريق الاستئصال، أي قُطع نسلهم بالكلية لا الأخروي، ولو سلم أنه الأخروي لكن نفيه لا ينافي استحقاقه المُعتبر في مفهوم الواجب، فإن المُعتبر في مفهومه الاستحقاق للتعذيب بالتَّرك لا التعذيب بالفعل، والمراد بالرسول فيها هو رسول العقل؛ لأن العقل رسول من الله تعالى إلى الخلق كافة، فكان معناها حتى نبعث العقل على ما فسّره الإمام التفسير، ويحتمل أن يخصّص عمومها، فيكون معناها: وما كنا معذِّبين في الأعمال التي لا سبيل للعقل إليها حتى نبعث رسولاً كما فسّره بعض مشايخنا. ومنها: أن الأفعال كلّها متساوية ليس في شيء منها جهة محسنة أو مقبحة في نفسه أو في صفته، حتى يُدرك بالعقل، وإلا لزم قيام العرض بالعرض، وذلك باطل، فالحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع. أُجيب عنه بوجوه: الأول: إن أردتم بالقيام الاتصاف به بحيث يصير أحدهما منعوتاً

ومحلًا، والآخر ناعيًا وحالًا، فلا نسلم امتناعه، فإنه واقع نحو هذه الحركة سريعة وتلك بطيئة، وإن أردتم به أن العرض لا يقوم بعرض آخر، بل لا بدّ له من جوهر يقوم العرضان به، فالقيام بهذا المعنى لا يلزم على تقدير كون الحسن أو القبح لذات الفعل أو لصفة الجواز أن يكون صفة للفعل ثابتًا له، ولا يكون تابعًا له في التخيير، بل يكون تابعًا للجوهر الذي يقوم به الفاعل كالفاعل؛ إذ لا بدّ من فاعل يتقوم به الفعل والحسن، وإن أردتم به معنى آخر، فلا بدّ من بيانه. الثاني: أن الحسن أمرٌ اعتباري لا وجود له في الأعيان، فقيامه بالفعل لا بدّ أن يكون من باب قيام العرض بالعرض. فإن قيل: إن نقيضه لا حسن أمرٍ عديمي، وإلا لما صدق على المعدوم أنه ليس بحسن ضرورة أن الوجودي يقتضي محلاً موجودًا، فيكون الحسن أمرًا موجودًا في الخارج لا معدومًا، وإلا لزم ارتفاع النقيضين. قلنا: إن الصدق على المعدوم لا يقتضي العدمية لجواز أن يكون مفهومًا كليًا يصدق على موجود وعلى معدوم؛ كاللامتنع الصادق على الواجب والمعدوم الممكن. والحاصل أن عدمية صورة النفي موقوفة على كون ما دخل عليه حرف النفي وجوديًا بدليل أن اللامعدوم وجودي، فلو أثبت وجودية ما دخل عليه حرف النفي، أعني الحسن لعدمية صورة النفي لزم الدور. (الثالث): أنه مشترك الإلزام لأن الحسن الشرعي الذي أثبتتم أيضًا عرض، فيلزم من اتّصاف العقل به قيام العرض بالعرض.

فإن قلتم: إن الحسن الشرعي أمرٌ اعتباري ثبت باعتبار الشارع. قلنا: إن الحسن العقلي أيضًا أمرٌ اعتباري، كما عرفت. ومنها: أن فعل العبد إن كان لازم الصدور عنه فاضطراري، وإلا فإن افتقر إلى مرجح، فإن كان ذلك المرجح لازم الصدور عنه فاضطراري أيضًا، وإلا احتاج إلى مرجح آخر؛ فتسلسل المرجحات وهو باطل، وإن لم يفتقر إلى مرجح، بل يصدر عنه تارة ولا يصدر أخرى مع تساوي الحالين من غير تجدد أمر من الفاعل، فهو اتفاقي والاضطراري والاتفاقي لا يوصف إن بالحسن والقبح عقلاً بالاتفاق. حاصله أن لا اختيار للعبد في فعله، بل كل أفعاله اضطراري أو اتفاقي، فلا يوصف بالحسن والقبح عقلاً أجيب عنه بوجوه:

الأول: إننا نجد تفرقة ضرورية بين حركة الآخذ وحركة المرتعش، بأن الأولى اختيارية، والثانية اضطرارية، فيكون دليلكم في مقابلة الضرورة، فلا يسمع ورد بأن

المعلوم ضرورةً، وهو وجود القدرة لا تأثيرها، فلا يكون دليلنا في مقابلة الضرورة. الثاني: أنه يجري بعينه في فعل الباري، فيلزم أن لا يكون مختاراً في فعله، وهو باطل ورد بأن مرجح فاعليته تعالى هو إراداته القديمة، فلا يحتاج إلى مرجح متجدد؛ إذ علة الاحتياج إلى المرجح عندنا هو الحدوث. الثالث: أنه يلزم أن لا يُوصف بحسن ولا قُبْح شرعاً، لأنهما يكونان بالتكليف عندكم، والتكليف بغير المختار غير واقع عندكم، فلا يتصف بهما، ورد بأن وجود القدرة وكون الفعل مقدوراً له كافٍ في اتصافه بالحسن الشرعي، بلا حاجة إلى تأثيرها، ونحن لا نُنكر وجود القدرة، وإنما نُنكر تأثيرها ووجودها كافٍ في التكليف، فكذا في الاتصاف بالحسن والقُبْح الشرعيين. الرابع: إنا نختار أنه يحتاج إلى مرجح، وهو الاختيار، وسواء قلنا يجب الفعل عنده أو لا يجب، يكون اختياريّاً؛ إذ لا معنى للاختياري. أما ما يترجح بالاختيار حاصله أنّ الوجوب بالاختيار لا ينافي الاختيار، وردّ بأن ذلك المرجح لا يكون اختيار العبد، وإلا لزم التسلسل، فيكون اختياره تعالى فيبطل استقلال العبد في فعله فيقبح التكليف، لأن مجرد القدرة لا يكفي في صحة التكليف عندكم، وإذا بطل التكليف لا يتصف بالحسن والقُبْح. الخامس: وهو أقواها الذي اختاره صاحب التوضيح مبنيّاً على المقدمات الأربع المشهورة، وهو لازم الصدور؛ لأن كل ممكن يجب صدوره عند تمام علته، ولا يلزم منه الاضطراب المانع عن اتصافه بالحسن والقبح؛ لأنّ اختيار العبد داخل في العلة التامة ضرورةً لأنه لا يجوز أن تكون العلة التامة بأسرها موجودات محضة، وإلا لزم انتفاء الواجب أو قدم الحادث؛ لأن تلك الموجودات لا بدّ أن تستند إلى واجب قطعاً للتسلسل، فإن لم ينتف شيء من تلك الموجودات أصلاً يلزم قدمها ضرورةً دوام المعلول بدوام علته، وإن انتفى شيء منه يلزم انتفاء الواجب ولا معدومات محضة؛ لأن المعدوم لا يكون علةً للموجود ولا مركبة منهما؛ لأنها لو كانت مركبة منهما لزم أن لا يكون وجود جميع تلك الموجودات التي كانت جزء من العلة التامة مستلزماً لوجود ذلك الحادث ضرورةً توقفه على المعدومات أيضاً لكونها جزء من العلة التامة واللازم باطل لما تحقّق وتقرّر أنه كلّما وجد جميع الموجودات التي يفتقر إليها وجود زيد مثلاً يوجد زيد البتة من غير توقّف على عدم شيء ما؛ إذ لو توقّف على عدم شيء ولنفرضه عدم عمرو

مثلاً، فإما أن يتوقف على عدمه السابق أو عدمه اللاحق، وكلاهما باطلان. أما الأول، فلأن عدمه السابق قديم، فيلزم قدم زيد أيضاً ضرورة تحقق جميع ما يتوقف عليه وجوده من الموجودات أو المعدومات في الأزل. أما المعدومات، فظاهر. وأما الموجودات، فلاستنادها إلى الواجب بالذات. وأما الثاني، فلأن عدمه اللاحق، أعني عدمه بعد وجوده لا يمكن إلا بزوال شيء مما يتوقف عليه وجوده، فلذلك الجزء الذي حدث عدم عمره بزواله إما أن يكون موجوداً محضاً أو معدوماً محضاً أو مركباً منهما، ولا يجوز أن يكون زواله بزوال الموجود المحض لاستلزامه انتفاء الواجب، كما في القسم الأول، بل بزوال المعدوم المحض أو بزوال المركب من الموجود والمعدوم، وزوال المعدوم لا يتصور إلا بزوال عدمه، وزوال العدم وجود، ولنفرضه وجود بكر فيكون وجود زيد بعد تحقق مجموع ما يتوقف عليه من الموجودات موقوفاً على وجود بكر ضرورة توقفه على عدم عمره الموقوف على زوال جزء علته الموقوف على وجود بكر هذا خلف؛ لأن ما فرضناه مجموع الموجودات التي يتوقف عليها وجود زيد لا يكون مجموعاً ضرورة بقاء بكر الموجود، فإذا ثبت بطلان كون العلة التامة بحادث موجودات محضة، أو معدومات محضة، أو مركبة منهما؛ فلا بد أن يدخل فيها أمر لا موجود ولا معدوم غير مخلوق أصلاً، وهو المسمى بالحال عندهم، وهو القصد والاختيار، فيكون الفعل حينئذ واجباً بالاختيار عند تمام علته، والوجوب بالاختيار لا ينافي الاختيار، بل يحققه، فلا يكون اضطرارياً.

فإن قيل: ننقل الكلام إلى ذلك الاختيار، فإن كان لازم الصدور عن العبد يكون الفعل اضطرارياً، وإن لم يكن لازم الصدور عنه، بل قد يصدر وقد لا يصدر يلزم الترجيح بلا مرجح في صدور الاختيار عنه. قلنا: إنه غير لازم الصدور، وبطلان الترجيح بلا مرجح من الفاعل المختار ممنوع، وإنما المَحال هو الترجيح بلا مرجح، بمعنى وجود الممكن بلا موجود ولا إيجاد، وذلك غير لازم ههنا؛ إذ لا وجود للاختيار، بل أمر لا موجود ولا معدوم، وهو أمرٌ اعتباري لا يحتاج إلى الخلق والإيجاد، وقد يُجاب عنه بأنه لازم الصدور من العبد لكن لا يلزم منه كون الفعل اضطرارياً؛ لجواز أن يكون المرجح المُوجب للاختيار اختياراً آخر إلى غير

النهاية لجواز التسلسل في الأمور الاعتبارية، فيكون الاختيار أيضًا واجبًا بالاختيار، أو يكون اختيار الاختيار عينه، فلا يتسلسل. واحتجت المعتزلة بقصة إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام حين قال لأبيه: ﴿إِنِّي أَرَأَيْتَكَ وَفَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: الآية ٧٤]، وكان ذلك قبل الوحي، ولو لم يكن العقل حجةً مُوجبة لكانوا معذورين، لا في ضلالٍ مبين. قلنا: سلّمنا ذلك، ولكنه لا يلزم منه كون العقل مُوجبًا بنفسه حاكمًا بذاته، لجواز كفاية كونه آلة لإدراك الحسن في إسقاط العذر، وفي بعض شروح المختصر: أن النزاع بين الأشاعرة والمعتزلة لفظي؛ لأن المعتزلة أرادوا بالحسن ما يكون موافقًا للغرض ولا نزاع في كونه عقليًا والأشاعرة أرادوا بمعنى ما يستحقّ فاعله المدح ولا نزاع للمعتزلة في كونه شرعيًا، وفيه نظر؛ لأنهم صرّحوا أن نزاعهم في هذا المعنى فيكون معنويًا. قوله: (والمختار عندنا)، حاصلة التوسط، فإنّ المعتزلة أفرطوا في جعل العقل حاكمًا حتى أوجبوا الإيمان على الصبي العاقل، وأهل الفطرة والأشاعرة فرطوا في تعطيل العقل وإهداره حتى أبطلوا إيمان الصبي العاقل، وتوسط أصحابنا وقالوا: إنّ للعقل مدخلًا في معرفة حسن بعض الأشياء وقبحها قبل ورود الشرع، وليس بحاكم، بل الحاكم هو الله تعالى. قوله: (إنه مدلوله مطلقًا) أي ثابت للمأمور به قبل ورود الأمر، سواء كان ممّا فهمه العقل أو لا، والأشاعرة قالوا: إنه ثابت بالأمر لا قبله. قوله: (لحكمة الأمر)؛ فإن قيل: إذا كان لحكمة الأمر، فكيف يصح تقسيمه إلى حسن بعينه وحسن لغيره، والحسن لغيره لا يكون لعينه، والحسن لحكمة الأمر حسن لغيره. قلنا: إن كونه مأمورًا به من الحكيم دليل على اتّصافه بالحسن لا موجب له، فلا يمنع أن يكون حسنه الذي دلّ عليه بكون الأمر حكميًا لعينه ولغيره. قوله: (ما ذكر هلهنا) أعني قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: الآية ٩٠]، ووجه الإشكال فيه أنه إنما أفاد حسن العدل لكونه مأمورًا به، وقد تقدّم أنّا أن حسن العدل بمعنى الموافق للغرض، لا بمعنى المتنازع فيه. قوله: (فلا علينا) أي فلا بأس علينا، فكان اسم لا محذوفًا لعدم اللبس، كما هو المشهور. قوله: (بل هو يعرفه) من المعرفة، ويجوز أن يكون من التعريف. قوله: (إما حسن لمعنى في نفسه)، قال في التقرير: معنى قولهم: حسن لمعنى في نفسه، أنّ اتّصافه بالحسن إنما هو بالنظر إلى ذات المأمور به مع قطع النظر

عن الأمور الخارجية عنه، كما يقال: إن الدار حسنة في نفسها، أي مع قطع النظر عن الأمور الخارجية، وتحقيقه أن العقل لو كان موجباً لمعرفة الحسن لدلّ عليه حين النظر في المأمور، وإن فرض عدم كونه مأموراً به بأمر صادر عن الحكيم؛ كالإيمان مثلاً، فإنه إذا نظر العقل في ماهيته وجدّها شكراً للمنعّم بتوحيده وتصديقاً له وغير ذلك من محاسنه، فلو فرضنا أنه لا يكون مأموراً به لكان حسناً، والحسن لمعنى في غيره هو ما يكون على خلاف ذلك؛ كالجهاد مثلاً، فإنه تخريب البلاد وقتل العباد، وإذا جرّد العقل النظر إليه قد لا يجده حسناً إن لم يكن مأموراً به، وكذا الغسل من الجنابة في أيام الشتاء في البلاد الباردة بالماء البارد. فإن قيل: هذا البيان يستقيم على القول المختار عندنا. وأما مذهب الأشاعرة ومَن معهم منّا من أن الحسن ثابت بالأمر لا قبله، فما معنى قولهم: حسن لمعنى في نفسه؟ فالجواب: معناه أن الحكيم أمر به مستقلاً بذاته من غير أن يكون بواسطة غيره، أو أن يكون واسطة لغيره، والحسن لمعنى في غيره على خلاف ذلك، وهو أن الشارع أمر به لا مستقلاً بذاته، بل باعتبار أنه واسطة لغيره أو غيره واسطة له، وقيل: معنى الحسن لنفسه عند الأشعري كون الفعل مأموراً به، فتكون كل المأمورات حسنة لمعنى في نفسها بهذا المعنى، فلا يتمشى التقسيم المذكور عنده. قوله: (إلى تكلف ارتكبه صاحب التنقيح)، قال: والمأمور به في صفة الحسن نوعان: حسن لمعنى في نفسه، وحسن لغيره؛ وذلك الغير لا بدّ أن يكون حسناً لعينه قطعاً للتسلسل، وهو إما أن يكون جزء ذلك الفعل أو خارجاً عنه، والجزء إما صادق على الكل؛ كالعبادة تصدق على الصلاة، وهي جزؤها؛ كالإنسان بالنسبة إلى زيد. والحسن لمعنى في نفسه يعمّ الحسن لعينه، والحسن لجزئه والخارج إما صادق على ذلك الفعل نحو الجهاد إعلاء كلمة الله، فالجهاد حسن لكونه إعلاء، والإعلاء خارج عن مفهوم الجهاد. وإما غير صادق؛ كالوضوء حسن للصلاة، والصلاة لا تصدق على الوضوء، هذا ما ذكره. ولما ورد على قوله: إن الحسن لمعنى في نفسه يعمّ الحسن لعينه والحسن لجزئه أن هذا إنما يصح في الحسن لجزئه ضرورة أن جزء الشيء معنى كائن فيه، ولا يصح في الحسن لعينه؛ إذ ليس ذات الشيء معنى فيه. أجاب عنه بوجهين: أحدهما أن إطلاق الحسن لمعنى في نفسه على الحسن لعينه إنما هو اصطلاح، ولا مَشاحة في الاصطلاح،

.....

وكانه تغليب باعتبار أن عاقبة الأشياء يكون حسنها باعتبار الأجزاء. وثانيهما: أن الحسن لعينه هو الفعل المطلق؛ كالعبادة مثلاً، وهو لا يوجد إلا في ضمن جزئياته الموجودة، وبحسنا في تلك الجزئيات المعلوم وجودها حسناً، وهي لا تكون حسنة إلا لمعنى في نفسها، أو حسنة لغيرها، ولما حمل الشارح قولهم حسن لمعنى في نفسه على ما ذكره لم يرد عليه ذلك، ولا حاجة إلى ما تكلف من الجوابين. قوله: (فإنما أن لا يقبل) شروع في تقسيم الحسن لحسن في نفسه وحسن في غيره، والجملة ههنا أن الأمور به في باب صفة الحسن ينقسم إلى نوعين: وحسن لحسن في نفسه وحسن لحسن في غيره، والأول ينقسم إلى ما لا يقبل السقوط بحال، وإلى ما يقبله، وإلى ما يكون حسناً في نفسه ومشابهاً لما حسن لحسن في غيره. والثاني ينقسم إلى ما يتأتى ذلك الغير بنفس الأمور به، وإلى ما لا يتأتى به، وههنا قسم آخر، وهو ما حسن لحسن في شرطه بعدما كان حسناً لحسن في نفسه؛ كالصلاة والزكاة وشرطهما هو القدرة على الأداء، وعدّ هذا القسم في شروح البيهقي من أقسام الحسن لغيره؛ لأن الشرط يُغايّر المشروط وسمّوه قسمًا جامعًا لكونه جامعًا للحسن لعينه ولغيره. قوله: (وفي اختياره على قول فخر الإسلام) قال فخر الإسلام: الحسن لمعنى في نفسه ثلاثة أضرب: ضرب لا يقبل سقوط هذا الوصف بحال، وضرب يقبله، وضرب يلحق بهذا القسم، لكنه مُشابه لما حسن لمعنى في غيره... إلى آخره. والمراد بالوصف وصف الحسن، واعتراض عليه بأن حسن الإقرار في حالة الإكراه حتى لو صبر وقتل كان شهيداً مأجوراً، فكيف يكون حسنه ساقطاً بالإكراه، وإنما يسقط به وجوبه، ولا يلزم من سقوط وجوبه سقوط حسنه؛ لأن عدم الوجوب لا يستلزم عدم الحسن؛ كالمندوب، على أننا لا نسلم أن وجوبه ساقط. وأجيب عنه بأنه لا يلزم من كون الصابر عليه شهيداً إبقاء حسن الإقرار؛ لأنه لو سقط حسنه لا يلزم منه إباحة ضده وهو إجراء كلمة الكفر، بل بقي ذلك حراماً كما كان، إلا أن الترخص ثبت رعاية لحق نفسه، فإذا صبر حتى قُتل كان شهيداً بناءً على بقاء حرمة إجراء كلمة الكفر لا على بقاء حسن الإقرار، ولما ورد على هذا الجواب أن سقوط أصل الإقرار بالإكراه إنما كان لرعاية حق نفسه، ولا مدخل له في سقوط حسنه أعرض عنه المصنّف كصاحب التنقيح إلى لفظ التكليف، فإنه كما سقط الإقرار

حالة الإكراه سقط التكليف به أيضًا. فإن قيل: إن القابل من شرطه أن يوجد مع المقبول والإقرار والتكليف به؛ إذا سقط لم يكن موجودًا. قلنا: إن السقوط وصف اعتباري، واشتراط القابل مع المقبول وجودًا إذا كان المقبول وصفًا وجوديًا، ومنه ظهر الجواب عما يتوهم أن بقاء الحسن مع سقوط أصل الإقرار محال؛ لأن بقاء الحال بدون المحل مُحال، فإن العرض لا يقوم بدون المحل، وجهه أن ذلك في الوصف الحقيقي والحسن لما كان وصفًا اعتباريًا لا يقتضي محلاً موجودًا يقوم به حقيقة. قوله: (إن التكليف مطلقًا أعم)، أي لفظ التكليف مع قطع النظر عن وقوعه في هذين الموضوعين أعم من المعنيين، وإلا فلفظ التكليف في قوله: لا يقبل سقوط التكليف بمعنى التكليف بالسعي لا أعم منه، ومن المعنى الأول. وفي قوله: أو يقبله على عكس هذا الأعم أيضًا. قوله: (فإنه كيف أو انفعال) إن فسر الصورة الحاصلة في الذهن يكون كيفًا، وإن فسر بانتقاش النفس بتلك الصورة يكون انفعاليًا. اعلم أن المراد بالتصديق المُعتبر في الإيمان ليس مجرد معرفة نسبة الصدق إلى محمد عليه الصلاة والسلام، أو إلى قوله: ووقوعها في القلب من غير إذعان وقبول، فإن كثيرًا من الكفار يعرفون صدقه ويقع في قلوبهم نسبة صدقه يقينًا ولا يصدقونه عنادًا واستكبارًا، كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٤٦]، ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهَا وَاسْتَيْفَنْتَهَا أَفْسُسَهُمْ﴾ [النمل: الآية ١٤]، بل المراد به إذعان تلك النسبة وقبولها واطمئنان النفس بها بترك التكبر والعناد، بحيث يصح أن يطلق عليه اسم التسليم، كما صرح به الغزالي، لكنهم اختلفوا في أن هذا التصديق هل هو من قبيل الأفعال الاختيارية أو من قبيل العلوم والإدراكات التي هي من مقولة كيف أو الانفعال؛ فذهب بعضهم إلى الأول مستدلًا بأن العلم حاصل للمعاند من الكفار دون التصديق المُعتبر في الإيمان، وبأن الإيمان مأمور به، والمأمور به لا بد وأن يكون فعلًا اختياريًا، والعلم ليس بفعل، بل كيف أو انفعال، وحصولهما ليس باختياري، بل تحصيلهما اختياري، وبأن الإيمان عبارة عن القبول والتسليم، وهو فعل لا علم. وعلى هذا القول يقع التكليف بنفس التصديق، كما في الصلاة بلا حاجة إلى جعله للسعي، ثم فسر بعضهم ذلك الفعل الاختياري المُعتبر عنه بالتصديق بربط القلب بالاختيار على ما علم من جملة المؤمن به، وبعضهم بنسبة الصدق إلى

.....

المُخبر بالاختيار، وقالوا: إِنَّ كَلَامَ من الرِّبْط والنسبة الاختياريَّتين أمرٌ كسبيٌّ من قبيل الفعل، ولهذا يُثاب عليه. وذهب بعضهم إلى الثاني، ثم اختلفت هذه الفرقة إلى فرقتين: فرقة ذهبت إلى أنه نوع من التصديق المنطقي الذي قسم العلم إليه وإلى التصوُّر في أوائل كتب المنطق، وهو التصديق الخاص المقيّد بقيود؛ كالكسب والاختيار وترك الجحود والتصديق المنطقي أعمّ منه، وفرقة أخرى ذهبت إلى أنه عين الصدق المنطقي لا نوع منه، واختاره أكثر المحقّقين مستدلّين بأنّ لا نفهم من لفظ التصديق في اللغة والعرف إلّا نسبة الصدق إلى المخبر، ولا نفهم من تلك النسبة أيضًا إلّا إدعانها وقبولها وإدراكها بالقلب من غير أن يتصوّر هناك فعل وتأثير من القلب أصلًا. ولا شكّ أنّ هذا كَيْفِيَّةٌ للنفس قد تحصل بالكسب والاختيار، وقد تحصل بدونهما؛ فغاية الأمر أنه يشترط في التصديق المُعتبر في الإيمان أن يكون تحصيله بالكسب والاختيار على ما هو قاعدة كون الشيء مأمورًا به. وأمّا كون هذا فعلًا وتأثيرًا من النفس لا كَيْفِيَّةٌ لها، وكون الاختيار معتبرًا في مفهومه حتى يكون نوعًا خاصًا من التصديق المنطقي؛ فممنوع. كيف وأنّ لفظ التصديق إنما يُطلق على ما يُعتبر في الإيمان بالمعنى المُعتبر في اللغة؟ إذ الأصل عدم النقل والاختيار غير مُعتبر في معناه اللغوي قطعًا، فإن قيل: الإيمان في الشرع هو التصديق بأمور مخصوصة، وفي اللغة: هو التصديق المطلق، فيكون من المنقولات الشرعية. قلنا: هذا ليس نقلاً من معنى لغويّ إلى معنى آخر، بل معناه في اللغة والشرع واحد، وهو المُعتبر عنه في الفارسية: بگر ويدن، غاية الأمر بيان الفرق بينهما باعتبار متعلّقهما إلّا بأصل المعنى، فيكون متعلّقه في اللغة عامًّا وفي الشرع خاصًّا. وأمّا ما قيل إنّ الإيمان مأمورٌ به، فيكون فعلًا اختياريًّا. قلنا: ممنوع؛ إذ كثيرًا ما يكون العلم مأمورًا به أيضًا، نحو: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [مَحَمَّد: الآية ١٩]، وكذا ما قيل: إنّ العلم حاصل للكافر المُعاند دون الإيمان، فيكون فعلًا ممنوع أيضًا؛ إذ لا يلزم من حصول مطلق العلم للكافر حصول التصديق المُعتبر في الإيمان له، وباقي الأبحاث ذكرناها في شرحنا على ما ربّنا في الكلام.

إذا عرفت هذا، فالشارح أشار بقوله: إنه كيف انفعال إلى أن التصديق المُعتبر في الإيمان من مقولة العلم لا الفعل، ثم صرّح بأنّه عين التصديق المنطقيّ المُعتبر فيه

الإذعان والقبول، لا مجرد نسبة الصدق في القلب. ثم أشار إلى ردّ مَنْ ذهب إلى أنه عبارة عن التسليم والقبول الذي هو من مقولة الفعل بقوله وتسميته تسليمًا زيادة توضيح للمقصود؛ وذلك لأن المقصود من الإيمان هو تسليم ما جاء به والانقياد إليه، ولفظ التسليم دلّ عليه ثم أشار إلى ردّ مَنْ ذهب إلى أنه نوع خاص من التصديق المنطقي، بقوله: وجعله مغايرًا للتصديق المنطقي وَهُمْ، فإن قيل: لو لم يكن مغايرًا له لزم حصول الإيمان في الكافر، فأجاب بمنع حصول التصديق المنطقي في الكافر، وعلى تقدير حصوله لبعض الكفار لا يلزم منه حصول الإيمان لهم لوجود الجحود باللسان طوعًا واستكبارًا، فإن قيل: قد صرح أولاً بأنه عين التصديق المنطقي، وقوله: يكون كفره باعتبار جحوده باللسان واستكباره، يُشعر بأنه غيره، وأنه نوع خاص منه باعتبار هذا القيد. قلنا: لا يلزم من اعتبار هذا القيد كونه نوعًا خاصًا منه؛ لجواز أن يكون هذا القيد شرطًا خارجيًا. قوله: (في حال من الأحوال) أي حال الإكراه وحال الطّوع حتى لو تبدّل التصديق بضدّه في حال منهما لكان كافرًا. قوله: (وقيام السيف) إشارة إلى أنّ المراد بالإكراه المُعتبر في إسقاط الإقرار هو الإكراه بالقتل أو بالقطع. قوله: (عدم تبدّله) أي التصديق. قوله: (متمكّنه) أي الإقرار. قوله: (على فواته) أي التصديق؛ لأن الإقرار دليلٌ عليه قائم مقامه لكونه أمرًا باطنًا تعذّر الوقوف عليه، فكان تركه بغير عذر دليلًا عليه؛ لأن انتفاء الدليل انتفاء المدلول. قوله: (لا المصدق الغير المتمكّن، ولو كان نادرًا) معطوف على متمكّنه، أي لا يدلّ المصدق الغير المتمكّن من الإقرار على فوات التصديق، فيكون مؤمنًا. قال فخر الإسلام: وَمَنْ لم يصادف وقتًا يتمكّن فيه من البيان، وكان مختارًا في التصديق كان مؤمنًا إن تحقّق ذلك، انتهى. وقال في التقرير: قيّد بكونه مختارًا احترازًا عن التصديق حالة اليأس، فإنه لا ينفع أصلًا. وقوله: أن يحقّق ذلك؛ لأن التصديق الاختياريّ مع عدم التمكن من الإقرار وما يقوم مقامه في غاية الندرة، فأشار الشارح إلى هذا بقوله: ولو كان نادرًا، لكنه ترك الاختيار لظهوره. وقوله: ولا المتمكّن عطف على الغير المتمكّن، أي لا يدلّ ترك المصدق المتمكّن من الإقرار عند الإيجاب على الإقرار على فوات التصديق، بل يحكم بإسلامه؛ كالكافر أجبر على الإسلام فأقرّ، فإنه يُحكم بإسلامه عندنا ذميًا أو حربيًا، وكذا المسلم لو أكره على

.....

الإنكار فأنكر، فإنه لا يُحكم بكفره، فإنَّ الإكراه المُلجئ لا يعدم الاختيار بل يفسده، فإجبار الكافر على الإقرار والمسلم على الإنكار لا يعدم اختيارهما، وإن أفسده، والاختيار الفاسد معتبر في الإسلام؛ لأنه يعلو ولا يُعلى، فيكفي فيه الاختيار الفاسد.

واعلم أنَّ مذهب المحققين مِنْ أصحابنا أنَّ الإيمان هو التصديق والإقرار ليس جزءً منه، وإنما هو شرط إجراء الأحكام الشرعية عليه حتى أنَّ من صدَّق بقلبه ولم يُقرِّ بلسانه مع تمكنه منه كان مؤمنًا عند الله تعالى غير مؤمن في أحكام الدنيا، أي لا يجري عليه أحكام الإسلام في الدنيا. وقال كثير من أصحابنا ومن الفقهاء: إنَّ الإيمان هو مجموع التصديق والإقرار، واستدلوا عليه بظواهر النصوص من قوله عليه الصلاة والسلام: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله» الحديث. وقوله عليه الصلاة والسلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» إلى غير ذلك، إلا أنهم لما تقنطوا السقوط الإقرار مع بقاء كون الرجل مؤمنًا، قالوا: إنَّ التصديق ركنٌ أصلي لا يحتمل السقوط أصلًا، حتى لو تبدَّل بضده طوعًا أو كرهًا كان كافرًا، والإقرار ركنٌ مُلحق بالتصديق في كونه ركنًا لكونه دالًّا عليه، ويقبل السقوط بعذر الإكراه المُلجئ حتى لو تبدَّل بضده لم يكن كافرًا؛ لأنَّ اللسان ليس معدن التصديق، والأصل هو التصديق؛ فاللسان ليس معدن الأصل، فاشتغاله بضده لا يدلُّ على الكفر، واختار رحمه الله مذهب الأكثر، كما هو الظاهر في مواضع من كتابه، لكن اعترض بعض المحققين على دليلهم بأنَّ تلك النصوص تدلُّ على أنَّ الإيمان هو الإقرار وحده؛ إذ ليس فيه ذكر التصديق، وهو خلاف ما عليه أهل السنة، ويستلزم أن يكون المنافقون مؤمنين، فيكون متروك الظاهر، وخبر الواحد المتروك الظاهر، وكذا المشهور المتروك الظاهر لا يفيد الركنية في الأمور القطعية. واستدلَّ على مذهب المحققين بأنَّ الإيمان في اللغة والعرف هو التصديق فقط، ولا تعلُّق له باللسان، فإطلاقه على غير التصديق إخراج عن معناه الحقيقي، وبأنَّ الشيء لا يوجد إلا مع ركنه، وكلُّ مَنْ آمن موصوف بالإيمان على التحقيق من حين آمن إلى أن مات، بل إلى الأبد، فيكون مؤمنًا بوجود الإيمان وقيامه به حقيقة، ولا وجود للإقرار حقيقة في كل لحظة، بل يكفي وجوده مرة في عمره؛ فدلَّ أنه مؤمن لما معه

من التصديق القائم من التصديق القائم بقلبه الدائم بتجدد أمثاله، أو لبقاء الأعراض، لكن الله أوجب الإقرار ليكون شرطاً لإجراء أحكام الدنيا؛ إذ لا وقوف للعباد على ما في القلب، فلا بدّ لهم من دليل ظاهر ليتمكنهم بناء الأحكام عليه والنصوص معاضدة لهذا القول أيضاً؛ كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: الآية ٢٢]، ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: الآية ١٠٦]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «ثبت قلبي على دينك». قوله: (إذ ليست ركناً مثله) أي ليست الصلاة ركناً من الإيمان، مثل الإقرار أشار به إلى أن الأعمال خارجة عن الإيمان لا داخله فيه، كما قال الشافعي رحمه الله. قوله: (إذ لا تدلّ عليه عدماً)؛ إذ يلزم من ترك الصلاة اختياراً عدم الإيمان بخلاف الإقرار، كما عرفت. قوله: (إلا على هيئة مخصوصة) أي إلا كائنة على هيئة مخصوصة؛ كالصلاة بجماعة، فإنه يحكم بوجود إيمان مَنْ صَلَّى بالجماعة لكونها من خصائص هذه الأمة بخلاف الصلاة منفرداً، فإنها لا تدلّ على وجود الإيمان. قوله: (وسره)، أي سرّ دخوله الإقرار في الإيمان دون الأعمال، حاصله أن الإيمان وصف للإنسان، يقال: إنه مؤمن والإنسان مركّب من الروح والبدن والتصديق عمل الروح القائم في القلب، فجعل عمل شيء من البدن أيضاً داخلاً فيه تحقيقاً لكمال اتصاف الإنسان بالإيمان ظاهراً وباطناً، وتطبيقاً بين الصفة والموصوف في التركيب وتعين فعل اللسان؛ لأنه المتعين لبيان ما في الباطن بحسب الوضع، ولهذا جعل الحمد الذي هو فعل اللسان رأس الشكر، فكان الإيمان مركّباً من الدال والمدلول. قوله: (لا حقيقة بل حكماً)، وإنما جعل هذا القسم مقابلاً للقسمين المذكورين نظراً إلى أنه لا ينقسم إلى ما لا يقبل السقوط، وما يقبله، بل كلّ يقبل السقوط. واعلم أن للحسن لعينه درجات أعلاها حسن التصديق، فإنه لا يسقط بحال، ثم حسن الإقرار؛ لأنه وإن كان ركناً، إلا أنه يحتمل السقوط، ثم حسن الصلاة لأنها حسنة لعينها بحيث لا تشبه الحسن لغيره، إلا أنها تحتمل السقوط وليست بركن من الإيمان؛ كالإقرار، فكانت دونه ثم حسن الصوم والزكاة والحجّ، فإنها مع احتمال السقوط وعدم ركنيتها تشبه الحسن لمعنى في غيره، وتحقيقه أن حسن كلّ من هذه الثلاثة بالغير، إلا أنه لا اعتبار بحسن ذلك الغير، حتى أنه في حكم العدم، فصار كلّ منها كأنه حسن لا بواسطة أمر، فجعل بهذا الاعتبار من قبيل الحسن لمعنى في

نفسه، فصار ههنا مقامان: أحدهما أن هذه الأفعال ليست حسنة في نفسها، بل بواسطة أمور يعرف العقل أنها المطلوبة بالأمر والمُتَّصِف بالحسن. وثانيهما أنه لا عبْرَة بهذه الوسائط، وأنها في حكم العدم حتى كان المقصود بالأمر هو نفس الأفعال التي ورد الأمر بها. أمّا الأول، فلأن الصوم في نفسه تجويع النفس والإضرار بها ومنع نِعَم الله عن عباده مع إباحتها لهم، وإنما تُحَسَّن بواسطة حسن قهر النفس. والزكاة في نفسها إضاعة المال، وإنما تحسن بواسطة حسن دفع حاجة الفقير، والحجّ في نفسه قطع للمسافة إلى أمكنة مخصوصة، وزيارة بمنزلة السفر للتجارة وزيارة البلدان والأماكن، وإنما يحسن بواسطة زيارة البيت الشريف المضاف إلى الله تعالى حيث يقال: بيت الله، ففيه تعظيم له. وأمّا الثاني، فهو ما أشار إليه بقوله: لكن هذه الوسائط لا تُخرجها عن أن تكون حسنة لعينها، إلى قوله: بمنزلة الصلاة، وقيل: إنّ هذه الوسائط لم تُعتبر ههنا؛ لأنه لا دخل فيها لقدرة العبد واختياره، فلم يجعل الحسن باعتبارها، بل باعتبار نفس الأفعال المطلوبة، واعترض عليه بأنّ هذه الوسائط لا شك في كونها باختيار العبد، نعم لو كانت الوسائط نفس الحاجة وشهوة النفس وشرف الأمكنة لكانت مما لا دخل فيه لقدرة العبد، لكنها ليست كذلك. وأُجيب بأنّ قهر النفس ودفع الحاجة وزيارة البيت نفس الصوم والزكاة والحجّ، فكيف تكون وسائط حسننها، وإنما الوسائط هي الحاجة والشهوة وشرف المكان والاختيار للعبد فيها، وردّ بأنّ الواسطة ما يكون حسن الفعل لأجل حسننها، وظاهر أنّ نفس الزيارة والحاجة والشهوة ليست كذلك، ولهذا قال: إنّ الوسائط هي القهر والدفع والزيارة المخصوصة، ولا خفاء في أنها ليست نفس الصّوم والزكاة والحجّ، ولو سلم اتّحادهما في الخارج، فلا خفاء في تغييرهما في الدّهن، وهو كافٍ ههنا. أقول: فيه نظر؛ لأنّ كلّاً من القهر والدفع والزيارة لا حسن فيها باعتبار وجودها في الدّهن، وإنما يعرض الحسن باعتبار وجودها في الخارج، وإذا اتّحدا في الخارج فكيف يصح أن تكون واسطة باعتبار وجودها في الدّهن؛ إذ لا حسن باعتبار وجودها في الدّهن حتى تكفي المغييرة فيه، ولعلّه أشار بالتأمّل إلى هذا، فالجواب منع اتّحادهما في الخارج. قوله: (وعبادة خالصة بمنزلة الصلاة) إشارة إلى منشأ حسن الأمور المذكورة، أعني كونها عبادة؛ كما في الصلاة، فإن قيل: إنها إذا كانت عبادة

خالصة مثل الصلاة، فلم لم يجعل حسننها بجزئها بدون المشابهة بالحسن في غيره، كما في الصلاة؟ فالجواب عنه بوجهين: أحدهما أن كونها عبادة خالصة لا يقتضي كون العبادة جزء منهما؛ لجواز أن تكون خارجة عنها صادقة عليها، كيف لا وأن العبادة ليست جزء من مفهوم الصوم والزكاة والحج بخلاف الصلاة، فإن العبادة جزء منها؛ وذلك لأن هذه الأفعال إنما هي عبادة بالنسبة إلى الوسائط، وذاتي الشيء لا يكون بالإضافة إلى شيء آخر، وكون الصلاة عبادة ليس بالنسبة إلى شيء آخر، بل هي عبادة في نفسها، فتكون ذاتية لها. والثاني: أن الوسائط المذكورة وإن جعلت معدومة إلا أن تصوّر وجودها جعل الأمور المذكورة شبيهة بالحسن لغيرها بخلاف الصلاة؛ إذ لا واسطة فيها أصلاً، فإن قيل: يجوز أن يكون حسن الصلاة بواسطة استحقاق الله تعالى العبادة، ولهذا لا تحسن هي لغير الله تعالى، فيكون حسناً بالواسطة لا لعينها، أجب بأن هذا لا ينافي كون حسننها لعينها، بل يؤكد. ألا ترى أن الإيمان بالله تعالى حسن لعينه بخلاف الإيمان بغير الله، وكذا الكفر بالله تعالى قبيح لعينه، وبالجبت والطاغوت حسن لعينه؛ فالمتصف بالحسن هو الأفعال المضافة التي ورد الأمر بها من الإيمان بالله والصلاة والزكاة حسنة لعينها أو لغيرها أن هذه الأفعال قولهم: إن الإيمان والصلاة والصوم والزكاة حسنة لعينها أو لغيرها أن هذه الأفعال مضافة إلى الله تعالى حسنة لعينها أو لغيرها؛ فالإضافة إلى الله تعالى مما لا دخل لها في جعل الحسن لعينها أو لغيرها، إلا أن بعض الأفعال حسنها بالنظر إلى نفس الفعل المضاف إلى الله تعالى؛ كالإيمان والصلاة، وبعضها بالنظر إلى الغير بأن يكون المقصود الأصلي بالأمر ذلك الغير، لا نفس الفعل المضاف؛ كالوضوء والجهاد، وبعضها بالنظر إلى نفس الأفعال المضافة، لكنها تشبه بالحسن للغير؛ كالصوم والزكاة والحج، فإنها حسنة لعينها لعدم اعتبار الوسائط المذكورة، وتشبه بالحسن لغيره بالنظر إلى تصوّر الوسائط. فإن قيل: إن الوسائط المذكورة، وإن اعتبرت معدومة، لكن كونها عبادة خارج عنها كما عرفت، فكيف يكون حسننها لعينها، مع أن الحسن لعينه إما لذاته أو لجزئه ولم يوجد شيء منهما؟ قلنا: الحسن لعينه نوعان: نوع يكون حسنه لذاته أو لجزئه مع قطع النظر عن كونه عبادة وأموراً به؛ كالإيمان، فإنه حسن في ذاته مع قطع النظر عن كونه عبارة وأموراً به؛ وكالصلاة، فإنها حسنة

لجزئها مع قطع النظر عن كونها عبادة، فإنَّ الركوع والسجود حسن في نفسه مع قطع النظر عن كونه مأمورًا به، وكونها حسنة بكونها عبادة أيضًا لا ينافي ذلك، ونوع يكون حسنه باعتبار كونه عبادة ومأمورًا به؛ كما في الصوم والزكاة والحج، فلا يضر خروج العبادة عنها في كونها حسنة لعينها، بمعنى النوع الثاني. قوله: (فإنه يسقط بسقوط الغير، فإن قيل): إن الوضوء يسقط عدم وجدان الماء بعينه وتآلم عضو الوضوء، وكذا السعي إلى الجمعة يسقط أشياء بعينها، وإنَّ الحيض والنفاس يسقطان الصلاة بواسطة إسقاط الطهارة. قلنا: سقوط الوضوء لعدم الماء وتآلم العضو ممنوع، بل الوجوب ثابت إلا أنه يخرج عن العهدة بالخلف، وهو التيمم. ولا نسلم أنَّ الحيض والنفاس يسقطان الصلاة بواسطة إسقاط الطهارة، بل تسقط بهما الصلاة لفوات الأهلية شرعًا، فتسقط الطهارة بناءً عليه؛ وهذا لأنَّ الحدث الدائم لا ينافي وجوب الطهارة بالإجماع. قوله: (بعد الوجوب) كالصلاة تسقط بعد وجوبها بدخول الوقت بالعوارض، وكذا بعد دخول الشهر. قوله: (أجيب) هذا باختيار الشق الثاني، وأجاب عنه صاحب التحقيق باختيار الشق الأول بأنَّ المراد منه ما ثبت بالسبب، إلا أنَّ السبب لما عُرف بالأمر صحت إضافة ما ثبت به إلى الأمر بواسطة، كما صحت إضافة ما ثبت بالمقتضى اسم مفعول إلى المقتضى اسم فاعل. قوله: (وأما حسن لحسن في غيره)، قال فخر الإسلام: والذي حُسِّنَ لمعنى في غيره ثلاثة أضرب أيضًا: ضربٌ منه ما حُسِّنَ لمعنى في غيره، وذلك الغير قائم بنفسه مقصودًا لا يتأذى بالذي قبله بحال. وضربٌ منه ما حُسِّنَ لمعنى في غيره، لكن ذلك الغير يتأذى بنفسه بالمأمور به، فكان شبيهًا بالذي حُسِّنَ لمعنى في نفسه. وضربٌ منه ما حُسِّنَ لحسن في شرطه بعد ما كان حسنًا لمعنى في نفسه أو ملحقًا به، وهذا يسمى جامعًا. أمَّا الضرب الأول، فمثل السعي إلى الجمعة، بأنه ليس بفرض مقصود، وإنما حسن لإقامة الجمعة؛ وكالوضوء، إنما حسن لإقامة الصلاة. وأمَّا الضرب الثاني، فالجهاد وصلاة الجنابة إنما صارا حسنين لمعنى كفر الكافر وإسلام الميت، وذلك معنى منفصل عن الصلاة والجهاد، وإنما عدل عنه المصنف وقدم الضرب الثاني لكونه وجوديًا، ولأنَّه أقرب إلى الحسن لعينه، لكونه مشابهًا له واقتصر على ما ذكره في الإجمال، وصرح بأنَّ المراد بالغير هو إعلاء كلمة الله تعالى وقضاء حق الميت لا ما

ذكره في التفصيل؛ لأن كفر الكافر وإسلام الميت ليس مما يتأذى بنفس المأمور به، وهو الجهاد وصلاة الجنازة؛ لأن الكفر قائم بالكافر، والإسلام بالميت، والجهاد بالمجاهد، والصلاة بالمصلّي؛ ولأنه لا معنى لقوله: وذلك معنى منفصل عنها؛ لأن المقام ليس مقام بيان انفصالهما عنهما، بل مقام بيان عدم انفصالهما بمعنى تأديهما بنفس المأمور به، لأن مراده بالانفصال وعدمه عدم التأدي بنفس المأمور به، والتأدي ولهذا تركه واقتصر على التأدي وعدمه. قوله: (فما يتحد به) أي في الخارج، يعني أنّ الاتحاد الخارجي يصحّح مشابهته بالأول، والمغايرة الذهنية تصحّح الواسطة على ما ذكره في الحكمي من الأول، وفيه ما فيه. قوله: (بهذا) أي بالأول حاصله أن نحو الجهاد وصلاة الجنازة جعل من الحسن لغيره شبيهاً لعينه، ولم يجعل نحو الصوم والزكاة والحجّ كذلك، بل جعل حسناً لعينه شبيهاً لغيره، مع أن حسن كلّ منهما بالواسطة. وحاصل الجواب أنّ الوسائط في نحو الصوم والزكاة والحجّ جعلت كالعدم ولا جهته ههنا لارتفاع الوسائط وصيرورتها كالعدم، فكان حسن هذا لغيره شبيهاً لعينه، وحسن ذلك على عكسه. قوله: (أو لا يتأذى ذلك الغير) عبارة فخر الإسلام هكذا، وذلك الغير قائم بنفسه مقصوداً لا يتأذى بالذي قبله، والمراد بالغير هو الصلاة والجمعة، فإنهما لا يتأديان بالوضوء والسعي، وإنما أعرض عنه المصنّف؛ لأن المراد بالقيام بنفسه أن لا يتأذى بالإتيان بالمأمور به، بل يفتقر إلى إتيان به على حدّه، وكذا مراد صاحب التنقيح بقوله: فلذلك الغير إمّا منفصل عن المأمور به أن لا يتأذى بالإتيان بالمأمور به لا ما لا يفتقر في التحييز والإشارة إلى التبعية للغير، كما في الجواهر؛ لأن الصلاة عرض لا يصح قيامها بهذا المعنى. قوله: (والأمر المطلق عن قرينة تدلّ). اهـ. قال فخر الإسلام: والأمر المطلق في اقتضاء صفة الحسن يتناول الضرب الأول من القسم الأول؛ لأن كمال الأمر يقتضي كمال صفة المأمور به، وكذلك كونه عبادة يقتضي هذا المعنى، ويحتمل الضرب الثاني بدليل، انتهى. واختلفوا في تفسيره، فقال بعضهم: المراد بالضرب الأول ما لا يحتمل السقوط أصلاً، وبالقسم الأول الحسن لعينه مطلقاً حقيقة أو حكماً، وقال بعضهم: المراد بالضرب الأول الحسن لعينه، وبالقسم الأول هو التقسيم الأول من تقسيم المأمور به إلى الحسن لمعنى في نفسه، وإلى حسن لمعنى في غيره،

فالمصنّف اختار التفسير الأوّل كما ترى، وترك قوله: وكذلك كونه عبادة يقتضي هذا المعنى؛ لأن هذا المعنى، أي كمال الحسن، ليس من مقتضى كونه عبادة، بل من مُوجبه، فإن قيل: فلمَ لم يقل وكونه عبادة يُوجب هذا المعنى أيضًا، كما قال في التنقيح: قلنا: لأن المقصود بيان أن مقتضى الأمر ما هو من أقسام الحسن، لا بيان موجب كونه عبادة، فقال: إنّ مقتضى الأمر المطلق هو الضرب الأوّل من القسم الأوّل من أنواع الحسن؛ فعلم منه أنّ ما عدا الضرب الأوّل المفسّر بالتفسير المذكور هو مقتضى الأمر المقيّد بقرينة تدلّ على حسن المأمور به، ولهذا ترك قول فخر الإسلام، ويحتمل الضرب الثاني؛ لكونه معلومًا، فكان الحسن لمعنى في غيره كالجهاد، وما يحتمل السقوط كالإقرار والصلاة وما يشبه الحسن لغيره من الحسن لمعنى في نفسه؛ كالصوم والزكاة من مقتضيات الأمر المقيّد بالقرينة؛ ففي الجهاد دلّ الدليل على كونه حسنًا لغيره، وفي الإقرار والصلاة دلّ على احتمال السقوط، وفي الصوم والزكاة على كونها شبيهة بالحسن لغيره. والحاصل أنّ مشائخنا اختلفوا في مقتضى الأمر المطلق عن القرينة الدالة على حسن المأمور به لعيّنه أو لغيره، فذهب بعضهم إلى أنّ مقتضاه الحسن لغيره، مستدلّ بأنّ الحسن فيه ضرورة حكمة الأمر، والضرورة تندفع بالأدنى، وهو الحسن لغيره، فلا يُصار إلى الأعلى. وذهب الجمهور إلى أنّ مقتضاه الحسن لعيّنه مستدلّين بأنّ المطلق ينصرف إلى الكامل، وكمال الأمر يقتضي كمال صفة المأمور به، وهو ما يكون حسنًا لعيّنه. فإن قيل: لو كان مقتضى الأمر المطلق كمال حسن المأمور به، وهو ما لا يحتمل السقوط أصلًا لزم أن لا يجوز ظهر المقيم الغير المعذور إذا أذاه في بيته يوم الجمعة قبل فوت الجمعة، كما قال الشافعي وزُفر؛ لأن أمر ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: الآية ٩] يقتضي حسن المأمور به، وهو الجمعة حسنًا لعيّنه، ولا يحتمل السقوط أصلًا، مع أنه يجوز عندنا، وأن لا ينتقض ظهر المعذور الذي أذاه في بيته يوم الجمعة ثم حضر الجمعة مع الإمام، كما قال الشافعي رحمه الله؛ لأن المعذور غير مخاطب بالجمعة، فأمر المطلق اقتضى في حقّه فرضيّة الظهر، فإذا أذاه لم ينتقض لكونه مقتضى الأمر المطلق، فالجواب أنه لا خلاف في أن الأمر المطلق يقتضي كمال حسن المأمور، وإنّ الصحيح المقيم مأمورٌ بالسعي إلى الجمعة، ولكن الشأن في معرفة كيفيّة الأمر

بالجمعة في قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: الآية ٩]، أهو بطريق النسخ كما قلتم، أم بطريق التقرير كما قلنا؟ لا سبيل إلى ما قلتم؛ لأنه بعد فوات الجمعة يصلي الظهر، وليس ذلك قضاء عن الجمعة؛ لأنه لا يصلح قضاء لها لاختلافهما اسمًا ومقدارًا وشروطًا، ولو سلم صلاحيتها لقضاء الجمعة، فالجمعة لا تقضى بالإجماع، فثبت أن أداء الظهر بعد فوات الجمعة عَوْدٌ إلى الأصل، وثبت أن قضية قوله: ﴿فَاسْعَوْا﴾ [الجمعة: الآية ٩] إقامة الجمعة مقام الظهر، فصار الأمر بالجمعة مقرر للظهر لا ناسخًا له، إلا أن الأمر في حق الغير المعذور حتم دون حق المعذور، فإنه رخص له أن لا يقيمها مقام الظهر، فلو صلى الصحيح المقيم الظهر في بيته يوم الجمعة صح؛ لأنه فرض وقته ولم يُنسخ بالجمعة، كما في حق المعذور، لأنهما سواء في كَوْنِ الظهر مشروع الوقت في حقهما، وإن اختلفا في وجوب الفعل وعدم وجوبه، ولهذا يَأْثُمُ الصحيح المقيم بأداء الظهر وترك الجمعة، وإن كان ما صلاه فرض الوقت؛ لأنه منهي عنه، والنهي لغيره لا يمنع المشروعية، ولا يَأْثُمُ المعذور لعدم وجوب الجمعة في حقه لسقوطها عنه رخصة، لئلا يلزم الحرج بالسعي إليها، وسقطت عنه رخصة، فلو صلى الظهر في بيته ثم حضر الجمعة مع الإمام انتقض ظهره، لئلا يعود على موضوعه بالنقض، فإنها سقطت عنه رخصة لدفع الحرج، فلو لم تجر جمعته بعدما حضر وصلى مع الإمام اختيارًا للعزيمة كان فيه إثبات الحرج، ولهذا ينتقض ظهره. قوله: (ثم التكليف) شروع في بحث التكليف بما لا يُطاق، وقد فصله في التنقيح بعنوان الفصل لكثرة مباحثه؛ ولأن القدرة التي هي مناط التكليف ليست من أقسام المأمور به، بل من شرطه، ومورد القسمة في أقسام الحسن هو المأمور به في صفة الحسن، فلا وجه لدرجه في الأقسام المذكورة، وإنما تركه المصنف وعطف بكلمة ثم التي للتراخي إشارة ما ذكره فخر الإسلام أن من ضروب الحسن لغيره ضربًا ثالثًا سمي الجامع وهو ما يكون حسنًا لحسن في شرطه بعدما كان حسنًا لمعنى في نفسه، وهو القدرة التي يتمكن العبد بها من أداء ما لزمه. قوله: (اعلم أن ما لا يطاق). اهـ. واعلم أن كلمات القوم ههنا مختلفة جدًا، فلا بد أن يعلم أولًا مراتب ما لا يطاق، فنقول: ما لا يطاق على ثلاث مراتب أَدْنَاهَا ما يمكن في نفسه، ومن العبد ويمتنع لعلم الله تعالى بعدم وقوعه أو لإرادته ذلك، أو لإخباره

به ولا نزاع في وقوع التكليف به فضلاً عن الجواز، فَإِنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى كُفْرِهِ، وَمَنْ أَخْبَرَ اللَّهَ تَعَالَى بِعَدَمِ إِيْمَانِهِ؛ كَأَبِي جَهْلٍ يُعَدُّ عَاصِيًا بِالإِجْمَاعِ، وَلَوْ لَمْ يَقَعْ التَّكْلِيفُ بِالإِيْمَانِ لَمْ يَكُنْ عَاصِيًا، وَاللَّازِمُ بَاطِلٌ بِالإِجْمَاعِ، فَكَذَا الْمَلْزُومُ. وَإِنَّمَا النِّزَاعُ فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ فِي كَوْنِهِ مِمَّا يُطَاقُ أَوْ مِمَّا لَا يُطَاقُ، فَالْمَانِعُونَ يَجْعَلُونَهُ مِمَّا يُطَاقُ بِالنَّظَرِ إِلَى إِمْكَانِهِ مِنَ الْعَبْدِ وَفِي نَفْسِهِ، فَيَكُونُ مَرَاتِبُ مَا لَا يُطَاقُ اثْنَتَيْنِ لَا ثَلَاثًا، وَالْمَجْزُوزُونَ يَجْعَلُونَهُ مِمَّا لَا يُطَاقُ بِالنَّظَرِ إِلَى امْتِنَاعِهِ. الْحَاصِلُ مَنْ تَعَلَّقَ عِلْمُهُ تَعَالَى وَإِرَادَتُهُ، فَتَكُونُ مَرَاتِبُ مَا لَا يُطَاقُ عِنْدَهُمْ ثَلَاثًا، وَأَقْصَاهَا مَا يَمْتَنَعُ لِدَاتِهِ؛ كَقَلْبِ الْحَقَائِقِ وَجَمْعِ الضَّدِّيْنَ أَوْ إِعْدَامِ الْقَدِيمِ، وَلَا نِزَاعَ فِي عَدَمِ جَوَازِ التَّكْلِيفِ بِهِ فَضْلًا عَنْ وَقُوعِهِ، وَاسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ بِالإِجْمَاعِ وَشَهَادَةِ الْإِسْتِقْرَاءِ وَبِالنُّصُوصِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦]، وبأنه لو صَحَّ التَّكْلِيفُ بِالْمَمْتَنَعِ لِدَاتِهِ، لَكَانَ الْمَمْتَنَعُ لِدَاتِهِ مُسْتَدْعٍ لِلْحَصُولِ، وَاللَّازِمُ بَاطِلٌ. أَمَّا الْمُلَازِمَةُ، فَلَأَنَّ مَعْنَى التَّكْلِيفِ طَلِبَ حَصُولِ الْمَكْلُوفِ بِهِ مِنَ الْمَكْلُوفِ. وَأَمَّا بَطْلَانُ اللَّازِمِ، فَلَأَنَّ الْمَمْتَنَعِ لِدَاتِهِ لَا يَتَصَوَّرُ وَقُوعَهُ وَطَلِبَ حَصُولِهِ فَرَعَ تَصَوُّرَ وَقُوعِهِ؛ إِذْ لَا يُمْكِنُ طَلِبَ حَصُولِ الْمَجْهُولِ، فَإِذَا انْتَفَى تَصَوُّرُ وَقُوعِهِ انْتَفَى طَلِبُهُ أَيْضًا، وَإِنَّمَا لَا يَتَصَوَّرُ وَقُوعَهُ لِأَنَّهُ لَوْ تَصَوَّرَ لَتَصَوَّرَ مُثْبِتًا، وَاللَّازِمُ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ تَصَوُّرُ الْأَمْرِ عَلَى خِلَافِ مَا هِيَ تَنَافِي ثُبُوتِهِ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ مَمْتَنَعًا لِدَاتِهِ، فَمَا يَكُونُ ثَابِتًا فَهُوَ غَيْرُ مَا هِيَ الْمَمْتَنَعُ لِدَاتِهِ، فَإِنْ قِيلَ: لَوْ لَمْ يَتَصَوَّرَ الْمُتَمْتَنَعُ لِدَاتِهِ لَامْتَنَعَ التَّصَدِيقُ بِإِحَالَةِ اجْتِمَاعِ النَّقِیْضِیْنِ، لِأَنَّ التَّصَدِيقَ بِصِفَةِ الشَّيْءِ فَرَعَ تَصَوُّرَ الشَّيْءِ. قُلْنَا: إِنَّا لَا نَدَّعِي انْتِفَاءَ تَصَوُّرِهِ مُطْلَقًا، بَلْ انْتِفَاءَ تَصَوُّرِهِ مُثْبِتًا، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ انْتِفَاءِ تَصَوُّرِ الْخَاصِّ انْتِفَاءُ مُطْلَقِ التَّصَوُّرِ وَالتَّصَدِيقُ بِاسْتِحَالَةِ اجْتِمَاعِ النَّقِیْضِیْنِ، إِنَّمَا يَسْتَدْعِي تَصَوُّرَهُ مُطْلَقًا لَا تَصَوُّرَهُ مُثْبِتًا، وَقَدْ نَتَصَوَّرُهُ مَنْفِيًّا بِمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ لَنَا شَيْءٌ مُوْهُومٌ أَوْ مُحَقَّقٌ يَصْدُقُ عَلَيْهِ اجْتِمَاعُ النَّقِیْضِیْنِ وَنَحْكُمُ عَلَيْهِ بِالْحَكْمِ الثَّبُوتِيِّ، أَعْنِي أَنَّهُ مُحَالٌ، وَهَذَا التَّصَوُّرُ لَيْسَ تَصَوُّرَ وَقُوعِهِ، فَإِنْ قِيلَ: الْمَمْتَنَعُ لِدَاتِهِ قَدْ يَتَصَوَّرُ ثُبُوتَهُ ذَهْنًا؛ لِأَنَّا نَحْكُمُ عَلَيْهِ بِالْحَكْمِ الثَّبُوتِيِّ بِأَنَّهُ مُعَدُومٌ، وَثُبُوتُ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ فَرَعَ ثُبُوتَ ذَلِكَ الشَّيْءِ، وَمَا لَيْسَ بِثَابِتٍ فِي الْخَارِجِ، فَهُوَ ثَابِتٌ فِي الذَّهْنِ، وَثُبُوتُهُ فِي الذَّهْنِ كَافٍ فِي طَلِبِهِ. قُلْنَا: إِنَّ الْمَمْتَنَعِ لِدَاتِهِ هُوَ الْوُجُودُ الْخَارِجِيُّ، وَلَا يَتَصَوَّرُ ثُبُوتَهُ فِي الْخَارِجِ، وَالتَّصَوُّرُ هُوَ الثَّبُوتُ فِي

الذهن، وليس بمُحال؛ فلا يكون مما نحن فيه. فإن قيل: كيف يصح دعوى الاتفاق في عدم جواز التكليف بالممتنع لذاته، وقد قال في شرح المقاصد: إن كلام كثير من المحققين يدل على أن التكليف بالمُمتنع لذاته كجمع النقيضين جائز، بل واقع شرعاً، فإن الله تعالى أمر أبا جهل بأن يصدقه ويؤمن في جميع ما يُخبر عنه، ومما أخبر عنه أنه لا يؤمن، فقد أمره بأن يصدقه، وذلك جمع بين النقيضين؛ هكذا ذكره نقلاً عن إمام الحرمين. ثم قال نقلاً عن الإمام الرازي: إن الأمر بتحصيل الإيمان مع حصول العلم بعدم الإيمان أمرٌ بجمع الوجود والعدم؛ لأن وجود الإيمان يستحيل أن يحصل مع العلم بعدم الإيمان. أُجيب عنه تارةً بأن لا نسلم أن ما ذكره عن الإمامين يدل على أن المكلف به هو الجمع بين التصديق وعدمه، بل تحصيل الإيمان، وهو مُمكن في نفسه ومن العبد بحسب أصله، وإن امتنع بالنظر إلى علمه تعالى وإرادته وإخباره بأنه لا يؤمن، فيكون التكليف به جائزاً، بل واقعاً بالاتفاق، وأخرى بأن الإيمان في حق مثل أبي لهب وأبي جهل هو التصديق بما عدا هذا الإخبار، وفي كل من الجوابين بحث. أما في الأول، فلأن الكلام فيمن وصل إليه هذا الخبر، أعني أنه لا يؤمن، وكُلّف بالتصديق به على التعيين، فيلزم الجمع بين التصديق والتكذيب بالضرورة. اللهم إلا أن يقال: إنه يجوز أن لا يخلق الله تعالى العلم بالتصديق لأبي لهب ونحوه، فلا يلزم اجتماع التصديق والتكذيب. نعم إن خلق العلم بالعلم ضروري عادي، فيلزم أن يكون من المرتبة الوسطى، وهو يستلزم وقوع التكليف بالمرتبة الوسطى مع أنه غير واقع، وإن جاز على ما سنذكره. وأما في الثاني، فلأنه يستلزم اختلاف حقيقة الإيمان بالنسبة إلى بعض الأشخاص، وقد يُجاب عن أصل الإشكال، فإنه ليس المراد بالاتفاق اتفاق جميع العلماء، بل اتفاق أكثرهم؛ كما صرح به الفاضل الحلي، والمرتبة الوسطى ما أمكن في نفسه غير ممكن من العبد لعدم وقوعه متعلقاً لقدرة العبد أصلاً؛ كخلق الأجسام، أو عادة؛ كالصعود إلى السماء وحمل الجبل، وهذا هو الذي وقع النزاع في جواز التكليف به بمعنى طلب تحقيق الفعل والإتيان به واستحقاق العقاب على تركه لا على قصد التعجيز وإظهار عدم الاقتدار على الفعل، كما في التحذير بمعارضة القرآن. فقال الأشعري والماتريدي: يجوز التكليف به عقلاً لجواز أن يخلق الله تعالى فيه قدرة على ذلك

.....

الفعل على خلاف العادة، ومنعه المعتزلة لقبحه عقلاً قياساً على الشاهد، فإن مَنْ كَلَّفَ الأعمى بنقط المصاحف، والزَّيْمَنَ بالمشي، وعبده بالطيران إلى السماء يُعَدُّ سفيهاً. قلنا: قياس الغائب على الشاهد فاسد، كيف والمكلف حكيمٌ مطلق، فإن قيل: تكليف الجماد ليس بأبعد منه الجواز أن يخلق الله تعالى فيه الحياة والعلم والقدرة، مع أنهم قالوا: تكليف الجماد لا خلاف في امتناعه. قلنا: إن شرط التكليف الفهم، ولا فهم للجماد حين هو جماد؛ (لأن الجمادية تضاد الفهم). أقول: هذا القول من الأشعريّ مشكل مع قوله: إنَّ العقل مهْدُرٌ بالكِلَّةِ؛ إذ لا حكم للعقل أصلاً عندهم كما مرّ، فكيف بقوله: يجوز التكليف به عقلاً؟ ثم النزاع في هذه المرتبة في الجواز؛ إذ لا نزاع في عدم وقوعه بالإجماع، وما نُقِلَ عن الأشعريّ من وقوع التكليف بما لا يُطاق محمولٌ على المرتبة الأولى؛ لأنها من قبيل ما لا يُطاق عنده. قوله: (ولا نزاع في وقوع التكليف به)، وإنما النزاع فيه في كونه مما يطاق أو مما لا يطاق، فذهبت الأشاعرة إلى أنه مما لا يُطاق بالنظر إلى امتناعه بتعلُّق علمه وإرادته تعالى بعدمه، وبالنظر إلى أصلهم من أن القدرة الحادثة لا تأثير لها أصلاً، وأنها غير سابقة على الفعل، بل معه، والتكليف لا بدّ أن يكون مقدّماً على الفعل، فيكون مقدّماً على ما مع الفعل أيضاً، فلا قدرة وقت التكليف. وذهب جمهور الماتريدية إلى أنه مما يُطاق بالنظر إلى إمكانها من العبد في نفسها مع قطع عن تعلُّق علم الله تعالى وإرادته وبناءً على أصلهم من أن علم الله تعالى وإرادته لا يجعلان نقيض متعلّقهما ممتنعاً أصلاً؛ لأن العلم تابع للمعلوم عندهم والإرادة تابعة للعلم التابع للمعلوم، والله تعالى إنما يريد على وفق علمه، والمعلوم فيما نحن فيه هو عدم الإيمان باختيارهم، فكذا المراد، فلا امتناع في الإيمان. فإن قيل: الاستطاعة مع الفعل أيضاً عندنا، فلا قدرة حين التكليف، فيكون مما لا يُطاق. قلنا: المُعتبر عندنا في صحة التكليف هو القدرة بمعنى سلامة الأسباب والآلات، وهذه القدرة توجد قبل الفعل. فإن قيل: نعم، إلّا أنّ التكليف بدون القدرة الحقيقية التي هي مع الفعل محال لامتناع الفعل بدونها. قلنا: امتناع التكليف بدونها ممنوع مع وجود القدرة بمعنى سلامة الأسباب، ولو سلم لكن انتفاء القدرة الحقيقية وقت التكليف ممنوع بناءً على أن القدرة الحقيقية صالحة للضدّين عندنا، حتى أنّ القدرة على الإيمان هي

بعينها القدرة على الكفر، فالكافر قادرٌ على الإيمان قدرة حقيقية. فإن قيل: يلزم أن تكون القدرة الحقيقية قبل الفعل، والمذهب أنها مع الفعل. قلنا: كونها قبل الفعل بمعنى صحة تعلّقها به بدل ضده، أي لو لم تتعلّق بضده لصحّ تعلّقها به لا ينافي كونها مع الفعل، بمعنى أنها توجد وقت حدوث الفعل وتتعلّق به تعلّق الكسب بالمكسوب. قوله: (والإجماع متعقد) أي إجماع الأكثر وإلا فقد حُكي عن إمام الحرمين والرازي أن التكليف بالمتنع لذاته جائز وواقع كالتكليف بإيمان نحو أبي لهب كما ذكرناه، واستدلّ المانعون بالإجماع والنصوص والعقل كما ذكرناه، واستدلّ المجوّزون بوجهين: أحدهما لو لم يجز لم يقع؛ لأن الوقوع مسبوق بالإمكان، لكنه وقع لأن العاصي كلّف بالفعل مع أنه ممتنع لعلمه تعالى بعدم وقوعه؛ ولأن الكافر مكلف بالإيمان مع أنه يمتنع منه الإيمان لعلمه تعالى وإرادته وإخباره بأنه لا يؤمن، ولأن مَنْ مات قبل تمكّنه من الفعل مكلف به، مع أنه يمتنع منه لموته قبله، وكذا مَنْ نسخ عنه قبل تمكّنه منه مكلف به مع امتناعه منه لنسخه قبله، ولأن المكلف لا قدرة له على الفعل وقت التكليف لكون الاستطاعة مع الفعل والتكليف قبل وجود الفعل لاستحالة التكليف بإيجاده الموجود، فيكون التكليف قبله تكليف بالمحال لعدم قدرته عليه وقت التكليف؛ ولأن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، فلا يكون مقدورًا للعبد وإلا لزم وقوع مقدور واحد بقدرة قادرين، وهو محال، فكان التكليف به تكليفًا بالمحال. أُجيب عنه بوجهين: الأول: لا نسلم أن تكليف العاصي بالطاعة والكفار بالإيمان، ومَنْ مات أو نُسخ عنه قبل التمكن بالفعل تكليف بالمتنع بالذات؛ لأنّ الطاعة والإيمان والفعل يمكن تصوّر وقوعها من المكلف بحسب ذواتها، وإن امتنع صدورها منه بالنظر إلى علمه تعالى وإرادته وإخباره ونسخ المكلف به وموت المكلف قبل التمكن، فلا يكون شيء منها في محل النزاع؛ لأن النزاع في الممتنع لذاته ومدار صحة التكليف قبل القدرة الحقيقية التي تكون مع الفعل على وجود القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب كما تقدم، وكون الفعل مخلوقًا لله تعالى لا ينافي كون ذلك الفعل مقدورًا للعبد أيضًا بالقدرة الكاسبة، والأمر كذلك لأن كلّ فعل اختياري للعبد مقدور لله تعالى بالقدرة المؤثّرة، وللعبد بالقدرة الكاسبة، فلا يكون تكليفًا بالمحال. والثاني: أنّ الأمر لو كان على ما ذكرتم لزم أن يكون جميع

التكليف تكليفاً بالمحال، واللازم باطل. أما استلزام الوجهين الأخيرين، فلأن القدرة الحقيقية في الجميع، وأن الكل مخلوق لله تعالى. وأما الوجوه الباقية، فلأنه لو وجب كل ما علم الله تعالى وقوعه، وامتنع كل ما علم الله عدم وقوعه لكانت الأفعال كلها إما واجبة أو ممتنعة، والتكليف بهما محال إما بالمتنوع؛ فلكونه ممتنعاً بالذات، وإما بالواجب فلأن التكليف بإيجاد ما يجب وجوده محال. والحاصل أن الممكن لا يجب وجوده بالذات، ولا يمتنع بالذات بتعلق علمه تعالى وإرادته، وثانيهما أنه لو لم يجز لم يقع لكنه وقع، فإنه كلف أبا جهل بالإيمان وهو تكليف بجمع النقيضين كما تقدم عن الإمامين، وأجيب عنه بوجهين كما ذكرناه. قوله: (وهذا هو محل النزاع)، لا يخفى عليك أن الظاهر من التلويح أن النزاع في هذه المرتبة في الوقوع وعدمه، حيث قال: ما لا يطاق إما أن يكون ممتنعاً لذاته؛ كإعدام القديم والإجماع منعقد على عدم وقوع التكليف به، وإما أن يكون ممتنعاً لغيره بأن يكون ممكناً في نفسه، لكن لا يجوز وقوعه من المكلف لانتفاء شرط أو وجود مانع؛ فالجمهور على أن التكليف به غير واقع خلافاً للأشعري، انتهى. فإن المراد بالمتنوع لغيره هو المرتبة الوسطى لا الأقصى، وهو ظاهر، ولا الأدنى لأنه ذكره بعد هذه، ولأنه لا خلاف في وقوع التكليف بها، وهذا مخالف لما في شرح المقاصد، فإنه صرح فيه بأن النزاع في المرتبة الوسطى إنما هو في الجواز لا في الوقوع؛ إذ الوقوع منفى قطعاً، وهو الظاهر من المواقف أيضاً حيث قال: نحن نجوزُه وإن لم يقع بالاستفراء ويمنعه المعتزلة، وبه صرح المولى الخيالي. قوله: (ولهذا) أي ولكون محل النزاع ما لم يكن متعلقاً لقدرة العبد. قلت: ثم التكليف بما لا يقدر عليه المأمور، ولم أقل ثم التكليف بما لا يُطاق على ما وقع في كثير من الكتب إشعاراً بمحل النزاع؛ لأن لفظة ما لا يقدر عليه المأمور أدل عليه. قوله: (لا على قصد التعجيز) كما في التحذير بمعارضة القرآن، بقوله تعالى: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٣]، فإن الأمر فيه للتعجيز لا للتكليف؛ إذ لا نزاع في عدم جوازه. قوله: (بما لا يقدره) أي بما لا يقع متعلقاً لقدرة المأمور أصلاً أو عادة. قوله: (محال) أي غير جائز على ما هو النزاع؛ إذ لا نزاع في عدم الوقوع كما ذكرناه، ولهذا عمم الدليل الذي ذكره بعدم الجواز، حيث قال: بل الجواز أيضاً. ثم

الظاهر منه أن عدم جواز التكليف بالمرتبة الوسطى مما ذهب إليه أصحابنا، والظاهر من المواقف وغيره أن عدم الجواز هو قول المعتزلة فقط، وأصحابنا مع الأشعري في القول بجوازه. قوله: (فلأن طلب حصول المحال) أي المحال من العبد بأن يقع متعلقًا لقدرته أصلًا، أو عادة لا في نفسه، بل هو ممكن في نفسه. قوله: (لا يليق). اهـ. إذ لو كلف به يلزم الترك بالضرورة لعدم تعلق قدرته، فيستحق العقاب بترك ما كلف به، وذلك لا يليق بالحكمة والفضل، وما لا يليق بالحكمة سفه، فالتكليف به سفه. قوله: (هذا) أي الدليل المذكور يمنع وقوع التكليف؛ لأن الترك إنما يلزمه وقوع التكليف لا جوازه. قوله: (لا تمنع الوجوب بمقتضى الحكمة) يعني أن عدم جواز تكليف ما لا يطاق بالمرتبة الوسطى عند المعتزلة مبني على أنه يجب على الله ما هو أصلح لعباده، ولا خفاء في أن عدم تكليف ما لا يطاق أصلح، فيكون واجبًا، فيكون التكليف ممتنعًا، وعند أصحابنا مبني على أنه لا يليق بالحكمة والفضل أن يكلف عباده بما لا يطيقونه، وما لا يليق بالحكمة والفضل سفه وهو قبيح لا يجوز صدوره عن الحكيم المتعال، وما لا يجوز صدوره عنه يجب تركه، فيجب ترك التكليف به بمقتضى حكمته وفضله. والحاصل أن بين وجوب الترك، ولو بمقتضى حكمه وبين عدم جواز فعله مُلازمة. قوله: (كما لا تمنع الإيجاب) يعني أننا نقول: إنَّ المعلوم يجب وجوده عند وجود جميع ما لا بدَّ منه، فيجب إيجاده على الله تعالى، وهذا قول بالإيجاب على الله إلا أنه إيجاب بالاختيار، فلا تمنعه؛ لأن إرادة الله تعالى واختياره داخل في تلك الجملة، فيجب عليه تعالى إيجاده باختياره. قوله: (وكل ما أخبر الله تعالى بعدم وقوعه) دفع لما يقال: إنَّ قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: الآية ٧٨] دليل على عدم الوقوع لا على عدم الجواز توضيحه أنه مما أخبر الله تعالى بعدم وقوعه، وكل ما أخبر الله تعالى بعدم وقوعه، فوقعه محال لأنه يلزم من فرض وقوعه محال، وهو إمكان كذبه تعالى، وكل ما يلزم من فرض وقوعه محال فهو محال، فوقع ما أخبر الله بعدم محال، فلا يجوز التكليف به؛ ففي كلامه حذف صغرى القياس الأول، وكبرى الثاني، وفيه نظر؛ لأن كلفة الكبرى ممنوع، وإنما يصدق لو كان لزوم المحال له لذاته. أمّا لو كان لعارض،

كإخباره تعالى بعدمه، فلا تصدق كليته لجواز أن يكون هو ممكنًا في نفسه ومنشأ لزوم المحال هو ذلك العارض. قوله: (وإذا كان التكليف بالمحال) من العبد بأن لم يقع متعلقًا لقدرته أصلًا أو عادة. قوله: (أي للمأمور) لو قال: أي للتكليف من قدرة المأمور، لكان أولى. قوله: (المقارنة للفعل) أي توجد حال حدوث الفعل بمعنى الحاصل بالمصدر وتتعلق به حال حدوثه لا قبله، خلافًا للمعتزلة؛ فإنهم قالوا: إنها توجد قبل الفعل وإلا لما كان الكافر مكلفًا بالإيمان، ولأن القدرة بهذا المعنى، أي الحقيقة، يلزمها كون الفعل محتاجًا إليها في وجوده، وكونها مع الفعل يلزمه أن يستغني الفعل عنها وقت وجوده، فتنافي اللازمان، وذلك يستلزم تنافي الملزومين أيضًا، فبين مفهوم القدرة وبين كونها مع الفعل منافية، ولأنها لو لم تكن قبل الفعل يلزم إما قدم العالم أو حدوث قدرة الله تعالى ضرورة عدم انفكاك أحدهما عن الآخر. والجواب عن الأول: أنا لا نسلم تلك الملازمة بناءً على جواز التكليف بما لا يُطاق، كما هو رأي الأشعري، ولو سلم أنه لا يجوز لكن صحة التكليف تعتمد على القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، لا على القدرة الحقيقية، ولو سلم أنها تعتمد عليها لكن لا نسلم لزوم وجودها حقيقةً وقت التكليف، لِمَ لا يكفي توهم وجودها، ولو سلم لزوم وجودها حقيقةً. لكن لا نسلم انتفاءها وقت التكليف به بناءً على ما رُوِيَ عن أبي حنيفة وأصحابه أنَّ القدرة الحقيقية صالحة للضدين، حتى أنَّ القدرة على الكفر هي بعينها تصلح للإيمان أيضًا بدل الكفر، فتلك الصلاحية تصحح التكليف، فالكافر حال كفره قادر على الإيمان قدرة حقيقية، فيكون مكلفًا به. فإن قيل: كيف يصح تعلُّقها بالإيمان بدل الكفر، مع أنها توجد ابتداءً إلا وقت حدوث الكفر، وتعلَّقت به في ذلك الوقت لا قبله حتى يصح تعلُّقها بالإيمان بدل الكفر؟ قلنا: إنها وإن لم توجد إلا وقت حدوث الكفر، إلا أنه لم يجب الكفر بها لدخول الاختيار فيها، فإذا لم يجب الكفر بها صح تعلُّقها بالإيمان بدل الكفر. فإن قيل: قد تحقَّق في محله أنَّ المعلوم يجب وجوده عند تمام علته والفرض أنَّ القدرة الحقيقية عبارة عن جملة ما يتوقَّف عليه، فيجب وجود الكفر عندنا. قلنا: نعم إلا أنَّ الوجوب الحاصل من هذه الجملة هو الوجوب بالاختيار، وهو لا يقتضي الوجوب بالذات، فيمكن التخلف عنها وعن الثاني بأن لا نسلم أن الفعل حال حدوثه مستغني

عن القدرة، بل يحتاج إليها وما يتوهم من لزوم إيجاد الموجود ممنوع؛ إذ لم يوجد قبل هذا الإيجاد، بل وُجد بهذا الإيجاد. وعن الثالث بأنّ كلامنا في قدرة العبد لا في قدرة الله حتى يلزم ما ذكرتم، بل قدرة الله تعالى قديمة ولها تعلّقات حادثة، واستدل أصحابنا بوجوه:

الأول: أنها علّة تامّة، فلو كانت قبل الفعل لزم تخلف العلّة التامّة عن المفعول. الثاني: أنها عرض، والعرض لا يبقى زمانين، ولو كانت قبله لانعدمت حال الفعل، فيلزم وجود المقدور بدون القدرة. الثالث: أنها لو كانت قبله لكان الفعل قبل زمان وقوعه مقدورًا، فيلزم أن يكون وقوعه قبله مقدورًا، لكنه محال؛ لأنه يلزم من فرض وقوعه قبله أن يكون الفعل موجودًا ومعدومًا معًا، لأنه معدوم قبل وقوعه، وأن لا تكون الحالة التي فرضناها سابقة عليه، بل مقارنة له، وههنا أبحاث ذكرناها في الكلام. قوله: (فإنها علّة تامّة)، فلا تكون قبل الفعل، فلا تكون مناطًا للتكليف، وفي تعريف هذه القدرة اختلاف كثير ذكرناه في الكلام. قوله: (بل بمعنى سلامة الأسباب) قال في البزدوي: وهذا فضل من الله تعالى ومنة عندنا خلافًا للمعتزلة، فإنه عندهم واجب كما عُرف في مسألة الأصلح، واعترض عليه بأنّ هذا الكلام من فخر الإسلام يدلّ على جواز التكليف بدون هذه القدرة عنده، كما هو مذهب الأشعرية، وما ذكره في بعض مصنفاته يدلّ على خلافه، فإنه قال في بعض مصنفاته: إنّ القدرة بمعنى سلامة الآلات جعلت شرطًا لازماً للتكليف عدلاً وحكمة كما هو مذهب عامة أهل السنة.

وأجيب عنه تارةً بالتوفيق بينهما بأنّ مراده بما في البزدوي أن إعطاء هذه القدرة التي يصير العبد بها أهلاً للتكليف فضل من الله ومنة؛ لأنه لا يجب على الله تعالى شيء، وبناء التكليف على هذه القدرة واشتراطها فيه عدل وحكمة، كإعطاء العقل، فإنه فضل ومنة من الله تعالى، وبناء صحة الخطاب عليه واشتراط في صحة الخطاب عدل وحكمة وأخرى بصرف اسم الإشارة إلى اشتراط القدرة دون إعطائها، وبيان كون اشتراطها فضلاً ومنة من الله تعالى أنّ جواز التكليف مبني على القدرة الحقيقية التي بها يوجد الفعل إلا أنها لم تسبق الفعل، بل قارنته، والتكليف لا بدّ وأن يوجد قبل الفعل نقل الحكم عنها إلى سلامة الآلات والأسباب التي

تحدث هذه القدرة بها عند إرادة الفعل عادةً، فشرطت لصحة التكليف سلامة الآلات والأسباب، مع أن التكليف صحيح بدونها بناءً على توهم وجود القدرة الحقيقية عند الفعل فضلاً ومئة من الله تعالى. هذا والمصنّف ﷺ لم يذكر أن اشتراط هذه القدرة هل هو فضل من الله تعالى ومئة أو حكمة وعدل إشارة إلى جواز الأمرين. قوله: (بها يتمكن المأمور) أي سواء كان المأمور به حسناً لعينه أو لغيره حتى أجمعوا أن الطهارة لا تجب على العاجز عنها بدنه بأن لم يقدر على استعمال الماء ولم يجد مَنْ يستعين به، بل يتيمّم. وأما إن وجد مَنْ يستعين به، فهل يجوز له التيمّم؟ ففي المبسوط: أنه لا يجوز، وفي قاضيهان: إن كان المعين حرّاً أو امرأته جاز له التيمّم في قول أبي حنيفة ﷺ، لأنه لا يجب عليهما الإعانة له، وإن كان مملوكه اختلف المشائخ على قول أبي حنيفة، والفرق على أحد القولين أن العبد وجب عليه الإعانة له، فكان بمنزلة بدنه بخلاف الحرّ، ومن هذا قالوا: إن كان المُعين يعينه ببدل ويقدر عليه لا يجوز له التيمّم عند الكلّ. قوله: (من أداء ما لزمه) أي لزمه بهذا الأمر لا قبله، تأمل. قوله: (ليخرج الحجّ) أي ليخرج بقيد غالباً، يعني إنما قيّد بالغالب لأنه قد يتمكن من أداء ما لزمه بلا حرج بدون الزّاد والراحلة، وقد يتمكن منه بلا حرج بدون راحلة فقط، فينقض اشتراط الزّاد والراحلة في الحجّ، وإذا قيّد بالغالب خرج هاتان الصورتان؛ لأن إحداهما نادرة، والأخرى كثيرة لا غالبية، وإنما الغالب بلا حرج هو التمكن منه بهما، والفرق بين الغالب والكثير أن كل ما ليس بكثير نادر، وليس كلّ ما ليس بغالب نادراً، بل قد يكون كثيراً، واعتبر بالصحة والمرض والجذام، فإن الأول غالب، والثاني كثير، والثالث نادر. قوله: (إذا لم يؤدّ إلى الحرج) بأن لم يكن الفائت أكثر من صلاة يومٍ وليلة. قوله: (عدم الانفكاك) ممنوع، أي عدم انفكاك نفس الوجوب عن التكليف ممنوع؛ لأن التكليف عبارة عن طلب إيقاع الفعل من العبد، وهو صفة المكلف الأمر، ونفس الوجوب عبارة عن لزوم الفعل في ذمة المكلف، وهو صفة الفعل ولا تلازم بين الصفتين؛ لأن نفس الوجوب يلزم بسببه كدخول الوقت والتكليف يلزم عند تحقّق وجوب الأداء. قوله: (فمعنى استلزام التكليف للقدرة). اهـ.

حاصله أن المراد بالقدرة التي كانت لازمة للتكليف هي القدرة الحقيقية التي مع الفعل لكن لا مطلقاً، بل باعتبار وجودها عند إرادة العبد إحداث الفعل، فهذا المعنى يتحقق في النائم والمغمى عليه، وإنما المنتفي عنهما هو القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، ويوضح هذا الجواب ما ذكره في الكشف أن جواز التكليف مبني على القدر الحقيقية إلا أنها لما لم تسبق الفعل والتكليف لا بد وأن يكون قبله نقل الحكم عنها إلى القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، فاشتراط القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، مع أن التكليف صحيح بدونها بناءً على توهم وجود القدرة الحقيقية عند وجود الفعل فضل من الله تعالى ومئة على عباده. قوله: (وحسناً لنفسه أو لغيره) ذكره بالواو إشارة إلى أنه تفسير آخر لمطلقاً، تأمل. قوله: (لم يلزم زفر الأداء) قال: إذا صار أهلاً للتكليف في آخر الوقت بأن أسلم أو بلغ أو طهرت أو أفاق فيه لا يجب عليه أداء الصلاة لعدم قدرته عليه حقيقة لفوات الوقت الذي هو من ضرورات القدرة، وما قيل أن القدرة التي هي شرط التكليف، وإن لم توجد حقيقة، لكن يحتمل أن توجد باحتمال امتداد الوقت، كما وقع لسليمان عليه السلام، وتوهم القدرة كافٍ لصحة التكليف ممنوع؛ لأن ما يكفي توهمه هو القدرة الحقيقية لا القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، بل لا بد من وجودها حقيقة وإلا لجاز التكليف بالحج بتوهم الزاد والراحلة، ويصوم الشيخ الفاني بتوهم القدرة عليه وبالركوع والسجود والقيام بتوهم زوال المرض واللازم باطل فكذا الملزوم، ورد بأن توهم هذه القدرة إنما لا يكفي إذا كان المطلوب منه عين ما كلف به. أما إذا كان المقصود غير ما كلف به، فهو كافٍ لصحته وههنا المقصود هو الخلف، فيكفي توهم القدرة فيه. وحاصل ما ذكره المصنف رحمته الله من الجواب أننا لا نسلّم أن الوجوب في ذلك الجزء يؤدي إلى التكليف بما لا يُطاق، وإنما يؤدي إليه أن لو كلف بالأداء في ذلك الجزء، وليس كذلك، ولو سلم ذلك، ولكن لزوم الأداء فيه ليس لكونه مطلوباً لعينه، بل لكونه مطلوباً لخلفه وهو القضاء، فلا يلزم التكليف بما لا يُطاق، وهذا لأن بعض الأحكام يكلف به لخلفه كالوضوء يكلف به للتيمم عند عدم القدرة على استعمال الماء، وكمن حلف ليمسّن السماء فإنه ينعقد اليمين موجبة للبرّ لتصوّره عقلاً باحتمال القدرة عليه، ثم

يحدث للعجز عنه ويلزمه خلفه وهو الكفارة. والحاصل أنّ القدرة على نوعين: حقيقية، وهي مع الفعل. وبمعنى سلامة الآلات والأسباب، وهي مناط التكليف ومتقدمة على الفعل، وهذا النوع على نوعين: أحدهما يصير الفعل به غالب الوجود ظاهر التحقيق عادةً كمن أدرك سعةً في الوقت مع كونه أهلاً لأداء الصلاة، وهذا النوع يظهر أثره في لزوم الأداء لعينه، بمعنى أنه يأثم بترك الأداء. والثاني: يصير الفعل به في حيّز الجواز عقلاً، وإن كان ينذر وقوعه، وهذا النوع يظهر أثره في لزوم الأداء لخلفه لا لعينه. قوله: (إنما هو بالأداء مطلقاً) أي سواء أتم في الوقت أو بعده، كما هو مقتضى الجواب الأول، أو سواء كان مطلوباً لنفسه أو مطلوباً لخلفه، كما هو مقتضى الجواب الثاني. قوله: (إذا انتفى الصلاحية لا تبقى السلامة). قلت: فيه نظر؛ لأنه إن أراد انتفاء الصلاحية للخلف فممنوع، وإن أراد انتفاءها للأصل فمسلم ولا يضر؛ لأنّ المقصود ههنا إيجاب الخلف، فيشترط سلامة آلات الخلف لا سلامة آلات الأصل، كما في الكشف حيث قال: إذا كان المطلوب من التكليف عين ما كلف به لا يكفي فيه توهم القدرة التي بمعنى سلامة الآلات والأسباب، وإذا كان المطلوب منه خلفه فتوهم تلك القدرة كافٍ لصحة التكليف؛ كالأمر بالوضوء إذا كان المقصود منه حقيقة الوضوء لا يصح إلا عند وجود الماء حقيقةً. وأمّا إذا كان المطلوب منه خلفه وهو التيمم فتوهم الماء، وإن كان بعيداً كافٍ لصحة الأمر به ليظهر أثره في حق خلفه، ويشترط أثره في حق خلفه، ويشترط حينئذ سلامة الآلات الخلف؛ لأنه هو المقصود لا سلامة آلات الأصل، وفي مسألتنا المقصود من هذا التكليف إيجاب خلفه لا حقيقة الأداء، فيشترط سلامة الآلات في حق الخلف وهو القضاء، لا سلامة آلات الأصل وهو الأداء، انتهى. قوله: (فليتأمل) لعلّه إشارة إلى أنه لو أراد بالقدرة القدرة بمعنى العلة التامة، فالملازمة ممنوعة. وإن أراد القدرة بمعنى سلامة الآلات والأسباب، فالملازمة مسلمة، وبطلان اللازم ممنوع، كيف وأنّ التكليف لا يحتاج إلى القدرة بمعنى سلامة الآلات، وإنما شرطت هذه القدرة فضلاً من الله ومنة على عباده، كما تقدّم عن الكشف. قوله: (أي أعلى ما ذكر) لأنها شرط فيه معنى العلة بخلاف الأولى، فإنها شرط محض. قوله: (لتحصيلها اليسر) أي يسر الأداء على العبد بعد

ثبوت الإمكان إشارة إلى تحقيق ما قالوا أنّ القدرة الميسرة مغيرة صفة الواجب إلى اليسر، يعني ليس مرادهم أنها تجعل الواجب متّصفاً بصفة اليسر بعد أن كان واجباً بصفة العسر، بل مرادهم أنها تجعل الواجب ابتداءً مما يتّصف بصفة اليسر بعد إمكان وجوبه بدون صفة اليسر بالقدرة الممكنة تيسيراً للأمر على عباده فضلاً ومثّة، فكانت هذه القدرة مغيرة للواجب من الإمكان إلى اليسر. قوله: (فهي زائدة على الشرط المحض) أي الذي ليس فيه معنى العلة، فلم يشترط بقاؤها لبقاء الواجب؛ إذ البقاء غير الوجود، وشرط الوجود لا يلزم أن يكون شرط البقاء كالشهود في التكاثر شرط للانعقاد دون البقاء بخلاف اليسر. قوله: (في أكثر الواجبات المالية) كالنماء في الزكاة، والخارج في العشر والخراج. قوله: (حيث لا يجب عليه شيء) يحتمل أن يتعلق بيؤدي، فتكون الحيثية للتعليل، لكن الأولى حينئذ أن يقول حيث لم يبق عليه واجب، ويحتمل أن يتعلق بهلك، فتكون للتقييد وعلى التقدير فالاعتراض معارضة. قوله: (في صورة هلاك المال) احتراز بالهلاك عن الاستهلاك بأن ينفق في حاجته أو استبدل مال التجارة بغير مال التجارة بأن ينوي في البذل عدم التجارة عند استبدال السائمة بسائمة من جنسها أو من غير جنسها أو بغير سائمة دراهم أو عروض، فإنّ هذه الصور كلّها استهلاك يلزمه ضمان الزكاة؛ لأن اشتراط بقاء القدرة الميسرة إنّما كان نظراً للمكف، وقد خرج بالتعدي عن استحقاق النظر له فلم يسقط الوجوب عنه، ولأننا نجعل القدرة الميسرة باقية تقديرًا زجرًا على المتعدي وردًا لما قصده من إسقاط الحقّ الواجب عن نفسه، ونظراً للفقير، ثم سقوط الزكاة في صورة الهلاك عندنا. وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه: يضمن إذا هلك بعد التمكن من الأداء بعد الحول بأن ظفر بمن يدفع إليه الصدقة من الفقراء والساعي، وبالتمكن من الأداء تقرّر الواجب في الذمة، فلا يسقط بالعجز بعده، كما في صدقة الفطر والحجّ وديون العباد، ولأنه منعه بعد كونه مطالبًا بالخطاب فصار كالاستهلاك. قلنا: إنّ الواجب ليس في الذمة، بل جزء من النصاب تحقيقًا للتيسير المُعتبر في الزكاة، وعملاً بكلمة الظرف في قوله عليه السلام: «في أربعين شاة شاة» فيسقط بهلاك محلّه كدفع العبد المستحقّ بالدين أو الجناية، فإنه إذا لم يدفعه المولى إلى صاحب الدين وولّى الجناية فهلك في يد

المولى لم يجب إقامة غيره مقامه ولا عليه ضمانه، بخلاف صدقة الفطر والحجّ وديون العباد، فإنها في الذمة، وبخلاف أداء القيمة فإنها وإن لم تكن جزءاً من المحل، لكنّها جائزة للإذن بالاستبدال، ومجرّد التأخير بعد توجه الخطاب بعد الحول سواء طالبه الفقير بالأداء أو لم يُطالبه ليس باستهلاك لا حقيقة، وهو ظاهر، ولا حكمًا بأن استبدل مال التجارة بغيره؛ لأنّ المصرف ليس بفقير معين، فللمالك أن يصرف إلى مَنْ شاء من الفقراء في أيّ وقت شاء. وأما تأخيره بعد طلب الساعي، ففيه خلاف. قيل: يضمن لكونه متعيّنًا، وقيل: لا يضمن؛ إذ لا تفويت فيه على أحد لا ملكًا ولا يدًا، ولأنّه يجوز أنه منعه لاختيار الأداء في وقت آخر، قيل: وهو الأصح والأشبه بالفقه؛ لأنّ الساعي وإن تعيّن لكن للمالك رأي في اختيار محل الأداء بين العين والقيمة، ثم القيمة شائعة في محال كثيرة، والرأي يستدعي زمانًا، فالحبس لذلك. قوله: (ولا محذور في ذلك) قال صاحب التلميح: هذا الجواب فاسد؛ إذ لا محذور ههنا أقوى من إبطال حقّ الفقير، غاية أن الفقير غير معين بالشخص، بل المصرف جنس الفقير، وعدم تفويت الملك واليد لا يستلزم عدم تفويت الحقّ، وإليه أشار بقوله: وإنما حقّ الفقير في أن يعين محلًّا للمصرف إليه، يعني أنه فوّت تعيين الفقير مصرفًا لمحلّ الأداء، وهو المال، والفرق بين محلّ الأداء ومحلّ الصرف أنّ محلّ الأداء هو عين المال أو قيمته، ومحلّ الصرف هو الفقر. قوله: (في اختيار محلّ الأداء) يعني يختار عين الشاة من أربعين شاة مثلاً أو قيمتها. قوله: (هذا المحل) أي العين، وقوله: من محل آخر، أي من القيمة أو لعله حبسه ليؤدّي إلى من يشاء من المصرف أيّ وقت شاء. قوله: (من غير اختيار الإرش) أي أرش الجناية. قوله: (من الكثير) متعلّق بالقليل أو الإيجاب. قوله: (فإنه محال عقلاً) لامتناع انقلاب الماهية. قوله: (فإنه ليس شرطًا لبقاء الواجب) أي الواجب بالقدرّة الممكنة، يعني أن بعض الواجب يجب بالقدرّة الميسرة؛ كالزكاة والعشر والخراج، وبعضها بالقدرّة المُمكنة كالحجّ أو صدقة الفطر، فبقاء القدرّة الميسرة شرط لبقاء تلك الواجبات لما مرّ بخلاف الممكنة، فإنّ بقاءها ليس شرطًا لبقاء ما يجب بها حتى لو ملك الزاد والراحلة ثم مات قبل أن يقدر ثانيًا يَأْتُم لبقاء الواجب في ذمّته؛ لأنّ بقاءه يستغني عن حقيقة

تلك القدرة وبقائها؛ إذ المفتقر إلى حقيقة تلك القدرة وبقائها هو نفس أداء الواجب دفعا لضرورة التكليف بما لا يُطاق. وأما التمكن من أداء الواجب، فلا يفتقر إلى حقيقتها وبقائها، بل يكفي إمكانها أو توهمها، فتوهم الزاد والراحلة بعد زوالها كافٍ في بقاء الواجب، بخلاف توهمها قبل أن يوجد أصلا، حتى لم يجب الحجج على مَنْ لم يملك الزاد والراحلة أصلا، باعتبار توهمها. قوله: (وذلك) أي كفاية توهم القدرة المُمكنة بعد زوالها. قوله: (إذ البقاء غير الوجود)، ولهذا صحَّ إثبات الوجود ونفي البقاء بأن يقال: وجد ولم يبق. قوله: (لأن هذه العلة). اهـ. فيه إشارة إلى دفع ما يقال: إن بقاء الحكم قد يستغني عن بقاء العلة استغناء المشروط عن بقاء الشرط، فينبغي أن لا يشترط دوام القدرة الميسرة لدوام الواجب، وحاصل الدفع أن ذلك فيما أمكن البقاء بدون العلة كالرَّمَل في الحج، فإنه زوال علة التشجيع على الكفار، فبقي الحكم إلى الآن. وأما إذا لم يمكن، فبقاء العلة شرط لبقاء الواجب، كما فيما نحن فيه؛ لأن اليسر لا يبقى بدونها، فإذا زالت زال اليسر أيضا، فلم يبق الواجب واجبا لأنه لم يشرع إلا بذلك الوصف، هكذا نُقِل عنه في الحاشية. وفيه نظر؛ لأن التفرقة بين ما يبقى بعد زوال العلة وبين ما لا يبقى من الحكم غير ظاهر، والأصل عدم الفرق، والأولى في الدفع أن يقال: قياس العلة على الشرط قياس مع الفارق، والأصل زوال الحكم عند زوال العلة؛ لأن الحكم ملزوم لوجود العلة، ووجود الملزوم بدون اللازم مُحال بخلاف المشروط مع الشرط، وزوال علة الرَّمَل في الطواف مع بقاءه ممنوع، فإن النبي ﷺ رَمَل في حجة الوداع ولا تذكر النعمة إلا مِنْ بعد الخوف ليشكر عليها، وقد أمرنا الله بذكر نِعَمِهِ وما أمرنا بذكرها إلا لنشكرها، ويجوز أن يثبت الحكم بعلة متبادلة، فحين غلبة المشركين كان علة الرَّمَل إيهام المشركين قوّة المؤمنين والتشجيع عليهم، وعند زوال ذلك يكون علته تذكر نعمة الأمن، لا يقال: كيف يصح هذا مع أنه لو استهلك المال في باب الزكاة لا يسقط عنه الزكاة، بل يلزمه الضمان، فقد زالت العلة وبقي الحكم؟ لأننا نقول: لا نسلم زوال المال، بل جعل موجودا تقديرا زجرا له. قوله: (لم يشترط أي بقاء القدرة للقضاء) استدلوا على اختصاص القدرة المُمكنة بالأداء بوجهين: أحدهما أن القضاء إنما يجب لبقاء الواجب بالنص، وبقاء

الواجب غير مشروط ببقاء القدرة المُمكنة، فالقضاء غير مشروط ببقائها ما دام الواجب باقياً. وثانيهما: أنه يلزم في النفس الأخير من العمر قضاء جميع المتروكات من الصلاة والصوم والحج وغيرها مع عدم القدرة عليها قطعاً، فلو كان بقاؤها شرطاً لما يلزم قضاء هذه المتروكات. فإن قيل: لو لم يشترط ذلك للقضاء لزم التكليف بما لا يُطاق. أجاب عنه بقوله: إنَّ هذا ليس ابتداءً تكليف، بل بقاء التكليف الأول على المختار من أن القضاء إنما يجب بما يجب به الأداء من النص، لا بنص جديد، وإلا فلا بدّ من اشتراط القدرة المُمكنة فيه كاشتراطها للأداء لئلا يلزم التكليف بما لا يُطاق. فإن قيل: لا فرق في اشتراط القدرة بين وجود الأداء ووجوب القضاء؛ لأن الأداء إذا كان مطلوباً بنفسه تشترط فيه حقيقة القدرة، وإذا كان مطلوباً لغيره يشترط فيه توهم القدرة، ففي النفس الأخير إنما قالوا بوجوب قضاء المتروكات بناءً على توهم امتداد الوقت فيه ليظهر أثره في الخلف، كما في الجزء الأخير من الوقت. أجاب عنه بأن ذلك ليس كالجزء الأخير من الوقت في حق الأداء؛ لأن الجزء الأخير منه إنما اعتُبر ليظهر أثره في الخلف، وهو القضاء، ولا خلف للقضاء، وفيه بحث؛ لأن المؤاخظة الأخروية ووجوب الإيصاء يجوز أن يكون خلفاً عن القضاء، كما أنَّ القضاء خلف عن الأداء. ألا ترى أن الميت تبقى عليه الواجبات المتروكات في حق بقاء الإثم والمؤاخظة في الآخرة، مع أنَّ الموت عجز كلي؟ قلت: ولقائل أن يمنع كون المؤاخظة الأخروية ووجوب الإيصاء خلفاً عن القضاء. قوله: (أما الزكاة، فلأنها). اهـ. يعني أما عدم بقاء الزكاة بهلاك المال النامي عندنا، فلأنها إنما تجب بالقدرة الميسرة، والقدرة الميسرة ما تغيّر الواجب من العسر إلى اليسر بالمعنى الذي تقدّم ذكره، ولا يحصل التغيير إلا بالثَّماء لا بالنصاب؛ لأن إيتاء الخمسة من المائتين وإيتاء واحد من الأربعين الذي بعد المائتين سواء في اليسر؛ لأن المدفوع ربع العشر في كل حال، وإذا لم يكن النصاب مغيّراً للواجب لم يعد من القدرة الميسرة، بل من القدرة المُمكنة التي هي شرط وجوب الأداء عند بعضهم، ولهذا لا يشترط بقاؤه لبقاء الواجب، ويردّ عليه أنَّ التمكن من أداء الزكاة لا يتوقف على النصاب، بل يكفي ملك قدر ما يؤدّي، فكيف يكون وجود النصاب من شرائط

النصاب وراجعة إلى القدرة الممكنة على أنها عبارة عن سلامة الآلات، والنصاب ليس منها؟ وكذا قال الأكثرون أنه من شرائط أهلية الوجوب كالعقل والبلوغ، واستدلوا عليه بالنقل والعقل. أما النقل، فلنقله عليه السلام: «لا صدقة إلا عن ظهر غنى»، فإنه لنفي الوجوب لا لنفي الوجود؛ إذ كثيرًا ما توجد الصدقة من الفقير، فالغنى ليس إلا شرط الوجوب. وأما العقل، فلأن الزكاة إغناء للفقير ولا يصير المرء أهلًا للإغناء إلا بالغنى، كما لا يصير أهلًا للتملك إلا بالملك. فإن قيل: إنَّ المُعتبر في الزكاة ليس الإغناء الشرعي، بل الإغناء عن السؤال لدفع حاجة الفقير، وهذا لا يتوقف على الغنى الشرعي، وهو ملك النصاب. أُجيب عنه: بأنَّ المراد أنَّ الإغناء لصفة الحسن يتوقف على الغنى الشرعي غالبًا؛ لأنَّ الغالب من حال الفقير عدم الصبر على شدائد الفقر والجزع على مكائد الحاجة، فلا بدَّ في أهلية الإغناء المأمور به ووجوبه من الغنى الشرعي لئلا يؤدي إلى الجزع المذموم غالبًا. وأما من آثر الغير على نفسه مع احتياجه من غير جزع، فنادر؛ فلا يُعتبر به في الشرع. ثم الغنى الشرعي يحصل بكثرة المال ولا حدَّ للكثرة تعرف به وأحوال الناس فيه مختلفة، فمنهم مَنْ يحصل له الغنى بمال يسير، ومنهم مَنْ يحصل بكثير، فقدّر الشرع له حدًا وهو النصاب زائدًا على الأهلية الأصلية الحاصلة بالعقل والبلوغ. قوله: (فإن قيل: فينبغي). اهـ. منشأ كون النصاب من شرائط أهلية الوجوب، لا من القدرة الميسرة، وحاصل الجواب أنَّ سقوط الزكاة إنما هو لفوات القدرة الميسرة بفوات النصاب؛ لأنَّ الثَّماء يفوت بفوات النصاب الذي هو من شرط الأهلية أو من القدرة الممكنة على الخلاف السابق. قوله: (ولهذا) أي ولكون سقوط الزكاة لفوات القدرة الميسرة لا تسقط الزكاة بهلاك بعض النصاب، بل تبقى في حصة الباقي لبقاء الثَّماء فيه. فإن قيل: إنَّ كمال النصاب شرط في الابتداء لوجوب الأهلية، فلمَ لم يشترط كماله في البقاء حتى وجبت الزكاة في حصة الباقي بعد هلاك بعض النصاب؟ قلنا: إنَّ كمالها إنما شرط لوجوب الأهلية، وما هو شرط لوجوب الأهلية لا يُشترط بقاؤها لبقاء الواجب. قوله: (ظهر فائدة تقييد المال) يعني لو لم يقيد به لتوهم أن المراد بهلاك المال هلاك النصاب. قوله: (وأما الخراج). اهـ.

اعلم أنَّ الخراج على نوعين: خراج مقاسمة، وهو يتعلق بعين الخارج؛ كالعشر، ويكون الواجب فيه شيئًا معيَّنًا من الخارج، وليس لذلك الشيء حدّ معيَّن، بل الإمام مُخَيَّر في تقديره برِيع الخارج أو خُمسه أو سُدسه أو سُبْعه أو نصفه حين فتح بلده وضرب على أراضيهم شيئًا من الخارج. وخراج وظيفة، وهو يتعلق بالتمكّن من الانتفاع بالأرض لا بعين الخارج، ويكون الواجب فيه شيئًا في الذمّة بتوظيف الإمام على كلّ جريب، ولا يزداد على ما وضعه عمر رضي الله تعالى عنه على أرض السواد لكل جريب، ولا بدّ أن تكون الأرض صالحة للزراعة في النوعين حتى لو كانت سبخة أو انقطع ماؤها أو غلب عليها الماء، لا خراج فيها أصلًا، وكذا لو أصاب الزرع آفة سُمُوِيّة لا خراج فيها أصلًا لعدم النماء التقديري في بعض السنة، وقد شرط بقاؤه في جميع السنة لبقاء الواجب كما في الزكاة. وقيل: سقوط الخراج بإصابة الزرع آفة فيما إذا لم يبق من السنة مقدار ما يتمكّن من الزراعة ثانيًا في تلك السنة، وأما إذا بقي من المدة قدر ذلك، فلا يسقط؛ لأنّه عطّلها، كما إذا تمكّن من الزراعة وتركها بلا مانع، فإنه يجب عليه الخراج الموظّف لوجود الخارج تقديرًا؛ لأنّ التقصير لمّا كان من جهة جعل الخارج في حكم الموجود زجرًا له، والخراج الموظّف يتعلق بالتمكّن من الانتفاع لا بعين الخارج، وقد وجد التمكن فلا يسقط بتقصيره؛ لأنّه جناية لا يصلح سببًا للتخفيف، والمراد بالخراج في قوله: لأنّ الواجب في الخراج غير جنس الخارج هو الخراج الموظّف لا المقاسمة؛ لأنّ الواجب في المقاسمة لا بدّ وأن يكون من جنس الخارج؛ لأنها تتعلق بعين الخارج حقيقةً كالعشر. قوله: (لأنّ غالب التمكن بهما) يعني أن الحجّ إنما وجب بنفس التمكن والاستطاعة عليه؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: الآية ٩٧]، إلّا أنّ الاستطاعة لا تحصل غالبًا إلّا بالزاد والراحلة، فأُسند الوجوب إليهما، وكان اشتراطهما لثبوت أدنى تمكّن من الحجّ لا لليسر؛ إذ اليُسْر لا يقع إلّا بخدم ومراكب وأعوان، وهذه الأشياء ليست بشرط بالإجماع، فثبت أنّ الزاد والراحلة للتمكّن لا لليسر، فلم يشترط بقاؤها لبقاء الواجب، والمراد بغالب التمكن بهما هو التمكن بهما بدون الحرج، وإنما اعتُبر الغالب احترازًا عن التمكن بدون الحرج بلا زاد وراحلة، وعن التمكن بدون الحرج

بلا راحلة، فإن الأول نادر، والثاني كثير لا غالب، فلا يرد النقص بهما على اشتراط الزاد والراحلة في القدرة الممكنة في الحج. فإن قيل: لم لم يعتبر هنا توهم القدرة بالسفر بالمشي والكسب في الطريق كما اعتُبر في الصلاة بتوهم امتداد الوقت مع أنه أقرب إلى الوقوع، فتكون هذه القدرة مُمكنة والزاد والراحلة ميسرة، فيكون وجوبه بالقدرة الميسرة مع أنه لم يشترط بقاؤها لبقاء الواجب. قلنا: نعم، إلا أن في ذلك حرجاً يفضي إلى التلف، وهو مدفوع بالنص، وإنما اعتُبر ذلك في الصلاة للخلف، وهو القضاء لا للأداء نفسه، ولا خلف للحج؛ لأنه غير مؤقت بوقت معيّن، بل متى أتى فهو أداء فيكون وجوبها بالممكنة لا الميسرة، وإلى هذا أشار بقوله: وإنما لم يعتبر توهم القدرة. اهـ.

قوله: (وأما صدقة الفطر، فلأنها تجب بنصاب فاضل عن الحاجة أصلية). فإن قيل: قد تقرر في محلّه أن سبب صدقة الفطر هو رأس يمونه ويولي عليه لا النصاب، وإنما النصاب شرط حتى قالوا: إنه لو عجل صدقة الفطر قبل النصاب، ثم ملك النصاب صح: لأن السبب هو الرأس وقد وجد حين الأداء، فلا يلزم تقدم الحكم على السبب، وإنما يلزم تقدّمه على الشرط وهو جائز، والحكم إنما يجب بسببه لا بشرطه، فكيف يصح قوله: تجب بنصاب. قلنا: إن الرأس سبب لنفس الحكم وهو صدقة الفطر والنصاب لوجوب أدائه وشرط له، والمراد بالحاجة الأصلية مسكنه وثيابه وأثاث بيته وفرسه وسلاحه وعبئده الخدم وحوائج عياله ودينه الحاصل وقت الوجوب أو قبله لا بعده.

وأما الكتب، فكتب التفسير والعقائد والفقه والمصحف الواحد لا تعتبر نصاباً وما عداها يعتبر نصاباً، ولو كان له داران يسكنها والدار الأخرى لا يسكنها تعتبر قيمتها في غنى الفطر حتى لو كانت قيمتها مائتي درهم يجب عليه صدقة الفطر. قوله: (ما يفضل عنها) أي عن الحاجة الأصلية. قوله: (أو ملك نصاباً ليلة الفطر) ولم يوجد حولان الحول وهو محقق للثمّاء. قوله: (واعتبار النصاب ليس الميسر حتى) يجب بالقدرة الميسرة، ويردّ عليه أن القدرة الميسرة يجب بقاؤها لبقاء الواجب، ولم يجب بقاؤها ههنا، انتهى كلام العلامة الأزميري رحمه الله.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وبما هو حسن عند كل عاقل فكيف يأمر بالفحشاء ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (وقيل: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أي اقصدا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود ﴿وَادْعُوهُ﴾) واعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ كما أنشأكم ابتداء يعيدكم، احتج عليه في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق، والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ وهم المسلمون ﴿وَفَرِيقًا﴾ أي أضلّ فريقا ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ وهم الكافرون ﴿إِنَّهُمْ﴾ إن الفريق الذين حق عليهم الضلالة

قوله: (وقيل: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾، أي اقصدا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود). وقال القاضي البيضاوي: توجهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها، أو أقيموا نحو القبلة عند كل مسجد في وقت كل سجود أو مكانه وهو الصلاة، أو في أي مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا إلى مساجدكم، هذا لفظه. ففي الآية دليل على فرضية القيام في الصلاة والتوجه فيها نحو القبلة وأدائها في المسجد وعدم اختصاصه بمسجد ما على حسب التوجيهات. وقوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي اعبدوا الله حال كونكم مخلصين، ففيه دليل على اشتراط النية في العبادات سيما في الصلاة على ما ذكر في تنبيه أبي الليث. والمشهور في ذلك بين الفقهاء قوله عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات»، أي إنما ثواب الأعمال بالنيات، لكن لما فات الثواب فات الجواز أيضًا في العبادات المقصودة كالصلاة بخلاف الوضوء، فإنه إذا فات الثواب يبقى وسيلة إلى الصلاة، فلا يشترط فيه النية. وعند الشافعي رحمته الله: يقدر حكم الأعمال بالنية، وهو يشتمل الجواز والثواب، فلا يجوز عبادة ما بدون النية ولا ثواب له أيضًا بدونها، فيشترط النية في الوضوء، وذلك معروف في علم الأصول. اهـ التفسيرات الأحمدية.

﴿اتَّخِذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي أنصاراً ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ والآية حجة لنا على أهل الاعتزال في الهداية والإضلال.

﴿يَبْنَى مَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

﴿يَبْنَى مَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ لباس زينتكم ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ كلما صليتم). وقيل: الزينة (المشط) والطيب، والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئاته للصلاة لأن الصلاة مناجاة الرب فيستحب لها التزيين والتعطر كما يجب التستر والتطهر

قوله: ﴿يَبْنَى مَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ لباس زينتكم ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ كلما صليتم)، هذه هي الآية التي استدلل بها على وجوب ستر العورة في الصلاة؛ وذلك لأن المراد من الزينة الثياب الموارى للعورة، والمراد من المسجد هو الصلاة إن كان بمعنى غير العلم كما هو رأي صاحب الهداية، حيث قال: وستر عورته؛ لقوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: الآية ٣١]، أي ما يُواري عورتكم عند كل صلاة، هذا لفظه وإليه مال الإمام الزاهد رحمه الله، وكذا الفقيه أبو الليث في تنبيهه، وإن كان بمعنى العلم يقدر قوله: للصلاة والطواف، كما قال الشيخ الأجل القاضي البيضاوي وهو: ﴿يَبْنَى مَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٣١] أي ثيابكم لمواراة عورتكم ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: الآية ٢٩] لطواف أو صلاة. ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة، وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة، هذا كلامه. وإنما قال: لطواف لأنهم كانوا يطوفون عراً، فنهاهم الله تعالى عنه، والمراد من قوله: ومن السنة أن يأخذ... إلى آخره، أن الزينة لما كانت في معنى الثياب، وكان الأمر للوجوب كان المفهوم من الآية وجوب الستر في الصلاة، فلم يعبره بلفظ الزينة دون اللباس، فقال للإشعار بأخذ اللباس الحسنة في الصلاة، وحينئذ يستقيم قوله، وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة، فاندفع ما توهم من كلامه من كون الأمر للوجوب والندب جميعاً، فافهم وأنصف. اهـ التفسيرات الأحمديّة. قوله: (المشط) في المصباح: مشطت الشعر مشطاً من بابي قتل وضرب سرحته والتثقيب مبالغة، وامشطت المرأة مشطت شعرها والمشط الذي يمتشط به - بضم الميم - وبميم تكسر، وهو القياس؛ لأنه آلة،

﴿وَكُلُوا﴾ من اللحم و(الدسم) ﴿وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بالشروع في الحرام أو في مجاوزة (الشبع) ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ وعن ابن عباس ؓ: «كُلْ مَا شِئْتَ، واشرب ما شِئْتَ، والبس ما شِئْتَ، ما أخطأتك خصلتان: سرف و(مخيلة). وكان (للرشيد) طبيب نصراني حاذق فقال لعلّي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان. فقال له علي: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله: ﴿وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ فقال النصراني: ولم يرو عن رسولكم شيء في الطب فقال: قد جمع رسولنا الطب في ألفاظ يسيرة وهي قوله ﷺ: «المعدة بيت الداء و(الحمية) رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته» فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم (لجالينوس) طبًا. ثم استفهم إنكارًا على محرم الحلال بقوله:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣٢)

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ من الثياب وكل ما يتجمل به ﴿الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ أي أصلها يعني القطن من الأرض و(القرز) من الدود ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ والمستلذات من المأكّل والمشارب. وقيل: كانوا إذا أحرموا حرّموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ غير

والجمع أمشاط. اهـ. **قوله:** (الدَّسَم) الودك من لحم وشحم. **قوله:** (الشَّيْبَع) بفتح الباء وسكونها تخفيف. **قوله:** (مَخِيلَة) أي كبر. **قوله:** (للرشيد) هارون أبي جعفر ابن المهدي محمد ابن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس استُخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة. **قوله:** (الحُمِيَة) في مختار الصحاح: حميت المريض الطعام حُمِيَة وَجُمُوَة - بكسر أولها - اهـ. **قوله:** (لجالينوس) في غياث اللغات: جالينوس نام حكيمى ست واين معرب گالينوس ست كه بوا، ومعدوله باشداز رساله معربات. اهـ.

قوله: (القرز) في المصباح: القز معرب. قال الليث: هو ما يعمل منه الإبريسم، ولهذا قال بعضهم: القز والإبريسم مثل الحنطة والدقيق. اهـ.

خالصة لهم لأن المشركين شركاؤهم فيها ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لا يشركهم فيها أحد. ولم يقل للذين آمنوا ولغيرهم لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة والكفار تبع لهم. ﴿خَالِصَةً﴾ بالرفع: (نافع) ف ﴿هِيَ﴾ مبتدأ خبره ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ و ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ظرف للخبر، أو ﴿خَالِصَةً﴾ خبر ثانٍ أو خبر مبتدأ محذوف أي (فهي) خالصة، و(غيره) نصبها على الحال من الضمير الذي في الظرف الذي هو الخبر أي هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها يوم القيامة ﴿كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾ نميز الحلال من الحرام ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أنه لا شريك له.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ (٣٣)

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ («ربي» حمزة) ﴿الْفَوَاحِشَ﴾ ما تفاحش قبحه أي تزايد ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ سرها وعلانياتها ﴿وَالْإِثْمَ﴾ أي شرب الخمر أو كل ذنب ﴿وَالْبَغْيَ﴾ والظلم والكبر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (متعلق بالبغي). ومحمل ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة النصب كأنه قال حرم الفواحش وحرم الشرك («ينزل» بالتخفيف: مكّي وبصري، وفيه تهكم) إذ لا يجوز أن ينزل برهاناً على أن

قوله: (نافع) المدني هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعَيْم مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب أصله من أصفهان ويكنى بأزويم. وقيل: أبا حسن، وقيل: أبا عبد الرحمن، وتوفي بالمدينة سنة تسع وستين ومائة. **قوله:** (فهي) أي لفظ هي. **قوله:** (وغيره) أي غير نافع.

قوله: («ربي») بإسكان الياء (حمزة) بن حبيب بن عُمارة الكوفي، ويكنى أبا عمار، وتوفي بحلولاً في خلافة أبي جعفر سنة ست وخمسين، ويلزم من سكنها وصلاً حذفها في اللفظ لاجتماعها بالسكان بعدها، والباقون بالفتح. **قوله:** (متعلق بالبغي) مؤكّد له معنًى؛ لأن البغي لا يكون إلا بغير الحق. **قوله:** («ينزل» بالتخفيف) أي بإسكان النون وتخفيف الزاي (مكي) أي ابن كثير المكي، (وبصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. **قوله:** (وفيه تهكم) واستهزاء.

يشرك به غيره ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَقُولُونَ﴾ (وإن تقولوا عليه) وتفتروا الكذب من التحريم وغيره.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ يَبْنِي ءَادَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ وقت معين يأتيهم فيه عذاب الاستئصال إن لم يؤمنوا، وهو وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ قيد بساعة لأنها أقل ما يستعمل في الإمهال ﴿يَبْنِي ءَادَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ هي «إن» الشرطية ضمت إليها «ما» مؤكدة لمعنى الشرط، لأن «ما» للشرط (ولذا لزمت فعلها) النون الثقيلة أو الخفيفة ﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾ يقرءون عليكم كتيبى وهو في موضع رفع صفة لـ ﴿رُسُلٌ﴾ وجواب الشرط ﴿فَمَنْ أَتَقَى﴾ الشرك ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل منكم ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أصلاً ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ (يعقوب).

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِءَايَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكَفَرِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّْا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٣٧﴾

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا﴾ منكم ﴿بِءَايَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ تعظموا عن الإيمان بها ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ فمن أشنع ظلماً ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِءَايَاتِهِ﴾ ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله ﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكَفَرِ﴾ ما كتب لهم من الأرزاق والأعمار ﴿حَتَّىٰ إِذَا

قوله: (وإن تقولوا عليه) في مختار الصحاح: تقول عليه كذب. اهـ.

قوله: (ولذا لزمت فعلها) النون لثلاً ينحط رتبة فعل الشرط عن حرفه.

قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ حيث وقع بفتح الفاء وحذف التنوين مبنياً على الفتح (يعقوب).

جَاءَهُمْ رَسُولُنَا ﴿﴾ ملك الموت وأعوانه. و«حتى» غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له وهي «حتى» التي يتبدأ بعدها الكلام، والكلام هنا الجملة الشرطية وهي ﴿﴾ إذا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا ﴿﴾ يَتَوَفَّوهُمْ ﴿﴾ يقبضون أرواحهم وهو حال من الرسل أي متوفيهم و«ما» في ﴿﴾ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ ﴿﴾ في خط المصحف موصولة بـ ﴿﴾ أَيْنَ ﴿﴾ وحققا أن تكتب مفصولة لأنها موصولة، والمعنى أين الآلهة الذين تعبدون ﴿﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿﴾ ليزبوا عنكم ﴿﴾ قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا ﴿﴾ غابوا عنا فلا نراهم ﴿﴾ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿﴾ اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التي هي لتحقيق الخبر.

﴿﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَهُمْ لِأُولَهُمْ رَبَّنَا أَهْلُونا فَنَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿﴾

﴿﴾ قَالَ ادْخُلُوا ﴿﴾ أي يقول الله تعالى يوم القيامة لهؤلاء الكفار: ادخلوا ﴿﴾ في أُمَمٍ ﴿﴾ في موضع الحال أي كائنين في جملة أُمَمٍ مصاحبين لهم ﴿﴾ قَدْ خَلَتْ ﴿﴾ مضت ﴿﴾ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴿﴾ من كفار الجن والإنس ﴿﴾ فِي النَّارِ ﴿﴾ متعلقون بـ ﴿﴾ ادْخُلُوا ﴿﴾ ﴿﴾ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ ﴿﴾ النار ﴿﴾ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴿﴾ شكلها في الدين أي التي ضلّت بالافتداء بها ﴿﴾ حَتَّى إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا ﴿﴾ أصله تداركوا أي تلاحقوا واجتمعوا في النار، فأبدلت التاء دالاً وسكنت للإدغام ثم أدخلت همزة الوصل ﴿﴾ جَمِيعًا ﴿﴾ حال ﴿﴾ قَالَتْ أُخْرَيْنَهُمْ ﴿﴾ منزلة وهي الأتباع والسفلة ﴿﴾ لِأُولَهُمْ ﴿﴾ منزلة وهي القادة والرووس: ومعنى ﴿﴾ لِأُولَهُمْ ﴿﴾ لأجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم ﴿﴾ رَبَّنَا ﴿﴾ يا ربنا ﴿﴾ أَهْلُونا فَنَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا ﴿﴾ مضاعفاً ﴿﴾ مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ ﴿﴾ للقادة بالغواية والإغواء وللأتباع بالكفر والافتداء ﴿﴾ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿﴾ ما لكل فريق منكم من العذاب. ﴿﴾ لَّا تَعْلَمُونَ ﴿﴾ (أبو بكر) أي لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر.

قوله: ﴿﴾ لَّا تَعْلَمُونَ ﴿﴾ بالغيب (أبو بكر) شعبة بن عياش بن سالم الكوفي، توفي سنة أربع وتسعين ومائة. والباقون بالخطاب إمّا للسائلين وإمّا لأهل الدنيا.

﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِنَّ لِأَخْرَجْنَهُنَّ فَمَا كَانَتْ لَكُنَّ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ﴿٣٩﴾

﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِنَّ لِأَخْرَجْنَهُنَّ فَمَا كَانَتْ لَكُنَّ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ (عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾ أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا متساوون في استحقاق الضعف ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ بكسبكم وكفركم وهو من قول القادة للسفلة. ولا وقف على ﴿فَضْلٍ﴾ أو من قول الله لهم جميعاً والوقف على ﴿فَضْلٍ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤١﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ أي لا يؤذن لهم في صعود السماء ليدخلوا الجنة إذ هي في السماء، أو لا يصعد لهم عمل صالح ولا تنزل عليهم البركة، أو لا تصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين إلى السماء، (وبالتاء مع التخفيف: أبو عمرو وبالباء معه: حمزة وعلي). ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ حتى يدخل البعير في (ثقب) الإبرة أي لا يدخلون الجنة أبداً لأنه علقه بما لا يكون. (والخياط والمخييط) ما يُخاط به وهو الإبرة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل ذلك الجزاء (الفظيع) الذي وصفنا ﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾

قوله: (عطفوا هذا الكلام على قول الله) أي رتبوه عليه بمعنى أن القادة لما سمعوا قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾ [الأعراف: الآية ٣٨] قالوا للسفلة فما لكم فضل علينا.

قوله: (وبالتاء) الفوقية (مع التخفيف أبو عمرو) البصري (وبالباء معه) أي مع التخفيف (حمزة وعلي) الكسائي، والباقون بالتاء الفوقية والتشديد، ومن خفف سكن الفاء وَمَنْ شَدَّدَ فَتَحَ. قوله: (ثقب) مثل فلس ومثال قفل لغة بمعنى خرق. قوله: (والخياط والمخييط) وزان لحاف وملحف وإزار ومئزر. قوله: (الفظيع) الشنيع. في مختار الصحاح: قُطِعَ الأمر من باب ظرف، فهو فظيع، أي شديد فظيع شنيع جاوز المقدار. اهـ.

أي الكافرين بدلالة التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِنْ قُوِّهِمْ عَوَاشٍ﴾ أغطية جمع غاشية ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ نَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَيْنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْرَثْتُمُوهَا يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاعتها والتكليف إلزام ما فيه كلفة أي مشقة ﴿أُولَٰئِكَ﴾ مبتدأ والخبر ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ والجملة خبر ﴿الَّذِينَ﴾، و﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ اعتراض بين المبتدأ والخبر ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ ﴿٤٣﴾ (حققد) كان بينهم في الدنيا فلم يبق بينهم إلا التواد والتعاطف، (وعن علي ؓ):

قوله: (حققد) في المصباح: الحققد الانطواء على العداوة والبغضاء. اهـ.
قوله: (وعن علي رضي الله تعالى عنه)... الخ. هذا يدل على أنه كان ذلك بمقتضى الطباع البشرية فيهم، لكنه نزع بتوفيق الله. وقيل: الأولى أن يُراد عدم اتصافهم بذلك من أول الأمر، وما وقع إنما كان عن اجتهاد لإعلاء كلمة الله وخصّ هؤلاء لما جرى في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه بينهما ومحاربة طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما في وقعة الجمل، وهذا حديث أخرجه ابن سعد والطبري من رواية معمر عن قتادة كلاهما عن علي رضي الله تعالى عنه بسند منقطع، وأخرجه ابن أبي شيبة عن ربي بسند متصل؛ كما قاله ابن حجر رحمه الله تعالى. اهـ شهاب.

قوله: (علي) بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ، واسم أبي طالب عبد مناف، وقيل: اسمه كنيته، واسم هاشم عمرو، وأم علي فاطمة بنت أسد بن هاشم، وكنيته أبو الحسن أخو رسول الله ﷺ وصهره على ابنته فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأبو السُّبُطَيْن، وهو أول هاشمي بين هاشميين وأول خليفة من

بني هاشم، وكان عليّ أصغر من جعفر وعقيل وطالب، وهو أول الناس إسلامًا في قول كثير من العلماء على ما نذكره، وهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وأحدًا والخندق وبيعة الرضوان وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ إلا تبوك، فإن رسول الله ﷺ خلفه على أهله، وله في الجميع بلاء عظيم وأثر حسن، وأعطاه رسول الله ﷺ اللواء في مواطن كثيرة بيده منها يوم بدر، وفيه خلاف، ولما قُتل مصعب بن عمير يوم أحد، وكان اللواء بيده دفعه رسول الله ﷺ إلى عليّ وآخاه رسول الله ﷺ مرتين، فإن رسول الله ﷺ آخى بين المهاجرين ثم آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة، وقال لعليّ في كل واحدة منها: «أنت أخي في الدنيا والآخرة».

إسلامه رضي الله تعالى عنه: أنبأنا أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بن عليّ بإسناده إلى يونس بن بكير عن ابن إسحاق، قال: ثم إن عليّ بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيوم، يعني بعد إسلام خديجة وصلاتها معه، قال: فوجدتهما يصليان فقال عليّ: يا محمد، ما هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وإلى عبادته وكفر باللات والعزى»، فقال له عليّ: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاضٍ أمرًا حتى أحدث أبا طالب، فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سرّه قبل أن يستعلن أمره، فقال له: «يا عليّ، إن لم تُسلم فاكتم»، فمكث عليّ تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب عليّ الإسلام فأصبح غاديًا إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه، فقال: ماذا عرضت عليّ يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد»، ففعل عليّ وأسلم ومكث عليّ يأتيه سرًا خوفًا من أبي طالب، وكنتم عليّ إسلامه، وكان مما أنعم الله به على عليّ أنه رُبيّ في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام. قال يونس عن ابن إسحاق: قال: حدّثني عبد الله بن أبي نجيح قال: رواه عن مجاهد، قال: أسلم عليّ وهو ابن عشر سنين. أنبأنا إبراهيم بن محمد بن مهران الفقيه وغير واحد بإسنادهم إلى أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي بن محمد بن حميد بن إبراهيم بن المختار، عن شعبة، عن أبي بلخ، عن ابن عباس، قال: أول من أسلم عليّ. ومثله روى مقسم عن ابن عباس، واسم أبي بلخ يحيى بن أبي سليم، قال: وحدّثنا أبو عيسى، حدّثنا

إسماعيل بن موسى، حَدَّثَنَا علي بن عباس، عن مسلم الملائي عن أنس بن مالك قال: بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَأَسْلَمَ عَلَيَّ يَوْمَ الْثَلَاثَاءِ. قال: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَابْنُ مَثْنَى، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْثَةَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَ: أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ عَلَيَّ، قَالَ عَمْرِو بْنُ مَرْثَةَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، فَأَنْكَرَهُ وَقَالَ: أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ وَأَبُو حَمْزَةُ اسْمُهُ طَلْحَةُ بْنُ زَيْدٍ. أَنْبَأَنَا أَبُو الْفَضْلِ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَخْزُومِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ الرَّفَاعِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ، حَدَّثَنَا الْأَجْلَحُ عَنْ سَلْمَةَ بْنِ كَهِيلٍ عَنْ حَبَّةَ بْنِ جُوَيْنٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: لَمْ أَعْلَمْ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَبْدَ اللَّهِ قَبْلِي، لَقَدْ عَبْدتُهُ قَبْلَ أَنْ يَعْبُدَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَمْسَ سِنِينَ أَوْ سَبْعَ سِنِينَ، رَوَاهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ بِسَامٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ صَفْوَانَ عَنْ الْأَجْلَحِ نَحْوَهُ، أَنْبَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الطُّوسِيُّ الْخَطِيبُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا سَلْمَةُ بْنُ كَهِيلٍ، عَنْ أَبِي صَادِقٍ، عَنْ حَبَّةَ الْعُرْنِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ. وَأَنْبَأَنَا أَبُو الطَّيِّبِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ أَحْمَدَ الْمَعْرُوفِ بِكُلِّي الْأَصْبَهَانِيِّ كِتَابَةً، وَحَدَّثَنِي بِهِ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ جَلْدُكِ الْمَوْصِلِيِّ عَنْهُ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَدَّادُ، أَنْبَأَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ، أَنْبَأَنَا سَلِيمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّنْعَانِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا الثَّوْرِيُّ، عَنْ سَلْمَةَ بْنِ كَهِيلٍ، عَنْ عَكِيمِ الْكَنْدِيِّ، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارَسِيِّ قَالَ: أَوَّلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَرَوَدًا عَلَى نَبِيِّهَا إِسْلَامَ عَلِيٍّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. رَوَاهُ الْدِيرِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ الثَّوْرِيِّ عَنْ قَيْسِ بْنِ قَيْسٍ. أَنْبَأَنَا ذَاكِرُ بْنُ كَامِلٍ الْخُفَّافُ، أَنْبَأَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبَاقَرَجِيِّ، أَنْبَأَنَا أَبُو طَاهِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ يَوْسُفَ الْمُقْرِي الْعَلَّافَ، أَنْبَأَنَا أَبُو عَلِيٍّ مَخْلَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مَخْلَدِ الْبَاقَرَجِيِّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ وَاصِلٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ صَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى عَلِيٍّ سَبْعَ سِنِينَ»، وَذَاكَ أَنَّهُ لَمْ يَصْلُ مَعَ رَجُلٍ غَيْرِهِ. أَنْبَأَنَا يَحْيَى بْنُ

محمود بن سعد، حدَّثنا الحسن بن أحمد قراءةً عليه وأنا حاضرٌ أسمع، أنبأنا أحمد بن عبد الله أبو نعيم، أنبأنا أبو القاسم الطبراني، حدَّثنا العباس بن الفضل الإسقاطي، حدَّثنا عبد العزيز بن الخطاب، حدَّثنا علي بن غراب، عن يوسف بن مهيب، عن أبي بُرَيْدة، عن أبيه قال: خديجة أول مَنْ أسلم مع النبي ﷺ، ثم عليّ. وقال أبو ذرّ والمقداد وخباب وجابر وأبو سعيد الخدري وغيرهم: إِنَّ عليًّا أول مَنْ أسلم بعد خديجة وفضله هؤلاء على غيره، قاله أبو عمر. وَرَوَى معمر، عن قتادة عن الحسن وغيره قال: أول مَنْ أسلم عليّ بعد خديجة، وهو ابن خمس عشرة سنة. وسُئِلَ محمَّد بن كعب القرظي عن أول مَنْ أسلم عليّ أو أبو بكر؟ قال: سبحان الله عليّ أولهما إسلامًا، وإنَّما اشتبه على الناس لأنَّ عليًّا أخفى إسلامه عن أبي طالب، وأسلم أبو بكر وأظهر إسلامه، وقد ذكرنا حديث عفيف الكندي في أنَّ أول مَنْ أسلم عليّ في ترجمته، وقال أبو الأسود تيم بن عروة: إِنَّ عليًّا والزبير أسلما وهما ابنا ثمان سنين، قال أبو عمرو: ولا أعلم أحدًا يقول بقوله هذا، وقد قال جماعة غير من ذكرنا أنَّ عليًّا أول مَنْ أسلم، وقيل: أبو بكر، والله أعلم.

هجرته رضي الله تعالى عنه: أنبأنا عبيد الله بن أحمد بإسناده عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال: وأقام رسول الله ﷺ - يعني بعد أن هاجر أصحابه إلى المدينة - ينتظر مجيء جبريل عليه السلام وأمره له أن يخرج من مكَّة بإذن الله له في الهجرة إلى المدينة حتى إذا اجتمعت قريش فكُتِرَ بالنبيّ، وأرادوا برسول الله ﷺ ما أرادوا أتاه جبريل عليه السلام وأمره أن لا يبيت في مكانه الذي يبيت فيه، فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب فأمره أن يبيت على فراشه ويتسجى بَبُرْدٍ له أخضر، ففعل ثم خرج رسول الله ﷺ على القوم وهم على بابهِ. قال ابن إسحاق: وتتابع الناس في الهجرة، وكان آخر مَنْ قدم المدينة من الناس ولم يُفْتَن في دينه عليّ بن أبي طالب، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ أخره بمكَّة وأمره أن ينام على فراشه وأجله ثلاثًا، وأمره أن يؤدي إلى كلِّ ذي حقٍّ حَقَّهُ ففعل، ثم لحق برسول الله ﷺ. أنبأنا محمد بن القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي إجازةً، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو الأعز قراتكين بن الأسعد، حدَّثنا أبو محمد الجويني، حدَّثنا أبو حفص بن

شاهين، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ سَعِيدٍ الْهَمْدَانِي، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ النَّخْعِي، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَبِي رَافِعٍ (ح) قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَبِي رَافِعٍ فِي هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: وَخَلَّفَهُ النَّبِيُّ ﷺ - يَعْنِي خَلَّفَ عَلِيًّا - يَخْرُجُ إِلَيْهِ بِأَهْلِهِ وَأَمْرُهُ أَنْ يُؤَدِّيَ عَنْهُ أَمَانَتَهُ وَوَصَايَا مَنْ كَانَ يُوصِي إِلَيْهِ، وَمَا كَانَ يُؤْتَمَنُ عَلَيْهِ مِنْ مَالٍ فَأَدَّى عَلِيٌّ أَمَانَتَهُ كُلَّهَا، وَأَمْرُهُ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى فِرَاشِهِ لَيْلَةً خَرَجَ، وَقَالَ: «إِنْ قَرِيشًا لَمْ يَفْقِدُونِي مَا رَأَوْكَ»، فَاضْطَجَعَ عَلَى فِرَاشِهِ، وَكَانَتْ قَرِيشٌ تَنْظُرُ إِلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَرَوْنَ عَلَيْهِ عَلِيًّا، فَيُظَنُّونَهُ النَّبِيَّ ﷺ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحُوا رَأَوْا عَلَيْهِ عَلِيًّا، فَقَالُوا: لَوْ خَرَجَ مُحَمَّدٌ لَخَرَجَ بَعْلِي مَعَهُ، فَحَبَسَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ عَنْ طَلَبِ النَّبِيِّ حِينَ رَأَوْا عَلِيًّا، وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا أَنْ يَلْحَقَهُ بِالْمَدِينَةِ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ فِي طَلَبِهِ بَعْدَمَا أَخْرَجَ إِلَيْهِ أَهْلَهُ يَمْشِي اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ قَدُومَهُ قَالَ: «ادْعُوا لِي عَلِيًّا»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَمْشِيَ، فَاتَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا رَأَاهُ اعْتَنَقَهُ وَبَكَى رَحْمَةً لِمَا بَقَدَمِيهِ مِنَ الْوَرَمِ، وَكَانَتَا تَقْطُرَانِ دُمًّا، فَتَفَلَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي يَدَيْهِ وَمَسَحَ بِهِمَا رِجْلَيْهِ وَدَعَا لَهُ بِالْعَافِيَةِ، فَلَمْ يَشْتَكِهْمَا حَتَّى اسْتَشْهَدَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ.

شهوْدَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بَدْرًا وَغَيْرَهَا: أَنْبَأَنَا أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ السَّمِينِ بِإِسْنَادِهِ إِلَى يُونُسَ بْنِ بَكِيرٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ فِي تَسْمِيَةِ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنْ قَرِيشٍ ثُمَّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، قَالَ: وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَأَجْمَعَ أَهْلُ التَّارِيخِ وَالسَّنَدِ عَلَى أَنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَغَيْرَهَا مِنَ الْمَشَاهِدِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ غَزْوَةَ تَبُوكَ لَا غَيْرَ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَلَفَهُ عَلَى أَهْلِهِ. أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَرَايَا الْفَقِيهَ وَغَيْرَ وَاحِدٍ بِإِسْنَادِهِمْ إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ السَّلُولِي، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَوْسُفَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ الْبَرَاءَ، وَأَنَا أَسْمَعُ: أَشْهَدُ عَلِيٍّ بَدْرًا؟ قَالَ: بَارَزَ وَظَاهَرَ. أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ، أَنْبَأَنَا عَمَّ جَدِّي أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الثَّقَفِيِّ، أَنْبَأَنَا أَبُو طَاهِرٍ عَمَّ وَالِدِي وَأَبُو الْفَتْحِ قَالَا: أَنْبَأَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ زَادَانَ، حَدَّثَنَا

أبو عروبة، حدّثنا أبو رفاعه، حدّثنا محمد بن الحسن يُعرف بالهُجيمي، حدّثنا أبو عوانة عن الأعمش عن الحكم بن مصعب بن سعد عن سعد، قال: لقد رأيته - يعني عليًا - يفلق بالسيف هامَ المشركين، يقول:

شحشح الليل كأنني جنى

أنبأنا أبو أحمد عبد الوهاب بن عليّ الأمين، أنبأنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان، أنبأنا أبو الفضل أحمد بن الحسن بن صرون وأبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد الباقلاني كلاهما إجازةً، قالوا: أنبأنا أبو الحسن بن أحمد بن شاذان، قال: قُرىء على أبي محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب قال جدّي أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر، قال: كتب إليّ محمد بن عليّ ومحمد بن يحيى يخبراني عن محمد بن الجيد، حدّثنا حصين بن جنارة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيّب قال: لقد أصابت عليًا يوم أحد ستّ عشرة ضربة كل ضربة تُلزمه الأرض، فما كان يرفعه إلا جبرئيل عليه السلام، قال: وحدّثنا جدّي، حدّثنا بكر بن عبد الوهاب، حدّثنا محمد بن عمر، حدّثنا إسماعيل بن عياش الحمصي، عن يحيى بن سعيد، عن ثعلبة بن أبي مالك، قال: كان سعد بن عبادة صاحب راية رسول الله ﷺ في المواطن كلّها، فإذا كان وقت القتال أخذها عليّ بن أبي طالب. أنبأنا أبو محمد بن القاسم بن عليّ بن الحسين بن هبة الله الحافظ، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو الحسين بن الفراء وأبو غالب وأبو عبد الله، أنبأنا البناء قالوا: حدّثنا أبو جعفر بن المسلمة، أنبأنا أبو طاهر المخلص، حدّثنا أحمد بن سليمان، حدّثنا الزبير بن بكار، قال: وله - يعني لعليّ بن أبي طالب - يقول أسيد بن أبي إياس بن زنيم، وهو يحرض مشركي قريش على قتله ويُعيّتهم:

جذع أبر على المذاكي القرح	في كل مجمع غاية أخزاكم
قد ينكر الحيّ الكريم ويستحي	لله دركم ألما تنكروا
ذبّحًا وقتله قعصة لم تذبح	هذا ابن فاطمة الذي أفناكم
فعل الذليل وبيعة لم تربح	أعطوه خرّجًا واتّقوا بضريبة

أَيْنَ الْكُهُولِ وَأَيْنَ كُلِّ دَعَامَةٍ فِي الْمَعْضَلَاتِ وَأَيْنَ زَيْنِ الْأَبْطَحِ
أَفْنَاهُمْ قَعْصًا وَضَرْبًا يَفْرِي بِالسِّيفِ يَعْمَلُ حَذَّهَ لَمْ يَصْفَحْ

أَبْنَاءُ أَبُو الْفَضْلِ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَدِينِيِّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ الْعَقِيلِي، عَنْ عِمَارَةَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: لَمَّا تَخَلَّى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ نَظَرْتُ فِي الْقَتْلَى، فَلَمْ أَرِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ لِيَفْرَ وَمَا أَرَاهُ فِي الْقَتْلَى، وَلَكِنَّ اللَّهَ غَضِبَ عَلَيْنَا بِمَا صَنَعْنَا فَرَفَعَ نَبِيَّهَ، فَمَا فِي خَيْرٍ مِنْ أَنْ أُقَاتَلَ حَتَّى أُقْتَلَ، فَكَسَرْتُ جَفْنَ سَيْفِي ثُمَّ حَمَلْتُ عَلَى الْقَوْمِ فَأَفْرَجُوا لِي، فَإِذَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمْ. أَبْنَاءُ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ الدَّمَشَقِيِّ، أَبْنَاءُ أَبُو الْعِشَائِرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْخَلِيلِ الْقَيْسِيِّ، أَبْنَاءُ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَصِيصِيِّ، أَبْنَاءُ أَبُو مُحَمَّدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ الْقَاسِمِ، أَبْنَاءُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ، أَبْنَاءُ زَيْدُ بْنُ الْحَبَابِ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَرِيدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ خَيْبَرَ أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ اللَّوَاءَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَخَذَهُ عَمْرٌ، وَقِيلَ: مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا دَفْعَ لَوَائِي لِرَجُلٍ لَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ»، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْغَدَاةِ، ثُمَّ دَعَا بِاللَّوَاءِ، فَدَعَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَمَسَحَهُمَا ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ اللَّوَاءَ، فَفَتَحَ قَالَ: فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بَرِيدَةَ يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ مَرْحَبٍ - يَعْنِي عَلَيْهِ - وَأَخْبَارَهُ فِي حُرُوبِهِ كَثِيرَةً لَا نَطُولُ بِذِكْرِهَا.

عَلِمَهُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: رَوَى عَلِيٌّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَكْثَرَ، وَرَوَى عَنْهُ بَنُوهُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَمُحَمَّدٌ وَعَمْرُو وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَمْرٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ وَأَبُو رَافِعٍ وَضُهَيْبٌ وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبُو أُمَامَةَ وَأَبُو سُرَيْحَةَ حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَسَفِينَةُ وَأَبُو جَحِيْفَةَ السَّوَّائِي^(١) وَجَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ

(١) بَضَمَ الْمَهْمَلَةَ وَالْمَدَ. ١٢ مِنْهُ عَمَّ فَيَضَهُمُ.

وعمر بن جديث وأبو ليلي والبراء بن عازب وعمارة رؤيبة وبشر بن سحيم وأبو الطفيل وعبد الله بن ثعلبة بن صعير^(١) وجريير بن عبد الله وعبد الرحمن بن أشيم وغيرهم من الصحابة. وروى عنه من التابعين: سعيد بن المسيب ومسعود بن الحكم الزرقى وقيس بن أبي حازم وعبيدة السلماني وعلقمة بن قيس بن الأسود بن يزيد وعبد الرحمن بن أبي ليلي والأحنف بن قيس وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو الأسود الديللي وزر بن حُبَيْش وشريح بن هانئ والشعبي وشقيق وخلق كثير غيرهم. أنبأنا يحيى بن محمود، أنبأنا زاهر بن طاهر، أنبأنا محمد بن عبد الرحمن، أنبأنا أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن، أنبأنا أبو سعد محمد بن بشر بن العباس، أنبأنا أبو الوليد محمد بن إدريس الشامي، حدَّثنا سويد بن سعيد، أنبأنا علي بن مسهر، عن الأعمش، عن عمرو بن قرّة، عن أبي البحتري عن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى اليمن ويسألوني عن القضاء ولا عِلْمَ لي به، قال: «اذن»، فدنوت فضرب بيده على صدري ثم قال: «اللهم ثبت لسانه واهد قلبه»، فلا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما شككت في قضاء بين اثنين بعد. أنبأنا زيد بن الحسن بن زيد أبو اليمن الكندي وغيره كتابة قالوا: أنبأنا أبو منصور زُرَيْق، أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، أنبأنا محمد بن أحمد بن رزق، أنبأنا أبو بكر بن مكرم بن أحمد بن مكرم القاضي، حدَّثنا القاسم بن عبد الرحمن الأنباري، حدَّثنا أبو الصلت الهروي، حدَّثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت بابي» رواه غير أبي معاوية عن الأعمش، وكان أبو معاوية يحدث به قديمًا ثم تركه. وروى شعبة عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود قال: كنّا نُحدِّث أن أقصى أهل المدينة علي بن أبي طالب، وقال سعيد بن المسيب: ما كان أحد من الناس يقول: سلوني، غير علي بن أبي طالب. وروى يحيى بن معين، عن عبدة بن سليمان، عن عبد الملك بن سليمان، قال: قلت لعطاء: أكان في

(١) بالمهملتين مصغراً. ١٢ منه عم فيضهم.

أصحاب محمد ﷺ أعلم من علي؟ قال: لا والله، لا أعلمه. وقال ابن عباس: لقد أعطي علي تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركهم في العُشر العاشر. وقال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص لعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: يا عم لم كان صغو الناس إلى علي؟ قال: يا ابن أخي، إن عليًا كان له ما شئت من ضرر قاطع في العلم، وكان له البسطة في العشيرة، والقدم في الإسلام، والصهر لرسول الله ﷺ، والفقہ في الستة، والتجدة في الحرب، والجود بالماعون. وروى ابن عُيينة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: إذا ثبت لنا شيء عن علي لم نعدل عنه إلى غيره. وروى يزيد بن هارون، عن قطر، عن أبي الطفيل قال: قال بعض أصحاب النبي ﷺ: لقد كان لعلي من السوابق، قالوا: إن سابقة منها بين الخلائق لو سعتهم خيرًا، وله في هذا أخبار كثيرة نقتصر على هذا منها، ولو ذكرنا ما سأل الصحابه مثل عمر وغيره رضي الله عنهم لأطلنا.

زهده وعدله رضي الله تعالى عنه: أنبأنا أبو أحمد عبد الوهاب بن علي الأمين، أنبأنا أبو القاسم هبة الله بن عبد الواحد، أنبأنا أبو طالب بن غيلان، أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المزني، حدثنا محمد بن المسيب، قال: سمعت عبد الله بن حنيف يقول: قال يوسف بن أسباط: الدنيا دار نعيم الظالمين، قال: وقال علي بن أبي طالب؛ الدنيا جيفة، فمن أراد منها شيئًا فليصبر على مخالطة الكلاب. أخبرنا أبو ياسر عبد الوهاب بن هبة الله، أنبأنا أبو غالب بن البنا، أنبأنا محمد بن أحمد بن محمد بن حسن بن النوسي، حدثنا محمد بن إسماعيل بن العباس إملاء، حدثنا أحمد بن علي الرقي، أخبرنا القاسم بن علي بن أبان، حدثنا سهل بن صقير، حدثنا يحيى بن هشام الغساني، عن علي بن جزء قال: سمعت أبا مريم السلولي يقول: سمعت عمار بن ياسر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: «يا علي، إن الله عز وجل قد زينك بزينة لم يتزين العباد بزينة أحب إليه منها: الزهد في الدنيا، فجعلك لا تنال من الدنيا شيئًا ولا تنال الدنيا منك شيئًا، ووهب لك حب المساكين ورضوا بك إمامًا ورضيت بهم أتباعًا، فطوبى لمن أحببك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك. فأما الذين

أحبّوك وصدّقوا فيك، فهم جيرانك في دارك ورفقاؤك في قصرِكَ. وأمّا الذين أبغضوك وكذبوا عليك، فحقّ على الله أن يوقفهم موقف الكذّابين يوم القيامة». أنبأنا عمر بن محمد بن المعمر بن طبرزد، أنبأنا أبو غالب بن البّاء، أنبأنا أبو محمد الجوهري، أنبأنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن الزهري، حدّثنا حمزة بن القاسم الإمام، حدّثنا الحسين بن عبيد الله، حدّثني إبراهيم - يعني الجوهري - حدّثنا المأمون هو أمير المؤمنين، حدّثنا الرشيد، حدّثنا شريك بن عبد الله، عن عاصم بن كليب، عن محمد بن كعب القرظي، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول: رأيتني واني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار، ورواه حجاج الأصبهاني وأسود عن شريك، فقال: أربعين ألف دينار، ورواه حجاج عن شريك فقال: أربعين ألفاً، لم يُرد بقوله أربعين ألفاً زكاة ماله، وإنما أراد الوقوف التي جعلها صدقةً كان الحاصل من دُخلها صدقة هذا العدد، فإنّ أمير المؤمنين عليّاً رضي الله تعالى عنه لم يدخر مالاً، ودليله ما نذكره من كلام ابنه الحسن رضي الله تعالى عنهما في مقتله أنه لم يترك إلّا ستمائة درهم اشترى بها خادماً. أخبرني أبو محمد بن أبي القاسم الدمشقي، أنبأنا أبي، أنبأنا أبو محمد هبة الله بن سهل الفقيه، أنبأنا جدّي أبو المعالي عمر بن محمد بن الحسين قال: وأنبأنا أبي، وأنبأنا زاهر، أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحسين، قال: حدّثنا أبو عبد الله الحافظ، حدّثنا أبو قتيبة سالم بن الفضل الآدمي بمكة، حدّثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه قال: سمعت أبا نعيم قال: سمعت سفيان يقول: ما بنى عليّ لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة، وإن كان ليؤتى بحوته من المدينة في جراب. أنبأنا السيّد أبو الفتوح حيدر بن محمد بن زيد العلويّ الحسيني، أنبأنا أبو محمد عبد الله بن جعفر الدورستي بالموصل، أنبأنا النقيب الطاهر أبو عبد الله أحمد بن علي بن المعمر الحسيني، أنبأنا أبو الحسين بن عبد الجبار، أنبأنا أبو طاهر محمد بن عليّ بن محمد بن يوسف، أنبأنا أبو بكر بن مالك، أنبأنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدّثني أبي، حدّثنا وكيع، حدّثنا مسعر، عن أبي بحر عن شيخ لهم قال: رأيت عليّ عليّ عليه السلام إزاراً غليظاً، قال: اشتريته بخمسة دراهم، فمن أربحنى فيه درهماً بعتة، قال: ورأيت معه دراهم مصرورة، فقال: هذه بقية

نفقتنا من ينيع. وحدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا محمد بن يحيى الأزدي، حدثنا الوليد بن القاسم، حدثنا مطير بن ثعلبة التميمي أبو النواز بياع الكرايس قال: أتاني علي بن أبي طالب ومعه غلام له، فاشترى مني قميص كرايس فقال لغلامه: اختر أيهما شئت، فأخذ أحدهما وأخذ علي الآخر فلبسه ثم مَدَّ يده، فقال: اقطع الذي يفضل من قدر يدي، فقطعه وكفَّه ولبسه وذهب.

أنبأنا عبد الله بن أحمد الخطيب، أنبأنا أبو الحسين بن طلحة النعال إجازة إن لم يكن سماعاً، أنبأنا أبو الحسين بن بشران، حدثنا إسماعيل بن محمد بن الصقار، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا جعفر بن زياد الأحمر، عن عبد الملك بن عمير قال: حدثني رجل من ثقيف قال: استعملني علي بن أبي طالب على مدرج سابور، فقال: لا تضربن رجلاً سوطاً في جباية درهم، ولا تتبعن لهم رزقاً ولا كسوة شتاء ولا صيفاً ولا دابةً يعتملون عليها، ولا تقيمن رجلاً قائماً في طلب درهم. قلت: يا أمير المؤمنين إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك، قال: وإن رجعت ويحك، إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو، يعني الفضل وزهده وعدله رضي الله تعالى عنه لا يمكن استقصاء ذكرهما، فلنقتصر على هذا.

فضائله ﷺ :

أنبأنا أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي علي الدزداري بإسناده إلى الأستاذ أبي الإسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي المفسر قال: رأيت في بعض الكتب أن رسول الله ﷺ لما أراد الهجرة خلف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء ديونه وردّ الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار، وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه، وقال له: «أتشع ببرد الحضرمي الأخضر، فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله تعالى»، ففعل ذلك، فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام إني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأَيُّمَا يُؤثّر صاحبه بالحياة، فاخترتا كلاهما الحياة، فأوحى الله عز وجل إليهما: أفلا كنتم مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات علي فراشه يَفْقِدُهُ بنفسه ويؤثّر بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا

فكان جبريل عند رأس علي وميكائيل عند رجله، وجبريل ينادي: بخ بخ، مَنْ مثلك يا ابن أبي طالب، يُباهي الله عز وجل به الملائكة؛ فأنزل الله عز وجل على رسوله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٠٧]. أنبأنا أبو محمد عبد الله بن علي بن سويد التكريتي، أنبأنا أبو الفضل أحمد بن أبي الخير الميهني قراءة عليه، قال: أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن مثنويه، قال أبو محمد: وأنبأنا أبو القاسم بن أبي الخير الميهني والحسين بن الفرحان السمناني، قالوا: أنبأنا علي بن أحمد، أنبأنا أبو بكر التميمي، أنبأنا أبو محمد بن حبان، حدَّثنا محمد بن يحيى بن مالك الصبي، حدَّثنا محمد بن سهل الجرجاني، حدَّثنا عبد الرزاق، حدَّثنا عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: الآية ٢٧٤]، قال: نزلت في علي بن أبي طالب كان عنده أربعة دراهم، فأنفق بالليل واحدًا وبالنهار واحدًا، وفي السر واحدًا وفي العلانية واحدًا، ورواه عفان بن مسلم عن وهيب عن أيوب عن مجاهد عن ابن عباس مثله. أنبأنا إسماعيل بن علي وإبراهيم بن محمد وغيرهما بإسنادهم إلى محمد بن عيسى بن سورة قال: حدَّثنا قتيبة، حدَّثنا حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية سعدًا فقال: ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟ قال: أما ما ذكرت ثلاثًا قالهن رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن يكون لي واحدة منهن أحب إلي من حُمُر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي وخلفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله، تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا إنه لا نبوة بعدي». وسمعت يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلًا يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله»، قال: فتناولنا لها، فقال: «ادعوا لي عليًا»، فأتاه وبه رمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه وأُنزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَعْبُدْكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ﴾ [إل عمران: الآية ٦١]، فدعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسبًا وحسينًا فقال: «اللهم هؤلاء أهلي». قال: وحدَّثنا محمد بن عيسى، حدَّثنا سفيان بن وكيع، حدَّثنا أبي عن

شريك، عن منصور، عن ربعي بن خراش، حدثنا علي بن أبي طالب بالرحبة، قال: لما كان يوم الحُدَيْبِيَّة خرج إلينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو وأناس من رؤساء المشركين، فقالوا: خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقائنا وليس بهم فقه في الدين، وإنما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا، فاردُّهم إلينا، فقال النبي ﷺ: «يا معشر قريش، لتنتهن أو ليعثنَّ الله عليكم مَنْ يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امْتَحَن قلبه على الإيمان»، قالوا: مَنْ هو يا رسول الله؟ فقال أبو بكر: مَنْ هو يا رسول الله؟ وقال عمر: مَنْ هو يا رسول الله؟ قال: «خاصف الثعل»، وكان قد أعطى علياً نعلًا يخصفها، قال: ثم التفت إلينا علي فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَذَب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا عيسى بن عثمان أخا يحيى بن عيسى الرَّمْلِي، حدثنا الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زَرِّ بن حبيش، عن علي قال: لقد عهد إلي النبي ﷺ أن لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق. قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا محمد بن يسار ويعقوب بن إبراهيم وغير واحد قالوا: حدثنا أبو عاصم عن أبي الجراح قال: حدثني جابر بن صبح، قال: حدثني شراحيل عن أم عطية قالت: بعث رسول الله ﷺ جيشاً فيهم علي قال: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُم لا تمنني حتى تُريني علياً». أنبأنا أبو منصور مسلم بن علي بن محمد بن السبخي، أنبأنا أبو البركات بن خميس، أنبأنا أبو نصر بن طوق، أنبأنا أبو القاسم بن المرجي، أنبأنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا سعيد بن مطرف الباهلي، حدثنا يوسف بن يعقوب الماجشون، عن أبي المنذر، عن سعيد بن المسيب، عن عامر بن سعد، عن سعد أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنت مَني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي». قال سعيد: فأحببت أن أشافه بذلك سعداً فلقيته فذكرت له ما ذكرني عامر، فقلت: أنت سمعته؟ فأدخل يديه في أذنيه، وقال: نعم، وإلا فاستكتا. أنبأنا أبو بكر مسمار بن عامر بن العويس البغدادي، أنبأنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن الطالبة، أنبأنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الحسين الأنماطي، أنبأنا أبو طاهر المخلص، حدثنا محمد بن هارون الحضرمي أبو حامد، حدثنا أبو هشام محمد بن

يزيد بن رفاعه، حدّثنا محمد بن فضيل، حدّثنا الأعمش، عن أبي الزبير، عن جابر قال: لما كان يوم الطائف دعا رسول الله ﷺ عليًا فناجاه طويلاً فقال بعض أصحابه: لقد أطل نجوى ابن عمّه، قال - يعني رسول الله ﷺ -: «ما أنا انتجيتّه، ولكن الله انتجاه». أنبأنا إبراهيم بن محمد وغير واحد بإسنادهم إلى أبي عيسى الترمذي، حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا جعفر بن سليمان الضبعي، عن يزيد الرشك، عن مطرف بن عبد الله، عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً واستعمل عليهم عليّ بن أبي طالب، فمضى في السّرية فأصاب جارية، فأנקروا عليه فتعاقد أربعة من أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: إذا لقينا رسول الله ﷺ أخبرناه بما صنع عليّ، وكان المسلمون إذا رجعوا من سفر بدؤوا برسول الله ﷺ، فسلموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السرية فسلموا على رسول الله ﷺ فقال أحد الأربعة: يا رسول الله، ألم تر إلى عليّ بن أبي طالب صنع كذا وكذا، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم قام الثاني فقال مثل مقالته، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا، فأقبل إليهم رسول الله ﷺ والغضب في وجهه فقال: «ما تريدون من عليّ؟ ما تريدون من عليّ؟ ما تريدون من عليّ؟ إن عليًا متي وأنا من عليّ، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي». أنبأنا أبو جعفر عبيد الله بن أحمد بإسناده عن يونس بن بكير، عن ابن إسحق قال: حدّثني يحيى بن عبد الله بن أبي عمرة، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، قال: إنما وجد جيش عليّ الذين كانوا معه باليمن لأنهم حين أقبلوا خلف عليهم رجلاً وتعبّل إلى رسول الله ﷺ يُخبره الخبر، فعمد الرجل فكسا كل رجل منهم حلّة، فلما دنوا خرج عليّ يستقبلهم، فإذا عليهم الحلل، فقال عليّ: ما هذا؟ قالوا: كسانا فلان، قال: فما دعاك إلى هذا قبل أن تقدم على رسول الله ﷺ فيصنع ما شاء، فنزع الحُلل عنهم، فلما قدموا على رسول الله ﷺ شكوه لذلك، وكان أهل اليمن قد صالحوا رسول الله ﷺ، وإنما بعث عليًا على جزية موضوعة. أنبأنا أبو الفرج محمد بن عبد الرحمن بن أبي العلاء الواسطي وأبو عبد الله الحسين بن أبي صالح فناخسرو الدّيلمى التكريتي وغيرهما بإسنادهم إلى محمد بن إسماعيل، حدّثنا قتيبة، حدّثنا يعقوب بن

عبد الرحمن، عن أبي حازم قال: أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غدا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، قال: «أين علي بن أبي طالب؟» قالوا: يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: «فأرسلوا إليه» فأتى فبصق في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن له وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: «لتغد على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم». أنبأنا أبو الفضل بن أبي عبيد الله الفقيه بإسناده إلى أبي يعلى أحمد بن علي، أنبأنا القواريري، حدثنا يونس بن أرقم، حدثنا يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: شهدت علياً في الرحبة يناشد الناس: أنشد الله من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خم: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ»، لَمَّا قَامَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: فَقَامَ اثْنَا عَشَرَ بَدْرِيًّا، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَحَدِهِمْ عَلَيْهِ سِرَاوِيلُ، فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍّ: «أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجِي أُمَّهَاتِهِمْ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ». وَقَدْ رُويَ مِثْلُ هَذَا عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، وَزَادَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ وَلِيَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ. أَنْبَأَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هُبَيْةَ اللَّهِ، أَنْبَأَنَا أَبُو الْعَشَائِرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْخَلِيلِ الْقَيْسِيُّ، أَنْبَأَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَصِيصِيُّ، أَنْبَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ الْقَسَمِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، حَدَّثَنَا خَيْثَمَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ حَيْدَرَةَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَطْرَابِلِسِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحَبِيبِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو حَذِيفَةَ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ هَلَالِ بْنِ يَسَافٍ، عَنْ ابْنِ ظَالِمٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ - يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ - فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُ عَلِيًّا حُبًّا لَمْ أَحْبَبْ أَحَدًا، قَالَ: أَحْبَبْتَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ إِنَّهُ حَدَّثَنَا قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى جِرَاءٍ، فَذَكَرَ عَشْرَةَ فِي الْجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ. قَالَ: وَحَدَّثَنَا خَيْثَمَةُ، حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ

السري بن يحيى، حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سُرٍّ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَهَيَّيْنَاهُ، ثُمَّ قَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، وَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصْغِي رَأْسَهُ مِنْ تَحْتِ السَّعْفِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ عَلِيًّا»، فَجَاءَ عَلِيٌّ فَهَيَّيْنَاهُ. أَنْبَأَنَا أَبُو إِسْحَقَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ مُحَمَّدٍ وَغَيْرُهُ قَالُوا بِإِسْنَادِهِمْ إِلَى أَبِي عَيْسَى التِّرْمِذِيِّ، حَدَّثَنَا يَوْسُفُ بْنُ مُوسَى الْقَطَّانُ الْبَغْدَادِيُّ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ قَادِمٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ بْنِ حَيٍّ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ جَمِيعِ بْنِ عَمِيرٍ التِّيمِيِّ، عَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ: أَخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ عَلِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخَيْتَ بَيْنَ أَصْحَابِكَ وَلَمْ تُؤَاخِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». أَنْبَأَنَا أَبُو الْفَضْلِ الْفَقِيهَ الْمَخْزُومِي بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ، أَنْبَأَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيِّ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، عَنْ زُبَيْدٍ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَلَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ كَسَاءً، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي، اللَّهُمَّ أَذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا»، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَ: «إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ». وَأَنْبَأَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ بِإِسْنَادِهِمْ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى، حَدَّثَنَا خِلَادُ بْنُ أَسْلَمَ الْبَغْدَادِيُّ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ الْحَلِيِّ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: كُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَانِي، وَإِذَا سَكَتَ ابْتَدَأَنِي. قَالَ: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى، حَدَّثَنَا نَضْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيِّ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنِي أَخِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِ حَسَنِ وَحُسَيْنٍ وَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَٰذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قَالَ: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى، حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ، قَالَ: كُنَّا نَعْرِفُ الْمُنَافِقِينَ نَحْنُ مُعَاوِشُ الْأَنْصَارِ بِبَغْضِهِمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ. أَنْبَأَنَا الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْفَقِيهَ بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي يَعْلَى،

.....

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ حَمَادٍ، حَدَّثَنَا مَسْهَرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ثَقَّةٌ، حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ عَمْرٍو،
عَنِ السَّيِّدِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَهُ طَائِرٌ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ ائْتِنِي
بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ يَأْكُلُ مَعِيَ مِنْ هَذَا الطَّائِرِ»، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَرَدَّهُ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ
فَرَدَّهُ، فَجَاءَ عَلِيٌّ فَأَذَنَ لَهُ. ذُكِرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُثْمَانُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ غَرِيبٌ جَدًّا، وَقَدْ
رُويَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَنَسٍ، وَرواهُ غَيْرُ أَنَسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ. أَنَبَأَنَا أَبُو الْفَرَجِ الثَّقَفِيُّ،
أَنَبَأَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَيْسَى، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ وَأَنَا حَاضِرٌ أَسْمَعُ، أَنَبَأَنَا أَحْمَدُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَهْوَازِيِّ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ
عَيْسَى، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ السُّمَيْدِعِ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ
إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، عَنْ مَسْعَرٍ، عَنْ حَمَادٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ:
أَهْدِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ طَيْرٌ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ ائْتِنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ»، فَجَاءَ عَلِيٌّ
فَأَكَلَ مَعَهُ، تَفَرَّدَ بِهِ شُعَيْبٌ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ. أَنَبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي
الْفَتْحِ بْنِ الْحَسَنِ النَّقَاشِ الْوَاسِطِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو رُوحٍ عَبْدُ الْمُعِزِّ بْنِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي
الْفَضْلِ الْبِزَارِ، أَنَبَأَنَا زَاهِرُ بْنُ طَاهِرٍ السَّحَامِيُّ، أَنَبَأَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْكَنْجَرُودِيُّ، أَنَبَأَنَا
الْحَاكِمُ أَبُو أَحْمَدَ، أَنَبَأَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَشْعَرِيِّ
بِحَمْصٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَصْفًى، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْمُعَرِّي، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ
سَعْدِ الْبَصْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: أَهْدِي
لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَيْرٌ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ ائْتِنِي بِرَجُلٍ يَحِبُّهُ اللَّهُ وَيَحِبُّهُ رَسُولُهُ»، قَالَ أَنَسٌ:
فَأَتَى عَلِيٌّ فَفَرَعَ الْبَابَ، فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَشْغُولٌ وَكُنْتُ أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ
رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَى الثَّالِثَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«يَا أَنَسُ أَدْخِلْهُ، فَقَدْ عَنَيْتُهُ»، فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ: «اللَّهُمَّ وَالِ، اللَّهُمَّ وَالِ»، وَقَدْ رَوَاهُ
عَنْ أَنَسٍ غَيْرُ وَاحِدٍ حَمِيدُ الطَّوِيلِ، وَأَبُو الْهِنْدِيِّ، وَيَغْنَمُ بْنُ سَالِمٍ - يَغْنَمُ بِالْيَاءِ
تَحْتَهَا نَقَطَتَانِ، وَالْغَيْنُ الْمَعْجَمَةُ وَالنُّونُ وَآخِرُهُ مِيمٌ وَهُوَ اسْمٌ مُفْرَدٌ.

خلافته رضي الله تعالى عنه:

أَنَبَأَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ هَبَةَ اللَّهِ بِإِسْنَادِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ، حَدَّثَنِي أَبِي،
حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ - يَعْنِي الْفَرَاءَ - عَنْ

إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن تبيع، عن عليّ قال: قيل: يا رسول الله، مَنْ يُؤمّر بعدك؟ قال: «إِنْ تُؤمّروا أبا بكر تجدوه أمينًا زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة، وَإِنْ تُؤمّروا عمر تجدوه قويًا أمينًا لا يخاف في الله لومة لائم، وَإِنْ تُؤمّروا عليًا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديًا مهديًا يأخذ بكم الصراط المستقيم». أنبأنا عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر، أنبأنا أبو غالب محمد بن الحسن الباقلائي إجازة، أنبأنا أبو عليّ بن شاذان، أنبأنا عبد الباقي بن قانع، حدّثنا محمد بن زكريا العلّائي، حدّثنا العباس بن بكار، عن شريك، عن سلمة، عن الصنابحي، عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنْتَ بِمَنْزِلَةِ الْكَعْبَةِ، تُؤْتَى وَلَا تَأْتِي، فَإِنْ أَتَاكَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَسَلِّمُوهَا إِلَيْكَ - يَعْنِي الْخِلَافَةَ - فاقبل منهم، وَإِنْ لَمْ يَأْتُوكَ فَلَا تَأْتِهِمْ حَتَّى يَأْتُوكَ». أنبأنا يحيى بن محمود، أنبأنا الحسن بن أحمد قراءة عليه وأنا حاضر، أنبأنا أبو نعيم، أنبأنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن، حدّثنا عبد الله بن محمد، حدّثنا إبراهيم بن يوسف الصيرفي، حدّثنا أبو الصيرفي، عن يحيى بن عروة المرادي، قال: سمعت عليًا رضي الله تعالى عنه يقول: قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أَرَى أَنِّي أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ، فَاجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ، ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ أُصِيبَ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يَعْدِلُهَا عَنِّي، فَجَعَلَهَا فِي عَمْرٍ، فَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ، ثُمَّ إِنَّ عَمْرَ أُصِيبَ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يَعْدِلُهَا عَنِّي، فَجَعَلَهَا فِي سِتَّةٍ أَنَا أَحَدُهُمْ، فَوَلَّوْهَا عَثْمَانَ، فَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ، ثُمَّ إِنَّ عَثْمَانَ قُتِلَ فَجَاؤُوا فَبَايَعُونِي طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ، ثُمَّ خَلَعُوا بَيْعَتِي، فَوَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ إِلَّا السِّيفَ أَوْ الْكُفْرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ. أَخْبَرَنَا ذَاكِرُ بْنُ كَامِلٍ بْنُ أَبِي غَالِبٍ الْخُفَّافُ وَغَيْرُهُ إِجَازَةً، قَالُوا: أَخْبَرَنَا أَبُو غَالِبِ بْنِ الْبَنَاءِ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْبُوسِي، أَنْبَأَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَنِيقًا، أَنْبَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْخَطَّيِّ، قَالَ: اسْتَخْلَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَبُوعٍ لَهُ بِالْمَدِينَةِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ قَتْلِ عَثْمَانَ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، قَالَ: وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ الْخَطَّيِّ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي حَسَّانِ الْأَنْمَاطِيِّ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ سَمِيعِ الْقَرَشِيِّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي ذَيْبٍ، عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ

المسيب، قال: لما قُتِل عثمان جاء الناس كلهم إلى عليّ يهرعون أصحاب محمد وغيرهم كلهم يقول أمير المؤمنين عليّ: حتى دخلوا عليه داره، فقالوا: نبايعك فمُدَّ يَدُكَ، فأنت أحقّ بها، فقال عليّ: ليس ذاك إليكم، إنما ذاك إلى أهل بدر، فَمَنْ رَضِيَ بِهِ أَهْلُ بَدْرٍ فَهُوَ خَلِيفَةُ، فلم يبقَ أحدٌ إلّا أتى عليّاً، فقال: فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بها منك، فمُدَّ يَدُكَ نبايعك، فقال: أين طلحة والزبير؟ فكان أول مَنْ بايعه طلحة بلسانه وسعد بيده، فلَمَّا رَأَى عَلِيّ ذَلِكَ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَعِدَ الْمَنْبِرَ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَعَدَ إِلَيْهِ فَبَايَعَهُ طَلْحَةُ وَتَابِعَهُ الزُّبَيْرُ وَأَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. أَنبَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ الدَّمَشَقِيُّ إِجَازَةً، أَنبَأَنَا أَبِي، أَنبَأَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رِشَا بْنِ نَظِيفٍ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَرْوَانَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ حَمَادٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ: لَمَّا دَخَلَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْكُوفَةَ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ زُنْتُ الْخِلَافَةَ وَمَا زَانْتُكَ، وَرَفَعْتُهَا وَمَا رَفَعْتُكَ، وَهِيَ كَانَتْ أَحْوَجَ إِلَيْكَ مِنْكَ إِلَيْهَا. أَنبَأَنَا أَبُو يَاسِرَ بْنِ أَبِي حَبَّةٍ بِإِسْنَادِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: كَيْفَ بَايَعْتُمْ عُثْمَانَ وَتَرَكْتُمْ عَلِيّاً؟ فَقَالَ: مَا ذَنْبِي قَدْ بَدَأَتْ بَعْلِي فَقُلْتُ: أَبَايَعُكَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَسِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، قَالَ: فَقَالَ: فِيمَا اسْتَطَعْتُ، قَالَ: ثُمَّ عَرَضْتُهَا عَلَى عُثْمَانَ فَقَبِلَهَا، وَلَمَّا بَايَعَهُ النَّاسُ تَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَتِهِ جُمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ ابْنُ عُمَرَ وَسَعْدُ وَأَسَامَةُ وَغَيْرُهُمْ، فَلَمْ يُلْزِمُهُمُ بِالْبَيْعَةِ، وَسُئِلَ عَلِيٌّ عَمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَتِهِ؟ فَقَالَ: أُولَئِكَ قَعَدُوا عَنِ الْحَقِّ وَلَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ، وَتَخَلَّفَ عَنْهُ أَهْلُ الشَّامِ مَعَ مَعَاوِيَةَ، فَلَمْ يُبَايِعُوهُ وَقَاتَلُوهُ. أَنبَأَنَا أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ بْنِ يَحْيَى بْنِ بُوْشٍ كِتَابَةً، أَنبَأَنَا أَبُو طَالِبٍ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ يَوْسُفَ، أَنبَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيُّ، أَنبَأَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُظَفَّرِ بْنِ مُوسَى الْحَافِظُ، أَنبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ ظَاذَادِ الْمُوَصَلِيِّ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْخَوَاصِ، عَنْ عَفِيفِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ قَطْرِ بْنِ خَلِيفَةَ، عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَانْقَطَعَ شِيعُهُ فَأَخَذَهَا عَلِيٌّ

يُصلحها، فمضى رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ»، فاستشرف لها القوم، فقال رسول الله ﷺ: «لَكِنَّهُ خَاصِفُ النُّعْلِ»، فجاء فبشّرناه بذلك، فلم يرفع به رأسًا، كأنه شيء قد سمعه من النبي ﷺ. أنبأنا أرسلان بن بعان الصوفي، حَدَّثَنَا أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ طَاهِرٍ بْنُ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدِ الْمِيهَنِيِّ، أَنبَأَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ خَلْفِ الشِّيرَازِيِّ، أَنبَأَنَا الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ، أَنبَأَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ دُحَيْمِ الشَّيْبَانِيِّ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَكَمِ الْحِيرِيِّ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبَانَ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْأَزْدِيِّ، عَنْ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ، قَالَ: أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِقِتَالِ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَرْتَنَا بِقِتَالِ هَؤُلَاءِ، فَمَعَ مَنْ؟ فَقَالَ: «مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مَعَهُ يُقْتَلُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ». قَالَ: وَأَخْبِرَ الْحَاكِمَ، أَنبَأَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُمَشَادِ الْعَدَلِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ دِيرِكَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْخَطَّارِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ حَصِيرَةَ، عَنْ أَبِي صَادِقٍ، عَنْ مُحَنَفِ بْنِ سَلِيمٍ، قَالَ: أَتَيْنَا أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ، فَقُلْنَا: قَاتَلْتَ بِسَيْفِكَ الْمُشْرِكِينَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ جِئْتَ تُقَاتِلُ الْمُسْلِمِينَ؟ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقِتَالِ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ. وَأَنبَأَنَا أَبُو الْفَضْلِ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي يَعْلَى، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سَهْلٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا عَلَى مَنَبْرِكِهِ هَذَا يَقُولُ: عَهْدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ. أَنبَأَنَا أَبُو غَانِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ هَبَةَ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ الْحَلَبِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي أَبُو الْمَجْدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ، أَنبَأَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْفَتْحِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَعِيدِ بَحْلَبٍ، حَدَّثَنَا الْأَسْتَاذُ أَبُو النَّمْرِ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ زُغْبَانَ الْحَمَصِيِّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ خَالَوَيْهِ، أَنبَأَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَعِيدِ الْبَزَّارِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ مُوسَى الْكُوفِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبِيبٍ، أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ ابْنُ عَمْرِو حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: مَا أَجِدُ فِي نَفْسِي مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا أَنِّي لَمْ أَقَاتِلِ الْفِتْنَةَ الْبَاطِنِيَّةَ.

وقال أبو عمرو: رُوي من وجوه عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عمر أنه قال: ما آسى على شيء إلا أنني لم أقاتل مع عليّ بن أبي طالب الفئة الباغية.

وقال الشعبي: ما مات مسروق حتى تاب إلى الله تعالى من تخلفه عن القتال مع عليّ، ولعليّ رضي الله تعالى عنه في قتال الخوارج وغيرها آيات مذكورة في التواريخ قد أتينا على ذكرها في الكامل في التاريخ.

مقتله وإعلامه أنه مقتول رضي الله تعالى عنه:

أنبأنا نصر الله بن سلامة بن سالم الهيثمي، أنبأنا القاضي أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي، أنبأنا أبو الغنائم عبد الصمد بن علي المأمون، أنبأنا عليّ بن عمر الحافظ، حدّثنا أبو الحسن عليّ بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن يحيى بن زاهر بن يحيى الرازي بالبصرة، حدّثني أحمد بن محمد بن زياد القطان الرازي، حدّثنا عبد الله بن زاهر بن يحيى، حدّثنا أبي، عن الأعمش، عن زيد بن أسلم، عن أبي سنان الدؤلّي، عن عليّ قال: حدّثني الصادق المصدوق عليه السلام قال: «لا تموت حتى تُضرب ضربة على هذه، فتخضب هذه» وأوماً إلى لحيته وهامته «ويقتلك أشقاها، كما عقر ناقة الله أشقى بني فلان من ثمود» نسبه إلى جدّه الأدنى، قال عليّ بن عمر: هذا حديث غريب من حديث الأعمش عن زيد بن أسلم عن أبي سنان عن عليّ تفرد به عبد الله بن زاهر عن أبيه. قلت: قد رواه عبد الله بن جعفر عن زيد بن أسلم، أنبأنا به أبو الفضل الطبري بإسناده إلى أبي يعلى عن القواريري، عن عبد الله بن جعفر، عن زيد، عن أبي سنان أتمّ من هذا.

أنبأنا أبو الفضل المخزومي بإسناده، عن أحمد بن عليّ قال: حدّثنا إسحق بن إسرائيل، عن سنان، عن عبد الملك بن أعين، عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبيه، عن عليّ قال: أتاني عبد الله بن سلام وقد وضعت رجلي في الغرز، فقال لي: لا تقدم العراق، فإني أخشى أن يصيبك فيها ذباب السيف، قال عليّ: وأيم الله لقد أخبرني به رسول الله ﷺ، فقال أبو الأسود: فما رأيت كالיום قطّ محارب يخبر بذا عن نفسه. قال: وأنبأنا أحمد بن عليّ، أنبأنا أبو خيثمة،

.....

حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ سَلْمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبْعٍ قَالَ: خُطِبْنَا عَلَيَّ مِنْ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ لَتَخْضِبَنَّ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ، يَعْنِي لَحِيَّتَهُ مِنْ دَمِ رَأْسِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لَا يَقُولُ ذَلِكَ أَحَدٌ إِلَّا أَبْرَأَ عِزَّتَهُ، فَقَالَ: أَذْكَرَ اللَّهَ وَأَنْشُدُ أَنْ يَقْتُلَ مِنِّي إِلَّا قَاتِلِي.

أَنْبَأَنَا أَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ الْمُنْعَمِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنُ كُلَيْبٍ، أَنْبَأَنَا أَبُو الْخَيْرِ الْمُبَارَكُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ أَحْمَدَ الْعَسَالِ الْمَقْرِيَّ الشَّافِعِيَّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْخَلَّالُ. حَدَّثَنَا أَبُو الطَّيِّبِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ النَّحَّاسُ بِالْكُوفَةِ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ الْبَجَلِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَنِيبٍ الْمُرُوزِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ - يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ كَيْسَانَ - حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ - يَعْنِي لِلنَّبِيِّ ﷺ -: إِنَّكَ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ أَخَّرْتَ عَنِّي الشَّهَادَةَ وَاسْتَشْهَدَ مِنْ اسْتَشْهَدَ أَنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ، «فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا خَضِبْتَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ بَدَمًا؟» وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى لَحِيَّتِهِ وَرَأْسِهِ، فَقَالَ عَلِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا إِنْ تَثَبَّتَ لِي مَا أَثَبْتُ، فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالْكَرَامَةِ.

وَأَنْبَأَنَا أَبُو الْمُنْصُورِ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْمَثْنَى. أَنْبَأَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا رَاشِدُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسَامَةَ بْنِ الْهَادِ، عَنْ عَثْمَانَ بْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَشَقَى الْأَوَّلِينَ؟» قُلْتُ: عَاقِرُ النَّاقَةِ، قَالَ: «صَدَقْتَ»، قَالَ: «فَمَنْ أَشَقَى الْآخَرِينَ؟» قُلْتُ: لَا عِلْمَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الَّذِي يَضْرِبُكَ عَلَى هَذَا» وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى يَافُوخِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: وَدِدْتُ أَنَّهُ قَدْ انْبَعَثَ أَشْقَاكُم، «فَخَضِبَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ» يَعْنِي لَحِيَّتَهُ مِنْ دَمِ رَأْسِهِ.

أَنْبَأَنَا أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَبِي حَبَّةَ، أَنْبَأَنَا أَبُو غَالِبِ بْنِ الْبَنَاءِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ حَسَنُونَ، أَنْبَأَنَا أَبُو الْقَاسِمِ مُوسَى بْنُ عَيْسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّرَّاجُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سَلِيمَانَ، عَنْ قَطْرِ بْنِ خَلِيفَةَ، عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ أَنَّ عَلِيًّا جَمَعَ النَّاسَ لِلْبَيْعَةِ، فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَلْجَمٍ الْمُرَادِي، فَرَدَّهَ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ عَلِيُّ: مَا يَحْبِسُ أَشْقَاهَا،

فوالله ليخضبنّ هذه من هذه، ثم تمثل:

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقبك
ولا تجزع من القتل إذا حلّ بواديك

أَبْنَاءُ أَبُو يَاسِرٍ إِجَازَةً، أَبْنَاءُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي، أَبْنَاءُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيُّ، أَبْنَاءُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ حَيَوِيهِ، أَبْنَاءُ أَحْمَدُ بْنُ مَعْرُوفٍ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ فَهْمٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الصَّلْتِ، حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ الْمَنْذَرِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ مُحَمَّدَ ابْنَ الْحَنْفِيَّةِ قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا ابْنُ مَلْجَمِ الْحَمَّامِ وَأَنَا وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ جُلُوسٌ فِي الْحَمَّامِ، فَلَمَّا دَخَلَ كَانَهُمَا اشْمَازًا مِنْهُ، وَقَالَا: مَا جَرَّأكَ تَدْخُلَ عَلَيْنَا؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمَا: دَعَاهُ عَنْكُمَا، فَلَعَمْرِي مَا يَرِيدُ مِنْكُمْ أَحْسَمُ مِنْ هَذَا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أُتِيَ بِهِ أُسِيرًا، قَالَ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ: مَا أَنَا الْيَوْمَ بِأَعْرِفُ بِهِ مَنِي يَوْمَ دَخَلَ عَلَيْنَا الْحَمَّامُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّهُ أُسِيرٌ، فَأَحْسِنُوا نُزْلَهُ وَأَكْرَمُوا مَشْوَاهُ، فَإِنْ بَقِيَتْ قَتَلْتُ أَوْ عَفَوْتُ، وَإِنْ مِتُّ فَاقْتُلُوهُ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَعْتَدِينَ.

أَبْنَاءُ أَبُو أَحْمَدَ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَلِيٍّ الْأَمِينِ وَغَيْرِ وَاحِدٍ إِجَازَةً، قَالُوا: أَبْنَاءُ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ، أَبْنَاءُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ خَيْرُونَ وَأَبُو طَاهِرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْبَاقِلَانِي كِلَاهُمَا إِجَازَةً، قَالَا: أَبْنَاءُ أَبُو عَلِيٍّ بْنِ شَاذَانَ، قَالَ: قَرِئَ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يَحْيَى بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا جَدِّي أَبُو الْحُسَيْنِ يَحْيَى بْنُ الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ نُوحٍ، حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ الْفَضْلُ بْنُ ذَكَّيْنٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ الْعَبَّاسِ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْمَغِيرَةِ، قَالَ: لَمَّا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ جَعَلَ عَلِيٌّ يَتَعَشَّى لَيْلَةَ عِنْدَ الْحَسَنِ وَلَيْلَةَ عِنْدَ الْحُسَيْنِ وَلَيْلَةَ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ لَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِ لَقَمٍ، وَيَقُولُ: يَأْتِي أَمْرُ اللَّهِ وَأَنَا خَمِيصٌ، وَإِنَّمَا هِيَ لَيْلَةٌ أَوْ لَيْلَتَانِ. قَالَ: وَأَبْنَاءُ جَدِّي، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيَّ لَصَلَاةِ الْفَجْرِ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْأَوْزُ يَصُحْنُ فِي وَجْهِهِ، قَالَ: فَجَعَلْنَا نَطْرُدُهُ عَنْهُ، فَقَالَ: دَعَوْهُنَّ فَإِنَّهُنَّ نَوَاحٍ، وَخَرَجَ فَأَصِيبُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عَلِمَ السَّنَةَ وَالشَّهْرَ وَاللَّيْلَةَ الَّتِي يُقْتَلُ فِيهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

.....

أنبأنا الخطيب أبو الفضل عبد الله بن أحمد، أنبأنا النقيب طراد بن محمد إجازة إن لم يكن سماعاً، أنبأنا أبو الحسين بن بشران، أنبأنا الحسين صفوان، أنبأنا عبد الله بن أبي الدنيا، حدثني عبد الرحمن بن صالح، حدثنا عمرو بن هاشم الحسيني، عن حكا، عن أبي عون الثقفي، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: قال لي الحسين بن علي: قال لي علي: سنع لي الليلة رسول الله ﷺ في منامي، فقلت: يا رسول الله، ما لقيت من أمتك من الأود^(١) والدلد^(٢)، قال: ادع عليهم، قلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم، وأبدلهم من هو شر مني؛ فخرج فضربه الرجل، كذا في هذه الرواية الحسين بن علي، وإنما هو الحسن.

أنبأنا عبد الوهاب بن هبة الله بن عبد الوهاب إذنا، أخبرنا أبو بكر الأنصاري، أخبرنا أبو محمد الجوهري، أنبأنا أبو عمر بن حيويه، أنبأنا أحمد بن معروف، أنبأنا الحسين بن فهم، أنبأنا محمد بن سعد قال: انتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وهو من حمير وعداده في بني مراد، وهو حليف بني حبله من كندة، والبرك بن عبد الله التميمي، وعمر بن بكير التميمي؛ فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاهدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة علي بن أبي طالب، ومعاوية، وعمرو بن العاص، ويريحوا العباد منهم، فقال ابن ملجم: أنا لكم بعلي، وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكير: أنا أكفيكم عمرو بن العاص؛ فتعاهدوا على ذلك وتعاهدوا عليه وتواثقوا أن لا ينكص منهم رجل عن صاحبه الذي سمي له ويتوجه له حتى يقتله أو يموت دونه، فاتعدوا بينهم ليلة سبع عشرة من رمضان، ثم توجه كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه، فقدم عبد الرحمن بن ملجم الكوفة، فلقي أصحابه من الخوارج، فكاتمهم ما يريد، وكان يزورهم ويزورونه، فزار يوماً نفاً من بني تيم الرباب،

(١) قوله: الأود، في القاموس: أود كفرح يأود أوداً اغوج، انتهى. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) قوله: الدلد، في المصباح: لد يلد لدداً من باب تعب اشتدت خصومته، فهو ألد، انتهى.

١٢ منه عم فيضهم.

فرأى امرأة منهم قطام بنت سخبه بن عدي بن عامر بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن ذهل بن الرباب، وكان عليّ قتل أباه وأخاه بالنهروان، فأعجبته فخطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تسني^(١) لي، فقال: لا تسأليني شيئاً إلا أعطيتك، فقالت: ثلاثة آلاف وقتل عليّ بن أبي طالب، فقال: والله ما جاء بي إلى هذا المضر إلا قتل عليّ، وقد أعطيتك ما سألت، ولقي ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي، فأعلمه ما يريد ودعاه إلى أن يكون معه فأجابه إلى ذلك، وظل ابن ملجم تلك الليلة التي عزم فيها أن يقتل عليّاً في صبيحها يناجي الأشعث بن قيس الكندي في مسجده حتى يطلع الفجر، فقال له الأشعث: فضحك الصبح، فقام ابن ملجم وشبيب بن بجرة فأخذا أسيفهما ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدة التي يخرج منها عليّ، قال الحسن بن عليّ: فأتيته سحيراً فجلست إليه فقال: إني بت الليلة أوقظ أهلي، فملكنتي عيناى وأنا جالس، فسنح لي رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أمتك من الأود واللدد، فقال لي: ادع الله عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً لهم مني، ودخل ابن التياح المؤذن على ذلك، فقال: الصلاة، فقام يمشي ابن التياح بين يديه وأنا خلفه، فلما خرج من الباب نادى: أيها الناس الصلاة الصلاة، كذلك كان يصنع كل يوم يخرج ومعه درته يُوقظ الناس، فاعترضه الرجلان، فقال بعض من حضر: ذلك بريق السيف، وسمعت قائلاً يقول: لله الحكم يا عليّ لا لك، ثم رأيت سيفاً ثانياً ضرباً جميعاً، فأما سيف ابن ملجم فأصاب جبهته إلى قرنه، ووصل إلى دماغه.

وأما سيف شبيب، فوقع في الطاق، فسمع عليّ يقول: لا يفوتكم الرجل، وشد الناس عليهما من كل جانب. فأما شبيب فأفلت، وأخذ ابن ملجم فأدخل على عليّ فقال: أطيبوا طعامه وألينوا فراشه، فإن أعش فأنا ولي دمي عفو أو

(١) في لسان العرب يقال: سنّيت الباب وسنّوته إذا فتحته، وأيضاً فيه: سنّيت الشيء والأمر إذا فتحت وجهه، وأيضاً فيه: يقال: سنّيت الشيء إذا فتحته وسهّلته وتسنى لي كذا، أي تيسر وتأتى وتسنى الشيء علاه. اهـ. ١٢ منه عم فيضهم.

قصاص، وإن أُمْتُ فَأَلْحَقُوهُ بِي أَخَاصِمَهُ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَتْ أُمُّ كَلْثُومِ بِنْتُ عَلِيٍّ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَقْتَلْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: مَا قَتَلْتُ إِلَّا أَبَاكَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَأْسٌ، قَالَ: فَلِمَ تَبْكِينَ إِذَا؟ ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَمَّمْتَهُ شَهْرًا - يَعْنِي سَيْفَهُ - فَإِنْ أَخْلَفَنِي أَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ. وَبَعَثَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسِ ابْنَهُ قَيْسَ الْأَشْعَثِ صَبِيحَةَ ضَرْبِ عَلِيٍّ، فَقَالَ: أَيُّ بَنِي، انْظُرْ كَيْفَ أَصْبَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: رَأَيْتَ عَيْنَيْهِ دَاخِلَتَيْنِ فِي رَأْسِهِ، فَقَالَ الْأَشْعَثُ: عَيْنِي دَمِغٌ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: وَمَكَثَ عَلِيٌّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ وَبَقِيَ لَيْلَةَ الْأَحَدِ لِأَحَدِي عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعِينَ، وَتَوَفَّى رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَغَسَلَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَعَبَدَ اللَّهُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَكُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ، قَالُوا: وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَلْجَمٍ فِي السِّجْنِ، فَلَمَّا مَاتَ عَلِيٌّ وَدُفِنَ بَعَثَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى ابْنِ مَلْجَمٍ فَأَخْرَجَهُ مِنَ السِّجْنِ لِيَقْتُلَهُ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَجَاؤُوا بِالْغُلَامِ وَالْبُورِي وَالنَّارِ، وَقَالُوا: نَحْرُقُهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ: دَعُونَا حَتَّى نَشْفِيَ أَنْفُسَنَا مِنْهُ، فَقَطَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَلَمْ يَجْزَعْ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ، فَكَحَلَ عَيْنَيْهِ بِمَسْمَارٍ مَحْمَى، فَلَمْ يَجْزَعْ وَجَعَلَ يَقُولُ: إِنَّكَ لَتَكْحَلُ عَيْنِي عَمَكَ بِمَمْلُولٍ وَمَمْضٍ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝﴾ [الْعَلَقُ: الْآيَةُ ١] حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِ السُّورَةِ، وَإِنْ عَيْنَيْهِ لَتَسِيلَانِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَعُولَجَ عَنْ لِسَانِهِ لِيَقْطَعَهُ فَجْزَعْ، فَقِيلَ لَهُ: قَطَعْنَا يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ وَسَمَلْنَا عَيْنَيْكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ فَلَمْ تَجْزَعْ، فَلَمَّا صَرْنَا إِلَى لِسَانِكَ جَزَعْتَ، قَالَ: مَا ذَاكَ مِنْ جَزَعٍ إِلَّا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ فِي الدُّنْيَا فَوْاقًا لَا أَذْكَرُ اللَّهَ، فَقَطَعُوا لِسَانَهُ ثُمَّ جَعَلُوهُ فِي قَوْصَرَةٍ فَأَحْرَقُوهُ بِالنَّارِ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ يَوْمُئِذٍ صَغِيرٌ، فَلَمْ يَسْتَأْنِ بِهِ بَلُوغُهُ، وَكَانَ ابْنُ مَلْجَمٍ أَسْمَرُ أَبْلَجَ فِي جَبْهَتِهِ أَثَرُ السَّجُودِ.

أَنْبَأَنَا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ طَبْرَزْدٍ، أَنْبَأَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ السَّمَرْقَنْدِيِّ، أَنْبَأَنَا أَبُو بَكْرُ بْنُ الطَّبْرِيِّ، أَنْبَأَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بَشْرَانَ، أَنْبَأَنَا أَبُو عَلِيٍّ بْنُ صَفْوَانَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ أَبِي يَحْيَى عَنْ شَيْخٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مَلْجَمٍ قَالَ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ.

.....

أنبأنا عبد الوهاب بن أبي منصور بن سكينه، أنبأنا أبو الفتح أحمد بن عبد الباقي بن سلمان، أنبأنا أحمد بن الحسين بن خيرون وأحمد بن الحسن الباقلاني كلاهما إجازةً، قالوا: أنبأنا أبو علي بن شاذان، قال: قُرىء على أبي محمد الحسن بن محمد بن يحيى العلوي، حدَّثني جدي، حدَّثنا أحمد بن محمد بن يحيى، حدَّثني إسماعيل بن أبان الأزدي، حدَّثني فضيل بن الزبير، عن عمرو ذي مرٍّ قال لَمَّا أُصِيبَ عَلِيٌّ بالضربة دخلت عليه وقد عصب رأسه، قال: قلت: يا أمير المؤمنين أرني ضربتك، قال: فحلَّها، فقلت: خدش وليس بشيء، قال: إني مفارقكم، فبَكَتْ أُمُّ كُلثوم من وراء الحجاب، فقال لها: اسكتي، فلو ترين ما أرى لَمَّا بكيت، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، ماذا ترى؟ قال: هذه الملائكة وفود والنبَّيون، وهذا محمد ﷺ يقول: يا عليُّ البشر، فما تصير إليه خير مما أنت فيه، هذه أُمُّ كُلثوم هي ابنة علي زوج عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، البرك: بضم الموحدة وفتح الراء، وبجرة بفتح الباء والجيم، قاله ابن مأكولا، والذي ضبطه أبو عمر بضم الباء وسكون الجيم.

أنبأنا عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر الخطيب، أنبأنا أبو سعد المطرزي وأبو علي الحدَّاد إجازةً، قالوا: أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حدَّثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدَّثنا محمد بن عبد الله بن أحمد، حدَّثنا محمد بن بشر أخي خطاب، حدَّثنا عمر بن زُرارة الحدَّثي، حدَّثنا الفياض بن محمد الرقي، حدَّثنا عمرو بن عباس الأنصاري، عن أبي محتف، عن عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الله، عن أبيه قال: لَمَّا فرغ عليٌّ من وصيته قال: اقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ثم لم يتكلم إلَّا بلا إله إلَّا الله حتى قبضه الله رحمة الله ورضوانه عليه، وغسله ابنه وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن ابنه وكبر عليه أربعاً، وكُفِّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، ودُفِن في السَّحر، قيل: إنَّ عليًّا كان عنده مسك فضل من حنوط رسول الله ﷺ أوصى أن يحنط به، واختلفوا في عمره، فقال محمد ابن الحنفية: سنة الجحاف حين دخلت سنة إحدى وثمانين هذه لي خمس وستون سنة، وقد جاوزت سنَّ أبي، قال: وكان سنُّه يوم قُتل ثلاثاً وستين سنة. قال الواقدي: وهذا أثبت عندنا، وقال أبو بكر الرقي: توفي

عليّ وهو ابن سبع وخمسين سنة، وقيل: توفي وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، وقيل: أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام، وقيل: ثلاثة أيام، قال محمد بن عليّ الباقر: كان عليّ آدم مقبل العَيْنين عظيمها ذا بطن أصلعربعة لا يخضب، وقال أبو إسحق السبيعي: رأته أبيض الرأس واللحية، وكان ربما خضب لحيته، وقال أبو رجاء العطاردي: رأيت عليّاً ربعة ضخم البطن كبير اللحية قد ملأت صدره أصلع شديد الصلع. وقال محمد بن سعد عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن رزام بن سعد الضبي، قال: سمعت أبي ينعت عليّاً قال: كان رجلاً فوق الربعة، ضخم المنكبين، طويل اللحية، وإن شئت قلت: إذا نظرت إليه قلت آدم، إن تبَيَّنْتَه من قريب قلت: أن يكون أسمر أدنى من أن يكون آدم. وقال محمد بن سعد: حدَّثنا عفان بن مسلم، حدَّثنا أبو عوانة، عن مغيرة، عن قدامة بن عتاب قال: كان عليّ ضخم البطن، ضخم مشاش المنكب، ضخم عضلة الذراع، دقيق مستدقها، ضخم عضلة الساق، دقيق مستدقها، قال: ورأته يخطب في يوم من الشتاء عليه قميص وإزار قطريان معتم بشيء مما ينسج في سوادكم. وقال ابن أبي الدنيا: حدَّثني أبو هريرة، حدَّثنا عبد الله بن داود، حدَّثنا مدرك أبو الحجاج قال: رأيت عليّاً يخطب، وكان من أحسن الناس وجهاً، وقيل: كان كأنما كُبر ثم جُبر، لا يغيّر شبيهه، خفيف المشي، ضحوك السنّ، وبالجملة فمناقبه عظيمة كثيرة، فلنقتصر على هذا القدر منها ومَنْ يريد أكثر من هذا، فقد جمعنا مناقبه في كتاب جامع لها، والحمد لله ربّ العالمين ورثاه الناس فأكثروا، فمَنْ ذلك ما قاله أبو الأسود الدؤلي وبعضهم يرويها لأمّ الهيثم بنت العريان النخعية:

ألا يا عين وَيُحْك أسعدينا	ألا تبكي أمير المؤمنين
تبكي أمّ كلثوم عليه	بعبرتها وقد رأت اليقين
ألا قل للخوارج حيث كانوا	فلا قرّت عيون الشامتين
أفي الشهر الحرام فجَعْتُمونا	بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتهم خير مَنْ ركب المطايا	فذلّلها ومَنْ ركب السفينا
ومَنْ لیس التّعال ومَنْ حذاها	ومَنْ قرأ المّثاني والمبينا

وكلّ مناقب الخيرات فيه
لقد علمت قريشاً حيث كانوا
إذا استقبلت وجهه إلى حسين
وكنّا قبل مقتله بخير
يُقيم الحقّ لا يَرْتَاب فيه
وليس بركاتكم علماً لديه
كان الناس إذْ فقدوا عليّاً
فلا تشمت معاوية بن حرب

وحبّ رسول ربّ العالمينا
بأنك خيرها حسَباً وديناً
رأيت البدر راقّ الناظرينا
نرى مولى رسول الله فينا
ويَعْدِل في العِدَا والأقربينا
ولم يخلق من المتجبرينا
نعام حار في بلد سنينا
فإن بقيّة الخلفاء فينا

وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب فيه أيضاً:

ما كنتُ أُحسب أنّ الأمرَ منصرف
البرّ أولَ مَنْ صَلَّى القبلة
وآخر الناس عهداً بالنبّي وَمَنْ
مَنْ فيه ما فيه لا تمترون به

عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
وأعلم الناس بالقرآن والسنن
جبريل عونٌ له في الغسل والكفن
وليس في القوم ما فيه من الحسن

وقال إسماعيل بن محمد الحميري:

سائل قريشاً به إن كنت زاعمه
من كان أقدم إسلاماً وأكثرها
مَنْ وُحِدَ الله إذ كانت مكذّبة
مَنْ كان يُقدم في الهيحاء إن نكلوا

مَنْ كان أثبتها في الدّين أوتادا
علماً وأطهرها أهلاً وأولادا
تدعو من الله أوثاناً وأندادا
عنها وإن يبخلوا في أزّمة جادا

مَنْ كان أعدلها حكماً وأبسطها
إن يصدقك فلن يعدو أباً حسن
إن أنت لم تلق أقواماً ذو صلف
وذا عناد لحقّ الله جحّادا

ومدائحه ومراثيه كثيرة رضي الله تعالى عنه، فلنقتصر على هذه ففیه كفاية،
والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة،
وفي تهذيب الأسماء.

إني لأرجو أن أكون أنا (وعثمان وطلحة والزبير) منهم .

روى علي رضي الله تعالى عنه خمسمائة حديث وستة وثمانين حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على عشرين، وانفرد البخاري بتسعة ومسلم بخمسة عشر. اهـ.

قوله: (وعثمان) بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، يجتمع هو ورسول الله ﷺ في عبد مناف، يُكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا عمرو، وقيل: كان يُكنى أولاً بابنه عبد الله وأمه رقية بنت رسول الله ﷺ، ثم كُنِّي بابنه عمرو وأمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، فهو ابن عمّة عبد الله بن عامر، وأمّ أروى البيضاء بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ، وهو ذو النورين وأمير المؤمنين. أسلم في أول الإسلام، دعاه أبو بكر إلى الإسلام فأسلم، وكان يقول: إني لأربع أربعة في الإسلام.

أخبرنا أبو جعفر بإسناده إلى يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال: فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه عاد إلى الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ، وكان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشرّ، وكان رجال قريش يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لِعَلِمه وتجاربه وحُسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وَثِقَ به مِنْ قومه مِمَّن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم على يديه فيما بلغني الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وذكر غيرهم، فانطلقوا معهم أبو بكر حتى أتوا رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام، فأمنوا فأصبحوا مقرّين بحق الإسلام، فكان هؤلاء الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام فصلّوا وصدقوا، ولما أسلم عثمان زوجه رسول الله ﷺ بابنته رقية، وهاجرا كلاهما إلى أرض الحبشة الهجرتين، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة، ولما قَدِم إليها نزل على أوس بن ثابت أخي حسان بن ثابت، ولهذا كان حسان يحبّ عثمان ويكيه بعد قتله، قاله ابن إسحاق. وتزوَّج بعد رقية أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ، فلما توفيت قال رسول الله ﷺ: «لو إن لنا ثالثة لزوّجناك».

أخبرنا أحمد بن عثمان بن أبي علي، قال: أخبرنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور، حدّثنا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان، أخبرنا أبو بكر بن مردويه الحافظ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن إسحاق المفسر المقرئ، حدّثنا محمد بن إبراهيم بن مردويه، حدّثنا علي بن أحمد بن بسطام، أخبرنا سهل بن عثمان، حدّثنا النضر بن منصور العنزي، حدّثنا أبو المحبوب عقبة بن علقمة، قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنّ لي أربعين بنتًا زوّجت عثمان واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهنّ واحدة»، ووُلِدَ لعثمان ولد من رقية اسمه عبد الله، فبلغ ستّ سنين وتوفي سنة أربع من الهجرة، ولم يشهد عثمان بدرا بنفسه؛ لأن زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ كانت مريضة على الموت، فأمره رسول الله ﷺ أن يقيم عندها، فأقام وتوفيت يوم ورد الخبر بظفر النبي ﷺ والمسلمين بالمشرّكين، لكن رسول الله ﷺ ضرب له بسهمه وأجره، فهو كمن شهدها، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة.

أخبرنا الخطيب أبو الفضل عبد الله بن أبي نصر، قال: أخبرنا نصر بن أحمد أبو الخطاب إجازة إنّ لم يكن سماعًا، أخبرنا أحمد بن طلحة بن هارون، أخبرنا أحمد بن سليمان، حدّثنا يحيى بن جعفر، حدّثنا علي بن عاصم، حدّثني عثمان بن غياث، حدّثني أبو عثمان التّهدي، عن أبي موسى الأشعري، قال: كنت مع رسول الله ﷺ في حديقة بني فلان والباب علينا مغلق إذ استفتح رجل، فقال النبي ﷺ: «يا عبد الله بن قيس، فافتح له الباب وبشّره بالجنة»، فقامت ففتحت الباب فإذا أنا بأبي بكر الصديق فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله ودخل فسلم وقعد، ثم أغلقت الباب، فجعل النبي ﷺ ينكت بعود في الأرض فاستفتح آخر، فقال: «يا عبد الله بن قيس، قم فافتح الباب وبشّره بالجنة»، فقامت ففتحت فإذا أنا بعمر بن الخطاب، فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله ودخل فسلم وقعد وأغلقت الباب، فجعل النبي ﷺ ينكت بذلك العود في الأرض إذ استفتح الثالث الباب، فقال النبي ﷺ: «يا عبد الله بن قيس قم فافتح الباب له وبشّره بالجنة على بلوى تكون»، فقامت ففتحت الباب فإذا أنا

بعثمان بن عفان، فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فقال: الله المستعان وعليه التكلان. ثم دخل فسلم وقعد.

أخبرنا أبو منصور بن مكارم، أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن صفوان. أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن السراج، أخبرنا أبو طاهر هبة الله بن إبراهيم بن أنس، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبيد الله بن طوق، أخبرنا أبو جابر زيد بن عبد العزيز بن حيان، حدثنا محمد بن عبد الله بن عمار، حدثنا المعافى بن عمران، عن سعيد بن الحجاج، عن الحر بن الصياح، قال: سمعت عبيد الله بن الأخنس قال: قديم سعيد بن زيد هو ابن عمرو بن نفيل، فقال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة» والآخر لو شئت سمّيته ثم سمّى نفسه، قال: وحدثنا المعافى بن عمران، حدثنا سفيان، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن أبي طالب، عن سعيد بن زيد أن رجلاً قال له: أحببت علياً حباً لم أحبه شيئاً قط، قال: أحسنت أحببت رجلاً من أهل الجنة، قال: وأبغضت عثمان بغضاً لم أبغضه شيئاً قط، قال: أسأت، أبغضت رجلاً من أهل الجنة، ثم أنشأ يحدث، قال: بينما رسول الله ﷺ على حراء ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، قال: «اثبت حراء ما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد».

أخبرنا أحمد بن عثمان بن أبي علي، أخبرنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور، أخبرنا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان، أخبرنا أبو بكر بن مردويه، حدثنا أحمد بن عبد الله بن أحمد، حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا أبو الأحوص، عن إبراهيم الأسدي، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية قال: قال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك يا عثمان ما قدّمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة».

أخبرنا أبو الفرج يحيى بن محمود الثقفي، أخبرنا الحسن بن أحمد وأن حاضر أسمع، أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبو بكر بن الخلال، حدثنا الحارث بن أبي أسامة (ح) قال أبو نعيم: وحدثنا عبد الله بن الحسن بن بNDAR، حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، قالوا: حدثنا روح بن عباد، حدثنا سعيد بن قتادة عن أنس، قال: صعد النبي ﷺ أحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف الجبل فقال: «أثبت نبي وصديق وشهيدان».

أخبرنا أبو البركات الحسن بن محمد بن هبة الله الشافعي الدمشقي، أخبرنا أبو العشائر محمد بن خليل القيسي، أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد بن علي المصيصي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم، حدثنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة الأذربلسي، حدثنا أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد بن سليمان البتا بصنعاء، حدثنا إبراهيم بن أحمد اليمامي، حدثنا يزيد بن أبي حكيم، حدثنا سفيان الثوري، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]، قال: نزلت في عشرة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن مسعود.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن أبي القاسم الحسين بن الحسن الأسدي، أخبرنا جدي أبو القاسم قال: قرأت على أبي القاسم علي بن محمد المصيصي، أخبرنا أبو نصر محمد بن أحمد بن هارون بن موسى بن عبد الله الغساني، أخبرنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة، حدثنا هلال بن العلاء، حدثنا أبي وعبد الله بن جعفر قالوا: حدثنا عبد الله بن عمر، عن زيد بن أبي أنيسة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال: حدثنا أبو سهلة مولى عثمان قال: قلت لعثمان يوم الدار: قاتل يا أمير المؤمنين، وقال عبد الله: قاتل يا أمير المؤمنين، قال: لا والله لا أقاتل، وعدني رسول الله ﷺ أمرًا فأنا صائرٌ إليه. قال: وحدثنا هلال، حدثنا أبي، حدثنا إسحق الأزرق، حدثنا أبو سفيان، عن الضحّاك بن مزاحم، عن النزال بن سبرة الهلالي، قال: قلنا لعلي:

يا أمير المؤمنين فحدثنا عن عثمان بن عفان، فقال: ذاك امرؤ يُدعى في الملائكة الأعلى ذا النورين، كان ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه، ضمن له بيتًا في الجنة.

أخبرنا إسماعيل بن عبيد وإبراهيم بن محمد وغيرهما بإسنادهم إلى محمد بن عيسى، قال: حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا يحيى بن اليمان، عن شيخ من بني زهرة، عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذياب، عن طلحة بن عبيد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي رفيق، ورفيقي - يعني في الجنة - عثمان». قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا أبو زرعة، حدثنا الحسن بن بشر، حدثنا الحكم بن عبد الملك، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رسول رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، قال: فبايع الناس، قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله»، فضرب بإحدى يديه على أخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيرًا من أيديهم لأنفسهم.

قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الوهاب الثقفي، حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث الصنعاني أن خطباء قامت في الشام فيهم رجال من أصحاب النبي ﷺ، فقام آخرهم رجل يقال له مرة بن كعب، فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت ذكر الفتن فقربها، فمر رجل مقنع في ثوب، فقال: «هذ يومئذ على الهدى»، فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم. ورؤي نحو هذا عن ابن عمر، قال: وحدثنا محمد بن عيسى، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا العلاء بن عبد الرحمن العطار، حدثنا الحارث بن عمير، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: كذا نقول ورسول الله ﷺ حي وأبو بكر وعمر وعثمان، فقليل في التفضيل، وقيل في الخلافة.

أخبرنا أبو ياسر بإسناده عن عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثني أبو قطن، حدثنا يونس، عن ابن أبي إسحاق، عن أبيه، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: أشرف عثمان من القصر وهو محصور، فقال: أشد بالله مني

سمع رسول الله ﷺ يوم حِراء إذ اهتزَّ الجبل فركله^(١) برجله ثم قال: «اسكن حِراء، ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» وأنا معه، فانتشد له رجال، ثم قال: أنشد بالله مَنْ شهد رسول الله ﷺ يوم بَيْعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين إلى أهل مَكَّة، قال: «هذه يدي وهذه يد عثمان»، فباع لي، فانتشد له رجال قال: أنشد بالله مَنْ شهد رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يوسع لنا هذا البيت في المسجد بيت له في الجنة»، فابتعته من مالي، فوسعت به في المسجد، فانتشد له رجال ثم قال: وأنشد بالله مَنْ شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة قال: «مَنْ ينفق اليوم نفقة متقبلة»، فجهزت نصف الجيش من مالي، فانتشد له رجال، قال: وأنشد بالله مَنْ شهد رومة يباع ماؤها من ابن السبيل فابتعتها من مالي فأبحثها ابن السبيل؟ فانتشد له رجال. قال: وحَدَّثنا عبد الله، حَدَّثنا أبي، حَدَّثنا عبد الصمد، حَدَّثنا القاسم، يعني ابن الفضل، حَدَّثنا عمرو بن مرة، عن سالم بن أبي الجعد قال: دعا عثمان ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمار بن ياسر، فقال: إني سائلكم وإني أحب أن تصدقوني، نشدتكم بالله أن تعلمون أن رسول الله ﷺ كان يُؤثر قريشًا على سائر الناس، ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكت القوم، فقال عثمان: لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم، فبعث إلى طلحة والزبير، فقال عثمان: ألا أحذثكم عنه - يعني عمارًا - أقبلت مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي نتمشى في البطحاء حتى أتى على أبيه وأمه يعذبون، فقال أبو عمار: يا رسول الله، الدهر هكذا؟ فقال له النبي ﷺ: «اصبر»، ثم قال: «اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت». قال: وحَدَّثنا أبي، حَدَّثنا حجاج، حَدَّثنا ليث، حَدَّثني عقيل، عن ابن شهاب، عن يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان حَدَّثاه أن أبا بكر استأذن على النبي ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مِرْطَ عائشة، فأذن له وهو كذلك، فقضى إليه حاجته ثم انصرف ثم استأذن عمر فأذن له، وهو على تلك الحال، فقضى إليه حاجته ثم انصرف قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة: «اجمعي عليك ثيابك» فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت، قالت عائشة: يا رسول الله لم أرك

(١) أي رفسه، ١٢. أي ركضه برجله، ١٢.

فزعزت لأبي بكر ولا عمر كما فزعزت لعثمان، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ عثمان رجلٌ حيي، وإني خشيت إن أذنت على تلك الحال أن لا يبلغ إلي حاجته». وقال اللّيث: قال جماعة الناس: ألا أستحي، ممّن تستحي منه الملائكة.

خلافته:

أخبرنا مسمار بن عمر بن العويس وأبو الفرج محمد بن عبد الرحمن الواسطي وغير واحد قالوا بإسنادهم إلى محمد بن إسماعيل، قال: حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا أبو عوانة، عن حصين، عن عمرو بن ميمون، قال: رأيت عمر قبل أن يُصاب بأيّام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان، وعثمان بن حنيف فقال: كيف فعلتما؟ أتخافا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالوا: حملناها أمرًا هي له مطيقة، وذكر قصة قتل عمر رضي الله تعالى عنه، قال: فقالوا له: أوّص يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحدًا أحقّ بهذا الأمر من هؤلاء التفر أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسَميَ عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرة سعد فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمّر فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة، وقال: أوصى الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يُعرف لهم حقّهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا الذين تبرّؤوا الدار والإيمان من قبلهم أن يُقبل مِنْ مُحسنهم، وأن يُغضى عن مُسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا، فإنهم رءاء الإسلام وجباة^(١) المال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرًا، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام، وأن يأخذ من حواشي أموالهم ويردّ على فقرائهم. وأوصيه بدمّة الله وذمّة رسوله، وأن يوفّي لهم بعهدهم، وأن يقاتل مِنْ ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم؛ فلَمّا قُبِض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسَلّم عبد الله بن عمر وقال: يستأذن عمر بن الخطاب، فقال - يعني عائشة - : أدخلوه، فأدخل، فوَضِع هنالك مع صاحبيه، فلَمّا فُرِغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن: اجعلوا

(١) في المصباح: جبيت المال والخراج أجبيته جباية: جمعته، انتهى. ١٢ منه عمّ فيضهم.

أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلى عليّ، وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن، فقال عبد الرحمن: أيكما يبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرون أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليّ والله عليّ أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالوا: نعم، فقال: بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه وبايع له عليّ وولج أهل الدار فبايعوه، وبُويع عثمان بالخلافة يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين بعد دفن عمر بن الخطاب بثلاثة أيام، قاله أبو عمر.

قُتل عثمان رضي الله تعالى عنه بالمدينة يوم الجمعة لثمان عشرة أو سبع عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة، قاله نافع. وقال أبو عثمان النهدي: قُتل في وسط أيام التشريق. وقال ابن إسحاق: قُتل عثمان على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرًا واثنين وعشرين يومًا من مقتل عمر بن الخطاب، وعلى رأس خمس وعشرين من متوفى رسول الله ﷺ. وقال الواقدي: قُتل يوم الجمعة لثمان ليالٍ خلت من ذي الحجة يوم التروية سنة خمس وثلاثين. وقد قيل إنه قُتل يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجة. وقال الواقدي: حصروه تسعة وأربعين يومًا، وقال الزبير: حصروه شهرين وعشرين يومًا.

أخبرنا عبد الوهاب بن هبة الله بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع، عن أبي معشر، قال: وقُتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يومًا، وقيل: كانت إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرًا وأربعة عشر يومًا، قال: وحدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا يونس، عن أبي يعفور العبدي، عن أبيه، عن أبي سعيد مولى عثمان بن عفان، أن عثمان أعتق عشرين مملوكًا - يعني وهو محصور - ودعا بسرًا ويل فشدّها عليه

.....

ولم يلبسها في جاهليّة ولا إسلام، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام ورأيت أبا بكر وعمر، وقالوا لي: اصبر، فإنك تقطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه، فقتل وهو بين يديه.

أخبرنا إبراهيم بن محمد وغير واحد بإسنادهم إلى أبي عيسى، قال: حدّثنا محمود بن غيلان، حدّثنا حجير بن المثنى، حدّثنا الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن ربيعة بن يزيد، عن عبد الله بن عامر، عن التّعمان بن بشير، عن عائشة أنّ النبي ﷺ قال: «يا عثمان، إنّ لعل الله يقمصك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم».

وأخبرنا أحمد بن عثمان بن أبي عليّ، أخبرنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور، أخبرنا أبو مسعود سليمان، أخبرنا أبو بكر بن مردويه، أخبرنا أبو علي بن شاذان، حدّثنا عبد الله بن إسحاق، حدّثنا محمد بن غالب، حدّثنا الفضل بن جُبَيْر الوراق، حدّثنا خالد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس أنّ النبي ﷺ قال لعثمان: «تُقتل وأنت مظلوم وتقطر قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله»، قال: فإنها إلى الساعة لفي المصحف، ولما حُصر عثمان وطال حصره والذين حصروه هم من أهل مصر والبصرة والكوفة ومعهم بعض أهل المدينة أرادوه على أن ينزع نفسه من الخلافة فلم يفعل، وخافوا أن تأتيه الجيوش من الشام والبصرة وغيرهما، ويأتي الحجّاج فيهلكوا فتسوّروا عليه فقتلوه رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وقد ذكرنا كيفيّة قتله وخلافته وجميع فتوحه وأحواله وما نعموا عليه حتى حصروه ومَن الذي حرّض الناس على الخروج عليه في كتاب الكامل في التاريخ، فلا نرى أن نطول بذكره ههنا، ولَمَّا قُتِل دُفِنَ ليلاً وصلى عليه جبیر بن مطعم، وقيل: حكيم بن حزام، وقيل: المسور بن مخرمة، وقيل: لم يصلّ عليه أحد مُنِعوا من ذلك، ودُفِنَ في حُشٍّ^(١) كوكب بالبقيع، وكان عثمان قد اشتراه وزاده في البقيع وحضره عبد الله بن الزبير وامراتاه أمّ البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية ونائلة بنت الفرافصة الكلبيّة،

(١) وَحُشٌّ كَوَكَبٍ موضع من المدينة المنورة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

فلَمَّا دُلوه في القبر صاحت ابنته عائشة، فقال لها ابن الزبير: اسكتي وإلا قتلتك، فلَمَّا دفنوه قال لها: صيحي الآن ما بدا لك أن تصيحي.

أخبرنا أبو ياسر بن أبي حبة بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، حَدَّثني عثمان بن أبي شيبة، حَدَّثنا جرير، عن جرير، عن أم موسى قالت: كان عثمان من أجمل الناس، وقيل: كان ربعة لا بالقصير ولا بالطويل، حسن الوجه، رقيق البشرة، كبير اللحية، أسمر اللون، كثير الشعر، ضخم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، كان يصفر لحيته ويشد أسنانه بالذهب، وكان عمره اثنتين وثمانين سنة، وقيل: ست وثمانون سنة، قاله قتادة. وقيل: كان عمره تسعين سنة، ورثاه كثير من الشعراء، قال حسان بن ثابت:

مَنْ سَرَه الموت صرفاه لا مزاج له فليأت مآدبة في دار عثمانا
ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحًا وقرآنًا
صبرًا فدى لكم أُمي وما ولدت قد ينفع الصبر في المكروه أحيانًا
لتسمعن وشيكًا في ديارهم الله أكبر يا ثارات عثمانا

وزاد فيها بعض أهل الشام أبياتًا لا حاجة إلى ذكرها، ومنها:

يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ما كان بين علي وابن عفا
وإنما زادوا فيها تحريضًا لأهل الشام على قتال علي ليقوى ظنهم أنه هو قتله، وقال حسان أيضًا:

إن تمس دار بني عفان مُحوشة باب صريع وباب محرق خرب
فقد يصادف باغي الخير حاجته فيها ويأوي إليها الجود والحسب
وقال القاسم بن أمية بن أبي الصلت:

لعمري لبس الذبح ضحيتم به خلاف رسول الله يوم الأضاحيا
ورثاه غيرهما من الشعراء، فلا نطول بذكره، أخرجه الثلاثة. اهـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، وفي تهذيب الأسماء.

رُوِيَ لعثمان رضي الله تعالى عنه مائة حديث وستة وأربعون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على ثلاثة، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بخمسة.

قوله: (وطلحة) بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، أبو محمد القرشي التيمي، وأمه الصعبة بنت عبد الله بن مالك الحضرمية، يُعرف بطلحة الخير وطلحة الفياض، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام، فأخذه ودخل به على رسول الله ﷺ، فلما أسلم هو وأبو بكر أخذهما نوفل بن خُوَيْلد بن العدوية فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم، وكان نوفل أشد قريش، فلذلك كان أبو بكر وطلحة يسميان القرينان. وقيل: إن الذي قرنهما عثمان بن عبيد الله أخو طلحة، فشدهما ليمنعهما عن الصلاة وعن دينهما، فلم يُجيباه فلم يرعهما إلا وهما مطلقان يصليان، ولما أسلم طلحة والزبير أخى رسول الله ﷺ بينهما بمكة قبل الهجرة، فلما هاجر المسلمون إلى المدينة آخى رسول الله ﷺ بين طلحة وبين أبي أيوب الأنصاري، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى، ولم يشهد بدرًا؛ لأنه كان في الشام، فقدم بعد رجوع رسول الله ﷺ من بدر، فكلم رسول الله ﷺ في سهمه، فقال: «لك سهم»، قال: وأجري؟ قال: «وأجرك»، فقيل: كان في الشام تاجرًا، وقيل: بل أرسله رسول الله ﷺ ومعه سعيد بن زيد إلى طريق الشام يتجسسان الأخبار ثم رجعا إلى المدينة، وهذا أصح؛ ولولا ذلك لم يطلب سهمه وأجره، وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، وبإيع بيعة الرضوان، وأبلى يوم أحد بلاءً عظيمًا، ووقى رسول الله ﷺ بنفسه واتقى عنه النبل بيده حتى شلت أصبعه وضرب ضربة على رأسه وحمل رسول الله ﷺ على ظهره حتى صعد الصخرة.

أخبرنا أبو الفرج بن أبي الرجاء الأصبهاني إجازةً بإسناده إلى أبي بكر بن أبي عاصم، حدثنا الحسن بن علي، حدثنا سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، أخبرني أبي، عن جدي، عن موسى بن طلحة، عن

أبيه طلحة، قال: سمّاني رسول الله ﷺ يوم أحد طلحة الخير، ويوم العسرة طلحة الفياض، ويوم خين طلحة الجود.

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن مهراّن الشافعي وغير واحد بإسنادهم إلى أبي عيسى محمد بن عيسى قال أبو سعيد الأشج: حدّثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جدّه عبد الله بن الزبير، عن الزبير قال: كان على رسول الله ﷺ يوم أحد درعان، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع، فأقعد تحته طلحة، فصعد النبي ﷺ حتى استوى على الصخرة، قال: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أوجب طلحة»، قال: وحدّثنا أبو سعيد الأشج، حدّثنا أبو عبد الرحمن بن منصور العنزي اسمه التضر، عن عقبة بن علقمة اليشكري، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول: سمعت أذني رسول الله ﷺ يقول: «طلحة والزبير جاري في الجنة».

أخبرنا أبو بكر ممشاد بن عمر بن العويس البّناء، أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي غالب الطالبة، أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الحسين الأنماطي، أخبرنا أبو طاهر المخلص، حدّثنا عبد الله بن محمد البغوي، حدّثنا داود بن رشيد، حدّثنا مكّي بن إبراهيم، حدّثنا الصّلت بن دينار، عن أبي نضرة، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى رَجْلَيْهِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ».

أخبرنا أبو الفضل المنصور بن أبي الحسن بن أبي عبد الله الطبري بإسناده عن أبي يعلى، عن أبي كُرَيْب، حدّثنا يونس بن بكير، عن طلحة بن يحيى، عن موسى وعيسى ابني طلحة، عن أبيهما أنّ أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاء يسأله عمّن قضى نحوه مَنْ هو؟ قال: فسأله الأعرابي فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إنني أطلعت من باب المسجد وعليّ ثياب خضر، فلما رأي رسول الله ﷺ قال: «أَيْنَ السَّائِلُ عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ؟» قال الأعرابي: أنا يا رسول الله، قال: «هَذَا مَنْ قَضَى نَحْبَهُ». وقُتِلَ طلحة يوم الجمل، وكان شهد ذلك اليوم محارباً لعليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما، فزعم

بعض أهل العلم أن عليًا دعاه، فذكره أشياء من سوابقه على ما قال للزبير، فرجع عن قتاله، واعتزل في بعض الصفوف، فرمى بسهم في رجله، وقيل: إن السهم أصاب شجرة نحره، فمات. رماه مروان بن الحكم.

روى عبد الرحمن بن مهدي، عن حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد، قال: قال طلحة يوم الجمل:

ندمت ندامة الكسعي لما شربت رضى بني جرم برغمي

اللهم خذ لعثمان مني حتى يرضى، وإنما قال ذلك لأنه كان شديدًا على عثمان رضي الله تعالى عنهما. وقال علي: لما بلغه مسير طلحة والزبير وعائشة منيت بأربعة: أدهى الناس وأسخاهم طلحة، وأشجع الناس الزبير، وأطوع الناس في الناس عائشة، وأكثر الناس غنى يعلى بن منبه، والله ما أنكروا علي شيئًا منكراً ولا استأثرت بمال ولا ملت بهوى، وإنهم يطلبون حقًا تركوه، ودما سفكوه، ولقد ولّوه دوني، وإن كنت شريكهم في الإنكار لما أنكروه، وما تبعة عثمان إلا عندهم بايعوني ونكثوا بيعتي، وما استبانوا في حتى يعرفوا جورى من عدلي، وإني لراض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم، وإني مع هذا لداعيهم ومعدر إليهم فاقبلوه، فالتوبة مقبولة والحق أولى ما انصرف إليه، وإن أبوا أعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من باطل وناصرًا.

وروي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة وعثمان والزبير ممن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّقْنَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وكان سبب قتل طلحة أن مروان بن الحكم رماه بسهم في ركبته، فجعلوا إذا أمسكوا فم الجرح انتفخت رجله، وإذا تركوه جرى، فقال: دعوه، فإنما هو سهم أرسله الله تعالى، فمات منه. وقال مروان: لا أطلب بثأري بعد اليوم، والتفت إلى أبان بن عثمان فقال: قد كفيتك بعض قلة أبيك. ودُفن إلى جانب الكلا، وكانت وقعة الجمل لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وكان عمره ستين سنة، وقيل: اثنتان وستون سنة، وقيل: أربع وستون سنة، وكان آدم حسن الوجه

كثير الشعر ليس بالجعد القطط ولا السبط، وكان لا يغير شبيهه، وقيل: كان أبيض يضرب إلى الحمرة، مربوعاً إلى القصر أقرب، رحب الصدر، عريض المنكبين، إذا التفت التفت جميعاً، ضخم القدمين. قال الشعبي: لما قُتل طلحة ورآه عليّ مقتولاً جعل يمسح التراب عن وجهه، وقال: عزيز عليّ أبا محمد أن أراك مجندلاً تحت نجوم السماء، ثم قال: إلى الله أشكو عجري وبجري، وترحم عليه، وقال: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة، وبكى هو وأصحابه عليه، وسمع عليّ رجلاً ينشد:

فتى كان يُدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

فقال: ذاك أبو محمد طلحة بن عبيد الله رحمه الله. قال سفيان بن عُيينة: كانت غلة طلحة كل يوم ألفاً وافيّاً. قال الواقدي: والوافي وزنه وزن الدينار هي وزن دراهم فارس التي تعرف بالبغليّة.

وروى حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن أبيه أنّ رجلاً رأى في منامه أن طلحة بن عبيد الله قال: حوّلوني عن قبري، فقد آذاني الماء، ثم رآه أيضاً حتى رآه ثلاث ليال، فأتى ابن عبلس فأخبره فنظروا فإذا شقه الذي يلي الأرض قد اخضر من نرّ الماء، فحوّلوه، فكأنني أنظر إلى الكافور في عينيه لم يتغير إلا عقيصته، فإنها مالت عن موضعها، فاشتروا له داراً من دور أبي بكر بعشرة آلاف درهم، فدفنوه فيها.

أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر، أخبرنا أبو الخطاب بن نصر إجازة إن لم يكن سماعاً، حدّثنا محمد بن أحمد بن رزق، حدّثنا مكرم بن أحمد القاضي، حدّثنا سعيد بن محمد أبو عثمان الأنجداني، حدّثنا إبراهيم بن الفضل بن أبي سويد، حدّثنا حماد بن سلمة، حدّثنا عليّ بن زيد، عن سعيد بن المسيّب أنّ رجلاً كان يقع في عليّ وطلحة والزبير، فجعل سعد بن مالك ينهائه ويقول: لا تقع في إخواني، فأبى فقام سعد فصلّى ركعتين ثم قال: اللهم إنّ كان مسخطاً لك فيما يقول فأرني فيه آفة واجعله للناس آية، فخرج الرجل فإذا هو ببختي يشق الناس، فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته والبلاط فسحقه حتى قتله، فأنا رأيت الناس

يتبعون سعدًا ويقولون: هنيتًا لك أبا إسحاق أُجيبَت دعوتك، أخرجهُ الثلاثة^(١). اهـ.
أسد الغابة في معرفة الصحابة، وفي تهذيب الأسماء.

رُويَ لطلحة عن رسول الله ﷺ ثمانية وثلاثون حديثًا، واتفقا منها على حديثين، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة. اهـ.

قوله: (والزبير) بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصي بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي القرشيّ الأسديّ، يُكنى أبا عبد الله، أمّه صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ، فهو ابن عمّة رسول الله ﷺ وابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي، وكانت أمّه تكنيه أبا الطاهر بكنية أخيها الزبير بن عبد المطلب، واكتنى هو بأبي عبد الله بابنه عبد الله، فغلبت عليه وأسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، قاله هشام بن عروة. وقال عروة: أسلم الزبير وهو ابن اثنتي عشرة سنة، رواه أبو الأسود عن عروة. وروى هشام بن عروة عن أبيه أنّ الزبير أسلم وهو ابن ست عشرة سنة، وقيل: أسلم وهو ابن ثمانين سنين، وكان إسلامه بعد أبي بكر رضي الله تعالى عنه بيسير، كان رابعًا أو خامسًا في الإسلام، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن مسعود، لما أخى بين المهاجرين بمكة، فلما قدم المدينة وأخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار أخى بينه وبين سلمة بن وقش.

أخبرنا أبو ياسر عبد الوهاب بن أبي حبة بإسناده إلى عبد الله بن أحمد، قال: حدّثني أبي، أخبرنا زكرياء بن عدي، أخبرنا علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن مروان ولا إخاله يتهم علينا قال: أصاب عثمان الرعاف سنة الرعاف حتى تخلف عن الحجّ وأوصى فدخل عليه رجل من قريش، فقال: استخلف، قال: وقالوه؟ قال: نعم، قال: مَنْ هو؟ قال: فسكت، ثم دخل عليه رجل آخر فقال مثل ما قال الأول وردّ عليه نحو ذلك، قال: فقال عثمان: الزبير بن العوام؟ قال: نعم، قال: أما والذي نفسي بيده إنّ كان لأخيرهم ما علمت وأحبهم إلى رسول الله ﷺ.

(١) أي: ب د ع، ١٢.

أخبرنا أبو الفداء إسماعيل بن عبيد الله وغير واحد بإسنادهم إلى أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، قال: حَدَّثَنَا هناد، أَخْبَرَنَا عبدة عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير قال: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم قَرْيَظَةَ، فقال: «بأبي وأُمِّي».

قال: وأخبرنا أبو عيسى، أخبرنا أحمد بن منيع، أخبرنا معاوية بن عمر، وأخبرنا زائدة، عن عاصم، عن زرّ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبيّ حوارياً، وحواريّ الزبير بن العوام»، وَرُوِيَ عن جابر نحوه، وقال أبو نعيم: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب لَمَّا قال: «مَنْ يَأْتِينَا بخبر القوم؟» قال الزبير: أنا، قالها ثلاثاً، والزبير يقول: أنا. قال: وأخبرنا أبو عيسى، أخبرنا قتيبة، أخبرنا حمّاد بن زيد، عن صخر بن جُويرية، عن هشام بن عروة، قال: أوصى الزبير إلى ابنه عبد الله صبيحة الجمل فقال: ما مني عضو إلّا قد جُرح مع رسول الله ﷺ، حتى انتهى ذلك إلى فرجه، وكان الزبير أول مَنْ سلَّ سيفاً في الله عزّ وجلّ، وكان سبب ذلك أَنَّ المسلمين لَمَّا كانوا مع النبي ﷺ بمكة وقع الخبر أَنَّ النبي ﷺ قد أخذه الكفار، فأقبل الزبير يشقّ الناس بسيفه والنبي ﷺ بأعلى مكة، فقال له: «ما لك يا زبير؟» قال: أَخْبِرْتُ أَنَّكَ أَجِذْتُ، فصلى عليه النبي ﷺ ودعا له ولسيفه، وسمع ابن عمر رجلاً يقول: أنا ابن الحواري، قال: إن كنت ابن الزبير، وإلّا فلا. وشهد الزبير بدرًا، وكان عليه عمامة صفراء معتجراً بها، فيقال: إِنَّ الملائكة نزلت يومئذ على سيما الزُّبير، وشهد المشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ أَحَدًا والخندق والحُدَيْبِيَّة وخيبر والفتح وَحُنَيْنًا والطائف، وشهد فتح مصر وجعله عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في السِّتَةِ أصحاب الشورى الذين ذكرهم للخلافة بعده، وقال: هم الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

أخبرنا أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله الدمشقي، قال: أخبرنا أبو العشائر محمد بن خليل بن فارس القيسي، أخبرنا أبو القاسم

علي بن محمد بن علي المصيصي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم بن أبي نصر، أخبرنا أبو خيثمة بن سليمان بن حيدرة، أخبرنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي، أخبرنا محمد بن الصباح، أخبرنا إسماعيل بن زكرياء، عن النضر أبي عمر الجراز، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما انتفض حراء قال: «اسكن حراء، فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد»، وكان عليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد وسعيد بن زيد.

أخبرنا عبد الوهاب بن هبة الله بن عبد الوهاب بإسناده، عن عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، أخبرنا سفيان، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن عبد الله بن الزبير بن العوام، عن أبيه قال: لما نزلت ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [الشكائر: الآية ٨]، قال الزبير: يا رسول الله، وأتي النعيم نسأل عنه؟ وإنما هما الأسودان: التمر والماء؟ قال: «أما إنه سيكون»، قيل: كان للزبير ألف مملوك يؤدّون إليه الخراج، فما يدخل إلى بيته منها درهمًا واحدًا، كان يتصدق بذلك كله، ومدحه حسان ففضّله على الجميع، فقال:

أقام على عهد النبي وهديه	حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه	يوالي ولي الحق والحق أعدل
هو الفارس الشهور والبطل الذي	يصول إذا ما كان يوم محجل
وإن امرؤا كانت صفية أمه	ومن أسد في بيته لمرفل
له من رسول الله قربى قريبة	ومن نصرة الإسلام مجد مؤئل
فكم كربة ذب الزبير بسيفه	عن المصطفى والله يعطي ويُجزل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها	بأبيض سباق إلى الموت يرفل
فما مثله فيهم ولا كان قبله	وليس يكون الدهر ما دام يذبل

وقال هشام بن عروة: أوصى إلى الزبير سبعة من أصحاب النبي ﷺ، منهم: عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، والمقداد، وابن مسعود وغيرهم، وكان يحفظ

على أولادهم مالهم ويُنفق عليهم من ماله، وشهد الزبير الجمل مقاتلاً لعلّي، فناداه عليّ ودعاه، فانفرد به وقال له: أتذكر إذ كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ فنظر إليّ وضحك وضحكت، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال: ليس بمزه، ولتقاتلته وأنت له ظالم، فذكر الزبير ذلك، فانصرف عن القتال، فنزل بوادي السباع، وقام يصلي، فأتاه ابن جرموز فقتله، وجاء بسيفه إلى عليّ فقال: إنّ هذا سيف طالما فرّج الكرب عن رسول الله ﷺ، ثم قال: بشّر قاتل ابن صفية بالنار، وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى من سنة ست وثلاثين، وقيل: إنّ ابن جرموز استأذن عليّ فلم يأذن له، وقال للأذن: بشره بالنار، فقال:

أتيت عليّاً برأس الزبير أرجو لسيده به الزلفة
فبشّر بالنار إذ جيئته فيئس البشارة والتحفة
وسيّان عندي قتل الزبير وضرطة عنز بذى الجحفة

وقيل: إنّ الزبير لما فارق الحرب وبلغ صفوان أتى إنسان إلى الأحنف بن قيس، فقال: هذا الزبير لقد لقي بصفوان، فقال الأحنف: ما شاء الله كان قد جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم حواجب بعض بالسيوف، ثم يلحق بيته وأهله، فسمعه ابن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع بن غواة من تميم، فركبوا فأتاه ابن جرموز من خلفه فطعنه طعنة خفيفة وحمل عليه الزبير وهو على فرس له يقال له ذو الخمار، حتى إذا ظنّ أنه قاتله نادى صاحبه، فحملوا عليه فقتلوه، وكان عمره لما قُتل سبعاً وستين سنة، وقيل: ستاً وستين سنة، وكان أسمر ربعة، معتدل اللحم، خفيف اللحية، وكثير من الناس يقولون: إنّ ابن جرموز قتل نفسه لما قال عليّ: بشّر قاتل ابن صفية بالنار، وليس كذلك، وإنما عاش بعد ذلك حتى وُلّي مصعب بن الزبير البصرة، فاختلفى ابن جرموز، فقال مصعب: ليخرج فهو آمن أيظنّ أنّي أقيده بأبي عبد الله، يعني أباه الزبير، ليس سواء، فظهرت المعجزة بأنه من أهل النار لأنه قتل الزبير رضي الله تعالى عنه، وقد فارق المعركة وهذه معجزة ظاهرة، أخرجه الثلاثة. اهـ.

﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ (حال مَنْ هم) في ﴿صُدُّوهُمْ﴾ والعامل فيها معنى الإضافة) ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ لما هو وسيلة إلى هذا الفوز العظيم وهو الإيمان ﴿وَمَا كُنَّا﴾ (ما كنا بغير «واو»: (شامي على أنها جملة موصحة) للاولى ﴿لِنَهْدِي لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (اللام لتوكيد النفي) أي وما كان يصح أن نكون

قوله: (حال مَنْ هم في ﴿صُدُّوهُمْ﴾) لما تقرر من أن انتصاب الحال من المضاف إليه جائز إذا كان المضاف جزء من المضاف إليه. قوله: (والعامل فيها معنى الإضافة)، هكذا ذكره أبو البقاء. وفي إعراب السمين: لا كما ذكره أبو البقاء من أن العامل هو معنى الإضافة، بل العامل في الحال هو العامل في المضاف، وإن كانت الحال ليست منه؛ لأنهما لما كانا متضايفين وكانا مع ذلك شيئاً واحداً ساغ ذلك. اهـ. وقال العلامة شيخ زاده: ويكون العامل في الحال هو العامل في المضاف، وجاز ذلك، وإن لم يكن الحال من هيئات المضاف بناءً على أن المضاف والمضاف إليه لما كانا بمنزلة شيء واحد صارت هيئة المضاف إليه كأنها من هيئات المضاف، قال مقاتل في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]، وذلك أن أهل الجنة لما انتهوا إلى باب الجنة إذا هم بشجرة ينبع من أصل ساقها عINAN، فيميلون إلى إحداها فيشربون منها، فيخرج الله منهم ما كان في أجوافهم من غلٍّ وقدر فيطهر أجوافهم بذلك، وهو الشراب الطهور المذكور في قوله تعالى: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: الآية ٢١]، ثم يميلون إلى العين الأخرى فيغتسلون منها، فيطيب الله تعالى أجسامهم من كل دَرَن، وجرت عليهم النظرة؛ فلا تشعث رؤوسهم ولا تتغير وجوههم ولا تشحب، أي لا تتغير أجسادهم، ثم ييسرهم خَزَنَةُ الجنة قبل أن يدخلوها فينادونهم أن تلك الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون، فلما استقروا في منازلهم، قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: الآية ٤٣] أي لدينه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْدِي لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]. اهـ.

قوله: ﴿وَمَا كُنَّا﴾ بغير واو (شامي) أي ابن عامر الشامي، والباقون بإثباتها. قوله: (على أنها جملة موصحة) أي جارية مجرى التفسير؛ لقوله: ﴿هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]، وكما اتصال إحدى الجملتين بالأخرى يمنع العطف. قوله: (اللام لتوكيد النفي) اختيار لمذهب الكوفيين، فإنهم ذهبوا في مثله إلى أن

مَهْتَدِينَ لَوْلَا هُدَايَةَ اللَّهِ، وَجَوَابُ «لَوْلَا» محذوف (دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ) ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ فكان لطفًا لنا وتنبئها على الاهتداء فاهدينَا، يقولون ذلك سرورًا بما نالوا وإظهارًا لما اعتقدوا ﴿وَنُودُوا أَنْ تَتَكَلَّمُ الْجَنَّةُ﴾ «أَنْ» مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، والجملة بعدها خبرها تقديره ونودوا بأنه تلکم الجنة. والهاء ضمير الشأن، (أو بمعنى) أي كأنه قيل لهم تلکم الجنة ﴿أُورِثُوهَا﴾ (أعطيتموها) وهو حال من ﴿الْجَنَّةِ﴾ والعامل فيها ما في ﴿تَلَكَّ﴾ من معنى الإشارة ﴿يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سماها ميراثًا لأنها لا تستحق بالعمل بل هي محض فضل الله وعده على الطاعات كالميراث من الميت ليس بعوض عن شيء بل هو صلة خالصة. وقال

لام الجحود مع ما بعدها واقعة موقع خبر كان، ويزعمون أن الفعل المنصوب بعد اللام لا بإضمار أن بعد اللام، وأن اللام زائدة لتأكيد النفي، وعند البصريين: خبر كان محذوف، ولام الجحود متعلق بذلك الخبر المحذوف، وينتصب الفعل الواقع بعد اللام بإضمار أن، والتقدير: وما كنا يريدن للاهتداء لولا هداية الله لنا موجودة، وتقدير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٤٣] وما كان الله مريدًا لإضاعة إيمانكم، أي أعمالكم، التي هي ثمرات إيمانكم. قوله: (دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ) وهو ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْدِيَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]، والتقدير: ولولا هداية الله لنا موجودة ما اهتدينا.

قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ جواب قسم مقدر والباء في قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣] يجوز أن تكون للتعذية، وأن تكون للحال، أي جاؤوا ملتبسين بالحق. **قوله:** (أو بمعنى) أي لأن المناداة من القول.

قوله: (أعطيتموها) يعني أن الميراث مجاز عن الإعطاء، فإن قيل: هذه الآية تدل على أن العبد يدخل الجنة بعمله، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، وإنما تدخلونها برحمة الله تعالى وفضله»، فما وجه التوفيق بينهما؟ فالجواب: أن العمل لا يوجب دخول الجنة لذاته، وإنما يوجبه من حيث إن الله تعالى جعله بفضله علامة عليه وعد بذلك في مقابله، ولما كان الموفق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنة في الحقيقة ليس إلا بفضل الله تعالى.

(الشيخ أبو منصور) رحمته الله: إن المعتزلة خالفوا الله فيما أخبر ونوحًا عليه السلام وأهل الجنة والنار و(إبليس)، لأنه قال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: الآية ٩٣] وقال (نوحًا) عليه السلام: ﴿وَلَا يَفْعَلُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: الآية ٣٤]، وقال أهل الجنة: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ وقال أهل النار: ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَتْكُمْ﴾ [إبراهيم: الآية ٢١] وقال (إبليس) ﴿فِيمَا أَغْوَيْتَنِي﴾.

قوله: (الشيخ أبو منصور) محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، كان من كبار العلماء، كان يقال له إمام الهدى، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب ردّ أوائل الأدلة للكعبي، وكتاب بيان وهم المعتزلة، وكتاب تأويلات القرآن، وهو كتاب لا يُوازيه فيه كتاب، بل لا يُدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن، وله كتب شتى. مات رحمه الله تعالى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند، وكذا وجدته بخط شيخنا أبي الحسن علي الحنفي ورأيت بخط شيخنا قطب الدين عبد الكريم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة رحمته الله. اهـ الجواهر المضيئة.

قوله: (نوحًا) اسم أعجمي، والمشهور صرفه، وقيل: يجوز صرفه وترك صرفه، قال الإمام الثعلبي في كتابه العرايس: هو نوح بن ملك بن متوشلح بن أخنوخ بن يزد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم على نبينا وعليهم الصلوة والسلام. أرسله الله تعالى في ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث، قال ابن عباس: وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صباحًا وفي النساء دمامة، وكان نساء السهل صباحًا وفي رجالهن دمامًا، فكثرت الفاحشة في أولاد قابيل، وكانوا قد كثروا في طول الأزمان وأكثروا الفساد، فأرسل الله تعالى إليهم نوحًا على نبينا وعليه الصلوة والسلام، وهو ابن خمسين سنة، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم كما أخبر الله تعالى في كتابه العزيز ويحذرهم ويخوفهم، فلم ينزجروا، ولهذا قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۖ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ۖ﴾ [نوح: الآية ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ﴾ [الشخم: الآية ٥٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الذاريات: الآية ٥٢].

.....

الآية ٤٦]، ولما طال دعاؤه لهم وإيذاؤهم له وتماديهم في غيهم سأل الله تعالى، فأوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، فلما أخبر أنه لم يبق في الأصلاب ولا في الأرحام مؤمن دعا عليهم، فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: الآية ٢٦] إلى آخرها، فأمره الله تعالى باتخاذ السفينة، فقال: يا رب، وأين الخشب؟ فقال: اغرس الشجر، فغرس الساج وأتى على ذلك أربعون سنة، وكف عن الدعاء عليهم وأعقم الله أرحام نسائهم فلم يولد لهم ولد، فلما أدرك الشجر أمره الله تعالى بقطعه وتجفيفه وصنعه الفلك، وأعلمه كيف يصنعه وجعل بابه في جنبه، وكان طول السفينة ثمانين ذراعًا وعرضها خمسين وسمكها إلى السماء ثلاثين ذراعًا، والذراع إلى المنكب. وعن ابن عباس: أن طولها ستمائة وستون ذراعًا، وعرضها ثلاثمائة وثلاثون ذراعًا، وسمكها ثلاثة وثلاثون ذراعًا، وأمر الله تعالى أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين من الحيوان وحشها الله تعالى إليه من البر والبحر. قال مجاهد وغيره: كان التتور الذي ابتدأ الفوران منه في الكوفة، ومنها ركب نوح السفينة. وقال مقاتل: هو بالشام بقرية يقال لها عين الوزدة قريب من بعلبك. وعن ابن عباس: أنه بالهند، قالوا: وأول ما حمل في السفينة من الدواب الذرة، وآخره الحمار، وجعل السباع والدواب في الطبقة السفلى، والوحوش في الطبقة الثانية، والذرّ والآدميين في الطبقة العليا. قيل: كان الآدميون الذين في السفينة سبعة: نوح وبنوه سام وحام ويافث وأزواج بنيهم، وقيل: ثمانية، وقيل: عشرة، وقيل: اثنان وسبعون، وقيل: ثمانون من الرجال والنساء، حكاه ابن عباس. وعن ابن عباس: أن الماء ارتفع حين سارت السفينة على أطول جبل من الأرض خمسة عشر ذراعًا، قال: وطافت السفينة بأهلها الأرض كلها في ستة أشهر، ثم استقرت على الجودي وهو جبل بأرض الموصل، وكان ركوبهم السفينة لعشر خلون من رجب ونزلوا منها يوم عاشوراء من المحرم، وبنى هو ومن معه في السفينة حين نزلوا البناء بتاقردي من أرض الجزيرة، ولما حضرته الوفاة وصّى إلى ابنه سام، وكان سام قد ولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة، ويقال: إنه كان بكره، وقيل: كان نوح أطول الأنبياء عمرًا، ولم ينقص له قوة والناس بعده من ذريته، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ﴾ [الضافات: الآية ٧٧].

قوله: (إبليس) عدوّ الله، قال الجوهري وغيره: كنيته أبو مُرّة، واختلف العلماء في أنه من الملائكة مِنْ طائفة يقال لهم: الجنّ أم ليس من الملائكة، وفي أنه اسم عربيّ أم عجميّ، والصحيح أنه من الملائكة، وأنه عجميّ. قال الإمام أبو الحسن الواحدي: قال أكثر أهل اللغة والتفسير: سُمّي إبليس لأنه أبلَس من رحمة الله تعالى، أي آيس والمبلس المكتئب الحزين الآيس، قال: وعلى هذا هو عربيّ مشتق، قال: وقال ابن الأنباريّ: لا يجوز أن يكون مشتقًا من أبلَس؛ لأنه لو كان مشتقًا لصرف كما أن إسحق إذا كان عربيًا مأخوذًا من أسحقه الله إسحقًا انصرف، فلو كان إبليس مشتقًا لصرف كإكليل وبابه، فلما لم يصرف دلّ على أنه عجميّ، والعجميّ ليس مشتقًا.

وقال ابن جرير: إنما لم يُصرف، وإن كان عربيًا لقلة نظيره في كلام العرب فشبهوه بالأعجميّ، وهذا الذي قاله ابن جرير يبطل باب إفعيل، فإنه مصروف كلّه إلا إبليس، قال الواحدي: والاختيار أنه ليس بمشتق لإجماع النحويّين على أنه مُنِع الصرف للعجمة والمعرفة، قال: واختلفوا في أنه من الملائكة، فروي عن طاوس ومجاهد عن ابن عباس أنه كان من الملائكة، وكان اسمه عزازيل، فلما عصى الله لعنه الله وجعله شيطانًا مريدًا وسماه إبليس، وبهذا قال ابن مسعود وابن المسيّب وقتادة وابن جريج وابن جرير، واختاره الزجاج وابن الأنباريّ، قالوا: وهو مستثنى من جنس المستثنى منه، قالوا: وقول الله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف: الآية ٥٠] أي طائفة من الملائكة يقال لهم: الجنّ، وقال الحسن وعبد الرحمن بن زيد وشَهْر^(١) بن حَوْشب: ما كان من الملائكة قطّ، والاستثناء منقطع والمعنى عندهم أنّ الملائكة وإبليس أمروا بالسجود، فأطاعت الملائكة إلا إبليس الأُمّر بالسجود، والصحيح أنه من الملائكة لأنه لم يُنقل أن غير الملائكة أُمر بالسجود، والأصل في الاستثناء أن يكون من جنس المُستثنى منه، والله أعلم. وأما إنظاره إلى يوم الدين؛ فزيادة في عقوبته وتكثير معاصيه وعوابه نسال الله الكريم اللطيف وخاتمة الخير.

(١) بفتح الشين وسكون هاء وراء. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ «أن» مخففة من الثقيلة أو مفسرة وكذلك ﴿أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا﴾ حال ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا﴾ وتقديره وعدكم ربكم فحذف «كم» لدلالة ﴿وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ عليه. وإنما قالوا لهم ذلك (شماتة) بأصحاب النار واعترافاً بنعم الله تعالى ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ (وبكسر العين) حيث كان: (علي) ﴿فَأَذَّنَ﴾

قوله: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَصْحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾، أي إغواءكم وجواب الشرط دل عليه ولا ينفعكم نصحي. اهـ جلالين. **قوله:** ﴿فِيمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أضللتني، أي فبسبب إغوائك إيتاي والباء يتعلّق بفعل القسم المحذوف، وتقديره: فبسبب إغوائك نقسم أو تكون الباء للقسم، أي فأقسم ياغوائك.

قوله: (شماتة) وهي الفرح ببلية العدو، فإن أصحاب النار كانوا يؤذون المؤمنين ويعيرونهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المطففين: الآية ٢٩] إلى قوله: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [المطففين: الآية ٣٤] تشفيًا لقلوبهم وزيادة تعذيب للكفار. قيل: في وجه تيسر المنادة والمكالمة بين أهل الجنة والنار أن الجنة عالية وجهنم سافلة متسفلة، فيكون أهل الجنة مشرفين على أهل النار مع أن بُعد ما بين الجنة لا يعلم مقداره إلا الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الصفافات: الآية ٥٥]، فأمكن لهم تقريع أهل النار وتحسيرهم بقولهم: هل وجدتم ما وعد ربكم من سعادة من أطاعه وعقوبة من عصاه، فإن كل واحد منهما كان يحزنهم أشد الحزن ويوقعهم في الحسرة، فأطلق عليه الوعد؛ لأنه يستعمل في الخير والشر، مع أن بعضه هو الخير الجليل في حق المؤمنين. **قوله:** (وبكسر العين) حيث كان (علي) الكسائي، والباقون بالفتح وهما لغتان لما روي أن عمر رضي الله تعالى عنه سأل قومًا على شيء، فقالوا: نعم بفتح العين، فقال: إنما النعم الإبل، قالوا: نعم بكسر العين والفتح لغة أهل الحجاز وعامة العرب.

مُؤَذَّنٌ بَيْنَهُمْ ﴿٤٥﴾ نادى مناد وهو ملك يسمع أهل الجنة والنار ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (أَنْ لَعْنَةُ مكي وشامي) وحمزة وعلي.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعُوقِبُونَ عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفُورُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ وَيَبْنِيَانِ حِجَابًا وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَكَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِمَ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٧﴾

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَعُوقِبُونَ عِوَجًا﴾ مفعول ثانٍ لـ «يعوقبون» أي ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾ بالدار الآخرة ﴿كَفُورُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ (ويبنيان) وبين الجنة والنار أو بين الفريقين ﴿حِجَابًا﴾ وهو السور

قوله: (أَنْ لَعْنَةُ) بتشديد أن ونصب التاء، (مكي) أي ابن كثير المكي برواية البزّي، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة المؤذن المكي برواية البزّي، وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة المؤذن المكي يُكنى أبا الحسن ويُعرف بالبزّي، توفي بمكة بعد سنة أربعين ومائتين، واختلف عن قبل، وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جرحة المكي يُكنى أبا عمرو ويلقب قنبلاً وتوفي بمكة بعد سنة ثمانين ومائتين، وهو يروي القراءة عن ابن كثير المكي، فروى عنه بإسكان النون مخففة ورفع لعنة وبتشديد النون ونصب لعنة، (وشامي) أي ابن عامر الشامي وحمزة وعلي الكسائي. والباقون بتخفيف النون ورفع التاء.

قوله: (﴿وَيَبْنِيَانِ﴾) ... الخ. اختلف الناس في حقية الأعراف، وهذه الآيات ناطقة بها، وهو المختار عندنا، ومعنى الآية: وبينهما، أي بين الجنة والنار، أو بين أهلها حجاب مضروب، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُرُودًا لَمْ يُبَأْ بِآبِ﴾ [الحديد: الآية ١٣]. ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦] أي أعراف الحجاب، يعني أعاليه رجال يعرفون كلًّا من أصحاب الجنة والنار بسيماهم، أي بعلامة منهم مثل بياض الوجه أو سوادها بالإلهام أو التعليم، وهؤلاء الرجال إما أعالي المسلمين أو أدانيهم.

وقال الإمام الزاهد: إن الأعراف تلّ من المسك الأبيض، وعليه رجال يشهدون في سبيل الله أو يموتون في طلب العلم من غير رضا الوالدين فيُحبسون بشومة العقوق عن دخول الجنة إلّا بعد مدة. وقال ابن مسعود: هم قوم استوت

المذكور في قوله: ﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمُ بُرُوجًا﴾ [الحديد: الآية ١٣] ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ على

حسناتهم وسيئاتهم، فلا يُسرعون إلى الجنة والنار. وقال صاحب المدارك: رجال من أفاضل المسلمين أو من آخرهم دخولاً في الجنة لاستواء حسناتهم وسيئاتهم، أو مَنْ لم يَرْضَ عنه أحد أبويه أو أطفال المشركين. وقال الخيالي أيضاً: إن أهلها قيل الذين ماتوا في زمان فترة من الرُّسل، أو أطفال المشركين، أو مَنْ استوى حسناته مع سيئاته. وقال القاضي: طائفة من الموحدين قصَّروا في العمل، فيُحبسون بين الجنة والنار، حتى يقضي الله فيهم ما يشاء. وقيل: قومٌ علت درجاتهم كالأنبياء والشهداء وخيار المؤمنين وعلمائهم، أو الملائكة يُرَوَّن في صورة الرجال. وفي الحسيني عن الشعبي: أنهم عباس وحمزة وعلي وجعفر الطيار رضي الله تعالى عنهم، وعلى كل حال فهو حق بلا شبهة لا يَشْكُ فيها إلا منافق، واعترف بها صاحب الكشف أيضاً مع أنه من المعتزلة، غاية الأمر أنها ليست دار القرار والخلد. ثم قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦]، أي نادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنة بالتسليم والتحية، ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦] أي لم يدخل أصحاب الأعراف الجنة مع طمعهم إياها أن كان أهلها مِنْ أصاغر أهل الجنة، أو لم يدخل أصحاب الجنة الجنة الآن مع طمعهم أن كان المراد به أفاضلهم؛ فعلى الأول حال من الفاعل، أعني الواو. وعلى الثاني من المفعول، أعني الأصحاب على ما في البيضاوي، ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٤٧] أي أبصار أصحاب الأعراف إلى أصحاب النار، قالوا: نعوذ بالله ربنا ﴿لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٧]، وفيه إشارة إلى أن صارفاً يصرف أبصارهم بإذن الله لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا. وقال الإمام الزاهد: إن الملائكة يصرفون أبصارهم بإذن الله تعالى، وإنه دليل على استجابة دعاء المؤمن يوم القيامة، فكيف لا يُستجاب في الدنيا. ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٤٨]، أعني الكفرة الذين يستحقرون في الدنيا فقراء المؤمنين، ويظنون أنهم يدخلون الجنة للأموال دون الفقراء المؤمنين، فقالوا لهم ما أغنى عنكم يا أيها الكفرة جمعكم، أي اجتماعكم وكثرتكم أو جمعكم المال، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٨] عن الحق أو الخلق، أهؤلاء الفقراء المؤمنون الذين أقسمتم في الدنيا في شأنهم أنهم لا ينالهم

أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار (وهي) أعاليه جمع عرف، استعير من (عُرف الفرس وعُرف الديك) ﴿رِجَالٌ﴾ من أفاضل المسلمين أو من آخرهم دخولاً في الجنة لاستواء حسناتهم وسيئاتهم، أو مَنْ لم يرض عنه أحد أبويه أو أطفال المشركين ﴿يَعْرِفُونَ كَلًّا﴾ من زمرة السعداء والأشقياء ﴿يَسْمَعُهُمْ﴾ بعلامتهم. قيل: سيما المؤمنين بياض الوجوه (ونضارتها). وسيما الكافرين سواد الوجوه (وزرقة العيون) ﴿وَنَادَوْا﴾ أي أصحاب الأعراف ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾ أنه سلام أو أي سلام وهو تهنئة منهم لأهل الجنة ﴿لَدْخُلُوهَا﴾ أي أصحاب الأعراف ولا محل له لأنه استئناف كأن سائلاً سأل أصحاب الأعراف ف قيل: ﴿لَدْخُلُوهَا﴾ ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ في دخولها أوله محل وهو صفة لـ ﴿رِجَالٌ﴾.

الله برحمة، ثم التفتوا إلى الفقراء المؤمنين، فقالوا لهم: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٩]، وهذا على أن يكون أهل الأعراف أرادهم، وقيل؛ لما عثر أصحاب الأعراف أهل النار أقسموا أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة، فقال الله تعالى وبعض الملائكة لهم: ﴿أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الأعراف: الآية ٤٩]، ادخلوا يا أهل الأعراف الجنة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٩]؛ هذا كله ذُكر في البيضاوي خاصة. وفي الحسيني: أن فقراء المؤمنين بلال وصهيب وعمار وغيرهم، وأن الكفار المتكبرين: أبو جهل وعاص بن وليد وغيرهم، هذا ما فيه. اهـ. التفسيرات الأحمدية.

قوله: (وهي) أي الأعراف. قوله: (عُرف الفرس وعُرف الديك) في المصباح: عُرف الديك لحمه مستطيلة في أعلى رأسه يشبه به بَطَرُ الجارية، وعُرف الدابة الشعر النابت في محذب رقبتها. اهـ. وأيضاً فيه الديك ذكر الدجاج، والجمع ديوك وديكة، وزان عنة. اهـ. وأيضاً فيه البطر لحمه بين شفري المرأة، وهي القلفة التي تقطع في الختان، والجمع بطور وأبظر مثل فلس وفلوس وأفلس، والجمع أشفار. اهـ. قوله: (نضارتها) في المصباح: نضر الوجه بالضم نضارة حسن، فهو نضير. اهـ. قوله: (زرقة العيون) في المصباح: الزرقة من الألوان والذكر أزرق، والأنثى زرقاء، والجمع زرق مثل أحمر وحمراء وحممر، ويقال للماء الصافي أزرق، والفعل زرق من باب تعب. اهـ.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ أبصار أصحاب الأعراف، وفيه أن صارفاً يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ﴿تِلْقَاءَ﴾ ظرف أي ناحية ﴿أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ورأوا ما هم فيه من العذاب ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فاستعاذوا بالله و(فزعوا إلى رحمته) أن لا يجعلهم معهم ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من رؤوس الكفرة ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ المال أو كثرتم واجتماعكم و«ما» نافية ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ واستكباركم على الحق وعلى الناس ثم يقولون لهم:

﴿أَهْؤَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أَهْؤَلَاءَ﴾ مبتدأ ﴿الَّذِينَ﴾ خبر مبتدأ مضمّر تقديره أهؤلاء هم الذين ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾ حلفتهم في الدنيا، والمشار إليهم فقراء المؤمنين (كصهيب وسلمان الفارسي) ونحوهما ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ جواب ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾ وهو داخل في صلة ﴿الَّذِينَ﴾ تقديره أقسمتم عليهم بأن لا ينالهم الله برحمة أي لا يدخلهم الجنة يحتقرونهم لفقرهم. فيقال لأصحاب الأعراف: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ وذلك بعد أن نظروا إلى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ما قالوا ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾

قوله: (فزعوا إلى رحمته) في المصباح: فزعت إليه لجأت، وهو مفزع أي ملجأ. اهـ.

قوله: (كصهيب) بن سنان، أبو يحيى الرومي، أصله من الثمر، يقال: كان اسمه عبد الملك، وصهيب لقب صحابي شهير مات بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في خلافة علي، وقيل غير ذلك. اهـ تقريب.

قوله: (وسلمان الفارسي) بكسر الراء وتسكن، الصحابي أول مشاهده مع رسول الله ﷺ الخندق، ولم يتخلف عن مشهد بعدها، وكان من فضلاء الصحابة وزهادهم وعلمائهم وذوي القرب من رسول الله ﷺ، ونقلوا اتفاق العلماء على أن

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنِ افْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴿٥٠﴾ أَنْ الْجَنَّةِ فَوْقَ النَّارِ ﴿٥١﴾ أَوْ مِنَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴿٥٢﴾ (من غيره) من الأشربة لدخوله في حكم الإفاضة، أو أريد: أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة (كقولك):

علفتها تبناً وماءً بارداً

سلمان الفارسي عاش مائتين وخمسين سنة، وقيل: ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل: أدرك وصي^(١) عيسى ابن مريم. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ ستون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة، ولمسلم ثلاثة. توفي بالمداين في أول ست وثلاثين، وقيل: سنة خمس وثلاثين.

قوله: (من غيره) من الأشربة لدخوله في حكم الإفاضة، فإن الأصل في الإفاضة أن تُستعمل في الماء وما يجري مجراه من المائعات، فلما عطف ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ﴾ [الأعراف: الآية ٥٠] على قوله: ﴿مِنَ الْمَاءِ﴾ [الأعراف: الآية ٥٠] بكلمة أو كان المطلوب إفاضة أحد الأمرين اللذين يتعلق بهما فعل الإفاضة، فناسب أن يحمل ما رزقكم على المرزوق الكائن من جنس الأشربة، وإن حمل على ما هو من جنس الأطعمة يكون الكلام من قبيل ما حُذِفَ فيه المعطوف مع بقاء العاطف، ويكون التقدير: أفيضوا علينا شيئاً يسيراً من الماء، وألقوا علينا شيئاً يسيراً مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة، ومثله كثير في كلام العرب. **قوله:** (كقولك) وفي نسخة صحيحة: كقوله:

علفتها تبناً وماءً بارداً

أي علفتها تبناً وأسقيتها ماءً بارداً، وضمير علفتها للدابة، وتماه:

حتى شئت همالاً عيناها

وشت يُروى له بدله بدت، ومعناها واحد، هكذا في الإسعاف. وقال العلامة شيخ زاده رحمه الله: يقال: شتوت بموضع كذا إذا أقمت به في

(١) وفي الإصابة في معرفة الصحابة يقال: إنه أدرك عيسى ابن مريم، وقيل: بل أدرك وصي عيسى، انتهى. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة قال أبو نعيم كان سلمان من المعمرين، يقال: إنه أدرك عيسى ابن مريم، وقرأ الكتابين. ١٢ منه عم فيضهم.

أي وسقيتها. وإنما سألوا ذلك مع بأسهم عن الإجابة لأن المتحير ينطق بما يفيد وبما لا يفيد ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ هو تحريم منع كما في ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: الآية ١٢] وتقف هنا إن رفعت أو نصبت ما بعده ذمًا، وإن جررته وصفًا للكافرين فلا.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِتَابِعِينَ يَجْحَدُونَ﴾ ﴿٥١﴾

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ فحرموا وأحلوا ما شاءوا أو دينهم: عيدهم ﴿وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ اغتروا بطول البقاء ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ﴾ نتركهم في العذاب ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِتَابِعِينَ يَجْحَدُونَ﴾ (أي كنسيانهم وجحودهم).

الشتاء. اهد. وهماله من هملت العين إذا صبت دمعها ونصبه على التمييز، والبيت من الرجز. قال العيني في شواهد الكبرى: هو مشهور بين العوام، ولم أرَ مَنْ عزاه وكذا رواه النحاة قاطبةً وسائر المُحَشِّين، وكذا العلامة الشيرازي والفاضل اليميني وأوردوا صدره في الذاريات عجزًا وأنشد صدرًا له غيره، هكذا:

لما حططت الرحل عنها وارداً علفتها تبناً وماءً بارداً

قوله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ تحريم منع لا تحريم شرع، أي منعناه أن يرضع ثدياً غير ثدي أمه، فكان لا يقبل ثدي مرضع حتى أهمهم ذلك، والمراضع جمع مرضع، وهي المرأة التي تُرضع، أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع، يعني الثدي، أو الرضاع، كذا أورده المصنف رحمة الله عليه في تفسير سورة القصص.

قوله: (أي كنسيانهم وجحودهم) إشارة إلى أن كلمة ما في قوله: ﴿وَمَا كَانُوا﴾ [الأعراف: الآية ٥١] مصدرية مجرورة المحل عطفاً على أختها المجرورة بالكاف التي هي محل النصب على أنها صفة مصدر محذوف، أي ننسأهم كنسيانهم لقاء يومهم هذا، وكونهم منكبين أن الآيات من عند الله تعالى.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ﴾ ميزنا حلاله وحرامه ومواعظه وقصصه ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (عالمين) بكيفية تفصيل أحكامه ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ حال من منصوب ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ كما أن ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال من مرفوعة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ إلا عاقبة أمره وما يؤول إليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ تركوه وأعرضوا عنه ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ﴾ أي تبين وصح أنهم جاءوا بالحق فأقروا حين لا ينفعهم ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ جواب الاستفهام ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ (جملة معطوفة على جملة قبلها داخله معها) في حكم الاستفهام كأنه قيل: فهل لنا من شفعاء، أو هل نرد؟ (ورافعه) وقوعه موقعًا يصلح للاسم كقولك (ابتداء) «هل

قوله: (عالمين) يعني أن على علم حال من فصلنا، ونكر علمًا للتعظيم.
قوله: (جملة معطوفة على جملة قبلها)، وهي قوله: ﴿لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ﴾ [الأعراف: الآية ٥٣]، وهي مبتدأ وخبر ومن زائدة؛ لأن الكلام منفى معنى. اهـ. وإن لزم عطف الجملة الفعلية على الاسم على أن هل يستدعي الفعلية، كأنه عطف الفعلية على مثلها، وفائدة العدول إظهار القصد إلى توخي الشفعاء، وأنه أهم شيء عنه، قال صاحب المفتاح: هل ادعى للفعل من الهمزة فترك الفعل معه يكون أدخل في الإنباء عن استدعاء المقام عدم التجدد، ومن ثم أدخل من الاستغراقية على الشفعاء. اهـ ط. اهـ محشي ٢٢٢. قوله: (داخله) صفة بعد صفة (معها) أي الجملة الأولى. اهـ محشي ٢٢٢. قوله: (ورافعه) ... الخ. وهو إشارة إلى أن العامل في رفع المضارع معنوي، وهو ما ذكره. اهـ محشي. قوله: (ابتداء) يعني ابتداء في الكلام؛ لأن الابتداء صالح لأن يقع فيه الاسم والفعل المضارع، وأما الماضي لما انتفى استحقاقه الأعراف انتفى ما هو مبني عليه، وهو استحقاقه الرفع. اهـ. ط. اهـ. محشي ٢٢٢.

يضرب زيد»، أو عطف على تقدير: هل يشفع لنا شافع أو هل نرد ﴿فَنَعْمَلُ﴾ جواب الاستفهام أيضًا ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ما كانوا يعبدونه من الأصنام.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣١)

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أراد السموات والأرض وما بينهما وقد فصلها في «حم السجدة» أي من الأحد إلى الجمعة لاعتبار الملائكة شيئًا فشيئًا، وللإعلام بالتأني في الأمور، ولأن لكل عمل يومًا، ولأن إنشاء شيء بعد شيء أدل على عالم مدبر يريد يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ استولى ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ أضاف الاستيلاء إلى العرش وإن كان سبحانه وتعالى مستوليًا على جميع المخلوقات، لأن العرش أعظمها وأعلاها. وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما تقوله المشبهة باطل، لأنه تعالى كان قبل العرش ولا مكان وهو الآن كما كان، لأن التغير من صفات الأكوان. والمنقول عن (الصادق) و(الحسن)

قوله: (الصادق) أي جعفر بن محمد الصادق، هو الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الهاشمي المدني الصادق، أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. روى عن أبيه والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ونافع وعطاء ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم. روى عنه محمد بن إسحاق ويحيى الأنصاري ومالك والسفيانان وابن جريج وشعبة ويحيى القطان وآخرون، واتفقوا على إمامته وجلالته وسيادته. قال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين. قال البخاري رحمه الله عليه في تاريخه: وُلِدَ جعفر سنة ثمانين، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة رحمته الله. **قوله: (الحسن)** هو الإمام المشهور المجمع على جلالته في كل فن، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري - بفتح الباء وكسرها - الأنصاري، أدرك من

وأبي حنيفة ومالك) ، أن الاستواء معلوم، والتكليف فيه مجهول، والإيمان به واجب، والجحود له كفر، والسؤال عنه بدعة. ﴿يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ﴾ («يغشي» حمزة وعلي وأبو بكر). أي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل ﴿يَطْلُبُ حَيْثُ﴾ حال من الليل أي سريعاً. والطالب هو الليل كأنه لسرعة مضيته يطلب النهار ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ أي وخلق الشمس والقمر والنجوم ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ حال أي مذلات ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ شَامِي﴾ ﴿وَالشَّمْسُ﴾ (مبتدأ والباقية معطوفة عليها والخبر ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾) ﴿بِأَمْرِهُ﴾ هو أمر تكوين. ولما ذكر أنه خلقهن مسخرات بأمره قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ أي هو الذي خلق الأشياء وله الأمر ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ كثر خيره أو دام برّه (من البركة النماء) أو من البروك الثبات ومنه البركة ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، مناقبه كثيرة مشهورة. توفي سنة عشر ومائة لله. قوله: (وأبي حنيفة) هو الإمام البارع النعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنهما، وُلِدَ سنة ثمانين من الهجرة، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة لله. قوله: (ومالك) بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر الأصبحي، أبي عبد الله المدني الفقيه إمام دار الهجرة رأس المتقين وكبير المحدثين. مات سنة تسع وسبعين ومائة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين. وقال الواقدي: بلغ تسعين سنة لله. قوله: («يغشي») بفتح الغين وتشديد الشين من غشي المضاعف (حمزة وعلي) الكسائي (وأبو بكر) عن عاصم. والباقون بسكون الغين وتخفيف الشين من أغشى. قوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ﴾ برفع الشمس وما عطف عليها، ورفع مسخرات (شامي) أي ابن عامر الشامي، والشمس (مبتدأ والباقية معطوفة عليها والخبر ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾)، وقرأ الباقر بالنصب، والنصب في مسخرات بالكسرة، فوجه أنه عطف على السموات، ومسخرات حال من هذه المفاعيل. قوله: (من البركة النماء) أو من البروك الثبات، ومنه البركة. في مختار الصحاح: البركة^(١) الحوض، والجمع البرك. قيل: سميت بذلك لإقامة الماء فيها، وكل شيء ثبت وأقام فقد برّك، والبركة النماء والزيادة. اهـ.

(١) بركة الماء معروفة، والجمع برك، مثل سيّدة وسُدّر. اهـ مصباح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُنْتَدِبَ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ نصب على الحال أي ذوي تضرع وخفية، والتضرع تفعل من الضراعة وهي (الذل) أي تذللًا و(تملقًا). قال (عليه السلام): «إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا إنما تدعون سميعًا قريبًا إنه حكم أينما كنتم». عن (الحسن): بين دعوة السر والعلانية سبعون (ضعفًا). ﴿إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُنْتَدِبَ﴾ المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره. وعن (ابن جريج): الرافعين أصواتهم بالدعاء. وعنه: الصياح في الدعاء مكروه وبدعة. وقيل: هو (الإسهاب)

قوله: (الذل) في مختار الصحاح: الذل ضد العز، وقد ذلَّ يذل - بالكسر - ذُلًا وذِلَّةً ومَذَلَّةً فهو ذليل وهم أذلاء وأذلة والذل - بالكسر - اللين وهو ضد الصعوبة، يقال: دابة ذلول بينة الذل، وهن دواب ذُلل وأذلة وتذلل له أي خضع. اهـ باختصار. **قوله: (تملقًا)** في مختار الصحاح: تملق وتملق له تملقًا وتملقًا - بالكسر - أي تودد إليه وتلطّف به. اهـ. **قوله: (الحسن)** البصري التابعي رضي الله تعالى عنه. **قوله: (ضعفًا)** أي مثلاً، أي من الثواب.

قوله: (ابن جريج) وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بجيم مكررة الأولى مضمومة، القرشي الأمويّ وهو من تابعي التابعين، سمع طاوسًا وعطاء بن أبي رباح ومجاهد وابن أبي مليكة ونافعًا مولى ابن عمر ويحيى بن سعيد الأنصاري والزهري وخلائق من التابعين وغيرهم. روى عنه الأنصاري وهو شيخه تابعي، والأوزاعي والثوري وابن عُيَيْنَةَ والليث وابن علية ويحيى القطان والأمويّ ووکیع وخلائق لا يحصون. قال أحمد بن حنبل: أول من صنف الكتب ابن جريج، وقال عبد الرزاق: كنت إذا رأيت ابن جريج يصلي علمت أنه يخشى الله عز وجل، وأقوال أهل العلم من السلف والخلف والثناء عليه وذكر مناقبه أكثر من أن تحصر. توفي سنة خمسين ومائة، وهذا قول الأكثرين، وقيل: سنة إحدى وخمسين. وقيل: تسع وأربعين، وقيل: سنة ستين، وقد جاوز المائة رحمته الله.

قوله: (الإسهاب) أي الإطناب. اهـ محشي رحمته الله. وفي مختار الصحاح: أسهب أكثر الكلام، فهو مُسْهَبٌ - بفتح الهاء - ولا يقال بكسر الهاء، وهو نادر. اهـ. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب:

في الدعاء . (وعن النبي ﷺ): «سيكون قوم (يعتدون) في الدعاء، وحسب المرء أن يقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل» ثم قرأ ﴿إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمَعْتَدِينَ﴾.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٦)

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ أي بالمعصية بعد الطاعة، أو بالشرك بعد التوحيد، أو بالظلم بعد العدل ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ حالان أي خائفين من الرد طامعين في الإجابة، أو من النيران وفي الجنان، أو من الفراق وفي التلاق، أو من غيب العقابة وفي ظاهر الهداية، أو من العدل وفي الفضل ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (ذكر قريب) على تأويل الرحمة بالرحم أو

الإسهاب معناه الإفراط في التطويل، وفي رفع الصوت بالدعاء اختلاف، منهم من كرهه مطلقاً، ومنهم من قبله مطلقاً، ومنهم من فضل، فقال: عند موت الرياء الإخفاء أفضل، فإن لم يخفه فالإظهار أفضل، وفي الانتصاف حسبك في تعيين الإسرار في الدعاء اقترائه بالتضرع في الآية؛ فالإخلال به كالإخلال بالضراعة إلى الله في الدعاء، وإن دعاء لا تضرع ولا خشوع فيه لقليل الجدوى، وكذا ما لا يصحبه الوقار وكثيراً ما ترى الناس يعتمدون الصياح في الدعاء خصوصاً في الجوامع ولا يدرون أنهم جمعوا بين بدعتين: رفع الصوت في الدعاء وفي المسجد، وربما حصلت للعوام حينئذ رقة لا تحصل مع الخفض، وهي شبيهة بالرقة الحاصلة للنساء والأطفال خارجة عن السنة وسمت السلف الوارد في الآثار. اهـ. قوله: (وعن النبي ﷺ)... الخ. رواه أبو داود وأحمد في مسنده. قوله: (يعتدون) أي يجاوزون.

قوله: (ذكر قريب) مع أن القاعدة في فعيل بمعنى فاعل أن لا يستوي فيه المذكر والمؤنث، كما أن القاعدة في فعيل بمعنى مفعول أن يستويا فيه وقريب بمعنى فاعل أسند إلى ضمير المؤنث وهي الرحمة، فينبغي أن تلحق به علامة التأنيث إلا أنه ذكر لتأويل الرحمة بالرحم - بضم الراء وسكون الحاء وضمهما بمعنى الرحمة - قال تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: الآية ٨١].

الترحم، أو لأنه صفة موصوف محذوف أي شيء قريب، (أو على تشبيهه لفعليل الذي هو بمعنى مفعول)، أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي، أو لإضافة إني المذكر.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا بِثَالٍ لِّقَالُوا سُبْحَنَ إِلَهِكُمْ مَنِّتَ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ نَعْمًا نَّذَكِّرُونَ﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ («الريح» مكِّي وحمزة وعلي) ﴿بُشْرًا﴾ («نشرًا» حمزة وعلي). مصدر نشر، وانتصابه إما لأن أرسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشرًا، وإما على الحال أي منشورات ﴿بُشْرًا﴾ عاصم تخفيف «بشرا» جمع

قوله: (أو على تشبيهه لفعليل الذي بمعنى مفعول) فإنه يستوي فيه المذكر والمؤنث كجريح وأسير وقتيل، كما شبه ذلك به، أي الفعل الذي بمعنى مفعول بالفعل الذي بمعنى فاعل، فقيل: قتلاء وأسراء، أي فجمع قتيل وأسير على قتلاء وأسراء. قال العلامة التفازاني رحمته الله: من القاعدة في فعليل بمعنى مفعول أن يستوي فيه المذكر والمؤنث، وأن يجمع على فعلى كجرحى وقتلى لا على فعلاء، وفي الذي بمعنى فاعل أن لا يستوي فيه، وأن يجمع على فعلاء ككرماء ورُحماء، فيجوز أن يكون الاستواء في القريب على التشبيه بما هو بمعنى مفعول، كما أن الجمع في قُتلاء وأسراء على التشبيه بما هو بمعنى فاعل. اهـ. كما جمع كريم ورحيم على كُرماء ورُحماء، أو على أنه بزنة المصدر الذي هو النقيض بالنون والقاف والظاء المعجمة، وهو صوت المحامل والرحال، والضغيب وهو صوت الأرنب، والمصدر يلزمه الأفراد والتذكير في جميع الأحوال، فحمل ما يوازنه عليه.

قوله: («الريح») بإسكان الياء التحتيّة ولا ألف بعدها على الأفراد (مكِّي) أي ابن كثير المكِّي (وحمزة وعلي) الكسائي، والباقون بفتح الياء وألف بعدها على الجمع. قوله: («نشرًا») بالنون المفتوحة وسكون الشين (حمزة وعلي) الكسائي. قوله: ﴿بُشْرًا﴾ بالياء الموحدة المضمومة وإسكان الشين (عاصم تخفيف بشرا)

«بشير»، لأن الرياح تيشر بالمطر («نشر» شامي تخفيف «نشرًا») كرسل ورسَل وهو قراءة الباقيين جمع «نشور» أي ناشرة للمطر ﴿يَبْتَكَ يَدَيَّ رَحْمَةً﴾ أمام نعمته وهو الغيث الذي هو من أجلّ النعم ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ﴾ حملت ورفعت، واشتقاق الإقلال من القلة لأن الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلاً ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالماء جمع سحابة ﴿سُقْنَهُ﴾ الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لأنث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقليل ثقیلاً ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ - ميت - لأجل بلد ليس فيه مطر ولسقيه ﴿مَيِّتٍ﴾ مدني وحمزة وعلي وحفص ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ أَلْمَاءَ﴾ بالسحاب أو بالسوق وكذلك ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الإخراج وهو إخراج الثمرات ﴿فَخُجِّجَ الْمَوْتُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فيؤدبكم التذكّر إلى الإيمان بالبعث إذ لا فرق بين الإخراجين، لأن كل واحد منهما إعادة الشيء بعد إنشائه.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصْرِفُ الْأَيِّتَ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ الأرض الطيبة الترب ﴿يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ بتيسيره وهو موضع الحال كأنه قيل: يخرج نباته حسناً وافياً لأنه واقع في مقابلة ﴿نَكِدًا﴾ ﴿وَالَّذِي خَبَتْ﴾ صفة للبلد أي والبلد الخبيث ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ أي نباته فحذف للاكتفاء ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ هو الذي لا خير فيه وهذا مثل لمن (ينجع) فيه الوعظ وهو المؤمن ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وهو الكافر، وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر مثل المطر وإنزاله بالبلد الميت وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التصريف ﴿نُصْرِفُ الْأَيِّتَ﴾ نرددها ونكررها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها.

بضمّتين. قوله: (نشر) بالنون مضمومة وإسكان الشين (شامي) أي ابن عامر الشامي (تخفيف نشرًا) بضمّتين. قوله: ﴿مَيِّتٍ﴾ بتشديد الياء التحتية (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وحمزة وعلي وحفص) عن عاصم، والباقيون بالتخفيف.

قوله: (ينجع) أي يؤثر.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥٩)

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ جواب قسم محذوف أي والله لقد أرسلنا ﴿نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ أرسل وهو ابن خمسين سنة وكان نجارًا، وهو (نوح بن لمك) بن (متوشلخ) بن أخنوخ وهو اسم إدريس عليه السلام ﴿فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ («غيره» علي. فالرفع على المحل كأنه قيل: ما لكم إله غيره فلا تعبدوا معه غيره، والجرّ على اللفظ) ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٦٠) قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾

﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ أي الأشراف و(السادة) ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ أي بين في ذهاب عن طريق الصواب، والرؤية رؤية القلب ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ﴾ ولم يقل ضلال كما قالوا (لأن الضلالة أخص من الضلال) فكانت أبلغ في نفي

قوله: (نوح بن لمك) - بفتحيتين - ولامك كهاجر أبو نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام. قوله: (متوشلخ) بوزن المفعول في المشهور، وقيل: هو بفتح الميم وضّم المثناة الفوقية المشددة وسكون الواو وشين معجمة ولام مفتوحة ثم خاء معجمة. قوله: («غيره») بخفض الراء وكسر الهاء بعدها (علي) الكسائي، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة. والباقون برفع الراء وضّم الهاء على النعت أو البدل من موضع إله لأن مَنْ مزيّدة فيه وموضعه رفع إمّا بالابتداء أو بالفاعلية، كما قال المصنف: (فالرفع على المحل، كأنه قيل: ما لكم إله غيره فلا تعبدوا معه غيره، والجرّ على اللفظ) أي على النعت أو البدل من إله لفظًا.

قوله: (السادة) جمع سيّد. قوله: (لأن الضلالة أخص من الضلال) يعني أنهما وإن جاءا في اللغة بمعنى واحد، كالملال والملاّلة، إلّا أن مقابلة الضلالة بالضلال ونفيها عند قصد المبالغة في الهداية يدلّ على أنّ المراد به المرة والتاء للوحدة فيكون بعضًا من جنس الضلال، (وهو الفرد الواحد) ويأوّل معناه إلى أقلّ ما يُطلق عليه اسم الضلال، وهذا معنى كونه أخصّ ولا يبعد تفسيره بالأقلّ فردًا،

الضلال عن نفسه كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال. (ثم استدرك لتأكيد نفي الضلالة، فقال): ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لأن كونه رسولاً من الله مبلغاً لرسالاته في معنى كونه على الصراط المستقيم فكان في الغاية القصوى من الهدى.

وظاهر أن نفيه أبلغ من نفي الجنس المحتمل للكثرة. قوله: (ثم استدرك لتأكيد نفي الضلالة، فقال)... الخ. في الكشف: فإن قلت: كيف وقع قوله: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ﴾ [الأعراف: الآية ٦١] استدراكاً للانتفاء عن الضلالة؟ قلت: كونه رسولاً من الله مبلغاً رسالاته ناصحاً في معنى كونه على الصراط المستقيم، فصَحَّ لذلك أن يكون استدراكاً للانتفاء عن الضلالة، فقليل عليه معنى الاستدراك أن يقع للمخالف في الجملة السابقة وَهُمْ، فيتدارك ذلك الوهم بإزالته، فلما نفى الضلالة عن نفسه، فربما يُتوهم المخاطب انتفاء الرسالة أيضاً كما انتفى الضلالة، فاستدركه ولكن كما في قولك: زيد ليس بفقير لكنه طيب. وأما جوابه بأن إثبات الرسالة في معنى الاهتداء، وإثبات الاهتداء استدراك لنفي الضلالة، ففيه بعد؛ لأنه لما نفى الضلالة لم يذهب وَهُمْ وَاهم إلى نفي الاهتداء أيضاً حتى يحتاج إلى تداركه، ويمكن أن يقال: إذا لم يسلك طريقاً فلا اهتداء ولا ضلال، وقال التحرير متعقباً له: إن كان القصد إلى مجرد كون لكن يتوسط بين كلامين متغايرين نفيًا وإثباتًا، فوجه السؤال والجواب ظاهر. وأما إذا أُريد بالاستدراك رفع التوهم الناشئ من الكلام السابق على ما هو المشهور، وعلى ما قاله المصنف رحمه الله تعالى، معنى الاستدراك أن الجملة التي يسوقها أولاً يقع فيها وَهُمْ للمخاطب، فيتدارك ذلك الوهم بإزالته؛ كقولك: زيد ليس بفقير ولكنه طيب، ففي الكلام إشكال؛ لأن نفي الضلالة ليس مما يقع فيه نفي كونه رسولاً وعلى صراط مستقيم، وما في الكتاب غير واف بحله، بل ترك ما ذكره من التأويل أولى؛ إذ يمكن ربما يتوهم المخاطب عند نفي الضلالة انتفاء الرسالة أيضاً، لكن توهم انتفاء الهداية مما لا وجه له؛ إذ من البعيد أن يقال: نفي الضلالة ربما يُوهم نفي سلوك الطريق المستقيم، وحيث لا سلوك لا هداية كما لا ضلالة، والظاهر أن المصنف رحمه الله لم يقصد سوى أنه عند نفي أحد المتقابلين قد سبق الوهم إلى انتفاء المقابل الآخر لا إلى انتفاء الأمور التي لا تعلق لها به، فأول ما وقع في معرض الاستدراك بما يقابل الضلال، مثلاً يقال: زيد ليس بقائم لكنه قاعد، ولا يقال: لكنه شارب، إلا بعد التأويل بأن الشارب يكون

﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحَ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٢﴾

﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي﴾ ما أوحى إليّ في الأوقات المتطاولة أو في المعاني المختلفة من الأوامر والنواهي والمواعظ والبشائر والنظائر. («أبلغكم» أبو عمرو). وهو كلام مستأنف بيان لكونه رسول رب العالمين ﴿وَأَنْصَحَ لَكُمْ﴾ وأقصد صلاحكم بإخلاص. يقال نصحته ونصحت له، وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إحاطة النصيحة. وحقيقة النصح إرادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك أو النهاية في

قاعدًا، وقد قيل: إنّ القوم لما أثبتوا له الضلالة أرادوا به ترك دين الآباء ودعوى الرسالة، فهو حين نفى الضلالة توهم منه أنه على دين آبائه وترك دعوى الرسالة، فوقع الإخبار بأنه رسول وثابت على الصراط المستقيم استدراكًا لذلك، ولا خفاء في أنّ هذا ليس كلام الكتاب. اهـ. وما ذكره تحقيق بديع، لكن المذكور في العربية كما نقله صاحب المغني أنّ للتحاجة في الاستدراك ولزومه لها قولين، فقليل: الاستدراك أن تُنسب لما بعدها حكمًا مخالفًا لما قبلها سواء تغيرا إثباتًا ونفيًا أو لا، وقيل: هو رفع ما يتوهم ثبوته، وهو التحقيق كما يشهد به مَنْ تتبع موارد الاستعمال، وما ذكره أولًا مخالف للقولين، إلا أن يرجع إليه بضرب من التأويل. وقال بعض المتأخرين من علماء الروم: النظر الصائب في الاستدراك هنا أن يكون مثل قوله: ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم... الخ. وقوله:

سوى أنه الضّرغام لكنه الويل

أي ليس بي ضلالة وعيب، لكني رسول من رب العالمين، فليتأمل.

ومحصل كلام المصنّف رحمه الله تعالى أنها واقعة بين متغيرين بحسب التأويل، وهي تفيد التأكيد في مثله، كما صرح به النحاة، فلا يرد السؤال الذي أورده بعضهم هنا، وهو فإن قيل: لا فائدة في الاستدراك؛ لأن نفي الضلالة يستلزم الهدى. قلنا: المراد من الهدى الهداية الكاملة، ونفي الضلالة لا يستلزمها إثبات. اهـ شهاب رحمته. قوله: («أبلغكم»^(١)) بإسكان الباء وتخفيف اللام (أبو عمرو) البصري، والباقون بفتح الباء وتشديد اللام.

(١) ينقل بلغ إلى باب الأفعال. ١٢ منه عم فيضهم.

صدق العناية ﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي من صفاته يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين.

﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٦٣)
فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

﴿أَوْ عَجِبْتُمْ﴾ الهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل: أكذبتم وعجبتم ﴿أَنْ جَاءَكُمْ﴾ من أن جاءكم ﴿ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ على لسان رجل منكم أي من جنسكم، وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون: ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو شاء ربنا لَأَنزَلْ مَلَائِكَةً ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ ليحذركم عاقبة الكفر ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الإنذار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فنسبوه إلى الكذب ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ وكانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة وقيل تسعة: بنوه (سام وحام ويافت)، وستة ممن آمن به ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ يتعلق بمن معه كأنه قيل: والذين صحبوه في الفلك ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عن الحق. يقال: أعمى في البصر و(عم) في البصيرة.

﴿وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَاعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٦٥)

﴿وَإِلَى عَادٍ﴾ وأرسلنا إلى عاد وهو عطف على ﴿هُودًا﴾ ﴿أَخَاهُمْ﴾ (واحدًا منهم) من قولك: «يا أخا العرب» للواحد منهم. وإنما جعل واحدًا منهم

قوله: (سام وحام ويافت) الثلاثة بمنع الصرف للعلمية والعجمة. قوله: (عم) أصله عُمي على وزن خضر فأعلل كإعلال قاض، قال أهل اللغة: يقال: رجل عم.

قوله: (واحدًا منهم) أي من قبيلة عاد، وعاد في الأصل اسم الأب الكبير، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، فسُميت به القبيلة، واتفقوا على أن هودًا ما كان أخاهم في الدين، واختلفوا في أنه هل كانت هناك قرابة أو لا؟ قال الكلبي: إنه كان واحدًا من تلك القبيلة، وقال آخرون: إنه ما كان من تلك القبيلة إلا أنه لما كان من جملة بني آدم لا من الملائكة والجنّ نسب إليهم بالأخوة،

(لأنهم عن رجل منهم أفهم) فكانت الحجة عليهم ألزم ﴿هُودًا﴾ عطف بيان لـ ﴿أَنَّهُمْ﴾ وهو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ﴿قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْقُورُونَ﴾ (وإنما لم يقل ﴿فَقَالَ﴾ كما في قصة نوح ﷺ) لأنه على تقدير سؤال سائل قال: فما قال لهم هود؟ فقل: ﴿قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِ﴾ ﴿٦٦﴾

وكذلك ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ وإنما وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح (لأن في أشراف قوم هود من آمن به) منهم مرثد بن سعد فأريدت التفرقة بالوصف، ولم يكن في أشراف قوم نوح ﷺ مؤمن ﴿إِنَّا

والمعنى أنا بعثنا إلى عاد واحدًا من جنسهم وهو البشر ليكون أنسهم به وفهمهم كلامه أكمل، قيل: إن هود اسم عربي وفيه بحث؛ لأنه حُكي أن أهل اليمن تزعم أن يعرب بن قحطان بن هود هو أول من تكلم بالعربية، وبه سميت العرب عربًا، فعلى هذا يكون هود أعجميًا اسم رجل، وإنما صُرف لما ذكر في أخواته من نحو لوط ونوح. قوله: (لأنهم عن رجل منهم أفهم) عن رجل متعلق بما في أفعال التفضيل من أصل الفعل وهو الفهم، ومنهم صفة رجل، ومن التفضيلية محذوفة. والمعنى أنهم أشد فهمًا لكلام صدر عن رجل هو من أفرادهم منهم لكلام صدر عن رجل ليس منهم.

قوله: (وإنما لم يقل، ﴿فَقَالَ﴾ كما في قصة نوح) على نبينا وعليه السلام... الخ. إشارة إلى الغرق بين ما ذكر من قصة نوح وهود على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، حيث قيل في الأول، فقال: وفي الثاني قال بغير عاطف، وهو أنه أشير في الأول إلى أن دعوة نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام لم تتأخر عن إرساله، وأنه باشر الدعوة قبيل الإرسال، وفي الثاني جعل الكلام جواب سائل. اهـ شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (لأن في أشراف قوم هود من آمن به) ... الخ. فعلى هذا ما ورد في سورة المؤمنين: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ [المؤمنون: الآية ٢٤] ... الخ.

لَنُرْسِلَنَّكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴿٦٦﴾ فِي خُفَّةٍ (حلم) و(سخافة) عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر. وجعلت السفاهة ظرفًا مجازًا (يعني أنه متمكن فيها غير منفك عنها) ﴿وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ في ادعائك الرسالة.

في وصف نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام محمول على أنه هناك للذم لا للتميز، وإنما لم يذم ههنا للإشارة إلى التفرقة بين قوم نوح وقوم هود على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، ولو حمل الوصف على الذم هنا وفرق بأن مقتضى المقام ذم قوم هود لشدة عنادهم؛ لقولهم: ﴿إِنَّا لَنُرْسِلَنَّكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: الآية ٦٦] مع كونه معروفًا بينهم بالحلم والرشد، وذم قوم نوح في سورة المؤمنون لعنادهم لقولهم: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٤) ﴿٢٥﴾ [المؤمنون: الآيتان ٢٤، ٢٥] لِمَا فِيهِ مِنْ فِرَاطِ الْعِنَادِ، ثم إنه قيل: إِنَّ الظاهر أَنَّ مَا نُقِلَ هُنَا عَنْ قَوْمِ نُوحٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتُهُمْ فِي مَجْلِسٍ أَوْ مَقَالَةٍ بَعْضُهُمْ، وَمَا نُقِلَ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ مَقَالَتُهُمْ فِي مَجْلِسٍ آخَرَ أَوْ مَقَالَةٍ بَعْضُ آخَرَ، فَرُوعِي فِي الْمَقَامَيْنِ مَقْتَضِي كُلِّ مِنَ الْمَقَالَتَيْنِ، ثُمَّ إِنَّ شِدَّةَ عِنَادِ مَنْ عَانَدَ مِنْ قَوْمِ هُودٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَنَافِي قَرَبَ جَمَلَتِهِمْ مِنْ جَمَلَةِ قَوْمِ نُوحٍ، حَيْثُ آمَنَ بَعْضُ أَشْرَافِهِمْ دُونَ أَشْرَافِ قَوْمِ نُوحٍ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: إِذَا كَانَ مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهِ مَنْ آمَنَ يَقْتَضِي أَنَّ قَوْمَ نُوحٍ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَيْسُوا كَذَلِكَ، وَهُوَ يَنَافِي قَوْلُهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [هُود: الآية ٥٨] أَنَّهُ آمَنَ مَعَهُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا وَأَرْبَعُونَ امْرَأَةً، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هُود: الآية ٣٦]، ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هُود: الآية ٤٠]. قُلْتَ: هَؤُلَاءِ لَمْ يَكُونُوا مِنَ السَّادَاتِ كَمَا هُوَ الْمَعْتَادُ فِي أَتْبَاعِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَقِيلَ: إِنَّهُ وَقْتُ مَخَاطَبَةِ نُوحٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَوْمِهِ لَمْ يَكُونُوا آمِنُوا بِخِلَافِ قَوْمِ هُودٍ وَمِثْلِهِ يَحْتَاجُ إِلَى النُّقْلِ. اهـ شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (حلم) بالكسر بمعنى العقل. قوله: (سخافة) بالفتح بمعنى رقة العقل. قوله: (يعني أنه متمكن فيها غير منفك عنها) حيث لم يقل سفيها وجعله متمكنا فيها تمكن الظرف في المظروف.

﴿قَالَ يَنْقُومُ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلَنْ كُنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أَتُلْفَعُكُمْ
رِسَالَتِي رَنِي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾

ما أدعوكم إليه ﴿أَمِينٌ﴾ على ما أقول لكم. وإنما قال هنا ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ
أَمِينٌ﴾ لقولهم: ﴿وَأَنَا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَذِبِ﴾ أي ليقابل الاسم الاسم، وفي إجابة
الأنبياء عليهم السلام من ينسبهم إلى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام
الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم
أضلّ الناس وأسفهم، أدب حسن وخلق عظيم، وإخبار الله تعالى ذلك تعليم
لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسلبون أذيالهم على ما يكون
منهم.

﴿أَوْ عَجِبْتَ أَنَّ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ
مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَادْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿أَوْ عَجِبْتَ أَنَّ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ
جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي خلفتموهم في الأرض أو في مساكنهم. و«إذ»
مفعول به وليس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم ﴿لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ
جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً﴾ طولاً وامتداداً فكان
أقصرهم ستين ذراعاً (وأطولهم مائة ذراع) ﴿بَضْطَةً﴾: حجازي وعاصم وعلي

قوله: (وأطولهم مائة ذراع) قال المجلي رحمته الله في سورة الفجر: إنَّ طولهم
كان أربعمائة ذراع. اهـ. والمراد بالأذرع في جميع الأقوال أذرعهم، وكان رأس
الواحد منهم قدر القبة العظيمة، وكانت عينه بعد موته تفرخ فيها الضباع^(١). اهـ من
الخطيب. وعبرة الكاذروني في سورة الفجر: وكان طول الطويل منهم خمسمائة
ذراع، وطول القصير ثلاثمائة ذراع بذراع نفسه. اهـ. **قوله: ﴿بَضْطَةً﴾** بالصاد
(حجازي) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني، وكذا أبو
جعفر المدني، وليس من السبعة، وابن كثير المكي (وعاصم وعلي) الكسائي،
والباقون بالسين. وعبرة الإتحاف في سورة البقرة: واختلف في ﴿وَيَبْضُطُ﴾ [البقرة:

(١) وهي سبع كالذئب. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿فَاذْكُرُواْ آلَاءَ اللّهِ﴾ في استخلافكم وبسطة (أجرامكم) وما سواهما من عطاياه .
 (وواحد الآلاء) «إلى» (نحو «إنى» و«آناء») ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ .

الآية [٢٤٥] هنا، و﴿فِي الْخَلْقِ بَصَاطَةً﴾ [الأعراف: الآية ٦٩] بالأعراف، فالدوري عن أبي عمرو وهشام وخلف عن حمزة وكذا رؤيس وخلف بالسين فيهما على الأصل، وأفقههم اليزيدي والحسن، واختلف عن قنبل والسوسي وابن ذكوان وحفص وخلاد، فأما قنبل فابن مجاهد عنه بالسين، وابن شنبوذ عنه بالصاد. أما السوسي، فابن حبش عن ابن جرير عنه بالصاد فيهما، وكذا روى ابن جمهور عن السوسي، وروى سائر الناس عنه السين فيهما، وهو في الشاطبية وغيرها. وأما ابن ذكوان فالمطوعي عن الصوري والشذائي عن الرملي عن ابن ذكوان بالسين فيهما، وروى زيد والقباب عن الرملي وسائر أصحاب الأخفش عنه الصاد فيهما إلا النقاش، فإنه روى عنه السين هنا والصاد في الأعراف، وبه قرأ الداني على عبد العزيز بن محمد، وبالصاد فيهما قرأ على سائر شيوخه في رواية ابن ذكوان، ولم يذكر وجه السين فيهما عن الأخفش إلا فيما ذكر، ولم يقع ذلك للداني تلاوة، وكذا في النشر قال فيه: والعجب كيف عوّل عليه - أي على السين - الشاطبي، ولم يكن من طرده، ولا من طرق التيسير، وعدل عن طريق النقاش الذي لم يذكر في التيسير غيرها، وهذا الموضع مما خرج فيه عن التيسير وطرقه، فليعلم. وأما حفص، فالولي عن الفيل وذرعان كلاهما عن عمرو عن حفص بالصاد فيهما، وروى عبيد عنه بالسين فيهما، ونص له على الوجهين المهدوي وابن شريح وغيرهما. وأما خلاد فابن الهيثم من طريق ابن ثابت عنه بالصاد فيهما، وروى ابن نصر عن ابن الهيثم والنقاش عن ابن شاذان كلاهما عن خلاد بالسين فيهما، وعن ابن محيصين الخلف فيهما أيضًا، والباقون بالصاد فيهما. قال أبو حاتم: وهما لغتان، ورسمهما بالصاد تنبيهًا على البدل. اهـ.

قوله: (أجرامكم) في المصباح: الجرم - بالكسر - الجسد، والجمع أجرام مثل حمل وأحمال. **قوله: (وواحد الآلاء) إلى - بكسر ففتح - مقصور كعنب وأعنان، أو بكسر الهمزة وسكون اللام كحمل وأحمال.** **قوله: (نحو إنى وآناء) في المصباح:** الآناء على أفعال هي الأوقات، وفي واحدها لغتان إنى - بكسر الهمزة والقصر - وأنى وزان حمل. اهـ.

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَيْنَا يِمَا نَعُدُّنَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ ﴿٧٠﴾

ومعنى المجيء في ﴿قَالُوا أَجِئْنَا﴾ أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه (يتحنث) فيه كما يفعل رسول الله ﷺ (بحراء) قبل المبعث، فلما أوحى إليه جاء قومه يدعوه ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معه حباً لما نشئوا عليه ﴿فَأَيْنَا يِمَا نَعُدُّنَا﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ أن العذاب نازل بنا.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَبَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ فَاٰنظِرُوْا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ﴿٧١﴾

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ أي قد نزل ﴿عَلَيْكُمْ﴾ جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب إليك بعض المطالب «قد كان» ﴿مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب ﴿وَعَضْبٌ﴾ سخط ﴿أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَبَّيْتُمُوهَا﴾ في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمون الأصنام آلهة وهي خالية عن معنى الألوهية ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ﴾ حجة ﴿فَاٰنظِرُوْا﴾ نزول العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ذلك.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا دَايِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٧٢﴾

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي من آمن به ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا دَايِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدابر الأصل أو الكائن خلف الشيء، وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم

قوله: (يتحنث) أي يتعبد. قوله: (بحراء) بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء وبالمد، وحكي فتحها والقصر وهو مصروف إن أريد المكان وممنوع إن أريد البقعة، فهي أربعة: التذكير والتأنيث والمد والقصر، وكذا حكم قباء وقد نظم بعضهم أحكامهما في بيت فقال:

حرا وقبا ذكر وأنثهما معاً ومُدُّ أو قصر واصرفن وامنع الصرفا
وجرا جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال على يسار الذهاب إلى منى.

عن آخرهم ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ فائدة نفي الإيمان عنهم مع إثبات التكذيب بآيات الله الإشعار بأن الهلاك خصّ المكذبين. وقصتهم أن عادًا قد تبسطوا في البلاد ما بين (عمان وحضرموت، وكانت لهم أصنام) يعبدونها (صداء وضمود والهباء)، فبعث الله إليهم هودًا فكذبوه فأمسك القطر عنهم ثلاث سنين. وكانوا إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج منه عند بيته الحرام (فأوفدوا إليه - قيل) ابن عتزر ونعيم بن هزال ومرثد بن سعد - وكان يكتم إيمانه بهود عليه السلام وأهل مكة إذ ذاك (العماليق) أولاد عمليق بن لاوز بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر، فنزلوا عليه (بظاهر مكة) فقال لهم مرثد: لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود فخلفوا مرثدًا وخرجوا فقال قيل:

قوله: (عُمان) وزان غراب موضع باليمن وعمان فعال بالفتح والتشديد بلدة بطرف الشام من بلاد البلقاء. اهـ مصباح. قوله: (حضرموت) بُلَيْدَة من اليمن بقرب عدن. اهـ مصباح. قوله: (وكانت لهم أصنام) يعبدونها. قوله: (صداء) بالضم (وضمود) بالفتح (والهباء) كافي شعر مرثد بن سعد بن عفير حيث قال لهم:

صنم يقال له صَمُود يقابله صُداء والهَبَاء

قوله: (فأوفدوا إليه)... الخ. في الخازن: فلَمَّا قحطت عاد وقلّ عنهم المطر، قالوا: أجهزوا منكم وفدًا إلى مكة يستسقوا لكم، فإنكم قد هلكتم، فبعثوا قيل بن عتزر ونعيم بن هزال من هذيل، وعقيل بن صندين بن عاد الأكبر، ومرثد بن سعد بن عفير، وكان مسلمًا يكتم إسلامه، وجهلمة بن الخبيري خال معاوية بن بكر سيد العماليق، ولقمان بن عاد؛ فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه جماعة من قومه، فبلغ عدد وفد عاد سبعين رجلًا. اهـ. قوله: (قيل) - بفتح القاف وسكون الياء - عَلِمَ وهو السيد الذي يُسمع قوله، وأصله قبول وأَعْلَى إعلال ميت وأطلق على كل ملك من حمير. قوله: (العماليق)^(١) في مختار الصحاح: الْعَمَالِقُ وَالْعَمَالِقَةُ قوم من ولد عمليق^(٢) بن إرم بن سام بن نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وهم أُمم تفرّقوا في البلاد. اهـ. قوله: (بظاهر مكة)

(١) بفتح العين وكسر اللام. اهـ قنوي. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) بكسر العين وسكون الميم وكسر اللام مع المذ. اهـ قنوي. ١٢ منه عم فيضهم. وكقنديل. اهـ قاموس. ١٢ منه عم فيضهم.

اللهم اسقِ عَادًا ما كنت تَسْقِيهِمْ فَأَنْشَأَ اللهُ سَحَابَاتٍ ثَلَاثًا بِيضَاءَ وَحُمْرَاءَ وَسُودَاءَ، ثُمَّ (نَادَاهُ مِنْ السَّمَاءِ): يَا قَبِيلَ اخْتَرِ لِنَفْسِكَ وَلِقَوْمِكَ، فَاخْتَارَ السُّودَاءَ عَلَى ظَنِّ أَنَّهُمَا أَكْثَرُ مَاءٍ فَخَرَجَتْ عَلَى عَادٍ مِنْ وَادٍ لَهُمْ فَاسْتَبَشَرُوا وَقَالُوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّطَرٌ﴾، فَجَاءَتْهُمْ مِنْهَا (رِيحٌ عَقِيمٌ) فَأَهْلَكَتْهُمْ وَنَجَّى هُودَ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَهُ فَأَتَوْا مَكَّةَ فَعَبَدُوا اللَّهَ فِيهَا حَتَّى مَاتُوا.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ وأرسلنا إلى ثمود. (وقرىء) ﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ بتأويل الحي أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر، ومنع الصرف بتأويل القبيلة، وقيل: سميت ثمود لقلة مائها (من الثمد) وهو الماء القليل وكانت مساكنهم (الحجر) بين الحجاز والشام ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ آية ظاهرة شاهدة على صحة نبوتي فكانه قيل: ما هذه البينة؟ فقال: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ وهذه إضافة تخصيص وتعظيم لأنها بتكوينه تعالى بلا صلب ولا رحم ﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾ حال من الناقة والعامل معنى الإشارة في ﴿هَذِهِ﴾ كأنه قيل: أشير إليها آية ولكم بيان لمن هي له آية وهي ثمود لأنهم عاينوها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ أي الأرض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في أرض ربها من نبات ربها فليس عليكم (مؤنتها) ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ ولا

خارجًا عن الحرم. اهـ. كشف. قوله: (ناداه من السماء)... الخ. قيل: كان كذلك يفعل الله مَنْ دعاه إذ ذاك. قوله: ﴿هَذَا عَارِضٌ﴾ أي سحب عرض في أفق السماء ﴿مُطَرٌ﴾ [الأحقاف: الآية ٢٤]، أي ممطر إيانا. قوله: (ريح عقيم) لا مطر فيها.

وقوله: (وقرىء) قارئه الأعمش والحسن البصري ﴿﴾ : ﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ [الأعراف: الآية ٧٣] بكسر الدال منونة.

قوله: (من الثمد) بسكون الميم وفتحها. قوله: (الحجر) - بكسر الحاء - اسم أرض معروف. قوله: (مؤنتها) في المصباح: المؤنة الثقل، وفيها لغات

تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها إكرامًا لآية الله ﴿فَيَاخُذْكُمْ﴾ جواب النهي ﴿عَذَابُ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ ونزلكم، والمبءاء المنزل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ في أرض الحجر بين الحجاز والشام ﴿تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ غرفًا للصيف ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ للشقاء، و﴿بُيُوتًا﴾ حال مقدرة نحو «خط هذا الثوب قميصًا» إذ الجبل لا يكون بيتًا في حال النحت ولا الثوب قميصًا في حال الخياطة ﴿فَاذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ رُوِيَ أَنَّ عَادًا لما أهلكت (عمرت) ثمود بلادها (وخلفوها) في الأرض (وعمروا) أعمارًا طويلاً، فنحتوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل الممات، وكانوا في سعة من العيش فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثان، فبعث الله إليهم صالحًا وكانوا قومًا عربًا وصالح من أوسطهم نسبًا، فدعاهم إلى الله فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فأنذرههم، فسألوه أن يخرج من صخرة بعينها ناقة (عشراء) فصلَّى ودعا

إحداها على فعولة بفتح الفاء وبهمزة مضمومة، والجمع مؤنات على لفظها، ومأنت القوم أمأنهم مهموز بفتحيتين، واللغة الثانية مئنة بهمزة ساكنة. قال الشاعر:

أميرنا مؤنته خفيفة

والجمع مُؤَن، مثل غرفة وُغُرف، والثالثة مونة بالواو، والجمع مُون، مثل سورة وسُور، يقال: منها مانه يمونه من باب قال. اهـ.

قوله: (عمرت) بتخفيف الميم من العمارة، ولا يجوز تشديدها إلا إذا كانت من العمر. قوله: (وخلفوها) بتخفيف وفتح اللام، أي صاروا خلفًا عنهم. قوله: (وعمروا) مجهول مشدد الميم من العمر. قوله: (عشراء) كعلماء التي أتى عليها عشرة أشهر بعد طروق الفحل.

ربه (فتمخضت تمخض النتوج) بولدها فخرجت منها ناقة كما شاءوا فأمن به (جندع) ورهط من قومه.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَن ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنِّي صَلَحًا مِّمَّنْ رَّبِّيَ قَالُوا إِنَّا بِكَ أَرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٧٥)

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ («وقال» شامي) ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا﴾ للذين استضعفهم رؤساء الكفار ﴿لِمَن ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من «الذين استضعفوا» بإعادة الجار، وفيه دليل على أن البذل حيث جاء كان في تقدير إعادة العامل، والضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾ راجع إلى قومه وهو يدل على أن استضعفهم كان مقصوراً على المؤمنين، أو إلى «الذين استضعفوا» وهو يدل على أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنِّي صَلَحًا مِّمَّنْ رَّبِّيَ﴾ قالوه على سبيل السخرية ﴿قَالُوا إِنَّا بِكَ أَرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ وإنما صار هذا جواباً لهم لأنهم سألوهم عن العلم بإرساله أمراً معلوماً مسلماً كأنهم قالوا: العلم بإرساله وبما أرسل به لا شبهة فيه، وإنما الكلام في وجوب الإيمان به فتخبركم أنا به مؤمنون.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ﴾ (٧٦) ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحْ أَثْنَانَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧٧) ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمًا﴾ (٧٨)

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ﴾ (٧٦) فوضعوا ﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ موضع أرسل به ردّاً لما جعله المؤمنون معلوماً مسلماً ﴿فَعَقَرُوا﴾

قوله: (فتمخضت) بالمعجمة أي تحركت (تمخض النتوج)^(١) أي كحركة الحاملة بولدها. قوله: (جندع) بن عمرو سيد الثمود.

قوله: (وقال) بزيادة واو للعطف، قيل: قال (شامي) أي ابن عامر الشامي، والباقيون بغير واو اكتفاء بالربط المعنوي.

(١) النتوج: الناقة التي أدركت الوقت الذي تنتج فيه. اهـ شيخ زاده رحمه الله. ١٢ منه عم فيضهم.

الْآتَاةُ ﴿٧٩﴾ أَسَدُ الْعَقْرِ إِلَى جَمِيعِهِمْ وَإِنْ كَانَ الْعَاقِرُ (قَدَارُ) بِنِ سَالِفٍ لِأَنَّهُ كَانَ بِرِضَاهُمْ . وَكَانَ قَدَارُ أَحْمَرُ أَزْرَقُ قَصِيرًا كَمَا كَانَ فِرْعَوْنُ كَذَلِكَ . وَقَالَ ﷺ : «يَا عَلِيَّ ، أَشَقَى الْأَوَّلِينَ عَاقِرُ نَاقَةٍ صَالِحٍ وَأَشَقَى الْآخِرِينَ قَاتِلُكَ» ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ وَتَوَلَّوْا عَنْهُ وَاسْتَكْبَرُوا وَأَمَرَ رَبَّهُمْ مَا أَمَرَ بِهِ عَلَى لِسَانِ صَالِحٍ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ أَوْ شَأْنِ رَبِّهِمْ وَهُوَ دِينُهُ ﴿وَقَالُوا لَا يَصْلُحُ أَثْنَانَا بِمَا نَعْدُنَا﴾ مِنَ الْعَذَابِ ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٧٩﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴿الصَّيْحَةُ الَّتِي زَلَزَلَتْ لَهَا الْأَرْضُ وَاضْطَرَبُوا لَهَا﴾ ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ فِي بِلَادِهِمْ أَوْ مَسَاكِنِهِمْ ﴿جَنَحِينَ﴾ مَيِّتِينَ قَعُودًا . يُقَالُ : (النَّاسُ جَنَمٌ) أَيُّ قَعُودٌ لَا حَرَكَتَ بِهِمْ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ .

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْفَوِرُ لَقَدْ أَتَيْنُكُمْ رَسُولًا رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ﴾ ﴿٧٩﴾

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ لَمَّا عَقَرُوا النَّاقَةَ ﴿وَقَالَ يَنْفَوِرُ﴾ عِنْدَ فِرَاقِهِ إِيَّاهُمْ ﴿لَقَدْ أَتَيْنُكُمْ رَسُولًا رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ﴾ الْأَمْرُ بِالْهُدَى لِاسْتِحْلَاءِ الْهُدَى وَالنَّصِيحَةُ (مَنْحَةٌ تَدْرَأُ) الْفَضِيحَةُ ، وَلَكِنْهَا (وُخِيْمَةٌ) تَوْرَثُ (السَّخِيْمَةُ) . رُوِيَ أَنَّ عَقَرَهُمُ النَّاقَةَ كَانَ (يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ) فَقَالَ صَالِحٌ : تَعِيشُونَ بَعْدَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، تَصْفَرُ وَجُوهُكُمْ أَوَّلَ يَوْمٍ ، وَتَحْمَرُّ فِي الثَّانِي ، وَتَسْوَدُ فِي الثَّلَاثِ ، وَيُصِيبُكُمْ الْعَذَابُ فِي

قَوْلِهِ : (قَدَارُ) بِضَمِّ الْقَافِ وَالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ وَفِي آخِرِهِ رَاءٌ مَهْمَلَةٌ . اهـ كَمَا لِيْن . وَذَكَرَهُ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ وَغَيْرِهِ بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ . قَوْلُهُ : (النَّاسُ جَنَمٌ) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : جَنَمُ الْإِنْسَانِ وَالطَّائِرِ وَالتَّعَامَةِ وَالْخَشْفِ وَالْأَرْنبِ وَالْيَرْبُوعِ يَجْنُمُ جَنْمًا وَجُنُومًا فَهُوَ جَائِمٌ لَزِمَ مَكَانَهُ ، فَلَمْ يَبْرَحْ ، أَيُّ تَلَبَّدَ بِالْأَرْضِ ، وَقِيلَ : هُوَ أَنْ يَقَعَ عَلَى صَدْرِهِ .

قَوْلُهُ : (مَنْحَةٌ) فِي الْمَصْبَاحِ : مَنْحَةٌ مَنْحًا مِنْ بَابِي نَفَعَ وَضَرَبَ أَعْطَيْتُهُ ، وَالْأَسْمُ الْمَنْحَةُ . اهـ . قَوْلُهُ : (تَدْرَأُ) أَيُّ تَدْفَعُ . قَوْلُهُ : (وُخِيْمَةٌ) أَيُّ ثَقِيلَةٌ . قَوْلُهُ : (السَّخِيْمَةُ) الْحِقْدُ وَالضَّغِينَةُ . قَوْلُهُ : (يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ) مَمْدُودٌ وَهُوَ بِكُسْرِ الْبَاءِ وَلَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْمَفْرَدَاتِ ، وَإِنَّمَا يَأْتِي وَزْنُهُ فِي الْجَمْعِ ، وَبَعْضُ بَنِي أَسَدٍ يَفْتَحُ الْبَاءَ ، وَالضَّمُّ لُغَةٌ قَلِيلَةٌ فِيهِ . اهـ مَصْبَاح .

الرابع وكان كذلك. رُوِيَ أنه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي، فلما علم أنهم هلكوا رجع بمن معه فسكنوا ديارهم.

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٨٠﴾

﴿(وَلَوْطًا) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ أي واذكر لوطًا ((وَإِذْ)) بدل منه ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ أتفعلون السيئة المتبادية في القبح ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا﴾ ما عملها قبلكم والباء للتعدية ومنه قوله ﷺ: «سبقك بها (عكاشة)» ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ «من» زائدة

قوله: ﴿(وَلَوْطًا)﴾... الخ. وهو وإن كان واردًا في قصة لوط، ولكن قد عَلَّمْنَا من ضابطة الأصول أَنَّ شرائع مَنْ قبلنا يلزمنا إذا قصَّ الله ورسوله من غير إنكار، وهذا قد قصَّ الله بها مِرَارًا من غير إنكار، فيلزمنا؛ فيدلّ على حُرْمَةِ اللَّوْطَةِ، ولا حدّ فيها عندنا على أحد، ولكن يجب التعزير، فقليل: بالإحراق، وقيل: بالإغراق، وقيل: بالإلقاء من الأعلى وإتباع الأحجار من فوقه، وهكذا اختلف الصحابة فيه، وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي رحمهم الله: يجب فيها حدّ الزّنا؛ لأنها مثله في الحُرْمَةِ والشَّهْوَةِ وسفح الماء، ونحن نقول: إنه قياس في اللغة، وهو مردود وتفصيله في كتب الأصول، وهكذا الحال في اللّوَاطَةِ من الأجنبيّة. وأمّا اللّوَاطَةُ من المنكوحَة ومملوكته، فحكمها الحرمة عندنا بدون التعزير. اهـ التفسيرات الأحمديّة. **قوله: ((وَإِذْ))** بدل منه) أي بدل اشتمال.

قوله: ((عُكَاشَةَ)) بضمّ العين وتشديد الكاف وقد تخففت، وهو ابن محصن الأسدي - بكسر الميم - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفًا يضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر»، فقام عكاشة بن محصن الأسدي، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعله منهم»، فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال ﷺ: «سبقك بها عكاشة»، والضمير للدعوة. اهـ تفتازاني رحمه الله. وقال العلامة علي القاري في شرح المشكاة: لعلّ وجه الامتناع من الدعاء أن لا يفتح هذا الباب المتفرّع عليه الاكتفاء. قال ابن الملك: لأنه لم يؤدّن له في المجلس بالدعاء إلا الواحد، وفيه حثّ على المسارعة إلى الخيرات وطلب دعاء الصالحين؛ لأن في التأخير آفات. وقيل: كان الرجل منافقًا، فأجابه عليه

لتأكيد المنفي وإفادة معنى الاستغراق ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ «من» للتبويض وهذه جملة مستأنفة أنكر عليهم أولاً بقوله: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَحْشَةَ﴾ ثم وبخهم عليها فقال: أنتم أول من عملها.

السلام بكلام محتمل ولم يصرح بأنك لست منهم لحسن خلقه، انتهى. وقيل: قد يكون سبق عكاشة بوحي، ولم يحصل ذلك للآخر. وقال القاضي عياض: إن الرجل الثاني لم يكن ممن يستحق تلك المنزلة، ولا كان بصفة أهلها بخلاف عكاشة، وفي شرح الطيبي قال الشيخ: وقد ذكر الخطيب البغدادي أنه قال في كتابه في الأسماء المبهمة، يقال: إن هذا الرجل هو سعد بن عباد، فإن صح هذا بطل قول من زعم أنه منافق. اهـ. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة: عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه الأسدي حليف بني عبد شمس، يُكنى أبا محصن، كان من سادات الصحابة وفُضلائهم هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وانكسر في يده سيف فأعطاه رسول الله ﷺ عرجونًا أو عودًا، فعاد في يده سيفًا يومئذ شديد المتن أبيض الحديد، فقاتل به حتى فتح الله عز وجل على رسوله ﷺ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قُتل في الردة، وهو عنده، وكان ذلك السيف يسمى العون، وشهد أحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وبشره رسول الله ﷺ أنه ممن يدخل الجنة بغير حساب، وقُتل في قتال أهل الردة في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه قتله طليحة^(١) بن خويلد الأسدي الذي ادعى النبوة، قُتل هو وثابت^(٢) بن أقرم يوم بزاخة^(٣)، هذا قول أهل السير والتواريخ، وكان عكاشة يوم توفي النبي ﷺ ابن أربع وأربعين سنة، وكان من أجمل الرجال. روى عنه أبو هريرة وابن عباس أخرجه الثلاثة عكاشة - بتخفيف الكاف وتشديدها - وحرثان - بضم الحاء المهملة وسكون الراء وبالثاء المثناة وبعد الألف نون -.

(١) قال في الإصابة: إن طليحة عاد إلى الإسلام. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) قتله طليحة. ١٢ منه عم فيضهم.

(٣) بضم الباء وتخفيف الزاي وبالثاء المعجمة، موضع كانت به وقعة للمسلمين في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه، كذا في لسان العرب. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ - أنتم لتأتون الرجال - بيان لقوله: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ والهمزة مثلها في ﴿أَتَأْتُونَ﴾ للإنكار. ﴿إِنَّكُمْ﴾ على الإخبار: (مدني وحفص). يقال: أتى المرأة إذا غشيها ﴿شَهْوَةً﴾ مفعول له أي للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة، ولا ذم أعظم منه لأنه وصف لهم بالبهيمية ﴿مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ أي لا من النساء ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد.

﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهَرُونَ﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٨٢﴾

﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ أي لوطاً ومَن آمن معه يعني ما أجابوه بما يكون جواباً عما كلمهم به لوط من إنكار الفاحشة، ووصفهم بصفة الإسراف الذي هو أصل الشر، ولكنهم جاءوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومَن معه من المؤمنين من قريتهم ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهَرُونَ﴾ يدعون الطهارة ويدعون فعلنا الخبيث عن ابن عباس ؓ: عابوهم بما يتمدح به ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ ومَن يختص به من ذويه أو من المؤمنين ﴿إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ من الباقيين في العذاب، والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة موالية لأهل (سدوم)، ورؤي أنها التفتت فأصابها حجر فماتت.

قوله: ﴿إِنَّكُمْ﴾ (بهمزة واحدة على الإخبار (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني (وحفص). والباقون بهمزتين على الاستفهام، فابن كثير ورويس بتسهيل الثانية بلا ألف، وأبو عمرو بالتسهيل مع الألف. والباقون بالتخفيف بلا ألف، ولهشام وجه ثانٍ وهو التحقيق مع الألف.

قوله: (سدوم) بفتح السين والdal مهملة ومعجمة، كما ذكره الأزهرى وغيره قرية قوم لوط، سُميت باسم رجل. اهـ شهاب.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَذَابَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٨٤﴾

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ وأرسلنا عليهم نوعاً من المطر عجيبيًا قالوا: أُمطر الله عليهم الكبريت والنار. وقيل: خسف بالمقيمين منهم وأمطرت حجارة على مسافريهم. وقال (أبو عبيدة): أُمطر في العذاب ومطر في الرحمة ﴿فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَذَابَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين.

﴿وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومُ رَبُّكُمُ الْكَيْدَ وَالْمِزَانِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَمُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٥﴾

﴿وَإِلَى مَدِينٍ﴾ وأرسلنا إلى مدين وهو اسم قبيلة ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه) وكانوا أهل

قوله: (أبو عبيدة) - بضم العين المهملة وإثبات الهاء في آخره - مَعْمَر - بفتح الميمين بينهما عين مهملة وفي آخره الراء - ابن المُثَنِّي - بضم الميم وفتح الثاء المثناة وتشديد النون المفتوحة وفي آخره ياء مثناة من تحتها - بخلاف القاسم بن سلام، فإنه أبو عبيد بغير هاء، وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى من كبار أئمة اللغة، وهو مذكور فيمن كان يعتقد مذهب الخوارج من أهل الأهواء، قال أبو منصور الأزهري في أول تهذيب اللغة: ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام أن أبا عبيدة يُنمى من تيم قريش، وأنه مولى لهم، قال: وكان أبو عبيد توثقه ويكتب الرواية عنه في كتبه، قال: ولأبي عبيدة كتب كثيرة في الصفات والغرائب، وكتب أيام العرب ووقائعها، وكان الغالب عليه الشعر والغريب وأخبار العرب، وكان مُخْلًا بِالنَّحْوِ كثير الخطأ في مقاييس الإعراب، ومتهمًا في رأيه مقرّ بنشر مثالب العرب جامعا لكل غث وسمين، فهو مذموم من هذه الجهة غير موثوق به، هذا كلام الأزهري. وقال الإمام أبو جعفر النحاس في أول كتابه صناعة الكتاب: توفي أبو عبيدة سنة عشر ومائتين، ويقال: إحدى عشرة، وقد قارب المائة.

قوله: (يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه) أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر شعيبًا يقول:

(بخس) للمكايل والموازن ﴿قَالَ يَنْفَوِرْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (أي معجزة) وإن لم تذكر في القرآن ﴿فَأَوْفُوا

«ذاك خطيب الأنبياء» لحسن مراجعته قومه، والمراجعة مفاعلة من الرجوع، وهي مجاز عن المحاوراة، يقال: راجعه القول، وإنما عنى النبي ﷺ ما ذكر في هذه السورة، كما يُعلم بالتأمل فيه. اهـ شهاب رَحِمَهُ اللهُ. قوله: (بخس) أي نقص. قوله: (أي معجزة) لأنه إنما أمر قومه بعبادة الله تعالى ونهاهم عن عبادة غيره بمقتضى رسالته إليهم، فلا بد له أن يدعي النبوة، ومن المعلوم أن مدعي النبوة لا بد له من إظهار المعجزة، وإلا لكان متنبئاً؛ فهذه الآية دلّت على أنه حصلت له معجزة دالة على صدقه. وأما أن تلك المعجزة من أي الأنواع كانت، فليس في القرآن دلالة عليه كما لم يحصل في القرآن دلالة على كثير من معجزات نبيّنا ﷺ. قال صاحب الكشف: ومن معجزات شعيب أنه حين دفع إلى موسى غنمه دفع إليه عصاً فتلك العصا صارت تنيئاً دافعاً عن غنمه، بأن ابتلعت التنين الكائن في المرعى، ومن معجزاته أيضاً ولادة الغنم الدرّ خاصة حين وعده أن يكون له الدرّ من أولادها، والدرّ - بضم الدال المهملة وسكون الراء والعين المهملتين - جمع أدرع، وهو من الخيل والشيء ما اسودّ رأسه وابتيض سائر جسده، والأنثى درعاء مثل أحمر حمراء حمر، ووقوع عصا آدم عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات، فهذه كلّها كانت قبل نبوة موسى عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام، فكانت معجزات لشعيب على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام؛ لأن المعجزة ما يكون مسبقاً بدعوى الرسالة، وهذا الكلام مبني على أصل مختلف فيه بين أصحابنا وبين المعتزلة، وذلك أنه يجوز عندنا أن يظهر الله تعالى على يد مَنْ سيصير نبياً ورسولاً في المستقبل أنواع الخوارق، ويسمى ذلك إرهاباً، وعند المعتزلة: لا يجوز ذلك؛ فالأحوال التي حكّاها صاحب الكشف من قبيل الإرهافات لنبوة موسى عندنا، وعند المعتزلة: معجزات لشعيب لما أن الإرهاف لا يجوز عندهم، واعترض عليه بأن ما رُوي من الأحوال متأخّر عن هذه المقالة، فكيف يصحّ من شعيب أن يقول في حقّها: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ [الأعراف: الآية ٧٣] بلفظ الماضي، وباحتمال كونها كرامة لموسى وإرهاباً لنبوته، بل هو المتعين لأنه قد رُوي أن موسى عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام، إنما أدرك شعيباً بعد

الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ﴿ أَتَمُوهُمَا وَالْمِرَاد ﴾ ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ ووزن الميزان، أو يكون الميزان) كالميعاد (بمعنى المصدر) ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ ولا تنقصوا حقوقهم (بتطفيف) الكيل ونقصان الوزن، وكانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعتهم. «وبخس» يتعدى إلى مفعولين وهما الناس وأشياءهم تقول: (بخست) زيداً حقّه أي نقصته إياه ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بعد الإصلاح فيها أي لا تفسدوا فيها بعدما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء والأولياء. وإضافته كإضافة ﴿بَلْ مَكْرٌ أَتِيلٌ وَاللَّهَارِ﴾ [سبأ: الآية ٣٣] أي بل مكرهم في الليل والنهار ﴿ذَلِكَكُمْ﴾ إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والإفساد في الأرض ﴿حَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في الإنسانية وحسن (الأحدوثة) ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين لي في قلبي.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ. وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْذَرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبَكُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨٦)

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ بكل طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ مَنْ ءَامَنَ بِشَعِيبٍ بالعذاب ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عن العبادة ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ بالله وقيل: كانوا يقطعون الطرق. وقيل: كانوا (عشارين) ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ (وتطلبون لسبيل الله)

هلاك قوفه؛ ولأن ذلك لم يكن في معرض التحدي. قوله: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ بمعنى المكيال (ووزن الميزان) بتقدير مضاف، هو مصدر (أو يكون الميزان) مصدرًا ميميًا بمعنى الوزن كالميعاد بمعنى الوعد، (بمعنى المصدر). قوله: (بتطفيف) أي نقص. قوله: (بخست) بابه قطع. قوله: (الأحدوثة) بوزن الأعجوبة ما يتحدث به. اهـ مختار الصحاح. والأحدوثة ههنا الذكر الجميل، وقد ورد ذلك في كلام العرب، وإن قال الرضا: إنها تختص بما لا يحسن، كما بيّناه في حواشيه. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (عشارين) في مختار الصحاح: عَشْرُهُمْ يَعْشُرُ بِالضَّمِّ عَشْرًا بضم العين أخذ عَشْرَ أموالهم، ومنه العاشر والعَشْرُ بالتشديد. اهـ. قوله: (وتطلبون لسبيل الله) إشارة إلى أنه على الحذف والإيصال.

﴿عِوَجًا﴾ أي تصفونها للناس بأنها سبيل (معوجة) غير مستقيمة لتمنعوهم عن سلوكها. ومحل ﴿تُوعِدُونَ﴾ وما عطف عليه النصب على الحال أي لا تقعدوا موعدين وصادّين عن سبيل الله وباغين عوجًا ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾ «إذ» مفعول به غير ظرف أي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلًا (عددكم) ﴿فَكَثَرْتُمْ﴾ الله و(وفر) عددكم. وقيل: إن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا ﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح وهود ولوط عليهم السلام.

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِأَلَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِأَلَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا﴾ فانتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ أي بين الفريقين بأن ينصر المحقّين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم، أو هو (حث) للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم، أو هو خطاب للفريقين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار، والكافرون على ما يسوءهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لأن حكمه حق وعدل لا يخاف فيه (الجور).

قوله: (مُعْوَجة) في مختار الصحاح: اعوج الشيء اعوجاجًا فهو مُعْوَجٌ بوزن مُخَمَّرٌ وعَصَا مُعْوَجَةٌ أيضًا. اهـ. قوله: (عددكم) العدد - بالفتح - معروف وبالضم عَدَّةٌ، وهو ما يُعَدُّ للنوائب من مال وسلاح وغيره. قوله: (وفر) في لسان العرب: وفر الشيء وفرًا وفرّة ووفره كثّره. اهـ.

قوله: (حث) في مختار الصحاح: حثّه على الشيء من باب ردّ واستحثّه، أي حَضّه. اهـ. قوله: (الجور) في مختار الصحاح: الجَوْرُ المَيْلُ عن القصد وبابه قال يقول جار عن الطريق، وجار عليه في الحكم.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَعْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ أي ليكون أحد الأمرين إما إخراجكم وإما عودكم في الكفر ﴿قَالَ﴾ شعيب ﴿أُولَئِكَ كَرِهِينَ﴾ الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره أتعيدونا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا: نعم. ثم قال شعيب: ﴿قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾ وهو قسم على تقدير حذف اللام أي والله لقد افترينا على الله كذبًا إن عدنا في ملتكم ﴿بَعْدَ إِذْ بَخَعْنَا اللَّهَ مِنْهَا﴾ خلصنا الله. فإن قلت: كيف قال شعيب ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾ والكفر على الأنبياء عليهم السلام محال؟ قلت: أراد عود قومه إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئاً من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا﴾ وما ينبغي لنا وما يصح ﴿أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ إلا أن يكون سبق في مشيئته أن نعود فيها إذ الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى خيرها وشرها ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز أي هو عالم بكل شيء فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لازدياد الإيقان ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ أي احكم و(الفتاحة) الحكومة والقضاء بالحق بفتح الأمر المغلق فلذا سُمِّيَ فتحة، ويسمى أهل عمان القاضي فتاحاً ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ كقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْمُخْرِجِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَيْرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَيْرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ مغبونون لفوات فوائد البخس والتطفيف باتباعه لأنه ينهاكم عنهما ويحملكم على

قوله: (الفتاحة) بالضم.

الإيفاء والتسوية. وجواب القسم الذي وطأته اللام في ﴿لَيْنَ أَتَّبَعْتُمْ﴾ وجواب الشرط ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ إِذَا لَخَيْرُونَ﴾ (فهو ساذ مسد الجوابين).

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ﴾ (٩١) الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا كَانُوا لَمْ يَنْتَوُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَيْرِينَ ﴿٩٢﴾

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ﴾ ميتين ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَانُوا لَمْ يَنْتَوُوا فِيهَا﴾ لم يقيموا فيها. (غني بالمكان) أقام ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَانُوا هُمُ الْخَيْرِينَ﴾ لا من قالوا لهم إنكم إذا لخاسرون وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل: الذين كذبوا شعبًا هم المخصوصون بأن أهلكوا كأن لم يقيموا في دارهم، لأن الذين اتبعوا شعبيًا قد أنجاهم الله، الذين كذبوا شعبيًا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فهم الراحون، وفي التكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم ولما جرى عليهم.

﴿فَنَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولِي مَا لَكُم مِّنْ آيَةٍ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (٩٣)

﴿فَنَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ بعد أن نزل بهم العذاب ﴿وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولِي مَا لَكُم مِّنْ آيَةٍ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ اشتد حزنه على قومه، ثم أنكر على نفسه فقال: كيف يشتد حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم، أو أراد لقد أعذرت لكم في الإبلاغ والتحذير مما (حل) بكم فلم تصدقوني فكيف آسى عليكم.

قوله: (فهو ساذ مسد الجوابين) أي جواب القسم وجواب الشرط، أي جواب للقسم بدليل عدم اقترانه بالفاء ومغن عن جواب الشرط، فكأنه جوابه لإفادته معناه وسد مسده، لا أنه جواب لهما معًا، فإنه مع مخالفته القواعد النحوية يلزم فيه أن يكون جملة واحدة لها محل من الإعراب، ولا محل لها، وإن جاز باعتبارين. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (عني بالمكان) بابه صدي.

قوله: (حل) في مختار الصحاح: حلَّ يَحُلُّ بالضم حُلُولًا، أي نزل. اهـ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاؤُنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩٥)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ يقال لكل مدينة قرية، وفيه حذف أي فكذبوه ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾ (بالبؤس) والفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ الضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم، أو هما نقصان النفس والمال ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أودية الكبر ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء، والمحنة: (الرخاء) والسعة والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾ كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قولهم: «عفا النباب» إذا كثر، ومنه قوله ﷺ: «و(اعفوا) اللحى» ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاؤُنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ أي قالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مسَّ آبائنا نحو ذلك وما

قوله: (بالبؤس) في لسان العرب: البؤس الشدة والفقر. اهـ. **قوله: (الرخاء)** بالفتح والمد سعة العيش. **قوله: (اعفوا)** بفتح الهمزة اللحي بالضم والكسر جمع لحية، أي وفروها وأكثرها شعرها، رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها، قال الطيبي: هذا لا ينافي قوله عليه السلام: «اعفوا اللحى لأن المنهي هو قصها كفعل الأعاجم، أو جعلها كذب الحمام، والمراد بالإعفاء التوفير منها كما في الرواية الأخرى، والأخذ من الأطراف قليلاً لا يكون من القص في شيء، انتهى. وعليه سائر شراح المصابيح من زين العرب وغيره، وقيد الحديث في شرح الشريعة بقوله: إذا زاد على قدر القبضة، وجعله في التنوير من نفس الحديث، وزاد في الشريعة: وكان يفعل ذلك في الخميس أو الجمعة ولا يتركه مدة طويلة، وفي النهاية شرح الهداية: واللحية عندنا طولها بقدر القبضة - بضم القاف - وما وراء ذلك يجب قطعه، رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه كان يأخذ من اللحية من طولها وعرضها، أورده أبو عيسى في جامعه، وقال: مِنْ سَعَادَةِ الرَّجُلِ خَفَّةُ لَحِيَّتِهِ، انتهى. وقوله: يجب بمعنى ينبغي، والمراد به أنه سنة مؤكدة قريبة إلى الوجوب، وإلا فلا يصح على إطلاقه. وقال ابن الملك: تسوية شعر اللحية سنة، وهي أن يقص كل شعرة أطول من غيرها يستوي جميعها، وفي

هو بعقوبة الذنب فكونوا على ما أنتم عليه ﴿فَأَخَذْتَهُمْ بَغْتَةً﴾ (فجأة) ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بنزول العذاب.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٩٦﴾

واللام في ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ إشارة إلى أهل القرى التي دل عليها ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ كأنه قال: ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا ﴿ءَامَنُوا﴾ بدل كفرهم ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الشرك مكان ارتكابه ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ ﴿لَفَتَحْنَا﴾ شامي ﴿بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أراد المطر والنبات أو لآتيانهم بالخير من كل وجه ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا﴾ الأنبياء ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بكفرهم وسوء كسبهم، ويجوز أن تكون اللام للجنس.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ أو آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ يريد الكفار منهم ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيِّنًا﴾ ليلاً (أي وقت بيات)، يقال: بات بياتاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ أو آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ

الإحياء: قد اختلفوا فيما طال من اللحية، فقليل: إن قبض الرجل على لحيته وأخذ ما تحت القبضة، فلا بأس به، وقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة ومن تبعهما، وقالوا: تركها عافية أحب لقوله عليه السلام: «اعفوا اللحى»، لكن الظاهر هو القول الأول، فإنَّ الطول المفرط يشوّه الخلقة، ويطلق السنة المغتابين بالنسبة إليه، فلا بأس للأخذ عنه على هذه النية، كذا أفاده العلامة علي القاري في شرح مشكاة المصابيح في باب الترجل في الفصل الثاني. قوله: (فَجَاءَ) بالكسر وفُجَاءَ بالضم والمد، وفُجَاءَ بالفتح والمد أيضاً. اهـ مختار الصحاح. وفي لغة وزان تمره. اهـ. وقال العلامة القنوي الفصيح فيها فتح الفاء وسكون الجيم بعدها همزة بلا ألف على وزن بغتة. اهـ.

قوله: ﴿لَفَتَحْنَا﴾ بتشديد التاء (شامي) أي ابن عامر الشامي، والباقون بالتخفيف.

قوله: (أي وقت بيات) على أن يكون بمعنى البيوتة ومنصوباً على الظرفية

بَأْسًا ضَحِيًّا نَهَارًا. والضحي في الأصل ضوء الشمس إذا أشرقت. والفاء والواو في ﴿أَفَأَمِنَ﴾ و﴿أَوْ أَمِنَ﴾ حرفا عطف دخل عليهما همزة الإنكار، والمعطوف عليه ﴿فَأَخَذْتَهُمْ بَغْتَةً﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ إلى ﴿يَكْسِبُونَ﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه. وإنما عطفت بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم (فجأة)، أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ﴿يَتَنَبَّأُونَ﴾ وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى («أو أمن» شامي وحجازي) على العطف بـ «أو» والمعنى إنكار الأمن من أحد هذين الوجهين من إتيان العذاب ليلاً أو ضحى، فإن قلت: كيف دخل همزة الاستفهام على حرف العطف وهو ينافي الاستفهام؟ قلت: التنافي في المفرد لا في عطف جملة على جملة لأنه على استئناف جملة بعد جملة ﴿وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾ يشتغلون بما لا (يجدي) عليهم.

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

﴿أَفَأَمِنُوا﴾ تكرير لقوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ ﴿مَكْرَ اللَّهِ﴾ أخذه العبد من حيث لا يشعر. وعن (الشبلي) قدس الله روحه العزيز: مكره بهم تركه إياهم

بتقدير المضاف. قوله: (أو أمن) بسكون الواو على أن أو حرف عطف للتقسيم، (شامي) أي ابن عامر الشامي، (وحجازي) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، وابن كثير المكي، والباقون بفتحها على أن واو العطف دخلت عليها همزة الإنكار وورش^(١) على أصله في نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وحذفها. قوله: (يجدي) أي ينفع.

قوله: (الشبلي) الزاهد المشهور شيخ التصوف وصاحب الأحوال الفقيه المالكي أبو بكر دلف بن جحدر وحيد عصره حالاً وعلماً صاحب الجُنْدِ وَمَنْ في عصره، عاش سبعةً وثمانين سنة، ومات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وقبره ببغداد.

(١) هو عثمان بن سعيد المصري يروي عن نافع المدني رحمه الله . ١٢ منه عم فيضهم.

على ما هم عليه. وقالت ابنة (الربيع بن خثيم) لأبيها: ما لي أرى الناس ينمون ولا أراك تنام؟ قال: يا بنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيْتًا﴾ ﴿فَلَا يَأْمُنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ إلا الكافرون الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا إلى النار.

قوله: (الربيع بن خثيم) - بضم المعجمة وفتح المثناة - ابن عائذ بن عبد الله الثوري، أبو يزيد الكوفي ثقة عابد مُحْضَرَمٌ^(١)، قال له ابن مسعود ؓ: لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، مات سنة إحدى، وقيل: ثلاث وستين.

قوله: ﴿فَلَا يَأْمُنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ إلا الكافرون) . . . الخ. في التفسيرات الأحمدية: في مسألة أَنَّ الأَمْنَ من عذاب الله كفر، قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: الآية ٩٩] ج ﴿فَلَا يَأْمُنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٩٩]، يعني أفامن أهل القرى من قرية شعيب ولوط وسائر النبيين من مكر الله، وهو أن يأتيهم عذابنا وإهلاكنا في غفلة منه وقت الفجر أو البيات، فلا يأمنه إلا القوم الخاسرون، فقد يفهم من هذه الآية أَنَّ الأَمْنَ من مكر الله، أي من استدراج العبد وأخذه من حيث لا يحتسب خسران، أي كفران، فلا يأمن منه إلا القوم الكافرون، ثم كما أَنَّ الأَمْنَ من مكر الله كفر كذلك الإياس من رحمة الله كفر؛ لأنه قال في سورة يوسف حكاية عن قول يعقوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لبنيه: ﴿وَلَا تَأْسَوْا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِئُشُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: الآية ٨٧]، هكذا ذكره التفتازاني في شرحه للعقائد، والظاهر أنه إنما تمسك بهاتين الآيتين باعتبار أَنَّ النص لا يختص بمورده، وإلا فالآيتان وردتا في قصة شعيب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وغيره من النبيين مع قومهم وقصة يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وإخوته مع أبيهم، فاندفع ما يتوهم أن الآيتين في باب الأَمْنَ والإياس في حق الدنيا، فكيف يصح التمسك بهما في حق الآخرة؛ وذلك لأن النص قد بقي عامًا بين أن يكون في الدنيا أو في الآخرة، ومن هذا قيل: إِنَّ الإيمان دائر بين الخوف والرجاء، لا أنه مجرد خوف حتى يكون آيسًا من رحمته؛ لأنه كفر بالنص ولا أنه مجرد رجاء حتى يكون آمنًا من عذابه؛ لأنه

(١) مَنْ أدرك الجاهلية والإسلام. ١٢.

﴿أُولَئِكَ يَهْدِي لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾

﴿أُولَئِكَ يَهْدِي﴾ يبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ «أَنْ لَوْ نَشَاءُ» مرفوع بأنه فاعل ﴿يَهْدِي﴾ «وَأَنْ» مخففة من الثقيلة أي أو لم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثون أرضهم هذا الشأن، وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم فأهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين، (وإنما عدي فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين) ﴿وَنَطْعُ﴾ مستأنف أي ونحن نختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الوعظ.

﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾

﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ كقوله: ﴿وَهَذَا بَعْلَى شَيْخًا﴾ [هود: الآية ٧٢] في أنه مبتدأ وخبر وحال، أو تكون ﴿الْقُرَى﴾ صفة ﴿تِلْكَ﴾ و﴿نَقُصُّ﴾ خبراً والمعنى: تلك القرى المذكور من قوم نوح إلى قوم شعيب نقص عليك بعض أنبيائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند مجيء الرسل بالبينات ﴿بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ بما كذبوا من آيات الله من قبل مجيء الرسل، أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولاً حين جاءتهم الرسل أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين على تتابع الآيات، واللام لتأكيد النفي. ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الطبع الشديد ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ لما علم منهم أنهم يختارون الثبات على الكفر ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ الضمير للناس على

أيضاً كفر بالنص، فينبغي أن يكون في رجاء أن يكون أكمل أهل الجنة، وفي خوف أنه لعله يدخل النار حتى يكون مؤمناً، هكذا قالوا. اهـ.

قوله: (وإنما عدى فعل الهداية باللام) مع أن فعل الهداية يتعدى إلى مفعوله الأول بنفسه؛ (لأنه بمعنى التبيين).

الإطلاق يعني أن أكثر الناس نقضوا عهد الله وميثاقه في الإيمان، (والآية اعتراض)، أو للأمم المذكورين فإنهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضرر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم أنجاهم نكشوا ﴿وَإِنْ﴾ وإن الشأن والحديث ﴿وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ لخارجين عن الطاعة، والوجود بمعنى العلم بدليل دخول «إن» المخففة واللام الفارقة، (ولا يجوز ذلك) إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم﴾ الضمير للرسل في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ أو للأمم ﴿مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ بالمعجزات الواضحات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾ فكفروا بآياتنا، أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من واحد ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣] أو فظلموا الناس بسببها حين آذوا من آمن، أو لأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم بها ظلماً حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الإيمان ﴿فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ حيث صاروا مغرقين ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ﴾ يقال لملوك مصر «الفراعنة» كما يقال لملوك فارس «الأكاسرة»، وكأنه قال: يا ملك مصر - واسمه قابوس أو الوليد بن مصعب بن الريان - ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليك. قال فرعون: كذبت. فقال موسى:

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿١٠٥﴾

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ أي أنا حقيق على قول الحق أي واجب عليّ قول الحق أن أكون قائله والقائم به.

قوله: (والآية اعتراض) أي قوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا﴾ إلى قوله: ﴿لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٠٢] اعتراض إن كان الضمير في قوله: ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٠٠] للناس، وإن كان الضمير للأمم المذكورين فلا يكون اعتراضاً، بل يكون من تنمة الكلام السابق، وهذا تصريح بأن الاعتراض لا يجب أن يتوسط بين الكلامين، بل قد يقع في آخر الكلام. قوله: (ولا يجوز ذلك) أي دخول أن المخففة.

(«حقيق علي») نافع أي واجب علي ترك القول على الله إلا الحق أي الصدق، وعلى هذه القراءة تقف على ﴿الْعَلَمِينَ﴾ وعلى الأول يجوز الوصل على جعل ﴿حَقِيقٌ﴾ وصف الرسول، و«علي» بمعنى الباء كقراءة (أبي) أي إني رسول (خليق) بأن لا أقول، أو يعلق «علي» بمعنى الفعل في الرسول أي إني رسول حقيق (جدير) بالرسالة أرسلت على أن لا أقول على الله إلا الحق ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بَيِّنَةً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بما يبين رسالتي ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فخلهم يذهبوا معي راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم. وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي غلب فرعون على نسل (الأسباط) واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى عليه السلام، وكان

قوله: («حقيق علي») بفتح الياء مشددة دخل حرف الجرّ على ياء المتكلم فقلبت ألفها ياء وأدغمت فيها وفتحت نافع. والباقون بالألف لفظاً على أن على التي هي حرف جرّ دخلت على أن. **قوله:** (أبي) بن كعب السيّد القاريّ الأنصاري الخزرجي النجاري، له كنيان إحداهما أبوالمندر كناه بها رسول الله ﷺ، والثانية أبو الطفيل كناه بها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أي بابنه الطفيل. شهد العقبة الثانية في السبعين من الأنصار رضي الله تعالى عنهم، وشهد بدرًا وغيرها من المشاهد مع رسول الله ﷺ. روي له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وأربعة وستون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بسبعة. روى عنه جماعة من الصحابة، منهم أبو أيوب، وابن عباس، وأبو موسى الأشعري وآخرون، ومن التابعين ابنه الطفيل وسويد بن غفلة وزرّ بن حُبَيْش وعبد الرحمن بن الأسود وعبد الرحمن بن أبي ليلى وآخرون، ثبت في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قرأ على أبي بن كعب سورة: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البينة: الآية ١]، وقال: أمرني الله عز وجل أن أقرأ عليك، وهي منقبة عظيمة لأبي لم يشاركه فيها أحد من الناس. وفي كتاب الترمذي وغيره: أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأ أمتي أبي بن كعب». توفي أبي رضي الله تعالى عنه بالمدينة، ودُفن بها قبل سنة ثلاثين في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، وهذا هو الصحيح. **قوله:** (خليق) أي جدير. **قوله:** (جدير) أي لائق. **قوله:** (الأسباط) في مختار الصحاح: الأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب، انتهى. وقال المصنف رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ

بين اليوم الذي دخل يوسف عليه السلام مصر واليوم الذي دخله موسى أربعمئة عام **﴿مَعَى﴾** (حفص).

﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ (١٠٦) **﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾** (١٠٧)

﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾ من عند مَنْ أرسلك **﴿فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾** فأتني بها لتصح دعواك ويثبت صدقك فيها **﴿فَأَلْقَى﴾** موسى عليه السلام **﴿عَصَاهُ﴾** من يده **﴿فَإِذَا هِيَ﴾** **﴿إِذَا﴾** هذه للمفاجأة وهي من ظروف المكان بمنزلة «ثمة» و«هناك» **﴿ثُعْبَانٌ﴾** حية عظيمة **﴿مُبِينٌ﴾** ظاهر أمره. رُوِيَ أنه كان ذكرًا (فاغرا) فاه بين (لحييه) ثمانون ذراعًا، وضع لحيه الأسفل في الأرض والأعلى على (سور القصر)، ثم توجه نحو فرعون (فهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك)، وحمل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون ألفًا قتل بعضهم بعضًا، فصاح فرعون: يا موسى خذه وأنا أومن بك فأخذه موسى فعاد عصا.

﴿أَسْبَاطًا﴾ [الأعراف: الآية ١٦٠] الأسباط أولاد الولد جمع سبط، وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدًا، هم أولاد يعقوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام. قوله: **﴿ب﴾** **﴿مَعَى﴾** (بفتح ياء معى) (حفص) والباقون بالإسكان.

قوله: (فاغرا) بالفاء والغين المعجمة والراء المهملة، بمعنى فاتح. قوله: (لحييه) اللّخي بفتح اللام العظم الذي عليه الأسنان. قوله: (سور القصر) بمعنى أعلى حائط. قوله: (فهرب) في مختار الصحاح: الهرب الفرار وقد هرب يهرب هربًا مثل طلب يطلب طلبًا. اهـ.

قوله: (وأحدث) أي استطلق بطنه في ثيابه حتى علم به جلساؤه، (ولم يكن أحدث قبل ذلك) ذكر في الوسيط: أنه قام به بطنه في ذلك اليوم ولم يستمسك بطنه بعد ذلك حتى هلك. نقل صاحب التيسير عن وهب: أن موسى وهارون على نبينا وعليهما الصلاة والسلام لما دخلا دار فرعون ووقفوا بين يديه لقن الله تعالى موسى دعوة دعا بها، فقال: لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحانه رب السموات السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أدرك بك في نحره

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾ أي فإذا هي بيضاء (للنظارة)، ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضاً عجبياً خارجاً عن العادة يجمع الناس للنظر إليه. رُوي أنه أرى فرعون يده وقال: ما هذه؟ فقال: يدك ثم أدخلها في جيبه ونزعها فإذا هي بيضاء غلب شعاعها شعاع الشمس، وكان موسى ﷺ آدم (شديد الأدمة).

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠٩﴾ عالم بالسحر ماهر فيه قد خيل إلى الناس العصا حية والآدم أبيض. وهذا الكلام قد (عزي) إلى فرعون في سورة «الشعراء» وأنه قال للملأ، وهنا عزي إليهم فيحتمل أنه قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثمة وقولهم هنا، أو قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لأعقابهم ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ يعني مصر ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ تشيرون من أمرته فأمرني بكذا إذا شاورته فأشار عليك برأي، وهو من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ﴾.

وأعوذ بك من شره وأستعينك عليه، فأكفنيه بما شئت؛ فتحول ما في قلب موسى من الخوف أمناً، وتحول ما في قلب فرعون من الأمن خوفاً، فمَنْ دعا بهذا الدعاء وهو خائف آمنه^(١) الله ونفّس كربته وخفف عنه كُرب الموت.

قوله: (للنظارة) في مختار الصحاح: النَّظَّارَةُ مشدداً القوم ينظرون إلى شيء. قونه: (شديد الأدمة) وهي السُّمرة.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أي نسب من باب عدى ورمى.

(١) في تاج العروس: قد أمنه كسمع، وأمنه تأمينا وأمنه واستأمنه بمعنى واحد. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾

(﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾ بسكون الهاء: عاصم وحمزة) أي آخر واحبس أي آخر أمره ولا تعجل، أو كأنه هم بقتله فقالوا: آخر قتله واحبسه ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق ﴿وَأَخَاهُ﴾ هارون ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ جامعين ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٍ﴾ («سحار» حمزة وعلي).

قوله: ﴿﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾﴾ بسكون الهاء عاصم وحمزة) عبارة الإتحاف: وقرأ ﴿أرجئه﴾ هنا، وفي الشعراء بهمزة ساكنة ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب وأبو بكر من طريق أبي حمدون ونفطويه وافقه ابن محيصين واليزيدي والحسن والباقون بغير همز فيهما، وهما لغتان. يقال: أرجأت أرجيته، أي أخرته كتوضأت وتوضيت. والحاصل من اختلافهم في الهمز وهاء الكناية فيها ست قراءات متواترة: ثلاثة مع الهمز، وثلاثة مع تركه، فأولها قراءة قالون وابن وردان من طريق ابن هارون وهبة الله: ﴿﴿أَرْجِهْ﴾﴾ [الأعراف: الآية ١١١] بكسر الهاء مختلصة بلا همز، ثانيها قراءة ورش والكسائي وابن جماز وابن وردان من طريق ابن شبيب وخلف في اختياره: «أرجهي» بإشباع كسرة الهاء بلا همز. ثالثها: قراءة عاصم من غير طريق نفطويه وأبي حمدون عن أبي بكر وحمزة: «أرجه» بسكون الهاء بلا همزة وافقهما الأعمش. وأما الثلاثة التي مع الهمز؛ فأولها قراءة ابن كثير وهشام من طريق الحلواني: «أرجئهو» بضم الهاء مع الإشباع والهمز وافقهما ابن محيصين. الثانية: قراءة أبي عمرو وهشام من طريق الداجوني وأبي بكر من طريق أبي حمدون ونفطويه ويعقوب: «أرجئه» باختلاس ضمة الهاء مع الهمز وافقهما اليزيدي والحسن. الثالثة: قراءة ابن ذكوان: «أرجئه» بالهمز واختلاس كسرة الهاء؛ فلهشام وجهان: اختلاس ضمة الهاء وإشباعها كلاهما مع الهمز، ولأبي بكر وجهان أيضًا: ترك الهمز مع إسكان الهاء والهمز مع اختلاس ضمتها؛ ولابن وردان وجهان: ترك الهمز مع اختلاس كسرة الهاء ومع إشباعها. اهـ. قوله: («سحار») بتشديد الحاء وفتحها وألف بعدها على وزن فعال للمبالغة (حمزة وعلي) الكسائي، وأمال الدوري عن الكسائي، والباقون بألف بعد السين وكسر الحاء خفيفة كفاعل من غير إمالة.

أي يأتوك بكل ساحر عليم مثله في (المهارة أو بخير منه).

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ يُعَوِّتُ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ يُعَوِّتُ﴾ يريد فأرسل إليهم فحضروا ﴿قَالُوا﴾ (إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا) بهمزة واحدة على الخبر وإثبات الأجر العظيم حجازي وحفص). ولم يقل «فقالوا» لأنه على تقدير سؤال سائل ما قالوا إذ جاءوه؟ فأجيب بقوله: ﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ (لجعلاً) على الغلبة. والتنكير للتعظيم كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر عظيم ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿قَالَ﴾ (نَعَمْ) ﴿إِنْ لَكُمْ لَأَجْرًا﴾ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿عندي فتكونون أول من يدخل وآخر من يخرج، وكانوا ثمانين ألفاً أو سبعين ألفاً أو (بضعة) وثلاثين ألفاً.﴾

قوله: (المهارة) الحذق في الشيء. اهـ مختار الصحاح. قوله: (أو بخير منه) تفسير لقراءة «سحار».

قوله: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ بهمزة واحدة على الخبر وإثبات الأجر العظيم حجازي) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. وابن كثير المكي (وحفص) عن عاصم، والباقون بهمزتين على الاستفهام، وهم على أصولهم، فالبصري يسهل ويدخل وهشام يحقق ويدخل من غير خلاف. والباقون يحققون بلا إدخال. قوله: (لجعلاً) في مختار الصحاح: الجعل - بالضم - ما جعل للإنسان من شيء على فعل، وكذا الجعالة بالكسر، والجعيلة أيضاً، انتهى. قوله: ﴿نَعَمْ﴾ قرأ عليّ الكسائي بكسر العين، والباقون بالفتح. قوله: (بضعة) في المصباح: بضع في العدد بالكسر، وبعض العرب يفتح، واستعماله من الثلاثة إلى التسعة. وعن ثعلب: من الأربعة إلى التسعة يستوي فيه المذكر والمؤنث، فيقال: بضع رجال وبضع نسوة، ويُستعمل أيضاً من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر، لكن تثبت الهاء في بضع مع المذكر وتُحذف مع المؤنث؛ كالنصف، ولا يُستعمل فيما زاد على العشرين، وأجازه بعض المشايخ، فيقول: بضعة وعشرون رجلاً وبضع وعشرون امرأة، وهكذا قاله أبو زيد. وقالوا: على هذا معنى البضع والبضعة في العدد وقطعة مبهمة غير محدودة. اهـ.

﴿قَالُوا يَكُونُ إِيمًا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمًا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا
سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾

﴿قَالُوا يَكُونُ إِيمًا أَنْ تُلْقَىٰ﴾ عصاك ﴿وَإِمًا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ لما معنا،
وفيه دلالة على أن رغبتهم في أن يلقوا قبله حيث أكد ضميرهم المتصل بالمنفصل
وعرف الخبر ﴿قَالَ﴾ لهم موسى ﷺ ﴿أَلْقُوا﴾ (تخييرهم إياه أدب حسن) راعوه
معه كما يفعل المتناظرون (قبل أن يتحاور) الجدال، وقد (سوغ لهم) موسى ما
رغبوا فيه (ازدراء) لشأنهم وقلة مبالاة بهم واعتمادًا على أن المعجزة لن يغلبها
سحر أبدًا ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ أروها بالحيل (والشعوذة) وخيلوا
إليهم ما الحقيقة بخلافه. زُوي أنهم ألقوا حبلاً غلاظًا وخشبًا طويلاً فإذا هي أمثال
الحيات قد ملأت الأرض وركب بعضها بعضًا ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ (وأرهبوهم إرهابًا
شديدًا) كأنهم استدعوا رهبهم بالحيلة ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ في باب السحر أو في
عين من رآه.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ إِذًا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ﴿١١٧﴾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ إِذًا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ﴿١١٧﴾
- ﴿تَلْقَفُ﴾ - تبتلع ﴿تَلْقَفُ﴾ (حفص) ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ «ما» موصولة أو مصدرية

قوله: (تخييرهم إياه أدب حسن) قال المشايخ: ولمراعاتهم للأدب رزقوا
السعادة الأبدية. قوله: (قبل أن يتحاور) والتحاور التجاوب. اهـ مختار الصحاح.
قوله: (سوغ لهم) في مختار الصحاح: سوغ له تسويغًا، أي جوزه. اهـ. قوله:
(ازدراء) أي تحقيرًا. قوله: (والشعوذة) خفة في اليد وأخذ كالسحر يرى الشيء
بغير ما عليه أصله في رأي العين. اهـ قاموس. وفيه: الأخذ بالضم رقية
كالسحر. اهـ. قوله: (وأرهبوهم إرهابًا شديداً) ... الخ. يعني أن الاسترهاب
بمعنى الإرهاب البليغ، فالطلب مجاز في المبالغة والزيادة؛ لأن المطلوب من شأنه
أن يهتم به ويبالغ فيه، وإليه أشار المصنف رحمة الله عليه بقوله: كأنهم ... الخ.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ يسكون اللام وتخفيف القاف من لقف يلقف كعلم يعلم،
يقال: لقف الشيء أخذته بسرعة فأكلته أو ابتلعه، والباقون بفتح اللام
وتشديد القاف من تلقف يتلقف، والأصل تتلقف بتاءين فحذفت إحداهما، وقرأ

يعني ما يأفكونه أي يقلبونه عن الحق إلى الباطل ويزورونه، أو (إفكهم) تسمية للمأفوك بالإفك، رُوي أنها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب والحبال، ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت، وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة، أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة: لو كان هذا سحرًا لبقيت حبالنا وعصينا.

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ سَاحِرِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ فحصل وثبت ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من السحر ﴿فَغُلِبُوا هُنَاكَ﴾ أي فرعون وجنوده والسحرة ﴿وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾ (وصاروا أذلاء مبهوتين) ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ سَاحِرِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ وخزوا سجداً لله كأنما ألغاهم ملق لشدة خروهم، أو لم يتمالكوا مما رأوا فكانهم ألقوا فكانوا أول النهار كفاراً سحرة وفي آخره شهداء (بررة).

﴿قَالُوا ءَأَمَنَا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومُهُ فِي الْمَدِينَةِ لَخُجُوءُ مِنَّا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿قَالُوا ءَأَمَنَا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ هو بدل مما قبله ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ﴾ على الخبر: حفص. وهذا توبيخ منه لهم. وبهمزتين: كوفي غير حفص. فالأولى همزة الاستفهام ومعناه الإنكار والاستبعاد ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾

البزي في الوصل بتشديد التاء، والباقون بالتخفيف. قوله: (إفكهم) بفتح الهمزة مصدر إفكه، بمعنى قلبه.

قوله: (وصاروا أذلاء مبهوتين) أي الانقلاب مجاز عن الصيرورة لظهور المناسبة بينهما، وأذلاء جمع ذليل. قوله: (بررة) جمع البار.

قوله: ﴿ءَأَمَنْتُمْ بِهِ﴾ على الخبر: حفص. وهذا توبيخ منه لهم. وبهمزتين: كوفي غير حفص. فالأولى همزة الاستفهام ومعناه الإنكار والاستبعاد) عبارة الإتحاف: وأما «ءَأَمَنْتُمْ» هنا وطله والشعراء، فالقراء فيها على أربع مراتب:

(الأولى): قراءة قالون والأزرق والبزي وأبي عمرو وابن ذكوان وهشام من طريق الحلواني والداجوني من طريق زيد وأبي جعفر بهمزة محققة، وأخرى

قبل إذني لكم ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ إن صنعكم هذا الحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا إلى الصحراء لغرض لكم

مسهلة وألف بعدها في الثلاث، وللأرزق فيها ثلاثة البدل، وإن تغير الهمز كما مر، ولم يبدل أحد عنه الثانية ألفاً، فقول الجعبري وورش على بدله بهمزة محققة، وألف بدل عن الثانية، وألف أخرى بدل عن الثالثة، ثم تحذف إحداها للساكنين تعقبه في النشر، ثم قال: ولعل ذلك وهم من بعضهم حيث رأى بعض الرواة عن ورش يقرؤها بالخبر، فظن أن ذلك على وجه البدل، وليس كذلك؛ بل هي رواية الأصبهاني، ورواية أحمد بن صالح ويونس وأبي الأزهر كلهم عن ورش يقرؤونها بهمزة كحفص، فمن كان من هؤلاء يرى المد لما بعد الهمز عد ذلك، فيكون مثل آمنوا، إلا أنه بالاستفهام وأبدل وحذف، انتهى. ونقله في الأصل وأقره على عادته، قال: فظهر أن من يقرأ عن ورش بهمزة واحدة إنما يقرأ بالخبر.

(المرتبة الثانية): لورش من طريق الأصبهاني وحفص ورؤيس بهمزة محققة بعدها ألف في الثلاث، وهي تحتمل الخبر المَحْض والاستفهام، وحذف الهمزة اعتماداً على قرينة التوبيخ.

(المرتبة الثالثة): لقنبل، وهو يفرق بين السور الثلاث فهنا أبدل همزتها الأولى واواً خالصة حالة الوصل؛ واختلِف عنه في الهمزة الثانية، فسهلها عنه ابن مجاهد وحققها مفتوحة ابن شنبوذ. وأما إذا ابتدأ، فههمزتين ثانيتهما مسهلة كرفيقه البيزي وأما طة والشعراء فسبق، ويأتي الحكم فيهما إن شاء الله تعالى.

(المرتبة الرابعة): لهشام، فيما رواه عنه الداجوني من طريق الشذائي وأبي بكر وحمزة والكسائي وروح وخلف بهمزتين محققتين وألف بعدهما من غير إدخال ألف بينهما في الثلاث، ولم يختلفوا في إبدال الثالثة ألفاً؛ لأنها فاء الكلمة أبدلت لسكونها بعد فتح، وذلك أن أصل هذه الكلمة: أأأمتهم بثلاث همزات: الأولى للاستفهام الإنكاري، والثانية همزة أفعل، والثالثة فاء الكلمة؛ فالثالثة يجب قلبها ألفاً على القاعدة، والأولى محققة ليس إلا غير أن حمزة إذا وقف يسهلها بين بين في وجه لكونها ح من المتوسط بغيره المفصل. وأما الثانية، ففيها الخلاف، ولم يدخل أحد من القراء ألفاً بين الهمزتين في هذه الكلمة لثلاً يجتمع أربع

وهو أن تخرجوا من مصر (القبط) وتسكنوا بني إسرائيل ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وعيد أجمله ثم فصله بقوله:

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلَفَ ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٢٤) ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (١٢٥) ﴿وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْتَ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (١٢٦)

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلَفَ﴾ من كل شق طرفاً ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ هو أول من قطع من خلاف وصلب ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (١٢٥) فلا نبالي بالموت لانقلابنا إلى لقاء ربنا ورحمته، أو إنا جميعاً يعنون أنفسهم وفرعون ننقلب إلى الله فيحكم بيننا ﴿وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْتَ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله، أرادوا وما تعيب منا إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر وهو الإيمان (ومنه قوله):

(ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب)

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي اصبب صبراً (ذريعاً). والمعنى هب لنا برّاً واسعاً وأكثره علينا حتى يفيض علينا و(يغمرنا كما يفرغ الماء) إفراغاً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ثابتين على الإسلام.

متشابهات. اهـ. قوله: (القبط) في مختار الصحاح: القبط بوزن السَّبْط أهل مصر، وهم بَنُكْهَا، أي أصلها. اهـ.

قوله: (ومنه قوله) أي قول النابغة الذبياني: (ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم، بهن فلول) جمع فلّ وهو كسر في حدّ السيف (من قراع الكتائب) القراع الضراب، والكتائب جمع كتيبة، وهي الجيش، والمعنى إذا لم يكن فيهم عيب إلا الشجاعة، وهي من أخصّ أوصاف المدح، فلا عيب فيهم. قوله: (ذريعاً) أي واسعاً. قوله: (يغمرنا) في القاموس: غمره الماء غمرًا واغتمره غطاه. اهـ. قوله: (كما يفرغ الماء) إشارة إلى أنّ قولهم: أفرغ استعارة تبعية، وصبراً قرينة شبه إنزال الصبر وإكثاره عليهم إفراغ الماء في الفيضان والغمر؛ لأن إفراغ الماء هو صبه بالكلية من الإناء، فيكون غامراً لما يُصَبّ عليه، ثم قيل: أفرغ بدل أنزل، وأكثر على الاستعارة التبعية.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْهَتَكُ قَالَ سَنَقُولُ أَبْنَاءَهُمْ وَسَتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر بالاستعلاء فيها وتغيير دين أهلها لأنه وافق السحرة على الإيمان ستمائة ألف نفر ﴿وَيَذُرْكُمُ الْهَتَكُ﴾ عطف على ﴿لِيُفْسِدُوا﴾ قيل: صنع فرعون لقومه أصناماً وأمرهم أن يعبدوها تقرباً إليه كما يعبد عبدة الأصنام الأصنام ويقولون ليقرّبونا إلى الله (زلفى)، ولذلك ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: الآية ٢٤] ﴿قَالَ﴾ فرعون مجيباً للملأ ﴿سَنَقُولُ أَبْنَاءَهُمْ وَسَتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ ﴿سَنَقُولُ﴾ (حجازي) أي سنعيد عليهم قتل الأبناء ليعلموا أنا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وأنهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا، ولثلاً يتوهم العامة أنه هو المولود الذي تحدث المنجمون بذهاب ملكنا على يده (فيشطهم) ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتباعه.

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصِرُوا إِنَّا الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَنِ رَبِّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَذُوكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصِرُوا﴾ قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل أبناءهم تسلياً لهم ووعداً بالنصر عليهم ﴿إِنَّا الْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ اللام للعهد أي أرض مصر أو للجنس فيتناول أرض مصر تناولاً أولياً ﴿لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فيه تمنية إياهم أرض مصر ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بشارة بأن الخاتمة المحمودودة للمتقين منهم ومن القبط. وأُخْلِيتْ هذه الجملة عن الواو لأنها جملة مستأنفة بخلاف قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ﴾ لأنها معطوفة على ما سبقها من قوله: ﴿قَالَ﴾

قوله: (زلفى) قرية. قوله: ﴿سَنَقُولُ﴾ بفتح النون وإسكان القاف وضّم التاء مخففة (حجازي) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، وابن كثير المكّي. والباقون بضمّ النون وفتح القاف وكسر التاء مشددة للتكثير، لتعدّد المحال. اهـ. قوله: (فيشطهم) في مختار الصحاح: ثبطه عن الأمر تبيطاً شغله عنه. اهـ.

الْمَلَأُ مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ ﴿١٢٩﴾ قَالُوا أَوَدِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴿١٣٠﴾ يَعْنُونَ قَتْلُ آبَائِهِمْ قَبْلَ مَوْلِدِ مُوسَى إِلَى أَنْ اسْتَنْبَى وَإِعَادَتِهِ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَذَلِكَ اسْتِكَاءُ مِنْ فِرْعَوْنَ وَاسْتِبْطَاءُ لَوَعْدِ النِّصْرِ ﴿١٣١﴾ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴿١٣٢﴾ تَصْرِيحٌ بِمَا رَمَزَ إِلَيْهِ مِنَ الْبَشَارَةِ قَبْلَ وَكُشْفِ عَنْهُ وَهُوَ إِهْلَاكُ فِرْعَوْنَ وَاسْتِخْلَافِهِمْ بَعْدَهُ فِي أَرْضِ مِصْرَ ﴿١٣٣﴾ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ فَيَرَى الْكَائِنَ مِنْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ حَسَنَهُ وَقَبِيحَهُ وَشُكْرَ النِّعْمَةِ وَكُفْرَانَهَا لِيَجَازِيَكُمْ (عَلَى حَسَبِ مَا يَوْجَدُ مِنْكُمْ). وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبِيدٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى (الْمَنْصُورِ) قَبْلَ الْخِلَافَةِ وَعَلَى مَاثِدَتِهِ (رَغِيفِ)

قوله: (على حسب ما يوجد منكم) في لسان العرب: الْحَسْبُ وَالْحَسْبُ قَدَرُ الشَّيْءِ، كَقَوْلِكَ: الْأَجْرُ بِحَسَبِ مَا عِلِمَتْ وَحَسْبُهُ. اهـ.

قوله: (عمرو بن عبید) بن عبید بن باب - بموحدتين - التميمي مولا لهم، أبو عثمان البصري المعتزلي المشهور، كان داعية إلى بدعة اتهمه جماعة مع أنه كان عابداً. مات سنة ثلاث وأربعين أو قبلها بعد المائة.

قوله: (المنصور) أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأمه سلامة البربرية أم ولد، وُلِدَ سنة خمس وتسعين وأدرك جدّه ولم يَرَوْهُ، وَرَوَى عَنْ أَبِيهِ وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ وَعَنْ وَلَدِهِ الْمَهْدِيِّ وَبُوعٍ بِالْخِلَافَةِ بَعْدِهِ مِنْ أَخِيهِ - يَعْنِي السَّفَاحَ - أبا العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، وَكَانَ الْمَنْصُورُ فَحْلَ بَنِي الْعَبَّاسِ هَبِيَّةً وَشَجَاعَةً وَحَزْمًا وَرَأْيًا وَجَبْرُوتًا جَمَاعًا لِلْمَالِ تَارِكًا لِلْهُوِّ وَاللَّعِبِ، كَامِلَ الْعَقْلِ جَيِّدَ الْمَشَارَكَةِ فِي الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، فَقِيَهُ النَّفْسَ، قَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا حَتَّى اسْتَقَامَ مَلِكُهُ، وَهُوَ الَّذِي ضَرَبَ الْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَلَى الْقَضَاءِ ثُمَّ سَجَّهَ فَمَاتَ بَعْدَ أَيَّامٍ، وَقِيلَ: إِنَّهُ قَتَلَهُ بِالسَّمِّ لِكَوْنِهِ أَفْتَى بِالْخُرُوجِ عَلَيْهِ، وَكَانَ فَصِيحًا بَلِيغًا مَفْوَهَا خَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَكَانَ غَايَةً فِي الْحِرْصِ وَالْبَخْلِ، فَلَقَّبَ أَبَا الدَّوَانِيقِ لِمَحَاسِبَةِ الْعُمَالِ وَالصُّنَّاعِ عَلَى الدَّوَانِيقِ وَالْحَبَّاتِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ بِالْبَطْنِ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَدُفِنَ بَيْنَ الْحَجَّوْنِ وَبَيْنَ بَثْرِ مَيْمُونٍ.

قوله: (رغيف) في مختار الصحاح: الرَّغِيفُ مِنَ الْخَبْزِ، وَالْجَمْعُ أَرْغِفَةٌ وَرُغْفٌ وَرُغْفَانٌ. اهـ.

أو رغيفان، وطلب المنصور زيادة لعمره فلم توجد فقراً عمرو هذه الآية، ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال: قد بقي ﴿فَيَنْظُرْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (١٣٠)

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ سني القحط وهن سبع سنين، والسنة من الأسماء الغالبة كالذابة و(النجم) ﴿وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ قيل: السنون لأهل (البوادي) ونقص الثمرات للأمصار ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ ليتعظوا فينبهوا على أن ذلك لإصرارهم على الكفر، ولأن الناس في حال الشدة (أضرع خدوداً) و(أرق أفئدة). وقيل: عاش فرعون أربعمئة سنة لم ير مكروهاً في ثلاثمئة وعشرين سنة، ولو أصابه في تلك المدة (وجع) أو (جوع) أو حمى لما ادعى الربوبية.

قوله: (النجم) في مختار الصحاح: النجم الكوكب والنجم الثريّا، وهو اسم لها علم كزيد وعمرو، فإذا قالوا: طلع النجم يريدون الثريّا، وإن أخرجت منه الألف واللام تنكر. اهـ. قوله: (البوادي) جمع البادية. اهـ مصباح. قوله: (أضرع) في المصباح: ضرع له يضرع - بفتحيتين - ضراعة ذلّ وخضع فهو ضارع، وضرع ضرعاً فهو ضرع من باب تعب لغة. اهـ. قوله: (خدوداً) في المصباح: الخدّ جمعه خدود، وهو من المحجر إلى اللّحي من الجانبين. اهـ. وأيضاً فيه: الحجر مثال مجلس ما ظهر من الثقب من الرجل والمرأة من الجفن الأسفل، وقد يكون من الأعلى، وقال بعض العرب: هو ما دار بالعين من جميع الجوانب، وبدا من البرقع، والنجم المحاجر. اهـ. قوله: (أرق) في المصباح: رق الشيء يرق من باب ضرب خلاف غلظ، فهو رقيق. اهـ. قوله: (أفئدة) في المصباح: الفؤاد القلب، وهو مذكر، والجمع أفئدة. اهـ. قوله: (وجع) في المصباح: وجع فلاناً رأسه أو بطئه تجعل الإنسان مفعولاً والعضو فاعلاً، وقد يجوز العكس، وكأنه على القلب لفهم المعنى يوجع وجعاً من باب تعب، فهو وجع أي مريض متألم، ويقع الوجع على كل مرض وجمعه أوجاع مثل سبب وأسباب وأوجاع أيضاً بالكسر، مثل جبل وجبال، وقوم وجعئون ووجعى مثل مرضى ونساء وجعات ووجاعى، وربما قيل: أوجعه رأسه بالألف والأصل وجعه ألم رأسه وأوجعه ألم رأسه لكنه حذف للعلم به، وعلى هذا فيقال: فلان مروجع، والأجود مروجع الرأس، وإذا قيل: زيد يوجع رأسه بحذف المفعول انتصب الرأس، وفي نصبه قولان: قال الفراء:

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ الصحة و(الخصب) ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي هذه التي نستحقها ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ (جذب) ومرض ﴿يَطَّيَّرُوا﴾ أصله «يتطيروا» فأدغمت التاء في الطاء لأنها من طرف اللسان وأصول (الثنايا) ﴿بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾ تشاءموا بهم وقالوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا. وإنما دخل «إذا» في الحسنة وعُرفت الحسنة و«إن» في السيئة ونكرت السيئة، لأن جنس الحسنة وقوعه كالكاثر لكثرتها، وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها ﴿أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ﴾ سبب خيرهم وشرهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ في حكمه ومشيته والله هو الذي قدر ما يصيبهم من الحسنة والسيئة ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: الآية ٧٨]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أصل «مهما» ما ما، فما الأولى للجزاء ضمت إليها «ما» المزيدة المؤكدة (للجزاء) في قولك «متى» ما تخرج أخرج ﴿أَيَّنَ مَا تَكُونُوا﴾ [النساء: الآية ٧٨]، ﴿فِيمَا نَذَهْنُ بِكَ﴾ [الرُخْف: الآية ٤١] إلا أن الألف قلبت هاء استثقالاً لتكرير المتجانسين وهو المذهب

وجعت بطنك مثل رَشِدَتْ أَمْرُكُ؛ فالمعرفة هنا في معنى التَّكْرَةِ، وقال غير الفراء: نَصَبُ البطن بنزع الخافض، والأصل وجعت من بطنك ورَشِدَتْ في أَمْرُكُ؛ لأن المفسرات عند البصريين لا يكون إلا نكرات، وهذا على القول بجعل الشخص مفعولاً واضح. أما إذا جعل الشخص فاعلاً والعضو مفعولاً، فلا يحتاج إلى هذا التأويل. اهـ. قوله: (جوع) في المصباح: جاع الرجل جَوْعًا والاسم الجوع بالضم. اهـ. وفي مختار الصحاح: الجُوع ضد الشَّبع. اهـ.

قوله: (الخصب) بالكسر ضدَّ الجذب. قوله: (جذب) الجذب هو المحل وزناً ومعنى، وهو انقطاع المطر ويس الأرض. اهـ مصباح. قوله: (الثنايا) جمع ثنية. قوله: (إذا) أداة التحقيق. قوله: (إن) حرف الشك.

قوله: (للجزاء) أي للشرط لأنهم يستمّون الشرط جزاء.

(السديد) البصري، وهو في موضع النصب بـ ﴿تَأْتِنَا﴾ أي أيما شيء تحضرنا تأتينا به، و﴿مِنْ آيَةٍ﴾ تبين لـ ﴿مَهْمَا﴾ والضمير في ﴿بِهِ﴾ و﴿بِهَا﴾ راجع إلى ﴿مَهْمَا﴾ إلا أن الأول ذكر على اللفظ والثاني أتت على المعنى لأنها في معنى الآية، وإنما سموها آية اعتباراً لتسمية موسى أو قصدوا بذلك الاستهزاء.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالذَّمَءَ ابْتِ مَفْضَلَتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا تُجْرِمُونَ﴾ (١٣٣)

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ (ما طاف بهم) وغلبهم من مطر أو سيل. قيل: (طفا) الماء فوق حروثهم وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمساً ولا قمراً ولا يقدر أحد أن يخرج من داره. وقيل: دخل الماء في بيوت القبط حتى قاموا في الماء (إلى تراقبهم)، فمن جلس (غرق) ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة، أو هو (الجدري) أو (الطاعون) ﴿وَالْجَرَادَ﴾ فأكلت زروعهم

قوله: (السديد) أي الصواب. في لسان العرب: السديد والسداد الصواب من القول. وفي المصباح: السداد - بالفتح - الصواب من القول والفعل، وأسَدَ الرجل بالألف جاء بالسداد، وسَدَّ يسدّ من باب ضرب سدوداً أصاب في قوله وفعله، فهو سديد. اهـ.

قوله: (ما طاف بهم) ... الخ. يعني هو فعلاّن اسم جنس من الطوفان، وقيل: إنه في الأصل مصدر كقصان، وهو اسم لكل شيء حادث يحيط بالجهات ويعمّ كالماء الكثير والقتل الذريع والموت الجارف، قاله أبو إسحق. وقد روي عن النبي ﷺ تفسيره بالموت لكنه اشتهر في طوفان الماء، وهو معروف. وقيل: هو اسم جنس واحده طوفانة. اهـ شهاب رحمته. **قوله:** (طفا) أي علا بابه عدا وسما. **قوله:** (إلى تراقبهم) التراقي جمع ترقة أعلى الصدر، أي واصلًا إلى تراقبهم. في المصباح: الترقوة وزنها فعلوة - بفتح الفاء وضم اللام - وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين، والجمع التراقي. قال بعضهم: ولا تكون الترقوة لشيء من الحيوانات إلا للإنسان خاصة. اهـ. **قوله:** (غرق) من باب طرب. **قوله:** (الجدري) بفتح الجيم وضمها، وأما الدال فمفتوحة فيهما: قروح تنفط عن الجلد ممثلة ماء، ثم تنفتح وصاحبها جدير مجذر، ويقال: أول من عذب به قوم فرعون. اهـ مصباح. **قوله:** (الطاعون) الموت من الوباء. اهـ مصباح

وثمارهم وسقوف بيوتهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منها شيء ﴿وَالْقَمَلَ﴾ وهي (الدبا) وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها، أو (البراغيث، أو كبار القردان) و(الضفادع) وكانت تقع في طعامهم وشرابهم حتى إذا تكلم الرجل تقع في فيه ﴿وَالَّذِمَّ﴾ أي الرعاف). وقيل: مياهم انقلبت دما حتى إن القبطي والإسرائيلي إذا اجتمعا على إناء فيكون ما (يلي) الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما. وقيل: سال عليهم (النيل) دما ﴿ءَايَتِ﴾ حال من الأشياء المذكورة ﴿مُفَصَّلَتِ﴾ مينات ظاهرات (لا يشكل) على عاقل أنها من آيات الله أو مفرقات بين كل آيتين شهر ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بموسى ﴿وَكَاَنُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ آدُعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بِلَفْظِهِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ العذاب الأخير وهو الدم، أو العذاب المذكور واحداً بعد واحد ﴿قَالُوا يَمْوَسَىٰ آدُعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ «ما» مصدرية أي

ومختار الصّحاح. قوله: (الدبا) وزان عصا الجراد يتحرك قبل أن تنبت له أجنة. اهـ مصباح. وفي مختار الصحاح: الدّبا الجراد قبل أن يطير^(١)، الواحدة دّباء. اهـ. قوله: (البراغيث) في مختار الصّحاح: البرغوث - بضم الباء - معروف. اهـ. وفي الصّحاح: البرغوث واحد البراغيث. اهـ. قوله: (أو كبار القردان) بضم القاف وسكون الراء المهملة جمع القراد. في المصباح: القراد مثل غراب ما يتعلّق بالبعير ونحوه، وهو كالقمل للإنسان، الواحد قرادة، والجمع قردان، مثل غرابان. اهـ. وقيل: القمل هي صغار الذر، وقيل: هو بمعنى القمل بفتح فسكون، كما قرئ به أيضاً. قوله: (الضفادع) جمع الضفدع - بكسرتين - الذّكر، والضفدعة الأنثى، وناس يقولونه: بفتح الدال، وأنكره الخليل. قوله: (الرّعاف) الدم يخرج من الأنف. اهـ مختار الصّحاح. قوله: (يلي) الولي مثل فلس القرب. اهـ مصباح. قوله: (النّيل) بالكسر نهر مصر. اهـ قاموس. قوله: (لا يشكل) في المصباح: أشكل الأمر - بالألف - التيس. اهـ.

(١) لكونها لم ينبت لها أجنة بعد. ١٢ منه عمّ فيضهم.

بعهده عندك (وهو النبوة)، والباء تتعلق بـ ﴿أَدْعُ﴾ أي ادع الله لنا متوسلاً إليه بعهده عندك ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنْآ الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنَى إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٦﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ إلى حد من الزمان ﴿هُمْ بَلِّغُوهُ﴾ (لا محالة) فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ جواب ﴿لَمَّا﴾ (أي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكت ولم يؤخروه).

﴿فَأَنقَضْنَا مِنْهُمْ فَاغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا أَلَىٰ بَرْكَنَّا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿فَأَنقَضْنَا مِنْهُمْ﴾ هو ضد الإنعام كما أن العقاب هو ضد الثواب ﴿فَاغْرَقْنَاهُمْ﴾ في الْيَمِّ هو البحر الذي لا يدرك قعره، أو هو (لجة البحر) ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لأن المنتفعين به يقصدونه ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾

قوله: (وهو النبوة) وسميت النبوة عهداً؛ لأن الله تعالى عهد إكرام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بها، وعهدوا إليه تحمّل أعباءها، أو لأن لها حقوقاً تُحفظ كما تُحفظ العهود، أو لأنها بمنزلة عهد ومنشور من الله. قوله: (لا محالة) أي لا بدّ. قوله: (أي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكت) أي بادروه (ولم يؤخروه) عن ابتداء وقوع الكشف مبني على محافظة ما ذهبوا إليه من أن ما يلي كلمة لَمَّا من الفعلين يجب أن يكون ماضياً لفظاً أو معنى؛ فجواب لما بالحقيقة هو هذا الفعل المقدّر، وكلاً الاسمين - أعني لَمَّا وإذا - معمول له، ولما ظرفية، وإذا مفعول به، والنكت النقص، وأصله من نكت الصوف ليغزل ثانياً، فاستعير لنقص العهد بعد إحكامه وإبرامه، كما في خيوط الأكسية إذا نكتت بعدما أبرمت، وهذا من أحسن الاستعارات.

قوله: ﴿فَأَنقَضْنَا مِنْهُمْ﴾ فأردنا الانتقام منهم. اهـ بيضاوي. قوله: فأردنا الانتقام لَمَّا كان الانتقام عين الإغراق أوله به ليتفرّع عليه، أو الفاء مفسرة له عند مَنْ أثبتها. اهـ شهاب رحمه الله. قوله: (لجة البحر) في مختار الصحاح: لجة الماء

أَيَّ كَانَ إِغْرَاقَهُمْ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ بِالْآيَاتِ وَغَفْلَتِهِمْ عَنْهَا وَقَلَّةِ فِكْرِهِمْ فِيهَا ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ هُمُ بَنُو إِسْرَائِيلَ كَانَ يُسْتَضْعَفُهُمْ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ بِالْقَتْلِ وَالِاسْتِخْدَامِ ﴿مَشْرِكَ الْأَرْضِ وَمَعْرِهَا﴾ يَعْنِي أَرْضَ مِصْرَ وَالشَّامِ ﴿الَّتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا﴾ بِالْخَصْبِ وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ وَكَثْرَةِ الْأَنْهَارِ وَالْأَشْجَارِ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحَسَنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ هُوَ قَوْلُهُ: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَذُوكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: الآية ١٢٩]، أَوْ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ﴾ إِلَى ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [الفصص: الآية ٥]. وَالْحَسَنَى تَأْنِيثُ الْأَحْسَنِ صِفَةُ الْكَلِمَةِ (وَعَلَى صِلَةُ «تَمَّتْ») أَيُّ مَضَتْ عَلَيْهِمْ وَاسْتَمَرَّتْ مِنْ قَوْلِكَ تَمَّ عَلَيَّ الْأَمْرُ إِذَا مَضَى عَلَيْهِ ﴿يَمَّا صَبَرُوا﴾ بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ وَحَسْبِكَ بِهِ حَاتِئًا عَلَى الصَّبْرِ وَدَالًّا عَلَى أَنَّ مَنْ قَابَلَ الْبَلَاءَ (بِالْجَزَعِ وَكُلَّهُ لِلَّهِ إِلَيْهِ) ، وَمَنْ قَابَلَهُ بِالصَّبْرِ (ضَمَّنَ) اللَّهُ لَهُ (الْفَرْجَ) ﴿وَدَمَرْنَا﴾ أَهْلَكْنَا ﴿مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ مِنَ الْعِمَارَاتِ وَبِنَاءِ الْقُصُورِ ﴿وَمَا كَانُوا يَحْشَرُونَ﴾ مِنَ الْجَنَاتِ، أَوْ مَا كَانُوا يَرْفَعُونَ مِنَ الْأَبْنِيَةِ (الْمَشِيدَةِ) فِي السَّمَاءِ كَصَرْحِ هَامَانَ وَغَيْرِهِ. (وَبِضْمِ الرَّاءِ: شَامِي وَأَبُو بَكْرٍ). وَهَذَا آخِرُ قِصَّةِ فِرْعَوْنَ وَالْقَبْطِ وَتَكْذِيبِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ.

- بِالضَّمِّ - مَعْظَمُهُ، وَكَذَا اللَّجُّ وَمِنْهُ بَحْرُ لُجِّيٍّ. اهـ. قَوْلُهُ: ﴿مَشْرِكَ الْأَرْضِ وَمَعْرِهَا﴾ يَعْنِي أَرْضَ مِصْرَ وَالشَّامِ، وَأَرَادَ بِمَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا جَمِيعَ جِهَاتِهَا وَنَوَاحِيهَا. قَوْلُهُ: ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ أَيُّ وَنَجَعْلُهُمْ أَثَمَةً وَنَجْعْلُهُمُ الْوَارِثِينَ (مَلِكُ فِرْعَوْنَ) ﴿وَنُتِمِّكَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الفصص: الآية ٦] (أَرْضُ مِصْرَ وَالشَّامِ) ﴿وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَمْلَكَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [الفصص: الآية ٦] يَخَافُونَ مِنَ الْمَوْلُودِ الَّذِي يَذْهَبُ مَلِكُهُمْ عَلَى يَدَيْهِ. قَوْلُهُ: (وَعَلَى صِلَةُ تَمَّتْ) أَيُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَتَمَّتْ﴾ [الأعراف: الآية ١٣٧]. قَوْلُهُ: (بِالْجَزَعِ) فِي مُخْتَارِ الصُّحَاحِ: الْجَزَعُ ضِدُّ الصَّبْرِ، وَبَابُهُ طَرَبٌ. قَوْلُهُ: (وَكُلَّهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) فِي الْمَصْبَاحِ: وَكَلَّتْهُ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ بَابِ وَعَدٍ، وَلَوْلَا لَمْ أَقْمِ بِأَمْرِهِ وَلَمْ أُعْهِ. اهـ. قَوْلُهُ: (ضَمَّنَ) فِي مُخْتَارِ الصُّحَاحِ: ضَمَّنَ الشَّيْءَ - بِالْكَسْرِ - ضَمَانًا كَفَلَ بِهِ، فَهُوَ ضَامِنٌ وَضَمِينٌ. اهـ. قَوْلُهُ: (الْفَرْجَ) بِفَتْحَتَيْنِ قَوْلُهُ: (الْمَشِيدَةِ) الْمَرْتَفَعَةِ. قَوْلُهُ: (وَبِضْمِ الرَّاءِ: شَامِي) أَيُّ ابْنِ عَامِرِ الشَّامِيِّ، (وَأَبُو بَكْرٍ) شُعْبَةُ عَنْ عَاصِمٍ، وَابْنُ الْقَاسِمِ.

ثم أتبعه قصة بني إسرائيل وما أحدثوه بعد إنقاذهم من فرعون ومعابنتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وغير ذلك، ليتسلى رسول الله ﷺ (مما رآه من بني إسرائيل بالمدينة).

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

(وجاوزوه) ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾ (رُوي أنهم (عبر بهم) موسى (يوم عاشوراء بعدما أهلك الله فرعون وقومه) فصاموه شكراً لله ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ﴾ فمروا

قوله: (مما رآه من بني إسرائيل بالمدينة)، فإنهم جروا على ذأب أسلافهم مع موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

قوله: (وجاوزوه) ... الخ. البحر بحر القلزم، وأخطأ مَنْ قال إنه نيل مصر، كما في البحر. اهـ شهاب. قوله: (عبر بهم) أي جاوز بهم البحر. قوله: (يوم عاشوراء) عاشر المحرم. قوله: (بعدما أهلك الله فرعون وقومه) هذا صريح في أن عبور موسى وقومه بعد هلاك فرعون وقومه، لكن الآية المذكورة في سورة الشعراء من قوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء: الآيتان ٦٥، ٦٦] صريح في أن عبور موسى وقومه قبل هلاك فرعون وقومه، اللهم إن يلتزم أن عبور موسى وقومه على البحر كان مرتين: مرة قبل هلاك فرعون، وهو مدلول الآية في سورة الشعراء وسورة يونس. ومرة بعد هلاكهم، وهو مدلول الرواية المذكورة، فتأمل. وفي حاشية تفسير البيضاوي للعلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قيل: يحتمل أن تكون البعدية رتبة، فإن عبور الجَمِّ الغفير البحر العميق من غير أن يتلَّ قدم أحد أعظم آية من هلاك فرعون وقومه، وهو دَفْعُ لما ورد عليه وعلى الكشف من أنه وقع في سورة الشعراء: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء: الآيتان ٦٥، ٦٦]، وهو صريح في أن عبور موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم وقومه قبل هلاك فرعون، وكلام المصنف رحمه الله في سورة البقرة يدلُّ عليه، ولذا قيل: إن عبور موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقومه البحر وقع مرتين: مرة قبله ومرة بعده، فتأمل. وفي حاشيته للعلامة القنوي: وما نطق به النص الكريم عبوره بهم قبل مهلك فرعون

عليهم ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ يواظبون على عبادتها وكانت (تماثيل) بقر. (وبكسر الكاف: حمزة وعلي). ﴿قَالُوا يَمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ صنما نعكف عليه ﴿كَمَا لَهُمْ ءِلَٰهَةٌ﴾ أصنام يعكفون عليها. و«ما» كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها. قال يهودي لعلي ؑ: اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه. فقال: قلت ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ ولم تجف أقدامكم ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى فوصفهم بالجهل المطلق وأكدته.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَّبَرُّ مَا هُمْ فِيهِ وَيَنْظُرُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٩) قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِيَكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤١﴾

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني عبدة تلك التماثيل ﴿مُتَّبَرُّ﴾ مهلك من (التبار) ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي. وفي إيقاع ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ اسمًا لـ «إن» وتقدير خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرًا لها (وَسَم) لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرضون للتبار وأنه لا يعدوهم البتة ﴿وَيَنْظُرُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي ما عملوا من عبادة الأصنام باطل مضمحل ﴿قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِيَكُمْ إِلَٰهًا﴾ أي أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودًا ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ حال أي على عالمي زمانكم.

﴿وَإِذْ أَتَيْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (١٤١)

﴿وَإِذْ أَتَيْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ («أنجاكم» شامي) ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يغيثونكم شدة العذاب من سام السلعة إذا طلبها، وهو استئناف لا محل له، أو حال من

وأما بعده، فلا دلالة النص عليه ولا الإشارة إليه، ولعل لهذا عَرْض المصنف، فقال: رُوِيَ. اهـ. قوله: (تماثيل) أي صُور. قوله: (بكسر الكاف حمزة وعلي) الكسائي، والباقون بالضم.

قوله: (التَّبار) - بالفتح - الهلاك. اهـ مختار الصحاح. قوله: (وَسَم) أي علامة.

قوله: (أنجاكم) بألف بعد الجيم من غير ياء ولا نون، (شامي) أي ابن عامر الشامي، والباقون بياء ونون بعد الجيم وألف بعدهما.

المخاطبين، أو من ﴿إِلَٰهَ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿يُقِنُّوْنَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ ﴿يَقْتُلُونَ﴾ (نافع) ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ﴾ أي في الإنجاء أو في العذاب ﴿بَلَاءٌ﴾ (نعمة أو محنة) ﴿مَنْ رَزَقْنَاهُ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَزْبَعَتْ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿١٤٢﴾

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ لإعطاء التوراة ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ رُوي أن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله، فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوماً وهي شهر ذي القعدة، فلما أتم الثلاثين أنكر (خلوف فيه) فتسوك، فأوحى الله إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك ﴿قَتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ﴾ ما وقت له من الوقت وضربه له ﴿أَزْبَعَتْ لَيْلَةً﴾ نصب على الحال أي تم بالغاً هذا العدد، ولقد أجمل ذكر الأربعين في «البقرة» وفصلها هنا ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ هو عطف بيان ﴿لِأَخِيهِ﴾ ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ كن خليفتي فيهم ﴿وَأَصْلِحْ﴾ (ما يجب أن يصلح) من أمور بني إسرائيل ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ومن دعاك منهم إلى الإفساد فلا تتبعه ولا تطعه.

قوله: ﴿يَقْتُلُونَ﴾ بفتح الياء وإسكان القاف وضمّ التاء مخففة (نافع)، والباقون بضمّ الياء وفتح القاف وكسر التاء مشددة. قوله: (نعمة أو محنة)؛ لأنّ البلاء بمعنى الابتلاء والاختبار، وهو يكون بكلّ منهما، وفيه لفّ ونشر مرتّب. اهـ شهاب. وقال العلامة شيخ زاده رَحِمَهُ اللهُ: فإنّ البلاء يُطلق على كلّ واحدة منهما، قال تعالى: ﴿وَيَبْلُونَهُمْ بِأَلْسِنَتٍ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ [الأعراف: الآية ١٦٨] وفيه لفّ ونشر، فإنّ البلاء النعمة على تقدير أن تكون الإشارة إلى الإنجاء والمحنة على تقدير أن تكون إلى العذاب. اهـ.

قوله: (خلوف فيه) - بضمّ الخاء - تغير رائحة الفم. قوله: (ما يجب أن يصلح) على أن يقدر له مفعول.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا. ومعنى اللام الاختصاص أي اختص مجيئه لميقاتنا ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بلا واسطة ولا كيفية. وروى أنه (كان يسمع الكلام من كل جهة. وذكر الشيخ في التأويلات) أن موسى عليه السلام سمع صوتاً دالاً على كلام الله تعالى، وكان اختصاصه باعتبار أنه أسمعته صوتاً تولّى تخليقه من غير أن يكون ذلك الصوت مكتسباً لأحد من الخلق، وغيره يسمع صوتاً مكتسباً للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى، فلما سمع كلامه طمع في رؤيته لغلبة شوقه فسأل الرؤية بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ ثاني مفعولي ﴿أَرِنِي﴾ محذوف أي أرني ذاتك أنظر إليك يعني مكثي من رؤيتك بأن تتجلى لي حتى أراك («أرني» مكّي. وبكسر الراء مختلصة: أبو عمرو، وبكسر الراء مشبعة: غيرهما) وهو دليل لأهل السنة على جواز الرؤية، فإن موسى عليه السلام اعتقد أن الله تعالى يرى حتى سألوه واعتقاد جواز ما لا يجوز على الله كفر ﴿قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾ بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية، وهو دليل لنا أيضاً لأنه لم يقل لن أرى ليكون نفياً للجواز، ولو لم يكن مرثياً لأخبر بأنه ليس بمري إذ الحالة حالة الحاجة إلى البيان ﴿وَلَكِنْ أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ ﴿بقي على

قوله: (كان يسمع الكلام من كل جهة) المراد بالسمع من كل جهة عدم اختصاص ما سمعه بجهة من الجهات. قوله: (وذكر الشيخ) أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (في التأويلات) أي في كتاب تأويلات القرآن، وهو كتاب لا يُوازيه فيه كتاب.

قوله: (أرني) بإسكان الراء (مكّي) أي ابن كثير المكّي (وبكسر الراء مختلصة أبو عمرو) البصري (وبكسر الراء مشبعة) أي بالكسرة الكاملة (غيرهما). واتفقوا على إسكان يائه.

قوله: ﴿وَلَكِنْ أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾، والجبل قيل: جبل زبير - بزاي معجمة مفتوحة وباء موحدة مكسورة وراء مهملة - بوزن أمير، اسم هذا الجبل؛ كما في

حاله ﴿فَسَوْفَ تَرَوُنَّ﴾ وهو دليل لنا أيضًا لأنه علّق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن، وتعليق الشيء بما هو ممكن يدلّ على إمكانه كالتعليق بالمتنع يدلّ على امتناعه، والدليل على أنه ممكن قوله: ﴿جَعَلَكُمْ دَكَّاءَ﴾ ولم يقل «اندك» وما أوجده تعالى كان جائزًا أن لا يوجد لو لم يوجد لأنه مختار في فعله، ولأنه تعالى ما آيسه عن ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالًا لعاتبه كما عاتب نوحًا عليه السلام بقوله: ﴿إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: الآية ٤٦] حيث سأل إنجاء ابنه من الغرق.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ لَبَّيْ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ أي ظهر وبان ظهورًا بلا كيف. قال الشيخ أبو منصور رحمه الله: معنى التجلي للجبل ما قاله (الأشعري) إنه تعالى خلق في الجبل حياة وعلماً ورؤية حتى رأى ربه، وهذا نصّ في إثبات كونه مرئيًا، وبهذه الوجزة يتبين جهل منكري الرؤية وقولهم بأن موسى عليه السلام كان عالمًا بأنه لا يرى ولكن طلب قومه أن يريهم ربه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: الآية ٥٥] فلطلب الرؤية ليبين الله تعالى أنه ليس بمرئي باطل إذ لو كان كما زعموا لقال أرهم ينظروا إليك ثم يقول له: لن يروني. ولأنها لو لم تكن جائزة لما أخر موسى عليه السلام الرد عليهم بل كان يرد عليهم وقت قرع كلامهم سمعه لما فيه من التقرير على الكفر، وهو عليه السلام بعث لتغييره لا لتقريره، ألا ترى أنهم لما قالوا له: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ لم يمهلهم بل ردّ عليهم من ساعته بقوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَّجْهُلُونَ﴾ ﴿جَعَلَكُمْ دَكَّاءَ﴾ مذكوكًا

القاموس. والمشهور أنه الظهور. اهـ شهاب. وعبرة القاموس: الزبير كأمير الجبل الذي كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام. اهـ.

قوله: (الأشعري) أي أبو الحسن عليّ الأشعري، وهو صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية وشهرته تُغني عن الإطالة في تعريفه. توفي سنة ثيِّف وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وقيل: سنة ثلاثين فجأة، والأشعري - بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح العين المهملة وبعدها راء - هذه النسبة إلى أشعر، واسمه بُت بن أدد بن زيد بن يشجب، وإنما قيل له أشعر؛ لأن أمه ولدته والشعر على بدنه، هكذا قاله السمعاني، والله سبحانه وتعالى أعلم.

مصدر بمصدر بمعنى المفعول كضرب الأمير (والدق والدك) أخوان. («دكاء» حمزة وعلي). أي مستوية بالأرض لا (أكمة) فيها وناقة دكاء لا (سنام) لها ﴿وَحَرَّ مَوْسَىٰ صَعْقًا﴾ حال أي سقط مغشيًا عليه ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ من صعقته ﴿قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ﴾ من السؤال في الدنيا ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بعظمتك وجلالك، وبأنك لا تعطي الرؤية في الدنيا مع جوازها. وقال (الكعبي والأصم): معنى قوله: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ أرني آية أعلمك بها بطريق الضرورة كأنني أنظر إليك ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ لن تطيق معرفتي بهذه الصفة ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ فإني أظهر له آية، فإن ثبت الجبل لتجليها ﴿وَأَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ فسوف تثبت لها وتطيقها. وهذا فاسد لأنه قال: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ ولم يقل «إليها» وقال: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ ولم يقل لن ترى آيتي وكيف يكون معناه لن ترى آيتي وقد أراه أعظم الآيات حيث جعل الجبل دكاء؟

قوله: (والدق والدك) أخوان، أي نظيران، ومعناها واحد. قوله: («دكاء») بالمد والهمز من غير تنوين بوزن حمراء (حمزة وعلي) الكسائي، والباقون بالتنوين بلا مد ولا همز. قوله: (أكمة) في المصباح: الأكمة تلّ، وقيل: شرفة كالرابية، وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد، وربما غلظ، وربما لم يغلظ، والجمع أكم وأكمات، مثل قصبة وقصب وقصبات، وجمع الأكم آكام مثل جبل وجبال، وجمع الآكام أكم - بضمتين - مثل كتاب وكتب، وجمع الأكم آكام، مثل عنق وأعناق. اهـ.

قوله: (سنام) - بالفتح - في لسان العرب: سنام البعير والناقة أعلى ظهرها، والجمع أسنمة. اهـ.

قوله: (الكعبي) البلخي المتكلم رأس الكعبية من المعتزلة وصاحب التصانيف والمقالات، أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود، وكان من مقالاته أنّ الله سبحانه وتعالى ليست له إرادة، وأنّ جميع أفعاله واقعة منه بغير إرادة ولا مشيئة منه لها، وله اختيارات في علم الكلام. توفي مستهل شعبان سنة سبع عشرة وثلاثمائة، والكعبي - بفتح الكاف وسكون العين المهملة وبعدها باء موحدة - هذه النسبة إلى بني كعب، والله سبحانه وتعالى أعلم. قوله: (والأصم) أي وأبو بكر الأصم من المعتزلة.

﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤)

﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ اخترتك على أهل زمانك «برسالتني» (هي أسفار التوراة «برسالتني»: حجازي) ﴿وَبِكَلِمِي﴾ (بتكليمي إياك) ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ أعطيتك من شرف النبوة والحكمة ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ على النعمة في ذلك فهي من أجل النعم. قيل: خر موسى صعباً (يوم عرفة)، وأعطيت التوراة (يوم النحر). ولما كان هارون وزيراً وتابعا لموسى تخصص الاصطفاء بموسى ﷺ.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١٤٥)

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ الألواح التوراة جمع لوح وكانت عشرة ألواح. وقيل: سبعة وكانت من (زمرّد).

قوله: (هي أسفار التوراة) أي كتب التوراة ومجلداتها وألواحها، وهو جمع سفر، وهو الكتاب. يقال: سفره أي كتبه، فتكون الرسالة عبارة عن نفس الشيء المرسل به إلى الغير، فينبغي أن يقدر المضاف، أي بتبليغ رسالته. قوله: (برسالتني) بغير ألف بعد اللام على التوحيد (حجازي) إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل: حجازي، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وابن كثير المكي. والباقيون بإثبات الألف على الجمع. قوله: (بتكليمي) أي الكلام هنا مصدر على أصله، لا اسم اللفظ. قوله: (إياك) أي المفعول في النظم الجليل محذوف. قوله: (يوم عرفة) تاسع ذي الحجة عَلم لا يدخلها الألف واللام، وهي ممنوعة من الصرف للتأنيث والعلمية. اهـ مصباح. قوله: (يوم النحر) عاشر ذي الحجة يوم الأضحى؛ لأن البُدن تُنحر فيه. اهـ لسان العرب.

قوله: (زمرّد) في المصباح: الزمرّد - مثقل الرء مضمومة والذال معجمة - هو الزبرجد، قال ابن قُتَيْبَة: والذال المهملة تصحيف، وحُكي في البارع عن الأصمعي: الصواب بذال معجمة الواحدة زمردة. اهـ. وفي مختار الصحاح: الزمرّد بضم الزاي والراء وتشديدها الزبرجد، وهو معرب. اهـ. وفي القاموس: الزمرّد بالضمات وشدّ الرء الزبرجد معرب. وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله

وقيل: من (خشب) نزلت من السماء فيها التوراة ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في محل النصب على أنه مفعول «كتبنا» ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (بدل منه) والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام.

وقيل: أنزلت التوراة وهي سبعون (وقر بعير) لم يقرأها كلها إلا أربعة نفر: موسى و(يوشع) وعزير وعيسى ﴿فَخَذَاهَا﴾ فقلنا له خذها عطفًا على «كتبنا» والضمير للألواح أو ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ لأنه في معنى الأشياء ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجذ وعزيمة فعل (أولي العزم) من الرسل ﴿وَأَمُرَ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ (أي فيها ما هو حسن وأحسن)

الوهاب: زمرد بضم الزاي المعجمة والميم والراء المهملة، وعن الأزهرى: فتح الراء وبالذال المعجمة آخره، وهو غير الزبرجد، كما هو معلوم عند أهله. اهـ. وفي تاج العروس: (الزمرد بالضمت وشذ الراء هو الزبرجد) هكذا في الصحاح، (وهو معرب) قال ابن قتيبة: داله مهملة وصوب الأصمعي الإعجام، ونقله في البارع وصححه، وقال بعض بالوجهين، وعن الأزهرى فتح الراء أيضًا. قال التيفاشي في كتاب الأحجار: قال الفراء في كُتبه: إن الزبرجد تعريب الزمرد، وليس كذلك، بل الزبرجد نوع آخر من الحجارة. وقال ابن ساعد الأنصاري: وقيل: إن معدنه بالقرب من معدن الزمرد. قال شيخنا: وهذا نص في المغايرة، وقال: وفرق جماعة آخرون بأن الزمرد أشد خضرة من الزبرجد، والله أعلم، انتهى. **قوله:** (خشب) في مختار الصحاح: جمع الخشبة خشب - بفتحتين - وخُشْب - بضمّتين - وخُشْب كقفل وخُشبان كغفران. اهـ. وفي المصباح: الخشب معروف الواحد خشبة، والخشب - بضمّتين وإسكان الثاني - تخفيف مثله، وقيل: المضموم جمع المفتوح، كالأسد بضمّتين جمع أسد بفتحتين. **قوله:** (بدل منه) أي من الجار والمجرور، يعني: أن كل شيء في محل النصب على أنه مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلًا بدل منه، فتكون كلمة مَنْ فيه مزيدة لا تبعيضية. **قوله:** (وقر بعير) في المصباح: الوقر بالكسر حَمْل البغل والحمار، ويُستعمل في البعير. اهـ. **قوله:** (يوشع) - بضمّ التحتية وفتح الشين - ابن نون. **قوله:** (أولي العزم) ذوي الثبات والصبر على الشدائد. **قوله:** (أي فهما ما هو حسن وأحسن) . . . الخ. إشارة إلى جواب ما يقال من أنه تعالى لما تعبد بكل ما في التوراة وجب أن يكون

كالقصاص والعفو والانتصار) والصبر، فمرهم أن يأخذوا بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب كقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: الآية ٥٥]، ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ دار فرعون وقومه وهي مصر، ومنازل عاد وثمود والقرون المهلكة كيف (أفقرت) منهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم أو جهلهم.

﴿سَاصِرُفٌ عَنْ عَائِقَى الَّذِينَ يَنْكَبُوتُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ عَائِقَى لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [١٤٦] وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

﴿سَاصِرُفٌ عَنْ عَائِقَى﴾ عن فهمها. قال (ذو النون) قدس الله روحه: أبى الله أن يكرم قلوب الباطلين بمكنون حكمة القرآن ﴿الَّذِينَ يَنْكَبُوتُ﴾ يتطاولون على الخلق و(يأنفون) عن قبول الحق. وحقيقته التكلف للكبرياء التي اختصت بالباري

الكل حسناً، وقوله: ﴿يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٤٥] يقتضي أن يكون فيها ما ليس بأحسن، وأنه لا يجوز الأخذ به، وهو متناقض، وأجاب عنه بأن ما في التوراة من التكاليف متفاوت منه ما هو أحسن، ومنه ما هو حسن؛ كالقصاص والعفو والانتصار والصبر، وكل واحد منها وإن كان مشروعاً حسناً في حكم التوراة إلا أنه تعالى أمرهم بطريق التدب أن يأخذوا بالأفضل، فإنه أكثر ثواباً؛ كقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: الآية ٥٥]، وقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [١٧] الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: الآيتان ١٧، ١٨]، ولا يرد أن يقال: إنه تعالى لما أمر بالأحسن، فقد منع عن الأخذ بالحسن، وذلك يقدح في كونه حسناً؛ لأننا نقول: إنما أمرهم بالأخذ بالأحسن على طريق التدب، فيزول التناقض والإشكال. قوله: (الانتصار) أي الانتقام. قوله: (أفقرت) أي خلت فينكل بهم مثل نكالهم. في مختار الصحاح: نكل به تنكيلاً، أي جعله نكالاً وغبرة لغيره. اهـ.

قوله: (ذو النون) المصري، أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم. قوله: (يأنفون) في المصباح: أنف من الشيء أنفاً من باب تعب، والاسم الأنفة مثل قصبه، أي

عَزَّتْ قُدْرَتُهُ ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ هو حال أي يتكبرون غير محقين لأن التكبر بالحق لله وحده ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ﴾ من الآيات المنزلة عليهم ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ طريق صلاح الأمر وطريق الهدى. («الرُّشْدُ»: حمزة وعلي). وهما كالسقم والسقم ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْفِتْرِ﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ومحل ﴿ذَلِكَ﴾ الرفع أي ذلك الصرف ﴿يَأْتِيَهُمْ كَذِبًا يَأْتِيَنَا﴾ بسبب تكذيبهم ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ غفلة عناد وإعراض لا غفلة سهو وجهل ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ هو من إضافة المصدر إلى المفعول به أي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها ﴿حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ خبر ﴿وَالَّذِينَ﴾ ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو تكذيب الأحوال بتكذيب الإرسال.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ عَدُوٍّ مِنْهُمْ حِجَابًا لَمْ يَخُورْ أَلَمْ يَرَ أَنَّهُ لَا يَكُفُّهُمْ وَلَا هَدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾            

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ عَدُوٍّ﴾ من بعد ذهابه إلى الطور ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ وإنما نسبت إليهم مع أنها كانت (عواري) في أيديهم لأن الإضافة تكون لأدنى ملائكة، وفيه دليل على أن من حلف أن لا يدخل دار فلان فدخل داراً استعارها يحث، على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم. وفيه دليل على أن الاستيلاء على أموال الكفار يوجب زوال ملكهم عنها، نعم المتخذ هو السامري ولكنهم رضوا به فأسند الفعل إليهم. (والحلي) جمع «حلي» وهو اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة («حليهم»: حمزة وعلي نلتابع) ﴿عَجَلًا﴾ مفعول «اتخذ» ﴿جَسَدًا﴾ بدل منه أي بدنًا ذا لحم ودم كسائر الأجساد ﴿لَمْ يَخُورْ﴾ هو صوت

استنكف وهو الاستكبار. اهـ. قوله: («الرُّشْدُ») بفتح الراء والشين (حمزة وعلي) الكسائي، والباقون بضم الراء وإسكان الشين، وهما لغتان كالسقم والسقم.

قوله: (عواري) في القاموس: العارية - مشددة وقد يخفف - والعارة ما تداولوه بينهم، والجمع عَوَارِي - مشددة ومخففة - اهـ. (الحلي) بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء وقد تُكسر الحاء، جمع حَلِي بفتح الحاء وسكون اللام. بكسر الحاء واللام وتشديد الياء مكسورة حمزة وعلي الكسائي أي لإتباع الحاء لكسرة اللام كدلي وعصي، جمع دلو وعصا

البقر والمفعول الثاني محذوف أي إلها. ثم عجب من (عقولهم السخيفة) فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ حين اتخذوه إلها ﴿أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٩] (لكلماته) ﴿لَفِدَّ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ﴾ [الكهف: الآية ١٠٩] كلماته، وهو الذي هدى الخلق إلى سبيل الحق (بما أركز) في العقول من الأدلة وبما أنزل في الكتب. ثم ابتداء فقال: ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ إلها فأقدموا على هذا الأمر المنكر ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل. وأصله أن من شأنه من اشتد ندمه أن يعرض يده غمًا فتصير يده مسقوطة فيها لأن فاه وقع فيها

أصلهما دلو وعصو، وقُليت الواو الأخيرة ياء لوقوعها طرفًا بعد ضمة، فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقُليت الواو ياء وأدغمت وكُسرت عين الكلمة، وإن كانت مضمومة في الأصل لتصح الياء، ثم لك بعد ذلك فيه وجهان: ترك الفاء على ضمها واتباعها للعين في الكسرة، وهذا مطرد في كل جمع على فعول من معتل اللام سواء كانت لامه واوا كما في عصي ودلي، أو ياء كما في حلي وثدي في جمع حلي وثدي أصلهما حلوى وثدوى نحو فلوس في جمع فلس، وقرأ يعقوب بفتح الحاء وسكون اللام وتخفيف الياء إمّا مفرد أريد به الجمع، أو اسم جمع مفردة حلية كقمح وقمحة. والباقون بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء مكسورة جمع حلي كفلس وفلوس، والأصل حلوى، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قُليت الواو ياء وأدغمت في الياء وكُسرت عين الكلمة. قوله: (عقولهم السخيفة) في لسان العرب: السَّخْفُ والسُّخْفُ والسَخَافَةُ رقة العقل، سَخْفٌ - بالضم - سخافة فهو سَخِيفٌ، ورجل سَخِيفُ العقل بَيْنَ السَّخْفِ، وهذا من سخفة عقلك والسَّخْفُ ضَعْفُ العقل. اهـ. قوله: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ أي ماؤه ﴿مِدَادًا﴾ هو ما يكتب به (لكلماته) الدالة على حكمه وعجائبه بأن تكتب به لنفد البحر في كتابتها. قوله: (بما أركز) في المصباح: ركزت الرمح ركزًا من باب قتل أثبته بالأرض فارتكز. اهـ.

وسقط مسند إلى في أيديهم وهو من باب الكناية. وقال (الزجاج): معناه سقط الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال: «حصل في يده مكروه» وإن استحال أن يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ وتبينوا ضلالهم تبيناً كأنهم أبصروه بعيونهم ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ (لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا حمزة وعلي). وانتصاب ﴿رَبَّنَا﴾ (على النداء) ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المغبونين في الدنيا والآخرة).

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِئْتُمْ بِهِ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١٥٠)

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى﴾ من الطور ﴿إِلَى قَوْمِهِ﴾ بني إسرائيل ﴿غَضْبَانَ﴾ حال من ﴿مُوسَى﴾ ﴿أَسِفًا﴾ حال أيضاً أي حزيناً ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي﴾ قمتم مقامي وكنتم خلفائي ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ والخطاب لعبد العجل من السامري و(أشباعه)، أو لهارون ومن معه من المؤمنين، ويدل عليه قوله: ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي﴾ والمعنى بشما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله، أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله، (وفاعل «بئس» مضممر يفسره «ما خلفتموني») والمخصوص بالذم محذوف

قوله: (الزجاج) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد النحوي. قوله: (لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا) بقاء الخطاب في الفعلين (حمزة وعلي) الكسائي، وانتصاب ربنا أي نصب الباء من ربنا (على النداء). والباقون بقاء الغيب فيهما ورفع ربنا على أنه فاعل.

قوله: (أشباعه) أي أتباعه. في المصباح: الشيعة الأتباع والأنصار، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة نبياً^(١) لجماعة مخصوصة، والجمع شيع مثل سدره وسدر، والأشباع جمع الجمع. اهـ. قوله: (وفاعل «بئس» مضممر يفسره «ما خلفتموني»)، فإن الفاعل في باب نعم وبئس إذا كان مضمراً يجب أن يفسره بنكرة موصوفة، أو بما، وفسر ههنا بقوله: ما خلفتموني، ولا يجوز أن

(١) أي لقباً. ١٢ مصباح

تقديره بئس (خلافة) خلفتمونيها من بعدي (خلافتكم). ومعنى ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ بعد قوله: ﴿خَلَفْتُونِي﴾ من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه، أو من بعد ما كنت أحمل بني إسرائيل على التوحيد وأكفهم عن عبادة البقرة حين قالوا: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف ﴿أَعَجَلْتُمْ﴾ أسبقتم بعبادة العجل ﴿أَمَرَ رَبِّكُمْ﴾ وهو إتياني لكم بالتوراة بعد أربعين ليلة. وأصل العجلة طلب الشيء قبل حينه. وقيل: عجلتم بمعنى تركتم (وألقي الألواح) (ضجراً) عند استماعه حديث العجل غضباً لله، وكان في نفسه شديد الغضب وكان هارون ألين منه جانباً، ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل من موسى، فتكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقي سبع واحد، وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي هدى ورحمة ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ (بشعر رأسه) غضباً عليه حيث لم يمنعه من عبادة العجل ﴿يَجْرُهُ إِلَيْهِ﴾ عتاباً عليه لا (هواناً) به وهو حال من موسى ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ﴾ (بني الابن مع الأم على الفتح كـ «خمسـة عشر» وبكسر الميم: حمزة وعلي وشامي)، لأن أصله أُمِّي فحذف الياء اجتزاء

يكون ما خلفتموني فاعل بئس؛ لأن فاعله يجب أن يكون معرفاً باللام، أو مضافاً إلى المعرف باللام، وهو ليس واحداً منهما، فتعين أن يكون الفاعل مضمراً أو لا يضمّر الفاعل فيه إلا بشرط التفسير ومفسره قوله: ما خلفتموني. قوله: (خلافة) بالنصب تفسير لما. قوله: (خلافتكم) هو المخصوص بالذم. قوله: (ضجراً) في مختار الضحاح: الضَّجَرُ القَلَقُ من الغم وبابه طَرِبَ، فهو ضَجِرَ ورجل ضجور. اهـ. قوله: (بشعر رأسه)؛ لأنه الذي يُمَسَّكُ ويُؤْخَذُ. قوله: (هواناً الهوان) نقيض العِزِّ. قوله: (بني الابن مع الأم على الفتح كخمسـة عشر) أي كتركيبها تركيب خمسـة عشر بالشبه اللفظي عندهم، فعلى هذا ليس ابن مضافاً لأم، بل مركّب معها، ومذهب الكوفيّين أن ابن مضاف لأم، وأمّ مضافة للياء قلّبت الياء ألفاً تخفيفاً، فانفتحت الميم؛ كقوله: يا بنت عمّا لا تلومي واهجعي، ثم حذفوا الألف وبقيت الفتحة دالة عليها، (وبكسر الميم: حمزة وعلي وشامي) الكسائي أي ابن عامر الشامي، وكذا أبو بكر شعبة عن عاصم كسر بناء عند البصريّين لأجل ياء المتكلم. والباقون بفتحها على جعل الاسمين اسماً واحداً، وبُنيّاً على الفتح كما تقدّم.

عنها بالكسرة، (وكان ابن أمه وأبيه). وإنما ذكر الأم لأنها كانت مؤمنة ولأن ذكرها أدعى (إلى العطف) ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾ أي إني (لم آل) جهداً في كفهم بالوعظ والإنذار ولكنهم استضعفوني وهموا بقتلي ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَكَ الْأَعْدَاءُ﴾ الذين عبدوا العجل أي لا تفعل بي ما هو أمّنتهم من الاستهانة بي والإساءة إلي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي قريباً لهم بغضبك علي. فلما اتضح له عذر أخيه.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١٥١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (١٥٢) ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ ليرضي أخاه وينفي الشماتة عنه بإشراكه معه في الدعاء، والمعنى اغفر لي ما فرط مني في حق أخي ولأخي إن كان فرط في حسن الخلافة ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ عصمتك في الدنيا وجنتك في الآخرة ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١٥٣) ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ هو ما أمروا به من قتل أنفسهم توبة ﴿وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ خروجهم من ديارهم فالغربة تذلل الأعناق أو ضرب الجزية عليهم ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ الكاذبين على الله (ولا فرية) أعظم من قول السامري «هذا إلهكم وإله موسى».

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٥٤) ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا إلى الله ﴿مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ وأخلصوا الإيمان ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي السيئات أو التوبة

قوله: (وكان ابن أمه وأبيه) على الأصح. قوله: (إلى العطف) أي الرحمة ورقة القلب. قوله: (لم آل) من باب عدا، أي لم أقصر. في القاموس: ألى ألوا وألوا وألياً وألاً وائلتلى قصر. اهـ. قوله: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَكَ الْأَعْدَاءُ﴾ يقال: شمت به شماتة من باب علم يعلم إذا فرح ببلية أصابت عدوه، ثم ينقل إلى باب الأفعال للتعدي، وشماتة العدو أشد من كل بلية. قال الشاعر:

والموت دون شماتة الأعداء

قوله: (ولا فرية) الفرية - بالكسر - بمعنى الكذب.

﴿لَعَفُورٌ﴾ لستور عليهم محاء لما كان منهم ﴿رَحِيمٌ﴾ منعم عليهم بالجنة. و«إن» مع اسمها وخبرها خبر ﴿الَّذِينَ﴾ وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل وغيرهم عظم جنايتهم أولاً، ثم أردفها بعظم رحمته ليعلم أن الذنوب وإن عظمت فغفوه أعظم.

ولما كان الغضب لشدة كآته هو الأمر لموسى بما فعل قيل:

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضُّ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (١٥٤)

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضُّ﴾ وقال الزجاج: معناه سكن (وقرىء به) ﴿أَخَذَ الْأَلْوَحَ﴾ التي ألقاها ﴿وَفِي نُسخَتِهَا﴾ (وفيما نسخ منها) أي كتب (فعلة بمعنى مفعول) كالخطبة ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (دخلت اللام) لتقدم المفعول وضعف عمل الفعل فيه باعتباره.

﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَنُتِّلِكَم بِمَا فَعَلُوا السُّفَهَاءُ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فَنَلُوكَ نُضِلُّ بِهَا مَن نَّشَاءُ وَتَهْدِي مَن نَّشَاءُ أَنتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ (١٥٥)

﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ (أي من قومه) فحذف الجار وأوصل الفعل ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ قيل: اختار من اثني عشر سبطاً من كل سبط ستة فبلغوا اثنين وسبعين رجلاً

قوله: (وقرىء به) قرأ بها معاوية بن قرة. **قوله:** (وفيما نسخ منها) أي من الألواح المنكسرة مبني على ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لما ألقى موسى الألواح تكسرت، فصام أربعين يوماً، فأعاد الله الألواح وفيها نقش ما في الأولى، وعلى قول من قال إن الألواح لم تنكسر وأخذها موسى بعينها بعدما ألقاها يكون معنى ﴿وَفِي نُسخَتِهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٥٤] المكتوب فيها. **قوله:** (فعلة بمعنى مفعول) حاصله أن نسخة فعلة بمعنى مفعولة، أي منسوخة. **قوله:** (دخلت اللام) ... الخ. هذه لام التقوية الداخلة على المعمول المقدم.

قوله: (أي من قومه) اختار يتعدى إلى اثنين إلى أولهما بنفسه، وإلى ثانيهما بحرف الجر، يقال: اخترت زيداً من الرجال ثم يتسع ويحذف الجار ويوصل الفعل

فقال: ليتخلف منكم رجلان فقعد (كالب) و(يوشع) ﴿لِيَمِيزَنَا﴾ لا اعتذارهم عن عبادة العجل ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ بما كان منهم من عبادة العجل ﴿وَلِيُتَىٰ﴾ لقتلي القبطي ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ أتهلكنا عقوبة بما فعل الجاهل منا وهم أصحاب العجل ﴿إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك وهو راجع إلى قوله: ﴿قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ﴾ [طه: الآية ٨٥]، فقال موسى: هي تلك الفتنة التي أخبرني بها أو هي ابتلاء الله تعالى عباده بما شاء، ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: الآية ٣٥] ﴿تُضِلُّ بِهَا﴾ بالفتنة ﴿مَن نَّشَاءُ﴾ من علمت منهم اختيار الضلالة ﴿وَتَهْدِي﴾ بها ﴿مَن نَّشَاءُ﴾ من علمت منهم اختيار الهدى ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا﴾ مولانا القائم بأمرنا ﴿فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا عَذَابٌ أُصِيبَ بِهِ مَن أَشَاءَ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٥٦)

﴿وَاكْتُبْ لَنَا﴾ وأثبت لنا واقسم ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ عاقبة وحياة طيبة وتوفيقاً في الطاعة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الجنة ﴿إِنَّا هُنَا عَذَابٌ﴾ تبا إليك وهاد إليه يهود إذا رجع وتاب واليهود جمع هائد وهو التائب. ﴿قَالَ عَذَابٌ﴾ من صفته أني ﴿أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ﴾ أي لا أعفو عنه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي من صفة رحمتي أنها واسعة تبلغ كل شيء، ما من مسلم ولا كافر إلا وعليه أثر رحمتي في الدنيا ﴿فَسَاكُنْهَا﴾ أي هذه الرحمة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك من أمة محمد ﷺ ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ المفروضة ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا﴾ بجميع كتبنا ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ لا يكفرون بشيء منها.

بنفسه، وقد يُحذف المفعول الثاني رأساً، فيقال: اخترت زيداً وقومه مفعول ثان وسبعين أولهما، والتقدير: واختار موسى سبعين رجلاً من قومه، والاختيار افتعال من لفظ الخير كاصطفى من الصفوة، يقال: اختار الشيء إذا أخذ خيره وخياره، قيل: وفيه دليل على أن كلهم لم يعبدوا العجل. قوله: (كالب) بفتح اللام. قوله: (يوشع) - بضم التحتية وفتح الشين - ابن نون.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحْدُثُ لَهُمْ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِذْ بَلَغُوا أَمْنًا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾ الذي نوحى إليه كتابًا مختصًا به وهو القرآن ﴿النَّبِيِّ﴾ صاحب المعجزات ﴿الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحْدُثُ لَهُمْ﴾ أي يجد نعته أولئك الذين يتبعونه من بني إسرائيل ﴿مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (بخلع الأنداد) وإنصاف العباد ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ عبادة الأصنام وقطيعة الأرحام ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة (كالشحوم) وغيرها، أو ما طاب في الشريعة مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح (وما خلا كسبه من السحت) ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ ما يستخبث كالدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، أو ما خبث في الحكم كالربا والرشوة (ونحوهما من المكاسب الخبيثة) ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ هو الثقل الذي

قوله: (بخلع الأنداد) أي بترك الشركاء في العبادة. قوله: (كالشحوم) جمع شحم مثل فلس وفلوس. قوله: (وما خلا كسبه من السحت) في مختار الصحاح: السحت - بسكون الحاء وضمتها - الحرام. اهـ. قوله: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ ما يستخبث كالدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) أي ذبح على اسم غيره تعالى، والإهلال رفع الصوت، وكانوا يرفعونه عند الذبح لألهتهم. اهـ جلالين. أو ما خبث في الحكم؛ كالربا والرشوة مثله. اهـ قاموس. (ونحوهما من المكاسب الخبيثة)، وفيه دليل على حُرمة ما سوى السمك من حيوان البحر؛ لأن كلها خبيث، فيكون ردًا على الشافعي رحمه الله في حلية جميع حيوان البحر، كذا في الهداية. اهـ التفسيرات الأحمدية. قوله: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ﴾ أي الثقل والتكاليف الشاقة التي كانت عليهم، مثل الغل، والأظهر أنهما جميعًا عبارتان عن التكاليف الشاقة، كما هو رأي القاضي البيضاوي، والأكثر على الفرق بينهما، فقال صاحب الكشف: والإصر مثل لثقل تكليفهم، نحو اشتراط قتل الأنفس في صحة توبتهم، والأغلال مثل لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة،

(يأصر) صاحبه أي يحبسّه عن (الحراك) لثقله، والمراد التكاليف الصعبة كقتل النفس في توبتهم وقطع الأعضاء الخاطئة. («آصارهم» شامي على الجمع ﴿وَالْأَغْلَالُ﴾ أَلْقَى كَانَتْ عَلَيْهِمْ هي الأحكام الشاقّة نحو: (بت القضاء بالقصاص)

نحو بت القضاء بالقصاص عمداً كان أو خطأ من غير شرع الدية، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب، وإحراق الغنائم، وتحريم العروق في اللحم، وتحريم السبت. وعن عطاء: كانوا بني إسرائيل إذا قاموا للصلاة لبسوا المسوح وغلّوا أيديهم إلى أعناقهم، وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة، هذا لفظه. وذكر صاحب المدارك: قطع الأعضاء الخاطئة من الإصر، وزاد في الأغلال ظهور الذنوب على الأبواب، وجعل صاحب الحسيني قطع العضو والثوب من الإصر، وقتل النفس والقصاص وإحراق الغنيمة من الأغلال. وذكر الإمام الزاهد فرضية الصلاة في الليل والزكاة بربع المال وتحريم السبت من الإصر، وقطع الأعضاء الخاطئة من الأغلال، وقال أيضاً: إنّ ما قال الشافعي رحمه الله تعالى في موت ما ليس له دم سائل يفسد الطعام، وقليل النجاسة يمنع جواز الصلاة يؤدي إلى إثبات الأغلال والآصار وإبطال مئة الله تعالى، هذا كلامه. ومرجع كل ذلك إلى جعل الإصر أشدّ من الأغلال تارة، وعكسه أخرى، وزاد بعضهم: وجوب خمسين صلاة في يوم وليلة، واقتصار جواز الصلاة في المسجد، وحرمة الجماع في أيام الصوم بعد العتمة، وحرمة الطعام بعد التّوم، وإحراق المستقبل من الصدقات أيضاً، ومجازاة الحسنة بحسنة لا بعشر حسنات من الأغلال، هكذا ذكر بعض أهل الأصول وقالوا: إنّ وضع هذه الآصار والأغلال عتاً يسمّى رخصة مجازاً؛ إذ الأصل ساقط لم يبق مشروعاً أصلاً، فلم يكن في الحقيقة إلا نسخاً، فهو من أتم نوعي المجاز من أنواع الرخصة، هذا لفظهم. والمقصود هنا هو بيان تحريم الخبائث ووضع الإصر والأغلال. اهـ التفسيرات الأحمدية. قوله: (يأصر) بابه ضرب. قوله: (الحراك) بحاء مكسورة وراء مهملة الحركة. قوله: («آصارهم») بفتح الهمزة ومذها وفتح الصاد وألف بعدها (شامي) أي ابن عامر الشامي (على الجمع). والباقون بكسر الهمزة والقصر وإسكان الصاد بلا ألف على الأفراد اسم جنس. قوله: (بت) أي قطع (القضاء بالقصاص) أي تعيّن القضاء بالقصاص في

(عمداً) كان أو خطأ من غير شرع الديّة، (وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب)، وإحراق (الغنائم) وظهور الذنوب على أبواب البيوت، و(شبّهت بالغلّ) للزومها لزوم الغلّ ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَعَزَّزُوهُ﴾ وعظموه أو منعه من العدو حتى لا يقوى عليه عدو - وأصل العزّز المنع ومنه التعزير لأنه منع عن معاودة القبيح كالحد فهو المنع ﴿وَنَصَّرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ أي القرآن «ومع» متعلق بـ ﴿اتَّبِعُوا﴾ أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بكل خير والناجون من كل شيء.

﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ النَّاسُ مِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥٨)

﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ النَّاسُ مِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ بعث كل رسول إلى قومه خاصة وبعث محمد ﷺ إلى كافة الإنس و(كافة) الجن ﴿جَمِيعًا﴾ حال من ﴿إِلَيْكُمْ﴾ ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في محل النصب بإضمار أعني وهو نصب على المدح ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بدل من الصلة وهي ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وكذلك ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ وفي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بيان للجملة قبلها لأن من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة، وفي ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ بيان لاختصاصه بالإلهية إذ لا يقدر

القتل، وقد أورد عليه أنه ينافي ما ذكره في قوله: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهِ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٥]، من تفسيره بالعفو عن القصاص على طريقة النذب، وجمع بأنه كان مأموراً به في الألواح أولاً ثم تعين عليهم القصاص تشديداً عليهم جزاء لما صدر عنهم. قوله: (عمداً) بابه ضرب. قوله: (وقرض) أي قطع (موضع النجاسة من الجلد^(١)) أي من البدن (والثوب) بالمقراض. قوله: (الغنائم) جمع غنيمة. قوله: (شبّهت بالغلّ) الغلّ - بالضم - طوق من حديد يُجعل في العنق، والجمع أغلال مثل قفل وأقفال. اهـ مصباح.

قوله: (كافة) أي جميع.

(١) قال المحقق التفتازاني في تفسير الجلد: كالخفّ والفرو. ١٢ منه عمّ فيضهم.

على الإحياء والإماتة غيره ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الْنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ أي الكتب المنزلة ﴿وَأَتَّبِعُوا لِمَا كُنتُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ولم يقل فآمنوا بالله وبني بعد قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ (لتجري عليه الصفات) التي أجريت عليه، ولما في الالتفات من (مزية) البلاغة، وليعلم أن الذي وجب الإيمان به هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته (كائنا من كان - أنا أو غيري - إظهاراً للنصفة وتفادياً) من العصبية لنفسه.

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١٥٩﴾

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ أي يهدون الناس محققين أو بسبب الحق الذي هم عليه ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون. قيل: هم قوم وراء (الصين) آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج، أو هم (عبد الله بن سلام) و(أضرابه).

قوله: (لتجري عليه الصفات) التي أجريت عليه، فإن الضمير لا يُوصف ولا يُوصف به. قوله: (مزية) في لسان العرب: المزية في كل شيء التمام والكمال، والمزية الفضيلة. اهـ باختصار. قوله: (كائناً) حال عامله معنى الإشارة في هذا الشخص، واسمه الضمير العائد إليه وخبره (من كان) على أن من موصوفة بكان للإبهام، أي شخص كان بمعنى أي شخص حصل ووجد، وكان تامة، وهذه الكلمة جرت مجرى المثل في التعميم حتى لا يغير لفظ كائناً عن الأفراد نظراً إلى الخبر، وإن كان مرجع الضمير جمعاً نحو: أيها العلماء كائناً من كان، قالوا: وهذا حال فيه معنى الشرط، أي إن كان هذا وإن كان ذلك (- أنا أو غيري -) بدل من هذا الشخص (إظهاراً) مفعول له ليُعلم. اهـ فتأزاني رحمه الله. قوله: (لنصفة) في المصباح: أنصفت الرجل إنصافاً عاملاً بالعدل والقسط، والاسم النصفة بفتحيتين، لأنك أعطيته من الحق ما تستحقه لنفسك. اهـ. قوله: (تفادياً) في لسان العرب: تفادى فلان من كذا إذا تحامى وأئزى عنه. اهـ.

قوله: (الصين) بلد معروف. قوله: (عبد الله بن سلام) بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري، ثم الخزرجي الصحابي، كنيته أبو يوسف. روي له عن رسول الله ﷺ خمسة وعشرون حديثاً، اتفقا على حديث، وانفرد البخاري بآخر.

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَتَيْ عَشَرَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَرَجَ وَالسَّلَوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١٦٠)

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾ وصيرناهم قطعاً أي فرقاً وميّزنا بعضهم من بعض ﴿أَثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ كقولك اثنتي عشرة قبيلة، (والأسباط أولاد الولد جمع سبط) وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولداً (من ولد يعقوب عليه السلام). نعم (مميز ما عدا العشرة) مفرد فكان ينبغي أن يُقال اثني عشر سبطاً، (لكن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة) وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع «أسباط» موضع «قبيلة» ﴿أُمَمًا﴾ بدل من ﴿أَثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ أي وقطعناهم أمماً لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة وكل واحدة

توفي سنة ثلاث وأربعين بالمدينة، ومناقبه كثيرة مشهورة. قوله: (أضرابه) أي أمثاله.

قوله: (والأسباط أولاد الولد جمع سبط) كحمل وأحمال. قوله: (من ولد يعقوب عليه) وعلى نبينا (الصلاة والسلام). في مختار الصحاح: الولد يكون واحداً وجمعاً، وكذلك الولد بوزن الفُعل، وقد يكون الولد جمع وَلَدَ كَأَسَدَ وَأُسْدَ. اهـ. وفي المصباح: الولد - بفتحيتين - كل ما ولده شيء، ويُطلق على الذكر والأنثى والمثنى والمجموع فعل بمعنى مفعول، وهو مذكر، وجمعه أولاد، والولد وزان قفل لغة فيه، وقيس تجعل المضموم جمع المفتوح، مثل أُسْدَ جمع أُسْدَ. اهـ. قوله: (مميز ما عدا العشرة) أي مميز أحد عشر إلى تسعة عشر.

قوله: (لكن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة)... الخ. أي جَوَزَ أن يكون أسباطاً تمييزاً له بناء على أن كل فرقة من الفرق المنقطعة من بني إسرائيل ليس سبطاً واحداً، بل أسباطاً؛ لأن السبط ولد الولد، فلو قيل: قطعناهم اثني عشر سبطاً، لكان المعنى: اثني عشر ولد، وليس المراد ذلك؛ بل المراد اثنتا عشرة قبيلة أسباطاً، فحذف ما هو المميز حقيقةً، وهو القبيلة، وأقيم صفته وهو أسباطاً مقامه، وأعرب بإعرابه. والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب، وهو تعالى لما أخرجهم من أرض مصر وأدخلهم البرية جعلهم اثنتي عشرة فرقة

كانت (تؤم) خلاف ما تؤمه الأخرى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْغَجَرَ﴾ ﴿فَانْجَسَتْ﴾ فانفجرت ﴿وَمِنهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾ هو اسم جمع (غير تكسير) ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ﴾ وجعلناه ظليلاً عليهم في (التيه) ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَرَجَ وَالسَّلَوىٰ﴾ وقلنا لهم ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا﴾ أي وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم (النعم) ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ولكن كانوا يضررون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم إليهم.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَرِيذَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾ واذكر إذ قيل لهم ﴿اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّعْفِرْ لَكُمْ﴾

قبائل شتى ليكون أمر كل سبط متعرفاً من جهة رئيسهم، فيخف الأمر على موسى عليه السلام فيما يحتاج إليه من تعرف أحوالهم ويسهل عليه جمعهم، ويعلم كل فريق مرجعهم في أمورهم، وانحصار الفرق في اثنتي عشرة فرقة لأنهم كانوا من اثني عشر رجلاً من أولاد يعقوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام؛ فأنعم الله سبحانه وتعالى عليهم بهذا التقطيع والتمييز لتنظيم أحوالهم، ولئلا يتحاسدوا فيقع فيهم الهرج والمرج.

قوله: (تؤم) في المصباح: أمه أمًا من باب قتل قصده. اهـ. قوله: (غير تكسير) بدليل عود الضمير المفرد إليه وتصغيره على لفظه، ولأن فعلاً بالضم ليس من صيغ الجمع، وما يقال في كتب اللغة: إن رخالاً - بالضم - جمع رخل - بكسر الخاء - وهي الأنثى من ولد الضأن، فمبني على أنهم يعنون بالجمع ما يعم اسم الجمع، كما يقولون: إن ركبًا جمع راكب. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (التيه) - بكسر التاء - المفازة. اهـ مصباح. قوله: (النعم) جمع نعمة.

﴿حَطِيتُكُمْ﴾ «تُغْفَرُ لَكُمْ» مدني وشامي «خطيئاتكم» مدني «خطاياكم» أبو عمرو «خطيئتكم» شامي ﴿سَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَسُّهَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١٦٣﴾ ولا تناقض بين قوله: ﴿أَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا﴾ في هذه السورة وبين قوله في سورة «البقرة» ﴿أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا﴾ [البقرة: الآية ٨٥] لوجود الدخول والسكنى. وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون بينهما. وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته، وقوله: ﴿تَغْفِرُ لَكُمْ حَطِيئَتَكُمْ سَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ موعِد بشيئين بالغفران وبالزيادة، وطرح الواو لا يخل بذلك لأنه استئناف مرتب على قول القائل: وماذا بعد الغفران؟ ف قيل له: ﴿سَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ وكذلك (زيادة منهم) زيادة بيان و﴿أَرْسَلْنَا﴾ و﴿أَنْزَلْنَا﴾ و﴿يَظْلِمُونَ﴾ و﴿يَفْسُقُونَ﴾ من وإد واحد.

﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا تَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ﴿١٦٣﴾

﴿وَسَأَلَهُمْ﴾ واسأل اليهود ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ (أيلة) أو مدين (وهذا السؤال للتقريع)

قوله: (تُغْفَرُ لَكُمْ) بالتأنيث مَبْنِيًّا للمفعول (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وشامي) أي ابن عامر الشامي، وكذا يعقوب البصري. والباقون بالنون مَبْنِيًّا للفاعل («خطيئاتكم») بجمع السلامة ورفع التاء على النيابة عن الفاعل، (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وكذا يعقوب البصري («خطاياكم») على وزن عطاياكم بجمع التكسير مفعولًا لتغفر (أبو عمرو) البصري («خطيئتكم») بالافراد ورفع التاء (شامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون بجمع السلامة وكسر التاء نصبًا على المفعولية. قوله: (زيادة منهم) أي لفظ منهم.

قوله: (أيلة) - بفتح الهمزة وسكون الياء - قرية بين مِذِينَ والطور، وفي بعض النسخ: إِيلِيَاء - هي بالمد والتخفيف - اسم مَدِينَةٍ بيت المقدس، وقد تشدد الياء الثانية وتقصّر الكلمة. في فتح القدير: واختلف أهل التفسير في هذه القرية، أي قرية هي؟ فقيل: أيلة، وقيل: طَبْرِيَّة، وقيل: مِذِينَ، وقيل: إِيلِيَاء، وقيل: قرية من قرى ساحل الشام. اهـ. قوله: (وهذا السؤال للتقريع) والتوبيخ، أي ليس المقصود

بقديم كفرهم ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ﴾ قريبة منه ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ إذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ في محل الجر بدل من ﴿الْفَرْكَةِ﴾ والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل: واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ﴾ منصوب بـ ﴿يَعْدُونَ﴾ أو بدل بعد بدل ﴿حَيْثَانُهُمْ﴾ جمع حوت أبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ﴿يَوْمَ سَكَبْنَاهُمْ شُرْعًا﴾ ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان، والسبت مصدر سبت اليهود إذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعب، والمعنى إذ يعدون في تعظيم اليوم وكذا قوله: ﴿يَوْمَ سَكَبْنَاهُمْ﴾ معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْئُوتُ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ و﴿يَوْمَ﴾ ظرف ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بفسقهم.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ يَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْقُونَ﴾

﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ معطوف على ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ وحكمه كحكمه في الإعراب ﴿أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ جماعة من صلحاء القرية الذين أيسوا من وعظهم بعدما ركبوا (الصعب) والذل في موعظتهم لآخرين (لا يقلعون) عن وعظهم ﴿لِمَ يَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وإنما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم ﴿قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ - معذرة - (أي موعظتنا إبلاء عذر إلى الله) لثلاث نسب في

من السؤال استعلام ما لم يعلمه السائل؛ لأنه عليه الصلاة والسلام قد علم هذه القصة من قبل الله تعالى بالوحي، بل المقصود بهذا السؤال تقرير اليهود على إقدامهم على الكفر والمعاصي قديمًا، وأن إصرارهم على الكفر بمحمد ﷺ وإنكار نبوته ومُعجزاته ليس شيء قد حدث منهم في زمانه، بل إصرارهم على الكفر كان حاصلًا لأسلافهم في قديم الزمان.

قوله: (الصَّعْب) خلاف السَّهْل نقيض الذلول. اهـ لسان العرب. قوله: (لا يقلعون) الإقلاع عن الأمر الكفّ عنه، يقال: ألق عتًا كان عليه وأقلعت عنه الحمى. اهـ مختار الصحاح. قوله: (أي موعظتنا إبلاء عذر إلى الله) أبليت فلانًا

النهي عن المنكر إلى (التفريط) ﴿مَعْدَرَةٌ﴾ (حفص) على أنه مفعول له أي وعظناهم للمعذرة ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ﴾ ولطمعنا في أن يتقوا.

﴿فَلَمَّا دُسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ﴾ أُنْجِنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾

﴿فَلَمَّا دُسُوا﴾ أي أهل القرية (لما تركوا) ﴿مَا دُكِّرُوا بِهِ﴾ ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه ﴿أُنْجِنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ من العذاب الشديد ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الراكبين للمنكر والذين قالوا لم تعظون من الناجين، فعن (الحسن): نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد. يقال: بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد فهو بئس. («بئس»: شامي «بئس» مدني «بئس» على وزن فيعل: أبو بكر غير حماد) ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

عذرا، أي بيئت فيما بيني وبينه بما لا لوم عليّ بعد. اهـ محشي ٢٢٢. قوله: (التفريط) أي التقصير. قوله: ﴿مَعْدَرَةٌ﴾ (بالنصب) (حفص) عن عاصم. والباقون بالرفع خبر مبتدأ محذوف، أي موعظتنا، أو هذه معذرة.

قوله: (لما تركوا) ... الخ. يعني قوله تعالى: ﴿دُسُوا﴾ [الأعراف: الآية ٥١] استعارة تبعية شبه تركهم عمدا لما وُعظوا به بترك من تركه سهوا ونسيانا، فأطلق عليه اسم النسيان استعارة تصريحية، فاشتق منه نسوا وصير إلى المجاز لتعذر الحمل على الحقيقة. قوله: (الحسن) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه. قوله: («بئس») بكسر الباء وهمزة ساكنة بعدها على أنه صفة على وزن فَعِلْ أصله بئس - بفتح الباء وكسر الهمزة - فحَقَفَ، كما في كبد وكتف، بأن قيل: كَبَدَ وَكَتَفَ. (شامي) أي ابن عامر الشامي («بئس») بكسر الباء الموحدة وياء ساكنة بعدها من غير همز مثل عيس على قلب الهمزة ياء، أو على أنه فعل الذم نُقِلَ إلى الاسمية فوصف به. (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. («بئس») بياء مفتوحة ثم ياء ساكنة ثم همزة مفتوحة (على وزن) ضَيَّعَ صفة على وزن (فيعل، أبو بكر) شعبة بن عياش عن عاصم (غير حماد) بن زياد، فإنه روي عنه بفتح الباء وكسر الهمزة وياء ساكنة على وزن رئيس وصف على فيعل كشديد للمبالغة، وبه قرأ الباكون.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (١٦٦)

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (١٦٦) أي جعلناهم قردة (أذلاء) مبعدين. وقيل: فلما عتوا تكرير لقوله ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ والعذاب البئيس: هو المسخ. قيل: صار الشبان قردة والشيخوخة كانوا يعرفون أقاربهم ويكون ولا يتكلمون، والجمهور على أنها ماتت بعد ثلاث. وقيل: بقيت وتناسلت.

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكَ لِلْعِبَادِ أُولَئِكَ لَسَرِيعٌ الْعِقَابُ وَإِنَّهُمْ لَفُغُورٌ رَجِيمٌ﴾ (١٦٧)

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكَ﴾ أي أعلم (وأجري مجرى فعل القسم)، ولذا أجيب بما يُجاب به القسم وهو قوله: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي كتب على نفسه ليسلطن على اليهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَن يَسُومُهُمْ﴾ من يوليهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ فكانوا يؤذون الجزية إلى (المجوس) إلى أن بعث محمد ﷺ فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم (إلى آخر الدهر) ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعٌ الْعِقَابُ﴾ للكفار ﴿وَإِنَّهُمْ لَفُغُورٌ رَجِيمٌ﴾ للمؤمنين.

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٦٨)

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وفرقناهم فيها فلا تخلو بلد عن فرقة ﴿أُمَمًا﴾ مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ

قوله: (أذلاء) جمع ذليل.

قوله: (وأجري مجرى فعل القسم) من حيث دلالة على تأكيد الخبر المؤذن به. قوله: (المجوس) جيل معروف. قوله: (إلى آخر الدهر) هذا لا ينافيه نزول عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ورفع الجزية؛ لأنه من أشراف الساعة الملحقة بأمور الآخرة.

قوله: ﴿أُمَمًا﴾ مفعول ثانٍ أن جعل قطع بمعنى صير، أو حال إن بقي على أصل معناه، ومنهم الصالحون صفة لأُمَمًا أو بدل منه، فيكون مفعولًا ثانيًا، أو حالًا من مفعول قطعناهم، أي فرقناهم حال كونهم منهم الصالحون. قوله:

ذَلِكَ وَمِنْهُمْ نَاسٌ دُونَ ذَلِكَ الْوَصْفِ مَنْحَطُونَ عَنْهُمْ (الفسقة) ومحل ﴿ذُنُوبُ﴾ ذَلِكَ الرِّفْعَ وهو صفة لموصوف محذوف أي ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ﴿وَبَلَّغْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ (بالنعم والنقم والخصب) والجذب ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يتنهون فينبون.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخَذُوا﴾ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْذَّارُ الْآخِرَةُ حَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُوتُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد المذكورين «خلف» وهم الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ، (والخلف بدل السوء بخلاف الخلف فهو الصالح) ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ التوراة ووقفوا على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ هو حال من الضمير في ﴿وَرِثُوا﴾ والعرض: المتاع (أي حطام هذا الشيء الأدنى) يريد الدنيا وما يتمتع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب، والمراد ما كانوا يأخذونه من (الرشا) في الأحكام على تحريف (الكلم) وفي قوله: ﴿هَذَا الْأَدْنَى﴾ تخسيس وتحقير ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ لا يؤاخذنا الله بما أخذنا، والفعل مسند إلى الأخذ أو إلى الجار والمجرور أي لنا ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخَذُوا﴾ الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم مصرّون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ (أي الميثاق المذكور في الكتاب) ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ أي أخذ عليهم الميثاق في كتابهم أن لا يقولوا على الله إلا الصدق، وهو عطف بيان لـ ﴿مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ وقرأوا ما في الكتاب وهو عطف على ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ﴾ لأنه تقرير فكأنه قيل: أخذ عليهم

(الفسقة) جمع فاسق، قوله: (بالنعم والنقم) لأنهما مما يُختبر بهما. قوله: (الخصب) - بالكسر - ضدّ الجذب، أي القُحْط.

قوله: (والخلف) بسكون اللام (بدل السوء بخلاف الخلف) بفتح اللام (فهو الصالح). قوله: (أي حطام هذا الشيء الأدنى) الحطام - بالضم - المتكسر من اليبس، والمراد حقارته. قوله: (الرشا) بضمّ الراء وكسرهما جمع رشوة. قوله: (الكلم) جمع كلمة. قوله: (أي الميثاق المذكور في الكتاب) إشارة إلى أن الإضافة

ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه ﴿وَالَّذَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ من ذلك العرض الخسيس ﴿لِلَّذِينَ يَنْقُونَ﴾ الرشا والمحارم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ - أفلا يعقلون - أنه كذلك (وبالتاء: مدني وحفص).

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿١٧٠﴾

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ (بِالْكِتَابِ) «يُمَسِّكُونَ» أبو بكر) والإمساك والتمسك والتمسك الاعتصام والتعلق بشيء ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ خص الصلاة مع أن التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة لأنها (عماد الدين) و﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ والخبر ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (أي إنا لا نضيع أجرهم). وجاز أن يكون مجرورًا عطفاً على ﴿لِلَّذِينَ يَنْقُونَ﴾ و﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ﴾ اعتراض.

﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٧١﴾

﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ واذكروا إذا قلناه ورفعناه كقوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ [البقرة: الآية ٦٣] ﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ هي كل ما أظلك من

على معنى في. قوله: (وبالتاء) أي بقاء الخطاب (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، (وحفص) عن عاصم، وكذا ابن عامر الشامي وسهل ويعقوب، وليس من السبعة. والباقون بياء الغيبة.

قوله: «يُمَسِّكُونَ» بسكون الميم وتخفيف السين من أمسك، وهو متعد، فالمفعول محذوف، أي دينهم أو أعمالهم ﴿بِالْكِتَابِ﴾ والباء للحال، أو الآلة (أبو بكر) عن عاصم. والباقون بالفتح والتشديد من مسك بمعنى تمسك، فالباء للآلة، كهي في تمسكت بالجبل. قوله: (عماد الدين) في لسان العرب: العماد والعمود الخشبة التي تُقيم عليها البيت. اهـ. وأيضاً فيه: العماد: ما أُقيم به. اهـ. قوله: (أي إنا لا نضيع أجرهم) يعني أن الخبر الجملة لا بدّ فيها من رابط يربطها بالمبتدأ، وذلك الرابط الاسم الظاهر الموضوع موضع الضمير، فإن مقتضى الظاهر أن يقال: إنا لا نضيع أجرهم، إلا أنه وضع المصلحين موضع الضمير تنبيهاً على أنه تعالى لا يضيع أجرهم لأجل إصلاحهم.

(سقيفة) أو سحاب ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا أَنزْلًا لَّعَلَّهُمْ لِنَقْلَها بِثِقَلِها فَرَفَعَ اللهُ الطُّورَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ مَقْدَارَ عَسْكَرِهِمْ وَكَانَ فَرسَخًا فِي فَرسَخٍ. وَقِيلَ لَهُمْ: إِنْ قَبَلْتُمُوهَا بِمَا فِيهَا وَإِلَّا لَيَقْعَنَّ عَلَيْكُمْ. فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَى الْجَبَلِ حَزَّ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ سَاجِدًا عَلَى حَاجِبِهِ الْأَيْسَرِ وَهُوَ يَنْظُرُ بَعَيْنَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْجَبَلِ (فَرَقًا) مِنْ سَقُوطِهِ، فَلِذَلِكَ لَا تَرَى يَهُودِيًّا يَسْجُدُ عَلَى حَاجِبِهِ الْأَيْسَرِ وَيَقُولُونَ هِيَ السَّجْدَةُ الَّتِي رَفَعْتَ عَنَّا بِهَا الْعُقُوبَةَ، وَقُلْنَا لَهُمْ ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ مِنَ الْكِتَابِ ﴿يَقُودُوا﴾ وَعَزَمَ عَلَى احْتِمَالِ مَشَاقِقِهِ وَتَكَالُفِهِ ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاحِي وَلَا تَنْسَوْهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (١٧٢)

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ أَيِ وَادَّكَرَ إِذْ أَخَذَ ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بَدَلَ مَنْ ﴿بَنِي آدَمَ﴾ وَالتَّقْدِيرُ: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ ظُهُورِ بَنِي آدَمَ ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وَمَعْنَى أَخَذَ ذُرِّيَّاتِهِمْ مِنْ ظُهُورِهِمْ إِخْرَاجَهُمْ مِنْ أَصْلَابِ آبَائِهِمْ ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ (هَذَا مِنْ بَابِ التَّمْثِيلِ)، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ نَصَبَ لَهُمُ الْأَدْلَةَ عَلَى رَبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَشَهِدَتْ بِهَا عَقُولُهُمُ الَّتِي رَكَّبَهَا فِيهَا وَجَعَلَهَا مُمِيزَةً بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالَةِ، فَكَانَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَقَرَّرَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ وَكَانَهُمْ قَالُوا: بَلَى أَنْتَ رَبُّنَا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَأَقْرَرْنَا بِوَحْدَانِيَّتِكَ ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ مَفْعُولٌ لَهُ أَيِ فَعَلْنَا ذَلِكَ مِنْ نَصَبِ الْأَدْلَةِ الشَّاهِدَةِ عَلَى صَحَّتِهَا الْعُقُولُ، كَرَاهَةِ أَنْ يَقُولُوا ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ لَمْ نَنْبِهِ عَلَيْهِ.

﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (١٧٣) ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ أَوْ كَرَاهَةِ أَنْ يَقُولُوا ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فَاقْتَدَيْنَا بِهِمْ لِأَنَّهُ نَصَبَ الْأَدْلَةَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَمَا نَبَّهُوا عَلَيْهِ قَائِمٌ مَعَهُمْ فَلَا

قوله: (سقيفة) في المصباح: السقيفة الصفة، وكل ما سُقِفَ في جناح وغيره. اهـ. قوله: (ساقط عليهم) إشارة إلى أن الباء بمعنى على كما في إن تأمنه بقنطار، وهو أحد معانيها. قوله: (فرقا) أي خوفاً.

قوله: (هذا من باب التمثيل) ومعنى التمثيل تشبيه الحال بالحال.

عذر لهم في الإعراض عنه والاعتداء بالآباء، كما لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم ﴿أَفَنُكِّنَا بِمَا فَعَلَ الْمُتَظَلُّونَ﴾ أي كانوا السبب في شركنا (لتأسيسهم) الشرك وتركه سنة لنا.

﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٧٤)

﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل ذلك التفصيل البليغ ﴿نَقُصِّلُ الْآيَاتِ﴾ لهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن شركهم (نفصلها). إلى هذا ذهب المحققون من أهل التفسير، منهم (الشيخ أبو منصور والزجاج والزمخشري)، وذهب جمهور المفسرين إلى أن الله

قوله: (لتأسيسهم) في المصباح: أسسته تأسيسًا جعلت له أساسًا. اهـ. وأيضًا فيه: أس الحائط - بالضم - أصله وجمعه أساس، مثل قفل وأقفال، وربما قيل: أساس مثل غس وعساس، والأساس مثله، وجمعه أسس، مثل عناق وعُنُق. اهـ.

قوله: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن شركهم (نفصلها) عبارة تفسير الكشاف: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وإرادة إن رجعوا عن شركهم (نفصلها). اهـ.

قوله: (الشيخ أبو منصور) محمد بن محمد بن محمود الماتريدي رحمه الله.

قوله: (والزجاج) هو أبو إسحق إبراهيم بن محمد النحوي.

قوله: (والزمخشري) هو محمود بن عمر، أبو القاسم جار الله الزمخشري نسبة إلى زمخش، قرية من قرى خوارزم، كان إمام عصره بلا مدافع، نحوياً ذكياً، فقيهاً مناظراً بياتياً متكلماً مناظراً أديباً شاعراً مفسراً من أكابر الحنفية، حنفي المذهب، معتزلي المعتقد، له في العلوم آثار ما ليست لغيره من أهل العصر، ومن تصانيفه: الكشاف في التفسير، والفائق في اللغة في تفسير الحديث، وأساس البلاغة في اللغة، وربع الأبرار، ومتشابه أساس الرواة، والنصائح الكبار، والنصائح الصغار، والرائض في علم الفرائض، والمفضل في النحو، والأنموذج، والمفرد، وشرح أبيات سيويه، وشقائق النعمان وغير ذلك. وُلِدَ سنة (٤٦٧) سبع وستين وأربعمائة، ومات سنة (٥٣٨) ثمان وثلاثين وخمسمائة. ذكر السمعاني أن زمخش - بفتح الزاي وسكون الخاء بينهما ميم مفتوحة وبعد الخاء شين معجمة - قرية كبيرة من قرى خوارزم، مثل بليدة، وقال: المشهور منها محمود بن عمر بن محمد بن عمر، أبو القاسم، كان يُضْرَبُ به المثل في الأدب والنحو، بقية

تعالى أخرج ذرية آدم من ظهر آدم (مثل الذر) وأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فأجابوه بـ ﴿بَلَىٰ﴾. قالوا: وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها. وقال ابن عباس ؓ: أخرج الله من ظهر آدم ذريته وأراه إياهم كهيئة الذر وأعطاهم العقل وقال: هؤلاء ولدك أخذ عليهم الميثاق أن يعبدوني. قيل: كان ذلك قبل دخول الجنة بين مكة والطائف. وقيل: بعد النزول من الجنة. وقيل: في

الأفاضل الكبار وصنّف التصانيف في التفسير والأحاديث واللغة وظهر له جماعة أصحاب، وكانت ولادته بزمخشر في رجب سنة ٤٦٧، وتوفي بجرجانية خوارزم ليلة عرفة سنة ٥٣٨، انتهى. وفي بُغْيَةِ الوعاة: كان كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، مُتَقِنًا في كل علم، معتزليًا قويًا في مذهبه، مُجَاهِدًا به، حنفياً، وَرَدَ بغداد غير مرّة وأخذ الأدب عن أبي الحسن عليّ بن المظفر النيسابوري وأبي نعيم الأصبهاني، وجاور بمكة وتلقّب بجار الله وفخر خوارزم أيضاً، وأصابه خراج في رجله فقطعها، وصنّع عوضها رجلاً من خشب، وكان إذا مشى ألقى عليها ثيابه الطوال، فيظنّ أنه أعرج، انتهى. وفي مرآة الجنان في حوادث سنة ٥٣٨: فيها توفي العلامة اللغويّ النحويّ المفسّر المعتزليّ أبو القاسم محمود الزمخشري، كان مُتَقِنًا في التفسير والحديث والنحو واللغة والبيان، إمام عصره في فنونه، وله التصانيف الكبيرة البديعة الممدوحة، عدّ بعضهم منها ثلاثين، انتهى. وذكر العلامة السيوطي في البغية، من تصانيفه: المُسْتَفْصَى في الأمثال، وأطواق الذهب، وشرح مشكلات المفصل، والكلم النوابع، والقسطاس في العروض، والأحاجي النحوية وغير ذلك مما مرّ. وذكر العلامة القاري رَحِمَهُ اللهُ مِنْهَا: المنهاج في الأصول، والرسالة الناصحية، ومقدمة الأدب، ورؤوس المسائل في الفقه، وصميم العربية، وديوان التمثيل، والأمال، ومعجم الحدود والمياه والأماكن والجبال، وضالّة الناشد، وقال: هو حنفي الفروع معتزلي الأصول له دسائس خُفِيَتْ على أكثر الناس، فلهذا حرّم بعض فقهاءنا مطالعة تفسيره لِمَا فيه من سوء تعبيره في تأويله وتغييره. اهـ. وأفاد العلامة الفهامة الأفندي داه جونكي في حاشيته على شرح السّعد في التصريف: قال العلامة أكمل الدين في شرح الكشاف: أنه قد تاب من مذهب الاعتزال، وصنّف النصائح الصغار ونصائح الكبار بعد توبته من الاعتزال، انتهى. قوله: (مثل الذر) أي النمل.

الجنة. (والحجة للأولين أنه قال: ﴿مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل من ظهر آدم، ولأننا لا نتذكر ذلك فأني بصير حجة).

قوله: (والحجة للأولين أنه قال: ﴿مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾، ولم يقل من ظهر آدم؛ ولأننا لا نتذكر ذلك، فأني بصير حجة) قال العلامة التفتازاني: وما ورد في الحديث الصحيح من إخراج الذرية من ظهر آدم لا ينافي ذلك؛ لأن بني آدم من ظهر آدم، فالمخرج من ظهورهم مُخرج من ظهره. اهـ. وفي تفسير الخازن: فإن قلت: إذا كان المختار في تفسير هذه الآية هو مذهب جمهور المفسرين من السلف في ذلك، وأن الله أخرج الذرية من ظهر آدم لأخذ الميثاق عليهم، كما ورد في الحديث أيضًا، فكيف يُحمل تفسير ألفاظ هذه الآية على هذا القول؟

قلت: قد صحّ الحديث بأنّ الله مسح ظهر آدم فأخرج ذريته وأخذ عليهم الميثاق، ولا مُنافاة بين الآية والحديث، كما تقدم في تفسير ألفاظ الآية من أن الله أخرج ذرية آدم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض، كما في الخارج، وكلّهم بأجمعهم من ظهر آدم الذي هو أصلهم، فبهذا الطريق أمكن الجمع بين الآية والحديث؛ إذ ليس في معنى ألفاظ الآية ما يدلّ على بطلان ذلك ونفيه، وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته، فوجب المصير إليه والأخذ به جمعًا بين الآية والحديث. وحكى الواحدي عن صاحب النظم أنّه قال: ليس بين قوله عليه الصلّة والسلام أنّ الله مسح ظهر آدم، فأخرج منه ذريته، وبين الآية اختلاف بحمد الله؛ لأنه تعالى إذا أخرجهم من ظهر آدم فقد أخرجهم من ظهور ذريته، لأن ذرية آدم ذرية كذرية بعضهم من بعض، قال: وتحصل الفائدة بهذا الفصل بأنه تعالى ثبت الحجة على كل منفوس ممن بلغ ومن لم يبلغ بالميثاق الذي أخذه عليهم، وزاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات والدلائل التي نصبها بالرسول المنفذة إليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ، وقال غيره: فائدة أخذ الميثاق عليهم في القدم أنّ من مات منهم صغيرًا أدخل الجنة بإقراره بالميثاق الأول، وهذا على قول من يقول: إنّ أطفال المشركين يدخلون الجنة إذا ماتوا صغارًا، فأما من لا يحكم لهم بالجنة، فإنه يقول: من كان من أهل الشقاوة من الذرية السوداء، وإنما أقروا بالمعرفة كرهاً، فلم يُغن عنهم ذلك شيئًا، ومن بلغ وعقّل لم يُغن عنه إقراره بالميثاق الأول شيئًا حتى يؤمن ويصدق عند بلوغه وعقله بأنّ الله ربّه وخالقه،

ويصدق رُسُلُه فيما جاؤوا به من عنده، وإنما فعل ذلك لئلا يقول الكفار: إنا كنا عن هذا الميثاق أو الإيمان بأن الله ربنا غافلين، أو لئلا يقول أخلافهم: إنما أشرك آبائنا ونحن نسير على آثارهم، ظنًا منهم أن الحق ما كانوا عليه.

فإن قلت: إن ذلك الميثاق لا يذكره أحد اليوم، فكيف يكون حجة عليهم اليوم؟ أو فكيف يذكرونه يوم القيامة حتى يحتج عليهم به؟

قلت: لما أخرج الذرية من صلب آدم ركب فيهم العقول وأخذ عليهم الميثاق، فلما أُعيدوا إلى صلب آدم بطل ما ركب فيهم، فتوالدوا ناسين لذلك الميثاق، لاقتضاء الحكمة الإلهية نسيانهم له، ثم ابتدأهم بالخطاب على السنة الرُّسل عليهم الصَّلَاة والسَّلَام وأصحاب الشرائع، فقام ذلك مقام الذكر؛ إذ الدار دار تكليف وامتحان، ولو لم ينسوه لانتفت المِحنة والابتلاء والتكليف، فقامت الحجة عليهم لإمدادهم بالرُّسل وإعلامهم بجريان أخذ الميثاق عليهم، وبذلك قامت الحجة عليهم أيضًا يوم القيامة لإخبار الرسل إليهم بذلك الميثاق في الدنيا، فمن أنكره كان مُعَانِدًا ناقضًا للعهد، ولزمتهم الحجة ولم تسقط الحجة عنهم بنسيانهم، وعدم حفظهم بعدم إخبار الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات. اهـ بحروفه.

وفي التفسيرات الأحمدية: وقد ذكر الإمام الزاهد هلهنا في تفسير الآية كلامًا طويلاً، حاصله أنه قيل: لا ميثاق وقت آدم، إنما هو الآن على المكلفين، وقيل: إنما هو للكافر فقط، وقيل: للمسلم فقط، وقيل: لهما، ولكن المسلم أجاب طَوْعًا والكافر كَرْهًا، والكل غلط، والصحيح أنه أخذ الميثاق من الكل، وأجاب الكل بطوع واختيار واستنطقهم وجعلهم سامعين عاقلين، وليس ذلك بعجب؛ فصَدَّقوا بقلوبهم وأقروا بلسانهم، وأشهد عليهم السموات السبع والأرضين السبع والملائكة، وأشهد عليهم آدم، فهو حق غايته أنه لم يذكره أحد من المؤمنين والكافرين، ولا يضّر ذلك؛ لأن الدنيا دار تعب ومِحنة، ولو كانوا ذاكرين لذلك العهد لارتفع الابتلاء؛ ولأن الله لم يكتفِ بذلك العهد، بل جدَّه في كل عصر على ألسنة الرُّسل، فَمَنْ قَبْلَهُ نفعه العهد الأوَّل، وَمَنْ لَا فلا؛ والدليل على إقرارهم

(«ذرياتهم» مدني وبصري وشامي «أن يقولوا» «أو يقولوا»: أبو عمرو).

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ﴾ (١٧٥)

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ على اليهود ﴿نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾ هو عالم من علماء بني إسرائيل.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]، وعلى تصديقهم قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]، والدليل على تعميم الميثاق قوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٦]، فإنه يدل على أن الكفار كلهم آمنوا يوم الميثاق، وكفروا بعد، وإلا لكان مختصًا بالمرتدين، وإنما لم يبقوا على الإيمان في الدار الدنيا، وإن أقرؤوا قبله لأن الخلق في الدنيا إنما هو على موافقة علمه الأزلي، فأحدث كما علم، وإنما جاز استرقاق أطفال الكفرة ونحوه، وإن لم يوجد منهم الكفر؛ لأن ذلك بحكم الله يفعل الله ما يشاء وبحكم ما يريد. وأما أحكامهم في الآخرة، فتوقف فيه الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه واختلف فيه غيره، وإنما يحل أخذ الجزية من الكفار ومناكحة أهل الكتاب؛ لأن عدمه موقوف على الإيمان الابتدائي، ولم يوجد منهم، هذا حاصل ما فيه. وقد ذكر الإمام فخر الإسلام البزدوي وغيره في بحث الأهلية: أن الآدمي يُولد وله ذمة صالحة للوجوب بناءً على عهد الميثاق، ولكنه لما لم يصلح للأداء قبل البلوغ لم يجب عليه؛ لأن المقصود من الوجوب الأداء، وهذا أهلية وجوب، ثم بعدها أهلية أداء، وهي نوعان: كاملة وقاصرة، وهكذا سرد الكلام إلى آخره، وفيه تفصيل لا يليق بهذا المختصر، والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ.

قوله: («ذرياتهم») بإثبات الألف بعد الياء التحتية مع كسر التاء على الجمع، (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (وبصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (وشامي) أي ابن عامر الشامي. والباقون بحذف الألف ونصب التاء الفوقية على الأفراد. قوله: («أن يقولوا») يوم (أو يقولوا) إنما بياء الغيب فيهما (أبو عمرو)، والباقون بتاء الخطاب فيهما.

وقيل : هو (بلعم) بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله ﴿فَأَنسَلَخَ مِنْهَا﴾ فخرج من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ فلحقه الشيطان وأدركه وصار قريباً له ﴿فَكَانَ مِنَ الْفَاقِينَ﴾ فصار من الضالين الكافرين . رُوِيَ أَنَّ قومه طلبوا منه أن يدعو على موسى وَمَنْ معه فأبى فلم يزالوا به حتى فعل وكان عنده اسم الله الأعظم .

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانْقُصْ الْقَصَصَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ إلى منازل الأبرار من العلماء ﴿بِهَا﴾ بتلك الآيات ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مال إلى الدنيا ورغب فيها ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في إشار الدنيا ولذاتها على الآخرة ونعيمها ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ﴾ أي تزجره وتطرده ﴿يَلْهَثَ أَوْ تَتَرَكَّهُ﴾ غير مطرود ﴿يَلْهَثَ﴾ والمعنى فصفته التي هي مثل في الخسة والضعفة) كصفة الكلب في أحسن أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث به، سواء حمل عليه أي شد عليه و(هيج) فطرد، أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه، وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا حرك، أما الكلب فيلهث في الحالين فكان مقتضى الكلام أن يقال : ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته، فوضع هذا التمثيل موضع فحططناه أبلغ حط . ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال كأنه قيل : كمثل الكلب ذليلاً دائماً الذلة لاهئاً في الحالين . وقيل : لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل

قوله: (بلعم) بفتح الموحدة بزنة أرقم، ابن باعورا - بالموحدة والألف المقصورة في آخره - . اهـ كمالين .

قوله: ﴿يَلْهَثُ﴾ (يَلْعُ) ^(١) لسانه، أي يُخرجه . قوله: (الضعفة) بفتح الضاد وكسرهما . في المصباح: وضع في حسبه بالبناء للمفعول، فهو وضع، أي ساقط لا قدر له، والاسم الضَّعْفَةُ بفتح الضاد وكسرهما . قوله: (هيج) في المصباح: هاج

(١) في القاموس: دلح لسانه كمنع، أخرجه كأدله . ١٢ منه عم فيضهم .

يلهث كما يلهث الكلب. وقيل: معناه هو ضالّ وعظ أو ترك. وعن (عطاء): مَنْ علم ولم يعمل فهو كالكلب (ينبح) إن طرد أو ترك ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ من اليهود بعد أن قرؤوا نعت رسول الله ﷺ في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه ﴿فَأَقْصَصْ﴾ (الْقَصَص) أي قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا نحو سيرته.

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ﴾ (١٧٧) ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاطِئُونَ﴾ (١٧٨)

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي مثل القوم فحذف المضاف، وفاعل ﴿سَاءَ﴾ مضمّر أي ساء المثل مثلاً. وانتصاب ﴿مَثَلًا﴾ على التمييز ﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ﴾ معطوف على ﴿كَذَبُوا﴾ فيدخل في حيز الصلة أي الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم، أو منقطع عن الصلة أي وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب، وتقديم المفعول به للاختصاص أي وخصّوا أنفسهم بالظلم لم يتعد إلى غيرها. ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ﴾ حمل على اللفظ ﴿وَمَنْ يُضِلِّ﴾ أي ومن يضلله ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاطِئُونَ﴾ حمل على المعنى، ولو كان الهدي من الله البيان كما قالت المعتزلة، لاستوى الكافر والمؤمن إذ البيان ثابت في حق الفريقين فدلّ أنه من الله تعالى التوفيق والعصمة والمعونة، ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن.

الشيء هَيَّجَانًا وَهَيَّاجًا - بالكسر - ثار وهجته يتعدى ولا يتعدى، وهيجته بالثقل مبالغة. اهـ. قوله: (عطاء) بن أبي رباح، كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، سمع جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وخلقًا كثيرًا من الصحابة رضوان الله عليهم. ورَوَى عنه عمرو بن دينار والزهري وقتادة ومالك بن دينار والأعمش والأوزاعي وخلق كثير رحمهم الله، وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانهما. توفي سنة خمس عشرة ومائة رضي الله تعالى عنه. قوله: (ينبح) في مختار الصحاح: نباح الكلب من باب ضرب وقطع نبيحًا أيضًا ونَبَاحًا - بضم النون وكسرهما - وربما قالوا: نباح الطَّيْرِ. اهـ. قوله: ﴿الْقَصَصُ﴾ مصدر بمعنى اسم المفعول.

﴿وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْإِنسِ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَانُوا فِي لَهْفٍ فَلَمَّا أَصْلَحُوا لَمْ يَصْلُحُوا أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ (١٧٩)

﴿وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْإِنسِ وَالْإِنسِ﴾ هم الكفار من الفريقين المعرضون عن تدبر آيات الله، والله تعالى علم منهم اختيار الكفر فشاء منهم الكفر وخلق فيهم ذلك وجعل مصيرهم جهنم لذلك. ولا تنافي بين هذا وبين قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١) [الذاريات: الآية ٥٦] لأنه إنما خلق منهم للعبادة من علم أنه يعبد، وأما من علم أنه يكفر به فإنما خلقه لما علم أنه يكون منه. فالحاصل أن من علم منه في الأزل أنه يكون منه العبادة خلقه للعبادة، ومن علم منه أن يكون منه الكفر خلقه لذلك، وكم من عام يراد به الخصوص! وقول المعتزلة بأن هذه لام العاقبة أي لما كان عاقبتهم جهنم جعل كأنهم خلقوا لها فراراً عن إرادة المعاصي عدول عن الظاهر ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحق ولا يتفكرون فيه ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ الرشد ﴿وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الوعظ ﴿أُولَئِكَ كَانُوا فِي لَهْفٍ﴾ في عدم الفقه، والنظر: الاعتبار والاستماع للتفكر ﴿بَلْ هُمْ أَصْلَفٌ﴾ من الأنعام لأنهم كابروا العقول وعاندوا الرسول وارتكبوا الفضول، فالأنعام تطلب منافعها و(تهرب) عن مضارها وهم لا يعلمون مضارهم حيث اختاروا النار، وكيف يستوي المكلف المأمور والمخلى المعذور؟ فالآدمي روحاني شهواني سماوي أرضي، فإن غلب روحه هواه فاق ملائكة السموات، وإن غلب هواه روحه فاقته بهائم الأرض ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفٰٔفِلُوۡتُ﴾ الكاملون في الغفلة.

﴿وَلِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنٰى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠)

﴿وَلِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنٰى﴾ التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معاني حسنة؛ فمنها ما يستحقه بحقائقه كالقديم قبل كل شيء، والباقي بعد كل شيء، والقادر على كل شيء، والعالم بكل شيء، والواحد الذي ليس كمثله شيء، ومنها ما تستحسنه الأنفس لآثارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم، ومنها ما يوجب

قوله: (تهرب) في مختار الصحاح: الهرب الفرار، وقد هرب يهرب هرباً مثل طلب يطلب طلباً. اهـ.

التخلق به كالفضل والعفو، ومنها ما يوجب مراقبة الأحوال كالسميع والبصير والمقتدر، ومنها ما يوجب الإجلال كالعظيم والجبار والمتكبر ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ فسموه بتلك الأسماء ﴿وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ (واتركوا تسمية الذين) يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى، وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولون: يا سخي يا رفيق، لأنه لم يسم نفسه بذلك. ومن الإلحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة («يلحدون») حمزة لحد وألحد مال ﴿سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٨١) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

﴿وَمَنْ خَلَقْنَا﴾ للجنة لأنه في مقابلة ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ ﴿أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ في أحكامهم. قيل: هم العلماء (والدعاة) إلى الدين، وفيه دلالة على أن إجماع كل عصر حجة ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ (سنستدريجهم) قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم ﴿مَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع (انهماكهم) في الغي، فكلما جدد الله عليهم نعمة ازدادوا (بطراً) وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن ترادف النعم (أثرة) من الله تعالى وتقريب وإنما هو (خذلان) منه وتبعيد، وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ عطف على ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ وهو غير داخل في حكم السين أي أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أخذي شديد.

قوله: (واتركوا تسمية الذين) إشارة إلى أن فيه مضافاً مقدراً، وهو تسمية بقرينة المقام. قوله: («يلحدون») بفتح الياء من لَحَدَ ثلاثياً حمزة، والباقون بضم الياء وكسر الحاء من ألحد.

قوله: (والدعاة) جمع الداعي. قوله: (سنستدريجهم) الاستدناء استفعال من الدنو، وهو القرب، أي سنقرّبهم. قوله: (انهماكهم) في المصباح: انهمك في الأمر انهماكاً جَدَّ فيه وليج فهو منهمك. اهـ. قوله: (بطراً) أي فخراً وتكبّراً. قوله: (أثرة) في القاموس: الأثرة - بالضم - المكرمة المتواترة. اهـ. قوله: (خذلان) في مختار الصحاح: خَذَلَهُ يَخْذُلُهُ - بِالضَّمِّ - خِذْلَانًا - بكسر الخاء - ترك عَوْنَهُ ونصرته.

سمّاه كيدًا لأنه شبيه بالكيد من حيث إنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان. ولما نسبوا النبي ﷺ إلى الجنون نزل:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾ محمد ﷺ و«ما» نافية بعد وقف أي أو لم يتفكروا في قولهم، ثم نفى عنه الجنون بقوله ما بصاحبهم ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ منذر من الله (موضح إنذاره) ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ نظر استدلال ﴿فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الملكوت العظيم ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ﴿وَأَنْ عَسَى﴾ «أن» مخففة من الثقيلة وأصله «وأنه عسى»، والضمير ضمير الشأن وهو في موضع الجزر بالعطف على ﴿مَلَكُوتٍ﴾، والمعنى أو لم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى ﴿يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾ ولعلمهم يموتون عما قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجأة الأجل وحلول العقاب ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به، وهو متعلق بـ ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾ كأنه قيل: لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون بالإيمان بالقرآن قبل الفوت؟ وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق؟ وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا؟

﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾

لا يهده أحد ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ والرفع على الاستئناف أي وهو يذرهم . الباقيون : بالنون ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ كفرهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيرون . ولما سألت اليهود أو قريش عن الساعة متى تكون نزل .

﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ وهي من الأسماء الغالبة (كالنجم للثريا) . وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغثة (أو لسرعة حسابها، أو لأنها عند الله على طولها) كساعة من الساعات عند الخلق ﴿أَيَّانَ﴾ متى واشتقاقه، من «أي» (فعلان منه) لأن معناه أي وقت ﴿مُرْسَاهَا﴾ إرساؤها (مصدر) مثل المدخل بمعنى الإدخال، أو وقت إرسائها أي إثباتها، والمعنى متى يرسياها الله ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ أي علم وقت إرسائها عنده قد (استأثر) به لم يخبر به أحدًا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت لذلك ﴿لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ﴾ (لا يظهر أمرها) ولا يكشف خفاء علمها إلا

لا يهده أحد، ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ والرفع) أي رفع الرأ (على الاستئناف وهو يذرهم) أبو عمرو وعاصم ويعقوب . (الباقيون) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة، وابن كثير المكي وابن عامر الشامي (بالنون) ورفع الرأ على الاستئناف .

قوله: (كالنجم للثريا) في المصباح : إذا أطلقت العرب النجم أرادوا الثريا، وهو علم عليها بالألف واللام. اهـ. قوله: (أو لسرعة حسابها)، فأطلقت على ذلك اليوم بهذا الاعتبار. قوله: (أو لأنها عند الله على طولها)... الخ. أي سُميت بذلك لذلك، وفَرَّقَ بين الوجوه بأن مبنى الأول أنها اسم لزمان قيام الناس، لا للزمان المديد، ومبنى غيره على أنها اسم لزمان ممتد. اهـ شهاب. قوله: (فعلان منه) زيدت الألف والنون على أي فصار أيان. قوله: (مصدر) ميمي. قوله: (استأثر) أي انفرد. قوله: (لا يظهر أمرها) إشارة إلى أن التجلية إظهار الشيء، والتجلي ظهوره، وقدر المضاف في قوله: ﴿لَا يُجِيبُهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧] لأنه

هو وحده ﴿ثَقُلْتَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي كل مَنْ أهلها من الملائكة والثققلين أهمه شأن الساعة، ويتمنى أن يتجلى له علمها وشقّ عليه خفاؤها، وثقل عليه أو ثقلت فيها لأن أهلها يخافون شدائدّها وأهوالها ﴿لَا تَأْتِيكَ إِلَّا بَغْثَةٌ﴾ (فجاءة) على غفلة منكم ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ (كأنك عالم بها) وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها، لأن مَنْ بالغ في المسألة عن الشيء و(التنقير) عنه استحکم علمه فيه. وأصل هذا التركيب المبالغة، ومنه (إحفاء الشارب)، أو ﴿عَنْهَا﴾ متعلق بـ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي يسألونك عنها كأنك حفي أي عالم بها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ وكرر ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ و﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ للتأكيد ولزيادة ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ وعلى هذا تكرير العلماء في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة، منهم (محمد بن الحسن) رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿أنه المختص بالعلم بها.

تعالى قد كشف وأظهر نفس قيام الساعة بدلائل قطعية ونصوص متعاضدة، وليس المنفي إلا إظهار أمرها في حقّ وقتها وتعيينه، والمعنى لا يعلم الوقت الذي فيه يحصل قيام الساعة إلا الله سبحانه وتعالى. قوله: (فجاءة) بالضم والمدّ، وفي لغة: وزان تمرّة. اهـ مصباح.

قوله: (كأنك عالم بها)... الخ. لما ورد أن يقال: لو كان الحفي بمعنى العالم، لوجب أن يُعدّى بالياء، فكيف قيل: حفي عنها؟ أجاب عنه: بأنّ الحفاوة لما كان أصل معناه الاستقصاء في السؤال كان معنى السؤال ملحوظاً في معناها الكنائي فعُدّى تعديته، وقيل: إنما يرد الإشكال على تقدير أن تكون عنها متعلّقة بقوله: حفي، وليس كذلك، بل هي متعلّقة بيسألونك. وقوله: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧] معترض بينهما وصلة حفي محذوفة، وتقدير الكلام: يسألونك عنها كأنك حفي بها. اهـ شيخ زاده رَحِمَهُ اللَّهُ. قوله: (التنقير) أي البحث. قوله: (إحفاء الشارب) في المصباح: أحفى الرجل شاربّه بالغ في قصّه، وإحفاء في المسألة بمعنى ألحّ وألحفّ. اهـ. وأيضاً فيه: الشارب الشعر الذي يسيل على الفمّ. اهـ.

قوله: (محمد بن الحسن) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، صاحب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهما، مات بالريّ سنة تسع وثمانين ومائة، وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٨٨)

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ هو إظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي (اجتلاب) نفع ولا دفع ضرر كالممالك إلا ما شاء مالكي من النفع لي والدفع عني ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ أي لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسنني شيء منها، ولم أكن غالباً مرة ومغلوباً أخرى في الحروب. وقيل: الغيب الأجل، والخير العمل، والسوء (الوجل). وقيل: لاستكثر لاعتدت من (الخضب) للجذب. والسوء الفقر وقد رد. ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ إن أنا إلا عبد أرسلت نذيراً وبشيراً، وما من شأني أن أعلم الغيب. واللام في ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يتعلق بالنذير والبشير لأن النذارة والبشارة إنما ينفعان فيهم، أو بالبشير وحده والمتعلق بالنذير محذوف أي إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَاحِبًا ضَلِحَ لَنَا كُفُونًا مِنْهُ﴾ (١٨٩)

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هي نفس آدم ﷺ ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء خلقها من جسد آدم (من ضلع من أضلاعه) ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ليطمئن ويميل لأن الجنس إلى الجنس أميل خصوصاً إذا كان بعضاً منه، كما يسكن الإنسان إلى ولده ويعبه محبة نفسه لكونه (بضعة) منه. وذكر ﴿لِيَسْكُنَ﴾ بعدما

قوله: (اجتلاب) في القاموس: جلبه يجلبه جلباً وجلباً واجتلبه ساقه من موضع إلى آخر. اهـ. قوله: (الوجل) الخوف. قوله: (الخضب) ضد الجذب، أي القحط.

قوله: (من ضلع من أضلاعه) أي من عظم جنبه، أي من ضلعه الأيسر، ولذا كان كل إنسان ناقصاً ضلعاً من الجانب الأيسر، فجهة اليمين أضلاعها ثمانية عشر، وجهة اليسار سبعة عشر. قوله: (بضعة) البضعة - بالفتح - القطعة من

أثت في قوله: ﴿وَجِدَ﴾. وخلق منها زوجها ذهاباً إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم ﴿فَلَمَّا تَعَسَّلَهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً﴾ خف عليها ولم تلق منه ما يلقي بعض (الحبالي) من حملهن من الكرب والأذى ولم تستثقله كما يستثقلنه ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ فمضت به إلى وقت (ميلاده من غير إخداج. والإزلاق)، أو حملت حملاً خفيفاً يعني النطفة فمرّت به فقامت به وقعدت ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَ﴾ (حان) وقت ثقل حملها ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذي هو (الحقيق) بأن يُدعى ويلتجأ إليه فقالا: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْنَا صَليحاً﴾ لئن وهبت لنا ولداً سوياً قد صلح بدنه أو ولداً ذكراً لأن الذكورة من الصلاح ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك. والضمير في ﴿ءَاتَيْنَا﴾ و﴿لَنَكُونَنَّ﴾ لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما.

﴿فَلَمَّا ءَاتَيْنَاهُمَا صَليحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَيْنَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

﴿فَلَمَّا ءَاتَيْنَاهُمَا صَليحاً﴾ أعطاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ (أي جعل أولادهما له شركاء) على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك ﴿فِيمَا ءَاتَيْنَاهُمَا﴾ أي أتى أولادهما دليله ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ حيث جمع الضمير، وآدم وحواء بريثان من الشرك، ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله

اللحم، وعامة ما هو من هذا القبيل بالكسر، كالكسرة والقطعة. اهـ. تفتازاني رحمه الله. قوله: (الحبالي) جمع حُبلى. قوله: (ميلاده) مصدر. قوله: (من غير إخداج) في الصّحاح: خدجت الناقة تخذج خداجاً، فهي خادج، والولد خديج إذا أُلقت ولدها قبل تمام الأيام، وإن كان تامّ الخلق، وأخدجت الناقة إذا جاءت بولدها ناقص الخلق، وإن كانت أيامه تامّة، فهي مخدج، والولد مخدج. اهـ. قوله: (والإزلاق) في الصّحاح: ازلقت الناقة أسقطت. اهـ. قوله: (حان) أي قُرْب. قوله: (الحقيق) أي اللائق.

قوله: (أي جعل أولادهما له شركاء) احتراز عن نسبة إثبات الشركاء لله إلى آدم وحواء، وإن كان بمعنى تسمية ولدهم بعبد الحارث اتّباعاً لأمر إبليس المسمّى في الملائكة بالحارث، على ما نقل أحمد بن حنبل والترمذي عن سَمُرَةَ بن جندب، أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما حملت حواء وطاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سمّيه عبد الحارث، فسمّته فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»، فإن قيل: الإشراك فيما آتاهما الله ليس إشراكاً على الحقيقة؛ لأن

تسميتهم أولادهم بعبد العزى و(بعبد مناف وعبد الدار) وعبد شمس ونحو ذلك، مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم، أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ وهم آل قصي أي هو الذي خلقكم من نفس واحدة (قصي)، وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها، فلما آتاها ما طلبا من الولد الصالح السوي جعل له شركاء فيما آتاها حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار. والضمير في ﴿يَشْرِكُونَ﴾ لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك. («شركًا» مدني وأبو بكر) أي ذوي شرك وهم الشركاء.

معناه في حق الأولاد أيضًا تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس، والأعلام لا يُقصد بها مفهوماتها الأصلية، والحديث صريح في أن المراد آدم وحواء، وتقدير المضاف لا يُصار إليه إلا عند الحاجة، وكلمة لما لا يستقيم على هذا التقدير؛ لأن إشراك أولادهما لم يكن حين آتاها الله تعالى صالحًا، بل بعده بأزمنة متطاولة. قلنا: إشراكهما بالله ولو بمعنى تسمية الولد بعبد الحارث اتباعًا لأمر الشيطان مرجوح، وإن لم يكن محظورًا على أنهم لا يخلون الأعلام المضافة عن إيماء إلى المعاني الأصلية وملاحظة لها، وهذا القدر من الحاجة كاف في تقدير المضاف، والحديث من باب الآحاد، ولم يرد في معرض البيان، وليست كلمة لما للزمان المتضايق، بل الممتد، فلا يلزم أن يقع مضمون الشرط والجزاء في يوم واحد أو شهر أو سنة، بل يختلف ذلك باختلاف الأمور. تقول: لما ظهر الإسلام ظهرت البلاد عن دَسَسِ الشُّرك والإلحاد، ولما ركب السلطان قمع آثار الشرور والفساد، على أن تسمية ولد بعبد الحارث جعل شريك لا شركاء، إلا بتأويل وعدول عن الظاهر، وكذا جعل؛ فتعالى الله عما يشركون غير متعلق بهذا الإشراك، بل تخلصًا إلى حال المشركين خلاف الظاهر. اهـ تفتازاني رحمه الله. قوله: (بعبد مناف) مناف اسم صنم. قوله: (عبد الدار) وهي دار التدوة المعروفة. قوله: (قصي) مصغّر اسم رجل. اهـ لسان العرب. وفي القاموس: كَسَمِيَ قُصَيُّ بن كلاب اسمه زيدًا. اهـ. قوله: («شركًا») بكسر الشين وإسكان الراء وتنوين الكاف من غير همز اسم مصدر، أي ذوي شِرْك، أي إشراك (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، (وأبو بكر) شعبة بن عياش عن عاصم. والباقون بضم الشين وفتح الراء وبالمَد والهمز بلا تنوين، جمع شريك.

﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾

﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ يعني الأصنام ﴿وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ أجريت الأصنام مجرى أولي العلم بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة، والمعنى أشركون ما لا يقدر على خلق شيء وهم يخلقون لأن الله خالقهم، أو الضمير في ﴿وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ للعابدين أي أشركون ما لا يخلق شيئاً وهم مخلوقو الله فليعبدوا خالقهم، أو للعابدين والمعبودين وجمعهم كأولي العلم تغليباً للعابدين ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ لعبدتهم ﴿نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ فيدفعون عنها ما (يعتريها) من الحوادث كالكسر وغيره بل (عبدتهم) هم الذين يدفعون عنهم.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ (١٩٣) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ وإن تدعوا هذه الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَىٰ﴾ إلى ما هو هدى (ورشاد) أو إلى أن يهدوكم أي وإن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ إلى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله. لا («يَتَّبِعُوكُمْ» نافع) ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ عن دعائهم في أنه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم، والعدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية لرؤوس الآي ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة ﴿عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ أي مخلوقون مملوكون أمثالكم ﴿فَادْعُوهُمْ﴾ لجلب نفع أو دفع ضرر ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ فليجيبوا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنهم آلهة. ثم أبطل أن يكونوا عباداً أمثالهم فقال:

قوله: (يعتريها) يُصِيبُهَا. قوله: (عبدتهم) العَبْدَةُ جمع عابد.

قوله: (رشاد) الرَّشَادُ ضِدُّ الْغَيِّ. قوله: («يَتَّبِعُوكُمْ») بسكون التاء وفتح الباء الموحدة (نافع) المدني، والباقون بفتح التاء مشددة وكسر الموحدة، وهما لغتان؛ ولهذا جاء في قصة آدم عليه الصلاة والسلام: ﴿فَمَنْ تَبِعَ﴾ [البقرة: الآية ٣٨]، وفي موضع آخر: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ﴾ [طه: الآية ١٢٣]، وقيل: تبعه بمعنى اقتفى أثره واتبعه بالتشديد، بمعنى اقتدى به.

﴿الْهَمْ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَصِيرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ
ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿الْهَمْ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا﴾ مشيكم ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ يتناولون بها
﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَصِيرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أي فلم تعبدون ما هو
دونكم ﴿قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ واستعينوا بهم في عداوتي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ جميعاً أنتم
وشركاؤكم. (وبالبياء: يعقوب وافقه أبو عمرو في الوصل) ﴿فَلَا تُنْظِرُونِ﴾ فإني

قوله: (وبالبياء) في الحالين (يعقوب) البصري، وليس من السبعة. (وافقه أبو عمرو) البصري، (في الوصل) لا في الوقف. عبارة تفسير التيسابوري: ﴿كيدوني﴾ بالبياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شبنوذ عن قنبل وافق أبو عمرو ويزيد وإسماعيل والحلواني عن هشام في الوصل. اهـ. وفي الإتحاف: وأثبت البياء في ﴿كيدوني﴾ وصلاً أبو عمرو وهشام من طريق الداجوني وأبو جعفر، وفي الحالين قنبل من طريق ابن شبنوذ وهشام من طريق الحلواني ويعقوب. اهـ. وفي غيث النفع: ﴿ثم كيدوني﴾ قرأ البصري بإثبات الياء وصلاً لا وقفاً، وهشام بإثباتها في الحالين. والباقون بحذفها فيهما، وإنما لم نذكر الخلاف الذي ذكره الشاطبي فيها لهشام، حيث قال:

وكيدوني في الأعراف حجّ ليحملاً

بخلف وتبعه على ذلك كثير؛ لأنه يبعد أن يكون الخلاف لهشام فيها من طريقه وطريق أصله، بل لم يثبت من طرق النشر إلا في حالة الوقف خاصة. قال المحقق فيه: ورَوَى بعضهم عنه، أي عن هشام، الحذف في الحالين، ولا أعلمه نصاً من طرق كتابنا لأحد من أئمتنا، ثم قال: وكلاً الوجهين - يعني الحذف والإثبات - صحيحان عنه، أي عن هشام، نصاً وأداءً حالة الوقف. وأمّا حالة الوصل، فلا أخذ بغير الإثبات من طرق كتابنا. اهـ. فإن قلت: مستنده قول صاحب التيسير فيه لما تكلم على زوائد سورة الأعراف في آخرها وفيها محذوفة: «ثم كيدون» فلا وأثبتها في الحالين هشام بخلاف عنه. قلت: هذا لا دليل فيه؛ لأن الداني كثير ما يذكر الخلاف على سبيل الحكاية، وإن كان هو لا يأخذ به، وليس من طريقه، وهذا منه ويدلّ على ذلك قوله في المفردات بعد أن ذكر الخلاف له،

لا أبالى بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك. (وبالياء يعقوب).

﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (١٩٦) ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرُونَ﴾ (١٩٧) ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَكْنَهُمْ يُظْهِرُونَ إِلَيْكَ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٩٨)

﴿إِنَّ وَلِيََّ﴾ ناصري عليكم ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ﴾ أوحى إلي وأعزني برسالته ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ ومن سنته أن ينصر الصالحين من عباده (ولا يخذلهم) ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرُونَ﴾ (١٩٧) ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَكْنَهُمْ يُظْهِرُونَ إِلَيْكَ﴾ (يشبهون الناظرين) إليك

وبالإثبات في الوصل والوقف آخذ. وقوله في جامع البيان: وبه قرأت على الشيخين أبي الفتح وأبي الحسن من طريق الحلواني عنه، بل يدل عليه كلامه في التيسير، فإنه قال فيه في باب الزوائد: وأثبت ابن عامر في رواية هشام الياء في الحالين، في قوله تعالى: «ثم كيدوني» في الأعراف، فجزم بالإثبات ولم يحك خلافة، ومن المعلوم المقرر أن العلماء يعتنون بتحقيق المسائل في أبوابها أكثر من اعتنائهم بذلك إذا ذكروها استطراداً تميماً للفائدة، فربما يتساهلون اتكالا على ما تقدم، أو ما سيأتي لهم في الباب، فثبت من هذا أن الخلاف لهشام حالة الوصل عزيز، وإنما الخلاف حالة الوقف، لكن لا ينبغي أن يقرأ به من طريق القصد، وأصله: وبالإثبات في الحالين قرأت على شيخنا رحمه الله، وقال في مقصورته: كيدون حلواني، روى زيادة في حالته عن هشام، وقرأ. اهـ.

قوله: (وبالياء) في الحالين (يعقوب) البصري، وليس من السبعة.

قوله: (ولا يخذلهم) في مختار الصحاح: خذله يخذله بالضم خذلاً - بكسر الخاء - ترك عونه ونصرته. اهـ. قوله: (يشبهون الناظرين) من باب الأفعال، أي يُشابهونهم، يعني أن قوله تعالى: ﴿يُظْهِرُونَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٨] استعارة تبعية شبه مقابلة الأصنام له عليه السلام بنظرها إليه، أي يخيل إليك أنهم ينظرون؛ لأن لها أعياناً مصنوعة مركبة بالجواهر وهم غير ناظرين ومبصرين في الحقيقة، وكون الضمير المنصوب في ﴿وَتَرَكْنَهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٨] للأصنام يستدعي أن يكون

لأنهم صَوَّرُوا أصنامهم بصورة من قلب (حدقته) إلى الشيء ينظر إليه ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ المرئي.

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ (هو ضد الجهد (أي ما عفا لك) من أخلاق الناس وأفعالهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله ﷺ: «يسروا ولا تعسروا») ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ بالمعروف والجميل من الأفعال، أو هو كل خصلة يرتضيها العقل ويقبلها الشرع ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم، وفسرها جبريل ﷺ بقوله: (صِلْ مَنْ قَطَعَكَ) وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك. (وعن الصادق) أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها.

المنصوب في تدعوهم أيضًا للأصنام، فيكون الضمير المرفوع للمشركين، والمعنى: أيها المشركون إن تدعوا أصنامكم إلى أن يهدوكم ولا يسمعوا دعاءكم. قوله: (حدقته) في المصباح: حَدَقَ العين سَوَّاهَا. اهـ.

قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ (هو ضد الجهد، (أي ما عفا لك) ... الخ. أي العفو مصدر عفا بمعنى تسهل وتيسر وأريد به ما يتيسر، وخذ بمعنى اقبل وارض مجازًا، أي ارض منهم ما تيسر من أخلاقهم وأفعالهم ولا تدقق وتشدد، والجهد بمعنى المشقة.

قوله: (يسروا) من اليسر ضد العسر، أي يسروا على الناس بذكر ما يؤلفهم لقبول الموعظة والتعليم (ولا تعسروا) قال العلقمي: ذكر تأكيدًا، وإلا فالأمر بالشيء نهي عن ضده؛ ولأنه لو اقتصر على اليسر صدق على مَنْ أبى به مرة، وبالعسر بعض أوقاته، فلما قال: ولا تعسروا انتفى العسر في كل الأوقات؛ رواه الإمام أحمد وغيره عن أنس رضي الله تعالى عنه. قوله: (صِلْ مَنْ قَطَعَكَ) بأن تفعل معه ما تعدُّ به واصلاً من نحو تودد.

قوله: (وعن الصادق) هو الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، الهاشمي المدني الصادق عليه السلام.

﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٠٠)

﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ (وَأِمَّا يَنْخَسِنُكَ مِنْهُ نَخْسٌ) أَي بَأَن يَحْمِلَكَ بوسوسته على خلاف ما أمرت به ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ولا تطعه. والنزغ: النخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي. وجعل النزغ نازغاً كما قيل جد جده، أو أريد بنزغ الشيطان (اعتراء الغضب) كقول (أبي بكر) ؓ: إن لي شيطاناً يعتريني ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ لنزغه ﴿عَلِيمٌ﴾ بدفعه.

قوله: (وَأِمَّا يَنْخَسِنُكَ مِنْهُ نَخْسٌ) من باب قتل، وهو إدخال الإبرة وطرف العصا وما يشبهه في الجلد، كما يفعله السائق لحثّ الدواب، شبه وسوسته للناس إغراء لهم على المعاصي وإزعاجاً بغرز السائق ما يسوقه، يعني أنّ قوله تعالى: ﴿يَنْزَغَنَّكَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٠] استعارة تبعية شبه إغراء الشيطان الناس على المعاصي بوسوسته بالنزغ والغرز، واستعير له اسم النزغ ثم اشتق منه ينزغك، وإلا فليس هناك نزغ وغرز. **قوله:** (اعتراء الغضب) أي عروضه. في تاج العروس شرح القاموس: فلان تعروه الأضياف وتعتره، أي تغشاه. اهـ.

قوله: (أبي بكر) الصديق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر، مَنْ يُحْصِي مناقبه ويحيط بفضائله غير الله عز وجل. رُوِيَ للصديق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ مائة حديث واثنان وأربعون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على ستة، وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسلم بحديث، وسبب قلة رواياته مع تقدّم صحبته وملازمته النبي ﷺ أنه تقدّمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها، وكان النبي ﷺ يُكرمه ويُجلّه ويُعرّف أصحابه مكانه ويُثني عليه في وجهه، واستخلفه في الصلاة، ومناقبه غير مُنحصرة أجمعت الأمة على صحة خلافته وقدمته الصحابة رضي الله تعالى عنهم لكونه أفضلهم وأحقّهم بها من غيره، وحديث بيّنته مشهور في الصحيحين معروف، وقد قال عليّ رضي الله تعالى عنه: قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر يصلي بالناس، وأنا حاضر غير غائب، وصحيح غير مريض، ولو شاء أن يقدمني لقدّمني، فرضينا لدنيا من رضى الله ورسوله لدينا. مات في جمادى الأولى آخر يوم الاثنين سنة ثلاث عشرة، والصحيح أنه توفي وله ثلاث وستون سنة كرسول الله ﷺ، وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٢٠١)

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ («طَافٌ» مكي وبصري وعلي أي لمة منه مصدر من قولهم «طاف به الخيال يطيف طيفاً». وعن أبي عمرو: هما واحد وهي الوسوسة. وهذا تأكيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان، وأن عادة المتقين إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان (والإمام) بوسوسته ﴿تَذَكَّرُوا﴾ ما أمر الله به ونهى عنه ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ فأبصروا (السداد) ودفعوا وسوسته. وحقيقته أن يفرّوا منه إلى الله فيزدادوا بصيرة من الله بالله.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (٢٠٢)

﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ وأما إخوان الشياطين من شياطين الإنس فإن الشياطين ﴿يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ أي يكونون مدداً لهم فيه (ويعضدونهم «يَمُدُّوهُمْ» من الإمداد:

قوله: («طيف») بياء ساكنة من غير ألف ولا همزة على وزن ضَيْف (مكي)

أي ابن كثير المكي (وبصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة. (وعلي) الكسائي، والباقون بألف وهمزة مكسورة من غير ياء اسم فاعل من طاف يطوف، (أي لمة منه) بفتح اللام من لم به إذا جاءه، أي عارضه من جهة الشيطان، والذي من جهته لا يكون إلا الوسوسة، وطيف الشيطان لَمَتَهُ وهو الخاطر الشيطاني، وطيف الخيال الصورة المتمثلة في محل القوة المتخيلة، والأصل أن الخيال اسم بمعنى التخيل وارتسام الصورة المذكورة في محلها وطيفها نزولها فيه، فالطيف (مصدر من قولهم: طاف به الخيال) أي ألم به ونزل (يطيف طيفاً) والطائف ما دار حول الشيء.

قوله: (وعن أبي عمرو) بن العلاء البصري، أحد القراء السبعة كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر، وهو في النحو في الطبقة الرابعة من علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وكان أبو عمرو رأساً في حياة الحسن البصري مقدماً في عصره. توفي سنة أربع وخمسين ومائة بالكوفة. قوله: (الإمام) أي نزول. قوله: (والسداد) بالفتح، وهو الصواب.

قوله: (ويعضدونهم) في مختار الصحاح: عَضَدَهُ من باب نصر أعانه. اهـ. قوله: («يَمُدُّوهُمْ») بضم الميم وكسر الميم (من الإمداد،

مدني) ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا، وجاز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به إلى الجاهلين والأول أوجه، لأن إخوانهم في مقابلة الذين اتقوا. وإنما جمع الضمير في «إخوانهم» والشیطان مفرد لأن المراد به الجنس.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا أُجْتَنِبَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ﴾ (مقترحة) ﴿قَالُوا لَوْلَا أُجْتَنِبَهَا﴾ هلا اخترتها أي (اختلقتها) كما اختلقت ما قبلها ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ ولست بمقترح لها ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُمْ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

فنزل ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُمْ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (ظاهراً وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن) في الصلاة وغيرها.

مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. وقرأ الباقر بفتح الياء وضم الميم من مدّ. قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ من أقصر إذا أفلح وأمسك، وقرئ: «يقصرون» من قصر، وهو مجاز عن الإمساك أيضاً. اهـ شهاب. وفي فتح القدير: قرأ عيسى بن عمر: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٢] بفتح الياء وضم الصاد وتخفيف القاف. اهـ.

قوله: (مقترحة) أي مطلوبة. قوله: (اختلقتها) في مختار الصحاح: اختلقه وتخلقه افتراه. اهـ.

قوله: (ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن)... الخ. قال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: اختلف في سبب نزولها على وجه يبنى عليه معناها، فقال الجصاص: سببها كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قرأ في الصلاة وقرأ معه أصحابه، فخلطوا عليه؛ فنزلت. وكذا روى الشعبي وغيره، وهي تدلّ للحنفية في أنه لا يقرأ في سرية ولا جهرية؛ لأنها

وقيل: معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له.

تقتضي وجوب الاستماع عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها، وقد قام الدليل في غيرها على جواز الاستماع وتركه، فبقي فيها على حالة في الإنصات للجهر، وكذا في الإخفاء لعلمنا بأنه يقرأ وإن لم نسمعه، وقال مالك رحمته الله: ينصت في الجهرية، ويقرأ في السرية؛ لأنه لا يقال له مستمع، وقال الشافعي رحمته الله: يقرأ في الجهرية والسرية في رواية المزني، وفي رواية البويطي: أنه يقرأ في السرية أم القرآن ويضمّ السورة في الأولين، ويقرأ في الجهرية أم القرآن فقط، وسبب نزول الآية كما رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة، فنزلت؛ فالنهي إنما هو التكلم لا عن القراءة، وكون الاستماع خارج الصلاة مستحباً متفق عليه. اهـ.

وفي التفسيرات الأحمدية: استدلّ بها بعض علماء الحنفية في أن ترك القراءة للمؤتمّ فرض؛ وذلك لأنّ الله تعالى أمر باستماع القرآن والإنصات عند قراءة القرآن مطلقاً، سواء كان في الصلاة أو في غيرها، ولكن لما كان عامة العلماء غير قائلين بوجوب الاستماع خارج الصلاة، بل باستحبابه، وكان الآية ردّ على رجل من الأنصار يقرأ خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة على ما في الحسيني، وكان جمهور الصحابة على أن الآية في استماع المؤتمّ خاصة، وقيل: في الخطبة، والأصح أنه فيهما جميعاً، على ما في المدارك ثبت أنّ القرآن واجب الاستماع في الصلاة وكمال ذلك لا يكون إلا بالسكوت، لا بالقراءة الخفية؛ لأنه لما أوجب الإنصات للاستماع في الصلاة أوجبه بكماله، وذلك فيما قلنا لا فيما قاله الشافعي رحمه الله عليه أنّ المؤتمّ يقرأ الفاتحة خلف الإمام سرّاً، ومن جملة حججه استدلاله بقوله تعالى فيما بعد: ﴿وَأَذْكُرْكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٥] بأنه أمر للمؤتمّ بقراءة القرآن سرّاً خلف الإمام على وجه كما ذكره القاضي البيضاوي في تفسيره، والجواب أنه عند الأكثرين محمول على غيره، كما سيأتي تفصيله. ومن مشهور أدلته المذكورة في كتب أصولنا قوله عليه الصلاة والسلام: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»، فإنه محكم فلا يعارضه الآية المحتملة للمعاني، والجواب إن سلمنا أنّ لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب، ولكننا نقول: قراءة الإمام للفاتحة كأنه قراءة المؤتمّ إياها، وأيضاً قد روى مالك: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب والسورة»، فإيجاب الفاتحة على المؤتمّ دون السورة ترك العمل بما رواه الإمام مالك رحمته الله، وهذا حجة

وجمهور الصحابة رضي الله عنهم على أنه في استماع (المؤتم). وقيل: في استماع الخطبة. وقيل: فيهما وهو الأصح.

إلزام عليه، لا يقال: إن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٤] لما كان عامًا بين الصلاة وخارجها، فاختصاصه في حق الصلاة (المؤتم) تخصيص للعامة، فيكون مخصوص البعض، وهو ظني؛ فكيف يتمسك به لأنه لما كان ظنيًا خرج عن الفرضية، بمعنى أنه لا يكفر جاحده، فبقي الوجوب، وهو كالفرض في حق العمل. وكذا لا يقال: إنه ينبغي أن يقرأ المؤتم في صلاة الظهر والعصر؛ إذ لا جهر فيهما حتى يفوت الاستماع، وذلك لأنه روي أن المشروع في أول الإسلام هو الجهر في جميع الصلاة، ثم سقط في الصلاتين بعذر، وبقيت أحكامه جميعًا على حالها، وله نظائر كثيرة.

وكذا لا يقال: إن الآية إنما نزلت في حق من يتكلمون في الصلاة على ما في الكشف والبيضاوي، فيوجب الإنصات عن كلام الدنيا لا عن قراءة القرآن؛ لأن النص مطلق عن ذلك، فلا يخص بمورده. وكذا لا يقال: إن معناه عند البعض إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له، على ما صرح به صاحب المدارك على وجه؛ لأنه لا يخلو عن الظن بالمقصود لعموم اللفظ.

غاية ما في الباب أن الآية لما احتملت هذه الوجوه كان الاستدلال بقوله عليه السلام: «مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَقَرَأَ الْإِمَامُ قِرَاءَةً لَهُ»، كما تمسك به صاحب الهداية أوضح من الاستدلال بهذه الآية، ومجال الاختلاف في المسألة بالغ أقصاه حتى أوجب أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه الوعيد على القارئ، والشافعي رضي الله تعالى عنه: على التارك، فإن رأيت الطائفة الصوفية والمشائخ الحنفية تراهم يستحسنون قراءة الفاتحة للمؤتم كما استحسنته محمد صلى الله عليه وسلم أيضًا احتياطًا فيما روي عنه. اهـ بحروفها.

وفي الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة التعمان رضي الله تعالى عنه: (والمؤتم لا يقرأ مطلقًا) ولا الفاتحة في السرية اتفاقًا وما نُسب لمحمد ضعيف، كما بسطه الكمال، (فإن قرأ كره تحريمًا)، وتصح في الأصح. وفي درر البحار عن مبسوط جواهر زاده: أنها تفسد ويكون فاسقًا،

وهو مروى عن عدة من الصحابة، فالمنع أحوط، بل يستمع إذا جهر وينصت إذا أسر؛ لقول أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: كنا نقرأ خلف الإمام فنزل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٤]، انتهى. وفي حاشيته للعلامة الشيخ محمد أمين الشهير بابن العابدین المسمّاة رد المحتار على الدر المختار. قوله: (ولا الفاتحة بالنصب) معطوف على محذوف تقديره: لا غير الفاتحة ولا الفاتحة، وقوله في السرية: يعلم منه نفي القراءة في الجهرية بالأولى، والمراد التعريض بخلاف الإمام الشافعي، ويرد ما نسب لمحمد. قوله: (اتفاقاً) أي بين أئمتنا الثلاثة. قوله: (وما نسب لمحمد) أي من استحباب قراءة الفاتحة في السرية احتياطاً. قوله: (كما بسطه الكمال) حاصله أن محمداً قال في كتابه الآثار: لا نرى القراءة خلف الإمام في شيء من الصلوات يجهر فيها أو يسر، ودعوى الاحتياط ممنوعة، بل الاحتياط ترك القراءة؛ لأنه العمل بأقوى الدليّين، وقد روي الفساد بالقراءة عن عدة من الصحابة، فأقواهما المنع. قوله: (أنها تفسد) هذا مقابل الأصح. قوله: (وهو) أي الفساد المفهوم من تفسد. قوله: (مروى عن عدة من الصحابة) قال في الخزائن وفي الكافي: ومنع المؤتم من القراءة مأثور عن ثمانين نفرًا من كبار الصحابة منهم المرتضى والعبادلة، وقد دون أهل الحديث أساميهم. قوله: (وينصت إذا أسر)، وكذا إذا جهر بالأولى. قال في البحر: وحاصل الآية أن المطلوب بها أمران الاستماع والسكوت، فيعمل بكل منهما، والأول يخص الجهرية، والثاني لا؛ فيجري على إطلاقه، فيجب السكوت عند القراءة مطلقاً. اهـ بحروفها. وفي حاشيته للعلامة الطحطاوي: قوله: (والمؤتم لا يقرأ) ودعوى أن الاحتياط في القراءة خلفه ممنوعة، بل الاحتياط تركها؛ لأن العمل بأقوى الدليّين. وقد روي عن عدة من الصحابة فساد الصلاة بالقراءة خلفه، فأقواهما المنع بجز. قوله: (ولا الفاتحة في السرية) تفسيراً للإطلاق، وروي عن محمد استحسانها في السرية، وهو ضعيف كما أفاده الشارح بقوله: وما نسب... الخ. فالحق أن قول محمد كقولهما، كما في الفتح. قوله: (كره تحريماً) إنما لم يطلقوا اسم الحرمة عليها لما عُرِف من أصلهم أنهم لا يُطْلَقونها إلا إذا كان الدليل قطعياً. قوله: (وتصح في الأصح)، وروي عن عدة من الصحابة فسادها، كما في

الزاهدي والظهيريّة، وعن ابن مسعود رضي الله عنه : أنه يملأ فمه ترابًا. وعن الشعبي : أدركت سبعين بدريًا كلهم قالوا: لا يقرأ خلف الإمام، كما في الكرمانيّ. قوله: (وفي درر البحار) مقابل الأصحّ. قوله: (ويكون فاسقًا) الظاهر أنّ ذلك عند الاعتیاد؛ لأنه صغيرة، ولا يفسق بمرة. قوله: (وهو) أي الفساد المأخوذ من تفسد. قوله: (وينصت إذا أسرّ) تبع في هذا صاحب النهر، وفي البحر: الإنصات لا يخصّ الجهریّة، فظاهره أنه يعمّ السريّة والجهریّة. قوله: (فنزّل): ﴿وَإِذَا قُرِئَ﴾... الخ. أفاد أنّ الآية نزلت في الصلاة، وهو قول أهل التفسير، ومنهم من قال: نزلت في الخطبة، ولا تنافي بينهما؛ لأنهم إنما أمروا بهما فيما فيها من قراءة القرآن كافي، والعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، ولذا وجب الاستماع لقراءته خارج الصلاة أيضًا. اهـ بحروفها. وفي الدرّ المختار: يجب الاستماع للقراءة مطلقًا؛ لأن العبرة لعموم اللفظ. انتهى. وفي حاشيته ردّ المختار: قوله: (يجب الاستماع للقراءة مطلقًا) أي في الصلاة وخارجها؛ لأن الآية وإن كانت واردة في الصلاة على ما مرّ، فالعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، ثم هذا حيث لا عذر، ولذا قال في القنية: صبي يقرأ في البيت وأهله مشغولون بالعمل يُعذرون في ترك الاستماع إن افتتحوا العمل قبل القراءة، وإلا فلا؛ وكذا قراءة الفقه عند قراءة القرآن، وفي الفتح عن الخلاصة: رجل يكتب الفقه وبجنبه رجل يقرأ القرآن، فلا يمكنه استماع القرآن، فالإثم على القارئ، وعلى هذا لو قرأ على السطح والناس نيام يأثم. اهـ. أي لأنه يكون سببًا لإعراضهم عن استماعه، أو لأنه يؤذيهم بإيقاظهم، تأمل. وفي شرح المنية: والأصل أنّ الاستماع للقرآن فرض كفاية؛ لأنه لإقامة حقّه بأن يكون ملتفتًا إليه غير مضیّع، وذلك يحصل بإنصات البعض، كما في ردّ السلام حين كان لرعاية حقّ المسلم كفى فيه البعض عن الكلّ، إلا أنه يجب على القارئ احترامه بأن لا يقرأه في الأسواق ومواضع الاشتغال، فإذا قرأه فيها كان هو المضیّع لحرمة، فيكون الإثم عليه دون أهل الاشتغال دفعًا للحرّج، وتماهه في ط - يعني حاشية الطحطاوي على الدرّ المختار - ونقل الحموي عن أستاذه قاضي القضاة يحيى الشهير بمنقاري زاده أنّ له رسالة حقّق فيها أنّ استماع القرآن فرض عين. اهـ بحروفها. وعبارة حاشية

الطحطاوي: رجل يكتب الفقه ويجنبه رجل يقرأ القرآن ولا يمكنه استماع القرآن، فالإثم على القارئ، ولو قرأ على السطح في الليل جهراً والناس نيام يأثم. الصبي إذا كان يقرأ القرآن وأهله يشتغلون بالأعمال، ولا يستمعون إن كانوا شرعوا في العمل قبل قراءته لا يأثمون، ولا أثموا بحر، ولو كان القارئ في المكتب واحداً يجب على المارّين الاستماع، وإن كانوا أكثر ويقع الخلل في الاستماع لا يجب عليهم ويكره للقوم أن يقرؤوا القرآن جملةً لتضمّنها ترك الاستماع والإنصات. وقيل: لا بأس به، كذا في القنية. وهذا لا يظهر إلّا إذا لم يكن هناك مستمع غيرهم، وإلا لا يكره لما قالوا: إن الاستماع فرض كفاية؛ لأنه لإقامة حقه من الالتفات إليه وعدم إضاعته، وذلك يحصل بإنصات البعض، كما في ردّ السلام حيث كان لرعاية حقّ المسلم كفى فيه البعض عن الكلّ، ويجب على القارئ احترامه بأن لا يقرأ في الأسواق ومواضع الاشتغال، فإن قرأ فيها كان هو المضّيع لحُرْمَتِهِ، فيكون الإثم عليه دون أهل الاشتغال دفعاً للحرج في إلزامهم ترك اشتغالهم المحتاج إليها، وكذا لو قرأ عند مَنْ يستغلّ بالتدريس أو بتكرار الفقه؛ لأنه إذا أبيع ترك الاستماع لضرورة المعاش الدنيوي، فلأن يُباح لضرورة الأمر الديني أولى، فيكون الإثم على القارئ، هذا إذا سبق الدرس على القراءة. أمّا إذا كان ابتداء القراءة قبل الدرس، فالإثم على المتأخّر، والفرق بين هذا وبين موضع الاشتغال حيث يكون الإثم على القارئ وإن ابتدأ قبل أخذهم في أعمالهم بأن تلك المواضع مُعدّة لهم يَغُسّر عليهم الاشتغال عنها، بخلاف الدرس. اهـ شرح المنية. اهـ بحروفها.

وفي تيسير الوصول إلى جامع الأصول عن جابر، قال: «مَنْ صَلَّى رَكْعَةً لَمْ يقرأ فيها بِأَمِّ القرآن، فلم يصلْ إلّا وراء الإمام» أخرجه مالك والترمذي. اهـ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، انتهى.

وفي عمدة القاري شرح البخاري قال بعضهم: استدللّ مَنْ أسقط قراءة الفاتحة عن المأموم مطلقاً، يعني أسرّ الإمام أو جهراً، كالحنفية بحديث: «مَنْ صَلَّى خَلْفَ الإمام فقراءة الإمام قراءة له»، لكنّه حديث ضعيف عند الحفاظ، وقد استوعب طرقه، وعلّله الدارقطني وغيره.

قلت: هذا الحديث رواه جماعة من الصحابة، وهم جابر بن عبد الله، وابن عمر، وأبوسعيد الخدري، وأبو هريرة، وابن عباس، وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهم؛ فحديث جابر أخرجه ابن ماجه عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ، فَإِنَّ قِرَاءَةَ الْإِمَامِ لَهُ قِرَاءَةٌ»، وحديث ابن عمر أخرجه الدارقطني في سننه عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَقَرَأَتْهُ لَهُ قِرَاءَةٌ»، وحديث أبي سعيد أخرجه الطبراني في الأوسط عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَقَرَأَتْهُ لَهُ قِرَاءَةٌ»، وحديث أبي هريرة أخرجه الدارقطني في سننه من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً نحوه سواء، وحديث ابن عباس أخرجه الدارقطني أيضاً عنه عن النبي ﷺ قال: «يَكْفِيكَ قِرَاءَةُ الْإِمَامِ خَافَتِ أَوْ جَهَرَ»، وحديث أنس أخرجه ابن حبان في كتاب الضعفاء عن غنيم بن سالم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ، فَقَرَأَ الْإِمَامُ لَهُ قِرَاءَةً».

فإن قلت: في حديث جابر بن عبد الله جابر الجعفر، وهو مجروح كذبه أبو حنيفة رحمه الله، وفي حديث أبي سعيد إسماعيل بن عمرو بن نجيح وهو ضعيف، وحديث ابن عمر موقوف، وقال الدارقطني: رفعه وهم، وحديث ابن عباس عن أحمد هو حديث منكر، وقال الدارقطني: حديث أبي هريرة رحمه الله لا يصح عن سهيل، وتفرّد به محمد بن عباد، وهو ضعيف. وفي حديث أنس غنيم بن سالم قال ابن حبان: هو مخالف الثقات في الروايات، فلا تعجبني الرواية عنه، فكيف الاحتجاج؟!

قلت: أما حديث جابر، فله طرق أخرى يشد بعضها بعضاً، منها طريق صحيح، وهو ما رواه محمد بن الحسن في الموطأ عن أبي حنيفة، قال: أخبرنا الإمام أبو حنيفة، حدّثنا أبو الحسن موسى بن أبي عائشة، عن عبد الله بن شداد، عن جابر عن النبي عليه السلام: «مَنْ صَلَّى خَلْفَ الْإِمَامِ، فَإِنَّ قِرَاءَةَ الْإِمَامِ لَهُ قِرَاءَةٌ».

فإن قلت: هذا الحديث أخرجه الدارقطني في سننه، ثم البيهقي عن أبي حنيفة مقروناً بالحسن بن عمار، وعن الحسن بن عمار وحده بالإسناد المذكور،

ثم قال: هذا الحديث لم يُسنده عن جابر بن عبد الله غير أبي حنيفة، والحسن بن عماره وهما ضعيفان، وقد رواه سفيان الثوري وأبو الأحوص وشعبة وإسرائيل وشريك وأبو خالد الدالاني وسفيان بن عيينة وغيرهم عن أبي الحسن بن أبي عائشة عن عبد الله بن شداد عن النبي عليه السلام مرسلاً، وهو الصواب.

قلت: لو تأذّب الدارقطني واستحى لما تلفّظ بهذه اللفظة في حقّ أبي حنيفة، فإنه إمام طبق على علمه الشرق والغرب، ولَمَّا سُئِلَ ابن معين عنه، فقال: ثقة مأمون ما سمعنا أحداً ضعفه، هذا شعبة بن الحجاج يكتب إليه أن يحدث إليه، وشعبة شعبة. وقال أيضاً: كان أبو حنيفة رحمه الله من أهل الدين والصدق، ولم يتهم بالكذب، وكان مأموناً على دين الله صدوقاً في الحديث، وأثنى عليه جماعة من الأئمة الكبار مثل عبد الله بن المبارك، ويُعدّ من أصحابه، وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري وعبد الرزاق وحماد بن زيد ووكيع، وكان يفتي برأيه، والأئمة الثلاثة: مالك والشافعي وأحمد وآخرون كثيرون، فقد ظهر لك من هذا تحامل الدارقطني عليه وتعصّبه الفاسد، وليس له مقدار بالنسبة إلى هؤلاء حتى يتكلّم في إمام متقدّم على هؤلاء في الدين والتقوى والعلم وبتضعيفه إياه مستحقّ هو التضعيف، أفلا يرضى بسكون أصحابه عنه؟! وقد رُوِيَ في سننه أحاديث سقيمة ومعلولة ومُنكرة وغريبة وموضوعة، ولقد روى أحاديث ضعيفة في كتب الجهر بالبسملة واحتجّ بها مع علمه بذلك حتى بعضهم استحلّفه على ذلك، فقال: ليس فيه حديث صحيح، ولقد صدق القائل:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه والقوم أعداء له وخصوم
إلى هنا عبارة عمدة القاري شرح البخاري.

وقال العلامة العيني رحمه الله: في شرح الهداية بعد هذا الشعر وفي المثل السائر: البحر لا يكدره وقوع الذباب، ولا ينجسه ولوغ الكلاب، وحديث أبي حنيفة حديث صحيح. أمّا أبو حنيفة وأبو الحسن موسى بن أبي عائشة الكوفي من الثقات الأنبات ومن رجال الصحيحين، وعبد الله بن شداد من كبار الثالثة وثقاتهم، انتهى بحروفه.

وفي عمدة القاري شرح البخاري: وأما قوله: وقد رواه سفيان الثوري... إلى آخره، فلا يضرنا؛ لأن الزيادة من الثقة مقبولة، ولئن سلّمنا، فالمرسل عندنا حجة.

وجوابنا عن الأحاديث التي قالوا في أسانيدنا ضعف؛ لأن الضعف يتقوى بالصحيح ويقوى بعضها بعضاً. وأما قوله: في بعضها هو موقوف، فالموقوف عندنا حجة؛ لأن الصحابة عدول، ومع هذا روي منع القراءة خلف الإمام عن ثمانين من الصحابة الكرام منهم المرتضى والعبادلة الثلاثة وأساميهم عند أهل الحديث، فكان اتفاقهم بمنزلة الإجماع، فمن هذا قال صاحب الهداية من أصحابنا: وعلى ترك القراءة خلف الإمام إجماع الصحابة، فسمّاه إجماعاً باعتبار اتفاق الأكثر، ومثل هذا يسمّى إجماعاً عندنا، وذكر^(١) الشيخ الإمام عبد الله ابن يعقوب الحارثي السبذموني في كتاب كشف الأسرار: عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: كان عشرة من أصحاب النبي ﷺ ينهاون عن القراءة خلف الإمام أشد النهي: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم.

قلت: روى عبد الرزاق في مصنفه: أخبرني موسى بن عقبة أنّ رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا ينهاون عن القراءة خلف الإمام، انتهت.

وأيضاً فيها: فإن قلت: أخرج البيهقي من حديث الجريري عن أبي الأزهري، قال: سئل ابن عمر عن القراءة خلف الإمام، فقال: إني لأستحي من رب هذه البنية أن أصلي صلاة لا أقرأ فيها بأم القرآن.

(١) قوله الشيخ الإمام عبد الله ابن يعقوب، أي: عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث بن الخليل الحارثي السبذموني - بضم السين أو فتحها وفتح الباء الموحدة وسكون الذال المعجمة وضم الميم، وفي آخرها نون - نسبة إلى قرية من قرى بخارى المعروف بالأستاذ، كان مكثرًا من الحديث، وله كتاب كشف الآثار في مناقب أبي حنيفة، ومصنف مسند أبي حنيفة ولما أملى مناقب أبي حنيفة كان يشمل عليه أربعمائة مشتمل، وله تصانيف. المتوفى سنة ٣٤٠ أربعين وثلاثمائة. ١٢ ح عم فيضهم.

قلت: هذه معارضة باطلة، فإنَّ إسناده ما ذكره منقطع، والصحيح عن ابن عمر عدم وجوب القراءة خلف الإمام.

فإن قلت: قوله عليه الصَّلَاة والسلام: «قراءة الإمام قراءة له» معارض لقوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا﴾ [المُزَّمِّل: الآية ٢٠]، فلا يجوز تركه بخبر الواحد.

قلت: جعل المقتدي قارئاً بقراءة الإمام، فلا يلزم التَّرك، أو نقول: إنه خصَّ منه المقتدي الذي أدرك الإمام في الركوع، فإنه لا تجب عليه القراءة بالإجماع، فتجوز الزيادة عليه حينئذ بخبر الواحد، انتهت.

وأيضاً فيها: ومما يؤيد ما ذهب إليه أصحابنا ما أخرجه أبو داود من حديث أبي صالح عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما جُعِلَ الإمام ليؤْتَمَ به» بهذا الخبر وزاد: «وإذا قرأ فأَنْصَتُوا»، ورواه النسائي وابن ماجة والطحاوي، وهذا حجة صريحة في أن المقتدي لا يجب عليه أن يقرأ خلف الإمام أصلاً على الشافعي في جميع الصلوات، وعلى مالك في الظهر والعصر.

فإن قلت: قد قال أبو داود عقيب إخراجه هذا الحديث: وهذه الزيادة - يعني: «إذا قرأ فأَنْصَتُوا» - ليست بمحفوظة الوهم من أبي خالد عندنا، وأبو خالد أحد رواته، واسمه سليمان بن حيان - بفتح الحاء وتشديد الياء آخر الحروف - وهو من رجال الجماعة، وقال البيهقي في المعرفة: أجمع الحفاظ على خطأ هذه اللفظة، وأسند عن ابن معين في سننه الكبرى، قال في حديث ابن عجلان وزاد: «وإذا قرأ فأَنْصَتُوا» ليس بشيء، وكذا قال الدارقطني في حديث أبي موسى الأشعري: «وإذا قرأ الإمام فأَنْصَتُوا» وقد رواه أصحاب الحفاظ عنه منهم هشام الدَّسْتَوَائِي وسعيد وشعبة وهمام وأبو عوانة وأبان وعدي بن أبي عمارة، ولم يقل واحد منهم: «وإذا قرأ فأَنْصَتُوا»، قال: وإجماعهم يدل على وَهْمه. وعن أبي حاتم: ليست هذه الكلمة محفوظة، إنما هي من مغالطة ابن عجلان.

قلت: لي في هذا كله نظر. أما ابن عجلان، فإنه وثَّقه العجلي وابن وفى الكمال ثقة كثير الحديث، وقال الدارقطني: إنَّ مسلماً أخرج له في صحيحه.

قلت: أخرج له الجماعة البخاري مستشهداً، وهو محمد بن عجلان المدني، فهذا زيادة ثقة فتقبل، وقد تابعه عليها خارجة بن مصعب ويحيى بن العلاء، كما ذكره البيهقي في سننه الكبير. وأما أبو خالد، فقد أخرج له الجماعة كما ذكرنا. وقال إسحاق بن إبراهيم: سألت وكيعاً عنه، فقال: وأبو خالد ممن يسأل عنه، وقال أبو هشام الرفاعي: أبو خالد الأحمر الثقة الأمين، ومع هذا فلم ينفرد بهذه الزيادة، وقد أخرج النسائي كما ذكرنا هذا الحديث بهذه الزيادة من طريق محمد بن سعد الأنصاري، ومحمد بن سعد وثقه يحيى بن معين، وقد تابع ابن سعد هذا أبو خالد، وتابعه أيضاً إسماعيل بن أبان كما أخرجه البيهقي في سننه، وقد صحح مسلم هذه الزيادة من حديث أبي موسى الأشعري، ومن حديث أبي هريرة وقال أبو بكر لمسلم حديث أبي هريرة، يعني: «إذا قرأ فأنصتوا»، قال: هو عندي صحيح، فقال: لم لا تضعه ههنا؟ قال: ليس كل شيء صحيح وضعته ههنا، وإنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه، وتوجد هذه الزيادة أيضاً في بعض نسخ مسلم عقيب الحديث المذكور، وفي التمهيد بسنده عن ابن حنبل أنه صحح الحديثين - يعني حديث أبي موسى وحديث أبي هريرة - والعجب من أبي داود أنه نسب الوهم إلى أبي خالد، وهو ثقة بلا شك، ولم ينسبه إلى ابن عجلان، وفيه كلام، ومع هذا أيضاً فابن خزيمة صحح حديث ابن عجلان، انتهت. هذا والتفصيل فيها إن شئت، فارجع إليها.

وقال العلامة العيني رحمه الله في شرح الهداية: وهذا مسلم جبل من جبال أئمة الحديث وأهل النقل قد حكم بصحة هذا الحديث، ورد بهذا كلام البيهقي وأمثاله، انتهى.

وقال العلامة علاء الدين علي رحمة الله عليه: ذكر البيهقي باب من قال لا يقرأ خلف الإمام على الإطلاق حديث الحسن بن صالح عن جابر، وليث بن أبي سليم عن أبي الزبير عن جابر، قال رحمه الله: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»، ثم قال: جابر الجعفي وليث لا يحتج بهما.

قلت في مصنف ابن أبي شيبة: ثنا مالك بن إسماعيل، عن حسين بن صالح، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «من كان له إمام فقراءته له

قراءة»، وهذا سند صحيح، وكذا رواه أبو نعيم عن الحسن بن صالح، عن أبي الزبير، ولم يذكر الجعفي، كذا في أطراف المزي، وتوفي أبو الزبير سنة ثمان وعشرين ومائة، ذكره الترمذي. وعمر بن عليّ والحسن بن صالح وُلد سنة مائة، وتوفي سنة سبع وستين ومائة، وسماعه من أبي الزبير مُمكن، ومذهب الجمهور أنَّ مَنْ أمكن لقاءه لشخص وروى عنه فروايته محمولة على الاتصال، فيُحمل على أنَّ الحسن سمعه من أبي الزبير مرة بلا واسطة، ومرة أخرى بواسطة الجعفي وليث، انتهى.

وأيضًا قال: الصحيح عن جابر أن المؤتم لا يقرأ مطلقًا، كما صرح به البيهقي أولًا، وقال ابن أبي شيبة في المصنّف: حدّثنا وكيع، عن الضحاك بن عثمان، عن عبيد الله بن مقسم، عن جابر قال: لا تقرأ خلف الإمام، وهذا سند صحيح متصل على شرط مسلم، انتهى.

وأيضًا قال عن ابن مسعود بسند صحيح: أنه لا قراءة خلف الإمام مطلقًا، ورواه ابن مسعود عن النبي ﷺ، قال البزار: حدّثنا محمد بن بشار وعمر بن عليّ قالا: حدّثنا أبو أحمد، أنا يونس بن أبي إسحق، عن أبيه، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: كانوا يقرؤون خلف النبي عليه السلام، فقال: «خلطتم عليّ القرآن»، وهذا سند جيّد، ثم ذكر البيهقي عن ابن عمر قال: «من صلّى وراء الإمام كفاه قراءة الإمام»، ثم قال: هذا هو الصحيح من قوله، وقد روي عنه بخلافه، ثم ذكر بسنده أنه سُئل عن القراءة خلف الإمام، فقال: إني لأستحي من رب هذه البنية أن أصلي صلاة لا أقرأ فيها بأَم القرآن.

قلت: المشهور عنه عدم وجوب القراءة خلف الإمام، وقد ذكر البيهقي بعد هذا من طريقين عنه ما يدلّ على ذلك، وروى عبد الرزاق في مصنفه عن الثوري، عن ابن ذكوان، عن زيد بن ثابت وابن عمر كانا يقرآن خلف الإمام، وروي أيضًا عن هشام بن حسان، عن أنس بن سيرين: سألت ابن عمر: أقرأ مع الإمام؟ فقال: إنك لضخم البطن، يكفيك قراءة الإمام. وروي أيضًا: أنا داود بن قيس، عن زيد بن أسلم أنَّ ابن عمر كان ينهى عن القراءة خلف الإمام، انتهى.

وفي شرح الموطأ للإمام محمد للعلامة علي القاري رحمته الله: (أخبرنا مالك، حدثنا نافع، عن ابن عمر أنه كان إذا سُئِلَ: هل يقرأ أحد مع الإمام؟ قال: إذا صلى أحدكم مع الإمام فحسبه قراءة الإمام)، أي يكفيه وظاهره المنع عن قراءة المأموم، كما يشير إليه قوله: (وكان ابن عمر لا يقرأ مع الإمام) أي مطلقاً على ما هو الظاهر، وهذا يؤيد مذهبنا، انتهى.

وأيضاً فيه: (قال محمد: لا قراءة خلف الإمام فيما جهر فيه، ولا فيما لم يجهر بذلك جاءت الآثار)، أي أكثر الأخبار (وهو قول أبي حنيفة) أي وأصحابه الأختار. وفي شرح الهداية لابن الهمام: قال محمد في الآثار في القراءة خلف الإمام بعدما أسند إلى علقمة بن قيس: أنه ما قرأ قطّ فيما يجهر فيه وفيما لا يجهر فيه، وبه نأخذ لا نرى القراءة خلف الإمام في شيء من الصلاة يجهر فيه أو لا، انتهى.

وقال العلامة علاء الدين علي رحمته الله في أحكام القرآن للطحاوي: حدثنا أحمد بن داود، أنا يوسف بن عدي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس قال رسول الله ﷺ ثلاثاً: «أتقرأون والإمام يقرأ؟» فقالوا: إنا لنفعل، فقال: «لا تفعلوا»، ثم ذكر البيهقي عن علي ما يدل على القراءة خلف الإمام، ثم قال: وفي كل ذلك دلالة على ضعف ما روي عن علي بخلافه بأسانيد لا تسوى ذكرها لضعفها.

قلت: الصواب أن يقال: لا تساوي، ثم المروي عن علي منع القراءة خلف الإمام، ذكره ابن أبي شيبة في مصنفه، فقال: حدثنا محمد بن سليمان الأصبهاني، عن عبد الرحمن ابن الأصبهاني، هو ابن عبد الله، عن ابن أبي ليلى، عن علي قال: مَنْ قرأ خلف الإمام فقد أخطأ الفطرة، ومحمد ابن الأصبهاني قال الذهبي: صدوق، وقال أبو حاتم: قوله يحتج به، وقال في الكاشف: أخرج له الترمذي والنسائي وابن ماجة، ووقاه ابن حبان وباقي السند على شرط الصحيح، وقد جاء لمحمد ابن الأصبهاني في ذلك متابعة، فروى الدارقطني في سننه من طريق عبد العزيز بن محمد، حدثنا قيس، عن عبد الرحمن ابن الأصبهاني فذكره بسنده،

وهذا الأثر وإن اضطرب سنده لكنه من هذا الوجه لا بأس به، وروى عبد الرزاق في مصنفه عن داود بن قيس، عن محمد بن عجلان، قال: قال عليّ: مَنْ قرأ مع الإمام فليس على الفطرة^(١)، قال: وقال ابن مسعود: مُلِئ فوه ترابًا، قال: وقال عمر بن الخطاب: وددت^(٢) أَنْ الذي يقرأ خلف الإمام في فيه حجر^(٣)، وقال صاحب التمهيد: ثبت عن عليّ وسعد وزيد بن ثابت أَنَّهُ لا قراءة مع الإمام لا فيما أسرّ ولا فيما جهر، وروى عبد الرزاق عن الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود، قال: وددت أَنْ الذي يقرأ خلف الإمام مُلِئ فوه ترابًا، وعن معمر عن أبي إسحق أَن علقمة قال: وددت الذي يقرأ خلف الإمام ملئ فوه - أحسبه قال: ترابًا - أو رصفًا^(٤)، وقال ابن أبي شيبة: حدّثنا الأحمر عن الأعمش عن إبراهيم قال: أول ما أحدثوا القراءة خلف الإمام، وكانوا لا يقرؤون، ثم ذكر البيهقي عن ابن مسعود أَنه قرأ خلف الإمام في الظهر والعصر.

قلت: في سنده شريك هو القاضي، قال البيهقي في باب الرجل يأخذ حقه ممن يمنعه: لم يحتجّ به أكثر أهل العلم بالحديث، وقال في باب مَنْ زرع في أرض غيره بغير إذنه: كان يحيى القطان لا يروى عنه ويضعف حديثه جدًّا، وقد مرّ عن ابن مسعود خلاف هذا، وجاء أيضًا عنه بسند صحيح أَنه لا قراءة خلف الإمام. قال ابن أبي شيبة: حدّثنا أبو الأحوص، عن منصور، عن أبي وائل قال: جاء رجل إلى عبد الله فقال: أقرأ خلف الإمام؟ فقال: إِنَّ في الصلاة شغلًا وسيكفيك قراءة الإمام، ثم ذكر البيهقي أَن ابن عباس ممّن رُوِيَ عنه القراءة خلف الإمام.

(١) في عمدة القاري شرح البخاري: أي إذ ليس على شرط الإسلام، وقيل: ليس على السنة. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) في الموطأ للإمام أحمد: أن عمر بن الخطاب قال: ليت في فم الذي يقرأ خلف الإمام حجرًا. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٣) أي ليمنعه عن القراءة، أو أراد زجره بهذه العبارة، كذا في شرح الموطأ للإمام أحمد للعلامة عليّ القاري رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٤) في المصباح: الرّصف الحجارة المُحمّاة، الواحدة رصفة، مثل تمر وتمرة. ١٢ منه عمّ فيضهم.

قلت: رُوي عنه خلاف هذا، قال الطحاوي في أحكام القرآن: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي دَاوُدَ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَبْدُ الْغَفَّارِ بْنُ دَاوُدَ الْحَرَّانِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ مُسْلِمَةَ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَقْرَأَ وَالْإِمَامُ بَيْنَ يَدَيْ؟ قَالَ: لَا، ثُمَّ ذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ وَجَابِرًا مِنْهُمْ.

قلت: قد جاء عنهما خلاف هذا، فذكر البيهقي في باب مَنْ قَالَ لَا يَقْرَأُ حَدِيثَ جَابِرٍ: «مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَقَرَأَ الْإِمَامُ لَهُ قِرَاءَةً»، ثُمَّ قَالَ: الصَّحِيحُ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ جَابِرٍ، ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي الدَّرْدَاءِ: «مَا أَرَى الْإِمَامَ إِذَا أَمَّ الْقَوْمَ إِلَّا قَدْ كَفَاهُمْ»، ثُمَّ حُكِيَ عَنِ الدَّارِقُطَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ: الصَّوَابُ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي الدَّرْدَاءِ، انْتَهَى.

وفي فتح القدير: قد رُوي من طرق عديدة مرفوعاً عن جابر بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وقد ضَعَفَ واعترف المضعفون رفعه، مثل الدارقطني والبيهقي وابن عدي بأن الصحيح أنه مرسل؛ لأن الحفاظ كالسفيانيين وأبي الأحوص وشعبة وإسرائيل وشريك وأبي خالد الدالاني وجريير وعبد الحميد وزائدة وزهير رَوَوْهُ عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَرْسَلُوهُ، وَقَدْ أَرْسَلَهُ مَرَّةً أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ كَذَلِكَ.

فنقول: المرسل حجة عند أكثر أهل العلم، فيكفيها فيما يرجع إلى العمل على رأينا، وعلى طريق الإلزام أيضاً بإقامة الدليل على حجية المرسل، وعلى تقدير التنزل على حجتيه فقد رفعه أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ بسند صحيح. روى محمد بن الحسن في موطئه: أَخْبَرَنَا أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ أَبِي عَائِشَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ صَلَّى خَلْفَ الْإِمَامِ، فَإِنْ قَرَأَ الْإِمَامُ لَهُ قِرَاءَةً». وقولهم: إِنَّ الْحِفَاطَ الَّذِينَ عَدَوْهُمْ لَمْ يَرْفَعُوهُ غَيْرَ صَحِيحٍ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ فِي مُسْنَدِهِ: أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ الْأَزْرَقُ، حَدَّثَنَا سَفِيَّانُ وَشَرِيكٌ عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَقَرَأَ الْإِمَامُ لَهُ قِرَاءَةً»، قَالَ: وَحَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٢٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ (متضرعًا وخائفًا) ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾

النبي ﷺ فذكره، ولم يذكر عن جابر، ورواه عبد الحميد، حدثنا أبو نعيم، حدثنا الحسن بن صالح، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ فذكره، وإسناد حديث جابر الأول صحيح على شرط الشيخين، والثاني على شرط مسلم؛ فهؤلاء سفيان وشريك وجريز وأبو الزبير رفعوه بالطرق الصحيحة، فبطل عدّهم فيمن لم يرفعه، ولو تفرّد الثقة وجب قبوله؛ لأن الرفع زيادة، وزيادة الثقة مقبولة، فكيف ولم يتفرّد؟ والثقة قد يسند الحديث تارة ويرسله أخرى. انتهى هذا. والتفصيل فيه إن شئت فارجع إليه.

وأيضًا فيه: إن حديث المَنع: «مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ» أصح، فبطل ردّ المتعصّبين وتضعيف بعضهم لمثل أبي حنيفة مع تضعيفه في الرواية إلى الغاية، انتهى باختصار.

وفي شرح الموطأ للإمام محمد ﷺ للعلامة علي القاري عليه رحمة الله الباري، قال محمد: أخبرنا داود بن قيس، قال محمد: حدثنا عمر بن محمد بن زيد، عن موسى بن سعد بن زيد بن ثابت يحدثه عن جدّه، أي زيد بن ثابت الأنصاري كاتب الوحي وأعلم الصحابة بالفرائض ومن أجلاء أئمة القراءات بالمدينة سنة خمس وأربعين أنه (قال: من قرأ خلف الإمام فلا صلاة له)، أي كاملة، وقيل صحيحة، انتهى بحروفه.

وأيضًا فيه وفي غيره نقلًا عن ابن الهمام: لا يخفى أن الاحتياط في عدم القراءة خلف الإمام؛ لأن الاحتياط هو العمل بأقوى الدليّين، وليس مقتضى أقواهما القراءة، كيف وقد رُوِيَ عن عدّة من الصحابة فساد الصلاة بالقراءة خلفه، فأقواهما المَنع. انتهى.

قوله: (متضرعًا وخائفًا) أي هو حال بتأويله باسم الفاعل، وأصل خيفة خوفاً، فوقعت الواو ساكنة إثر كسرة فقلّبت ياء، فهو واوِي من الخوف. قوله:

الْقَوْلِ ﴿وَمَتَكَلِّمًا كَلَامًا﴾ دون الجهر لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكير ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ لفضل هذين الوقتين. وقيل: المراد إدامة الذكر باستقامة الفكر. ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهي الغدوات، ﴿وَالْآصَالِ﴾ جمع أصل والأصل جمع أصيل وهو العشي ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ مكانة ومنزلة لا مكانًا ومنزلًا يعني الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ لا يتعظمون عنها ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ وينزهونه عما لا يليق به ﴿وَلَهُمْ سَعُودَاتٌ﴾ ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره والله أعلم.

(ومتكلمًا كلامًا) ... الخ. أي هو صفة لمعمول حال محذوفة. قوله: ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ جمع غدوة، وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس. قوله: ﴿وَالْآصَالِ﴾ جمع أصل (بضمّتين) والأصل جمع أصيل) فهو جمع الجمع. قوله: (وهو العشي) في المصباح: العشي قيل: ما بين الزوال إلى الغروب، ومنه يقال للظهر والعصر: صلاتا العشي، وقيل: هو آخر النهار، وقيل: العشي من الزوال إلى الصباح، وقيل: العشي والعشاء من صلاة المغرب إلى العتمة.

هذا آخر ما أردنا تعليقه على سورة الأعراف، اللهم يسّر لنا الإتمام ببركة خاتم الأنبياء عليه وعلى آله وعلى سائر الأنبياء وآلهم أفضل الصلاة والسلام.

(سورة الأنفال)

(مدنية وهي خمس أو ست أو سبع وسبعون آية)

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النفل) الغنيمة لأنها من فضل الله وعطائه، والأنفال الغنائم. ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله كيف نقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين أو للأَنْصَار أم لهم جميعاً؟ فقل له: قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم ما يشاء ليس لأحد غيره فيها حكم. ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول أن حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته، ويمثل الرسول أمر الله فيها، وليس الأمر في قسمتها مفوضاً إلى رأي أحد ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ في الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين في الله ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال التي تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق، وقال (الزجاج): معنى ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ حقيقة وصلكم. والبين الوصل أي فاتقوا الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (سورة الأنفال، مدنية، وهي خمس أو ست أو سبع وسبعون آية)، وألف وخمس وسبعون كلمة، وخمسة آلاف وثمانون حرفاً. اهـ خازن. قوله: (النفل) - بالفتح - واحد الأنفال، مثل سبب وأسباب.

قوله: (الزجاج) هو أبو إسحق إبراهيم بن محمد النحوي رحمه الله.

وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله به. قال (عبادة بن الصامت) ﷺ: نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله ﷺ فقسمه بين المسلمين على السواء ﷻ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷻ فيما أمرتم به في الغنائم وغيرها ﷻ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﷻ كاملي الإيمان.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٣﴾

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ إنما الكاملو الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (فزعت) لذكره استعظاماً له وتهيباً من جلاله وعزه وسلطانه ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ﴾ أي القرآن ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ ازدادوا بها يقيناً وطمأنينة، لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه، أو زادتهم إيماناً بتلك الآيات لأنهم لم يؤمنوا بأحكامها قبل ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يعتمدون ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون إلا إياه ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٣﴾ جمع بين أعمال القلوب من الوجل والإخلاص والتوكل، وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة.

قوله: (عبادة بن الصامت) الصحابي الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة الأولى والثانية مع رسول الله ﷺ، وشهد بدرًا وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد، روي له عن رسول الله ﷺ مائة وأحد وثمانون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على ستة، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بأخرين. توفي ببيت المقدس، وقيل: بالرملة، سنة أربع وثلاثين وهو ابن ثنتين وسبعين سنة، وقيل: توفي سنة خمس وأربعين، والأول أصح وأشهر. قوله: (فزعت^(١)) لذكره استعظاماً له، يعني أن المراد من الوجل الذي هو الخوف والفرع ههنا هو الخوف المتفرع على مجرد ذكر الله تعالى وملاحظة عظمتة وجلاله، فإن هذا الخوف لا يزول عن قلب من ذكر الله تعالى عالماً بنعوت جلاله وصفات كماله، سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلًا أو مؤمناً تقياً، فإن كل واحد منهم عند ذكر الله تعالى يلاحظ عظمة الله تعالى واستغناءه عن جميع ما سواه، ويعلم احتياجه إليه في جميع مهماته، فلا

(١) من باب تعب، ١٢ منه عم فيضهم.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ هو صفة لمصدر محذوف أي أولئك هم المؤمنون إيمانًا حَقًّا، أو هو مصدر مؤكد للجملة التي هي ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ كقولك: «هو عبد الله حَقًّا» أي حق ذلك حَقًّا. وعن (الحسن) رحمته الله أن رجلاً سأله أمؤمن أنت؟ قال: إن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية. فلا أدري أنا منهم أم لا. وعن (الثوري): من زعم أنه مؤمن بالله حَقًّا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية، أي كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حَقًّا فلا يقطع بأنه مؤمن حَقًّا، (وبهذا يتشبت من يقول: أنا مؤمن إن شاء الله).

جرم يهابه ويقشعر جلده وتغلب عليه الدهشة، بحيث يكاد يعني وجوده. وأما خوف العقاب، فهو لا يحصل من مجرد ذكر الله تعالى، وإنما يحصل بملاحظة معصيته، وذكر قهر الله وعقابه، واللائق بهذا المقام هو الحمل على خوف العظمة والجلال؛ لأنه اللازم لكمال الإيمان. اهـ شيخ زاده رحمته الله.

قوله: (الحسن) هو الإمام المشهور المجمع على جلالته في كل فن، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري - بفتح الباء وكسرهما - الأنصاري، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، مناقبه كثيرة مشهورة. توفي سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (الثوري) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد الكوفي الإمام الجامع لأنواع المحاسن، وهو من تابعي التابعين، اتفق العلماء على وصفه بالبراعة في العلم بالحديث والفقه والورع والزهد وخشونة العيش والقول بالحق وغير ذلك من المحاسن وأحوال الثوري والثناء عليه أكثر من أن يُحصَر وأوضح من أن يُشهر، وهو أحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة، وأجمعوا على أنه توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة رحمته الله.

قوله: (وبهذا) أي بما ذكره الثوري رحمته الله من النكتة (يتشبت) التشبت بالشيء التعلق به. اهـ مختار الصحاح. أي يتمسك (من يقول: أنا مؤمن إن شاء الله)...

وكان (أبو حنيفة) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لا يقول ذلك. وقال (لقتادة): لم تستثنني في إيمانك؟ قال: اتباعاً لإبراهيم في قوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٨٢) [الشعراء: الآية ٨٢]، فقال له: هَلَّا اقتديت به في قوله: ﴿أَوَلَمْ تَوْنُ قَالَ بَلَى﴾ [البقرة: الآية ٢٦].

وعن (إبراهيم التيمي): قل أنا مؤمن حقاً فإن صدقت أثبت عليه، وإن كذبت فكفرك أشد من كذبك. وعن (ابن عباس) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: مَنْ لم يكن منافقاً فهو مؤمن حقاً.

الخ. وهي مسألة الموافاة المشهورة وتحقيقها آن الاستثناء، أعني إن شاء الله، إن كان للتبرك وتفويض الأمور إلى مشيئته تعالى، أو للشك في الخاتمة، أو في الإيمان المنجي الذي يترتب عليه دخول الجنة، أو لتعليق الإيمان الكامل الذي يدخل فيه الأعمال جاز، وبالجملة ليس للشك في حصول الإيمان في الحال، فيرتفع النزاع ويتبين أنه لفظي، كما ذهب إليه شراح الكشاف بأسرهم. اهـ شهاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قوله: (أبو حنيفة) هو الإمام البارع التعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنهما، وُلد سنة ثمانين من الهجرة، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة.

قوله: (لقتادة) بن دعامة - بكسر الدال المهملة - البصريّ التابعي، وُلد أعمى. أجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وإتقانه وقُضله. توفي سنة سبع عشرة، وقيل: سنة ثمان عشرة ومائة، وهو ابن ست وخمسين سنة، وقيل: خمس وخمسين سنة رحمه الله.

قوله: (إبراهيم التيمي) هو إبراهيم بن محمد بن طلحة التيمي، أبو إسحاق المدني، ثقة، مات سنة عشر ومائة، وله أربع وستون رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قوله: (ابن عباس) الصحابي ابن الصحابي المكي ابن عم رسول الله ﷺ، وكان يقال له: حبر الأمة والبحر لكثرة علمه، رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ ألف حديث وستمائة حديث وستون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين. توفي بالطائف سنة ثمان وستين، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنهما.

وقد احتج (عبد الله) على (أحمد) فقال: (أيش) اسمك؟ فقال: أحمد، فقال: أتقول أنا أحمد حقاً أو أنا أحمد إن شاء الله؟ فقال: أنا أحمد حقاً. فقال: حيث سمّاك والداك لا تستثني وقد سمّاك الله في القرآن مؤمناً تستثني. ﴿لَهُمْ دَرَجَتٌ﴾ مراتب بعضها فوق بعض على قدر الأعمال ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ﴾ وتجاوز لسيئاتهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ صافٍ عن كد الاكتساب وخوف الحساب.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾

الكاف في ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ في محل النصب على أنه صفة لمصدر الفعل المقدر، والتقدير: قل الأنفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراحتهم ثباتاً مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون ﴿مِنْ بَيْتِكَ﴾ يريد بيته بالمدينة، أو المدينة نفسها لأنها (مهاجرة) ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت لساكنه ﴿بِالْحَقِّ﴾ إخراجاً متلبساً بالحكمة والصواب ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ في موضع الحال أي أخرجك في حال كراحتهم. وذلك أن (عير قريش) أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكباً منهم

قوله: (عبد الله) بن المبارك واضح أبو عبد الرحمن الإمام المجمع على إمامته وجلالته في كل شيء الذي يستنزل الرحمة بذكره، وترتجى المغفرة بحبه، وهو من تابعي التابعين، توفي سنة إحدى وقيل: اثنتين وثمانين ومائة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (أحمد) بن حنبل، هو الإمام البارع أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي، وُلِدَ في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة، وتوفي ضحوة يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين، وُدُفِنَ ببغداد وقبره مشهور معروف يتبرك به ﷺ.

قوله: (أيش) تحريف أي شيء.

قوله: (مهاجرة) بفتح الجيم على صيغة اسم المفعول، المراد به اسم المكان، أي موضع هجرته.

قوله: (عير قريش) العير - بكسر العين - الإبل التي تحمّل المتاع، والمراد هنا القافلة من التجار.

(أبو سفيان)، فأخبر جبريل النبي ﷺ فأخبر أصحابه فأعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم، فلما خرجوا علمت قريش بذلك فخرج (أبو جهل) بجميع أهل مكة وهو النفير (في المثل السائر: لا في العير ولا في النفير). فقليل له: إن العير أخذت طريق الساحل ونجبت، فأبى وسار بمن معه إلى بدر -

قوله: (أبو سفيان) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي المكي، أسلم زمن الفتح، وكان شيخ مكة إذ ذاك ورئيس قريش، ولقي رسول الله ﷺ بالطريق قبل دخول مكة لفتحها فأسلم هناك، وشهد حنيناً وأعطاه النبي ﷺ من غنائمها مائة بعير وأربعين أوقية، وشهد الطائف، وفُتت عينه يومئذ، وشهد اليرموك. روى له البخاري ومسلم حديث هرقل من رواية ابن عباس عن أبي سفيان، وكان أبو سفيان من تجار قريش وأشرافهم، وكان من المؤلفة ثم حسن إسلامه. نزل المدينة وتوفي بها سنة إحدى وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين، وهو ابن ثمانٍ وثمانين سنة، وهو والد يزيد ومعاوية وأم حبيبة أولاد أبي سفيان وأخواتهم .

قوله: (أبو جهل) عدو الله فرعون هذه الأمة، اسمه عمرو بن هشام، وهو ابن المغيرة المخزومي الجاهل المعروف، وكان يُكنى أبا الحكم فكناه النبي ﷺ أبا جهل، فغلبت هذه الكنية. قُتل يوم بدر كافراً، وكانت بدر في السنة الثانية من الهجرة قتله عمرو^(١) بن الجموح وابن عفراء الأنصاريان، وكانا حديثين وحديثهما في الصحيح مشهور. قوله: (في المثل السائر) أي الجاري بين الناس (لا في العير ولا في النفير) قال المفضل: أول من قال ذلك أبو سفيان بن حرب، وذلك أنه أقبل بغير قريش، وكان رسول الله ﷺ قد تحين انصرافها من الشام، فندب المسلمين للخروج معه، وأقبل أبو سفيان حتى دنا من المدينة وقد خاف خوفاً شديداً، فقال لمُجدي بن عمرو: هل أحسست من أحد من أصحاب محمد؟ فقال: ما رأيت من أحد أنكره إلا راكبين أتيا هذا المكان، وأشار إلى مكان عدي وسبسب عيني رسول الله ﷺ، فأخذ أبو سفيان أبعاراً من أبعاد بغيريهما ففتها، فإذا فيها نوى، فقال: علائف يثرب، هذه عيون محمد، فضرب وجوه غيره فساحل بها

(١) في المراجعة: قتله ابن عفراء وقطع رأسه ابن مسعود . ١٢ منه عم فيضهم .

وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يومًا في السنة - ونزل جبريل ﷺ فقال: يا محمد، إن الله وعدكم إحدى الطائفتين، إما العير وإما قريشًا. فاستشار النبي ﷺ أصحابه وقال العير «أحب إليكم أم النفير؟» قالوا: بل العير

وترك بدرًا يسارًا، وقد كان بعث إلى قريش حين فصل من الشام يُخبرهم بما يخافه من النبي ﷺ، فأقبلت قريش من مكة، فأرسل إليهم أبو سفيان يُخبرهم أنه قد أحرز العير ويأمرهم بالرجوع، فأبث قريش أن ترجع ورجعت بنو زهرة من ثنية أجدى عدلوا إلى الساحل منصرفين إلى مكة، فصادفهم أبو سفيان، فقال: يا بني زهرة لا في العير ولا في النفير، قالوا: أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع ومضت قريش إلى بدر، فواقعهم رسول الله ﷺ فأظفره الله تعالى بهم، ولم يشهد بدرًا من المشركين من بني زهرة أحد. قال الأصمعي: يضرب هذا للرجل يُحطُّ أمره ويُصَغَّر قدره، ورُوي أن عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالدًا، فقال: يا أخي، لقد هممت اليوم أن أفتك بالوليد بن عبد الملك، فقال له: والله بِشُمتِ هممت به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين، فقال: إِنَّ خَيْلي مَرَّت به فتعبت بها وأصغرها وأصغرنى، فقال خالد: أنا أكفيكه، فدخل خالد إلى عبد الملك والوليد عنده، فقال: يا أمير المؤمنين، إِنَّ الوليد مَرَّت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد بن معاوية، فتعبت بها وأصغرها، وعبد الملك مُطرق فرفع رأسه وقال: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا﴾ [النمل: الآية ٣٤]... إلى آخر الآية، فقال خالد: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: الآية ١٦]... إلى آخر الآية، فقال عبد الملك: أفي عبد الله تكلمني؟ والله لقد دخل عليّ فما أقام لسانه لحنا، فقال خالدًا: فعلى الوليد تقوّل؟ فقال عبد الملك: إن كان الوليد يلحن، فإن أخاه سليمان لا، فقال خالد: وإن كان عبد الله يلحن، فإن أخاه خالدًا لا؛ فقال له الوليد: اسكت يا خالد، فوالله ما تُعدُّ في العير ولا في النفير، فقال خالد: اسمع يا أمير المؤمنين ثم أقبل عليه فقال: ويحك من في العير والنفير غير جذي أبو سفيان صاحب العير، وجذّي عُثبة بن ربيعة صاحب النفير، ولكن بوقلت عُثيمات وحِيَّلات والطائف، ورحم الله عثمان، قلنا: صدقت عني بذلك طرد رسول الله ﷺ الحكم إلى الطائف إلى مكان يُدعى غنيمات، وكان يأوي إلى حَبلة وهي الكرمة، وقوله: رحم الله عثمان لردّه إياه. اهـ مجمع الأمثال.

أحب إلينا من لقاء العدو. فتغيّر وجه رسول الله ﷺ، ثم ردّد عليهم فقال: «إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل» فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو. فقام عند غضب النبي ﷺ (أبو بكر وعمر) ﷺ

قوله: (أبو بكر) الصديق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ، عبد الله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر من يَحْصِي مناقبه ويُحِيط بفضائله غير الله عزّ وجلّ. رُوِيَ للصديق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ مائة حديث واثان وأربعون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على ستّة، وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسلم بحديث، وسبب قلة رواياته مع تقدّم صحبته وملازمته النبي ﷺ أنّه تقدّمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها، وكان النبي ﷺ يُكرّمه ويُجلّه ويُعرّف أصحابه مكانه ويُنّي عليه في وجهه، واستخلفه في الصلاة، ومناقبه غير مُنحصرة. أجمعت الأمة على صحة خلافته، وقدمته الصحابة ﷺ لكونه أفضلهم وأحقّهم بها من غيره، وحديث بيعته مشهور في الصحيحين معروف، وقد قال عليّ رضي الله عنه: قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر يصلي بالناس وأنا حاضر غير غائب، وصحيح غير مريض، ولو شاء أن يقدّمني لقدّمني، فرَضينا لديّنا مَنْ رَضِيَهُ الله ورسوله لديّنا. توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، والصحيح أنه توفي وله ثلاث وستون سنة كرسول الله ﷺ، وعمر بن الخطاب توفي في آخر يوم الاثنين.

قوله: (وعمر) بن الخطاب بن نُفيل اتفقوا على أنه أوّل مَنْ سُمّي أمير المؤمنين، وإنما كان يُقال لأبي بكر رضي الله تعالى عنه خليفة رسول الله ﷺ. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على ستّة وعشرين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وثلاثين، ومسلم بأحد وعشرين، وأجمعوا على كثرة علمه، ووفور فهمه وزهده وتواضعه، ورفعته المسلمين وإنصافه ووقوفه مع الحقّ، وتعظيمه آثار رسول الله ﷺ، وشدة متابعته له واهتمامه بمصالح المسلمين، وإكرامه أهل الفضل والخير، وأحواله وفضائله وسيرته ورفقه برعيته وتواضعه وجميل سيرته واجتهاده في الطاعة وفي حقوق المسلمين أشهر من أن تُذكر وأكثر من أن تُحصّر، وطُعن عمر رضي الله تعالى عنه يوم الأربعاء لأربع ليالٍ من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، ودُفِن يوم

(فأحسننا)، ثم قام (سعد بن عباد) فقال: (انظر أمرك فامض فيه)، فوالله لو سرت إلى (عدن أبين) ما تخلف عنك رجل من الأنصار. ثم قال:

الأحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين يوماً، وقيل غير ذلك.

قوله: (فأحسننا) أي الكلام في انقياد الرسول ﷺ.

قوله: (سعد بن عباد) بن ذئيم بن حارثة الأنصاري الخزرجي أحد النقباء وأحد الأجداد، وقع في صحيح مسلم أنه شهد بدرًا، والمعروف عند أهل المغازي أنه تهيأ للخروج فنهس^(١)، فأقام. مات بأرض الشام سنة خمس عشرة، وقيل غير ذلك. اهـ. تقريب. وفي تهذيب الأسماء: قالوا: يقال: إن الجن قتل، وأنشدوا فيه البيتين^(٢) المشهورين. اهـ.

قوله: (انظر أمرك) أي في أمرك. قوله: (فامض فيه) أي افعل ما تريد، فنحن معك ولا نخالفك. قوله: (عدن أبين) جزيرة باليمن أقام بها أبين. اهـ. قاموس. وفي لسان العرب: العدن موضع باليمن، وعدن أبين ويبن نسب إلى أبين رجل من حمير، لأنه عدن به، أي أقام. قال الأزهري: وهي بلد على سيف البحر في أقصى بلاد اليمن، وفي الحديث ذكر عدن أبين هي مدينة معروفة باليمن أضيفت إلى أبين بوزن أبيض، وهو رجل من حمير. اهـ. ذكره لغاية بعده، لأنه نهاية اليمن، وبعده البحر. وقال القاضي المرتضى اليمني: أبين اسم قصبة بينها

(١) في المصباح: نهس الكلب وكل ذي ناب نهسًا، من بابي ضرب ونفع عضه. اهـ. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) وهما:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباد فرميناه بسهمين فلم نخط فؤاده
وقيل:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباد
ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

وقيل:

قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباد
رميناه بسهمين فلم يخط فؤاده

١٢ منه عم فيضهم.

(المقداد بن عمرو): امض (لما أمرك الله) فإننا معك حيث (أحببت)، لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾

وبين عدن مقدار ثلاثة فراسخ تجلب منها إلى عدن الفواكه والخضروات، فكانت الإضافة لمجرد الملابس.

قوله: (المقداد بن عمرو) الكندي الصحابي، وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة حقيقة، واشتهر بالمقداد بن الأسود؛ لأنه كان في حجر الأسود بن عبد يغوث فتبناه فنسب إليه، ويقال له: المقداد الكندي، لأنه أصاب دمًا في بهراء فهرب منهم إلى كندة، فحالفهم ثم أصاب دمًا فيهم فهرب منهم إلى مكة، فحالف الأسود بن عبد يغوث فهو بهراني، ويقال: كندي، ويقال: زهري، وهو قديم الإسلام والصُّحبة من السابقين إلى الإسلام. قال ابن مسعود رضي الله عنه: أول من ظهر إسلامه بمكة سبعة منهم المقداد بن الأسود، وهاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا وسائر المشاهد، ولم يثبت أنه شهد بدرًا فارس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير المقداد، وقيل: كان الزبير فارسًا أيضًا. رُوِيَ له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنان وأربعين حديثًا، اتفقا على حديث واحد، ولمسلم ثلاثة. ورَوَى عنه من الصحابة علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس والسائب بن يزيد وسعيد بن العاص والمستورد بن شداد وطارق بن شهاب. وروى عنه خلائق من التابعين، منهم عبيد الله بن عدي وهمام بن الحارث وعبد الرحمن بن أبي ليلى وأسلم بن عامر وميمون بن أبي شبيب وجبير بن نفير وأبو ظبية - بالطاء المعجمة - وغيرهم. توفي بالجُرف على عشرة أميال من المدينة، وحُمل على رقاب الرجال إلى المدينة، وقيل: توفي بالمدينة في خلافة عثمان بن عفان سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة، وصلى عليه عثمان، وأوصى إلى الزبير، وشهد فتح مصر ومناقبه كثيرة. وفي الترمذي عن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَةٍ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ»، قيل: يا رسول الله سَمِّهُمْ لَنَا، فقال: «عليٌّ منهم» يقول ذلك ثلاثًا «وأبو ذرٍّ والمقداد وسلمان»، قال الترمذي: حديث حسن رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (لما أمرك الله) بكسر اللام لما كان فعل النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي. **قوله:** (أحببت) من الأحباب أفعال من الحب.

[المائدة: الآية ٢٤]. ولكن اذهب أنت وريك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. ما دامت عين منا (تطرف)، فضحك رسول الله ﷺ. وقال (سعد بن معاذ): امض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق (لو استعرضت بنا هذا البحر) فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، فسر بنا على بركة الله. ففرح رسول الله ﷺ

قوله: (تطرف) في المصباح: طرف البصر طرفًا من باب ضرب تحرك وطرف العين نظرها. اهـ.

قوله: (سعد بن معاذ) الأنصاري الصحابي، كان من أعظم الناس بركة في الإسلام، ومن أنفعهم لقومه، شهد بدرًا وأحدًا والخندق وقريظة، ونزلوا على حكمه، فحكم فيهم بقتل الرجال وسبي الذرية، فقال النبي ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى». وتوفي شهيدًا عام الخندق من جرح أصابه من قتال الخندق، وثبت في صحيح البخاري ومسلم عن جابر ؓ عن النبي ﷺ قال: «اهتزّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»، وفي صحيح مسلم عن أنس ؓ مثله. قال العلماء: اهتزّ العرش فرح الملائكة لقدمه لما رأوا من منزلته. وفي الصحيحين عن البراء ؓ، قال: أهدى لرسول الله ﷺ ثوب حرير، فجعلنا نلمسه ونتعجب منه، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا وألّين». وفي الصحيحين عن أنس مثله، وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا». وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ حين بعث إلى سعد بن معاذ، فجاء على حمار فبلغ قريبًا من المسجد، وقال: «قوموا إلى سيّدكم»، أو قال: «خيركم». وفي الترمذي عن أنس ؓ قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته، وذلك لحكمه في قريظة، فقال النبي ﷺ: «إن الملائكة كانت تحمله»، قال الترمذي: هذا حديث صحيح، ومناقب سعد رضي الله تعالى عنه كثيرة مشهورة، وأنشدوا شعر:

وما اهتزّ عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو

روى له البخاري حديثًا من رواية ابن مسعود، وفيه معجزة من معجزات النبي ﷺ. **قوله:** (لو استعرضت بنا هذا البحر) أي لو طلبت منا أن نعبه عرضًا،

ونشطه قول سعد ثم قال: «سيروا على بركة الله أبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنني الآن أنظر إلى (مصارع القوم)» وكانت الكراهة من بعضهم لقوله: ﴿وَإِنَّ قَرِيبًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ قال (الشيخ أبو منصور) رحمه الله: يحتمل أنهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادًا، ويحتمل أن يكونوا مخلصين، وأن يكون ذلك كراهة طبع لأنهم غير متأهين له.

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ الحق الذي جادلوا فيه رسول الله ﷺ تلقي النفي لإيثارهم عليه تلقي العير ﴿بَعْدَمَا بَيَّنَّ﴾ بعد إعلام رسول الله ﷺ بأنهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا إلا للعير، وهلا قلت لنا لنستعد وذلك لكراحتهم

وخص ذلك لأنه أصعب من الطول، والباء تحتمل التعدية والمصاحبة، والآخر أنسب. وفي الصحاح: استعرض أي طلب أن يعرض ما عنده من الأمر، أي لو طلبت من البحر عرض ما عنده من الأمواج والأهوال حال ركوبك فيه ونحن في صحبتك لحُضْناه وما خفناه، وهذا مجاز من القول وفيه مبالغة. قوله: (مصارع القوم) المصارع الأمكنة التي سقطت أجسادهم مقتولين، والمراد بالقوم كفار قريش، واللام للعهد.

قوله: (الشيخ أبو منصور) محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، كان من كبار العلماء، كان يقال له إمام الهدى، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب ردّ أوائل الأدلة للكعبي، وكتاب بيان وهم المعتزلة، وكتاب تأويلات القرآن، وهو كتاب لا يُوازيه فيه كتاب، ولا يُدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن، وله كتب شتى. مات رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند، كذا وجدته بخط شيخنا أبي الحسن علي الحنفي، ورأيت بخط شيخنا قطب الدين عبد الكريم سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة رحمه الله. اهـ الجواهر المضيئة. نسبته إلى ماتريد بفتح الميم ثم الألف وضم التاء المنقوطة باثنتين من فوق وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة التحتية في آخره دال مهملة، ويقال: ماتريت - بالتاء الفوقية المثناة موضع الدال - محلة بسمرقند، ذكره السمعاني.

القتال ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ شبه حالهم في فرط فزعهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال من (يعتل) إلى القتل ويساق على (الصغار) إلى الموت وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لا يشك فيها. وقيل: كان خوفهم (لقلة العدد) وإنهم كانوا (رجالاً وما كان فيهم إلا فارسان).

﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَوَدُّوْنَ أَنَّ عَيَّرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُوْثُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقَطَّ دَائِرَ الْكَافِرِينَ﴾

﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ «إذ» منصوب بـ «اذكر» و﴿إَحْدَى﴾ مفعول ثانٍ ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل من ﴿إَحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ وهما الغير والنفير والتقدير: وإذ يعدكم الله أن إحدى الطائفتين لكم ﴿وَوَدُّوْنَ أَنَّ عَيَّرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُوْثُ لَكُمْ﴾ أي العير وذات الشوكة ذات السلاح، والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم أي تتمنون أن تكون لكم العير لأنها الطائفة التي لا سلاح لها ولا تريدون الطائفة الأخرى ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ﴾ (أي يشته ويعليه) ﴿بِكَلِمَتِهِ﴾ بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة، وبما قضى من قتلهم وطرحهم في (قليب بدر) ﴿وَيَقَطَّ دَائِرَ الْكَافِرِينَ﴾ آخرهم والدابر الآخر فاعل من دبر إذا أدبر. وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني أنكم تريدون الفائدة العاجلة

قوله: (يُعْتَل) العتل: الجذب بعنف، وبابه ضرب. **قوله:** (الصغار) - بالفتح - الذلّ. **قوله:** (لقلة العدد) لأنهم كانوا ثلاثمائة وتسعة رجال فيهم فارسان، وقيل: فارس واحد، والمشركون ألف ذو عدة وعدة. **قوله:** (رجالاً) بفتح وتشديد جمع راجل، وهو الماشي. **قوله:** (وما كان فيهم إلا فارسان) هما المقداد بن الأسود والزبير بن العوام رضي الله تعالى عنهما، وفي مسند أحمد عن عليّ كرم الله وجهه: ما كان منا فارساً يوم بدر إلا المقداد بن الأسود.

قوله: (أي يشته ويعليه) يشير إلى أنه من حق بمعنى ثبت، فأحقّه أثبته وإعلاؤه إظهاره على غيره، وهو تفسير للحق؛ لأن الحق حق في نفسه لا يحتاج إلى إحقاق، كما أن الباطل باطل في حد ذاته لا يحتاج إلى إبطال؛ فالمراد بإحقاق الحق وإبطال الباطل إظهار كونه حقاً وباطلاً لئلا يلزم تحصيل الحاصل. **قوله:** (قليب بدر) في المصباح: القليب البئر، وهو مذكر. قال الأزهري: القليب عند

و(سفّساف الأمور)، والله تعالى يريد معالي الأمور ونصرة الحق وعلو الكلمة، (وشتان) ما بين المرادين، ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وأعزكم وأذلهم.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٨)

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ متعلق بـ «يقطع» أو بمحذوف تقديره ليحق الحق ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ فعل ذلك والمقدر متأخر ليفيد الاختصاص أي ما فعله إلا لهما، وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر ومحقه، وليس هذا بتكرار لأن الأول تمييز بين (الإرادتين)، وهذا بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ذلك.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ (٩)

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ (بدل من «إذ يمدكم») أو متعلق بقوله: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال (طفقوا يدعون الله) يقولون أي ربنا انصرنا على عدوك، يا غياث المستغيثين أغثنا. (وهي) طلب الغوث وهو التخليص من المكروه ﴿فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾ فأجاب. وأصل ﴿أَنِّي﴾

العرب: البئر العادية القديمة مطوية كانت أو غير مطوية، والجمع قُلب، مثل بريد وبُرْد. اهـ. قوله: (سفّساف الأمور) السفّساف الرديء الحقيّر من الأمور، ويُقابِلها المعالي. وفي الحديث: «إن الله تعالى يحب معالي الأمور ويبغض سفّسافها». قوله: (شتان) أي بُعد.

قوله: (الإرادتين) إرادة الله تعالى إثبات الدين، وإرادتهم الفائدة العاجلة، وما هو من سفّسافها.

قوله: (بدل من «إذ يمدكم») بأن يكون إذ عبارة عن زمان واسع وقع الوعد في بعض أجزائه والاستغاثة في البعض. قوله: (طفقوا يدعون الله) في مختار الصّاح: طفق يفعل كذا، أي جعل يفعل كذا، وبابه طرب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَطُفِقًا يَخْصِفَانِ﴾ [الأعراف: الآية ٢٢]، وبعضهم يقول: من باب جلس. اهـ. قوله: (وهي) أي الاستغاثة.

﴿يَأْتِي مُدَّكُمْ﴾ «بأني مدكم» فحذف الجار وسلط عليه «استجاب» (فنصب محله) ﴿يَأْتِي مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ - («مردفين» - مدني. غيره بكسر الدال). فالكسر على أنهم أردفوا غيرهم، والفتح على أنه أردف كل ملك ملكاً آخر. يقال: ردفه إذا تبعه، وأردفته إياه إذا تبعه.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي الإمداد الذي دل عليه مدكم ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾ إشارة لكم بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ يعني أنكم استغثتم وتضرعتم لقلبتكم فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكيناً منكم وربطاً على قلوبكم ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ أي ولا تحسبوا النصر من الملائكة فإن الناصر هو الله لكم وللملائكة، أو وما النصر من الملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله، والمنصور من نصره الله. واختلف في قتال الملائكة يوم بدر ف قيل: نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر رضي الله عنه، وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها (علي) رضي الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض

قوله: (فنصب محله) لأن إضمار الجار ضعيف. اهـ تفتازاني رحمه الله. **قوله:** («مردفين») بفتح الدال اسم مفعول، أي مردفين بغيرهم (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. (غيره) أي الباكون (بكسر الدال) اسم فاعل.

قوله: (علي) بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي المكي المدني الكوفي، أمير المؤمنين ابن عم رسول الله ﷺ، وهو أخو رسول الله ﷺ بالمواخاة وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين، وأبو السبطين، وأول هاشمي ولد بين هاشميين، وأول خليفة من بني هاشم، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحواله في الشجاعة وأثاره في الحروب مشهورة. وأما علمه، فكان من العلوم بالمحل

و(عمائم) بيض قد أرخوا (أذناها) بين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل (لابن مسعود): من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص؟ قال: من قبل الملائكة.

العلي، رَوَى عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وستة وثمانين حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على عشرين، وانفرد البخاري بتسعة ومسلم بخمسة عشر، وأحوال علي رضي الله تعالى عنه وفضائله في كل شيء مشهورة غير مُنحصرة، وَلِي الخلافة خمس سنين، وقيل: خمس سنين إِلَّا شهرًا، بُويع في الخلافة في مسجد رسول الله ﷺ بعد قتل عثمان ؓ، لكونه أفضل الصحابة حينئذ، وذلك في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين. ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي من الخوارج بسيف مسموم في جبهته فأوصله دماغه في ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، وهي ليلة الجمعة، ثم توفي علي رضي الله تعالى عنه في الكوفة ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الأصح وقول الأكثرين.

قوله: (عمائم) جمع عمامة. قوله: (أذناها) أي أطراف العمام، والأذنا جمع ذنب، مثل سبب وأسباب.

قوله: (لابن مسعود) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل - بالغين المعجمة والفاء - ابن حبيب وأمه أم عبد بنت عبد ود بن سواء أسلمت وهاجرت فهو صحابي ابن صحابي، أسلم عبد الله قديمًا حين أسلم سعيد بن زيد قبل عمر بن الخطاب بزمان، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأحدًا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد وشهد اليرموك، وهو الذي أجهز على أبي جهل يوم بدر، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ كان يُلبسه إياها إذا قام، فإذا خلعها وجلس جعلها ابن مسعود في ذراعه، وكان كثير الولوج على رسول الله ﷺ والخدمة له، وكان يُعرف بصاحب السواد^(١) والسواك

(١) في الإصابة: قال له رسول الله ﷺ: «أذنك على أن ترفع الحجاب وتسمع سوادي حتى أنهاك» أخرجه أصحاب الصحيح. اهـ. وفي النهاية في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال له: «أذنك على أن ترفع الحجاب وتسمع سوادي حتى أنهاك السواد السَّرار». اهـ السَّرار المُسارة. ١٢ منه عم فيضهم.

قال: فهم غلبونا لا أنتم. وقيل: لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون (السواد) ويثبتون المؤمنين وإلا فملك واحد كافٍ في إهلاك أهل الدنيا. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَكِيمٌ﴾ بغير أعدائه.

﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (١١)

(﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ﴾ بدل ثانٍ من «إِذْ يَعِدْكُمْ» أو منصوب بالنصر أو بإضمار اذكر. «يُغَشِّكُمُ» مدني ﴿النُّعَاسُ﴾ النوم والفاعل هو الله على القراءتين. «ويُغَشِّكُمُ النُّعَاسُ» مكّي وأبو عمرو ﴿أَمْنَةً﴾ مفعول له أي إذ تنعسون أمانة بمعنى أماناً أي لأمنكم، أو مصدر أي فأمنتم أمانة فالنوم يزيج (الرعب) ويريح النفس ﴿مِنْهُ﴾ صفة لها أي أمانة حاصلة لكم من الله ﴿وَيُنْزِلُ﴾ بالتخفيف: مكّي

والنعل^(١). رُوي له عن رسول الله ﷺ ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم منها على أربعة وستين، وانفرد البخاري بأحد وعشرين، ومسلم بخمسة وثلاثين. توفي سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين، وهو ابن بضع وستين سنة رضي الله تعالى عنه. قوله: (السَّوَادُ) أي الجماعة.

قوله: ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ﴾ بدل ثانٍ من «إِذْ يَعِدْكُمْ»، أو منصوب بالنصر أو بإضمار اذكر. «يُغَشِّكُمُ» بضم الياء وسكون الغين وبياء بعدها من أغشى (مدني) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة. ﴿النُّعَاسُ﴾ النوم الخفيف بالنصب مفعول به، (والفاعل هو الله) تعالى (على القراءتين) أي يغشيكُم - بضم الياء وفتح الغين وكسر الشين مشددة وبياء بعدها - ﴿وَيُغَشِّكُمُ﴾ بضم الياء وسكون الغين وبياء بعدها «يغشاكم» بفتح الياء وسكون الغين وفتح الشين وألف بعدها لفظاً ﴿النُّعَاسُ﴾ بالرفع على الفاعلية من غشي يغشى (مكّي) أي ابن كثير المكيّ (وأبو عمرو) البصريّ، والباقون بضم الياء وفتح الغين وكسر الشين مشددة وبياء بعدها ونصب النعاس من غَشَّى. (الرعب) بضم العين وبسكونها، يعني الخوف. قوله: ﴿وَيُنْزِلُ﴾ بالتخفيف أي بإسكان النون وتخفيف الزاي (مكّي) أي

(١) والوسادة - بكسر الواو - المخدة، والمطهرة: إناء يتطهر به. ١٢ منه عم فيضهم.

وبصري، وبالتشديد): غيرهم ﴿عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءٌ﴾ مطرًا ﴿يُطَهِّرُكُمْ بِهِ﴾ بالماء من الحدث والجنابة ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ وسوسته إليهم وتخوفه إياهم من العطش، أو الجنابة من الاحتلام لأنه من الشيطان وقد وسوس إليهم أن لا نصرة مع الجنابة ﴿وَلَيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ بالصبر ﴿وَوُثِّقَتْ بِهِ الْأَقْدَامُ﴾ أي بالماء إذا الأقدام كانت (تسوخ) في الرمل، أو بالربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر يشبث القدم في مواطن القتال.

﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلِقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلٌّ بِنَانٍ﴾ ﴿١٢﴾

﴿إِذْ يُوحَىٰ﴾ بدل ثالث من «إذ يعدكم» أو منصوب بـ «يثبت» ﴿رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ بالنصر ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالبشرى وكان الملك يسير أمام الصف في صورة رجل ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم ﴿سَأَلِقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ هو امتلاء القلب من الخوف و﴿الرُّعْبَ﴾ شامي وعلي ﴿فَأَصْرَبُوا﴾ أمر للمؤمنين أو الملائكة، وفيه دليل على أنهم قاتلوا ﴿فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي أعالي الأعناق التي هي المذابح تطيرًا للرؤوس، أو أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق يعني ضرب (الهام) ﴿وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلٌّ بِنَانٍ﴾ (هي الأصابع) يريد

ابن كثير المكي (وبصري) أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة، (وبالتشديد) أي بفتح النون وتشديد الزاي غيرهم. قوله: (تسوخ) أي تدخل وتغيب.

قوله: ﴿الرُّعْبَ﴾ (بضم العين) أي ابن عامر الشامي (وعلي) الكسائي، والباقون بالإسكان. قوله: (الهام) في المصباح: الهامة من الشخص رأسه، والجمع هام. اهـ. قوله: (هي الأصابع) اختلف أهل اللغة في البنان، فقيل: هو الأصابع، واحده بنانة، وقيل: إطلاقه عليها مجاز مرسل من تسمية الكل بالجزء، وقيل: هي المفاصل، وقيل: هي مخصوصة باليد، وقيل: تعم اليد والرجل، ويقال: بنام - بالميم - وأشار المصنف بقوله: يريد الأطراف إلى أن المراد بالبنان مجازًا مطلق الأطراف لوقوعه في مقابلة الأعناق والمقاتل؛ إذ المراد ضربوهم كيف ما اتفق من المقاتل وغيرها، وإنما خصت لأن بها المدافعة. قوله:

الأطراف، والمعنى فاضربوا المقاتل (والشوى) لأن الضرب إما أن يقع على مقتل أو غير مقتل، فأمرهم أن يجمعوا عليهم النوعين.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَاكِبَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾
 ﴿وَأَنْتَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابُ النَّارِ ﴿١٤﴾﴾

﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم أي مخالفتهم وهي مشتقة من الشق لأن كلا المتعادين في (شق) خلاف شق صاحبه، وكذا المعادة والمخاصمة لأن هذا في (عدوة وخصم) أي جانب وذاك في عدوة وخصم ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَاكِبَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ والكاف في ذلك لخطاب الرسول أو لكل أحد، وفي ﴿ذَلِكَكُمْ﴾ للكفرة على طريقة الالتفات، ومحله الرفع على «ذلكم العقاب أو العقاب» ﴿ذَلِكَكُمْ فَذُوقُوهُ﴾. والواو في ﴿وَأَنْتَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابُ النَّارِ﴾ بمعنى «مع» أي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الأجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْآدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾ (حال من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾).

(والشوى) ما كان غير مقتل. في لسان العرب: الشوى اليدان والرجلان وأطراف الأصابع وقحف الرأس، وهي جلدة الرأس يقال لها: شواه وما كان غير مقتل، فهو شوى. اهـ.

قوله: (شق) - بالكسر - وهو الجانب. قوله: (عدوة) - بالضم والكسر - وهو الجانب. قوله: (خصم) بالضم، وهو الجانب كما بينه أهل الاشتقاق. وقوله: أي جانب تفسير للخصم، أو له ولما قبله.

قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾ الآية هذه الآية مُحْكَمَةٌ لا يحتمل النسخ، فلهذا قيل: إن الآية مخصوصة بأهل بدر والحاضرين معهم في الحرب، والأظهر أن الآية مخصوصة بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ

عَنْكُمْ ﴿[الأنفال: الآية ٦٦] الآية، ومحمولة على ما إذا لم يكن الكفار زائدين بالضعف؛ لأنه إن كان الكفار زائدين على التضاعف كما إذا كان المسلم واحدًا والكافر ثلاثًا لا يحرم الفرار، وإنما يحرم إذا كان المسلم واحدًا والكافر اثنين على ما سنده أنفًا في آخر هذه السورة، هكذا ذكره القاضي البيضاوي. والمختار للإمام الزاهد أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿أَلَنْ خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٦٦] الآية، هذا كله واضح ولا يتعلق به مقصود؛ لأنه مسألة معروفة مذكورة في القرآن غير مرة، وإنما الغرض إثبات أن الخدع في الحرب ليس بممنوع. وبيانه أن الله تعالى حيث أوجب الوعيد على الفار استثنى منه اثنين، فقال: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ﴾ [الأنفال: الآية ١٦]، وهو جملة معترضة بين الشرط والجزاء وانتصاب متحرّفًا أو متحيّزًا على الحال، وإلا لغو لا عمل له أو استثناء من المولين، أي إلا رجلًا متحرّفًا أو متحيّزًا، ومعنى الأول وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ [الأنفال: الآية ١٦] إلا من يفر حال كونه متحرّفًا لقتال، أي بحيث يحسب الخصم والعدو أنه يفر من جيوش المسلمين، فيغفل العدو ثم يكرّون بعد الفرّ، وهذا من جملة خدع الحرب، هكذا ذكره المفسّرون، فهو مشروع بخلاف الغدر، فإنه حرام كما سيأتي في آخر السورة.

والفرق على ما ذكر في شرح الوقاية أن الغدر أن يقول المسلم عن الخصم: إني لا أقاتلك اليوم، ثم يقاتله بغفلة. والخداع أن لا يقول ذلك، ولكن يشغل بأفعال يعلم منها الخصم أنه لن يُقاتل اليوم ليكون غافلًا، ثم يقاتل معه، ومعنى الثاني وهو قول تعالى: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ﴾ [الأنفال: الآية ١٦] إلا من يفر حال كونه متحيّزًا أو ملتجئًا أو منحازًا إلى فئة أخرى من المسلمين يطلبهم للتقوية ويستعينهم، فحينئذ يجوز الفرار بشرط أن يكون تلك الفئة قريبة، ومنهم من لا يشترط القرب، لما روى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه لما كان في سرية بعثهم رسول الله ﷺ، ففرّوا إلى المدينة، فقلت: يا رسول الله نحن الفرّارون؟ فقال: «بل أنتم العكّارون، وأنا فتّكم»، أي أنتم المائلون إلى فئة من المسلمين وجماعتهم، وهم أنا وأصحابي هكذا ذكر في البيضاوي. وفي الكشف: أنه فرّ رجل من القادسيّة، فأتى المدينة إلى عمر رضي الله تعالى عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، هلكت وفررت عن الزحف، فقال عمر: وأنا فتّك. اهـ التفسيرات

والزحف الجيش الذي يرى لكثرتة كأنه (يزحف أي يدب) ديبًا من زحف الصبي إذا دب (على استه) قليلًا قليلًا سُمي بالمصدر ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْآدْبَارَ﴾ فلا تنصرفوا عنهم منهزمين أي إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وأنتم قليل، فلا تفروا فضلًا أن تدانوهم في العدد أو تساووهم، أو حال من المؤمنين أو من الفريقين أي إذا لقيتموهم متراحفين هم وأنتم.

﴿وَمَنْ يُؤْلِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِقَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَدَّ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٦)

﴿وَمَنْ يُؤْلِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾ مائلًا ﴿لِقِتَالٍ﴾ (وهو الكرّ بعد الفرّ) يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾ منضمًا

الأحمدية. قوله: (يزحف) يقال: زحف يزحف زحفًا من باب فتح يفتح، أي مشى إليه ودنا قليلًا قليلًا. قوله: (أي يدب) في المصباح: دب الصغير يدب من باب ضرب ديبًا ودب الجيش ديبًا أيضًا ساروا سيرًا لئيًا. اهـ. قوله: (على استه) في المصباح: الاست همزته وصل ولامه محذوفة، والأصل سته، وسيأتي. اهـ. وفيه في كتاب السين: الاست العجز، ويُراد به حلقة الدُّبر، والأصل سته بالتحريك، ولهذا يُجمع على أستاه، مثل سبب وأسباب ويصغر على ستيه، وقد يقال: سته بالهاء، وسَتْ بالهاء، فيُعرب إعراب يد ودم، وبعضهم يقول في الوصل بالهاء، وفي الوقف بالهاء على قياس هاء التأنيث. قال الأزهري: قال النحويون: الأصل سته - بالسكون - فاستثقلوا الهاء لسكون التاء قبلها، فحذفوا الهاء وسكنت السين ثم اجتثلت همزة الوصل، وما نقله الأزهري في توجيهه نظر؛ لأنهم قالوا: سته سته من باب تعب إذا كبرت عجيزته، ثم سُمي بالمصدر ودخله النقص بعد ثبوت الاسم، ودعوى السكون لا يشهد له أصل، وقد نسبوا إليه سته بالتحريك، وقالوا في الجمع: أستاه، والتصغير وجمع التكسير يَرْدَانُ الأسماء إلى أصولها. اهـ بحروفه. وأيضًا فيه: العَجْز من الرجل والمرأة ما بين الودكين، وهي مؤنثة وبنو تميم يذكرون، وفيها أربع لغات: فتح العين وضمها، ومع كل واحد ضم الجيم وسكونها، والأفصح وزان رَجُل، والجمع أعجاز. اهـ.

قوله: (وهو الكرّ بعد الفرّ) الكرّ من كرّ عليه العدو إذا حمل، والفرّ الرجوع.

﴿إِلَاقَةً﴾ إلى جماعة من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وهما حالان من ضمير الفاعل في ﴿يُؤْلَهُنَّ﴾ ﴿فَقَدْ بَاءَ يَعْصِبُ مِنْ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ﴾ (وزن متحيز «متفيعل») لا «متفعل»، لأنه من حاز يحوز، فبناء متفعل منه متحوز. ولما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا وكان القاتل منهم يقول تفاخراً قتل وأسرت قيل لهم.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٧)

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ والفاء جواب لشرط محذوف تقديره: إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم. (ولما قال جبريل للنبي ﷺ: خذ قبضة من تراب) فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال:

قوله: (وزن متحيز متفيعل) أصله متحيوز من تحيوز فُليت الواو ياء، فأدغمت، ولو كان وزنه متفعلاً لقليل: إلا متحوزاً؛ لأنه يُبنى من حاز يحوز حوزاً وهو واوي، ويقال: في بناء التفعل منه تحوز يتحوز تحوزاً، فلما قيل: متحيزاً علم أنه من تفيعل لا من تفعل.

قوله: (ولما قال جبريل للنبي ﷺ: خذ قبضة من تراب) بضم القاف ويجوز فتحها: ملء الكف. قال العلامة التفتازاني رحمه الله: المحدثون على أن الرمية لم يكن إلا يوم حنين، انتهى. وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قال السيوطي: هذا الحديث أخرجه ابن جرير عن عروة مرسلاً، وليس فيه أمر جبريل عليه الصلاة والسلام له بذلك. (وروى ابن جرير) وابن مردويه أمر جبريل له بذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ولم يقف عليه الطيبي، فقال: لم يذكر أحد من أئمة الحديث أن هذه الرمية كانت يوم بدر، إنما هي في حنين، واغتر به من قال المحدثون على أن الرمية لم تكن إلا يوم حنين، وليس كما قالوا، والطيبي لم يبلغ درجة الحفاظ، ومنتهى نظره الكتب الستة، وكثيراً ما يقصر في التخريج، انتهى - يعني كلام^(١) السيوطي - وقد سبقه الحافظ ابن حجر إلى هذا، وخرج الرمي في بدر من طرق عديدة، انتهى.

(١) الذي ذكره العلامة الشهاب قبل هذا. ١٢ منه عم فيضهم.

«شاهت الوجوه» فلم يبق مشرك إلا (شغل) بعينه فانهزموا قيل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ (يا محمد) ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ يعني أن الرمية التي رميتها أنت لم ترمها أنت على الحقيقة، لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر، ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم، وفي الآية بيان أن فعل العبد مضاف إليه كسباً وإلى الله تعالى خلقاً لا كما تقول الجبرية والمعتزلة، لأنه أثبت الفعل من العبد بقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ ثم نفاه عنه وأثبتته لله تعالى بقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، «ولكن الله قتلهم»، «ولكن الله رمى» بتخفيف لكن

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: الآية ١٧] قال: رماهم بالحصباء.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: الآية ١٧]، قال: نزلت يوم بدر أخذ رسول الله ﷺ ثلاث حصيات، فرمى بحصاة في ميمنة القوم، وحصاة في ميسرة القوم، وحصاة بين أظهرهم، وقال: «شاهت الوجوه»، فانهزموا.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن حكيم بن حزام رضي الله تعالى عنه قال: لما كان يوم بدر سمعنا صوتاً وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت في طست، ورمى رسول الله ﷺ تلك الحصاة، وقال: «شاهت الوجوه»، فانهزمنا، فذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: الآية ١٧].

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت صوت حصيات وقعن من السماء يوم بدر كأنهن وقعن في طست، فلما اصطفت الناس أخذهن رسول الله ﷺ فرمى بهن في وجوه المشركين، فانهزموا؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: الآية ١٧].

قوله: (شاهت الوجوه) أي قُبَحَتْ إمّا بمعنى الدعاء، أو الماضي للتفاؤل.
قوله: (شغل) بالبناء للمجهول، بمعنى اشتغل.

قوله: (يا محمد) فيه دفع توهم جواز كون الخطاب لكل من يصلح للخطاب من أولي الألباب. قوله: «ولكن الله قتلهم»، «ولكن الله رمى» بتخفيف لكن أي

شامي وحمزة وعلي). ﴿وَلِيُثَبِّتِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وليعطيهم ﴿مِنَهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾ عطاء جميلاً، والمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعل إلا لذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم.

﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٨﴾

﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى البلاء الحسن ومحلّه الرفع أي الأمر ذلکم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ معطوف على ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي المراد إبلاء المؤمنين و(توهين) كيد الكافرين. ﴿مُوهِنٌ كَيْدٌ﴾ شامي وكوفي غير حفص. ﴿مُوهِنٌ كَيْدٌ﴾ حفص، ﴿مُوهِنٌ﴾ غيرهم.

﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَلَنْ تُنْفِ عَنْكُمْ وَفِتْنَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٩﴾

﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ إن تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم وهو خطاب لأهل مكة، لأنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة قالوا اللهم إن كان محمد على حق فانصره، وإن كنا على الحق فانصرنا. وقيل: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا﴾ خطاب للمؤمنين ﴿وَأَنْ تَنْهَوْا﴾ للكافرين أي ﴿وَأَنْ تَنْهَوْا﴾ عن عداوة رسول الله ﷺ ﴿فَهُوَ﴾ أي الانتهاء ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ وأسلم ﴿وَأِنْ تَعُدُّوا﴾ لمحاربتة ﴿نَعْدًا﴾ لنصرته عليكم ﴿وَلَنْ تُنْفِ عَنْكُمْ وَفِتْنَكُمْ﴾ جمعكم ﴿شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ عددًا

بتخفيف^(١) النون ورفع الجلالة الشريفة فيهما (شامي) أي ابن عامر الشامي، (وحمزة وعلي) الكسائي. والباقون بفتح النون مشددة ونصب الجلالة الشريفة.

قوله: (توهين) أي تضعيف. قوله: ﴿مُوهِنٌ كَيْدٌ﴾ (بسكون الواو وتخفيف الهاء والتنوين على أنه اسم فاعل من أوهن كأكرم معدى بالهمزة والتنوين على الأصل في اسم الفاعل، وكيد بالنصب على المفعولية به، (شامي) أي ابن عامر الشامي (وكوفي غير حفص) أي شعبة وحمزة والكسائي ﴿مُوهِنٌ كَيْدٌ﴾ بإسكان الواو وتخفيف الهاء وترك التنوين وخفض دال كيد للإضافة، (حفص ﴿مُوهِنٌ﴾ بفتح الواو وتشديد الهاء وبالتنوين ونصب كَيْد مفعول به أيضًا (غيرهم).

(١) أي بكسر نون مخففة. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (بافتح مدني وشامي وحفص) أي ولأن الله مع المؤمنين بالنصر كان ذلك، (والكسر غيرهم. ويؤيده قراءة عبد الله «والله مع المؤمنين»).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ عن رسول الله ﷺ، لأن المعنى أطيعوا رسول الله كقوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: الآية ٦٢] ولأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: الآية ٨٠] فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقوله: «الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان» أو يرجع الضمير إلى الأمر بالطاعة أي ولا تولوا عن هذا الأمر وأمثاله، وأصله ولا تتولوا فحذف إحدى التاءين تخفيفاً ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أي وأنتم تسمعون، أو ولا تتولوا عن رسول الله ﷺ ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أي تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالضمم المكذبين من الكفرة ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي ادعوا السماع وهم المنافقون وأهل الكتاب ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ لأنهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين، والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فإذا توليتهم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها أشبه سماعكم سماع من لا يؤمن. ثم قال:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي إن شر من (يدب) على وجه الأرض البهائم، وإن شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه، جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لأنهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ في هؤلاء الصم والبكم ﴿خَيْرًا﴾ صدقاً ورغبة

قوله: (بافتح مدني) أي نافع المدني (وشامي) أي ابن عامر الشامي (وحفص). قوله: (والكسر) على الاستثناف (غيرهم). قوله: (ويؤيده قراءة عبد الله) ابن مسعود الصحابي رضي الله تعالى عنه (والله مع المؤمنين).

قوله: (يدب) أي يمشي.

﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ لجعلهم سامعين حتى يسمعوا سماع المصدقين ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾ عنه أي ولو أسمعهم وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن الإيمان.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ وحد الضمير أيضًا كما وحده فيما قبله، لأن استجابة رسول الله ﷺ كاستجابته، والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبال الدعوة البعث والتحريض ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (من علوم الديانات) والشرائع لأن العلم حياة كما أن الجهل موت (قال الشاعر:

لا تعجبن الجهول حلتة فذاك ميت وثوبه كفن)

قوله: (من علوم الديانات)... الخ. فحيث يكون احترامًا عن الأمور الدنيوية والعلوم الغير الدينية من العلوم الفلسفية. اهـ قنوي. أي أطلقت الحياة على العلم، كما يطلق الموت على الجهل، وهو استعارة معروفة ذكرها الأدباء وأهل المعاني. اهـ شهاب رحمه الله. قوله: (قال الشاعر:

لا تعجبن الجهول حلتة فذاك ميت وثوبه كفن)

لا تعجبن: من الإعجاب بمعنى التعجب، أو من العجب خطاب لكل من يصلح للخطاب بقريته، فذاك مفعوله الجهول، وحلته بدل منه بدل اشتمال. اهـ قنوي. وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: البيت المذكور للزمخشري كما قرأته في ديوانه من قصيدة مدح بها المؤمن بالله الخليفة، وأولها:

حدث إلى أين مَرَّتِ الظُّنُّ فعندهن الفؤاد مرتهن ومنها:

لا تعجبن الجهول حلتة فذاك ميت وثوبه كفن

وقد ألم فيه بقول أبي الطيب من قصيدته التي أولها:

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من هم أخلاهم من الفطن

أو لمجاهدة الكفار لأنهم لو (رفضوها) لغلّبوهم وقتلوهم، أو للشهادة لقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٦٩]، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (أي يميته) فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من إخلاص القلب، فاعتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله، أو بينه وبين ما تمناه بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزائمه ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ واعلموا أنكم إليه تحشرون فيصيبكم (على حسب) سلامة القلوب وإخلاص الطاعة.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢٥)

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ عذاباً ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ هو جواب للأمر أي إن أصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم، وجاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الأمر (لأن فيه معنى النهي) كما إذا قلت «انزل عن الدابة لا تطرحك» وجاز «لا تطرحنك». و«من» في ﴿مِنْكُمْ﴾ للتبويض ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ إذا عاقب.

ومنها:

لا تعجبن مضيماً حُسن بَزَتِه وهل تروق دفيناً جودة الكفن

والعجب من التحرير في شرح قول الكشاف، وبعضهم: لا تعجبن... الخ. حيث قال: هذا كما هو عادته إذا أنشد شعراً لنفسه أن يقول لبعضهم، والبيت لأبي الطيب، وهذا من عدم التتبع لكن خلطه بين بيتين من بحرین أعجب، مع تصريح الإمام الطيبي به، والحلة معروفة، ومنهم من رواه: حليته، وجوز فيه البدلية من الجهول بدل اشتمال، فقد حرّفه كما يدرّيه من يدرّي الشعرية. اهـ.

قوله: (رفضوها) في مختار الصحاح: رفضه تركه، وبابه نصر، ويرفض أيضاً - بالكسر - رَفَضًا - بفتحيتين - فهو رفيض ومرفوض. اهـ. قوله: (أي يميته)... الخ. فشبه الموت بالحيلولة بين المرء وقلبه الذي به يعقل في عدم التمكن من علم ما ينفعه علمه. اهـ شهاب رحمه الله. قوله: (على حسب) بفتح السين وسكونها، أي قدر.

قوله: (لأن فيه معنى النهي) لأن المعنى لا تتعرضوا لها.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَتَأْوِنَكُمْ وَيَرْزُقَكُمْ بِبَصَرِهِ. وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢٦)

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ «إذ» مفعول به لا ظرف أي واذكروا وقت كونكم (أقله أذلة) ﴿مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة قبل الهجرة: أُنْتُضَعِفْكُمْ قريش ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ﴾ لأن الناس كانوا لهم أعداء (مضادين) ﴿فَتَأْوِنَكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ﴾ بمظاهرة الأنصار وبإمداد الملائكة يوم بدر ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من الغنائم ولم تحل لأحد قبلكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٧)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ﴾ بأن تعطلوا فرائضه ﴿وَالرَّسُولَ﴾ بأن لا تستنوا به ﴿وَتَحُونُوا﴾ جزم عطف على ﴿لَا تَحُونُوا﴾ أي ولا تخونوا ﴿أَمْنَتَكُمْ﴾ فيما

قوله: (أَقْلَّة) جمع قليل. قوله: (أَذْلَّة) جمع ذليل. قوله: (مضادين) بالتشديد والضاد المعجمة بمعنى معادين مخففة مفاعلة من العداوة.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ﴾... الخ. قال صاحب الكشاف في نزوله: رُوي عن النبي ﷺ أنه حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة مروان بن المنذر، وكان مناصحاً لهم؛ لأن عياله وماله في أيديهم، فبعثه إليهم، فقالوا له: ما ترى هل نزل على حكم سعد؟ فأشار إلى حلقه أنه الذبح، قال أبو لبابة: فما زالت قدماي حتى علمت أنني قد خنت الله ورسوله؛ فنزلت، فشدّ نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى أموت أو يتوب الله ورسوله عليّ، فمكث سبعة أيام حتى خرّ مغشياً عليه ثم تاب الله عليه، فقيل: قد تيب عليك، فحلّ نفسك، فقال: لا والله لا أحلّها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلّني، فجاءه فحلّه بيده، فقال: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال عليه السلام: «يجزيك الثلث أن تصدق به». وعن المغيرة: نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، هذا لفظه، وقد ذكره الإمام الزاهد مع

بينكم بأن لا تحفظوها ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (تبعة ذلك) ووباله، أو وأنتم تعلمون أنكم تخونون يعني أن الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو، أو وأنتم علماء تعلمون حسن الحسن وقبح القبيح، ومعنى الخون النقص كما أن معنى الإيفاء التمام، ومنه تخونه إذا انتقصه، ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء، لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوَّلَدَكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٨) يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوَّلَدَكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي سبب الوقوع في الفتنة وهي الإثم والعذاب، أو محنة من الله ليلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فعليكم أن تحرصوا على طلب ذلك وترهّدوا في الدنيا ولا

اختصار، وصاحب الحسيني مع توجيه آخر، وهو أن الصحابة كانوا يفشون السر إلى الكفار، فنهوا عن ذلك. وعلى كل تقدير ففي الآية نهي عن خيانة الله ورسوله وخيانة الأمانة، وقد مضى بيان الأمانة في سورة النساء مع بعض أحكامه، وهي في القرآن كثيرة. وذكر القاضي البيضاوي قصة أبي لبابة بالتفصيل الذي قلت، وقال في معنى: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [الأنفال: الآية ٢٧] بتعطيل الفرائض والسُنن، أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون، أو بالغلول في المغنم، هذا لفظه. فحينئذ ثبت من الآية حُرمة الغلول في المغنم أيضًا على ما ذكره الفقهاء حيث قالوا: بلا غدر وغلول ومثله، وهو المقصود ههنا، والأولى أن يقال: خيانة الله والرسول عامة في جميع ما أمرا به أو نهيا عنه، وأن خيانة الأمانة عامة في كل جنس من الخيانات في جميع الأمانات؛ كالعارية والوديعة والمضاربة والشركة والإجارة والوكالة وغيرها، هكذا يخطر بالبال. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (تبعة ذلك) في مختار الصحاح: التَّبعَة ما أُتِيَ به ذكره الفارابي في الديوان. اهـ. وفي المصباح: التَّبعَة وزان كلمة ما تطلبه من ظلامة ونحوها. اهـ. وأيضًا فيه: الظلم اسم من ظلمه ظلمًا من باب ضرب، ومظلمة - بفتح الميم وكسر اللام - وتجعل المظلمة اسمًا لما تطلبه عند الظالم؛ كالظلامة - بالضم - اهـ.

تحرصوا على جمع المال وحب الولد ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ نصرًا لأنه يفرق بين الحق والباطل، وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام بإعزاز أهله، أو بيانًا وظهورًا (يشهر أمركم ويثبت صيتكم) وآثاركم في (أقطار) الأرض من قولهم «سطع الفرقان» أي طلع الفجر، أو مخرجًا من الشبهات وشرحًا للصدور، أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلًا ومزية في الدنيا والآخرة ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي الصغائر ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم أي الكبائر ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ على عباده.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم. والمعنى واذكر إذ يَمْكُرُونَ بك، وذلك أن قريشًا لما أسلمت الأنصار فرقوا أن (يتفاقم أمره) فاجتمعوا في (دار الندوة) متشاورين في أمره، فدخل عليهم (إبليس) في صورة شيخ وقال: أنا شيخ من (نجد) دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن

قوله: (يشهر أمركم) في مختار الصحاح: الشهرة وضوح الأمر، تقول: شهر الأمر من باب قطع، وشهره أيضًا فاشتهر وشهرته أيضًا تشهيرًا. اهـ. قوله: (ويثبت صيتكم) - بالكسر - الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس دون القبيح، يقال: ذهب صيته في الناس، وربما قالوا: انتشر صوته في الناس، بمعنى صيت. اهـ. مختار الصحاح. قوله: (أقطار) جمع قطر - بالضم - بمعنى الناحية والجانب.

قوله: (يتفاقم أمره) في مختار الصحاح: تفاقم الأمر عظم. اهـ. قوله: (دار الندوة) ندا القوم ندوا حضروا الندى، وهو على فاعل مجلس القوم ما داموا فيه، فإذا تفرقوا فليس بندي، ومنه سُميت دار الندوة بمكة التي بناها قصي؛ لأنهم كانوا يندون فيها، أي يجتمعون للمشاورة. قوله: (إبليس) عدو الله كان اسمه عزازيل، فلما عصى الله لعنه الله وجعله شيطانًا مريدًا، وسمّاه إبليس. قوله: (نجد) من بلاد العرب، وهو خلاف الغور، فالغور تهامة وكل ما ارتفع عن تهامة إلى أرض العراق، فهو نجد، وهو مذكر. اهـ مختار الصحاح.

أحضركم (ولن تعدموا) مني رأيًا ونصحاء. فقال (أبو البحتري): رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدوا (وثاقه) وتسدوا بابه غير (كوة) تلقون إليه طعامه وشرابه منها (وتربصوا) به (ريب المنون). فقال إبليس: بئس الرأي، يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم. فقال (هشام بن عمرو): رأيي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من (بين أظهركم) فلا يضركم ما صنع واسترحتم. فقال إبليس: بئس الرأي، يفسد قومًا غيركم ويقاتلكم بهم. فقال أبو جهل لعنه الله: أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلامًا وتعطوه سيفًا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل، فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم، (فإذا طلبوا العقل عقلناه)

قوله: (ولن تعدموا) من عدم يعدم، وهو ظاهر، وليس من الإعدام كما توهم. **قوله:** (أبو البحتري) - بضم الباء والتاء بينهما حاء مهملة ساكنة، وبعضهم قال: بالخاء المعجمة، وبعضهم قال: بفتح الباء والتاء وبينهما حاء معجمة والراء مكسورة - ابن هشام بن عمرو بن الحارث بن أسد، مات كافرًا. **قوله:** (وثاقه) الوثاق - بفتح الواو وكسرها - ما يؤتق به ويُشدّ. اهـ شهاب رحمته الله. **قوله:** (كوة) في المصباح: الكوة - تُفتح وتُضمّ - الثقب في الحائط، وجمع المفتوح على لفظه كَوَات، مثل حبة وحبّات، وكواء أيضًا - بالكسر والمد - مثل طبيّة وطبّاء وركوة وركاء، وجمع المضموم كوى - بالضم والقصر - مثل مدية ومُدَى، والكوة بلغة الحبشة المشكاة، وقيل: كل كوة غير نافذة مشكاة أيضًا، وعينها واو، وأمّا اللام فقليل: واو، وقيل: ياء، والكوة - بالفتح مع حذف الهاء - لغة حكاها ابن الأنباري، وهو مذكّر، فيقال: هو الكوّ. اهـ. **قوله:** (تربصوا) التربص الانتظار. **قوله:** (ريب المنون)^(١) حوادث الدهر، فيهلك كما هلك من قبله. **قوله:** (هشام بن عمرو) بن ربيعة بن الحارث بن حبيب، أسلم بعد ذلك، وله أثرٌ عظيم في نقض الصحيفة التي كتبها قريش على بني هاشم وبني المطلب في مقاطعتهم واعتزالهم، وأن لا يبيعوهم ولا يتعاونوا، وكان هشام لبني هاشم واصلًا - يعني لما كانوا بالشعب - وكان ذا شرف في قومه رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (بين أظهركم) بمعنى بينكم. **قوله:** (فإذا طلبوا العقل عقلناه) في المصباح: عقلت القتيل عقلًا من باب ضرب

(١) المنون: الدهر فعول من منه إذا قطعه، فإن الدهر يقطع الأعمار، وقد يُطلق على الموت لأنه يقطع الأجل، والريب ما يقلق النفوس من الحوادث. ١٢ منه عمّ فيضهم.

واسترحنا. فقال اللعين: صدق هذا الفتى هو أجودكم رأياً، فتفرقوا على رأي أبي جهل مجتمعين على قتله، فأخبر جبريل ﷺ رسول الله ﷺ وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن له الله في الهجرة، فأمر علياً فنام في مضجعه وقال له: (اتشح ببردي) فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه. وباتوا مترصدين، فلما أصبحوا (ثاروا) إلى مضجعه فأبصروا علياً (فبهتوا) وخيب الله سعيهم (واقترضوا أثره) فأبطل الله مكرهم ﴿لِيُنْثِرَكَ﴾ ليحبسوك ويوثقوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ بسيوفهم ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ ويخفون المكائد له ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ ويخفي الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيراً.

أَدَيْتِ دَيْتَهُ. قال الأصمعي: سَمَّيتِ الدَّيَّةَ عقلاً تسمية بالمصدر؛ لأن الإبل كانت تعقل بفناء وليّ القتل، ثم كَثُرَ الاستعمال حتى أُطلق العقل على الدَّيَّةِ إبلاً كانت أو نقداً. اهـ. قوله: (اتَّشَحَّ) في المصباح: تَوَشَّحَ بثوبه، وهو أن يدخله تحت إبطه الأيمن ويُلقيه على منكبه الأيسر، كما يفعل المَحْرَمُ، قاله الأزهري. واتَّشَحَ بثوبه كذلك. اهـ. وفي لسان العرب: قد تَوَشَّحَتِ المرأةُ واتَّشَحَتِ. اهـ. وأيضاً فيه: قال أبو منصور: التَّوَشَّحُ بالرداء مثل التَّابُّطِ والاضطباع، وهو أن يدخل الثوب من تحت يده اليمنى فيُلْقِيه على منكبه الأيسر، كما يفعل المَحْرَمُ. اهـ. وأيضاً فيه: وفي الحديث أنه كان يتوشَّح بثوبه، أي يتغشى به. اهـ. (ببردي) في المصباح: البُرْدَةُ كساء صغير مبرِّع، ويقال: كساء أسود صغير. اهـ. وفي لسان العرب: البُرْدَةُ كساء يُلْتَحَفُ به. اهـ. قوله: (ثاروا) في المصباح: ثار الغبار يثور ثوراً وثوراً على فحول، وثوراناً هاج، ومنه قيل للفتنة: ثارت وأثارها العدو وثار إلى الشر نهض. اهـ. باختصار. قوله: (فَبَهِتُوا) في مختار الصحاح: بَهِتَ بوزن علم، أي دَهِشَ وتَحَيَّرَ وَبَهِتَ بوزن ظُرف مثله وأفصح منهما بَهِتَ، كما قال الله تعالى: ﴿فَبَهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٨]، لأنه يقال: رجل مبهُوت، ولا يقال: باهت ولا بَهِيت. اهـ. قوله: (واقترضوا أثره) في مختار الصحاح^(١): قَصَّ أثره تَتَبَّعَهُ من باب رد، وقصصاً أيضاً، ومنه قوله تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: الآية ٦٤]، وكذا اقْصَصَ أثره. اهـ.

(١) بالفتح لغة في الصحيح، كما في المصباح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

كان ﷺ يقرأ القرآن ويذكر أخبار القرن الماضي في قراءته فقال (النضر بن الحارث): لو شئت لقلت مثل هذا. وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث (رستم وأحاديث العجم) فنزل:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا لِمَا وَعَدَ اللَّهُ فَأُمِطْرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ اقْتِنَا بِعَذَابِ الْيَمِّ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ أي القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وهذا (صلف) منهم (وقاحة)، لأنهم دعوا إلى أن يأتوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن فلم يأتوا به ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا﴾ أي القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ هذا اسم «كان» و«هو» فصل و﴿الْحَقُّ﴾ خبر «كان». رُوِيَ أن النضر لما قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ قال له النبي عليه الصلاة والسلام: «ويلك هذا كلام الله» فرفع النضر رأسه إلى

قوله: (النضر بن الحارث) - بالضاد المعجمة - أُسِرَ يوم بدر وقتل كافراً، قتله علي بن أبي طالب بأمر رسول الله ﷺ، وأجمع أهل المغازي والسير على أنه قُتل يوم بدر كافراً، وإنما قُتل لأنه كان شديد الأذى للإسلام والمسلمين، وهذا الذي ذكرته مِنْ قَتْلِهِ يوم بدر كافراً هو الصواب. قوله: (رستم) بفتح التاء وقد يُضَمُّ. اهـ. تفتازاني رحمه الله. وفي القاموس: رُسْتُم بضمّ الراء^(١) وفتح المثناة فوق وقد تُضَمُّ. وفي شمس اللغات: رستم بضمّ معروف أو رابليتين وتهمن كويندكه زورهشتادپيل داشت. اهـ. قوله: (وأحاديث العجم) أي كاسفنديار وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة^(٢).

قوله: (صَلَفٌ) الصَّلَفُ هو الغلو في الظرف والزيادة على المقدار مع تكبر. اهـ. لسان العرب. وأيضاً فيه الصَّلَفُ مجاوز القدر في الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبراً. اهـ. قوله: (وقاحة) في مختار الصحاح: وقح الرجل

(١) وسكون السين. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) في القاموس: قرية بفارس. ١٢ منه عمّ فيضهم.

السماء وقال: ﴿إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ مِنْ السَّمَاءِ﴾ أي إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره (بالسجيل) كما فعلت بأصحاب الفيل ﴿أَوْ أَثْنَيْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ بنوع آخر من جنس العذاب الأليم (فقتل يوم بدر صبراً). وعن (معاوية) أنه قال لرجل من سبأ: ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة! قال: أجهل من قومي قومك، قالوا لرسول الله ﷺ حين دعاهم إلى الحق ﴿إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ ولم يقولوا: إن كان هذا هو الحق فاهدنا له.

من باب ظرف قلّ حياؤه، فهو وقح. اهـ. قوله: (بالسجيل)^(١) أي الطين المطبوع. قوله: (فقتل يوم بدر صبراً) أي مصبوراً، أي محبوساً. قوله: (معاوية) بن أبي سفيان الصحابي ابن الصحابي، هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، كان أحد الكتاب لرسول الله ﷺ، رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وثلاثة وستون حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على أربعة منها، وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بخمسة. رَوَى عنه من الصحابة ابن عباس وأبو الدرداء وجريير بن عبد الله ونعمان بن بشير وابن عمرو وابن الزبير وأبو سعيد الخدري والسائب بن يزيد وأبو أمامة بن سهل، ومن التابعين: ابن المسيب وحמיד بن عبد الرحمن وغيرهما، واتفقوا على أنه توفي بدمشق ثم المشهور أنه توفي يوم الخميس لثمانٍ بَقِيْنَ من رجب^(٢)، وقيل: لنصف رجب سنة ستين من الهجرة، وقيل: سنة تسع وخمسين، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل: ثمان وسبعين سنة، وقيل: ست وثمانين. روى الترمذي عن عبد الرحمن بن أبي عميرة الصحابي عن النبي ﷺ أنه قال لمعاوية: «اللهم اجعله هادياً مهدياً»، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وفي صحيح البخاري في كتاب المناقب عن ابن أبي مُلَيْكَةَ قال: قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، ما أوتر إلا بواحدة؟ قال: أصاب، إنه فقيه. اهـ تهذيب الأسماء باختصار.

(١) معرب سَنَكْ غُل. ١٢ منه عمّ فيضهم.

(٢) منصرف. اهـ مصباح. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعَذَابِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّمُعَذِّبِهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٣٣)

﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعَذَابِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ (اللام لتأكيد النفي) والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم، لأنك بعثت رحمة للعالمين وستته أن لا يعذب قومًا عذاب استئصال ما دام نيتهم بين أظهرهم، وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّمُعَذِّبِهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ هو في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم) أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما

قوله: (اللام^(١) لتأكيد النفي) يعني أن اللام في قوله تعالى: ﴿لِّعَذَابِهِمْ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣] لام الجحود، والفعل بعدها منصوب بإضمار أن وشرطها أن يتقدمها كون منفي، وذهب البصريون إلى أن خبر كان محذوف، وتعلق هذه اللام بذلك الخبر المحذوف، والمعنى: وما كان الله مريدًا لتعذيبهم، وذهب الكوفيون إلى أن هذه اللام مع ما بعدها في محل الخبر ولا يقدرُونَ شيئًا محذوفًا، ويزعمون أن الفعل بعدها منصوب بنفس اللام بإضمار أن، وأن اللام زائدة لتأكيد النفي، وظاهر كلام المصنف يُشعر بأنه اختار مذهب الكوفيين، إلا أنه لا ينافي إتيانه على مذهب البصريين؛ لأن انتفاء إرادة العذاب أبلغ وأكد من نفي العذاب، صرح في خبر كان الأول بلام الجحود دون خبرها الثاني؛ للدلالة على أن كينونته عليه الصلاة والسلام فيهم أبلغ في كونها سببًا لعدم تعذيبهم من استغفارهم، فأين بركة وجوده عليه الصلاة والسلام من بركة استغفارهم؟

قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّمُعَذِّبِهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ هو في موضع الحال، ومعناه نفي الاستغفار عنهم) قال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: ذكر فيه ثلاثة أوجه: الأول أن المراد استغفار مَنْ بَقِيَ بين أظهرهم من المسلمين المستضعفين. قال الطيبي: وهذا الوجه أبلغ، لدلالته على أن استغفار الغير مما يدفع به العذاب عن أمثال هؤلاء الكفرة، وهو المروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في كتاب الأحكام. والثاني: أن المراد به دعاء الكفرة بالمغفرة، وقولهم: غفرانك، فيكون مجرد طلب المغفرة منه تعالى مانعًا من عذابه، ولو من

(١) هذه هي التي تسمى لام الجحود ولام النفي؛ لاختصاصها بمعنى كان الماضية لفظًا ومعنى، وهي تُفيد التأكيد باتفاق النحاة. ١٢ منه عم فيضهم.

عذبهم، أو معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله ﷺ من المستضعفين.

الكفرة. والثالث: أن المراد بالاستغفار التوبة والرجوع عن جميع ما هم عليه من الكفر وغيره، وهو منقول عن قتادة والسدي ومجاهد رحمهم الله، فيكون القيد منفيًا في هذا ثابتًا في الوجهين، ومبنى الاختلاف فيها ما نُقِلَ عن السلف في تفسيره، والقاعدة المقررة وهي أن الحال بعد الفعل المنفي، وكذا جميع القيود قد يكون راجعًا إلى النفي قيدًا له دون المنفي، وقد يكون راجعًا إلى ما دخله النفي، وعلى الثاني فله معنيان: أحدهما، وهو الأكثر، أن يكون النفي راجعًا إلى القيد فقط، ويثبت أصل الفعل. وثانيهما: أن يقصد نفي الفعل والقيد معًا بمعنى انتفاء كل من الأمرين، والمعنى انتفاء الفعل من غير اعتبار لنفي القيد وإثباته، والحاصل أن القيد في الكلام المنفي قد يكون لتقييد النفي، وقد يكون لنفي المقيّد، بمعنى انتفاء كل من الفعل والقيد، أو القيد فقط، أو الفعل فقط؛ كما قرره التحرير في سورة آل عمران، وقد مرّ تفصيله وتحقيقه في سورة البقرة.

وأما قول الشارح التحرير هنا: أن الدال على انتفاء الاستغفار هنا على الوجه الأخير القرينة والمقام لا نفس الكلام، وإلا لكان معنى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣] نفي كونه فيهم.

فإن قيل: الحال قيد والنفي في الكامل راجع إلى القيد.

قلنا: وأنت فيهم حال أيضًا.

فإن قيل: الاستغفار من الكفر ينافي التعذيب، وقد ثبت أنهم يُعَذَّبون بمفارقة النبي ﷺ، وبقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: الآية ٣٤] فينتفي الاستغفار.

قلنا: وكذلك كونه فيهم ينافي بحكم العادة، وقضية الحكمة تعذيبهم، وقد بين أنهم يعذبون.

فإن قيل: كونه فيهم ليس مما يستمر، بل يزول البتة، فيحدث التعذيب.

قلنا: الاستغفار عن الكفر يحتمل ذلك، غايته أنه احتمال بعيد، ويمكن أن يقال: هم يستغفرون للاستمرار، فينتفي بالتعذيب، ولو بعد حين؛ بخلاف أنت

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُوهُ إِلَّا الْمُتَفَنُّونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٤)

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ أي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم، وما لهم ألا يعذبهم الله ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدّون عن المسجد الحرام كما صدّوا رسول الله ﷺ (عام الحديبية)، وإخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصدّ وكانوا يقولون: نحن ولاة البيت والحرم فنصدّ مَنْ نشاء وندخل مَنْ نشاء فقل: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ وما استحقّوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمر الحرم ﴿إِنْ أَوْلِيَائُوهُ إِلَّا الْمُتَفَنُّونَ﴾ من المسلمين. وقيل: الضميران راجعان إلى الله ﴿وَلَكِنَّ

فيهم، فإنه لمجرّد الثبوت، وهو متحقّق ما لم يُفارقهم ولم يُصِبه العذاب، وهذا إنما يتمّ إذا جعل وأهلها مصلحون للاستمرار والدوام دون الثبوت. اهـ. فلا يخفى ما فيه من التطويل، وما بين كلاميه من التنافي، ولبعض الناس هنا خبط تركه أولى من ذكره، وعلى الوجه الأول المستغفرون هم المسلمون، والاستغفار طلب المغفرة والتوفيق للثبات على الإيمان، والضمير للجميع لوقوعه فيما بينهم، ولجعل ما صدر عن البعض بمنزلة الصادر عن الكلّ، فلا يلزم تفكيك الضمائر كما قيل. اهـ.

قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾... الخ. قال النسفي: إن نزول ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَا يُعَذِّبُهُمُ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣] وهو ﷺ بمكة ثم خرج من بين أظهرهم، فاستغفر مَنْ بها مِنَ المسلمين، فنزل: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: الآية ٣٣]، أي وفيهم أحد من المسلمين؛ فخرج المستغفرون من مكة، فنزل: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: الآية ٣٤]... الخ. وأذن له في فتح مكة. قوله: (عام الحديبية) وهي السنة السادسة من الهجرة، والحديبية الحجازيتون يخفّفونها، والعراقيون يثقلونها، والحديبية قرية سُميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة، وبين الحديبية والمدينة تسع مراحل، وبينها وبين مكة مرحلة، قيل: هي مِنَ الحرم، وقيل: بعضها من الحرم. قال المُحبّ الطبري: هي قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرم، وهي على تسعة أميال من مكة. وفي شفاء الغرام: ومسجد الشجرة بالحديبية، والشجرة المنسوب إليها هذا المسجد هي الشجرة التي كانت

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ ذلك (كأنه استثنى) مَنْ كَانَ يَعْلَمَ وَهُوَ يَعَانِدُ (أَوْ أَرَادَ بِالْأَكْثَرِ الْجَمِيعَ) كَمَا يَرَادُ بِالْقَلَّةِ الْعَدَمُ.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ صَفِيرًا (كصوت المكاء) وهو طائر مليح الصوت، وهو فعال من مكأ يمكوا إذا صفر ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ وتصفيقًا (تفعلة من الصدى)، وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت (عراة وهم مشبكون بين أصابعهم) ويصفرون فيها ويصفقون، وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ

تحتها بيعة الرضوان، وكانت هذه الشجرة سمرة معروفة عند الناس، وهذا المسجد عن يمين طريق جدة، وهو المسجد الذي يزعم الناس أنه الموضع الذي صلى فيه رسول الله ﷺ وأصحابه، وثمة مسجد آخر وهذان المسجدان والحديبية لا تُعرف اليوم، والله أعلم بذلك. قوله: (كأنه استثنى) أي أخرج بقوله أكثرهم الأقلين الذين كانوا يعلمون ويعاندون. قوله: (أو أراد بالأكثر الجميع)؛ لأن للأكثر حكم الكل في كثير من الأحكام، ولكونه الجزء الذي عليه مدار الجميع.

قوله: (كصوت المكاء) - بضم الميم وبالمدة والتشديد - طائر يصوت في الرياض يسمى مُكَاءً؛ لأنه يمكوا، أي يصفر كثيرًا، ووزنه فعال كخطاف، والأصوات في الأكثر تأتي على فعال بتخفيف العين كالبكاء والصراخ والرغاء والنباح والجوار ونحوه، وجمعه المكائي، وهذا الطائر يصفر ويصوت كثيرًا. قال البغوي في تفسيره: المكاء الصغير، وهو في اللغة اسم طائر أبيض يكون بالحجاز له صفير. قال ابن السكيت في إصلاح المنطق: فقال: مكأ الطائر ومكأ الرجل يمك مكوا إذا جمع يديه وصفر فيهما، وكأنهم اشتقوا له هذا الاسم من الصياح، وجمعه المكائي، والمكاء الصغير، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾، أي صفيرًا وتصفيقًا. وقال ابن قتيبة: المكاء الصغير، أي بالتخفيف، والمكاء - بالتشديد - طائر يصفر في الرياض، ويمكوا أي يصفر. قوله: (تفعلة من الصدى) وهو ما يُسمع من رَجْع الصوت عند جبل ونحوه. قوله: (عراة) جمع عار. قوله: (وهم مشبكون بين أصابعهم) تصوير لمكائهم، فإن المكاء

رسول الله ﷺ في صلاته يخلطون عليه ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ عذاب القتل والأسر يوم بدر ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفركم. ونزل في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً وكلهم من قريش، وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم (عشر جزائر).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَهُنَّ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَيْرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي كان غرضهم في الإنفاق الصّدّ عن اتباع محمد ﷺ وهو سبيل الله ﴿فَسَيُفْقَهُنَّ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ ثم تكون عاقبة إنفاقها ندمًا وحسرة، فكان ذاتها تصير ندمًا وتنقلب حسرة ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ آخر الأمر وهو من دلائل النبوة لأنه أخبر عنه قبل وقوعه فكان كما أخبر ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والكافرون منهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ لأن منهم من أسلم وحسن إسلامه. واللام في ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾ الفريق الخبيث من الكفار ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ أي من الفريق الطيب من المؤمنين، متعلقة بـ ﴿يُحْشَرُونَ﴾ ﴿لِيَمِيزَ﴾ حمزة وعلي ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ﴾ الفريق الخبيث ﴿بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا﴾ فيجمعه ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ أي الفريق الخبيث ﴿أُولَٰئِكَ﴾ إشارة إلى الفريق الخبيث ﴿هُمُ الْخَيْرُونَ﴾ أنفسهم وأموالهم.

عبارة عن تشبيك الأصابع، ثم وضعها على الفم وأن ينفخ فيها. قوله: (عشر جزائر) جمع جزور، وهو البعير، ذكرًا كان أو أنثى، إلا أن لفظه مؤنث، تقول: هذه الجزور؛ فلذلك لم يقل: عشرة جزائر، بالتاء.

قوله: ﴿لِيَمِيزَ﴾ بضم الياء الأولى وفتح الميم وكسر الثانية مشددة (حمزة وعلي) الكسائي، والباقون بفتح الياء وكسر الميم وإسكان الياء.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأُولَى﴾

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (أي أبي سفيان وأصحابه) ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عما هم عليه من عداوة رسول الله ﷺ وقتاله بالدخول في الإسلام ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ لهم من العداوة ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ لقتاله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأُولَى﴾ بالإهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى، أو معناه أن الكفار إذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي، (وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة).

قوله: (أي أبي سفيان) أبو معاوية رحمه الله ؛ لأنه لم يدخل في الإسلام بعد (وأصحابه) فالتعريف في الذين كفروا للعهد الخارجي، والمعهود أبو سفيان وأصحابه.

قوله: (وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة) أخذ ذلك كلام صاحب الكشف، وأورد منه بالإيجاز، وصرح صاحب الكشف بأن الحربي إذا أسلم لم يبق عليه تبعة قط. وأما الذمي، فلا يلزمه قضاء حقوق الله تعالى وتبقى عليه حقوق آدميين، وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها، وفسر أن يعودوا بالارتداد، ولعل وجه الاحتجاج أنه لما حكم على الكفار جميعاً بالمغفرة عن العصيان بعد الإسلام، فالظاهر أن المرتد كذلك؛ لأنه داخل في الكفار، وإن اختص باسم آخر، فإن يدخل في الإسلام يُغفر له ما قد سلف من ارتداده وسائر ذنوبه من قضاء الصلاة والصوم وجميع أحكام الشرع، وهذا أمر معقول؛ لأنه حين ارتد لم يجب الصلاة والصوم، فلم يلزم القضاء، وكذا أسقط ما قبلها، وإنما فسر أن يعودوا بالارتداد؛ لأنه فسر ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ [الأنفال: الآية ٣٨] بالانتهاء عن الكفر، فلا بد أن يكون العود بالعود إلى الكفر، وهو الارتداد، لا لأن له دخلاً في الاحتجاج، وإنما قيد بقوله أبو حنيفة رحمه الله ؛ لأن الشافعي لما أوجب العبادات على الكفار بتقدير الإسلام اقتضاء، فأولى أن يوجب ذلك على المرتد، ولكن لا يظهر ثمرته ما دام مرتدًا، فيلزم القضاء بعد الإسلام ولم يتعرض القاضي للوجه الثاني رعاية لمذهبه. اهـ التفسيرات الأحمدية.

﴿وَقَلِيلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ كَلِمُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٣٩) وَإِن تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نَعَمْ الْمَوْلَى وَنَعَمْ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

﴿وَقَلِيلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ إلى أن لا يوجد فيهم شرك قط ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ كَلِمُ لِلَّهِ﴾ ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الإسلام وحده ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يشيهم على إسلامهم ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإيمان ولم ينتهوا ﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ﴾ ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته ﴿نَعَمْ الْمَوْلَى﴾ لا يضيع من تولاه ﴿وَنَعَمْ النَّصِيرُ﴾ لا يغلب من نصره. والمخصوص بالمدح محذوف.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَارِبِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَفَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤١)

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ «ما» بمعنى «الذي»، ولا يجوز أن يكتب إلا مفصلاً إذ لو كتب موصولاً لوجب أن تكون «ما» كافة و﴿غَنِمْتُمْ﴾ صلته والعائد محذوف والتقدير: الذي غنمتموه ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ بيانه قيل حتى (الخيطة والمخيط) ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ والفاء إنما دخلت لما في «الذي» من معنى المجازاة و«أن» وما عملت فيه في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ تقديره: فالحكم أن لله خمسة ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي

وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: تنبيه: قال التحرير: المراد بالذين كفروا هو الكفر الأصلي وما سلف ما مضى في حال الكفر، فاحتجاج أبي حنيفة رحمه الله على أن من عصى طول العمر ثم ارتد ثم أسلم لم يبق عليه ذنب في غاية الضعف، انتهى. وهذا ليس بشيء، فإن أبا حنيفة ومالكا أبقيا الآية على عمومها؛ لحديث «الإسلام يهدم ما قبله»، وقالوا: إنه يلزمه حقوق الآدميين دون حقوق الله، كما في كتاب أحكام القرآن لابن عبد الحق، وخالفهما الشافعي رحمه الله، وقال: يلزمه جميع الحقوق. اهـ.

قوله: (الخيطة) كناية عما قلَّ مطلقاً. قوله: (والمخيط) في مختار الصحاح: المَخِيطُ بوزن المَبْضَعِ الإبرة. اهـ.

أَلْفُرَقَ وَالْيَتَمَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴿٤١﴾ (فالخمس كان في عهد رسول الله ﷺ يُقسم على خمسة أسهم):

قوله: (فالخمس كان في عهد رسول الله ﷺ يُقسم على خمسة أسهم)... الخ. قد اتفق أهل المذاهب على أن ما أخذ من الكفار قهراً يُقسم خمسة أخماس: أربعة منها للغنائم، ولكنهم اختلفوا في الخمس الباقي، فقال بعضهم: يُقسم الخمس على ستة أسهم: سهم لله، وسهم للرسول، وهكذا القياس عملاً بظاهر الآية، ويصرف سهم الله إلى الكعبة على ما ذهب إليه أبو العالية، وقيل: لبيت المال، وقيل: مضموم إلى سهم الرسول، والجمهور على أن ذكر الله تعالى للتبرك يدل عليه تقدّمه على خلاف سنن المعطوفات، وكأنه قال: فإن لله خمسة يصرف إلى هؤلاء الأخضين به، فيقسم الخمس على خمسة أسهم، هكذا فعله رسول الله ﷺ، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم بعد وفاته؛ فعند الشافعي رحمه الله: يُصرف سهم الرسول إلى مصالح المسلمين، كما فعله الشيخان. وقيل: يُصرف إلى الإمام، وقيل: إلى الأصناف الأربعة، وعند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه: سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكلّ مصروفاً إلى الثلاثة الباقية، وعن مالك رضي الله تعالى عنه: الأمر فيه مفوض إلى رأي الإمام يصرفه إلى ما يراه أهم.

وسهم ذوي القربة يُصرف إليهم، وهم: بنو هاشم وبنو المطلب، وقيل: بنو هاشم وحدهم، وقيل: جميع قريش، والغني والفقير سواء في ذوي القربى عند الشافعي رحمه الله، وقيل: هو مخصوص بقرائهم كسهم ابن السبيل، وقيل: الخمس كله لذوي القربى لسقوط سهم الرسول بعد موته عليه السلام، ويكون المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل مَنْ كان منهم، وإنما العطف للتخصيص، هذا كله ذكر في بياضوي أخذ ذلك من كلام صاحب الكشاف مع نوع تغير.

وذكر الإمام الزاهد: أن مبنى الاختلاف بيننا وبين الشافعي رحمه الله على أن نسخ القرآن بالخبر المتواتر جائز عندنا لا عنده، فإن سهم ذوي القربى منصوص في الكتاب، ولم يعمل به الخلفاء الراشدون، فصار منسوخاً به عندنا لا عنده، واقتصر صاحب المدارك على بيان مذهب أبي حنيفة رحمه الله، وتقديره على ما في الكتب أنه قال أبو حنيفة رحمه الله: يقسم الخمس بعد وفاته ﷺ على ثلاثة أسهم: سهم لليتامى،

وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل؛ لأن ذكر الله تعالى للتبرك، وسهم الرسول سقط بموته ﷺ، وسهم ذوي القربى أيضًا يسقط بموته ﷺ؛ لأن المراد من ذوي القربى ذوو قربي رسول الله ﷺ بالإجماع، ولفظ مشترك بين القرابة الصلبية المودة، وههنا الأخير مراد خاصته بدليل أن رسول الله ﷺ ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وكان لعبد مناف أربعة^(١) أبناء: هاشم، والمطلب، وعبد شمس، ونوفل؛ وكان عثمان بن عفان من أولاد عبد شمس، وجبير بن مطعم من أولاد نوفل، فلما قسم رسول الله ﷺ غنائم خيبر أعطى خمس الخمس بني هاشم وبني المطلب، ولم يُعطِ عثمان وجبيرًا أصلًا، فقالا: إنا لا ننكر فضل بني هاشم لمكانك الذي وضعك الله فيهم، يعني أنك منهم، وهم إخوتك، ولكن نحن وبني المطلب سواء، فما بالك أعطيتهم وحرمتنا؟ فقال عليه السلام: «إنهم لم يفارقوني في الجاهلية ولا في الإسلام»، وشبك^(٢) بين أصابعه، فَعَلِمَ أن المراد قرابة المودة؛ لأنه لو كان المراد القرابة الصلبية لأعطى عثمان وجبيرًا أيضًا، كما أعطى بني هاشم وبني المطلب، فإذا كان المراد قرابة المودة فقد فات ذلك بوفاة رسول الله ﷺ؛ لأنه علَّله بصحبته، وهي لم تبق، فلا يستحقون السهم بعد وفاته إذا كانوا أغنياء.

غاية ما في الباب أنهم يستحقونه إذا كانوا فقراء، وذلك لأنهم لما طلبوا الزكاة فمنعها عليه السلام عنهم، وقال: «يا معشر بني هاشم، إن الله حرم عليكم غسالة الناس وأوساخهم وعوضكم عنها بخمس الخمس من الغنيمة»، فقد جعل رسول الله ﷺ خمس الخمس عوضًا عن الزكاة، والزكاة إنما يستحقها الفقراء، فكذا هذا. وقد صحَّ أن الخلفاء الراشدين كلهم قسموا على نحو ما نقلنا، هكذا

(١) وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: وكان لعبد مناف خمس بنين: هاشم وعبد شمس ونوفل والمطلب وأبو عمرو، كلهم أعقبوا إلا أبا عمرو. اهـ. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) التشبيك إدخال بطن الأصابع بطن أصابع آخر، وتشبيكه عليه السلام بين أصابعه إشارة إلى كمال اختلافهم به، وعدم مفارقتهم له، وبيان عدم المفارقة بالفعل بعد بيانه بالقول؛ لأنه أدخل في البيان مع البرهان. ١٢ منه عم فيضهم.

سهم لرسول الله، وسهم لذي قرابته من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة لقصة (عثمان) و(جبير) بن مطعم،

في شرح الوقاية. وقال صاحبه الهداية: إن هذا قول الكرخي، وعن الطحاوي: إن سهم الفقراء أيضًا ساقط بالإجماع، ولكن الأصح أن الساقط بالإجماع هم الأغنياء، والفقراء يدخلون في الأصناف الثلاثة المذكورة، وهذا غاية ما بذلوا فيه جهدهم، وفيه بحث وهو أن الزكاة إنما تُحرم على بني هاشم خاصة، فينبغي أن يكون بنو المطلب غير مستحقين لسهم الغنيمة، سواء كانوا فقراء أو أغنياء، على ما قيل، وسيجيء هذا الكلام مع نوع تدقيق وزيادة توضيح مني في سورة الحشر إن شاء الله تعالى. اهـ التفسيرات الأحمدية.

وفي هامشها: وقد ذكر في كتب الفقه أن آل بني هاشم آل عليّ وعباس وجعفر وعقيل وحارث بن عبد المطلب ومواليهم، ولا يتوهم منه أن آل المطلب داخل في بني هاشم لأن عبد المطلب غير المطلب، والأول هو ابن هاشم، ويدخل فيه، والثاني هو أخوه، فكيف يدخل فيه؟. اهـ منه رحمه الله.

قوله: (عثمان) بن عفان أمير المؤمنين، هو أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله وأبو ليلي، عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي، المكي ثم المدني، أمير المؤمنين. روي لعثمان رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ مائة حديث وستة وأربعون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على ثلاثة، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بخمسة. قُتل شهيدًا يوم الجمعة لثمان عشرة خلون من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وقيل: قُتل يوم الأربعاء، وهو ابن تسعين سنة، وقيل: ثمان وثمانين، وقيل: ثنتين وثمانين، وقيل غير ذلك، وبُويع له بالخلافة غرة المحرم سنة أربع وعشرين، وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا ليالي. قال ابن عبد البر: بُويع له يوم السبت بعد دفن عمر رضي الله تعالى عنه بثلاثة أيام، وحجّ فيها بالناس عشر سنين متوالية، وصلى عليه جبير بن مطعم ودفن ليلاً بالبقيع، وأخفي قبره ذلك الوقت ثم أظهر، وقيل: دفن بحش كوكب. قال ابن قتيبة: هي أرض اشتراها عثمان وزادها بالبقيع، والحش البستان، وكوكب اسم رجل من الأنصار. وعثمان بن

وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل، وأما بعد رسول الله ﷺ فسهمة ساقط بموته، وكذلك سهم ذوي القربى، وإنما يعطون لفقرهم ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على التيامى والمساكين وابن السبيل. وعن ابن عباس ؓ أنه كان على ستة: الله والرسول سهمان، وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر ؓ الخمس على ثلاثة، وكذا عمر ومن بعده من الخلفاء ؓ، ومعنى ﴿لِللَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ لرسول الله كقوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: الآية ٦٢] ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ فاعملوا به وارضوا بهذه القسمة فالإيمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعلم ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا﴾ معطوف على ﴿بِاللَّهِ﴾ أي إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل ﴿وَعَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ يوم بدر ﴿يَوْمَ الْتَفَقَّ الْجَمْعَانِ﴾ الفريقان من المسلمين والكافرين، والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ وهو بدل من ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقدر على أن ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر.

عَفَانُ أحد العشرة المبشرة لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وأحد الخلفاء الراشدين السابقين إلى الإسلام، وأحد المُتَّفِقِينَ في سبيل الله الإنفاق العظيم، وأحد أصهار رسول الله ﷺ، ولم يلبس السراويل في جاهليته ولا إسلامه إلى يوم قتله، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام وأبا بكر وعمر فقالوا لي: اصبر، فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف ففتح فقتل وهو بين يديه، وأعتق عشرين مملوكًا، وهو محصور رضي الله تعالى عنه.

قوله: (جبير) بن مطعم الصحابي، ومطعم - بكسر العين - هو أبو محمد، ويقال: أبو عدي، جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي المدني، أسلم قبل عام خيبر، وقيل: أسلم يوم فتح مكة. رُوي له عن رسول الله ﷺ ستون حديثًا، اتَّفَقَ البخاري ومسلم على ستة، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بحديث. رَوَى عنه سليمان بن صرد الصحابي، وابناه نافع ومحمد ابنا جبير، وسعيد بن المسيب وآخرون، قال الزبير بن بكار: كان من علماء قریش وساداتهم. توفي بالمدينة سنة أربع وخمسين، وقال ابن قتيبة: سنة تسع وخمسين رضي الله تعالى عنه.

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصُوصِ وَالرَّكْبَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَدِ وَلَكِنَّ لِقَاضِيَ اللَّهِ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنِهِ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِذْ أَنْتُمْ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ أو التقدير: اذكروا إذ أنتم ﴿بِالْعُدُوِّ﴾ (شطر الوادي، وبالكسر فيهما: مكي وأبو عمرو) ﴿الدُّنْيَا﴾ القريبى إلى جهة المدينة تأنيث الأدنى ﴿وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصُوصِ﴾ البعدى عن المدينة تأنيث الأقصى، (وكلتاها فعل من بنات الواو)، والقياس قلب الواو ياء كالعليا تأنيث الأعلى، وأما القصوى (فكالقود) في مجيئه على الأصل ﴿وَالرَّكْبَ﴾ (أي العير) وهو جمع راكب في المعنى ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ نصب على الظرف أي مكانًا أسفل من مكانكم يعني في أسفل الوادي (بثلاثة أميال)، وهو مرفوع المحل لأنه خبر المبتدأ ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال ﴿لَأَخْتَلَفْتُمْ﴾

قوله: (شطر الوادي) أي جانبه. قوله: (وبالكسر) أي بكسر العين (فيهما مكي) أي ابن كثير المكي (وأبو عمرو) البصري. والباقون بالضم فيهما، وهما لغتان لأهل الحجاز.

قوله: (وكلتاها فعل من بنات الواو) أي من ذوات الواو. أما الدنيا، فلأنها من دنا يدنو دنوا. وأما القصوى، فلأنها من قضا المكان يقصو قصوا إذا بُعد. قوله: (فكالقود) .. الخ. فإنه كان القياس فيه قلب الواو ألفًا لكنها لم تُقلب، فهي موافقة للاستعمال دون القياس. اهـ شهاب. وفي مختار الصحاح: القود - بفتحين - القصاص. اهـ.

قوله: (أي العير) أي القافلة. قوله: (بثلاثة أميال) الميل بالكسر عند القدماء من أهل الهيئة: ثلاثة آلاف ذراع، وعند المحدثين أربعة آلاف ذراع، والخلاف لفظي؛ لأنهم اتفقوا على أن مقداره ست وتسعون ألف أصبع، والأصبع ست شعيرات بطن كل واحدة إلى الأخرى، ولكن القدماء يقولون الذراع اثنتان وثلاثون أصبعًا، والمحدثون يقولون أربع وعشرون أصبعًا، فإذا قُسم الميل على رأي القدماء كل ذراع اثنين وثلاثين أصبعًا كان المتحصل ثلاثة آلاف ذراع، وإن قُسم على رأي المحدثين أربعًا وعشرين كان المتحصل أربعة آلاف ذراع، والفرسخ عند الكل ثلاثة

فِي أَلْيَعَدُّ لَخَالَفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا (فثبطكم) قَلْتَكُمْ وَكَثَرْتَهُمْ عَنِ الْوَفَاءِ بِالْمَوْعِدِ، وَثَبُطُهُمْ: مَا فِي قُلُوبِهِمْ (مَنْ تَهَيَّبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) وَالْمُسْلِمِينَ فَلَمْ يَتَّفِقْ لَكُمْ مِنَ التَّلَاقِي مَا وَفَّقَهُ اللَّهُ وَسَبَّبَ لَهُ ﴿وَلَنْكَرٌ﴾ جَمَعَ بَيْنَكُمْ بِلَا مِيعَادٍ ﴿لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَقْضُوعًا﴾ مِنْ إِعْزَازِ دِينِهِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، أَوْ اللَّامِ تَتَعَلَّقُ بِمَحْذُوفٍ أَيْ لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ وَهُوَ نَصْرُ أَوْلِيَائِهِ وَقَهْرُ أَعْدَائِهِ دَبَرَ ذَلِكَ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْقَضَاءُ يَحْتَمِلُ الْحُكْمَ أَيْ لِيُحْكَمَ مَا قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ كَائِنًا، أَوْ لِيَتِمَّ أَمْرًا كَانَ قَدْ أَرَادَهُ، وَمَا أَرَادَ كَوْنَهُ فَهُوَ مَفْعُولٌ (لَا مُحَالَةً) وَهُوَ عَزَّ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ وَ(ذَلَّ الْكُفْرَ وَحَزَبَهُ) وَيَتَعَلَّقُ بِـ «يَقْضَى» ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (حَكٌّ) نَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو، فَالِإِدْغَامُ لِلتَّلَاقِ الْمُثْلِينَ، وَالِإِظْهَارُ لِأَنَّ حَرَكَةَ الثَّانِي غَيْرَ لَازِمَةٍ، لِأَنَّكَ تَقُولُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ «يَحْيَا» وَالِإِدْغَامُ أَكْثَرُ. اسْتَعِيرَ الْهَلَاكَ وَالْحَيَاةَ لِلْكَفْرِ وَالْإِسْلَامِ أَيْ لِيَصْدُرَ كُفْرٌ مِنْ كُفْرٍ عَنْ وَضُوحٍ بَيِّنَةٍ لَا عَنْ مُخَالَجَةٍ شَبْهَةٍ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ، وَيَصْدُرُ إِسْلَامٌ مَنْ أَسْلَمَ أَيْضًا عَنْ يَقِينٍ وَعِلْمٍ بِأَنَّ دِينَ الْحَقِّ الَّذِي يَجِبُ الدُّخُولُ فِيهِ وَالتَّمَسُّكُ بِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ وَقْعَةَ بَدْرِ مِنَ الْآيَاتِ الْوَاضِحَةِ الَّتِي مِنْ كُفْرٍ بَعْدَهَا كَانَ مَكَابِرًا لِنَفْسِهِ مَغَالِطًا لَهَا.

أَمِيَالٍ، وَإِذَا قَدَّرَ الْمِيلَ بِالْغُلُوتِ^(١)، وَكَانَتْ كُلُّ غُلُوةٍ أَرْبَعُمِائَةِ ذِرَاعٍ، كَانَ ثَلَاثِينَ غُلُوةً، وَإِنْ كَانَتْ الْغُلُوةُ مَائَتِي ذِرَاعٍ كَانَ سِتِّينَ غُلُوةً. أَهـ مَصْبَاحٌ. قَوْلُهُ: (فثبطكم) ... الخ. فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ: ثَبَّطَهُ عَنِ الْأَمْرِ تَثْبِيْطًا شَغَلَهُ عَنْهُ. أَهـ. قَوْلُهُ: (مَنْ تَهَيَّبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) فِي مَخْتَارِ الصَّحَاحِ: الْهَيْبَةُ الْمَهَابَةُ، وَهِيَ الْإِجْلَالُ وَالْمَخَافَةُ وَقَدْ هَابَهُ يَهَابُهُ وَالْأَمْرُ مِنْهُ هَبٌّ - بَفَتْحِ الْهَاءِ - وَتَهَيَّبَتْهُ خَفَّتُهُ وَتَهَيَّبَنِي خَوْفَنِي. أَهـ. وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ: قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: تَهَيَّبْتُ الشَّيْءَ وَتَهَيَّبَنِي خَفَّتُهُ وَخَوْفَنِي. أَهـ. قَوْلُهُ: (لَا مُحَالَةً) أَيْ لَا بَدَّ. قَوْلُهُ: (ذَلَّ الْكُفْرَ) الذَّلُّ - بِالضَّمِّ - ضَدُّ الْعِزِّ. قَوْلُهُ: (وَحَزَبَهُ) أَيِ أَصْحَابِهِ. قَوْلُهُ: ﴿حَكٌّ﴾ بِكَسْرِ الْيَاءِ الْأُولَى مَعَ فَكِّ الْإِدْغَامِ وَفَتْحِ الثَّانِيَةِ (نَافِعٌ) الْمَدْنِيُّ، وَكَذَا أَبُو جَعْفَرٍ الْمَدْنِيُّ وَلَيْسَ مِنَ السَّبْعَةِ، (وَأَبُو عَمْرٍو) الصَّوَابُ أَبُو بَكْرٍ كَمَا فِي نَسْخَةٍ صَحِيحَةٍ، وَكَذَا الْبَزِّيُّ وَقَبْلَ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ شَنِوْذٍ وَيَعْقُوبُ وَخَلْفَ عَنْ نَفْسِهِ. وَالْبَاقُونَ بَيَاءٌ مُشَدَّدَةٌ مُفْتُوحَةٌ، وَبِهِ قَرَأَ قَبْلَ

(١) جَمَعَ غُلُوةً، مِثْلَ شَهْوَةٍ وَشَهْوَاتٍ. ١٢ مِنْهُ عَمَّ فَيَضُهُمْ.

ولهذا ذكر فيها (مراكز) الفريقين، وأن العير كانت أسفل منهم مع أنهم قد علموا ذلك كله مشاهدة ليعلم الخلق أن النصر والغلبة لا تكون بالكثرة والأسباب بل بالله تعالى، وذلك أن العدو القصوى التي (أناخ) بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضاً لا بأس بها، ولا ماء بالعدو الدنيا وهي (خبار تسوخ) فيها الأرجل ولا يمشي فيها إلا بتعب ومشقة، وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة (عددهم) وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان ما كان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَنَاهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَدَاتِ الضُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ نصب بإضمار «اذكر»، أو هو متعلق بقوله: ﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي بعلم المصالح إذ يقللهم في عينك ﴿فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا﴾ أي في رؤياك، وذلك أن الله تعالى أراه إياهم في رؤياه قليلاً فأخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعاً لهم على عدوهم ﴿وَلَوْ أَرَنَاهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ﴾ (لجبنتم) و(هبتم) الإقدام ﴿وَلَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ﴾ أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار ﴿وَلَٰكِنَّ

من طريق ابن مجاهد. قوله: (مراكز) جمع مركز. في المصباح: المركز وزان مسجد موضع الثبوت. اهـ. وفي مختار الصحاح: مركز الدائرة وسطها، ومركز الرجل موضعه، يقال: أخل فلان بمركزه. اهـ. قوله: (أناخ) في مختار الصحاح: أُنخَتَ الجمل فاستناخ، أي أبركته فبرك. اهـ. قوله: (خبار) - بفتح الخاء المعجمة - أي أرض رخوة. في القاموس: الخبر كَسَحَاب ما لَانَ من الأرض واسترخى. اهـ. قوله: (تسوخ) فيها الأرجل، أي تغيب وتزل. قوله: (عددهم) العدد - بضم العين - جمع عُدَّة، وهو ما يُعَدُّ للحرب وغيره كالسلاح.

قوله: (لجبنتم) في المصباح: جبن جبناً وزان قرب قرباً، وجبانة بالفتح، وفي لغة من باب قتل فهو جبان، أي ضعيف القلب، وامرأة جبان أيضاً، وربما قيل: جبانة، وجمع المذكر جبناء، وجمع المؤنث جبانات. اهـ. قوله: (هبتم) في المصباح: هابه يهابه من باب تعب هيبة حذره. قال ابن فارس: الهَيْبَةُ الإجلال، فالفاعل هائب والمفعول هيوب ومهيب أيضاً، ويهيبه من باب ضرب لغة. اهـ.

اللَّهُ سَكَنٌ ﴿٤٤﴾ عصم وأنعم بالسلامة من (الفشل) والتنازع والاختلاف ﴿إِنَّهُ عَلَيْهِ يَدَاتِ الصُّدُورِ﴾ يعلم ما سيكون فيها من الجراءة (والجبن) والصبر والجزع.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّفَقْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ الضميران مفعولان أي وإذ يبصركم إياهم ﴿إِذِ اتَّفَقْتُمْ﴾ وقت اللقاء ﴿فِي أَعْيُنِكُمْ قِيلًا﴾ هو نصب على الحال. وإنما قللهم في أعينهم تصديقاً لرؤيا رسول الله ﷺ، وليعانيوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويشبوا. قال ابن مسعود ؓ: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة وكانوا ألفاً ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ حتى قال قائل منهم: إنما هم (أكلة جزور). قيل: قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيما بعده ليجترئوا عليهم قلةً مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا، ويجوز أن يبصروا الكثير قليلاً بأن يستر الله بعضهم بساتر، أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين (الحول) ما يرون به الواحد اثنين، قيل لبعضهم: إن الأحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه (ديك واحد) فقال: ما لي لا أرى هذين الديكين أربعة: ﴿لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فيحكم فيها بما يريد ﴿تُرْجَعُ﴾ شامي) وحمزة وعلي.

قوله: (الفشل) بمعنى الجبن. قوله: (الجبن) في مختار الصحاح: الجبن صفة الجبان والجبن بضمين لغة. اهـ.

قوله: (أكلة) بوزن كتبه جمع آكل بوزن فاعل، (جزور) أي ناقة مثل يضرب به في القلة، أي قتلهم بحيث تُشبعهم جزور واحدة. قوله:

(الحول) جمع أخول. قوله: (ديك واحد) الديك ذكر الدجاج^(١). اهـ. مصباح. قوله: ﴿تُرْجَعُ﴾ بفتح التاء وكسر الجيم بالبناء للفاعل، (شامي) أي ابن

(١) تفتح الدال وتكسر، ومنهم من يقول: الكسر لغة قليلة. اهـ. مصباح. وفي مختار الصحاح: فتح الدال أفصح من كسرها، الواحدة دجاجة ذكرًا كان أو أنثى، والهاء للإفراد كحمامة وبطة. اهـ. وفي القاموس: الدجاجة م للذكر والأنثى ويثلاث. اهـ. وفي شرحه تاج العروس: والفتح أفصح ثم الكسر. اهـ. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ إذا حاربتهم جماعة من الكفار وترك
 وصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار، واللقاء اسم غالب للقتال
 ﴿فَاثْبُتُوا﴾ لقتالهم ولا تفروا ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في مواطن الحرب مستظهري
 بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم: اللهم اخذلهم اللهم اقطع (دابرهـم)
 ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة، وفيه إشعار بأن على
 العبد أن (لا يفتر) عن ذكر ربه (أشغل وما يكون قلباً) وأكثر ما يكون همًا، وأن
 تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت (متوزعة) عن غيره.

عامر الشامي، وحمزة وعلي الكسائي، وكذا يعقوب وخلف. والباقون بضم التاء
 وفتح الجيم.

قوله: (دابرهـم) أي آخرهم. في لسان العرب: دابر الشيء آخره، وقطع الله
 دابرهـم، أي آخر مَنْ بَقِيَ منهم، وفي التنزيل: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾
 [الأنعام: الآية ٤٥] أي استؤصل أمرهم، ودابة الشيء كدابره، وقال تعالى في موضع
 آخر: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: الآية
 ٦٦]، قولهم: قطع الله دابره. قال الأصمعي وغيره: الدابر الأصل، أي أذهب الله
 أصله، وفي حديث الدعاء: «وابعث عليهم بأسًا تقطع به دابرهـم» أي جميعهم حتى
 لا يبقى منهم أحد، ودابر القوم آخر مَنْ يَبْقَى منهم ويجيء في آخرهم. اهـ
 باختصار. قوله: (لا يفتر) الفترة الانكسار والضعف، وقد فتر الحر وغيره من باب
 دخل. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (أشغل) حال من ضمير لا يفتر أو من العبد وانتصابه على الظرفية
 (وما) مصدرية، وضمير (يكون) للعبد أي أشغل أكوانه بمعنى أوقات كونه، وهذا
 تركيب شائع مستفيض، إلا أن جعل (قلباً) تمييزاً أورث فيه إشكالاً، ولا إشكال
 لأنه إذا جاز إثبات الشغل للوقت فليُجز إثبات شغل القلب بلا فرق، ومن جعل ما
 بمعنى شيء، أي أشغل شيء يكون، أي فرد وإنسان بمعنى أشغل الناس قلباً إذا
 فصلوا فرداً فرداً، فقد ذهب بماء العبارة ورونقها. اهـ تفتازاني رحمه الله. قوله:
 (متوزعة) أي متفرقة.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤٦)
 ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في الأمر بالجهد والثبات مع العدو وغيرهما ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ فتجنبوا وهو منصوب بإضمار «أن» ويدلّ عليه ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي دولتكم يقال: «هبت رياح فلان» إذا (دالت) له الدولة ونفذ أمره، شبهت في نفوذ أمرها وتمشيته بالريح وهبوبها. وقيل: لم يكن نصر (قط) إلا بريح يبعثها الله، (وفي الحديث «نصرت بالصبا» وأهلكت عاد بالدبور» ﴿وَأَصْبِرُوا﴾ في القتال مع العدو وغيره ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي معينهم وحافظهم.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (٤٧)

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ﴾ هم أهل مكة حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت غيركم فأبى أبو جهل وقال: حتى نقدم بدرًا ونشرب بها الخمر وننحر الجزور و(تعزف) علينا (القيان) ونطعم بها العرب، فذلك بطرهم ورياءهم الناس بإطعامهم (فوافوها فسقوا كؤوس المنيا) مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان، فنهاهم أن يكونوا

قوله: (دالت) أي دارت. قوله: (قط) أي أبدًا. قوله: (وفي الحديث: «نصرت بالصبا»)... الخ. أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، والصبا ریح تهبّ في المستوى مطلع الشمس ويقابلها الدبور. اهـ شهاب رحمته الله. وفي مختار الصحاح: الصبا ریح ومهبّتها المُستوى، أي تهبّ من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار، ومقابلتها الدبور. اهـ. وفي المصباح: الدبور وزان رسول ریح تهبّ من جهة المغرب تقابل الصبا، ويقال: يقبل من جهة الجنوب ذاهبة نحو المشرق. اهـ.

قوله: (تعزف) من العزف - بعين مهملة مفتوحة وزاي ساكنة وفاء - وهو الطرب والضرب بالدفوف. قوله: (القيان) بكسر القاف جمع قينة - بفتح القاف وسكون الياء - الجارية مغنية أو لا، لكن المراد هنا المغنية. قوله: (فوافوها) أي جاؤوها. قوله: (فسقوا) أي شربوا. قوله: (كؤوس) جمع كأس. قال ابن الأعرابي: لا تسمى الكأس كأسًا إلا وفيها الشراب. (المنيا) جمع منية، أي

مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم، وأن يكونوا من أهل التقوى (والكآبة) والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله. (والبطر) أن تشغله كثرة النعمة عن شكرها. ويصدون عن سبيل الله، دين الله ﴿وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ عالم وهو وعيد.

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٤٨)

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ واذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله ﷺ، ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون. وغالب مبني نحو «لا رجل» و﴿لَكُمْ﴾ في موضع رفع خبر «لا». تقديره: لا غالب كائن لكم ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ أي مجير لكم أوهمهم أن طاعة الشيطان مما يجيرهم ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ﴾ فلما تلاقى الفريقان ﴿نَكَصَ﴾ الشيطان هارباً ﴿عَلَىٰ عَقَبَيْهِ﴾ (أي رجع القهقري) ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾ أي رجعت عما ضمنت لكم من الأمان. رُوي أن إبليس تمثل لهم في صورة (سراقه بن مالك بن جعشم) في جند من الشياطين معه راية، فلما رأى الملائكة تنزل نکص مالک بن جعشم في جند من الشياطين معه راية، فلما رأى الملائكة تنزل نکص

الموت. قوله: (الكآبة) - بالمد - سوء الحال والانكسار من الحزن. قوله: (والبطر) بفتحيتين.

قوله: (أي رجع القهقري) في مختار الصحاح: القهقري الرجوع إلى خلف، ورجع القهقري أي رجع الرجوع المعروف بهذا الاسم؛ لأن القهقري ضرب من الرجوع. اهـ. وقال العلامة شيخ زاده رحمه الله: قوله: رجع القهقري قيل: هذا أصل معنى النكوص، إلا أنه قد اتسع فيه حتى استعمل في كل رجوع وإن لم يكن قهقري، والمراد مطلق الرجوع؛ لأنه كناية عن الفرار، وفيه بحث؛ لأن غالب الفرار حال القتال إنما هو كما ذكر، وهو رجوع القهقري لخوف الفاز من جهة العدو. وقوله: ﴿عَلَىٰ عَقَبَيْهِ﴾ [الأنفال: الآية ٤٨]، حال مؤكدة؛ لأن رجوع القهقري إنما يكون على العقبين. اهـ.

قوله: (سراقه بن مالك بن جعشم) هو أبو سفيان سراقه بن مالك بن جُعْشُم بن مالك الكناني والمدلجي الحجازي الصحابي، وجُعْشُم - بضم الجيم

فقال له (الحارث بن هشام): أتخذلنا في هذه الحالة؟ فقال: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ أي الملائكة وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا: هزم الناس سراقا. فبلغ ذلك سراقا فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنني هزيمتكم، فلما أسلموا علموا أنه الشيطان ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ أي عقوبته ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ اذكروا.

﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤٩)

﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ﴾ بالمدينة ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ (هو من صفة المنافقين، أو أريد والذين هم على حرف) ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر

والشين المعجمة - هذا قول الجمهور من الطوائف، وحكى الجوهري ضمّ الشين وفتحها، وسراقا من مشهوري الصحابة. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ تسعة عشر حديثاً، روى البخاري أحدها. وروى عنه ابن عباس وجابر رضي الله تعالى عنهما، ومن التابعين سعيد بن المسيّب، وابنه محمد بن سراقا، وكان ينزل قديداً - بضم القاف - بين مكة والمدينة، وقيل: سكن مكة ويعدّ في أهل المدينة. أسلم عند النبي ﷺ بالجعرانة حين انصرف من حنين والطائف. توفي سراقا في أوّل خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه سنة أربع وعشرين، وقيل: توفي بعد عثمان رضي الله تعالى عنه، والصحيح الأوّل.

قوله: (الحارث بن هشام) بن مغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أبو عبد الرحمن المكيّ، من مسلمة الفتح. استشهد بالشام في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، وله ذكر في الصحيحين أنه سأل عن كيفية مجيء الوحي.

قوله: (هو من صفة المنافقين) وتوسّطت الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف؛ لأن هذه صفة للمنافقين لا تنفك عنهم. قوله: (أو أريد والذين هم على حرف) أي شكّ، وهم قوم من أهل مكة تكلموا بالإسلام، ولم يقو الإسلام في قلوبهم ولم يتمكن، فلما خرج كفار قريش إلى حرب رسول الله ﷺ خرجوا معهم إلى بدر، فلما نظروا قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا: ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٤٩].

إلى (زهاء) ألف. ثم قال جواباً لهم ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يكل إليه أمره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يسوي بين وليه وعدوه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ ولو عاينت وشاهدت (لأن «لو» ترد المضارع إلى معنى الماضي) كما ترد «إن» الماضي إلى معنى الاستقبال ﴿إِذْ﴾ نصب على الظرف ﴿يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بقبض أرواحهم ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ فاعل ﴿يَضْرِبُونَ﴾ حال منهم ﴿وُجُوهَهُمْ﴾ إذ أقبلوا ﴿وَأَذْبَرَهُمْ﴾ ظهورهم و(أستاهم) إذا أدبروا، أو وجوههم عند الإقدام وأدبارهم عند الانهزام. وقيل: في ﴿يَتَوَفَّى﴾ ضمير الله تعالى، و﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ مرفوعة بالابتداء و﴿يَضْرِبُونَ﴾ خبر والأول الوجه، لأن الكفار لا يستحقون أن يكون الله متوفيهم بلا واسطة دليله (قراءة ابن عامر «تتوفى» بالناء) ﴿وَذُوقُوا﴾ ويقولون لهم ذوقوا معطوف على ﴿يَضْرِبُونَ﴾ ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (أي مقدمة عذاب النار)، أو ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به، أو يقال لهم يوم القيامة: ذوقوا. وجواب «لو» محذوف أي لرأيت أمراً (فظيحاً).

قوله: (زهاء) بضم الزاي المعجمة والمد بمعنى قريب منه سواء كانوا أقل أو أكثر.

قوله: (لأن «لو» ترد المضارع إلى معنى الماضي) قال العلامة التفتازاني رحمه الله: لا بد أن يحمل معنى المضارع ههنا على الفرض، والتقدير كأنه قيل: قد مضى هذا المعنى ولم تره، ولو رأيته لرأيت أمراً فظيحاً، وإلا فظاهر أنه ليس المعنى ههنا على حقيقة المضارع. اهـ.

قوله: (أستاهم) جمع استه - بالتحريك - مثل سبب وأسباب بمعنى العجز، ويُراد به حلقة الدبر. قوله: (قراءة ابن عامر) الشامي («تتوفى» بالناء) على التأنيث، والباقون قرؤوا بياء الغيبة. قوله: (أي مقدمة عذاب النار) يعني أن عذاب الحريق إشارة إلى عذاب نار جهنم، لكن على حذف المضاف. قوله: (فظيحاً) أي شنيعاً.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٥١)

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي كسبت وهو رد على (الجبرية)، وهو من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة. ﴿وَذَلِكَ﴾ رفع بالابتداء و﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ﴾ خبره ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ عطف عليه أي ذلك العذاب بسببين: بسبب كفركم ومعاصيكم، وبأن الله ﴿لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ لأن تعذيب الكفار من العدل. (وقيل: ظلام للتكثير لأجل العبيد)، أو لنفي أنواع الظلم.

﴿كَذَابَ آلَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٥٢) ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣)

الكاف في ﴿كَذَابَ آلَ فِرْعَوْنَ﴾ في محل الرفع أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون، ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه أي داوموا عليه ﴿وَالَّذِينَ مِنْ

قوله: (الجبرية) في المصباح: الجبر وزان فلس خلاف القدر، وهو القول بأن الله يجبر عباده على فعل المعاصي، وهو فاسد، وتُعرف أدلته من علم الكلام، بل هو قضاء الله على عباده بما أراد وقوعه منهم؛ لأنه تعالى يفعل في ملكه ما يريد ويحكم في خلقه ما يشاء، وينسب إليه على لفظه فيقال: جبري، وقوم جبرية - بسكون الباء - وإذا قيل: جبرية وقدرية جاز التحريك للازدواج. اهـ. قوله: (وقيل: ظلام للتكثير لأجل العبيد) جواب عما يقال ظلام بناء المبالغة، فمدلول الآية انتفاء كونه تعالى كثير الظلم، وهو لا ينافي جواز اتصافه تعالى بأصل الظلم، بل يدل على اتصافه به بناء على قاعدة رجوع النفي إلى القيد، وهو محال.

وتقرير الجواب: أَنَّ الظلام للتكثير، فيدل على كثرة الظلم بالقياس إلى كل فرد من أفراد العبيد حتى يقال: انتفاء كثرة الظلم بالقياس إلى كل فرد لا ينافي أن يظلمه في الجملة، بل الكثرة المنفية إنما هي بإزاء كثرة أفراد العبيد على طريق التوزيع، كما يقال في مقابلة الجمع بالجمع، فَإِنَّ العبيد يدل على الكثرة، بل على الاستغراق، فالظالم لهم يكون كثير الظلم لإصابة كل واحد منهم ظلمًا على حدة، فصار المعنى أنه تعالى ليس بظالم لهذا ولا لذاك إلى ما لا يحصى، والمنفي عن كل عبد إنما هو أصل الظلم، وهو المطلوب.

﴿قَالِهِمْ﴾ من قبل قريش أو من قبل آل فرعون ﴿كَفَرُوا﴾ تفسير لدأب آل فرعون ﴿يَايَنْتِ اللَّهُ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَذُوبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ والمعنى جروا على عادتهم في التكذيب فأجرى عليه مثل ما فعل بهم في التعذيب ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب أو الانتقام ﴿يَاكَ اللَّهُ لَمْ يَكْ مُعِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَذِّبُوا مَا بِنَفْسِهِمْ﴾ بسبب أن الله لم يصح في حكمته أن يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال، نعم لم يكن لآل فرعون ومشركي مكة حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة، لكن لما تغيرت الحال المرضية إلى المسخوطة تغيرت الحال المسخوطة إلى أسخط منها، وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول ﷺ إليهم كفرة عبدة أصنام، فلما بعث إليهم بالآيات فكذبوه وسعوا في إراقة دمه، غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت فغير الله ما أَنْعَمَ به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما يقول مكذبوا الرُّسُلَ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بما يفعلون.

﴿كَذَابَ آلَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَذُوبُهُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾

﴿كَذَابَ آلَ فِرْعَوْنَ﴾ تكرير للتأكيد، أو لأن في الأولى الأخذ بالذنوب بلا بيان ذلك، وهنا بين أن ذلك هو الإهلاك والاستئصال ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ (وفي قوله: ﴿يَايَنْتِ رَبِّهِمْ﴾ زيادة دلالة) على كفران النعم وجحود الحق ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَذُوبُهُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ بماء البحر ﴿وَكُلٌّ﴾ وكلهم من (غرقى) القبط و(قتلى) قريش ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي أصروا على الكفر فلا يتوقع منهم الإيمان.

قوله: (وفي قوله: ﴿يَايَنْتِ رَبِّهِمْ﴾ زيادة دلالة) حيث لم يقل بها أو بآياته مع سبق بآيات الله، بل ﴿يَايَنْتِ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: الآية ٥٤] بلفظ الرب المضاف إليهم المُشْعِر بكونه مالِكهم والمنعم عليهم. قوله: (غرقى) جمع غريق. قوله: (قتلى) جمع قتل.

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ (٥٦)

(﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾) بدل من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي الذين عاهدتهم من الذي كفروا وجعلهم شرّ الدواب، لأن شرّ الناس الكفار وشرّ الكفار المصرون وشرّ المصرين الناكثون للعهود ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ في كل معاهدة ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار.

قوله: (﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾) ... الخ. الحاصل أنّ هذه الآية يُفهم منها عذّة مسائل، منها: أن الذمي إذا نقض عهده فحكمه حكم الحربيّ حيث أمر بإكثار قتلهم، وبه تمسك بعض مشايخنا سلّمه الله تعالى في بعض رسائله أنّ من يسكنون في القرى ويعطون خراج كلّاً أو بعضاً في وقت إقامة السلطان وتسلب الحكام ويلحقون مع أهل الحرب في أدنى تفرقة للحكام، ويخربون بيوت المسلمين وأمصارهم وقراهم من مواشيهم وأهليهم مع أهل الحرب ويلحقون بدار الحرب، كما هو المتعارف في زماننا، والأكثر في بلادنا والمعروف في أطرافنا، فهم حربيون قطعاً وقيناً بلا شبهة ولا ريب يجب قتلهم بالنص المنادي كل مرة، وسيجيء الآيات الأخر الواردة في هذا الباب في سورة البراءة إن شاء الله تعالى.

ومنها أن الغدر منع؛ لأن معنى قوله تعالى: ﴿فَأَيُّدُ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنفال: الآية ٥٨] على حسب ما ذكر في التفاسير: فاطرح عليهم العهد، وقل لهم: إنّنا لا نعاهد منكم، بل نغلب عليكم ونقتلكم. وقال في شرح الوقاية أيضاً: التّبذ نقض المصالحة مع إخبارهم بذلك، فقد شرط الإخبار بنقض العهد مع خوف الخيانة، فالعذر هو الغلبة عليهم مع الإخبار بخلافه أولى أن يمنع منه. ومنها أنّ طرح العهد عند خوف الخيانة واجب على ما هو الظاهر، وهذا إذا لم يوجد منهم خيانة، ويكون مجرّد خوف. أمّا إذا وجد منهم خيانة، فإن كان من البعض من غير منعة لا يكون نقضاً للعهد، وإن كان من منعة يكون نقضاً في حقهم دون غيرهم، وإن كان ذلك بإذن الملك أو كان ذلك باتفاق الكلّ كان ذلك نقضاً للعهد وخيانة، فإن وجد منهم ذلك بدءاً، فلا حاجة إلى التبذ، أي قوتلوا قبل نبذ لو بدؤوا بالخيانة. وأمّا إذا عدم خوف الخيانة ووجودها، وقد كان صالحهم الإمام قبل ذلك، فإن كان نقض الصلح أنفع نبذ إليهم وقتلهم؛ لأن المصلحة تبدل حينئذ كما نصّ به في الهداية، والله أعلم. اهـ التفسيرات الأحمدية.

﴿فَإِمَّا تَثَقَّفَنَّهٗمۡ فِي الْحَرِّبِ فَتَشِدَّ بِهِمۡ مِّنۡ خَلْفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿٥٧﴾

﴿فَإِمَّا تَثَقَّفَنَّهٗمۡ فِي الْحَرِّبِ﴾ فيما (تصادفهم وتظفرن بهم) ﴿فَتَشِدَّ بِهِمۡ مِّنۡ خَلْفَهُمۡ﴾ ففرق عن محاربتك و(مناصبتك) بقتلهم شز قتلة (والنكاية) فيهم (من وراءهم) من الكفرة حتى لا (يجسر) عليك بعدهم أحد اعتباراً بهم واتعاضاً بحالهم. وقال الزجاج: افعل بهم ما تفرق به جمعهم وتطرد به من عداهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ (لعل المشردين) من ورائهم يتعظون.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنۡ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۡذِرۡ إِلَيْهِمۡ عَلَىٰ سَوَاءٍۭ إِنَّا لِلَّهِ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ ﴿٥٨﴾

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنۡ قَوْمٍ﴾ (معاهدين) ﴿خِيَانَةً﴾ نكثاً بأمارات تلوح لك ﴿فَانۡذِرۡ إِلَيْهِمۡ﴾ (فاطرح إليهم العهد) ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍۭ﴾ على استواء منك ومنهم في العلم بنقض العهد وهو حال من النابذ والمنبوذ إليهم (أي حاصلين) على استواء في العلم ﴿إِنَّا لِلَّهِ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ الناقضين للعهود.

قوله: (تصادفهم) أي تلاقيتهم، ولما لم يكن الملاقاة مستلزماً للظفر مع أن المقصود الظفر، قال: قوله: (وتظفرن بهم). اهـ قنوي. وفي لسان العرب: صادفت فلاناً، أي لاقيته ووجدته. اهـ. قوله: (مناصبتك) - بالصاد المهملة والباء الموحدة - وهي المعادة والمحاربة. قوله: (النكاية) في مختار الصحاح: نكى في العدو قتل فيهم وجرح ينكي نكاية. اهـ. وفي المصباح: نكأت في العدو نكاً من باب نفع أيضاً. لغة في نكيت فيه أنكى من باب رمى، والاسم النكاية - بالكسر - إذا قتلت وأثخت. اهـ. قوله: (من ورائهم) مفعول فرق. قوله: (يجسر) في مختار الصحاح: جَسَرَ على كذا إقدام، يجسُر - بالضم - جَسَارَةً بالفتح. اهـ. قوله: (لعل المشردين) بصيغة المفعول، يعني أن ضمير ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٥٧] مرجعه من خلفهم، فإنهم إذا رأوا ما حلّ بالناظرين تذكروا واتعظوا.

قوله: (معاهدين) هذا الوصف مستفاد من خيانة؛ إذ النقص بعد العهد. قوله: (فاطرح إليهم العهد) التَّبَذُّ الطَّرْحُ، وهو مجاز عن إعلامهم بأن لا عهد بعد اليوم، فشبه العهد بالشيء الذي يُرمى لعدم الرغبة فيه، وأثبت التبذ له تخيلاً ومفعوله محذوف، وهو العهد. قوله: (أي حاصلين) أي أنت وهم. اهـ التفتازاني رحمه الله.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ ﴿٥٩﴾

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء وفتح السين: (شامي) و(حمزة) و(يزيد) و(حفص)، وبالتاء وفتح السين: (أبو بكر)، وبالتاء وكسر السين: غيرهم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ فاتوا و(أفلتوا) من أن يظفر بهم ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ (أنهم) لا يفتوتون ولا يجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم «أنهم» (شامي) أي لأنهم، وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل غير أن المكسورة على طريقة الاستئناف، والمفتوحة تعليل صريح؛ فَمَنْ قرأ بالتاء فـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول أول والثاني ﴿سَبَقُوا﴾ وَمَنْ قرأ بالياء فـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل و﴿سَبَقُوا﴾ مفعول تقديره أن سبقوا فحذف «أن»، و«أن» مخففة من الثقيلة أي أنهم سبقوا فسد مسد المفعولين، أو يكون الفاعل مضمراً أي ولا يحسبن محمد الكافرين سابقين وَمَنْ أذعى. تفرد حمزة بالقراءة، ففيه نظر لما بيناه من عدم تفرد به. وعن (الزهري) أنها نزلت فيمن (أفلت من فلّ المشركين).

قوله: (شامي) أي ابن عامر الشامي. قوله: (حمزة) بن حبيب الزيات. قوله: (يزيد) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع القاري المدني، وقارة موضع من المدينة، وليس من السبعة. قوله: (حفص) عن عاصم. قوله: (أبو بكر) شعبة بن عياش عن عاصم رحمته الله. قوله: (أفلتوا) في المصباح: أفلت الطائر وغيره إفلاتا تخلص، وأفلته إذا أطلقته وخلصته يستعمل لازماً ومتعدياً. قوله: «أنهم» بفتح الهمزة على إسقاط لام العلة (شامي) أي ابن عامر الشامي، والباقون بكسرها.

قوله: (الزهري) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري المدني، سكن الشام، وكان بأيلة، ويقولون تارة الزهري، وتارة ابن شهاب، ينسبونه إلى جدّ جدّه وهو تابعي ومناقبه والثناء عليه وعلى حفظه أكثر من أن تُحصر. توفي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، ودُفن بقرية له بأطراف الشام، يقال لها شغبند - بشين مفتوحة وغين ساكنة معجمتين وبياء موحدة مفتوحة ثم دال مهملة مفتوحة مخففة -. قوله: (أفلت) أي خلص. قوله: (من فلّ المشركين) بفتح الفاء وتشديد اللام أي منهزميهم، والفّل القوم المنهزمون، وهو مصدر سُمي به يقع على الواحد والاثنين والجمع.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
وَوَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ
وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ﴾ ﴿٦٠﴾

﴿وَأَعِدُّوا﴾ أيها المؤمنون ﴿لَهُمْ﴾ لناقضي العهد أو لجميع الكفار ﴿مَا
اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ من كل (ما يتقوى به في الحرب من عددها وفي الحديث) «ألا
إن القوة (الرمي)» قالها ثلاثاً على المنبر. وقيل: هي الحصون ﴿وَمِنْ رِبَاطِ
الْخَيْلِ﴾ (هو اسم للخيل التي تربط) في سبيل الله، (أو هو جمع رباط) كفصيل
وفصال، (وخص الخيل) من بين ما يتقوى به كقوله: ﴿(وَجَبْرِيلَ) وَمِيكَائِيلَ﴾ [البقرة:
الآية ٩٨] ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ﴾ بما استطعتم ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿وَوَآخَرِينَ

قوله: (ما يتقوى به في الحرب) أي فأطلق عليه القوة مبالغة. قوله: (من
عددها) العدد - بضم العين - جمع عدة، وهو ما يُعدُّ للحرب وغيرها كالسلاح.
قوله: (وفي الحديث): «ألا إن القوة»... الخ. أخرجه مسلم عن عقبة بن عامر
رضي الله عنه. قوله: (الرمي) أي الرمي بالنشاب والقيسي. قوله: (هو اسم للخيل التي
تربط)... الخ. قيل: يلزم عليه إضافة الشيء لنفسه حينئذ، ورد بأن المراد أن
الرباط بمعنى المربوط مطلقاً، إلا أنه استعمل في الخيل وخص بها، فالإضافة
باعتبار عموم المفهوم الأصلي. وقيل: إن قوله: اسم للخيل التي تربط تفسير
لمجموع رباط الخيل لا للرباط وحده، فلا يحتاج إلى توجيه، وهذا بالآخرة يرجع
إلى ما ذكره المجيب، وليس غيره كما توهم. وقيل: الرباط مشترك بين معانٍ
أخر؛ كانتظار الصلاة وغيره، فإضافته لأحد معانيه للبيان كعين الشمس، ومنه يُعلم
أنه يجوز إضافة الشيء لنفسه إذا كان مشتركاً، وإذا كان من إضافة المطلق للمقيّد،
فهو على معنى من التبعية، وفيه ما مرّ. اهـ شهاب رحمه الله. قوله: (أو هو جمع
رباط) بمعنى مربوط. قوله: (وخص الخيل)... الخ. أي هذا العطف من قبيل
عطف الخاص على العام للتنبيه على فضلها حتى كأنها ليست من جنس القوة، بل
هي أمر وراء القوة؛ لأن فيها مزية وشرفاً ليست في غيرها، فباعتبار ذلك كأنها
خرجت من إعداد أفراد العام، ولا يُعرف حكمها منها، فصَحَّ العطف بالنظر إلى
هذا التغاير الوصفي المنزل منزلة التغاير الذاتي، وإلى هذا التفصيل أشار بقوله:
كقوله: ﴿(وَجَبْرِيلَ)﴾... الخ.

مِنْ دُونِهِمْ ﴿غَيْرِهِمْ وَهَمَّ الْيَهُودُ، أَوْ الْمَنَافِقُونَ، أَوْ أَهْلُ (فَارِس) أَوْ كَفَرَةُ الْجَنِّ. فِي الْحَدِيثِ «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَقْرُبُ صَاحِبَ فَرَسٍ وَلَا دَارًا فِيهَا فَرَسٌ (عَتِيقٌ)». وَرُويَ أَنَّ (صَهِيلَ الْخَيْلِ) يَرْهَبُ الْجَنِّ ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾ (لَا تَعْرِفُونَهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ) ﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ يُوفَّرُ عَلَيْكُمْ جَزَاؤُهُ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ فِي الْجَزَاءِ بَلْ تَعْطُونَ عَلَى التَّمَامِ.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾) مَالُو، جَنَحَ لَهُ وَإِلَيْهِ مَالٌ ﴿لِلسَّلَامِ﴾ لِلصَّلَاحِ

قوله: (فَارِس) بلد. قوله: (عَتِيق) أي سابق. قوله: (صَهِيل الْخَيْلِ) الصَّهِيل - بالفتح - صوت الفرس. قوله: (لَا تَعْرِفُونَهُمْ بِأَعْيَانِهِمْ) جعل العلم بمعنى المعرفة لتعذيه لواحد، وقد جَوَزَ أَنْ تَكُونَ عَلَى أَصْلِهِ وَمَفْعُولُهُ الثَّانِي مَحْذُوفٌ، أَيْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ مُحَارِبِينَ لَكُمْ، أَوْ مُعَادِينَ وَهُوَ تَكَلَّفٌ، وَقَالَ بِأَعْيَانِهِمْ لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ تَتَعَلَّقُ بِالذَّوَاتِ.

قوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾) . . . الخ. الآية دليل على أَنَّ الصَّلَاحَ مَعَهُمْ جَائِزٌ وَقَدْ الْمَصْلَحَةُ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ صَاحِبُ الْهَدَايَةِ، حَيْثُ قَالَ: وَإِذَا رَأَى الْإِمَامُ أَنَّ يُصَالِحَ أَهْلَ الْحَرْبِ أَوْ فَرِيقًا مِنْهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ مَصْلَحَةً لِلْمُسْلِمِينَ، فَلَا بَأْسَ بِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: الآية ٦١]، ووَادَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ مَكَّةَ عَامَ الْحُدُوبِ عَلَى أَنْ يَضَعَ الْحَرْبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ عَشْرَ سَنِينَ، هَذَا لَفْظُهُ. وَقَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: الآية ٢٩]. وَعَنْ مُجَاهِدٍ: بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٥]، وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْأَمْرَ مُوقُوفٌ عَلَى مَا يَرَى فِيهِ الْإِمَامُ صَلاَحَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ مِنْ حَرْبٍ أَوْ سَلَمٍ، وَلَيْسَ يَحْتَمُّ أَنْ يَقَاتِلُوا أَبَدًا أَوْ يُجَابُوا إِلَى الْهَدَنَةِ^(١) أَبَدًا، وَقَالَ الْقَاضِي: وَالْآيَةُ مَخْصُوصَةٌ بِأَهْلِ الْكِتَابِ لَا تَصَالِحُا بِقَضَتِهِمْ، وَقِيلَ: عَامَّةٌ نَسَخَتْهَا آيَةُ السَّيْفِ، وَلَعَلَّ مَنْشَأَ كُلِّ ذَلِكَ كَوْنُ الْأَمْرِ لِلْجُوبِ أَوْ الْجَوَازِ، فَإِنْ كَانَ لِلْجُوبِ فَالْأَمْرُ كَمَا قَالَ الْقَاضِي، وَإِنْ كَانَ لِلْجَوَازِ

(١) بِالضَّمِّ الْمَصَالِحَةُ. اهـ قَامُوسٌ. ١٢ مِنْهُ عَمَ فِيضُهُمْ.

(وبكسر السين): أبو بكر (وهو) مؤث (تأنيث ضدها وهو الحرب) ﴿فَاجْتَحِ لَهَا﴾ فمل إليها ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ولا تخف من إبطانهم المكر في جنوحهم إلى السلم فإن الله كافيك وعاصمك من مكرهم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالك ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالك.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ يمكروا ويغدروا ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ كافيك الله ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ﴾ قواك ﴿بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ جميعاً أو بالأنصار ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ﴾ قلوب (الأوس والخزرج) بعد تعدادهم مائة وعشرين سنة ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي بلغت عداوتهم مبلغاً لو أنفق منفق في إصلاح (ذات بينهم) ما في الأرض من الأموال لم يقدر عليه ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ بفضلِهِ ورحمته وجمع بين كلمتهم بقدرته، فأحدث بينهم التواذ والتحاب (أماط) عنهم التباغض والتماقت ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ يقهر من يخدعونك ﴿حَكِيمٌ﴾ ينصر من يتبعونك.

ومقيّداً بالمصلحة فالأمر كما قال صاحب الكشف والهداية، ولم يتعرض له باقي المفسرين. اهـ التفسيرات الأحمديّة.

قوله: (وبكسر السين) أبو بكر وشعبة عن عاصم رضي الله عنه. والباقون بالفتح لغتان. قوله: (وهو) أي السلم مؤث (تأنيث ضدها وهو الحرب)، فإنها مؤنثة سماعية.

قوله: (الأوس) قبيلة من اليمن، وهو أوس بن قيلة أخو الخزرج منهما الأنصار وقيلة أُمهما. اهـ لسان العرب. قوله: (الخزرج) قبيلة الأنصار غير قبيلة الأنصار هي الأوس وهي الخزرج ابنا قيلة، وهي أُمهما نُسبا إليها وهما ابنا حارثة بن ثعلبة من اليمن. اهـ لسان العرب. قوله: (ذات بينهم) أي العداوة. قوله: (أماط) أي أبعد.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٤﴾

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ الواو بمعنى «مع» وما بعده منصوب، والمعنى كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصرًا. ويجوز أن يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكفاك أتباعك من المؤمنين. قيل: أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلًا وست نسوة ثم أسلم عمر فترلت:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبَرُوا بِمِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا آلَ مَنْ أَلَدَتْ كُفْرًا إِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٦٥﴾

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ (التحريض المبالغة في الحث على

قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ (إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾) هاتان الآيتان أولهما منسوخة والأخرى ناسخة لها، وما من آية في القرآن منسوخة عقيبها ناسختها تلاوة سوى هذه الآية والتي في المجادلة، وبيانها واضح وهو أن الآية الأولى ذكر فيها تحريض المؤمنين على القتال أولًا بقوله تعالى: ﴿حَرِضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: الآية ٦٥] يعني بالغ في حثهم على القتال، وإليه الإشارة في كلام صاحب الهداية، حيث قال: إن التنفيل من جملة التحريض المندوب إليه، أي بقوله تعالى: ﴿حَرِضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال: الآية ٦٥] على ما مر، ثم ذكر فيها أن الكفار إذا كانوا مضاعفين على المسلمين بعشرة درجات يكون فرار المؤمنين منهم ممنوعًا، مثلًا أن يكون المؤمنون عشرين، وكانت الكفار مائتين يجب على المؤمنين القتال معهم، وهكذا إن كان المسلمون مائة والكفار ألفًا يجب على المؤمنين القتال معهم، ويكون الفرار في هاتين الصورتين ذنبًا كبيرًا، وهكذا القياس، وكان هذا الحكم مشروعًا أولًا ثم بعد ذلك لما ضاقت صدور المؤمنين وحسبوه ثقیلاً نسخ الله ذلك الحكم بالآية المتصلة عقيبها، وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّكُمْ ضَعْفَاءُ﴾ [الأنفال: الآية ٦٦]، فلهذا خفف عنهم الأثقال وأوجب الحكم على المضاعفة بحسب درجة واحدة، مثلًا إن كان المسلم مائة والكفار مائتين يجب القتال ويُحرم الفرار، وإن كان المسلم ألفًا والكافر ألفين يجب القتال ويُحرم الفرار، وهكذا القياس.

الأمر من (الحرص وهو أن ينهكه المرض حتى يشفى على الموت) ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿ هذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله وتأيدته ﴿يَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُوهُ﴾ بسبب أن الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته، بخلاف من يقاتل على بصيرة وهو يرجو النصر من الله. قيل: كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة، ثم ثقل عليهم ذلك فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين بقوله:

﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ (عاصم وحمزة) ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ﴾ (بالياء فيهما: كوفي، وافقه البصري) في الأولى

قوله: (الحرص) بفتحيتين (وهو أن ينهكه المرض) أي يضعفه ويجعله نحيفاً مهزولاً (حتى يشفى) من الأفعال، أي يشرف ويقرب (على الموت)، وهذا أصله ثم استعمل في حث الإنسان على شيء حتى يعلم أنه حارص، أي مشرف على الهلاك لكمال جهده في تحصيله وانهماكه في كسبه، وبهذا البيان يعلم المناسبة بين أصله وفرعه، وهذا الوجه مما استبعده بعضهم. وقال الراغب: كأنه في الأصل إزالة الحرص وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به، انتهى. يريد أن باب التفعيل وبناءه للإزالة كقذيته، أي أزلت عند القذى، فأصل المعنى: حرّض المؤمنين، أي كن مزيلاً عنهم ما لا خير فيه، ثم استعمل في ترغيب ما فيه خير وعاقبة حميدة، ولو بزعم المرغب. اهـ قنوي رحمه الله.

قوله: ﴿ضَعْفًا﴾ بفتح الضاد (عاصم وحمزة)، والباقون بضمها، وكلاهما مصدر، وقيل: الفتح في العقل والرأي والضم في البدن. قوله: (بالياء) من تحت (فيهما) أي في ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا﴾ [الأنفال: الآية ٦٥]، ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ﴾ [الأنفال: الآية ٦٦] (كوفي) أي عاصم وحمزة والكسائي للفضل بالظرف، ولأن التأنيث مجازي (وافقه البصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا

والمراد الضعف في البدن ﴿يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (وتكرير مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده، للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة لا تتفاوت، إذ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف، وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين).

﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْجِثَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ﴾ ما صح له ولا استقام ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾ («أن تكون»: بصري) ﴿حَتَّى يُنْجِثَ فِي الْأَرْضِ﴾ الإثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الشخانة وهي

يعقوب البصري - وليس من السبعة - في الأولى وقرأ بالتأنيث في الثانية؛ لأن وصفه بالمؤنث وهو صابرة قواه، والباقون بالتأنيث فيهما لأجل اللفظ، وخرج بإسناده إلى المائة إن يكن منكم عشرون، وإن يكن منكم ألف المتفق على تذكيرها.

قوله: (وتكرير مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة) واحدة (لا تتفاوت) في النصرة. اهـ كشاف. (إذ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف، وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين)؛ إذ الحال في الأول ضيق، وفي الثاني وسيع، ولعل لهذا المعنى وصف الأول بالصابرة دون الثاني. اهـ التفسيرات الأحمدية. وقال العلامة التفتازاني رحمه الله: قوله: إذ الحال قد تتفاوت تعليل لاحتياج إلى هذه الدلالة والبيان، بمعنى ربما لا يقاوم العشرة المائة ويقاوم المائة الألف، وكذلك ربما لا يقاوم العشرين ويقاوم الألف الألفين. اهـ.

قوله: («أن تكون») بالتأنيث (بصري) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري - وليس من السبعة - لكون الجمع في تأويل الجماعة، فإن أسرى جمع أسير، فأسارى جمع الجمع مثل جريح وجرحى. وقرأ الباقي بالتذكير لكون الفعل متعدياً وكون تأنيث أسرى غير حقيقي؛ لأن المراد بهم الذكور، وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل، وكل واحد من هذه الثلاثة إذا انفرد جاز تذكير الفعل، وعند

الغلظ والكثافة حتى (يذل) الكفر بإشاعة القتل في أهله، و(يعز) الإسلام بالاستيلاء والقهر، ثم الأسر بعد ذلك. رُوِيَ أن رسول الله ﷺ أتى بسبعين أسيراً - فيهم (العباس) عمه و(عقيل) - فاستشار النبي ﷺ أبا بكر فيهم فقال: قومك وأهلك، استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك. وقال عمر

اجتماع الكل يكون أولى. اهـ شيخ زاده رحمه الله. لكن على قراءة التاء الفوقية تتعين الإمالة في أسرى، وعلى قراءة الياء التحتية تجوز الإمالة^(١) وتركها. اهـ جمل.

قوله: (يذل) في مختار الصحاح الذل ضد العز وقد ذل بالكسر ذلاً^(٢) وذلة ومذلة، فهو ذليل وهم أذلاء وأذلة. اهـ. قوله: (يعز) بكسر العين.

قوله: (العباس) بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ خرج مع المشركين إلى بدر مكرهاً وأسر وفدا نفسه وابني أخويه عقيلاً ونوفل بن الحارث وأسلم عقيل ذلك، وقيل: أسلم قبل الهجرة وكان يكتن إسلامه مقيماً بمكة يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ، وكان عوناً للمسلمين المستضعفين بمكة، قالوا: وأراد القدوم إلى المدينة، فقال له النبي ﷺ: «مقامك بمكة خير»، وكان رسول الله ﷺ يعظمه ويكرمه ويبجله، وكانت الصحابة تكرمه وتعظمه وتقدمه وتشاوره وتأخذ برأيه. توفي بالمدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، وقيل: من رمضان سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين، وهو ابن نحو ثمان وثمانين سنة، وهو معتدل القامة وقبره مشهور بالبقيع. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ خمسة وثلاثون حديثاً، اتفقاً على حديث وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بثلاثة، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (عقيل) بن أبي طالب الصحابي، هو بفتح العين القرشي الهاشمي المكي ابن عم رسول الله ﷺ، وهو أخو علي وجعفر وطالب لأبيهم، كان طالب أسن من عقيل بعشر سنين، وعقيل أسن من جعفر بعشر سنين، وجعفر أسن من علي بعشر سنين، حضر بدرًا مع المشركين مكرهاً وأسر يومئذ ففداه عمه العباس،

(١) فقرأ حمزة والكسائي وخلف مع الإمالة. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) في المصباح: ذل دلاً من باب ضرب، والاسم الذل - بالضم - والذلة - بالكسر - والمذلة إذا ضُغف وهان، فهو ذليل، والجمع أذلاء وأذلة. اهـ. ١٢ منه عم فيضهم.

﴿كَذِبُكَ وَأَخْرَجُكَ فَقَدِمَهُمْ وَأَضْرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فَإِنْ هَؤُلَاءِ أَثَمَةُ الْكُفْرِ، وَإِنْ اللَّهُ أَغْنَاكَ عَنْ (الْفِدَاءِ، مَكَّنَ عَلِيًّا) مِنْ عَقِيلٍ، وَ(حَمْزَةً) مِنَ الْعَبَّاسِ، (وَمَكَّنِي مِنْ فُلَانٍ لِنَسِيبٍ لَهُ)، فَلْنَضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ. فَقَالَ ﷺ: «مِثْلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمِثْلِ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: الْآيَةُ ٣٦] وَمِثْلُكَ يَا عُمَرُ كَمِثْلِ نُوحٍ (حَيْثُ قَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾) [نُوحٍ: الْآيَةُ ٢٦]. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ: «إِنْ شِئْتُمْ قَتَلْتُمُوهُمْ وَإِنْ شِئْتُمْ فَادَيْتُمُوهُمْ وَاسْتَشْهَدْتُمْ مِنْكُمْ بَعْدَتَهُمْ» فَقَالُوا: بَلْ نَأْخُذُ الْفِدَا فَاسْتَشْهَدُوا بِأَحَدٍ فَلَمَّا أَخَذُوا الْفِدَاءَ نَزَلَتِ الْآيَةُ ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ مُتَاعَهَا يَعْنِي الْفِدَاءَ سَمَاءً عَرْضًا لِقَلَّةِ بَقَائِهِ وَسُرْعَةِ فَنَائِهِ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ أَيُّ مَا هُوَ سَبَبُ الْجَنَّةِ مِنْ إِعْزَازِ الْإِسْلَامِ بِالْإِثْنَانِ فِي الْقَتْلِ ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يَقْهَرُ الْأَعْدَاءَ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي عِتَابِ الْأَوْلِيَاءِ.

ثم أسلم قبل الحُدَيْبِيَّةِ، وجاء إلى المدينة مهاجرًا إلى رسول الله ﷺ سنة ثمان وشهد غزوة مؤتة مع أخيه جعفر، ثم رجع فعرض له مرض فلم يسمع له بذكر في فتح مكة، ولا غزوة حُنين والطائف وأعطاه النبي ﷺ من خيبر مائة وأربعين وسقًا كل سنة. رَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَحَادِيثُ وَهُوَ قَلِيلُ الْحَدِيثِ. تَوَفَّى فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ، وَقَدْ كُفَّ بَصَرَهُ وَدُفِنَ بِالْبُقَيْعِ وَقَبْرُهُ مَشْهُورٌ عَلَيْهِ قَبَّةٌ فِي أَوَّلِ الْبُقَيْعِ.

قوله: (الْفِدَاءُ) بِالْكَسْرِ. قوله: (مَكَّنَ عَلِيًّا) يُقَالُ: مَكَّنْتَهُ مِنْ الشَّيْءِ وَأَمَكَّنْتَهُ مِنْهُ إِذَا أَقْدَرْتَهُ عَلَيْهِ فَتَمَكَّنَ وَاسْتَمَكَّنَ، وَالْمُرَادُ الْإِذْنَ وَالرَّخْصَةَ.

قوله: (حَمْزَةً) بِنِ عُبْدِ الْمَطْلَبِ عَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُ، يُقَالُ لَهُ أَسَدُ الرَّحْمَنِ وَأَسَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَمَّهُ وَأَخُوهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ، كُنِيَّتُهُ أَبُو عِمَارَةَ أَسْلَمَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَشَهِدَ بَدْرًا وَبَارِزًا وَأَبْلَى فِيهَا بِلَاءً حَسَنًا، وَقَاتَلَ بِسِيفَيْنِ. اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أَحَدٍ فِي نِصْفِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ أَحَدًا وَثَلَاثِينَ مِنَ الْكُفَّارِ، وَدُفِنَ عِنْدَ أَحَدٍ فِي مَوْضِعِهِ وَقَبْرُهُ مَشْهُورٌ يُزَارُ وَيَتَبَرَّكُ بِهِ وَحُزِنَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ. قوله: (وَمَكَّنِي مِنْ فُلَانٍ) أَيُّ خَلٍّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ (لِنَسِيبٍ) أَيُّ قَرِيبِ النِّسَبِ (لَهُ) أَيُّ لِعُمَرَ. قوله: (حَيْثُ قَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾) أَيُّ نَازِلِ دَارٍ، وَالْمَعْنَى أَحَدًا. قَالَ الْعَلَّامَةُ الشَّهَابُ عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللَّهِ الْوَهَّابُ: وَفِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تَذَرْنِي﴾

﴿لَوْلَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ﴾ لولا حكم من الله ﴿سَبَقَ﴾ أن لا يعذب أحداً على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهداً منهم لأنهم نظروا في أن استبقاءهم ربما كان سبباً في إسلامهم، وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد، وخفي عليهم إن قتلهم أعزّ للإسلام وأهيب لمن وراءهم، أو ما كتب الله في اللوح أن لا يعذب أهل بدر، أو ألا يؤاخذ قبل البيان والإعذار.

﴿لَوْلَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسْكُمُ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

(وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكر القياس). ﴿كَتَبَ﴾ مبتدأ و﴿مِنْ اللَّهِ﴾ صفته أي لولا كتاب ثابت من الله و﴿سَبَقَ﴾ صفة أخرى له، وخبر المبتدأ محذوف أي لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود، و﴿سَبَقَ﴾ لا يجوز أن يكون خبراً لأن «لولا» لا يظهر أبداً ﴿لِمَسْكُمُ﴾ (لنالكُم) وأصابكم ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من فداء الأسرى ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ رُوِيَ أن عمر ؓ دخل على رسول الله ﷺ (فإذا هو وأبو بكر يبكيان) فقال: يا رسول الله

عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿تُوح: الآية ٢٦﴾ دقيقة، وهي الإشارة إلى ما وقع في خلافته من تطهير أرض الحجاز من الكفرة. اهـ. قوله: (وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد، فيكون حجة على منكر القياس)، وأيضاً فيه دلالة على أن المجتهد إذا أخطأ لم يكن معاقباً في عمله، أي مجتهد كان. وأيضاً فيه دلالة على أن الحكم إذا اجتهد فيه ثم نزل نص بخلافه لم يسقط العمل بذلك الاجتهاد، ولم يجب العمل بذلك النص؛ لأن النبي عليه السلام لما حكم بأخذ الفداء بالاجتهاد ثم نزل بعده نص بخلافه، وهو هذه الآية لم ينقل من أخذ الفداء إلى القتل، بل استقر عليه، بخلاف ما إذا اجتهد المجتهد بحكم، ثم ظهر نص بخلافه، يعني كان نازلاً قبل الاجتهاد، ولكن ظهر الآن بأن يقف عليه آنفاً، فإنه يجب العمل بالنص ويسقط الاجتهاد كأبي حنيفة رحمه الله مثلاً يحكم بمسألة بالاجتهاد، ثم ظهر نص بخلافه يجب العمل به، فكم من فرق بين ظهور النص بخلاف الاجتهاد وبين نزوله بخلافه، هكذا صرح في البزدوي وحواشيه.

قوله: (لنالكُم) أي وقع بكم. قوله: (فإذا هو وأبو بكر يبكيان) فإذا للمفاجأة أما بكاء أبي بكر رضي الله تعالى عنه على نفسه وعلى إخوانه، وأما بكاءه عليه

(أخبرني) فإن وجدت بكاء بكيت وإم لم أجد بكاء (تباكيت). فقال : «أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء (ولقد عرض) عليّ عذابهم (أدنى من هذه الشجرة)» لشجرة قريبة منه. (وروي أنه ﷺ قال : «لو نزل) عذاب من السماء (لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ)» لقوله : كان الإثخان في القتل أحب إليّ.

﴿فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٩)

﴿فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ روي أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدّوا أيديهم إليها فنزلت. وقيل : هو إباحة للفداء (لأنه من جملة الغنائم). والفاء للتسبيح) والسبب

السلام على أصحابه. اهـ قنوي رحمه الله. قوله: (أخبرني) عن سبب بكائك وبكاء أبي بكر. قوله: (تباكيت) أي أظهرت البكاء. قوله: (ولقد عرض) أي وبالله لقد عرض. قوله: (أدنى من هذه الشجرة) أي حال كون ذلك العذاب أقرب إليهم من قرب هذه الشجرة إليّ، وينبغي أن يكون هذا منه عليه الصلاة والسلام إشارة إلى ما نزل بهم يوم أحد. اهـ شيخ زاده رحمه الله. وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قوله: أدنى من هذه الشجرة، أي أقرب منها يراه ويشاهده. قيل: والمراد به ما وقع بأحد، واستشهد منهم سبعون كما وقع في الحديث: «إن شئتم فاديتموهم»، واستشهد منكم بعدتهم كما في الكشف. اهـ. وهذا الحديث أخرجه أحمد وابن جرير وابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بنحوه. قوله: (وروي أنه عليه السلام قال: لو نزل) عذاب من السماء (لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ) لقوله: «كان الإثخان في القتل أحب إليّ» أخرجه ابن جرير عن محمد بن إسحاق بلفظ: «لو أنزل من السماء عذاب لما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ»؛ لقوله: «كان الإثخان في القتل أحب إليّ»، وأخرجه ابن مردويه عن ابن عمر، لكن لم يذكر فيه سعد بن معاذ، وهذا يدل على أن المراد بالعذاب عذاب في الدنيا غير القتل مما لم يعهد؛ لقوله: أنزل من السماء. وأما أنهم يستشهد منهم بعدتهم، فالشهادة لا تسمى عذاباً. اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (لأنه من جملة الغنائم) إذ الغنيمة هو المأخوذ قهراً وغلبة لا اختلاصاً وسرقة، كما في الهداية. قوله: (والفاء للتسبيح) داخلة على المسبب.

محذوف، ومعناه قد أحللت لكم الغنائم فكلوا ﴿حَلَلًا﴾ مطلقًا عن العتاب والعقاب من حلّ (العقال) وهو نصب على الحال من المغنوم، أو صفة للمصدر أي أكلاً حلالاً ﴿طَيِّبًا﴾ لذيداً هنيئاً أو حلالاً بالشرع طيباً بالطبع ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تقدموا على شيء لم يعهد إليكم فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لما فعلتم من قبل ﴿رَحِيمٌ﴾ بإحلال ما غنمتم.

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبُ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبُ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ﴾ (في ملكتكم) كأن أيديكم قابضة عليهم ﴿مِنَ الْأَسْرَى﴾ جمع أسير من الأسارى (أبو عمرو جمع أسرى) ﴿إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ خلوص إيمان وصحة نية ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء، إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه أو يشيكم في الآخرة ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ رُوِيَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَالُ (البحرين) ثمانون ألفاً، فتوضاً

قوله: (العقال) في لسان العرب: عقل البعير يَغْلِقُهُ عَقْلًا وَعَقْلُهُ وَاعْتَقَلَهُ ثَنَى وَظِيفُهُ مَعَ ذِرَاعِهِ وَشَدَّاهُمَا جَمِيعًا فِي وَسْطِ الذَّرَاعِ، وَكَذَلِكَ النَّاقَةُ، وَذَلِكَ الْحَبْلُ الْعِقَالُ وَالْجَمْعُ عُقْلٌ. اهـ. وأيضاً فيه الوظيف لكل ذي أربع ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق. اهـ. وأيضاً فيه، وقال ابن الأعرابي: الوظيف من رسغ البعير إلى ركبتيه في يديه، وأما في رجليه، فمن رسغيه إلى عَرْقُوبِيهِ. اهـ. وأيضاً في الجوهري: الوظيف مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل ونحوهما، والجمع الْأَوْظَفَةُ. اهـ. وأيضاً فيه: الْعَرْقُوبُ الْعَصَبُ الْغَلِيظُ الْمُؤَثَّرُ فَوْقَ عَقَبِ الْإِنْسَانِ، وَعَرْقُوبُ الدَّابَّةِ فِي أَرْجُلِهَا بِمَنْزِلَةِ الرُّكْبَةِ فِي يَدِهَا. اهـ.

قوله: (في ملكتكم) - بالتحريك - أي ملككم. قوله: ﴿مِنَ الْأَسْرَى﴾ بضم الهمزة وفتح السين وبألف بعدها مع الإمالة (أبو عمرو) البصري (جمع أسرى) جمع أسير، فهو جمع الجمع، وقرأ أبو جعفر بضم الهمزة وفتح السين على وزن فعالي بلا إمالة، والباقون بفتح الهمزة وسكون السين بلا ألف على وزن فعلى مع الإمالة في قراءة حمزة والكسائي وخلف بلا إمالة في قراءة غيرهم. قوله: (البحرين) بلد.

لصلاة الظهر وما صلتى حتى فرقه، وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول: هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة، وكان له عشرون عبدًا وإن أدناهم ليتجر في ألفا وكان يقول: أنجز الله أحد الوعدين وأنا على ثقة من الآخر.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ أي الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ نكث ما بايعوك عليه من الإسلام بالردة أو منع ما ضمنوه من الفداء ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ في كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ (فأمكنك منهم) أي أظفرك بهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن عادوا إلى الخيانة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالمال ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما أمر في الحال.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ من مكة حبًا لله ورسوله ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هم المهاجرون ﴿وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا﴾ أي آووهم على ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الأنصار ﴿أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي يتولى بعضهم بعضًا في الميراث، وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوي القربات حتى نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ (وقيل: أراد به النصرة والمعاونة) ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا﴾ من مكة ﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ﴾

قوله: (فأمكنك منهم) أي قدرك عليهم، وأشار إلى أنَّ مفعوله محذوف.

قوله: (وقيل أراد به النصرة والمعاونة)، فتكون محكمة. اهـ شهاب رحمته. أي يتولى بعضهم بعضًا بالنصرة والمعاونة، فإنَّ أولياء جمع ولي نحو صديق وأصدقاء، والولي ضد العدو، يقال منه تولاه، والولي يجيء بمعنى الناصر أيضًا، وكل واحد من الفريقين صديق للآخر يعظمه ويهتم بشأنه ويخصه بمعاونته ومظاهرتة، بل لفظ الولاية غير مُشعر بمعنى الورثة، إلا أن المفسرين حملوه على هذا المعنى بناءً على

من توليهم في الميراث («ولايتهم» حمزة). وقيل: هما واحد ﴿مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ فكان لا يرث المؤمن الذي لم يهاجر ممن آمن وهاجر، ولما أبقي للذين لم يهاجروا اسم الإيمان وكانت الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة، دل على أن صاحب الكبيرة لا يخرج من الإيمان ﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ﴾ أي من أسلم ولم يهاجر ﴿فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ أي إن وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم أن تنصروهم على الكافرين ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ﴾ فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لأنهم لا يتدنون بالقتال، إذ الميثاق مانع من ذلك ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تحذير عن تعدي حد الشرع.

أن الولاية المثبتة في هذه الآية هي الولاية المنفية في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنفال: الآية ٧٢]، والولاية المنفية فيه ليست بمعنى النصرة؛ لأنه تعالى عطف عليه. قوله: ﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: الآية ٧٢]، ولا شك أن ذلك عبارة عن المُوالاتة في الدين والمعطوف مغاير للمعطوف عليه، فوجب أن يكون المراد من الولاية المذكورة أمراً مغايراً لمعنى النصرة. اهـ شيخ زاده رحمته الله. قوله: («ولايتهم») بكسر الواو (حمزة)، والباقون بفتح الواو، وفي تفسير البيضاوي: قرأ حمزة: «ولايتهم» بالكسر تشبيهاً لها بالعمل والصناعة؛ كالكتابة والإمارة، كأنه بتوليّه صاحبه يزاول عملاً. اهـ. قال العلامة شيخ زاده رحمته الله في حاشيته: قوله: تشبيهاً لها بالعمل، يريد أن المصدر الذي يجيء على فعالة بالكسر إنما يكون في الصناعات، وما يكون بمزاولة العمل كالكتابة والزراعة والخياطة والحراثة والنجارة والقصارة والصباغة ونحوها، والولاية ليست من هذا القبيل إلا على سبيل التشبيه، فإن الولي بتوليّه صاحبه ونصرته كأنه يزاول عملاً، فشبه التولي بالعمل ثم استعير له الولاية بالكسر. اهـ. وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: جاء في اللغة: الولاية مصدرًا بالفتح والكسر، فقليل: هما لغتان فيه بمعنى واحد، وهو القرب الحسي والمعنوي، وقيل: بينهما فرق فالفتح ولاية مولى النسب ونحوه، والكسر ولاية السلطان، قاله أبو عبيدة. وقيل: الفتح من النصرة، والنسب والكسرة من الإمارة، قاله الزجاج، وخطأ الأصمعي قراءة الكسر، وهو المخطيء لتواترها، واختلفوا في ترجيح إحدى القراءتين، ولما قال المحققون من أهل اللغة: إن فعالة بالكسر في الأسماء لما

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ظاهره إثبات الموالاة بينهم، ومعناه نهى المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم وإيجاب مباحةتهم (مصارمتهم) وإن كانوا أقارب وأن يُتركوا يتوارثون بعضهم بعضاً. ثم قال: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضاً حتى في التوارث تفضيلاً لنسبة الإسلام على نسبة القرابة، ولم تجعلوا قرابة الكفار كلاً قرابة ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة، لأن المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدة على الشرك كان الشرك ظاهراً والفساد زائداً.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن

يحيط بشيء، ويجعل فيه كالألفافه والعمامة، وفي المصادر يكون في الصناعات، وما يزاوِل بالأعمال كالكتابة والخياطة ذهب الزجاج وتبعه غيره إلى أن الولاية لاحتياجها إلى تمرن وتدريب شتبت بالصناعة، فلذا جاء فيها الكسر كالإمارة، وهذا يحتمل أن الواضع حين وضعها شبهها بذلك، فتكون حقيقة ويحتمل كما في بعض شروح الكشاف أن تكون استعارة كما سَمُوا الطب صناعة، لكنها وإن كان التصرف فيها في الهيئة لا في المادّة استعارة أصلية لوقوعها في المصدر دون المشتق، ومنه يعلم أن الاستعارة الأصلية قسمان ما يكون التجوّز في مادته وما يكون في هيئته، وقوله: كأنه بتوليّه... الخ. أي كأن صاحبه يزاوِل عملاً بتوليّه، أي يحاوله ويعالجه وضمير كأنه للولي أو للشأن.

قوله: (مصارمتهم) في لسان العرب: الصَّرَم القطع البائن، وعمّ بعضهم به القطع أي نوع كان صرمة يصرمه صَرَمًا وَصَرَمًا وانصرم. اهـ. وأيضاً فيه المصارمة بين الاثنين. اهـ.

ومفارقة الأهل وال(السكن) والانسلاخ من المال والدنيا لأجل الدين والعقبى ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لا مئة فيه ولا (تنغيض) ولا تكرار، لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم مع الوعد الكريم والأولى للأمر بالتواصل.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٥)

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾ يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة ﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ جعلهم منهم تفضلاً وترغيباً ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وأولوا القربابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (في حكمه وقسمته أو في اللوح)، أو في القرآن وهو آية الموارث (وهو دليل لنا على توريث ذوي الأرحام) ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيقضي بين عباده بما شاء من أحكامه. قسم الناس أربعة أقسام: قسم آمنوا وهاجروا، وقسم آمنوا ونصروا، وقسم آمنوا ولم يهاجروا، وقسم كفروا ولم يؤمنوا.

قوله: (السَّكَنُ) - بفتحتين - كل ما سكنت إليه. اهـ مختار الصحاح. وفي المصباح: السَّكَنُ ما يسكن إليه من أهلٍ ومال وغير ذلك، وهو مصدر سكنت إلى الشيء من باب طلب. اهـ. قوله: (تنغيض) أي تنقيص.

قوله: (في حكمه وقسمته أو في اللوح) ... الخ. لأن كتاب الله يُطلق على كلٍّ منها، وليس المراد آية الموارث؛ لأنه لا يناسب ما بعده، بل المراد هذه الآية، وفيه تأمل. اهـ شهاب رحمه الله. قوله: (وهو دليل لنا على توريث ذوي الأرحام)؛ لأن هذه الآية نسخ بها التوارث بالهجرة، ولم يفرّق بين العصبات وغيرهم، فهو حجة في إثبات ميراث ذوي الأرحام الذين لا قسمة لهم ولا تعصيب، وبها احتج أيضاً ابن مسعود رضي الله تعالى عنه على أن ذوي الأرحام أولى من مولى العتاقة، وخالفه سائر الصحابة رضوان الله عليهم، وإنما يصح الاستدلال إذا لم يكن المراد بكتاب الله تعالى آيات الموارث السابقة في سورة النساء، وهذا آخر ما يتعلق بسورة الأنفال. اللهم اجعلنا ببركتها ممتن غنم رضاك وفاز بجزيل عطايك وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

فهرس المحتويات

٣ سورة المائدة
١٢٢ سورة الأنعام
٢٨٠ سورة الأعراف
٥٣٣ سورة الأنفال

<http://t.me/Tehqiqat>